كتاب : لمسات بيانية المؤلف : الدكتور فاضل صالح السامرائي

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

وبعد، فهذه جملة من نصوص التنزيل العزيز سُئلت عن سر التعبير في بعضها واخترت بعضها من سور متعددة لأبيّن طرفاً مما فيها من أسرار تعبيرية ولمسات فنية لعل فيها نفعاً لدارسي القرآن ولتكون خطوة أخرى بعد كتاب الله الخالد.

قال لى بعضهم بعد أن اطلع على كتاب (التعبير القرآني) لو أسميته (الإعجاز القرآني).

فقلت له: هذا عنوان أكبر مني وأنا لا أستطيع أن أنمض ببيان الإعجاز القرآني ولا بشيء منه وإنما هو دراسة في بيان شيء من أسرار التعبير القرآني العظيم الذي لا تنتهي عجائبه.

إن هذا الكتاب وكذلك كتاب التعبير القرآني ليس في بيان الإعجاز القرآني وليس هو خطوة واحدة في هذا الطريق وإنما هو خطوة في طريق قد يُصل السالك إلى طريق الإعجاز أو شيء من الإعجاز.

إن إعجاز القرآن أمر متعدد النواحي متشعب الإتجاهات ومن المتعذر أن ينهض لبيان الإعجاز القرآني شخص واحد ولا حتى جماعة في زمن ما مهما كانت سَعَةُ علمهم واطلاعهم وتعدد اختصاصاتهم إنما هم يستطيعون بيان شيء من أسرار القرآن في نواح متعددة حتى زمافهم هم، ويبقى القرآن مفتوحاً للنظر لمن يأتي بعدنا في المستقبل ولما يجدّ من جديد. وسيجد فيه أجيال المستقبل من ملامح الإعجاز وإشاراته ما لم يخطر لنا على بال.

وأضرب مثلاً لتعدد نواحي الإعجاز فإني سمعت وقرأت لأشخاص مختصين بالتشريع والقانون يبيّنون إعجاز القرآن التشريعي، ويبينون اختيارات الألفاظ التشريعية في القرآن ودقتها في الدلالة على دقة التشريع ورفعته ما لا يصح استبدال غيرها بها، وإن اختيار هذه الألفاظ في بابها أدق وأعلى مما نبيّن نحن من اختيارات لغوية وفنية وجمالية.

وقرأت وسمعت لأشخاص متخصصين بعلم التشريح والطب في بيان شيء من أسرار التعبير القرآني من الناحية الطبية التشريحية ودقتها يفوق ما نذكره في علم البلاغة. فألفاظه مختارة في منتهى الدقة العلمية. من ذلك على سبيل المثال إن ما ذكره القرآن من مراحل تطور الجنين في الرحم هي الذي انتهى إليها العلم مما لم يكن معروفاً قبل هذا العصر مما دعا علماء أجانب إلى أن يعلنوا إسلامهم. وليس ذلك فقط، بل إن اختيار تعبير (العلقة) و (المضغة) - مثلاً أعجب اختيار علمي.

فاختيار التعبير بــ (العلقة) اختيار له دلالته، فإن المخلوق في هذه المرحلة أشبه شيء بالعلقة وهي الطفيلية المعروفة. وكذلك التعبير بــ (المضغة) فالمضغة كما قرأنا في كتب التفسير، هي القطعة من اللحم قدر ما يمضغ الماضغ. ولكن لاختيار كلمة (مضغة) سبب آخر، ذلك أن المضغة هي قطعة اللحم الممضوغة أي التي مضغتها الأسنان، وقد أثبت العلم الحديث أن الجنين في هذه المرحلة ليس قطعة لحم عادية بل هو كقطعة اللحم التي مضغتها الأسنان، فاختيار لفظ المضغة اختيار علمي دقيق. إنه لم يقل "قطعة لحم صغيرة" ولو قال ذلك لكان صواباً ولكن قال: مضغة لما ذكرت وربما لغيره أيضاً والله أعلم.

وقرأت فيما توصل إليه علم التاريخ وما دلت عليه الحفريات الحديثة من أخبار ذي القرنين أدق الكلام وأدق

الأخبار ما لم يكن يعرفه جميع مفسري القرآن فيما مضى من الزمان. وأن الذي اكتشفه المؤرخون والآثاريون وما توصلوا إليه في هذا القرن منطبق على ما جاء في القرآن الكريم كلمةً كلمة ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا القرن البية.

وقرأت في اختيار التعبير القرآني لبعض الكلمات التاريخية كرالعزيز) في قصة يوسف، وكاختيار تعبير الملك في القصة نفسها، واختيار كلمة (فرعون) في قصة موسى، فعرفت أن هذه ترجمات دقيقة لما كان يُستعمل في تلك الأزمان السحيقة فرالعزيز) أدق ترجمة لمن يقوم بذلك المنصب في حينه، وأن المصريين القدامي كانوا يفرقون بين الملوك الذين يحكمو فهم فيها إذا كانوا مصريين أو غير مصريين، فالملك غير المصري الأصل كانوا يسمونه الملك والمصري الأصل يسمونه فرعون وأن الذي كان يحكم مصر في زمن يوسف – عليه السلام – غير مصري، وهو من الهكسوس فسماه الملك، وأن الذي كان يحكمها في زمن موسى – عليه السلام – هو مصري فسماه فرعون، فسمى كل واحد بما كان يُسمى في الأزمنة السحيقة.

وعرفت من الإشارات الإعجازية في مختلف العلوم كما في أسرار البحار والضغط الجوي وتوسع الكون وبداية الخلق ما دعا كثيراً من الشخصيات العلمية إلى إعلان إسلامهم.

بل إن هناك أموراً لم تُعرف إلا بعد صعود الإنسان ف الفضاء واختراقه الغلاف الجوي للأرض، وقد أشار إليه القرآن إشارات في غاية العجب ذلك أن الإنسان إذا اخترق الغلاف الجوي للأرض، وجد نفسه في ظلام دامس وليل مستديم ولم تُر الشمس، إلا كبقية النجوم التي نراها في الليل. فالنهار الذي نعرفه نحن، لا يتعدى حدود الغلاف الجوي فإن تجاوزناه كنا في ظلام لا يعقبه نهار. وقد أشار إلى ذلك القرآن إشارة عجيبة في قوله (وآيَةٌ لَهُمُ اللَّيلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) يس) فجعل النهار كالجلد الذي يُسلخ وأما الليل فهو الأصل وهو الكل، فشبّه الليل بالذيبحة، والنهار جلدها، فإن سلخ الجلد ظهر الليل فجعل النهار غلافاً والليل هو الأصل.

وقال: (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥) الحجر) أي لو مكتّاهم من الصعود إلى السماء لانتهوا إلى ظلام وقالوا: (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) وغير ذلك وغيره.

وعلى هذا فالإعجاز القرآني متعدد النواحي ؛ متشعب الاتجاهات ولا يزال الناس يكتشفون من مظاهر إعجازه الشيء الكثير فلا غرو أن أقول إذن أن الإعجاز أكبر مما ينهض له واحد أو جماعة في زمن ما.

إن التعبير الواحد قد ترى فيه إعجازاً لغوياً جمالياً وترى فيه في الوقت نفسه إعجازاً علمياً أو إعجازاً تاريخياً أو إعجازاً نفسياً أو إعجازاً تربوياً أو إعجازاً تشريعياً أو غير ذلك.

فيأتي اللغوي ليبيّن مظاهر إعجازه اللغوي وأنه لا يمكن استبدال كلمة بأخرى ولا تقديم ما أُخّر ولا تأخير ما قُدّم أو توكيد ما نُزع منه التوكيد أو عمد توكيد ما أُكّد. ويأتيك العالم في التشريع ليقول مثل ذلك من وجهة نظر التاريخ، ويأتيك صاحب كل علم ليقول مثل ذلك من وجهة نظر التاريخ، ويأتيك صاحب كل علم ليقول مثل ذلك من وجهة نظر علمه.

إننا ندل على شيء من مواطن الفن والجمال في هذا التعبير الفني الرفيع ونضع أيدينا على شيء من سُمو هذا التعيير ونبيّن إن هذا التعبير لا يقدر على مجاراته بشر بل ولا البشر كلهم أجمعون، ومع ذلك لا نقول إن هذه هي مواطن الإعجاز ولا بعض مواطن الإعجاز وإنما هي ملامح ودلائل تأخذ باليد وإضاءات توضع في الطريق، تدل السالك

على أن هذا القرآن كلام فني مقصود وُضع وضعاً دقيقاً ونُسج نسجاً محكماً فريدا، لا يشابهه كلام، ولا يرقى إليه حديث (فَلْيَأْتُوا بحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) الطور).

أما شأن الإعجاز فهيهات ؛ إنه أعظم من كل ما نقول وأبلغ من كل ما نصف وأعجب من كل ما نقف عليه من دواعي العجب. إن هذا القادم من الملأ الأعلى والذي نزل به سيدٌ من كبار سادات الملأ الأعلى فيه من الأسرار ودواعي الإعجاز ما تنتهى الدنيا و لا ينتهى.

قد ترى أن في قولي مبالغة وادعاء أو انطلاقاً من عاطفة دين أو التهاب و جدان و ليس بوسعي أن أمنعك من هذا التصور، ولا أن أرد عنك ما ترى.

ولكن لو فتح القلب المقفل وأُوقد السراج المعطل وأشرقت بالنور حنايا لم تكن تعرف النور ولا مست فؤادك نفحة من روح الملك القلوس وهبّت على أودية نفسك نسمة من عالم الروح وسمعت صوتاً يملأ نفسك قادماً من بعيد من الملأ الأعلى يقول (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِنِكْرِ اللّهِ وَمَا نَوْلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الملأ الأعلى يقول (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) الحديد) و (وَلَقَدْ يَسَوْنَا الْقُرْآنَ الْكُوتُابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْلَمْدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) الحديد) و (وَلَقَدْ يَسَوْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧) القمر). فقف شعر بدنك واقشعر جلدك ومار فؤادك وتحركت السواكن واضطرب بين جنيك ما اضطرب والتهب فيه ما التهب والهمرت الدموع تسيل في شعاب القلوب التي قتلها الظمأ وأقفرها الجفاف تغسل الأوضار وتروي حبات القلب وتُندّي اليَيس وتُحيي الموات فعند ذاك تنوق ما لم تعهد له مذاقاً ولا طعماً وتحس ما لم يكن لك فيه سابق معرفة ولا إحساس وتصيح بكل جوارحك قائلاً والله لقد آن والله لقد آن! وعند ذاك تعرف ما أقول وتفهم ما أشير إليه ولكن أئي لي أو أصلك إلى هذا؟! وكيف أوصلك وأنا المنقطع ، وأعطيك وأنا المخوم؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إنما هي دلائل أضعها في الطريق وإشارات وصوى وشيء من خافت النور في مصباح ناضب الزيت غير نافع الفتيل عسى الله أن ينفع بها سالكاً ويجنّب العثار سارياً في الليل البهيم، فتنالنا منه دعوة صالحة تنعنا في عَرَصات القيامة. وفي الختام لا أجد خيراً من أوصيك ما أوصى به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صاحبه أبا ذر وليكن ذلك منك على ذكر وإياك أن تنساه:

يا أبا ذر أحكِم السفينة فإنّ البحر عميق وخفِّف الحملَ فإنَّ العقبةَ كَوُّود وخفِّف الخملَ فإنَّ العقبةَ كَوُّود وأكثر الزّاد فإنَّ السفر طويل وأخلص العملَ فإن الناقدَ بصير.

لمسات بيانية

في سورة الفاتحة

الحمد لله:

معنى الحمد : الثناء على الجميل من النعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال ، فالحمد أن تذكر محاسن الغير سواء كان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية كالعلم والصبر والرحمة أم على عطائه وتفضله على الآخرين. ولا يكون

الحمد إلا للحي العاقل.

وهذا أشهر ما فرق بينه وبين المدح فقد تمدح جمادا ولكن لا تحمده ؛ وقد ثبت أن للدح أعم من الحمد. فالمدح قد يكون قبل الإحسان وبعده ؛ أما الحمد فلا يكون إلا بعد الإحسان ، فالحمد يكون لما هو حاصل من المحاسن في الصفات أو الفعل فلا يحمد من ليس في صفاته ما يستحق الحمد ؛ أما المدح فقد يكون قبل ذلك فقد تمدح إنساناً ولم يفعل شيئا من المحاسن و الجميل ولذا كان المدح منهياً عنه ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احثوا التراب في وجه المداحين" بخلاف الحمد فإنه مأمور به فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يحمد الناس لم يحمد الله"

وبذا علمنا من قوله: الحمد لله" أن الله حي له الصفات الحسنى والفعل الجميل فحمدناه على صفاته وعلى فعله وإنعامه ولو قال المدح لله لم يفد شيئا من ذلك، فكان اختيار الحمد أولى من اختيار المدح.

ولم يقل سبحانه الشكر الله لأن الشكر لا يكون إلا على النعمة ولا يكون على صفاته الذاتية فانك لا تشكر الشخص على علمه أو قدرته وقد تحمده على ذلك وقد جاء في لسان العرب "والحمد والشكر متقاربان والحمد أعمهما لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته فكان اختيار الحمد أولى أيضاً من الشكر لأنه أعم فانك تثني عليه بنعمه الواصلة إليك والى الخلق جميعا وتثني عليه بصفاته الحسنى الذاتية وان لم يتعلق شيء منها بك. فكان اختيار الحمد أولى من المدح والشكر.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أنه قال: الحمد لله ولم يقل أحمد الله أو نحمد الله وما قاله أولى من وجوه عدة: إن القول " أحمد الله " أو " نحمد الله " محتص بفاعل معين ففاعل أحمد هو المتكلم وفاعل نحمد هم المتكلمون في حين أن عبارة "الحمد لله" مطلقة لا تختص بفاعل معين وهذا أولى فإنك إذا قلت " أحمد الله " أخبرت عن حمدك أنت وحدك ولم تفد أن غيركم حمده وإذا قلت " نحمد الله " أخبرت عن المتكلمين ولم تفد أن غيركم حمده في حين أن عبارة "الحمد لله" لا تختص بفاعل معين فهو المحمود على وجه الإطلاق منك ومن غيرك.

وقول " أحمد الله " تخبر عن فعلك أنت و لا يعني ذلك أن من تحمده يستحق الحمد ؛ في حين إذا قلت " الحمد الله" أفاد ذلك استحقاق الحمد الله وليس مرتبط بفاعل معين.

وقول " أحمد الله " أو " نحمد الله " مرتبط بزمن معين لأن الفعل له دلالة زمنية معينة ، فالفعل المضارع يدل على الحال أو الاستقبال ومعنى ذلك أن الحمد لا يحدث في غير الزمان الذي تحمده فيه ، ولا شك أن الزمن الذي يستطيع الشخص أو الأشخاص الحمد فيه محدود وهكذا كل فعل يقوم به الشخص محدود الزمن فإن أقصى ما يستطيع أن يفعله أن يكون مرتبطا بعمره و لا يكون قبل ذلك و بعده فعل فيكون الحمد أقل مما ينبغي فإن حمد الله لا ينبغي أن ينقطع و لا يحد بفاعل أو بزمان في حين أن عبارة "الحمد لله" مطلقة غير مقيدة بزمن معين و لا بفاعل معين فالحمد فيها مستمر غير منقطع.

جاء في تفسير الرازي أنه لو قال " احمد الله " أفاد ذلك كون القائل قادرا على حمده ، أما لما قال "الحمد لله" فقد أفاد ذلك ، أنه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين فهؤ لاء سواء حمدوا أم لم يحمدوا فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد بحمده القديم وكلامه القديم.

وقول "أحمد الله" جملة فعلية و"الحمد لله" جملة اسمية والجملة الفعلية تدل على الحدوث والتجدد في حين أن الجملة الاسمية دالة على الثبوت وهي أقوى وأدوم من الجملة الفعلية. فاختيار الجملة الاسمية أولى من اختيار الجملة الفعلية

ههنا إذ هو أدل على ثبات الحمد واستمراره.

وقول "الحمد لله" معناه أن الحمد والثناء حق لله وملكه فانه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة أياديه وأنواع آلائه على العباد. فقولنا "الحمد لله" معناه أن الحمد لله حق يستحقه لذاته ولو قال "احمد الله" لم يدل ذلك على كونه مستحقاً للحمد أولى من اللفظ الدال على أن شخصاً واحداً حمده.

والحمد : عبارة عن صفة القلب وهي اعتقاد كون ذلك المحمود منفضلا منعما مستحقا للتعظيم والإجلال. فإذا تلفظ الإنسان بقوله : "أحمد الله" مع أنه كان قلبه غافلا عن معنى التعظيم اللائق بجلال الله كان كاذبا لأنه أخبر عن نفسه بكونه حامدا مع انه ليس كذلك. أما إذا قال "الحمد لله" سواء كان غافلاً أو مستحضراً لمعنى التعظيم فإنه يكون صادقاً لأن معناه: أن الحمد حق لله وملكه وهذا المعنى حاصل سواء كان العبد مشتغلاً بمعنى التعظيم والإجلال أو لم يكن. فثبت أن قوله "الحمد لله" أولى من قوله أحمد الله أو من نحمد الله. ونظيره قولنا "لا اله إلا الله" فانه لا يدخل في التكذيب بخلاف قولنا "اشهد أن لا اله إلا الله" لأنه قد يكون كاذبا في قوله "أشهد" ولهذا قال تعالى في تكذيب المنافقين: "والله يشهد إن المنافقين لكاذبون" (المنافقون، آية ١)

فلماذا لم يقل " الحمدَ لله " بالنصب؟

الجواب أن قراءة الرفع أولى من قراءة النصب ذلك أن قراءة الرفع تدل على أن الجملة اسمية في حين أن قراءة النصب تدل على أن الجملة فعلية بتقدير نحمد أو احمد أو احمدوا بالأمر. والجملة الاسمية أقوى وأثبت من الجملة الفعلية لأفا دالة على الثبوت.

وقد يقال أليس تقدير فعل الأمر في قراءة النصب أقوى من الرفع بمعنى "احمدوا الحمد لله" كما تقول "الإسراع في الأمر بمعنى أسرعوا؟ والجواب لا فإن قراءة الرفع أولى أيضاً ذلك لان الأمر بالشيء لا يعني أن المأمور به مستحق للفعل. وقد يكون المأمور غير مقتنع بما أمر به فكان الحمد لله أولى من الحمد لله بالنصب في الاخبار والأمر.

ولماذا لم يقل " حمداً لله " ؟ الحمد لله معرفة بأل و " حمداً " نكرة ؛ والتعريف هنا يفيد ما لا يفيده التنكير ذلك أن "أل" قد تكون لتعريف العهد فيكون المعنى : أن الحمد المعروف بينكم هو لله ، وقد يكون لتعريف الجنس على سيبل الاستغراق فيدل على استغراق الأحمدة كلها. ورجح بعضهم المعنى الأول ورجح بعضهم المعنى الثاني بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم لك الحمد كله" فدل على استغراق الحمد كله فعلى هذا يكون المعنى: أن الحمد المعروف بينكم هو لله على سيبل الاستغراق والإحاطة فلا يخرج عنه شيء من أفراد الحمد و لا أجناسه.

"الحمد لله" أهي خبر أم إنشاء؟ الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب والإنشاء هو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب. قال أكثر النحاة والمفسرين : أن الحمد لله إخبار كأنه يخبر أن الحمد لله سبحانه وتعالى ، وقسم قال : أنما إنشاء لأن فيها استشعار المحبة وقسم قال : أنما خبر يتضمن إنشاء.

أحيانا يحتمل أن تكون التعبيرات خبرا أو إنشاء بحسب ما يقتضيه المقام الذي يقال فيه. فعلى سبيل المثال قد نقول (رزقك الله وعافاك) والقصد منها أفلا تشكره على ذلك؟ وهذا خبر.

و الحمد لله هي من العبارات التي يمكن أن تستعمل خبرا وإنشاء بمعنى الحمد لله خبر ونستشعر نعمة الله علينا ونستشعر التقدير كان نقولها عندما نستشعر عظمة الله سبحانه في أمر ما فنقول الحمد لله. فلماذا لم يقل سبحانه " إن الحمد لله " ؟ لا شك أن الحمد لله لكن هناك فرق بين التعبيرين أن نجعل الجملة خبراً محضا في قول الحمد لله (ستعمل للخبر أو الإنشاء) ولكن عندما تدخل عليه " إن " لا يمكن إلا أن يكون إنشاء ، لذا فقول " الحمد لله " أولى لما فيه من الإجلال والتعظيم والشعور بذلك. لذا جمعت الحمد لله بين الخبر والإنشاء ومعناهما ، مثلا نقول رحمة الله عليك (هذا دعاء) وعندما نقول إن رحمة الله عليك فهذا خبر وليس دعاء

من المعلوم انه في اللغة قد تدخل بعض الأدوات على عبارات فتغير معناها مثال: رحمه الله (دعاء) ، قد رحمه الله (إخبار) ، رزقك الله (دعاء) ، قد رزقك الله (إخبار) .

لماذا لم يقل سبحانه " لله الحمد " ؟

الحمد الله تقال إذا كان هناك كلام يراد تخصيصه (مثال: لفلان الكتاب) تقال للتخصيص والحصر فإذا قدم الجار والمجرور على اسم العلم يكون بقصد الاختصاص والحصر (لإزالة الشك أن الحمد سيكون لغير الله) الحمد لله في الدنيا ليست مختصة لله سبحانه وتعالى ، الحمد في الدنيا قد تقال لأستاذ أو سلطان عادل ، أما العبادة فهي قاصرة على الله سبحانه وتعالى ، المقام في الفاتحة ليس مقام اختصاص أصلاً وليست مثل (إياك نعبد) أو (إياك نستعين). فقد وردت في القران الكريم (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين) الجاثية (لآية

لا أحد يمنع النقديم لكن النقديم والتأخير في القرآن الكريم يكون حسب ما يقتضيه السياق ، المقام في سورة الفاتحة هو مقام مؤمنين يقرون بالعبادة ويطلبون الاستعانة والهداية ؛ أما في سورة الجاثية فالمقام في الكافرين وعقائدهم وقد نسبوا الحياة والموت لغير الله سبحانه لذا اقتضى ذكر تفضله سبحانه بأنه خلق السموات والأرض وأثبت لهم أن الحمد الأول لله سبحانه على كل ما خلق لنا فهو المحمود الأول لذا جاءت فلله الحمد مقدمة حسب ما اقتضاه السياق العام للآيات في السورة.

فلماذا النفصيل في الجاثية (رب السموات والأرض) ولم ترد في الفاتخة؟ في الجاثية تردد ذكر السموات والأرض وما فيهن وذكر ربوبية الله تعالى لهما فقد جاء في أول السورة (إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين) فلو نظرنا في جو سورة الجاثية نلاحظ ربوبية الله تعالى للسموات والأرض والخلق والعالمين مستمرة في السورة كلها. (ولله ملك السموات والأرض) يعني هو ربحما (ويوم تقوم الساعة يخسر المبطلون) إذن هو رب العالمين (وخلق الله السموات والأرض بالحق) فهو ربحما (لتجزى كل نفس..) فهو رب العالمين. (فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين) جمع الربوبية في السموات والأرض والعالمين في آية واحدة ، أما في الكلام في الفاتحة فهو عن العالمين فقط وذكر أصناف الخلق من العالمين (المؤمنين، الضالمين..) لذا ناسب التخصيص في الجاثية وليس في الفاتحة. (وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) (الجاثية الآية ٧٣) ولم يذكر الكبرياء في الفاتحة لأنه جاء في الجاثية ذكر المستكبرين بغير حق (ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تعلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها الجاثية ذكر المستكبرين بغير حق (ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تعلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فيشره بعذاب أليم . وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين) (الجاثية الآيات ٧-٩) دل على مظهر من مظاهر الاستكبار لذا ناسب أن يرد ذكر الكبرياء في السموات والأرض. فسبحانه وتعالى يضع الكلام مظهر من مظاهر الاستكبار لذا ناسب أن يرد ذكر الكبرياء في السموات والأرض. فسبحانه وتعالى يضع الكلام بعيزان دقيق بما يتناسب مع السياق العام للآيات.

الحمد لله: جاء سبحانه وتعالى باسمه العلم (الله) ،لم يقل الحمد للخالق أو القدير أو أي اسم آخر من أسمائه الحسنى فلماذا جاء باسمه العلم؟ لأنه إذا جاء بأي اسم آخر غير العلم لدل على انه تعالى استحق الحمد فقط بالنسبة لهذا

الاسم خاصة فلو قال الحمد للقادر لفهمت على انه يستحق الحمد للقدرة فقط لكن عند ذكر الذات (الله) فإلها تعنى انه سبحانه يستحق الحمد لذاته لا لوصفه.

من ناحية أخرى " الحمد لله " مناسبة لما جاء بعلها (إياك نعبد) لأن العبادة كثيرا ما تختلط بلفظ الله. فلفظ الجلالة (الله) يعنى الإله المعبود مأخوذة من أله (بكسر اللام) ومعناها عبد ولفظ الله مناسب للعبادة وأكثر اسم اقترن بالعبادة هو لفظ الله تعالى (أكثر من ٥٠ مرة اقترن لفظ الله بالعبادة في القرآن) لذا فالحمد لله مناسب لأكثر من جهة.

" الحمدُ لله " أولى من قول الحمد للسميع أو العليم أو غيرها من أسماء الله الحسنى. وقول الحمد لله أولى من قول أحمد الله أو الحمد لله أو المحمد الله أو المحمد المحمد

رب العالمين:

الرب هو المالك والسيد والمربي والمنعم والقيِّم ، فإذن رب العالمين هو رهم ومالكهم وسيدهم ومربيهم والمنعم عليهم وقيُمهم لذا فهو أولى بالحمد من غيره وذكر (رب العالمين) هي أنسب ما يمكن وضعه بعد (الحمد لله) رب العالمين يقتضي كل صفات الله تعالى ويشمل كل أسماء الله الحسنى ، العالمين : جمع عالم والعالم هو كل موجود سوى الله تعالى ؛ والعالم يجمع على العوالم وعلى العالمين لكن اختيار العالمين على العوالم أمر بلاغي يعني ذلك أن العالمين خاص للمكلفين وأولي العقل (لا تشمل غير العقلاء) بدليل قوله تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) (الفرقان آية ١) ومن المؤكد انه ليس نذيرا للبهائم والجماد. وبهذا استدلوا على أن المقصود بالعالمين أولي العقل وأولي العلم أو المكلفون.

والعالمين جمع العالم بكل أصنافه لكن يغلُب العقلاء على غيرهم فيقال لهم العالمين لا يقال لعالم الحشرات أو الجماد أو البهائم العالمين وعليه فلا تستعمل كلمة العالمين إلا إذا اجتمع العقلاء مع غيرهم وغلبوا عليهم. أما العوالم قد يطلق على أصناف من الموجودات ليس منهم البشر أو العقلاء أو المكلفون (تقال للحيوانات والحشرات والجمادات)

اختيار كلمة العالمين له سببه في سورة الفاتحة فالعالمين تشمل جيلا واحدا وقد تشمل كل المكلفين أو قسما من جيل (قالوا أولم ننهك عن العالمين) (الحجر آية ٧٠) في قصة سيدنا لوط جاءت هنا بمعنى قسم من الرجال. واختيار "العالمين " أيضاً لأن السورة كلها في المكلفين وفيها طلب الهداية وإظهار العبودية لله وتقسيم الخلق كله خاص بأولي العقل والعلم لذا كان من المناسب اختيار "العالمين " على غيرها من المفردات أو الكلمات. وقد ورد في آخر الفاتحة ذكر المعضوب عليهم وهم اليهود ، والعالمين رد على اليهود الذين ادعوا أن الله تعالى هو رب اليهود فقط فجاءت رب العالمين لتشمل كل العالمين لا بعضهم.

أما اختيار كلمة رب فلأنما تناسب ما بعدها (اهدنا الصراط المستقيم) لأن من معاني الرب المربي وهي أشهر معانيه وأولى مهام الرب الهداية لذا اقترنت الهداية كثيراً بلفظ الرب كما اقترنت العبادة بلفظ الله تعالى (قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (طه آية 9.3-0) (فاجتباه ربه فتاب عليه وهدى) (طه آية 1.7.1) (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) (الأعلى آية 1.7.1) (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم) (الأنعام آية 1.7.1) (وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) (الكهف آية 1.7.1) (قال

كلا إن معي ربي سيهدين) (الشعراء آية ٢٦) (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين) (الصافات آية ٩٩) (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السيل) (القصص آية ٢٢) لذا ناسب لفظ " رب " مع " اهدنا الصراط المستقيم " وفيها طلب الهداية.

الرحمن الرحيم:

الرحمن على وزن فعلان والرحيم على وزن فعيل ومن المقرر في علم التصريف في اللغة العربية أن الصفة فعلان تمثل الحدوث والتجدد والامتلاء والاتصاف بالوصف إلى حده الأقصى فيقال غضبان بمعنى امتلأ غضبا (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) لكن الغضب زال (فلما سكت عن موسى الغضب) ومثل ذلك عطشان ، ريان ، جوعان ، يكون عطشان فيشرب فيذهب العطش

أما صيغة فعيل فهي تدل على الثبوت سواء كان خلقة ويسمى تحول في الصفات مثل طويل، جميل، قبيح فلا يقال خطيب لمن ألقى خطبة واحدة و إنما تقال لمن يمارس الخطابة وكذلك الفقيه.

هذا الإحساس اللغوي بصفات فعلان وفعيل لا يزال في لغتنا الدارجة إلى الآن فنقول بدا عليه الطول (طولان) فيرد هو طويل (صفة ثابتة) فلان ضعفان (حدث فيه شيء جديد لم يكن) فيرد هو ضعيف (هذه صفته الثابتة فهو أصلاً ضعيف)

ولذا جاء سبحانه وتعالى بصفتين تدلان على التجدد والثبوت معا فلو قال الرحمن فقط لتوهم السامع أن هذه الصفة طارئة قد تزول كما يزول الجوع من الجوعان والغضب من الغضبان وغيره. ولو قال رحيم وحدها لفهم منها أن صفة رحيم مع ألها ثابتة لكنها ليست بالضرورة على الدوام ظاهرة إنما قد تنفك مثلا عندما يقال فلان كريم فهذا لا يعنى انه لا ينفك عن الكرم لحظة واحدة إنما الصفة الغالبة عليه هي الكرم.

و جاء سبحانه بالصفتين مجتمعتين ليدل على أن صفاته الثابتة والمتجددة هي الرحمة ويدل على أن رحمته لا تنقطع وهذا يأتي من باب الاحتياط للمعنى و جاء بالصفتين الثابتة والمتجددة لا ينفك عن إحداهما ، إنما هذه الصفات مستمرة ثابتة لا تنفك البتة غير منقطعة.

فلماذا إذاً قدم سبحانه الرحمن على الرحيم؟

قدم صيغة الرحمن والتي هي الصفة المتجددة وفيها الامتلاء بالرحمة لأبعد حدودها لأن الإنسان في طبيعته عجول وكثيراً ما يؤثر الإنسان الشيء الآتي السريع وان قل على الشيء الذي سيأتي لاحقاً وإن كثر (بل تحبون العاجلة) لذا جاء سبحانه بالصفة المتجددة ورحمته قريبة ومتجددة وحادثة إليه ولا تنفك لأن رحمته ثابتة. ووقوع كلمة "الرحيم " بعد كلمة الرب يدلنا على أن الرحمة هي من صفات الله تعالى العليا وفيها إشارة إلى أن المربي يجب أن يتحلى بالرحمة وتكون من أبرز صفاته وليست القسوة والرب بكل معانيه ينبغي أن يتصف بالرحمة سواء كان مربياً أو سيداً أو قيما وقد وصف الله تعالى رسوله بالرحمة.

مالك يوم الدين:

هناك قراءة متواترة (ملك يوم الدين) بعض المفسرين يحاولون تحديد أي القراءتين أولى وتحديد صفة كل منهما لكن في الحقيقة ليس هناك قراءة أولى من قراءة فكلتا القراءتين متواترة نزل بمما الروح الأمين ليجمع بين معنى المالك والملك.

المالك من التملك والملك بكسر الميم (بمعنى الذي يملك الملك)

وملك بكسر اللام من الملك بضم الميم والحكم (أليس لي ملك مصر) الملك هنا بمعنى الحكم والحاكم الأعلى هو الله تعالى.

المالك قد يكون ملكا وقد لا يكون والملك قد يكون مالكا وقد لا يكون. المالك يتصرف في ملكه كما لا يتصرف الملك (بكسر اللام) والمالك عليه أن يتولى أمر مملوكه من الكسوة والطعام والملك ينظر للحكم والعدل والإنصاف. المالك أوسع لشموله العقلاء وغيرهم والملك هو المتصرف الأكبر وله الأمر والإدارة العامة في المصلحة العامة فنزلت القراءتين لتجمع بين معنى المالك والملك وتدل على انه سبحانه هو المالك وهو الملك (قل اللهم مالك الملك) الملك ملكه سبحانه وتعالى فجمع بين معنى الملكية والملك

مالك يوم الدين ، لِمَ لمْ يذكر الدنيا ؟ سواء كان مالكا أو ملكا فلماذا لم يقل مالك يوم الدين والدنيا؟

أو لا قال " الحمد الله رب العالمين " فهو مالكهم وملكهم في الدنيا وهذا شمل الدنيا. مالك يوم الدين هو مالك يوم الجزاء يعني ملك ما قبله من أيام العمل والعمل يكون في الدنيا فقد جمع في التعبير يوم الدين والدنيا وبقوله " يوم الدين " شمل فيه الدنيا أيضاً.

لم قال يوم الدين ولم يقل يوم القيامة؟

الدين بمعنى الجزاء وهو يشمل جميع أنواع القيامة من أولها إلى آخرها ويشمل الجزاء والحساب والطاعة والقهر وكلها من معاني الدين وكلمة الدين انسب للفظ رب العالمين وانسب للمكلفين (الدين يكون لهؤ لاء المكلفين) فهو أنسب من يوم القيامة لأن القيامة فيها أشياء لا تتعلق بالجزاء أما الدين فمعناه الجزاء وكل معانيه تتعلق بالمكلفين لان الكلام من أوله لآخره عن المكلفين لذا ناسب اختيار كلمة الدين عن القيامة.

لماذا قال مالك يوم واليوم لا يملك إنما ما فيه يملك ؟ والسبب لقصد العموم ومالك اليوم هو ملك لكل ما فيه وكل من فيه فهو أوسع وهو ملكية كل ما يجري وما يحدث في اليوم وكل ما فيه ومن فيه فهي إضافة عامة شاملة جمع فيها ما في ذلك اليوم ومن فيه وإحداثه وكل ما فيه من باب الملكية (بكسر الميم) والملكية (بضم الميم) اقتران الحمد بهذه الصفات أحسن وأجمل اقتران. الحمد الله فالله محمود بذاته وصفاته على العموم والله هو الاسم العلم) ثم محمود بكل معاني الربوبية (رب العالمين) لان من الأرباب من لا تحمد عبوديته وهو محمود في كونه رحمن رحيم، محمود في رحمته لان الرحمة لو وضعت في غير موضعها تكون غير محمودة فالرحمة إذا لم توضع في موضعها لم تكن مدحا لصاحبها، محمود في رحمته يضعها حيث يجب أن توضع وهو محمود يوم الدين محمود في تملكه و في مالكيته (مالك يوم الدين) محمود في ملكه ذلك اليوم (في قراءة ملك يوم الدين)

استغرق الحمد كل الأزمنة ،لم يترك سبحانه زمناً لم يدخل فيه الحمد أبداً من الأزل إلى الأبد فهو حمده قبل الخلق (الحمد لله) حين كان تعالى ولم يكن معه شيء قبل حمد الحامدين وقبل وجود الخلق والكائنات استغرق الحمد هنا الزمن الأول وعند خلق العالم (رب العالمين) واستغرق الحمد وقت كانت الرحمة تنزل و لا تنقطع (الرحمن الرحيم) واستغرق الحمد يوم الجزاء كله ويوم الجزاء لا ينتهي لأن الجزاء لا ينتهي فأهل النار خالدين فيها وأهل الجنة خالدين فيها لا ينقضي جزاؤهم فاستغرق الحمد كل الأزمنة من الأزل إلى الأبد كقوله تعالى له الحمد في الأولى والآخرة هذه الآيات جمعت أعجب الوصف.

- قوله (إياك نعبد وإياك نستعين):

قدم المفعولين لنعبد ونستعين وهذا التقديم للاختصاص لأنه سبحانه وتعالى وحده له العبادة لذا لم يقل نعبدك

ونستعينك لأنما لا تدل على التخصيص بالعبادة لله تعالى ، أما قول (إياك نعبد) فتعني تخصيص العبادة لله تعالى وحده وكذلك في الاستعانة (إياك نستعين) تكون بالله حصرا (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك للصير) (الممتحنة آية ٤) كلها مخصوصة لله وحده حصرا فالتوكل والإنابة والمرجع كله إليه سبحانه (وعلى الله فليتوكل المتوكلون)(إبراهيم ١٢)

(قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) (الملك آية ٢٩) تقديم الإيمان على الجار والمجرور هنا لأن الإيمان ليس محصورا بالله وحده فقط بل علينا الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقضاء والقدر لذا لم تأت به آمنا. أما في التوكل فجاءت وعليه توكلنا لا توكلنا عليه لان التوكل محصور بالله تعالى.

الآن لماذا كررت إياك مع فعل الاستعانة ولم يقل إياك نعبد ونستعين؟

التكرار يفيد التصيص على حصر المستعان به ؛ لو اقتصرنا على ضمير واحد (إياك نعبد ونستعين) لم يعني المستعان إنما عني المعبود فقط ولو اقتصرنا على ضمير واحد لفهم من ذلك انه لا يتقرب إليه إلا بالجمع بين العبادة والاستعانة بمعنى انه لا يُعبد بدون استعانة ولا يُستعان به بدون عبادة. يفهم من الاستعانة مع العبادة مجموعة تربط الاستعانة بالعبادة وهذا غير وارد وإنما هو سبحانه نعبده على وجه الاستقلال ونستعين به على وجه الاستقلال وقد يجتمعان لذا وجب التكرار في الضمير إياك نعبد وإياك نستعين. التكرار توكيد في اللغة ، في التكرار من القوة والتوكيد للاستعانة فيما ليس في الحذف.

إياك نعبد وإياك نستعين : أطلق سبحانه فعل الاستعانة ولم يحدد نستعين على شيء أو نستعين على طاعة أو غيره ، إنما أطلقها لتشمل كل شيء وليست محدد وأمر واحد من أمور الدنيا. وتشمل كل شيء يريد الإنسان أن يستعين بربه لان الاستعانة غير مقيدة بأمر محدد. وقد عبر سبحانه عن الاستعانة والعبادة بلفظ ضمير الجمع (نعبد ونستعين) وليس بالتعبير المفرد أعبد وأستعين وفي هذا إشارة إلى أهمية الجماعة في الإسلام لذا تلزم قراءة هذه السورة في الصلاة وتلزم أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين مرة ، وفيها دليل على أهمية الجماعة عامة في الإسلام مثل الحج وصلاة الجماعة ، الزكاة ، الجهاد ،الأعياد والصيام. إضافة إلى أن المؤمنين إخوة فلو قال إياك اعبد لأغفل عبادة إخوته المؤمنين وإنما عندما نقول (إياك نعبد) نذكر كل المؤمنين ويدخل القائل في زمرة المؤمنين أيضاً.

لماذا قرن العبادة بالاستعانة؟

أولاً ليدل على أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بعبادة الله إلا بإعانة الله له وتوفيقه فهو إذن شعار وإعلان أن الإنسان لا يستطيع أن يعمل شيئاً إلا بعون الله وهو إقرار بعجز الإنسان عن القيام بالعبادات وعن حمل الأمانة الثقيلة إذا لم يعنه الله تعالى على ذلك ، الاستعانة بالله علاج لغرور الإنسان وكبريائه عن الاستعانة بالله واعتراف الإنسان بضعفه.

لماذا قدم العبادة على الاستعانة؟

العبادة هي علة خلق الإنس والجن (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)(الذاريات ٥٦) والاستعانة إنما هي وسيلة للعبادة فالعبادة أولى بالتقديم.

العبادة هي حق الله والاستعانة هي مطلب من مطالبه وحق الله أولى من مطالبه.

تبدأ السورة بالحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين وهذه كلها من أسلوب الغيبة أي كلها

للغائب ثم انتقل إلى الخطاب المباشر بقوله (إياك نعبد وإياك نستعين). فلو قسنا على سياق الآيات الأولى لكان أولى القول إياه نعبد وإياه نستعين. فلماذا لم يقل سبحانه هذا؟

في البلاغة يسمى هذا الانتقال من الغائب للمخاطب أو المتكلم أو العكس " الإلتفات ". للإلتفات فائدة عامة وفائدة في المقام ، أما الفائدة العامة فهي تطرية لنشاط السامع وتحريك الذهن للإصغاء والانتباه. أما الفائدة التي يقتضيها المقام فهي إذا التفت المتكلم البليغ يكون لهذه الالتفاتة فائدة غير العامة مثال : (هو الذي يسيركم في البرو البحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) (يونس آية ٢٢) لم يقل وجرين بكم فيها التفات لأنهم عندما ركبوا في البحر وجرت بهم الفلك أصبحوا غائبين وليسوا مخاطبين.

وعندما قال سبحانه الحمد لله رب العالمين فهو حاضر دائما فنودي بنداء الحاضر المخاطب . الكلام من أول الفاتحة إلى مالك يوم الدين كله ثناء على الله تعالى والثناء يكون في الحضور والغيبة والثناء في الغيبة أصدق وأولى أما (إياك نعبد وإياك نستعين)فهو دعاء والدعاء في الحضور أولى وأجدى ؛ إذن الثناء في الغيبة أولى والدعاء في الحضور أولى والعبادة تؤدى في الحاضر وهي أولى.

- قوله (اهدنا الصراط المستقيم)

هذا دعاء ولا دعاء مفروض على المسلم قوله غير هذا الدعاء فيتوجب على المسلم قوله عدة مرات في اليوم وهذا بلوره يدل على أهمية الطلب وهذا الدعاء لان له أثره في الدنيا والآخرة ويدل على أن الإنسان لا يمكن أن يهتدي للصراط المستقيم بنفسه إلا إذا هداه الله تعالى لذلك. إذا ترك الناس لأنفسهم لنهب كل إلى منهبه ولم يهتلوا إلى الصراط المستقيم وبما أن هذا الدعاء في الهاتحة ولا صلاة بدون فاتحة فلذا يجب الدعاء به في الصلاة الفريضة وهذا غير دعاء السنة في (ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة) (البقرة آية ٢٠١)

والهداية: هي الإلهام والدلالة. وفعل الهداية هدى يهدي في العربية قد يتعدى بنفسه دون حرف جر مثل " اهدنا الصراط المستقيم " (تعدى الفعل بنفسه) وقد يتعدى بإلى (وانك لتهدي إلى صراط مستقيم) (الشورى آية ٥٠) (وأهديك إلى ربك فتخشى) (النازعات آية ١٩) وقد يتعدى باللام (الحمد لله الذي هدانا لهذا) (الأعراف ٤٣) (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) (الحجرات آية ١٧)

ذكر أهل اللغة أن الفرق بين التعدية بالحرف والتعدية بالفعل نفسه أن التعدية بالحرف تستعمل عندما لا تكون الهداية فيه بمعنى أن المهدي كان خارج الصراط فهداه الله له فيصل بالهداية إليه. والتعدية بدون حرف تقال لمن يكون فيه ولمن لا يكون فيه كقولنا " هديته الطريق " قد يكون هو في الطريق فنعرفه به وقد لا يكون في الطريق فنوصله إليه. (فاتبعني أهدك صراطا سويا) (مريم آية ٣٤) أبو سيدنا إبراهيم لم يكن في الطريق ، (ولهديناهم صراطا مستقيما) (النساء آية ٦٨) والمنافقون ليسوا في الطريق. واستعملت لمن هم في الصراط (وقد هدانا سبلنا) (إبراهيم آية ٢٠) قيلت في رسل الله تعالى وقال تعالى مخاطبا رسوله (ويهديك صراطا مستقيما) (الفتح آية ٢) والرسول مالك للصراط. استعمل الفعل المعدى بنفسه في الحالتين.

التعدية باللام وإلى لمن لم يكن في الصراط (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط) (ص آية ٢٢) (هل من شركائكم من يهدي إلى الحق) (يونس آية ٣٥)

وتستعمل هداه له بمعنى بينه له والهداية على مراحل وليست هداية واحدة فالبعيد عن الطريق، الضال، يحتاج من يوصله إليه ويدله عليه (نستعمل هداه إليه) والذي يصل إلى الطريق يحتاج الى هاد يعرفه بأحوال الطريق وأماكن

الأمن والنجاة والهلاك للثقة بالنفس ثم إذا سلك الطريق في الأخير يحتاج إلى من يريه غايته واستعمل سبحانه اللام (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) (الأعراف آية ٤٣) وهذه خاتمة الهدايات. ونلخص ما سبق على النحو التالى:

- -إنسان بعيد يحتاج من يوصله إلى الطريق نستعمل الفعل المتعدي بإلى .
- اذا وصل ويحتاج من يعرفه بالطريق وأحواله نستعمل الفعل المتعدي بنفسه .
- إذا سلك الطريق ويحتاج إلى من يبلغه مراده نستعمل الفعل المتعدي باللام .

الهداية مع اللام لم تستعمل مع السبيل أو الصراط أبدا في القرآن لان الصراط ليست غاية إنما وسيلة توصل للغاية واللام إنما تستعمل عند الغاية. وقد اختص سبحانه الهداية باللام له وحده أو للقرآن لأنما خاتمة الهدايات كقوله (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) (الإسراء آية ٩) وقوله (يهدي الله لنوره من يشاء) (النور آية ٣٥) قد نقول جاءت الهدايات كلها بمعنى واحد مع اختلاف الحروف.

- (قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أن يتبع امن لا يهدي إلا أن يهدى) (يونس آية ٣٥)

جاءت يهدي للحق المقترنة بالله تعالى لان معنى الآيات تفيد هل من شركائكم من يوصل إلى الحق قل الله يهدي للحق الله وحده يوشدك ويوصلك إلى خاتمة الهدايات ، يعني أن الشركاء لا يعرفون أين الحق ولا كيف يوشدون إليه ويدلون عليه.

- (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) (المائدة آية ١٦)

استعمل الهداية معداة بنفسها بدون حرف واستعملها في سياق واحد مع الفعل المعدى بإلى ومعنى الآيات انه من اتبع رضوان الله وليس بعيدا ولا ضالا استعمل له الفعل المعدى بنفسه والذي في الظلمات هو بعيد عن الصراط ويحتاج إلى من يوصله إلى الصراط لذا قال يهديهم إلى صراط مستقيم (استعمل الفعل المعدى بإلى) نعود إلى الآية " اهدنا الصراط المستقيم " (الفعل معدى بنفسه) وهنا استعمل هذا الفعل المعدى بنفسه لجمع عدة معاني فالذي انحرف عن الطريق نطلب من الله تعالى أن يوصله إليه والذي في الطريق نطلب من الله تعالى أن يوصله بأح ال الطريق و الثبات و التثبيت على الطريق.

وهنا يبرز تساؤل آخر ونقول كما سبق وقدم سبحانه مفعولي العبادة والاستعانة في (إياك نعبد وإياك نستعين) فلماذا لم يقل سبحانه إيانا اهدي؟ هذا المعنى لا يصح فالتقديم بــ (إياك نعبد وإياك نستعين) تقيد الاختصاص ولا يجوز أن نقول إيانا اهدي بمعنى خصنا بالهداية ولا تمدي أحداً غيرنا فهذا لا يجوز لذلك لا يصح النقديم هنا. المعنى تطلب النقديم في المعونة والاستعانة ولم يتطلبه في الهداية لذا قال (اهدنا الصراط المستقيم).

فلم قال (اهدنا) ولم يقل اهدني؟

لأنه مناسب لسياق الآيات السابقة وكما في آيات الاستعانة والعبادة اقتضى الجمع في الهداية أيضاً.

فيه إشاعة لروح الجماعة وقتل لروح الأثرة والأنانية وفيه نزع الأثرة والاستئثار من النفس بان ندعو للآخرين بما ندعو به لأنفسنا.

الاجتماع على الهدى وسير المجموعة على الصراط دليل قوة فإذا كثر السالكون يزيد الأنس ويقوى الثبات

فالسالك وحده قد يضعف وقد يمل أو يسقط أو تأكله الذئاب ، فكلما كثر السالكون كان ادعى للاطمئنان والاستئناس.

والاجتماع رحمة والفرقة عذاب يشير لله تعالى إلى أمر الاجتماع والأنس بالاجتماع وطبيعة حب النفس للاجتماع الاجتماع كما ورد في قوله الكريم (ومن يطع الله ورسوله ندخله جنات تجري من تحتها الأنمار خالدين فيها) (النساء آية ١٣) خالدين جاءت بصيغة الجمع لان المؤمنين في الجنة يستمتعون بالأنس ببعضهم وقوله (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) (النساء آية ١٤) في العذاب فيزيد على عذاب الكافر عذاب الوحدة فكأنما عذبه الله تعالى بشيئين النار والوحدة.

لذا فعندما قال سبحانه وتعالى (اهدنا الصراط المستقيم) فيه شيء من التثبيت والاستئناس، هذا الدعاء ارتبط بأول السورة وبوسطها وآخرها. الحمد لله رب العالمين مهمة الرب هي الهداية وكثيرا ما اقترنت الهداية باسم الرب فهو مرتبط برب العالمين وارتبط بقوله الرحمن الرحيم لان من هداه الله فقد رحمه وأنت الآن تطلب من الرحمن الرحيم الهداية أي تطلب من الرحمن الرحيم أن لا يتركك ضالا غير مهتد ثم قال (إياك نعبد وإياك نستعين) فلا تتحقق العبادة إلا بسلوك الطريق المستقيم وكذلك الاستعانة ومن الاستعانة طلب الهداية للصراط المستقيم صراط الذين الصراط المستقيم، ولا الضالين، والضالون هم الذين سلكوا غير الصراط المستقيم فالهداية والضلال نقيضان والضالين نقيض الذين سلكوا الصراط المستقيم.

لماذا اختار كلمة الصراط بدلا من الطريق أو السبيل؟ لو لاحظنا البناء اللغوي للصراط هو على وزن (فعال بكسر الفاء) وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال كالحزام والشداد والسداد والخمار والغطاء والفراش، هذه الصيغة تدل على الاشتمال بخلاف كلمة الطريق التي لا تدل على نفس المعنى. الصراط يدل على انه واسع رحب يتسع لكل السالكين ، أما كلمة طريق فهي على وزن فعيل بمعنى مطروق أي مسلوك والسبيل على وزن فعيل ونقول أسبلت الطريق إذا كثر السالكين فيها لكن ليس في صيغتها ما يدل على الاشتمال. فكلمة " الصراط " تدل على الاشتمال والوسع هذا في أصل البناء اللغوي (قال الزمخشري في كتابه الكشاف : الصراط من صرط كأنه يتلع السبل كلما سلك فيه السالكون وكأنه يبتلعهم من سعته).

- قوله (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

لماذا جاءت كلمة الصراط معرفة بأل مرة ومضافة مرة أخرى (صراط الذين أنعمت عليهم)؟ جاءت كلمة الصراط مفردة ومعرفة بتعريفين: بالألف واللام والإضافة وموصوفا بالاستقامة ثما يدل على انه صراط واحد (موصوف بالاستقامة لأنه ليس بين نقطتين إلا طريق مستقيم واحد وللستقيم هو أقصر الطرق وأقربما وصولا إلى الله) وأي طريق آخر غير هذا الصراط المستقيم لا يوصل إلى المطلوب ولا يوصل إلى الله تعالى. والمقصود بالوصول إلى الله تعالى هو الوصول إلى مرضاته فكلنا واصل إلى الله وليس هناك من طريق غير الصراط المستقيم. (إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) (المزمل آية ١٩) (الإنسان آية ٢٩) (إن ربي على صراط مستقيم) (هود آية ٥٦) (قال هذا صراط على مستقيم) (الحجر آية ٤١)

وردت كلمة الصراط في القرآن مفردة ولم ترد مجتمعة أبداً بخلاف السبيل فقد وردت مفردة ووردت جمعا (سبل) لان الصراط هو الأوسع وهو الذي تفضي إليه كل السبل (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (الأنعام ٢٥) (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) (المائدة ١٦) (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (العنكبوت

79) (هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة) (يوسف آية ١٠٨) الصراط هو صراط واحد مفرد لأنه هو طريق الإسلام الرحب الواسع الذي تفضى إليه كل السبل واتباع غير هذا الصراط ينأى بنا عن المقصود (١)

(١) يقول الدكتور أحمد الكبيسي في كلمة الصراط وأخواتها في القرآن الكريم في برنامجه الكلمة وأخواتها في القرآن الكريم على قناة دبي الفضائية في شرح كلمة الصراط وأخواتها في القرآن الكريم وكيف أن كل كلمة منها وردت في القرآن في مكافها المناسب والمعنى الذي تأتي به كل كلمة لا يمكن أن يكون إلا من عند العلي العظيم الذي وضع كل كلمة بميزافها وبمكافها الذي لا يمكن لكلمة أخرى أن تأتي بنفس معناها:

مرادفات كلمة الطريق تأتي على النحو التالي: إمام – صراط –طريق – سبيل – نهج –فج – جدد (جمع جادة) – نفق

وجاء معنى كل منها العام على النحو التالى:

إمام: وهو الطريق العام الرئيسي الدولي الذي يربط بين الدول وليس له مثيل وتتميز أحكامه في الإسلام بتميز تخومه. وقدسية علامات المرور فيه هي من أهم صفاته وهو بتعبيرنا الحاضر الطريق السريع بين المدن (Highway). وقد استعير هذا اللفظ في القرآن الكريم ليدل على الشرائع (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) (الإسراء آية ٧١) أي كل ما عندهم من شرائع وجاء أيضا بمعنى كتاب الله (وكل شئ أحصيناه في إمام مبين) (يس آية ١٢)

صراط: هو كل ممر بين نقطتين متناقضتين كضفتي نهر أو قمتي جبلين أو الحق والباطل والضلالة والهداية في الإسلام أو الكفر والإيمان. والصراط واحد لا يتكرر في مكان واحد ولا يثنى ولا يجمع. وقد استعير في القرآن الكريم للتوحيد فلا إله إلا الله تنقل من الكفر إلى الإيمان (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم) (الأنعام آية ١٦١) (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) (الأنعام آية ٣٩) (اهدنا الصراط المستقيم) (الفاتحة آية ٧) (فاتبعني أهدك صراطا سويا) (مريم آية ٣٦) (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون) (المؤمنون آية ٧٤)

والصراط عموما هو العدل المطلق لله تعالى وما عداه فهو نسبي. (إن ربي على صراط مستقيم) (هود آية ٥٦) والتوحيد هو العدل المطلق وما عداه فهو نسبي.

سيل: الطريق الذي يأتي بعد الصراط وهو ممتد طويل آمن سهل لكنه متعدد (سبل جمع سبيل) (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (العنكبوت آية ٦٩)السبل متعددة ولكن شرطها أن تبدأ من نقطة واحدة وتصب في نقطة واحدة عند الهدف. وفيه عناصر ثلاث: ممتحرك ويأخذ إلى غاية.

و المذاهب في الإسلام من السبل كلها تنطلق من نقطة واحدة وتصل إلى غاية واحدة. وسبل السلام تأتي بعد الإيمان والتوحيد بعد عبور الصراط المستقيم. ولتقريب الصورة إلى الأذهان فيمكن اعتبار السبل في عصرنا الحاضر وسائل النقل المتعددة فقد ينطلق الكثيرون من نقطة واحدة قاصدين غاية واحدة لكن منهم من يستقل الطائرة ومنهم السيارة ومنهم الدراجة ومنهم اللواب وغيرها.

و استخدمت كلمة السبيل في القرآن بمعنى حقوق في قوله (ليس علينا في الأميين سبيل) (آل عمران آية ٧٥) و ابن السبيل في القرآن هو من انقطع عن أهله انقطاعا بعيدا وهدفه واضح ومشروع كالمسافر في تجارة أو للدعوة

فلا تعطى الزكاة لمن انقطع عن أهله بسبب غير مشروع كالخارج في معصية أو ما شابه.

طريق: الطريق يكون داخل المدينة وللطرق حقوق خاصة بما وقد سميت طرقا لأنما تطرق كثيرا بالذهاب والإياب المتكرر من البيت إلى العمل والعكس. والطريق هي العبادات التي نفعلها بشكل دائم كالصلاة والزكاة والصوم والحج والذكر. (يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) (الأحقاف آية ٣٠)

فهج: وهو عبارة عن ممرات خاصة لا يمر بها إلا مجموعة خاصة من الناس وهي كالعبادات التي يخنص بها قوم دون قوم مثل فهج القائمين بالليل وفهج المجاهدين في سبيل الله وفهج المحسنين وأولي الألباب وعباد الرحمن فكل منهم يعبد الله تعالى بمنهج معين وعلى كل مسلم أن يتخذ لنفسه فهجا معينا خاصا به يعرف به عند الله تعالى كبر الوالدين والذكر و الجهاد والدعاء والقرآن و الإحسان وغيرها (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (المائدة آية ٤٨) و إذا لاحظنا و صفها في القرآن و جدنا لها ثلاثة صفات والإنفاق فيها صفة مشتركة.

١ - نهج المستغفرين بالأسحار: (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل
 والمحروم) (الذاريات آية ١٧ - ١٩)

٢ - ولهج أهل التهجد: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) (السجدة آية
 ١٦)

٣ - ونمج المحسنين: (الذين ينفقون بالسراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) (آل عمران آية ١٣٤

فج: وهو الطريق بين جبلين (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) (الحج آية ٢٧)

جادة: وتجمع على جدد كما وردت في القرآن الكريم (ومن الجبال جدد بيض وحمر) (فاطر آية ٢٧) والجادة هي الطريق الذي يرسم في الصحراء أو الجبال من شدة الأثر ومن كثرة سلوكه.

نفق: وهو الطريق تحت الأرض (فان استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض) (الأنعام آية ٣٥)

ثم زاد هذا الصراط توضيحا وبيانا بعد وصفه بالاستقامة وتعريفه بأل بقول (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) جمعت هذه الآية كل أصناف الخلق المكلفين ولم تستثني منهم أحداً فذكر: الذين انعم الله عليهم هم الذين سلكوا الصراط المستقيم وعرفوا الحق وعملوا بمقتضاه.

الذين عرفوا الحق وخالفوه (المغضوب عليهم) ويقول قسم من المفسرين ألهم العصاة.

الذين لم يعرفوا الحق وهم الضالين (قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون ألهم يحسنون صنعا) (الكهف آية ٣٠٠ - ٤٠٠) هذا الحسبان لا ينفعهم إنما هم من الأخسرين. ولا يخرج المكلفون عن هذه الأصناف الثلاثة فكل الخلق ينتمي لواحد من هذه الأصناف.

وقال تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) ولم يقل تنعم عليهم فلماذا ذكر الفعل الماضي؟

اختار الفعل الماضي على المضارع أولاً: ليتعين زمانه ليبين صراط الذين تحققت عليهم النعمة (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) (النساء آية ٦٩) صراط الذين أنعمت عليهم يدخل في هؤلاء. وإذا قال تنعم عليهم لأغفل كل من انعم عليهم سابقا من رسل الله والصالحين ولو قال تنعم عليهم لم يدل في النص على انه سبحانه انعم على احد ولاحتمل أن

يكون صراط الأولين غير الآخرين ولا يفيد التواصل بين زمر المؤمنين من آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة. مثال: اذا قلنا أعطني ما أعطيت أمثالي فمعناه أعطني مثل ما أعطيت سابقا، ولو قلنا أعطني ما تعطي أمثالي فهي لا تدل على أنه أعطى أحداً قبلي.

ولو قال " تنعم عليهم " لكان صراط هؤلاء اقل شأنا من صراط الذين أنعم عليهم فصراط الذين انعم عليهم من أولي العزم من الرسل والأنبياء والصديقين أما الذين تنعم عليهم لا تشمل هؤلاء. فالإتيان بالفعل الماضي يدل على انه بمرور الزمن يكثر عدد الذين انعم الله عليهم فمن ينعم عليهم الآن يلتحق بالسابقين من الذين انعم الله عليهم فيشمل كل من سبق وانعم الله عليهم فهم زمرة كبيرة من أولي العزم والرسل وأتباعهم والصديقين وغيرهم وهكذا تتسع دائرة المنعم عليهم ، أما الذين تنعم عليهم تختص بوقت دون وقت ويكون عدد المنعم عليهم قليل لذا كان قوله سبحانه أنعمت عليهم أوسع وأشمل واعم من الذين تنعم عليهم.

لماذا قال صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين؟

أي لماذا عبر عن الذين أنعم عليهم باستخدام الفعل (أنعمت) والمغضوب عليهم والضالين بالاسم؟ الاسم يدل على الشمول ويشمل سائر الأزمنة من المغضوب عليهم والدلالة على الثبوت. أما الفعل فيدل على التجدد والحدوث فوصفه أنهم مغضوب عليهم وضالون دليل على الثبوت والدوام.

إذن فلماذا لم يقل المنعم عليهم للدلالة على الثبوت؟

لو قال صراط المعم عليهم بالاسم لم يتين المعنى أي من الذي أنعم إنما بين المعم (بكسر العين) في قوله (أنعمت عليهم) لأن معرفة المنعم مهمة فالنعم تقدر بمقدار المنعم (بكسر العين) لذا أراد سبحانه وتعلى أن يبين المنعم ليين قدرة النعمة وعظيمها ومن عادة القرآن أن ينسب الخير إلى الله تعالى وكذلك النعم والفضل وينزه نسبة السوء إليه سبحانه (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) (الجن آية ١٠) والله سبحانه لا ينسب السوء لنفسه فقد يقول (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون) (النمل آية ٤) لكن لا يقول زينا لهم سوء أعمالهم (زين لهم سوء أعمالهم) (التوبة آية ٧٣) (زين للناس حب الشهوات) (آل عمران آية ٤١) (وزين لفرعون سوء عمله). (غافر آية ٢٧) (أفمن زين له سوء عمله) (فاطر آية ٨) (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) (الأنفال آية ٨٤) أما النعمة فينسبها الله تعالى إلى نفسه لأن النعمة كلها خير (ربي بما أنعمت علي) وإذا مسه الشر كان يؤوسا) (الإسراء آية ٨٣) ولم ينسب سبحانه النعمة لغيره إلا في آية واحدة (وإذ تقول للذي انعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) (الأحزاب آية ٢٧) فهي نعمة خاصة بعد نعمة الله تعالى عليه انعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) (الأحزاب آية ٢٧) فهي نعمة خاصة بعد نعمة الله تعالى عليه عليهم من الله والملاتكة وكل الناس حتى أصدقاؤهم يتبرأ بعضهم من بعض حتى جلودهم تبرأ منهم ولذا جاءت المغضوب عليهم لتشمل غضب الله وغضب الغاضبين.

غير المغضوب عليهم ولا الضالين: لم كرر لا؟ وقال غير المغضوب عليهم والضالين؟ إذا حذفت (لا) يمكن أن يُفهم أن المباينة والابتعاد هو فقط للذين جمعوا الغضب والضلالة فقط ، أما من لم يجمعها (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فلا يدخل في الاستثناء ، فإذا قلنا مثلا : لا تشرب الحليب واللبن الوائب (أي لا تجمعهما) أما إذا قلنا : لا تشوب الحليب و لا تشرب اللبن الرائب كان النهى عن كليهما إن اجتمعا أو انفردا.

فلماذا قدم إذن المغضوب عليهم على الضالين؟ المغضوب عليهم: الذين عرفوا ربحم ثم انحرفوا عن الحق وهم اشد بعدا لان ليس من علم كمن جهل لذا بدأ بالمغضوب عليهم وفي الحديث الصحيح أن المغضوب عليهم هم اليهود وأما النصارى فهم الضالون. واليهود أسبق من النصارى ولذا بدأ بحم واقتضى التقديم.

وصفة المغضوب عليهم هي أول معصية ظهرت في الوجود وهي صفة إبليس عندما أُمر بالسجود لآدم عليه السلام وهو يعرف الحق ومع ذلك عصى الله تعالى وهي أول معصية ظهرت على الأرض أيضاً عندما قتل ابن آدم أخاه فهي إذن أول معصية في الملأ الأعلى وعلى الأرض (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه) (النساء آية ٩٣) ولذا بدأ بها.

أما جعل المغضوب عليهم بجانب المنعم عليهم فلأن المغضوب عليهم مناقض للمنعم عليهم والعضب مناقض للنعم. خاتمة سورة الفاتحة هي مناسبة لكل ما ورد في السورة من أولها إلى آخرها فمن لم يحمد الله تعالى فهو مغضوب عليه وضال ومن لم يؤمن بيوم الدين وأن الله سبحانه وتعالى مالك يوم الدين وملكه ومن لم يخص الله تعالى بالعبادة والاستعانة ومن لم يهتد إلى الصراط المستقيم فهم جميعاً مغضوب عليهم وضالون.

ولقد تضمنت السورة الإيمان والعمل الصالح، الإيمان بالله (الحمد لله رب العالمين) واليوم الآخر (مالك يوم الدين) والملائكة والرسل والكتب. وقد جمعت هذه السورة توحيد الربوبية (رب العالمين) وتوحيد الإلوهية (إياك نعبد وإياك نستعين) ولذا فهي حقاً أم الكتاب.

لمسات يبانية

في آية الكرسي

(اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَوُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُو الْعَلِيمُ الْعَظِيمُ)

آية الكرسي هي سيّدة آي القرآن الكريم. بدأت الآية بالتوحيد ونفي الشرك وهو المطلب الأول للعقيدة عن طريق الإخبار عن الله. بدأ الإخبار عن الذات الإلهية ونلاحظ أن كل جملة في هذه الآية تصح أن تكون خبراً للمبتدأ (الله) لآن كل جملة فيها ضمير يعود إلى الله سبحانه وتعالى: الله لا تأخذه سنة ولا نوم، الله له ما في السموات وما في الأرض، الله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، الله يعلم مابين أيديهم وما خلفهم، الله لا يحيطون بعلمه إلا بما شاء، الله وسع كرسيّه السموات والأرض، الله لا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم.

- قوله (اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) :

الحيّ معرّفة والقيّوم معرّفة. والحيّ هو الكامل الإتصاف بالحياة ولم يقل حيّ لأنما تفيد أنه من جملة الأحياء. فالتعريف بـــ(ال) هي دلالة على الكمال والقصر لأن ما سواه يصيبه الموت. والتعريف قد يأتي بالكمال والقصر، فالله له الكمال في الحياة وقصراً كل من عداه يجوز عليه الموت وكل ما عداه يجوز عليه الموت وهو الذي يفيض على الخلق بالحياة. فالله هو الحيّ لا حيّ سواه على الحقيقة لآن من سواه يجوز عليه الموت.

القيّوم: من صيغ المبالغة (على وزن فيعال وفيعول من صيغ المبالغة وهي ليست من الأوزان المشهورة) هي صيغة

المبالغة من القيام ومن معانيها القائم في تدبير أمر خلقه في إنشائهم وتدبيرهم، ومن معانيها القائم على كل شيء ، ومن معانيها الذي لا ينعس و لا ينام لأنه إذا نعس أو نام لا يكون قيّوماً ومن معانيها القائم بذاته وهو القيّوم جاء بصيغة التعريف لأنه لا قيّوم سواه على الأرض حصراً.

- قوله (لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ) :

سنة هي النعاس الذي يتقدم النوم ولهذا جاءت في ترتيب الآية قبل النوم وهذا ما يعرف بتقديم السبق، فهو سبحانه لا يأخذه نعاس أو ما يتقدم النوم من الفتور أو النوم. المتعارف عبيه يأتي النعاس ثم ينام الإنسان. ولم يقل سبحانه لا رتأخذه سنة و نوم) أو (سنة أو نوم) ففي قوله سنة ولا نوم ينفيهما سواءً اجتمعا أو افترقا لكن لو قال سبحانه سنة ونوم فإنه ينفي الجمع ولا ينفي الإفراد فقد تأخذه سنة دون النوم أو يأخذه النوم دون السنة.

قوله (لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْض)

دلالة (ما): ما تفيد ذوات غير العاقل وصفات العقلاء، إذن لما قال (له ما) جمع العقلاء وغيرهم ولو قال (من) لخص العقلاء. (ما) أشمل وعلى سبيل الإحاطة. قال (ما في السموات وما في الأرض) أولاً بقصد الإحاطة والشمول، وثانياً قدّم الجار والمجرور على المبتدأ (له ما في السموات) إفادة القصر أن ذلك له حصراً لا شريك له في الملك (ما في السموات والأرض ملكه حصراً قصراً فنفي الشرك). وجاء ترتيب (له ما في السموات وما في الأرض) بعد (الحيّ القيّوم) له دلالة خاصة: يدلّ على أنه قيوم على ملكه الذي لا يشاركه فيه أحد غيره وهناك فرق بين من يقوم على ملك غيره فهذا الأخير قد يغفل عن ملك غيره أما الذي يقوم على ملكه لا يغفل ولا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم سبحانه. فله كمال القيومية. وفي قوله (له ما في السموات وما في الأرض) تفيد التخصيص فهو لا يترك شيئاً في السموات والأرض إلا هو قائم عليه سبحانه.

- قوله (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بإذْنهِ)

دلالة واضحة على تبيان ملكوت الله وكبريائه وأن أحداً لا يملك أن يتكلم إلا بإذنه ولا يتقدم إلا بإذنه مصداقاً لقوله تعالى: (لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) هذا الجزء من الآية والجزء الذي قبلها (له ما في السموات وما في اللسموات وما في اللسموات وما في السموات وما في اللسموات وما في الأرض) يدل على ملكه وحكمه في الدنيا والآخرة لأنه لما قال (له ما في السموات وما في الأرض) يشمل ما في الدنيا وفي قوله (لمن ذا الذي يشفع عنده إلا ياذنه) هذا في الآخرة فدل هذا على ملكوته في الدنيا والآخرة وأخرجه مخرج الإسفهام الإنكاري لأنه أقوى من النفي. فدل هذا على أنه حي قيّوم كيف؟ لأن الذي يَستشفع عنده حيّ والذي لا يستطيع أحد أن يتقدم إلا بإذنه يجعله قائم بأمر خلقه وكلها تؤكد معنى أنه الحيّ القيّوم.

من ذا: فيها احتمالين كما يذكر أهل النحو: فقد تكون كلمة واحدة بمعنى (من) استفهامية لكن (من ذا) أقوى من (من) لزيادة مبناها (يقال في النحو: زيادة المبنى زيادة في المعنى)ز فقد نقول من حضر ، ومن ذا حضر؟ لماذا الإختلاف في التعبير في قصة إبراهيم في سورة الصافات (ماذا تعبدون) وفي سورة الشعراء (ما تعبدون)؟ في الأولى استعمال (ماذا) أقوى لأن إبراهيم لم يكن ينتظر جواباً من قومه فجاءت الآية بعدها (فما ظنكم برب العالمين)، أما في الشعراء فالسياق سياق حوار فجاء الرد (قالوا نعبد أصناماً). إذن (من ذا) و(ماذا) أقوى من (من) و(ما).

(من ذا) قد تكون كلمتان (من) مع اسم الإشارة ذا (من هذا) يقال : من ذا الواقف؟ من الواقف؟ ومن هذا الواقف؟ فــ (من ذا الذي) تأتى بالمعنيين (من الذي) و (من هذا الذي) باعتبار ذا اسم إشارة فجمع المعنيين معاً.

في سورة الملك قوله: (أمّن هذا الذي هو جند لكم) هذا مكون من (هـ) للتنبيه والتوكيد و(ذا) اسم الإشارة وكذلك (هؤلاء) هي عبارة عن (هـ) و(أولاء). فالهاء تفيد التنبيه والتوكيد فإذا كان الأمر لا يدعو إليها لا يأتي هما فلنستعرض سياق الآيات في سورة الملك مقابل آية الكرسي: آيات سورة الملك في مقام تحدّي فهو أشد وأقوى من سياق آية الكرسي لأن آية سورة الملك هي في خطاب الكافرين أما آية الكرسي فهي في سياق المؤمنين ومقامها في الشفاعة والشفيع هو طالب حاجة يرجو قضاءها ويعلم أن الأمر ليس ييده وإنما بيد من هو أعلى منه. أما آية سورة الملك فهي في مقام الند وليس مقام شفاعة ولذلك جاء بـ(هـ) التنبيه للإستخفاف بالشخص الذي ينصر من دون الرحمن) وهذا ليس مقام آية الكرسي. والأمر الآخر أن التعبير في آية الكرسي اكتسب معنيين: قوة الإستفهام والإشارة بينما آية الملك دلت على الإشارة فقط ولو قال من الذي لفاتت قوة الإشارة. ولا يوجد تعبير آخر أقوى من (من ذا) لكسب المعنيين قوة الإستفهام والإشارة معاً بمعنى (من الذي يشفع ومن هذا الذي يشفع).

- قوله (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ)

يعلم ما أمامهم مستقبلاً وما وراءهم والقصود إحاطة علمه بأمورهم الماضية والمستقبلية ويعلم أحوال الشافع الذي يشفع ودافعه ولماذا طلب الشفاعة ويعلم المشفوع له وهل يستحق استجابة الطلب هذا عام فهذه الدلالة الأولية.

في سورة مريم قال تعالى: (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) فما الحكمة ألها لم ترد على هذا الأسلوب في آية الكرسي؟ في سورة مريم سياق الآيات عن الملك (ولهم رزقهم فيها، تلك الجنة التي نورث من عبادنا، رب السموات والأرض..) الذي يرزق هو الذي يورّث فهو مالك وقوله رب السموات فهو مالكهم) أما في سورة آية الكرسي فالسياق عن العلم (يعلم ما بين أيدينا) وبعد هذه الجملة يأتي قوله (ولا يحيطون بلمه إلا بما شاء) أي أن السياق في العم لذا كان أنسب أن تأتي (يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا) وهذه الجملة هي كما سبق توطئة لما سيأتي بعدها.

- قو له ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بشَيْء مِّنْ عِلْمِهِ إلاَّ بمَا شَاء ﴾

ما هي فائدة (ما)؟ هي تحتمل معنيين في اللغة هنا تحتمل أن تكون مصدرية بمعنى (لا يحيطون بشيء من علمه إلا بمشيئته بمشيئته وتحتمل أن تكون اسماً مو صولاً بمعنى (إلا بالذي شاء) وهنا جمع المعنيين أي لا يحيطون بعلمه إلا بمشيئته وبالذي يشاؤه أي بالعلم الذي يريد وبالمقدار الذي يريد. المقدار الذي يشاؤه نوعاً وقلراً. فمن سواه لا يعلم شيئاً إلا إذا ما أراده الله بمشيئته وبما أراده وبالقدر الذي يشاؤه والبشر لا يعلمون البديهيات ول أنفسهم ولا علموا أنفسهم، فهو الذي شاء أن يعلم الناس أنفسهم ووجودهم والبديهيات التي هي أساس كل علم. من سواه ما كان ليعلم شيئاً لولا أن أراد الله تماماً كما في قوله في سورة طه: (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) أي بذاته في المعنى. إذن لماذا ذكر نفي الإحاطة بالذات في سورة طه و نفى الإحاطة بالعلم في آية الكرسي؟ في سورة طه جاءت الآية تعقيباً على عبادة بني إسرائيل للعجل وقد صنعوه بأيديهم وأحاطوا به علماً والله لا يحاط به، لقد عبدوا إلهاً وأحاطوا به علما فناسب أن لا يقول العلم وإنما قال (ولا يحيطون به علما) أما في آية الكرسي فالسياق جاء في

العلم لذا قال تعالى (لا يحيطون بشيء من علمه) .

- قوله (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)

دلّ أو لا على أنه من ملكه (السموات والأرض من ملكه) وقبل هذه الجملة قال تعالى (له ما في السموات وما في الأرض) فدلّ على أن الذي فيهما هو ملكه أيضاً لأن المالك قد يملك الشيء لكن لا يملك ما فيه وقد يكون العكس. فبدأ أو لا (له ما في السموات وما في الأرض) أي أن ما فيهما ملكه لم يذكر أن السموات والأرض ملكه وهنا ذكر أن السموات والأرض وما فيهما هو ملكه. وإن الكرسي وسع السموات والأرض كما ورد في الحديث القدسي (السموات والأرض كحلقة في فلاة في العرش، والكرسي كحلقة في فلاة في العرش)

فما الحكمة من استخدام صيغة الماضي في فعل (وسع)؟ الحكمة أن صيغة الماضي تدلّ على أنه وسعهما فعلاً فلو قال يسع لكان فقط إخبار عن مقدار السعة فعندما نقول تسع داري ألف شخص فليس بالضرورة أن يكون فيها ألف شخص ولكن عندما نقول وسعت داري ألف شخص فهذا حصل فعلاً .تسع : تعني إخبار ليس بالضرورة حصل، لكن وسع بمعنى حصل فعلاً وهذا أمر حاصل فعلاً.

- قوله (وَ لا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)

أي لا يثقله ولا يجهده وجاء بــ (لا) للدلالة على الإطلاق لا تدل على الزمن المطلق وإن كان كثير من النحاة يجعلونها للمستقبل لكن الأرجح أنها تفيد الإطلاق (لا يمكن أن يحصل) . والعليّ من العلو والقهر والتسلط والغلبة والملك والسلطان والعلو عن النظير والمثيل. والعظيم من العظمة وقد عرّفهما ــ (أل التعريف) لأنه لا علليّ ولا عظيم على الحقيقة سواه فهو العليّ العظيم حصراً.

وهذين الوصفين وردا مرتين في ملك السموات والأرض في آية الكرسي في سورة البقرة، وفي سورة الشورى (له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم) والأمرين في ملك السموات والأرض بما يدلّ على العلو والعظمة حصراً له سبحانه.

الملاحظ في آية الكرسي ألها ذكرت في بدايتها صفتين من صفات الله تعالى (الحيّ القيّوم) وانتهت بصفتين (العليّ العظيم) وكل هملة في الآية تدل على أنه الحيّ القيّوم والعليّ العظيم سبحانه تقدست صفاته. فالذي لا إله إلا هو ؛ هو الحي القيوم ؛ والذي لا تأخذه سنة ولا نوم هو حيّ وقيّوم والذي له ما في السموات وما في الأرض أي المالك والذي يدبر أمر ملكه هو الحيّ القيوم والذي لا يشفع عنده هو الحي القيوم ولا يشفع إلا بإذنه والذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحاط بشيء من علمه هو الحيّ القيّوم القيّم على الآخرين والذي وسع كرسيه السموات والأرض هو الحيّ القيّوم والذي لا يؤده حفظهما هو الحيّ القيّوم لأن الذي يحفظ هو الحيّ القيوم وهو العلي العظيم.

والحي القيوم هو العلي العظيم والذي لا تأخذه سنة ولا نوم والذي له ما في السموات والأرض والذي لا يشفع عنده إلا بإذنه والذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والذي لا يحاط بعلمه إلا بما شاء هو العليّ العظيم فكل جملة في آية الكرسي المباركة تدلّ على أنه الحيّ القيّوم والعلي العظيم.

الخطوط التعييرية في الآية: الملاحظ في الآية ألها تذكر من كل الأشياء اثنين اثنين، بدأها بصفتين من صفات الله تعالى (الحي القيوم) وذكر اثنين من النم(سنة ونوم) وكرّر (لا) مرتين (لا تأخذه سنة ولا نوم) وذكر اثنين في الملكية (السموات والأرض) وكرر (ما) مرتين وذكر اثنين من علمه في (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) وذكر اثنين

مما وسعه الكرسي (وسع كرسيه السموات والأرض) وختم الآية باثنين من صفاته (العليّ العظيم). وقد ورد اسمين من أسماء الله الحسنى مرتين في القرآن: في سورة البقرة (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ومرة في سورة (آل عمران) في الآية الثانية (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) (لاحظ الرقم ٢). والعلي العظيم وردت في القرآن مرتين في القرآن أيضاً مرة في سورة البقرة ومرة (له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم) في سورة الشورى في الآية الرابعة (أربع أسماء في الآية الرابعة).

الدلالة: القرآن هو تعبير فني مقصود كل لفظة وكل عبارة وردت فيه لعظة على حروفها وهو مقصود قصداً.

لمسات بيانية في الإسراء والمعراج

أولاً : الإسراء:

{ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } سورة الإسراء آية ١

حُفّت السورة كلها بالتسبيح والتحميد قبلها وبعدها ولعل في هذا إشارة إلى أنه – صلى الله عليه وسلم – سيئقل إلى مكان وعالَم كله تسبيح: سورتي النحل (أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجُلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) وسورة الكهف (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوجَا)، وآياها حُفّت بالتسبيح والتحميد في بدايتها بالآية ١ وفي آخرها (وقُل الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيَّ بدايتها بالآية ١ وفي آخرها (وقُل الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيَّ مَن الذَّلُ وَكَبَرُهُ تَكْمِيرًا) آية ١١١. وقد سُبقت السورة بالمعيّة في أو اخر سورة النحل (إنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُواْ وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) آية ١١٨ ومن أعلى أنواع المعيّة أن يُعرج به – صلى الله عليه وسلم – إلى حيث من يُحبه بعدما لاقى من الأذى ما لاقاه من قومه وهذه أعلى معيّة للرسول – صلى الله عليه وسلم – وكأنه هو أعلى من الذين اتقوا والذين هم محسنون.

بداية السورة: سبحان: كما هو معروف لغوياً سبحان هي إما اسم مصدر أو عَلَمٌ على التسبيح. ولقد ورد التسبيح في القرآن الكريم في سور شتّى فورد بصيغة الفعل الماضي (سبّح الله) وفعل مضارع (يُسبح الله) أو فعل أمر (فسبّح باسم ربك) وورد بتعدية الفعل نفسه (سبّح اسم ربك الأعلى) (وتسبّحوه بكرة وأصيلا) وبالباء (فسبّح باسم ربك) وورد بلفظ تسبيح وتسبيح اسمه (سبّح اسم ربك) فنحن نسبّحه ونسبّح له ونسبّح باسمه ونسبّح بحمده (فسبّح بحمد ربك واستغفره) وباللام.

سبحان الذي أسرى: المجيء بالمصدر يفيد الإطلاق بدون تقيّد بزمن أو بفعل أو بفاعل تسييح مطلق قبل تسييح أحد لا بفاعل معين و لا بزمن معين قبل خَلق المسبّحين أصلاّ. والإفتتاح بـ "سبحان " طبع السورة بجو التسبيح وشاع فيه ذكر التسييح (سبحانه و تعالى عمّا يقولون علواً كبيرا) (تسبح له السموات السبع والأرض) (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) وهي أوسع وأشمل توسيع على الإطلاق.

الفعل عادة مقيّد بزمن ومقيّد بفاعل فعندما قال تعالى (سبحان الذي أسرى) كان مطلقاً قبل وبعد تسيح المسبّحين لا بفاعل معين وزمن معيّن إنما له التسبيح المطلق قبل أن يخلق المسبحين أصلاً. فالإطلاق في التسبيح في السورة متناسب جداً مع ما جاء في أول السورة (سبحان الذي) وهو التسبيح المطلق. وليس هناك في القرآن كله سورة شاع فيها التسبيح كما شاع في سورة الإسراء ولا توجد سورة تضاهيها في التسبيح ولعلها إشارة إلى أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – سينقل إلى عالم وجو ملىء بالتسبيح (الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون) فالسورة

إذن مشحونة بالتسيح. وأسرى تفيد المشي ليلاً وقد يكون من معانيها التسرية عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعدما الاقاه في عام الحزن وما حصل له في الطائف فأراد الله تعالى أن يُسرّي عن رسوله ويريه كيف تكون حفاوته في السماء بعد أن هان على الكفّار في قريش والطائف فآذوه ولم ينصروه هذا والله أعلم.

بعبده: لم يقل برسوله و لا بمحمد وإنما قال بعبده. الإختيار لكلمة (بعبده) له جملة معاني أولها: أن الإنسان مهما عظم لا يعدو أن يكون عبداً لله تعالى لا ينبغي لأحد أن يتعي مقاماً ليس للآخرين وحتى لا يُعظم أكثر مما ينبغي (كما فعل النصارى بعيسى – عليه السلام –) فاختيار كلمة عبد حتى لا يُدعى له مقام غير مقام العبودية. فمقام العبودية لله هو أعلى مقام للخلق وأعلى وسام يُنعم الله تعالى به على عباده الصالحين تماماً كما وصفت الآيات نوح – عليه السلام – (إنه كان عبداً شكورا) وأيوب (نعم العبد إنه أوّاب) والرسول – صلى الله عليه وسلم – (وإنه لما قام عبد الله يدعوه). والعبودية نوعان: قسرية واختيارية، فالعبودية القسرية تتحقق شاء أم أبي (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا) سورة مريم أما العبودية الإختيارية فهي أعلى مقام العبودية ولما ذكر موسى – عليه السلام – ذكره الله تعالى باسمه وأعلى مقام لموسى كان في المناجاة (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) إلى قوله (خرّ موسى صعقا) لم يكن ليقل خرّ عبدنا موسى أو جاء عبدنا موسى فلا يجوز أن ينسب العبودية له ثم يخرّ صعقاً هذا لا يحدث ولا يجوز أصلاً، أما الرسول – صلى الله عليه وسلم – عندما ذكر بصورة العبودية أعقبها أنه عُرِج به إلى السماء وإلى سدرة المنتهى وخاطبه ربه بمقام لم يصل إليه أحد إلا هو – صلى الله عليه وسلم – فلذا كان استعمال السماء وإلى سدرة المنتهى وخاطبه ربه بمقام لم يصل الله عليه وسلم – والباء أيضاً إضافة تشريف وهي تدل على المواعية والحفظ مثل قوله تعالى (فأوحى إلى عبده).

ليلاً: كلمة أسرى معناها ليلاً لأن الإسراء لا يكون إلا ليلاً (ظرف مركّب) حتى نفهم أن الرحلة الطويلة من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى والعروج إلى السماء كانت كلها في جزء من الليل وقد جاءت كلمة (ليلاً) بدل الليل لأن الليل تدل على الليل كله أما الإسراء فقد تم في جزء من الليل فقط وليس الليل كله.

من المسجد الحرام: أي من عين المكان ويكفي تسمية المسجد الحرام يعني أن لا يحدث فيه سوء. أكثر العلماء يقولون أن الإسراء لم يتم من المسجد الحرام وإنما من بيت أم هانئ وفي هذا النفاتة إلى أن مكة كلها حرم. المسجد الأقصى: لم يكن آنذاك مسجداً لكن هذا إشارة إلى أنه سيكون مسجداً.

باركنا حوله: أسند تعالى المباركة لنفسه للدلالة على التعظيم ولم يقل بورك حوله والنون للعظمة لم يقل باركناه بل قال باركنا حوله لأنه لو قال باركناه لانحصرت المباركة بالمسجد فقط أما باركنا حوله فهو يشمل كل ما حوله وهو تعظيم للمسجد نفسه ولكنه إشارة أن المباركة حول المسجد أيضاً. ولم يقل باركنا ما حوله لأنها عندئذ تعني الأشياء فإذا زادت الأشياء زادت المباركة وإذا ذهبت فهبت المباركة لكن المباركة كانت مطلقة تشمل أشياء معنوية وماديّة وروحانية بما أودع الله تعالى من رزق وخير وإرسال الرسل ولا تختص المباركة بشيء معين واحد وإنما تشمل كل هذه الأشياء.

لنريه: إلتفات لأسلوب المتكلم بعد أن ابتدأ بالغائب (سبحان الذي أسرى) إلتفت سبحانه للمتكلم ليدلّ على أن المتكلّم هو الله تعالى وليس شخصاً يُخبر عنه إنما كان من الله تعالى مباشرة. وكلمة (لنُريه) تدلّ على أن أفعاله سبحانه معلّلة ولغرض معيّن ولحكمة قد يذكرها وقد يخفيها عنّا سبحانه وكأن هذه الرحلة معدّ لها.

من آياتنا: أي مقرر ومُعدّ أن يرى بعض الآيات وليس كلها ولنريه: إسناد الفعل لله تعالى وشدة احتفائه برسوله – صلى الله عليه وسلم – ولم يقل ليرى أو ليُرى إنما جاءت (لنُريه) وهذا إكرام وتشريف آخر من الله تعالى لرسوله – صلى الله عليه وسلم – في هذا الرحلة. وإضافة الآيات إلى نفسه تعالى تأتي من باب الإحتفاء بالرسول – صلى الله عليه وسلم – .

إنه هو السميع البصير: عودة إلى الإفراد والوحدانية. ضمير التعظيم يأتي بعد أو قبل ضمير الوحدة في القرآن الكريم وهذا حتى لا يلتبس على السامع ويُشرك مع الله أحدا والأمثلة على ذاك كثيرة في القرآن الكريم تماما كما في سورة الكوثر (إنا أعطيناك الكوثر* فصل لربك وانحر) إنا تفيد التعظيم والكاف تفيد الوحدانية لأن الربّ واحد لا شريك له. وهي تدل على أنه سبحانه في الحقيقة هو المتفرّد بهذه الصفات و لقصر الصفات له سبحانه جاء بالضمير (هو).

لماذا خُتمت الآية بـ (السميع البصير)؟ ما دلالة السمع والبصر هنا؟ سياق الآيات تقتضي ذكر قدرة الله تعالى الحقيقة أنه لو قال إنه هو القدير أو إنه على كل شيء قدير لا يزيد شيئاً على معنى الآية لأن ما في الآيات إثبات لقدرة الله تعالى والرسول – صلى الله عليه وسلم – أسري به ليسمع ويرى أشياء لم يسمعها ولم يرها من قبل لذلك ناسب سياق الآيات أنه ما يراه الرسول – صلى الله عليه وسلم – يراه ربّه وما يسمعه يسمعه ربّه لذلك إنه هو السميع البصير.

فلماذا لم تأتي الآيات (السميع العليم) مثلاً كما وردت في آيات أخرى في القرآن؟ الذي يسمع ويرى هو عليم ولكن إذا قيل عليم قد يكون غائب عنك فالعليم ليس فيه حضور أما السميع البصير ففيه حضور. ولقد وردت (السميع العليم) في آيات أخرى لأن المقام في تلك الآيات اقتضى ذلك (وَإِمَّا يَنزَغَتُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) سورة الأعراف آية ، • ٢ عندما ذكر نزغات الشيطان، والشيطان لا يُرى ووساوسه لا تُرى كذلك لذلك جاءت الآية (سميع عليم). أما عند ذكر البشر في آية أخرى تأتي ختام الآية بو (السميع البصير) (إِنَّ لَذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُلُورِهِمْ إِلّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَّصِيرُ) سورة غافر آية ٥٦.

لماذا قدم السمع على البصر؟

- ١. لأن من يسمعك أقرب ممن يراك فالشخص الذي تسمعه أنت أقرب إليك من الذي تراه وهذا يُشعر بالطمأنينة والأمن والقرب.
 - ٢. السمع هو أهم من البصر في مجال الدعوة فاقد البصر يمكن أن يبلغ في مجال الدعوة أما فاقد السمع فيصعب تبليغه.
- ٣. الإسراء في الليل والليل آيته السمع. وفي القرآن عندما يأتي ذكر الليل تأتي الآيات بـ (أفلا يسمعون) وعند ذكر النهار تأتي (أفلا تبصرون) فكل آية تناسب وقتها فالليل للسمع والنهار للإبصار.
- ٤. قُدّم السمع على البصر في القرآن إلا في مواطن قليلة منها في سورة الكهف (أبصر به وأسمع) لأن السياق يقتضي ذلك، فقد خوج أهل الكهف فارّين حتى لا يواهم أحد لكن الله تعالى يراهم في ظلمة الكهف وفي تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال. وفي سورة السجدة (ربنا أبصرنا وسمعنا) قدّم البصر هنا لأهم كانوا يسمعون في الدنيا ويكذبون في الآخرة وأبصروا العذاب والحقيقة وقولهم يعنى ألهم موقنون واليقين لا يتأتى إلا بالإبصار وليس بالسمع

(عين اليقين) لأنهم رأوا العذاب عين اليقين.

لفتة: وردت كلمة سميع والسميع في القرآن الكريم ٤٦ مرة ووردت كذلك كلمة بصير والبصير ٤٦ مرة. خلاصة:

1. أن الحياة والقدرة والسمع والبصر والحكمة وصفة الخلق كلها صفات وردت في هذه الآية ثم ذكر الكمال في هذه الصفات بكلمة واحدة هي (سبحانك) فالفرد قد يكون سميعا وبصيرا وذا قدرة ولكن قد يكون أحمقا أما كلمة سبحانك فجاءت نفياً وتنزيهاً لله تعالى عمّا يصفه أهل الجاهلية.

٢. ارتباط أوّل السورة بآخرها فقد بدأت بالتسييح وختمت بالتحميد. نعمة الإسراء نعمة عظيمة جليلة فجاء في ختام السورة قوله تعالى (وقل الحمد لله) حمداً لله على نعمة الإسراء.

٣. ختمت السورة بالباقيات الصالحات (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتُخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرُهُ تَكْبِيرًا) وبعد هذه الآية تبدأ سورة الكهف استجابة لهذا القول (قل الحمد لله فافتتحت سورة الكهف بالآية (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عَوْجَا) وفي قوله في سورة الكهف في آية ٤ (ويُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) رد على آخر سورة الإسراء أنه سبحانه ليس له شريك في الملك.

المعراج: (سورة النجم من الآية ١ إلى الآية ١٨)

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَمَهُ شَابِيدُ مَا الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُو بِالْلُقُقِ الْمُغْلَى * ثُمَّ دَنَا فَعَدَلَى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْتَى * فَاوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا الْقُورَةُ مَا رَأَى * أَفْتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ تَوْلَةٌ أَخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا أَوْحَى * إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا كَذَبَ الْمُورَةِ الْمُنْرَةِ مَا يَغْشَى * مَا رَاغَ الْبُصِرُ وَمَا طَفَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبّهِ الْكُثْرَى * اللّقسم : والنجم إذا هوى: في بداية السورة وعلاقته بما قبله (سورة الطور): سبقت سورة النجم التسييح في خواتيم سورة الطور (وَمِنَ اللّيلُ فَسَبِّحُهُ وَإِدْبَارَ النَّجُومِ) فجاء ذكر النجوم والقسم هو بالنجم في هذه السورة. هوى: معناه غرَب ومعناه سقط فإذا كان المعنى الأول في خواتيم سورة الطور (إدبار النجوم) أي غروبها فهي إذن مرتبطة بالتسييح ومرتبطة يادبار النجوم فأصبح هناك تناسق بين إدبار النجوم والنجم إذا هوى. ثم ناسب افتتاح السورة خاتيم السورة بداية رحلة المعراج وختم السوء بما فُرض في المعراج. ومن ناحية أخرى إذا كان هوى بمعنى سقط والسقوط خاتمتها (فاسجدو الله والسبود فهي مناسبة للحركة لأن السجود هو ي إلى الأرض وكأنما النجم هوى ليسجد لله تعالى والسجود هوي إلى الأرض وكأنما النجم هوى ليسجد لله تعالى والسجود القرب ما يكون إلى الله تعلى لذا اختار سبحانه أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد) أقرب حالة من الله لأقرب رحلة إلى الله تعلى الله تعلى الله عليه وسلم – إلى سدرة المنتهى (أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد) أقرب حالة من الله لأقرب رحلة إلى الله تعلى الله تعلى الله المؤلى الله المؤلى المؤلى الله المؤلى المؤلى

ما ضلّ صاحبكم وما غوى: نفي شيئين الضلالة والغواية. وهناك فرق بين الضلالة والغواية فالضلالة قد تكون عن قصد أو عن غير قصد (فأضله الله على علم) (الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون ألهم يحسنون صنعا) سورة الكهف، أما الغواية فهي عن قصد وهو الإمعان في الضلال. والضلال عام نقول ضلّت الدابة و لا نقول غوت الدابة و الغواية هي للمكلّف. والضلال نقيض الهدى والغواية نقيض الرشد (يُضلّ من يشاء ويهدي من يشاء)

(وأضلٌ فرعون قومه وما هدى) سورة طه، (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلا) (قد تبيّن الرشد من الغيّ) سورة البقرة.

ما ضل صاحبكم وما غوى: نفى الله تعالى عن رسوله – صلى الله عليه وسلم – الأمرين الضلالة والغواية وقد ذكر كلمة (صاحبكم) ولم يقل اسمه وقد وردت صاحبكم في ثلاث مواضع في القرآن الكريم: إما لنفي الضلال وإما لنفي الجنون (ما بصاحبكم من جنة، وما صاحبكم بمجنون، ما ضل صاحبكم) وهذا لأن فيها معنى الصحبة فقد لبث الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيهم عمراً طويلاً وخالطهم وعاشرهم وعرفوا صدقه وأمانته ولا يكذّبونه فهو صاحبهم فكيف يمكن لهم أن يتهموه بالضلال؟ وقد وردت كلمة صاحبكم دائماً لنفي الجنون والغواية وهذا فيه معنى الصحبة أيضاً

ولو لاحظنا القسم في بداية السورة هو دلالة على الهوي والسقوط ، والضلال والغي هما سقوط في السلوك ودائماً يأتي في القرآن الضلال مع الحرف (في) (في ضلال مبين) وهذا دليل على السقوط أما عند ذكر الهداية فيأتي بالحرف (على) لأن الهدى تفيد الإستعلاء وهو – صلى الله عليه وسلم – متمكن من وقع قدمه وقادر أن يرى حتى الهمزة تفيد السقوط تأتي مع (في) الظرفية دلالة على السقوط (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) والنجم إذا ضل مساره سقط.

تكرار ما في قوله تعالى (ما ضلّ صاحبكم وما غوى): وهذا حتى لا يُتصوّر أنه نفى الجمع بينهما فقط وإنما نفى الجمع بينهما والإفراد. ما ضلّ صاحبكم وما غوى تعني نفي الضلالة والغواية معاً أو كل منهما على حدة. أما القول ما ضلّ صاحبكم وغوى فهي تفيد النفي بالجمع بين الصفتين. وهذا من باب الإحتياط للمعنى نفاهما على سيبل الجمع والإفراد ومعناه أنه – صلى الله عليه وسلم – اهتدى ورشد فهو مهتد رشيد. إذن لماذا لم يقل (هدى ورشد) بدل ما ضلّ وما غوى؟ لو قال اهتدى قد يكون في وقت من الماضي أو لفترة زمنية محددة قد تفيد أنه قد يكون قبل الهداية ضالاً لكنه – صلى الله عليه وسلم – مهتد رشيد لم يسبق له ضلالة (ما ضلّ صاحبكم وما غوى) تفيد أنه مهتد رشيد لم يسبق له ضلالة (ما ضلّ صاحبكم وما غوى)

وما ينطق عن الهوى: أولاً نفى الفعلين السابقين بالماضي (ما ضلّ وما غوى) وهنا نفي بالمضارع يفيد الإستمرار والحاضر فلو قال (ما نطق عن الهوى) لاحتمل المعنى أنه نفى عنه الهوى في الماضي فقط ولم ينفه عنه فيما يستقبل من نطقه. فقد نفى تعالى عن رسوله – صلى الله عليه وسلم – الضلال والغواية في الماضي كله ونفى عنه الهوى في النطق في الحاضر والمستقبل فهو إذن – صلى الله عليه وسلم – منفيّ عنه الضلال والغواية في السلوك وفيما مضى وفي المستقبل.

ما دلالة الحرف عن في قوله (وما ينطق عن الهوى)؟ فالنطق عادة يكون بالباء (كتابنا ينطق بالحق) أما هنا فجاءت (عن) ومعناها ما ينطق صادراً عن هوى يعني إن الدافع للنطق ليس من هوى وهو بمنزلة تزكية للنفس القائلة لأن الإنسان قد ينطق بالحق لكن عن هوى (حق أريد به باطل) يعني الدافع هوى (ناطق عن هوى). وهكذا زكّى الله تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – بتزكية الدافع للقول فالدافع له زكي صادق و نطقه صادق أيضاً وعليه جاءت الآية (وما ينطق عن الهوى).

إن هو إلا وحي يوحى: (إن) هي أقوى ما في النفي وأقوى من ذلك أن تأتي (إن) و (إلا) معاً. مسألة الوحي هي المسألة الأساسية التي بين الإيمان والكفر فجاء سبحانه بأقوى حالات الإثبات لأن الوحي كان سبب للسألة الخلافية

بين الكفّار والرسول – صلى الله عليه وسلم –. والإنسان قد ينطق غير صادق عن هوى لكن ليس بالضرورة أن يكون كلامه كله حقاً وصدقاً حتى ولو كان دافعه دافع إخلاص . فبعد أن زكّى سبحانه الدافع (ما ينطق عن الهوى) ثبّته أنه وحي (إن هو إلا وحي يوحي). واستخدام الضمير (هو) يعود على النطق معناه ما نُطقه إلا وحي يوحي.

علّمه شديد القوى * ذو مِرة فاستوى: الوحي بالعربية قد يكون إلهاماً مثل الوحي لأم موسى بالقاءه في اليم، والوحي للنحل، ولشياطين الإنس والجن) فأراد سبحانه أن يقطع أي فكرة فقال (علّمه شديد القوى) بمعنى أنه ليس إلهاماً ولكنه وحي علّمه إياه شديد القوى (وعلّمك ما لم تعلم) نسب العلم إلى الله سبحانه أنه هو المُعلّم. وفي ذكر الوحي يجب ذكر المسؤول عن إيصال الوحي وهو جبريل عليه السلام، فالله تعلى هو المُعلّم الأول عندما ذكر أن كلامه وحي كان من الداعي أن يذكر من علّمه وأوصل العلم إليه. وفعل علّمه تفيد للداومة والتكثير على خلاف أعلّمه. كل الآيات السابقة مبنية على عدم ذكر اسم الفاعل (ما ضل صاحبكم، ما ينطق، علمه شديد القوى) وذكر وصفين (شديد القوى وذو مِرة) هاتان الصفتان فيهما إشارة أن الخروج إلى أيضاً فلماذا اختار سبحانه هذين الوصفين (شديد القوى وذو مِرة)؟ هاتان الصفتان فيهما إشارة أن الخروج إلى يعتاج إلى قوة شديدة وإلى إحكام وعقل وهنا أشارة إلى تمكن جبريل – عليه السلام – من حفظ الرسول – صلى الله عليه وسلم – في رحلته في أقطار السموات عتاج إلى قوة وعقل وإحكام. وهذه الرسول – صلى الله عليه وسلم – في رحلته فكان قوياً في حفظ الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومحكماً في حفظ الوحي وكل حفظ بحتاج إلى قوة وعقل وإحكام. وهذه الرحلة (المعراج) في أقطار السموات والأرض أما في سورة الرحمن (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فيها تحدي وتحتاج إلى سلطان القوة والعلم.

ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلّى: تحديد مكان الإستواء. أو لا : استوى تعني اعتل واستقام و هيئًا. ينزل جبريل – عليه السلام – إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – يتدلّى إليه ويصحبه بعد أن هيئًا لذلك من الأفق الأعلى (وليس العالي) وهذا حتى يليق بمقام النبوة وهذا فيه ثناء على جبريل – عليه السلام – أنه استعد للأمر قبل أن يأتي ويقوم بمهمته وفيه تكريم للرسول – صلى الله عليه وسلم – لأن مقام الشخصية يستدعي زيادة التهيئة والإستعداد وحسنه واستعد لذلك من الأفق الأعلى (استعد جبريل – عليه السلام – للأمر قبل أن ينزل وفيه إشارة إلى عِظم المهمة وعِظم الزائر وهو الرسول – صلى الله عليه وسلم –).

هذه الآية في سورة النجم ذكرت (الأفق الأعلى) وفي آية سورة التكوير ذكر (الأفق المبين) فما الفرق بينهما؟ في آية سورة النجم يُراد بالآيات والرحلة العروج إلى الأفق الأعلى وهو المكان الذي سيعرُج إليه الرسول – صلى الله عليه وسلم –. أما في آية سورة التكوير (ولقد رآه بالأفق المبين) فالأفق المبين تدل على الإبانة الواضحة وهي مناسبة لما تبعها في قوله تعالى (وما هو على الغيب بضنين) على أنه – صلى الله عليه وسلم – ليس بضنين ولا بخيل فالرسول – صلى الله عليه وسلم – مبين ليس بضنين والأفق مبين أيضاً.

ثم دنا فتدلّى * فكان قاب قوسين أو أدنى: ثم دنا فتدلّى فيها تكريم للرسول – صلى الله عليه وسلم – لأن الدنو غير التدلي فالدنو هو القرب من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل وغيره أما التدلّي فلا يكون إلا من أعلى لأسفل. ومعنى أن جبريل – عليه السلام – تدلّى للرسول – صلى الله عليه وسلم – فهذا في غاية التكريم له. العرب تقول في القرب أشياء كثيرة كناية عن القرب فلماذا اختار سبحانه قاب قوسين أو أدنى؟ اختيار قاب قوسين تدل على القرب والقوس هي في حد ذاها لا بد أن تكون قوية شديدة والوتر لا بد أن يكون قوياً شديداً والرامي ينبغي أن يكون قوياً مُسدداً فالقوس يحتاج إلى إحكام في التسديد والإنطلاق وهذه كلها عناصر الرحلة وقد سبق قوله تعالى (شديد القوى * ذو مِرّة فاستوى) والقوس شديد ويستعمله قوي شديد والرحلة وهي الإنطلاق لذا جاء استعمال قاب قوسين أو أدنى.

فأوحى إلى عبده ما أوحى: نفس الكلام الذي ورد في أسرى بعبده ينطبق على ورود كلمة عبده هنا في هذه الآية. تستخدم كلمة (عبد) على مجموع الجسد والروح وهنا إثبات على أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد وإلا فأين المعجزة! ولو كان بالروح فقط لما كذّبه الكفار فهم عرفوا وتأكلوا أن الرحلة تمّت بالروح والجسد معاً. ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى: ما اللمسة البيانية في اختيار كلمة (المراء) ؟ ورد قبل هذه الآية قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) اختيار لفظ الفؤاد هو من التفؤد والتوقد (يقال فأد اللحم بمعنى شواه) اختار الفؤاد لأن فؤاده – صلى الله عليه وسلم – متوقد ليرى كل ما حوله. أما في قوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) وهو القلب المتوقد الحار لم يقل لبصره أنه واهم فيما يرى، فؤاده – صلى الله عليه وسلم – صدّق بصره يعني ما رأيته ببصرك لم يشكك به الفؤاد على توقده فقد صدق الفؤاد البصر وما يراه البصر هو حق صادق.

المرية: فيها شك. لم يقل سبحانه أفتجادلونه إنما قال أفتمارونه لأن المرية تختلف عن الجدال، فالكفار كانوا يشككون في الرواية وليس في الأفكار كما في قوله (إن الذين يمارونك في الساعة) (يمارون في الساعة) أي يجادلون في الساعة لأن لا أحد رآها، أما الرؤية فهي ليست موضوع نقاش في هذه السورة (أفتمارونه على ما يرى) أي لا يُمارى على رؤيته – صلى الله عليه وسلم – والملاحظ هنا استخدام حرف (على) أما في الآية السابقة استخدم الحرف (في). ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنّة المأوى: استخدم كلمة نزلة وليس كلمة (مرّة) لأن النزلة من النزول فقال ولقد رآه نزلة أخرى أي عند نزوله – صلى الله عليه وسلم – رأى جبريل وهذا دليل على أنه – صلى الله عليه وسلم – معد إلى مكان أعلى من الذي وصل إليه جبريل وفي رحلة عودته – صلى الله عليه وسلم – رأى جبريل عند نزوله وهذا مصداق الحديث أن جبريل – عليه السلام – قال للرسول – صلى الله عليه وسلم – تقدم وقال لو تقدمت لاحترقت.

اختيار سدرة المنتهى: المنتهى هي آخر شيء وآخر نقطة ومكافها عند جنّة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى: وفي هذه الآية أمور لا نعرفها نحن فالله أعلم بمجريات هذه الرحلة وما فيها وما رآه الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيها وما في السدرة وما يغشاها.

ما زاغ البصر وما طغى: زاغ من الزيغان وهو الذهاب يميناً وشمالاً أما الطغيان فهو مجاوزة الحد والقدر والتطلع إلى ما ليس له. بمعنى أنه – صلى الله عليه وسلم – في رحلته ما مال بصره ولا جاوز قدره بل وقف في المكان الذي خصص له و في هذا مدح للرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد وقف بصره في المكان المحدد له مع أن المكان يستدعي أخذ البصر والإلتفات. وقد سبق أن نفى الله تعالى عن رسوله – صلى الله عليه وسلم – الضلال والغواية في الأرض وكذلك نفى عنه أن يكون زاغ بصره أو طغى في السموات فهو لم يتجاوز لا في الأرض ولا في السماء فسبحان الله تعالى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد رأى من آيات ربه الكبرى: (مِن) يقال لها التبعيضيّة. لم يرى كل شيء لكن الرحلة كان لها منهجاً معيناً وجاء بالكبرى فيه تكريم آخر للرسول – صلى الله عليه وسلم – أنه رأى بعض الآيات الكبرى. والسورة كلها فيها تكريم للرسول – صلى الله عليه وسلم – وهذه الآية مبنية على الإبحام وهذا الإبحام للتعظيم. وأورد ما فسّره الشيخ الشعراوي رحمه الله فهو في خواطره يرى أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – رأى من آيات ربه الآية الكبرى والله أعلم بما هذا.

بعض اللمسات البيانية في سورة الكهف

سؤال 1: في سورة الكهف قال الله تعالى (ماكثين فيه أبدا) آية ٣ فلماذا لم تستخدم كلمة (خالدين)؟ المكث في اللغة : هو الأناة واللبث والإنتظار وليس بمعنى الخلود أصل المكث. الله تعالى يقصد الجنّة (ان لهم أجراً حسنا) والأجر الذي يُدفع مقابل العمل وننظر ماذا يحصل بعد الأجر. والجنّة تكون بعد أن يوفّى الناس أجورهم وفي الآية قال تعالى (أجراً حسناً) فالمقام هنا إذن مقام انتظار وليس مقام خلود بعد وعلى قدر ما تأخذ من الأجر يكون الخلود فيما بعد الأجر وهو الخلود في الجنّة. ومن حيث الدلالة اللغوية الأجر ليس هو الجنّة لذا ناسب أن يأتي بالمكث وليس الخلود للدلالة على الترقّب لما بعد الأجر.

سؤال ٢: ما اللمسة البيانية في استخدام (فأردت) (فأردنا) (فأراد ربك) في سورة الكهف في قصة موسى والخضر؟ الملاحظ في القرآن كله أن الله تعالى لا ينسب السوء إلى نفسه ؛ أما الخير والنعم فكلها منسوبة إليه تعالى كما في قوله (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض وننا بجانبه وإذا مسه الشركان يؤوسا) ولا نجد في القرآن فهل زيّن لهم سوء أعمالهم أبدا إنما نجد (زُيّن لهم سوء أعمالهم) وكذلك في قول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام (الذي يميتني ثم يحيين) وقوله (وإذا مرضت هو يشفين) ولم يقل يمرضني تأدباً مع الله تعالى (أمّا السّفينة فكانَت لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ في الْبحْرِ فَأَرَدتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً {٧٩}) في هذه الآية الله تعالى لا ينسب العيب إلى نفسه أبداً فكان الخضر هو الذي عاب السفينة فجاء الفعل مفرداً.

(فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً {٨١}) في هذه الآية فيها اشتراك في العمل قتل الغلام والإبدال بخير منه حسن فجاء بالضمير الدالّ على الإشتراك. في الآية إذن جانب قتل وجانب إبدال فجاء جانب القتل من الخضر وجاء الإبدال من الله تعالى لذا جاء الفعل مثنّى.

(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنَرٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَبُّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَلَيْهِ صَبْراً {٨٢}) في هذه الآية الجدار كلّه خير فنسب الفعل لله وحده وأنه يدلّ على أن الله تعالى هو علام الغيوب وسبق في علمه أن هذا الجدار تحته كنز لهما وأنه لو سقط سيأخذ أهل القرية المال من الأولاد اليتامي وهذا ظلم لهم والله تعالى ينسب الخير لنفسه عز وجلّ.وهذا الفعل في الآية ليس فيه اشتراك وإنما هو خير محض للغلامين وأبوهما الصالح والله تعالى الموالذي يسوق الخير المحض. وجاء بكلمة رب في الآيات بدل لفظ الجلالة (الله) للدلالة على أن الرب هو المربي والمعلّم والراق والآيات كلها في معنى الرعاية والتعهد والتربية لذا ناسب بين الأمر المطلوب واسمه الكريم سبحانه.

سؤال ٣: ما الفرق بين كلمة (قرية) وكلمة (مدينة) في القرآن الكريم كما وردتا في سورة يس وسورة الكهف؟

في اللغة : إذا اتسعت القرية تُسمى مدينة ، والقرية قد تكون صغيرة وقد تكون كبيرة. وفي سورة يس وردت الكلمتان (وَاضْرِبْ لَهُم مَّشَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ {١٣}) و (وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلِّ يَسْعَى الْكلمتان (وَاضْرِبْ لَهُم مَّشَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ {١٣}) و (وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلِّ يَسْعَى فَالْتَبليغ حتى وصل إلى أبعد نقطة في المدينة مع بُعدها. وقوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) أي أن هذا الرجل جاء يحمل هم الدعوة والتبليغ. ووصل التبليغ إلى أقصى نقطة في المدينة مع ألها متسعة وهذا فيه دليل على جهدهم لنشر الدعوة والذي جاء حمل هم الدعوة من أقصى المدينة.

و في سورة الكهف (فَانطَلَقَا حَثَى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَيُوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَآتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً {٧٧}) و(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي كَنزٌ لَهُمَا وَيَلْ مَا لَمْ تَسْطِع عَلَيْهِ صَبْراً {٨٢}) استطعم موسى والخضر أهل القرية على سعتها أي أهما جالا فيها كلها وبلغ هم الجوع كثيراً حتى استطعموا أهلها.

سؤال £: في سورة الكهف ما دلالة حرف العطف واو في قوله (سبعة وثامنهم كلبهم) مع أنما لم ترد فيما قبلها (ثلاثة رابعهم كلبهم وخمسة سادسهم كلبهم)؟

الواو تفيد التوكيد والتحقيق كما صرّح المفسرون أي كأنما تدل على أن الذين قالوا أن أصحاب الكهف كانوا سبعة وثامنهم كلبهم هم الذين قالوا القول الصحيح الصواب ومنهم الزمخشري. الواو إذن هي واو الحال ولكنها أفادت التوكيد والتحقيق بأن هذا القول صحيح لأن الواو يؤتى بما إذا تباعد معنى الصفات للدلالة على التحقيق والإهتمام (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) وإذا اقترب معنى الصفات لا يؤتى بالواو (همّاز مشّاء بنميم) هنا الصفات متقاربة فلم يؤتى بالواو.

وفي قوله تعالى في سورة التوبة (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ {١١٢}) نلاحظ أن الواو ذكرت مع الصفة الأخيرة وهي الأشد على النفس والآخرين وباقي الصفات الأولى كلها متقاربة لكن النهي عن المنكر يكون أشدّ على الإنسان وقد يؤدي إلى الإهانة والقتل أحياناً.

سؤال ٥: ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى في سورة الكهف (فأتبع سببا) وقوله (ثم أتبع سببا)؟ الحكم العام في النحو: الفاء تفيد الترتيب والتعقيب. وثمّ تفيد الترتيب والتراخي أي تكون المدة أطول. وفي سورة الكهف الكلام عن ذي القرنين ففي الآية الأولي (فأتبع سببا) لم يذكر قبل هذه الآية أن ذي القرنين كان في حملة أو في مهمة معينة وإنما جاء قبلها الآية (وآتيناه من كل شيء سببا) هذا في الجملة الأولى لم يكن قبلها شيء وإنما حصل هذا الشيء بعد التمكين لذي القرنين مباشرة، أما في الجملة الثانية (ثم أتبع سببا) فهذه حصلت بعد الحالة الأولى بمدة ساق ذو القرنين حملة إلى مغرب الشمس وحملة أخرى إلى مطلع الشمس وحملة أخرى إلى مطلع الشمس وحملة أخرى إلى بين السدين وهذه الحملات كلها تأتي الواحدة بعد الأخرى بمدة وزمن ولهذا جاء استعمال ثم التي تفيد الترتيب

ما دلالة قوله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً) ولماذا استخدام اللام في (لشيء) ولم يقل (عن شيء)؟

و التراخي في الزمن.

ورود اللام بعد القول له أكثر من دلالة وهو ليس دائماً للتبليغ وإنما تأتي لبيان العِلّة إما بمعنى عن أو بسبب أمر ما (قال له). وقد جاء في سورة الكهف في قصة الخضر مع موسى قوله تعالى: ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبرا)، ويقال في اللغة: قلت له كذا وكذا. وقد تأتي اللام مع القول لغير التبليغ وتأتي بمعنى عن كما جاء في قول الشاعر (كضرائر الحسناء قلن لوجهها إنه لدميم) قلن لوجهها بمعنى عن وجهها. وقد تأتي اللام بعد فعل قال للتعليل بمعنى لأجل ذلك أو بسبب ذلك

سؤال ٦: ما إعراب كلمة (كلمة) في قوله تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) سورة الكهف؟ كلمة هي تمييز، الفاعل ضمير مستتر ويأتي التمييز ليفسرها وتسمى في النحو: الفاعل المفسّر بالتمييز.

ما إعراب (أيّ) في الآية (لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أبدا) في سورة الكهف؟

أي: هي مبتدأ. وهي من أسماء الإستفهام وكل الأسماء التي لها صدر الكلام لا يعمل بها ما قبلها إلا حروف الجرّ ولكن يعمل فيها ما بعدها (ولتعلمن أيّنا أشدّ عذاباً وأبقى).

ما السبب في تنكير الغلام وتعريف السفينة في سورة الكهف في قوله تعالى (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جَنْتَ شَيْئاً نُكْراً {٧٤}) و (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقُتُهَا لِتُعْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جَنْتَ شَيْئاً إِمْراً {٧١})؟

حسب التفاسير أن الخضر وموسى – عليه السلام – لم يجدا سفينة لما جاءا إلى الساحل ثم جاءت سفينة مارّة فنادو هما فعرفا الخضر فحملو هما بدون أجر ولهذا جاءت السفينة معرّفة لأنما لم تكن أية سفينة. أما الغلام فهما لقياه في طريقهم وليس غلاماً محدداً معرّفاً.

سؤال ٧: ما اللمسة البيانية في إختيار كلمة الأخسرين في قوله تعالى في سورة الكهف (قُلْ هَلْ نُنَبَّنُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً {١٠٣}}؟ وما الهرق بين الخاسرون والأخسرون؟

ورد في القرآن الكريم استخدام كلمتي الخاسرون كما جاء في سورة النحل (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ } الأخسرونَ كما جاء في سورة هود (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ {١٠٩}) والأخسرون كما جاء في سورة هود (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ {٥١) وآية سورة الكهف أيضاً ((قُلْهَلْ فَلْ نُنَّئُكُمْ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً). وفي اللغة الأحسر هو أكثر حسراناً من الخاسر ، ندرس أولاً ما السبب في إختيار كلمة الأحسرون في سورة هود؟ إذا لاحظنا سياق الآيات في سورة هود نجد ألها تتحدث عن الذين صدوا عن سيبل الله وصلوا غيرهم أيضاً ، إنما السياق في سورة النحل فهو فيمن صدّ عن سيبل الله وحده ولم يصد أحداً غيره فمن المؤكّد إذن أن الذي يصدّ نفسه وغيره عن سبيل الله أخسر من الذي صدّ نفسه عن سبيل الله لوحده فقط (ذَلِكَ المُونِينَ الْحَرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {١٠٧}).

وإذا قارنًا بين آية سورة هود وآية سورة النمل (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ {٤} أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ {٥}) نجد أنه في سورة هود جاء التوكيد بـــ (لا جرم) وهي عند النحاة تعني القسم أو بمعنى حقاً أو حقَّ وكلها تدل على التوكيد وإذا لاحظنا سياق الآيات في سورة هود الآيات (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِياً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَوَّلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {١٨} الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ {١٩ } أُولِئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا

كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ {٢٠} أُولَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ {٢١}). أما في سورة النمل فسياق الآيات يدل على ألهم لا يؤمنون بالآخرة فقط أما في سورة هود فقد زاد على ذلك ألهم يصدون عن سيبل الله وألهم يفترون على الله الكذب وفيها خمسة أشياء إضافية عن آية سورة النمل لذا كان ضرورياً أن يؤتى بالتوكيد في سورة هود باستخدام (لا جرم) والتوكيد بـــ (إلهم) ولم يأتي التوكيد في سورة النمل. النمل.

ونعود إلى آية سورة الكهف (قُلْ هَلْ نُنَبُّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً {١٠٣} الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً {١٠٤}). نلاحظ استخدام كلمة (ضلّ) مع كلمة (سعيهم) ولم يقل ضل عملهم لأن السعي هو العدو أو المشي الشديد دون العدو ، وقال في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يُحسن صنعا ، والإحسان هو الإتقان وليس العمل العادي ، في اللغة لدينا: فعل وعمل وصنع. أما الفعل فقد تقال للجماد (نقول هذا فعل الرياح) والعمل ليس بالضرورة صنعاً فقد يعمل الإنسان بدون صنع، أما الصنع فهو أدق وهو من الصَّنعة كما في قوله تعالى (صُنع الله الذي أتقن كل شيء) والصنع لا تستعمل إلا للعاقل الذي يقصد العمل بإتقان.

إذن آية سورة الكهف جاء فيها ضلال وسعي وصُنع لذا استوجب أن يؤتى بكلمة الأخسرين أعمالاً ومن لللاحظ أنه في القرآن كله لم يُنسب جهة الخُسران للعمل إلا في هذه الآية. ولأن هذه الآية هي الوحيدة التي وقعت في سياق الأعمال من أولها إلى آخرها رإن الذين آمنوا وعملوا الصالحات).

والأخسرين : اسم تفضيل أي أنه هناك اشتر اك في الحُسران، يو جد خاسرون كُثُر والأخسرين بعضهم أخسر من بعض أي النفضيل فيما بين الخاسرين أنفسهم.

سؤال ٨: ما الفرق من الناحية البيانية بين فعل استطاعوا واسطاعوا وفعل تسطع وتستطع في سورة الكهف؟

قال تعالى: (فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧). زيادة التاء في فعل استطاع تجعل الفعل مناسباً للحث وزيادة المبنى في اللغة تفيد زيادة المعنى. والصعود على السدّ أهون من إحداث نقب فيه لأن السدّ قد صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب لذا استخدم اسطاعوا مع الصعود على السد واستطاعوا مع النقب. فحذف مع الحدث الخفيف أي الصعود على السد ولم يحذف مع الحدث الشاق الطويل بل أعطاه أطول صيغة له، وكذلك فإن الصعود على السدّ يتطلّب زمناً أقصر من إحداث النقب فيه فحذف من الفعل وقصر منه ليجانس النطق الزمنى الذي يتطلبه كل حدث.

أما عدم الحذف في قوله تعالى (قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً {٧٨}) وحذف التاء في الآية (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً {٨٢}) لأن المقام في الآية الأولى مقام شرح وإيضاح وتبيين فلم يحذف من الفعل أما في الآية الثانية فهي في مقام مفارقة ولم يتكلم بعلها الخضر بكلمة وفارق موسى عليه السلام فاقتضى الحذف من الفعل.

سؤال ٩: لماذا قدّم البصر على السمع في آية سورة الكهف و سورة السجدة؟

قال تعالى في سورة الكهف (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً {٢٦}) وقال في سورة السجدة (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِئُونَ {١٢}) والمعلوم أن الأكثر في القرآن تقديم السمع على البصر لأن السمع أهم من البصر في التكليف والتبليغ لأن فاقد البصر الذي يسمع يمكن تبليغه أما فاقد السمع فيصعب تبليغه ثم إن مدى السمع أقل من مدى البصر فمن نسمعه يكون عادة أقرب ممن نراه ، بالإضافة إلى أن السمع ينشأ في الإنسان قبل البصر في التكوين ؛ أما لماذا قدّم البصر على السمع في الآيتين للذكورتين ؟ فالسبب يعود إلى أنه في آية سورة الكهف الكلام عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لئلا يراهم أحد ولجأوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يراهم أحد لكن الله تعالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف وكذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حتى لا يراه القوم إذن مسألة البصر هنا أهم من السمع فاقتضى تقديم البصر على السمع في الآية. وكذلك في آية سورة السجدة، الكلام عن المجرمون الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها و لا يبصرون لكن ما يسمعوه كان يدخل في مجال الشك والظنّ ولو تيقوا لآمنوا أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه لألهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر (عين اليقين) والآخرة ميدان الرؤية وليس ميدان السمع وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة. فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعونه ويشكون فيه تغير الحال ولذا السمع وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة. فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعونه ويشكون فيه تغير الحال ولذا التصى تقديم البصر على السمع.

سؤال ١٠: ما دلالة كلمة (لنعلم) في آية سورة الكهف (ثُمَّ بَعَشُاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً {٢٢})؟

قال تعالى في سورة الكهف (ثُمَّ بَعَشَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِشُوا أَمَداً {١٢} } والعلم قسمان قسم يتعلق بالجزاء وقسم يعلمه الله ابتداء لا يتعلق بالجزاء. ما يفعله الإنسان هو من علم الله لكن حتى ما نفعله يتعلق بالجزاء وهناك علم آخر وهو العلم الذي قضاه الله تعالى وما يفعله الإنسان هو تصديق لعلم الله هذا. وقوله تعالى لنعلم أي الحزبين يعني لنعلم أي منهم يعلم الحقيقة لأن كل قسم قال شيئاً فمن الذي يعلم الحقيقة؟ الله تعالى. هناك علمان علم سابق الذي سجّل فيه الله تعالى القدر وعلم لاحق يحقق هذا العلم وهو الذي يتعلق بالجزاء. سؤال ١١١: ماذا عن ربط المستقبل بـ (غد) فقط في قوله تعالى : (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣)

الكهف) ؟

سبب نزول الآية هو الذي يحدد. سُئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ثلاثة أسئلة من قبل الكفار منها عن أهل الكهف فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : سأجيبكم غداً لأنه لم يكن لديه علم وجاء غد ولم يُجِب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم ينزل عليه الوحي مدة خس عشرة ليلة فحصل إرجاف لأن الوحي يتنزل بحكمة الله تعالى ثم نزلت الآية (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْء إِنِّي فَاعِلِّ ذَلِكَ غَدًا (٢٣)) فهي مناسبة لأصل سبب النزول وهذا ينسحب لأنه أحياناً سبب النزول لا يتقيد بشيء. مثلاً في مسألة (ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُنَّ فَإِنَّ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣) النور) مَاذاً إذا لم يردن تعففاً؟ لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُنَّ فَإِنَّ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَ وهن يردن التحصّن فذكر المسألة كما هي واقعة ثم تأتي أمور أخوى تبيّن المسألة.

غداً في الآية موضع السؤال لا تعني بالضرورة الغد أي اليوم الذي يلي وإنما (قد) تفيد المستقبل وهي مناسبة لما وقع وما سيقع.

سؤال ٢ أ - ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى (شيئاً إمرا) و (شيئاً نُكرا) في سورة الكهف؟ قال تعالى على لسان موسى للرجل الصالح عنلما خرق السفينة (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتُهَا لِلتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جَنْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١)) وقال تعالى عندما قتل الرجل الصالح الغلام (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرَ نَفْسِ لَقَدْ جَنْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤)).

فوصف خوق السفينة بأنه شيء إمر ووصف قتل الغلام بأنه شيء نُكر وذلك أن خوق السفينة ونزع لوح خشب منها دون قتل الغلام شناعة فإنه إنما خرق السفينة لتبقى لمالكيها وهذا لا يبلغ مبلغ قتل الغلام بغير سبب ظاهر. والإمر دون النُكر فوضع التعبير في كل موضع بما يناسب كل فعل. وعن قتادة: النُكر أشدٌ من الإمر. فجاء كل على ما يلائم ولم يكن ليحسن مجيء أحد الوصفين في موضع الآخر.

وهذا الاختلاف يدخل في فواصل الآي في القرآن الكريم.

لمسات بيانية في سورتي النمل والقصص

قصة موسى عليه السلام في سورتي النمل والقصص

أهداف ذكر سورة موسى عليه السلام

قال لي أحلهم مرة لو كتبت في قصة موسى في سورتي النمل والقصص، فإن بينهما تشابما كبيرا ولا يتبين سر الاختلاف في التعبير بينهما من نحو قوله تعالى: "فلما جاءها نودي" و "فلما أتاها نودي" ، وقوله: "وأدخل يدك في جيبك" و ما إلى ذلك.

فأنمدني قوله إلى أن أكتب في ذلك، وطلبت من الله أن يعينني على ما عزمتُ عليه، وأن يبصرني بمرامي التعبير في كتابه الحكيم، وأن يفتح عليّ من كنوز علمه الواسع الذي لا يحد فتحا مباركا، إنه سميع مجيب.

من سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ {٦} إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرِ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لِّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ {٧} فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٩} وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٩} وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَحَفُ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ {١٠} إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ {١١} وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَحْرُجْ يَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوء فِي تِسْعِ آيَاتِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ {١٢} وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَحْرُجْ يَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوء فِي تِسْعِ آيَاتِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ {١٢} فَلَمَّا جَاءَتُهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ {١٣} وَجَحَلُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتُهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ

من سورة القصص بسم الله الرحمن الرحيم

فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَفِّبُ يَا مُوسَى أَقْبِلُ وَلَا تَخفُ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوء وَاصْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُوهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي

وأن ألق عصاك وألق عصاك يا موسى لا تخف يا موسى لا تخف إنك من الآمنين إني لا يخاف لدي المرسلون السلون إلا من ظلم

اسلك يدكفي جيبك فذانك برهانانفي تسع آيات واضمم إليك جناحك ممن الرّهْب

إلى فرعون وملئه إلى فرعون وقومه

إن الذي أوردته من سورة النمل، هو كل ما ورد عن قصة موسى في السورة. وأما ما ذكرته من سورة القصص فهو جزء يسير من القصة، فقد وردت القصة مفصلة ابتداء من قبل أن يأتي موسى إلى الدنيا إلى ولادته، وإلقائه في اليم والتقاطه من آل فرعون، وإرضاعه ونشأته وقتله المصري وهربه من مصر إلى مدين، وزواجه وعودته بعد عشر سنين وإبلاغه بالرسالة من الله رب العالمين، وتأييده بالآيات، ودعوته فرعون إلى عبادة الله إلى غرق فرعون في اليم، وذلك من الآية الثانية إلى الآية الثالثة والأربعن.

فالقصة في سورة القصص إذن مفصلة مطولة، وفي سورة النمل موجزة مجملة. وهذا الأمر ظاهر في صياغة القصتين، واختيار التعبير لكل منهما.

هذا أمر، والأمر الثاني أن المقام في سورة النمل، مقامُ تكريم لموسى أوضح مما هو في القصص، ذلك أنه في سورة القصص، كان جو القصة مطبوعا بطابع الخوف الذي يسيطر على موسى عليه السلام، بل إن جو الخوف كان مقترنا بولادة موسى عليه السلام، فقد خافت أمه فرعونَ عليه، فقد قال تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَحَافِي وَلا تَحْزَنِي " القصص: ٧، ويستبد بها الخوف أكثر حتى يصفها رب العزة بقوله: "وَأَصْبَحَ فَوَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا" القصص: ١٠ ثَمْ ينتقل الخوف إلى موسى عليه السلام، ويساوره وذلك بعد قتله المصري: "فاصَبْحَ فِي الْمَدِينَةِ خَانِفاً يَتَرَقَّبُ ١٠ ".

فنصحه أحدُ الناصحين بالهرب من مصر لأنه مهدد بالقتل: "فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ٢٦" ، وطلب من ربه أن ينجيه من بطش الظالمين: "قَالَ رَبِّ نَجِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢٦" . فهرب إلى مدين وهناك اتصل برجل صالح فيها، وقص عليه القصص فطمأنه قائلاً: " لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢٥"

وهذا الطابع _ أعني طابع الخوف _ يبقى ملازما للقصة إلى أواخرها، بل حتى إنه لما كلفه ربه بالذهاب إلى فرعون راجعه وقال له: إنه خائف على نفسه من القتل: "قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ تَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ٣٣"، وطلب أخاه ظهيرا له يعينه ويصدقه لأنه يخاف أن يكذبوه: "وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ٣٤"

في حين ليس الأمر كذلك في قصة النمل، فإنها ليس فيها ذكر للخوف إلا في مقام إلقاء العصا.

فاقتضى أن يكون التعبير مناسبا للمقام الذي ورد فيه. وإليك إيضاح ذلك:

؟ قال تعالى في سورة النمل: " إِنِّي آنَسْتُ نَاراً " وقال في سورة القصص: "آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً"

فزاد : " مِنْ جَانب الطُّور " وذلك لمقام النفصيل الذي بنيت عليه القصة في سورة القصص.

؟ قال في سورة النمل: "إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً" وقال في سورة القصص: " قَالَ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً" بزيادة "امْكُثُوا". وهذه الزيادة نظيرة ما ذكرناه آنفا، أعني مناسبة لمقام النفصيل الذي بنيت عليه القصة بخلاف القصة في النمل المبنية على الإيجاز.

؟ قال في النمل: "سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرِ". وقال في القصص: " لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرِ". فبنى الكلام في النمل على القطع "سَآتِيكُم" وفي القصص لم يدعه يقطع بالأمر القطع "سَآتِيكُم" وفي القصص لم يدعه يقطع بالأمر فإن الخائف لا يستطيع القطع بما سيفعل بخلاف الآمن. ولما لم يذكر الخوف في سورة النمل بناه على الوثوق والقطع بالأمر.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن ما ذكره في النمل هو المناسب لمقام التكريم لموسى بخلاف ما في القصص.

ومن ناحية ثالثة، ؟إن كل تعبير مناسبٌ لجو السورة الذي وردت فيه القصة، ذلك أن الترجي من سمات سورة القصص، والقطع من سمات سورة النمل. فقد جاء في سورة القصص قوله تعالى: "عَسى أن يَنْفَعَنا أوْ تَتَخِذَهُ وَلَدا" وهو ترَجٍّ. وقال: "لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرِ" وقال "لَعَلَّكُم تَصْطَلُونَ"، وقال: "لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرِ" وقال "لَعَلَّكُم تَصْطَلُونَ"، وقال: "لَعَلَّي أَطِّعُ إلى إِلَهِ موسَى"، وقال: "لَعَلَّهُمْ يَتَذكرونَ " ثلاث مرات في الآيات ٤٦، ٤٦، العَلَّكُم تَصْطَلُونَ"، وقال: "فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ المُفْلِحِينَ"، وقال: "ولَعَلَّكُم تَشكُرونَ ٣٧ "وهذا كله ترجّ. وذلك في عشرة مواطن في حين لم يرد الترجي في سورة النمل، إلا في موطنين وهما قوله: "لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ"، وقوله: "لَعَلَّكُمْ تَصْطُلُونَ"، وقوله: "لَعَلَّكُمْ تَصْعُلُونَ"،

وقد تردد القطع واليقين في سورة النمل، من ذلك قوله تعالى على لسان الهدهد: "أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجَتُنُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِين "النمل: ٢٢ ، وقوله على لسان العفريت لسيدنا سليمان: "أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ" النمل: ٣٩ وقوله على لسان الذي عنده علم من الكتاب: "أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ " النمل: ٤٠

فانظر كيف ناسب الترجي ما ورد في القصص، وناسب القطع واليقين ما ورد في النمل. ثم انظر بعد ذلك قوله تعالى في القصة: "سَآتيكُمْ مِنْها بخَبَر" ومناسبته لقوله تعالى في آخر السورة: "الْحَمْدُ لِلّه سَيُريكُمْ آيَلتِهِ فَتَعْرِفُوهَا ٩٣ " وانظر مناسبة "سَآتيكُمْ" لـ "سَيُريَكُمْ".

وبعد كل ذلك، انظر كيف تم وضع كل تعبير في موطنه اللائق به.

؟ كرّر فعل الإتيان في النمل، فقال: "سَآتيكُمْ مِنها بِخَبَر أَوْ آتيكُمْ بِشِهابِ"، ولم يكرره في القصص، بل قال: "لَعَلّي آتيكُمْ مِنْها بخَبَر أَوْ جَلْوَةٍ"

فأكد الإتيان في سورة النمل لقوة يقينه وثقته بنفسه، والتوكيد يدل على القوة، في حين لم يكرر فعل الإتيان في القصص مناسبة لجو الخوف.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن فعل (الإتيان) تكرر في النمل اثنتي عشرة مرة. (انظر الآيات: ٧ مرتين، ١٨، ٢١، ٢٨، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٥٥، ٨٨)

وتكرر في القصص ست مرات (انظر الآيات ۲۹، ۳۰، ۲۹، ۶۹، ۷۱، ۷۲) فناسب تكرار (آتيكم) في النمل من كل وجه.

؟ وقال في سورة النمل: " أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطُلُونَ" وقال في القصص: " نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطُلُونَ"

فذكر في سورة النمل أنه يأتيهم بشهاب قبس، والشهاب: هو شعلة من النار ساطعة. (انظر لسان العرب (شهب) 1 / 1 على القاموس المحيط (شهب) 1 / 1 على القاموس المحيط (شهب) 1 / 1 على التعليم المحيط (شهب) 1 / 1 على التعليم المحيط (شهب) 1 / 1 على التعليم التعلي

ومعنى (القَبَس) شعلة نار تقتبس من معظم النار كالمقباس يقال: قبس يقبس منه نارا، أي: أخذ منه نارا، وقبس العلمَ استفاده (انظر القاموس المحيط (قبس) ٢ / ٣٣٨)

وأما (الجذوة) فهي الجمرة أو القبسة من النار (انظر القاموس المحيط (جذا) ٤ / ٣١١) وقيل: هي ما يبقى من الحطب بعد الالتهاب، و في معناه ما قيل: هي عود فيه نار بلا لهب. (انظر روح المعاني ٢٠ / ٧٢)

والمجيء بالشهاب أحسن من المجيء بالجمرة، لأن الشهاب يدفئ أكثر من الجمرة لما فيه من اللهب الساطع، كما أنه ينفع في الاستنارة أيضا. فهو أحسن من الجذوة في الاستضاءة والدفء.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ذكر أنه سيأتي بالشهاب مقبوساً من النار ، وليس مختلَسا أو محمولا منها، لأن الشهاب يكون مقبوساً وغير مقبوس (انظر البحر الحيط ٧ / ٥٥) ، وهذا أدل على القوة وثبات الجنان، لأن معناه أنه سيذهب إلى النار، ويقبس منها شعلة نار ساطعة.

أما في القصص فقد ذكر أنه ربما أتى بجمرة من النار، ولم يقل إنه سيقبسها منها.

والجذوة قد تكون قبسا وغير قبس، ولا شك أن الحالة الأولى أكمل وأتم لما فيها من زيادة نفع الشهاب على الجذوة، ولما فيها من الدلالة على الثبات وقوة الجنان.

وقد وضع كل تعبير في موطنه اللائق به، ففي موطن الخوف ذكر الجمرة ، وفي غير موطن الخوف ذكر الشهاب والقبس.

؟ قال في سورة النمل: "فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَّ" وقال في سورة القصص: "فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَّ"

فما الفرق بينهما؟

قال الراغب الأصفهاني مفرقا بين الإتيان والجيء: الإتيان مجيءٌ بسهولة، ومنه قيل للسيلِ المارّ على وجهه أتي" (المفردات في غريب القرآن ٦). وقال: "الجيء كالإتيان، لكن الجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولة" (المفردات ولم يذكر أهل المعجمات ما ذكره الراغب، وإنما هم يفسرون واحدا بالآخر، فيفسرون جاء بأتى، وأتى بجاء، غير أهم يذكرون في بعض تصريفات (أتى) ما يدل على السهولة، فيقولون مثلا في تفسير الطريق الميتاء من (أتى) "طريق مسلوك يسلكه كل أحد" وذلك لسهولته ويسره. ويقولون : "كل سيل سهلته الماء أتيّ" و "أتّوا جداولها: سهلوا طرق المياه إليها" يقال: (أتّيت الماء) إذا أصلحت مجراه حتى يجري إلى مقارّه .. ويقال: أتّيت للسيل، فأنا أوّتيه إذا سهلت سبيله من موضع إلى موضع ليخرج إليه .. وأتّيت الماء تأتيةً وتأتياً، أي: سهلت سبيله ليخرج إلى موضع " لسان العرب (أتى) ١٨ / ١٤)

والذي استبان لي أن القرآن الكريم يستعمل الجيء لما فيه صعوبة ومشقة، أو لما هو أصعب وأشق مما تستعمل له (أتهى) فهو يقول مثلا: "فَإذا جَاءَ أَمْرُنا وَفارَ التّتورُ ٢٧ " المؤمنون، وذلك لأن هذا الجيء فيه مشقة وشدة. وقال: "وجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالحَقِّ ١٩٣ ق. وقال: "لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا أَكْرا الكهف. وقال: "لقَدْ جِئْتَ شَيْئا أَكْرا الكهف.

وقال: "قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيّاً ٢٧" مريم. وقال: "وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدّاً. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجَالُ هَدّاً" مريم .

وقال: "وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا" الإسراء : ٨١.

وقال: "فَإذا جاءَت الصّاخّة. يَوْمَ يَفِرّ الَمْرْءُ من أخيهِ" عبس. وقال: "فإذا جاءَت الطّامّةُ الكُبْرَى" النازعات. وهذا كله مما فيه صعوبة ومشقة.

وقد تقول: وقد قال أيضا: "هَلْ أَتاكَ حَديثُ الغَاشِيَة" والجواب: أن الذي جاء هنا هو الحديث وليس الغاشية في حين ن الذي جاء هناك هو الطامة والصاخة ونحوهما مما ذكر

ويتضح الاختلاف بينهما في الآيات المتشابحة التي يختلف فيها الفعلان، وذلك نحو قوله تعالى: "أَتَى أَمْرُ الله" النحل، وقوله: "فَإذا جاءً أَمْرُ الله" غافر، ونحو قوله: "جاءَهُمْ نَصْرُنا" يوسف، و"أَتاهُمْ نَصْرُنا" الأنعام، ونحو قوله: "لجاءَهُمُ العَذابُ" العنكبوت، و"وَ أَتاهُمُ العَذابُ" النحل، وما إلى ذلك.

فإنه يتضح الفرق في اختيار أحدهما على الآخر، وإليك إيضاح ذلك: قال تعالى: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجَلُوهُ سُبُّحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ١"النحل. وقال: "فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ٧٨" غافر. فقد قال في النحل: "أَتَى أَمْرُ اللهِ"، وقال في غافر: "جاءَ أَمْرُ الله"، وبأدنى نظر يتضح الفرق بين التعبيرين، فإن المجيء الثاني أشق وأصعب لما فيه من قضاء وخسران، في حين لم يزد في الآية الأولى على الإتيان. فاختار لما هو أصعب وأشق (جاء) ولما هو أيسر (أتى).

ونحو ذلك قوله تعالى: "حَتَى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّي مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ١١٠ يوسف

وقوَ له: "ُوَلَقَدْ كُذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذَّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ٣٤" الأنعام

فقال في آية يوسف "جاعَهُمْ نَصْرُنا" وفي آية الأنعام: "أتاهُمْ نَصْرُنا" ومن الواضح أن الحالة الأولى أشق وأصعب، وذلك أن الرسل بلغوا درجة الاستيئاس وهي أبعد وأبلغ، وذهب به الظن إلى أنهم كُذبوا، أي: أن الله سبحانه وتعالى كذبهم ولم يصدقهم فيما وعدهم به، وهذا أبلغ درجات اليأس وأبعدها، وعند ذاك جاءهم نصره سبحانه فنجّى من شاء وعوقب الجرمون.

في يحن ذكر في الآية الأخرى ألهم كُذّبوا، أي: كنّبهم الكافرون، وأوذوا فصبروا. وفرق بعيد بين الحالتين، فلقد يُكذّب الرسل وأتباعهم ويُؤذَون، ولكن الوصول إلى درجة اليأس والظن بالله الظنون البعيدة أمرٌ كبير.

ثم انظر إلى خاتمة الآيتين تر الفرق واضحا، فما ذكره من نجاة المؤمنين ونزول اليأس على الكافرين في آية يوسف مما لا تجده في آ]ة الأنعام يدلك على الفرق بينهما.

ومن ذلك قوله تعالى: "كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ . فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْحِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" الزمر: ٢٥ ــ ٢٦

وقوله: "قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ. ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُثْنُمْ تُشَاقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ. النحل ٢٦ -٢٧

فقال في الآيتين: "وأتاهُمُ العَذابُ" في حين قال: "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمَّىً لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَّاتِيَّهُمْ بَعْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ. يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ. يَوْمَ يَعْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" العنكبوت:٥٣ ـــ ٥٥ ـــ٥٥

فقال: "فَجاعَهُمُ العَذَابُ وذلك أن الآيتين الأوليين في عذاب الدنيا بدليل قوله في آية النحل: "ثُمَّ يَوْمَ القِيامَةِ يُخزيهِم.." وقوله في آية الزمر: " فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبُرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " في حَيْنَ أَن آية العنكبوت في عذاب الآخرة، وحتى لو كانت في عذاب الدنيا فإن ما ذُكر فيها من العذاب أشق وأشد مما في الآيتين الأخريين بدليل قوله: "وإنَّ جَهَنَّم لَمُحيطَةٌ بالكافِرينَ " وقوله: "يَوْمَ يَعْشَاهُمُ العَذَابُ مِنْ فَوْقِهِم ومِنْ تَحْتِ أَرْ جُلِهم.. " فجاء لما هو أشق وأشد بالفعل (جاء) ولما هو أيسر بـ (أتى).

وقد تقول: ولكنه قال: "ولَيَاتِينَّهُم بَغْتةً" فاستعمل مضارع (أتي).

والجواب: أن القرآن لم يستعمل مضارعا للفعل (جاء) .. ولذلك كل ما كان من هذا المعنى مضارعا، استعمل له مضارع (أتى) فلا يدخل المضارع في الموازنة، وسيأتي بيان ذلك.

ومن ذلك قوله تعالى: "أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمْ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَقَوْمْ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْمِنَاتُ وَالْمُؤْمِنَاتُ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَاثُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولِيَاءُ بَعْضَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولِيَاءُ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" التوبة: ٧٠ — ٧١

فقال: " أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ" وهو الموطن الوحيد الذي جاء فيه نحو هذا التعبير في القرآن الكريم في حين قال في المواطن الأخرى كلها: "جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ"

ولو نظرت في هذه التعبيرات، ودققت فيها لوجدت أن كل التعبيرات التي جاءت بالفعل (جاء) أشق وأصعب مما جاء بـــ (أتي)، وإليك بيان ذلك.

قال تعالى: " تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاثِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ. وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ. ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْلِهِمْ مُوسَى بِآياتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" الأعراف: ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١٠٣

فانظر كيف قال في آية التوبة: "أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَقْهُسَهُمْ يَظْلِمُونَ." ولم يذكر ألهم كفروا أو عوقبوا، في حين قال في آيات الأعراف: "فَما كانُ،ا لِيؤْمِنوا بِمَا كذَّبُوا مِنْ قَبْل" فذكر عدم إيماهُم، وألهم طُبع على قلوهِم: "كَذَلِكَ يَطْبُعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ"، وذكر أنه وجد أكثرهم فاسقين، وأنه لم يجد لأكثرهم عهدا، وذكر بعد ذلك ظلم فرعون وقومه لموسى وتكذيبهم بآيات الله وعاقبتهم.

فانظر موقف الأمم من الرسل في الحالتين و انظر استعمال كل من الفعلين جاء و أتى، يتبين لك الفرق واضحا سنهما.

ومنه قوله تعالى: " وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ١٣" يونس

فقال: "وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالبَيّنات" وذلك أنه ذكر إهلاك القرون لظلمهم وذكر تكذيبهم وعدم إيماهم وذكر جزاء المجرمين.

وقال: "أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلُتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَقِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبِ ٩" إبراهيم ، إلى أن يقول: "وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ. وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُحْرِ جَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ. "إبراهيم : ١٢ ـ ١٣ ١٣

ويمضي في وصف عذاب الكفرة عذابا غليظا: "مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْتَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ. يَتَجَرََّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ" إبراهيم: ١٧

فقال أيضا: "وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهمْ بالبيناتُ"، وأنا في غنى عن أبين موقف الأمم من رسلهم، وكفرهم بما أرسلوا به، و وتمديدهم لهم بإخراجهم من الأرض، وعن ذكر عذاب الكافرين في الدنيا بإهلاكهم وفي الآخرة بما وصفه أفظع الوصف.

فانظر إتيانه بالفعل (جاء) وقارنه بالفعل (أتى) في آية التوبة يتضح الفرق بين استعمال الفعلين. ومن ذلك قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا ذَكُو اللَّهُ اللَّهُ لِيَظْلِمُونَ ﴾ ثُمَّ كَانَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مَمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتُهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْيَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ فَا يَطْلِمُونَ ﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّواَى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ الروم: ١٠ فَذَكر عاقبة الذين أساؤوا، وألها السوأى تأنيث الأسوأ، أي: أسوأ الحالات على الإطلاق، وذكر تكذيب الأمم فذكر عاقبة الذين أساؤوا، وألها السوأى تأنيث الأسوأ، أي: أسوأ الحالات على الإطلاق، وذكر تكذيب الأمم لرسلهم واستهزاءهم بهم، في حين لم يصرح في آية التوبة بتكذيب ولا استهزاء، ولم يذكر لهم عاقبة ما. ومن ذلك قوله تعالى: "وَإِنْ يُكذّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزَّبُرِ وَبِالْكِتَابِ وَمِن ذلك قوله تعالى: "وَإِنْ يُكذَبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزَّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنيرِهِ ٢ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ٢٦ " فاطر

فذكر تكذيب الأمم السابقة لرسلهم بعد أن جاؤوهم بكل ما يدعو إلى الإيمان من البينات والزبر والكتاب المنير، وذكر أخذَه لهم وعلّق على ذلك بقوله: "فَكَيْفَ كان نَكير"

ومن ذلك قوله تعالى: " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسَبُونَ. فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بَهِ يَسْتَهْزِئُونَ. فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ عَبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ عَافِر: ٨٢ إلى ٨٥ يَنْفَعُهُمْ إِيمَا رَأُوا بَأْسَنَا سُنَتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ عَافِر: ٨٢ إلى ٨٥ فَا اللهِ اللهُ يَوْلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى شُوكُهم حتى رأوا بأس الله ينزل هِمَا على شوكهم حتى رأوا بأس الله ينزل هِمَا فَالَى ينفعهم إيماهُم بَعد فوات الأوان.

قارن هذه الآيات التي وردت بالفعل (جاء) بالآية التي وردت بالفعل (أتى) وهي آية التوبة، يتبين الفرق بين استعمال الفعلين: جاء وأتى.

وقد تقول: ولكن ورد في القرآن (أتتكم الساعة) و (جاءتهم الساعة) والساعة واحدة فما الفرق؟ وأقول ابتداء أنه لا يصح اقتطاع جزء من الآية للاستدلال، بل ينبغي النظرُ في الآية كلها وفي السياق أيضا ليصحّ الاستدلالُ والحكم.

وإليك الآيتين اللتين فيهما ذِكرُ الساعة:

قال تعالى: " قَدْ خَسرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورهِمْ أَلا سَاءً مَا يَزرُونَ ٣٦" الأنعلم

وقال: "قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إَلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَتْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ١٤٣ الأنعلم

فقال في الآية الأولى: "جاءَتْهُم السَّاعَةُ" وقال في الثانية: "أَتَتْكُم السَّاعَةُ"

وبأدين تأمل يتضح الفرق بين المقامين. فإن الأولى في الآخرة وفي الذين كذبوا باليوم الآخر، وهم نادمون متحسرون على ما فرطوا في الدنيا، وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم. وتوضحه الآية قبلها وهي قوله تعالى: " وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُثْتُمْ تَكْفُرُونَ ٣٠ قَدْ خَسرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا.. "الأنعام ، في حين أن الثانية في الدنيا بدليل قوله: "أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُثْهُمْ صَادِقِينَ" وقوله: "بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكُشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ " فذكر أنه يكشف ما يدعون إليه إن شاء، وهذا في الدنيا، وإلا فإن الله لا يكشف عن المشركين شيئا في الآخرة ولا يستجيب لهم البتة.

فالموقف الأول أشق وأشد مما في الثانية، فجاء بالفعل (جاء) دون (أتي) بخلاف الآية الثانية.

فاتضح أن القرآن إنما يستعمل (جاء) لما هو أصعب وأشق. ويستعمل (أتي) لما هو أخف وأيسر.

ولعل من أسباب ذلك أن الفعل (جاء) أثقل من (أتى) في اللفظ بدليل أنه لم يرد في القرآن فعل مضارع لــ (جاء) ولا أمر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول، ولم يرد إلا الماضي وحده بخلاف (أتى) الذي وردت كل تصريفاته، فقد ورد منه الماضي وللضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول. فناسب بين ثقل اللفظ و ثقل الموقف في (جاء)، وخفة الملفظ و خفة الموقف في (أتى) والله أعلم.

و نعود إلى ما نحن فيه من قصة موسى عليه السلام، فقد قال في سورة النمل: "فلما جاءها" وقال في سورة القصص: "فَلمّا أتاها" ذلك أن ما قطعه موسى على نفسه في النمل أصعب ثما في القصص، فقد قطع في النمل على نفسه أن يأتيهم بخبر أو شهاب قبس، في حين ترجى ذلك في القصص. والقطع أشق وأصعب من الترجى. وأنه قطع في النمل، أن يأتيهم بشهاب قبس ، أي: بشعلة من النار ساطعة مقبوسة من النار التي رآها في حين أنه ترجّى في القصص أن يأتيهم بجمرة من النار، والأولى أصعب. ثم إن المهمة التي ستوكل إليه في النمل أصعب وأشق مما في القصص، فإنه طلب إليه في القصص أن يبلغ فرعون وملأه. وتبليغ القوم أوسع وأصعب من تبليغ الملأ، ذلك أن دائرة الملأ ضيقة، وهم المحيطون بفرعون في حين أن دائرة القوم واسعة، لألهم منتشرون في المدن والقرى، وأن التعامل مع هذه الدائرة الواسعة من الناس صعب شاق، فإلهم مختلفون في الأمزجة والاستجابة والتصرف، فما في النمل أشق وأصعب، فجاء بالفعل (جاء) دون (أتى) الذي هو أخف. ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة طه: "فلما أتاها نُودِي يا موسى" بالفعل (جاء) دون (أتى) الذي هو أخف. ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة طه: "فلما أتاها نُودِي يا موسى" خلك لأنه أمره بالذهاب إلى فرعون ولم يذكر معه أحدا آخر: "اذهب إلى فرعون إنه طغى ٢٤ قال رب اشرَ حْ لي صدري ٥٠ ويسر لي أمري ٢٦"

فانظر كيف لما أرسله إلى فرعون قال: "أتاها"، ولما أرسله إلى فرعون وملئه قال (أتاها) أيضا في حين لما أرسله إلى فرعون وقومه قال: "جاءها" وأنت ترى الفرق بين الموطنين ظاهرا.

؟ ذكر في القصص جهة النداء فقال: "فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ " ولم يذكر الجهة في النمل، وذلك لأن موطن القصص موطن تفصيل، وموطن النمل موطن إيجاز كما ذكرت.

؟ قال في النمل: " نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ولم يذكر مثل ذلك في القصص، بل ذكر جهة النداء فقط، وذلك الأن الموقف في النمل موقف تعظيم لله رب العالمين.

؟ قال في النمل "يا موسَى" وقال في القصص: "أَنْ يا موسَى" فجاء بـــ (أن) المفسرة في القصص، ولم يأت بها في النمل، وذلك لأكثر من سبب:

منها أن المقام في النمل مقام تعظيم لله سبحانه، وتكريم لموسى كما ذكرنا فشرفه بالنداء المباشر في حين ليس المقام كذلك في القصص، فجاء بما يفسر الكلام، أي: ناديناه بنحو هذا، أو بما هذا معناه، فهناك فرق بين قولك: (أشرت إليه أن اذهب) و (قلت له اذهب) فالأول معناه: أشرت إليه بالذهاب، بأيّ لفظ أو دلالة تدل على هذا المعنى. وأما الثاني فقد قلت له هذا القول نصا، ومثله قوله تعالى: "و نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ٤٠٢ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّوْيا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزي الْمُحْسنينَ ٥٠٠ "الصافات

أي: بما هذا تفسيره أو بما هذا معناه بخلاف قوله: "قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ" هود ومنها أن المقام في سورة القصص مقام تبسّط وتفصيل فجاء بـ (أن) زيادة في التبسط.

ومنها أن ثقل التكليف في النمل يستدعي المباشرة في النداء، ذلك أن الموقف يختلف بحسب المهمة وقوة التكليف كما هو معلوم.

؟ قال في النمل: "إِنّهُ أَنا الله العَزيزُ الحَكيمُ"، وقال في سورة القصص: "إِنّي أَنا الله رَبُّ العالَمينَ" فجاء بضمير الشأن الدال على التعظيم في آية النمل: "إِنّه أنا" ولم يأت به في القصص، ثم جاء باسميه الكريمين "العَزيزُ الحَكيم" في النمل زيادة في التعظيم.

ثم انظر إلى اختيار هذين الاسمين وتناسبهما مع مقام ثقل التكليف، فإن فرعون حاكم متجبر يرتدي رداء العزّة، ألا ترى كيف أقسم السحرة بعزته قائلين: "بعِزّةٍ فِرعَوْنَ إِنّا لَنَحْنُ الْعَالِبونَ £ 2" الشعراء. فاختار من بين أسمائه (العزيز) معرفا بالألف واللام للدلالة على أنه هو العزيز و لا عزيز سواه، و(الحكيم) للدلالة على أنه لا حاكم و لا

ذا حكمة سواه، فهو المتصف بهذين الوصفين على جهة الكمال حصرا. وفي تعريف هذين الاسمين بالألف واللام من الدلالة على الكمال والحصر ما لا يخفى ما لو قال (عزيز حكيم) فإنه قد يشاركه فيهما آخرون.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف أنه لما قال: "أَنا اللهُ العَزيزُ الحَكيمُ" لم يذكر أن موسى سأل ربه أن يعزّزه ويقويه بأخيه، ولما لم يقل ذلك ذكر أنه سأل ربه أن يكون له ردءا، يصدقه ويقويه وهو أخوه هارون.

وقد تقول: ولكنه قال في القصص "إنّي أنا اللهُ ربّ العالمينَ" وفي ذلك من التعظيم ما لا يخفي

ونقول: وقد قال ذلك أيضا في النمل، فقد قال: "وسبحان الله ربّ العالمين" وزاد عليه: "إنّهُ أنا الله العَزيزُ الحَكيمُ" فاتضح الفرق بين المقامين.

وقد تقول: ولم قال في سورة طه: "إنّي أَنا ربّك فاخلعْ نَعَلَيْكُ" بذكر ربوبيته له خصوصا، ولم يقل كما قال في سورتي النمل والقصص "ربّ العالمين"؟

و الجواب: أنه في سورة طه كان الخطاب والتوجيه لموسى عليه السلام أو لا فعلمه وأرشده فقال له: " إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ١٤ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُتجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْغَى ١٥ " طه، فطلب منه العبادة وإقامة الصلاة .

وقال بعد ذلك: "لِنُرِيَكَ مِنْ آياتِنا الكُبْرِى ٣٣" طه، ثم ذكر منته عليه مرة أخرى فقال: "وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى٣٧ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ٣٨" طه .

ويمضي في ذكر منته عليه ولم يرد مثل ذلك في النمل، و لا في القصص. فإنه لم يذكر توجيها له أو إرشادا لعبادته في النمل، و لا في القصص فلم يأمره بعبادة أو صلاة أو تكليف خاص بشأنه. ثم إنه في سورة القصص وإن كان قد فصّل في ذكر و لادته و نشأته وما إلى ذلك فقد ذكرها في حالة الغيبة لا في حالة الخطاب: "و أو حينا إلى أمّ موسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ" "إنْ كادَتْ لَتُبدي به .. فرددناه إلى أمه .. ولمّا بلّغ أشُدّه .. ودَخَل المَدينةَ .. "

في حين كان الكلام في سورة طه بصورة الخطاب. فناسب أن يقول له في طه: "أنا ربّك" بخلاف ما في النمل والله أعلم.

؟ قال في النمل: "وأَلْق عَصاكَ" وقال في القصص: "وأنْ ألْق عَصاكَ"

فجاء بـ (أن) المفسرة أو المصدرية. ونظيره ما مر في قوله: (يا موسى) و (أن يا موسى)

فقوله: "وأَلْق عَصاك" قول مباشر من رب العزة، وهو دال على التكريم.

وأما قوله: "وأنْ أَلْقِ عَصاك" فإنه معناه أنه ناداه بما تفسيره هذا أو بما معناه هذا. فأنت إذا قلت: (ناديته أن اذهب) كان المعنى ناديته بالذهاب. فقد يكون النداء بما اللفظ أو بغيره بخلاف قولك: (ناديته اذهب)، أي: قلت له اذهب. وهو نحو ما ذكرناه في قوله: (يا موسى) و (أن يا موسى) من أسباب ودواع فلا داعي لتكرارها.

؟ قال في النمل: "يا موسَى لا تَخَفْ" وقال في القصص: "يا موسَى أَقْبَلْ وَلا تَخَفْ"

بزيادة (أقبل) على ما في النمل، وذلك له أ: ثر من سبب.

منها: أن مقام الإيجاز في النمل يستدعي عدم الإطالة بخلاف مقام النفصيل في القصص.

ومنها أن شيوع جو الخوف في القصص يدل على إيغال موسى في الهرب، فدعاه إلى الإقبال وعدم الخوف. فوضع كل تعبير في مكانه الذي هو أليق به.

؟ قال في النمل: "إنَّى لا يَخافُ لَدَيّ الْمُرْسَلُونَ" وقال في القصص: "إنَّكَ مِنَ الآمِنينَ"

ذلك أن المقام في سورة القصص مقام الخوف، والخائف يحتاج إلى الأمن فأمنه قائلا: "إنَّكَ مِنَ الآمِنينَ"

أما في سورة النمل فالمقام مقام التكريم والتشريف، فقال: "إنّي لا يَخافُ لَدَيّ المُرسَلونَ" فألمح بذلك إلى نه منهم، وهذا تكريم وتشريف. ثم انظر كيف قال (لَدَيّ) مشعرا بالقرب، وهو زيادة في التكريم والتشريف. ثم انظر من ناحية أخرى كيف أنه لما قال في سورة النمل: "لَدَيّ" المفيدة للقرب ناداه بما يفيد القرب فقال: "يا موسى" ولم يقل: "أنْ يا موسى" كما قال في القصص، ففصل بين المنادي والمنادَى بما يفيد البعد. وأمره أيضا بما يفيد القرب بلا فاصل بينهما فقال: "وألق عَصاكَ" ولم يقل: "وأنْ ألق عَصاكَ" للدلالة على قرب المأمور منه. فناداه من قرب وأمره من قرب، وذلك لأنه كان منه قريبا، فانظر علو هذا التعبير ورفعته.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف قال: "إنّي لا يَخافُ لَديّ المُرسَلونَ" ولم يقل: (إني لا يخاف مني المرسلون) لأن المرسلين لا يخافون بحضرته، ولكنهم يخشونه ويخافونه كل الخوف، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (أنا أخشاكم لله) فهو أخوف الناس منه، وأخشاهم له.

؟ قال في النمل: "إِلَّا منْ ظَلَمَ ثُمّ بَدّلَ حُسنا بَعدَ سوء فإنّي غَفورٌ رحيمٌ" ولم يقل مثل ذلك في القصص، لأنه لا يحسن أن يقال: (إنك من الآمنين إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء) ولو قال هذا لم يكن كلاهما.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ناسب ذلك قول ملكة سبأ: "ربّ إني ظلَمْتُ نَفسي وأسْلَمْتُ مَع سُلَيمانَ لله ربّ العَالمينَ" النمل، فإنها ظلمت نفسها بكفرها وسجودها للشمس منجون الله، ثم بدلت حسنا بعد سوء، فأسلمت لله رب العالمين فلاءم هذا التعبير موطنه من كل ناحية.

وقد تقول: لقد ورد مثل هذا التعبير في سورة القصص أيضا وهو قوله تعالى: "قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ تَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١٦" القصص

والحق أن المقامين مختلفان، فإن القول في سورة القصص هو قول موسى عليه السلام حين قتل المصري، وموسى لم يكن كافرا بالله، بل هو مؤمن بالله تعالى، ألا ترى إلى قوله منيبا إلى ربه بعدما فعل فعلته: "قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي" وقوله حين فر من مصر: "رَبِّ نَجّني مِنَ القَوْمِ الظالِمينَ" وقوله: "قال عَسى ربي أن يَهْدِيَني سَواء السّيل"

فإن موسى لم يبدل حسنا بعد سوء، ذلك انه عليه السلام لم يكن سيئا بخلاف ملكة سبأ، فإنها كانت مشركة، وقد بدلت حسنا بعد سوء. قما جاء من قوله: "إلّا من ظَلَمَ ثُمّ بَدّل حُسنا بَعدَ سوء.. " أكثر ملاءمة للموضع الذي ورد فيه من كل ناحية.

؟ قال في النمل: "وَأَدْخِلْ يَدَكَ في جَيْبِك" وقال في القصص: "اسْلُك يَدَكَ في جَيْبك"

لقد استعمل في سورة القصص أمر الفعل (سلك) الذي يستعمل كثيرا في سلوك السبل فيقال: سلك الطريق والمكان سلكا، قال تعالى: "والله جَعَلَ لَكُم الأرْضَ بِساطا ١٩ لَتسْلُكُوا مِنها سُبُلا فِجاجا ٢٠" نوح، ذلك لأنه تردد سلوك الأمكنة والسبل في قصة موسى في القصص، بخلاف ما ورد في النمل. فقد ورد فيها، أي: في سورة القصص سلوك الصندوق بموسى وهو ملقى في اليم إلى قصر فرعون، وسلوك أخته وهي تقص أثره. وسلوك موسى الطريق إلى مدين بعد فراره من مصر، وسلوكه السبيل إلى العبد الصالح في مدي، وسير موسى بأهله وسلوكه الطريق إلى مصر، حتى إنه لم يذكر في النمل سيرَه بأهله بعد قضاء الأجل بل إنه طوى كل ذكر للسير والسلوك في القصة فقال مبتدئا: "إذْ قالَ موسَى لأهْلِهِ إنّي آنَسْتُ نارا سآتيكُمْ مِنها بِخَبر" بخلاف ما ورد في القصص، فإنه قال: "فلمّا قضى موسى الأجَلَ وسارَ بأهلِهِ آنَسَ منْ جانب الطور نارا" فحسن ذكر السلوك في القصص دون النمل.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن الفعل (دخل) ومشتقاته تكرر خمس مرات (انظر الآيات ١٦، ١٨، ١٩، ٣٤، ٤٤) في النمل في حين لم يرد هذا الفعل و لا شيء من مشتقاته في القصص، فناسب ذكره في النمل دون القصص.

ومن ناحية أخرى إن الإدخال أخص من السَّلك أو السلوك اللذين هما مصدر الفعل سلك، لأن السَّلك أو السلوك قد يكون إدخالا وغير إدخال، تقول: سلكت الطريق وسلكت المكان، أي: سرت فيه، وتقول: سلكت الخيط في المخيط، أي: أدخلته فيه. فالإدخال أخص وأشق من السلك والسلوك. فإن السَّلك قد يكون سهلا ميسورا، قال تعالى في النحل: "فاسْلُكي سُبُّلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ٢٦" فانظر كيف قال (ذللا) ليدلل على سهولته ويسره، وقال: "ألمْ تَرَ الله أنْزَلَ مِن السّماءِ ماء فَسَلَكَهُ ينابِيعَ في الأرض وغوره فيها؟

فناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليسر، ووضع الإدخال في موطن المشقة والتكليف الصعب. لقد ناسب الإدخال أن يوضع مع قوله: "سآتيكُمْ مِنها بِخَبَرِ" وقوله: "فَلَمّا جاءَها" ومهمة التبليغ إلى فرعون وقومه. وناسب أن يوضع السلوك في مقام الخوف، وأن يوضع لإدخال في مقام الأمن والثقة.

وناسب أن يوضع الإدخال وهو أخص من السلوك مع (الشهاب القبس) الذي هو أخص من الجذوة، وأن يوضع السلوك وهو أعم من الإدخال مع الجذوة من النار التي هي أعم من الشهاب القبس. فكل لفظة وضعت في مكالها الملائم لها تماما

؟ قال في القصص: "واضْمُم إلَيْكَ جَناحَكَ مِن الرَّهْب" ولم يذكر مثل ذلك في النمل. و(الرهب) هو الخوف ، وهو مناسب لجو الخوف الذي تردد في القصة، ومناسب لجو النفصيل فيها بخلاف ما في النمل.

؟ قال في النمل: "في تِسْع آياتٍ" وقال في القصص: "فَذَانكَ بُرهانانِ"

فقد أعطاه في النمل تسع آيات إلى فرعون، وذكر في القصص برهانين، وذلك لما كان المقام في النمل مقامَ ثقة وقوة وسّع المهمة، فجعلهما إلى فرعون وقومه، ووسّع الآيات فجعلها تسعا، ولما كان المقام مقام خوف في القصص، ضيّق المهمة وقلل من ذكر الآيات. وكل تعبير وضع في مكانه المناسب.

ثم إن استعمال كلمة (الآيات) في النمل مناسب لما تردد من ذكر للآيات والآية في السورة فقد تردد ذكرُ هما فيها عشر مرات، في حين تردد في القصص ست مرات. فناسب وضع (الآيات) في النمل ووضع البرهان في القصص الذي تردد فيها مرتين، في حين ورد في النمل مرة واحدة، فناسب كل تعبير مكانه.

؟ قال في النمل: "إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ" وقال في القصص: "إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلئِهِ"

فوسع دائرة التبليغ في النمل كما ذكرنا، وذلك مناسب لجو التكريم في القصة، ومناسب لثقة موسى بنفسه التي أوضحتها القصة. ولما وسّع دائرة التبليغ وسّع الآيات التي أعطيها، بخلاف ما ورد في القصص

؟ قال في النمل: "فلَمَّا جاءَتْهُم آياتُنا مُبْصِرَةً قالوا هذا سِحْرٌ مُبينٌ"

ومعنى ذلك أن موسى قبل المهمة ونفذها من دون ذكر لتردد أو مراجعة، وهو المناسب لمقام القوة والثقة والتكريم، في حين قال في القصص: "قال ربّ إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يَقتُلونِ"، فذكر مراجعته لربه وخوفه على نفسه من القتل، وهو المناسب لجو الخوف في السورة ولجو التبسط والنفصيل في الكلام. وكل تعبير مناسب لموطنه الذي ورد فيه كما هو ظاهر. والله أعلم

لسات في وصية لقمان لابنه

لمحات قرآنية تربوية (نظرات بيانية في وصية لقمان لابنه)

تبدأ الوصية من قوله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لَإِنْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنِيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا اللَّهُ غَنِي حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنِ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلَوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ اللَّهُ اللَّهُ وَهُنَا عَلَى وَهُنِ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ الشَّكُرْ لِي وَلَوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ اللَّهُ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥١) يَا بُنيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَل فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي الْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكِ اللَّهُ إِلَيَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَل فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي الْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكِ السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْلَوْمِ إِلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنيَّ أَقِم الصَّلاةَ وَأَمُو بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكِرِ وَالْهُ مَنْ اللَّهُ لا اللَّهُ لا يَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تُصَعِّرُ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهُ لا يُعْتَالُ فَخُورٍ (١٨) وَقُومِ وَاغْضُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكُرَ الْأَصُواتِ لَصَوْتَ الْحَمِيرِ (١٩) يَو عَضْضُ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكُرَ الْأَصُواتِ لَصَوْتَ الْحَمِيرِ الْكَالَة لا اللَّهُ لا عَلَى الْوصِية وقد بدأت بذكر إِتيان لقمان الحكمة

"وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيُّ حَمِيدٌ" ١٢ ا الحكمة

والحكمة هي وضع الشيء في محله قولا وعملا، أو هي توفيق العلم بالعمل، فلا بد من الأمرين معا: القول والعمل، فمن أحسن القول فليس بحكيم. فالحكمة لها فمن أحسن القول ولم يحسن القول فليس بحكيم. فالحكمة لها جانبان: جانب يتعلق بالقول، و جانب يتعلق بالعمل. و الحكمة خير كثير كما قال الله تعالى: "ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خير اكثير ا" البقرة ٢٦٩

الله تعالى مؤتى الحكمة ولذلك نلاحظ أنه تعالى قال: " وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ"

قال (آتينا) بإسناد الفعل إلى نفسه، ولم يقل: لقد أوتي لقمان الحكمة، بل نسب الإتيان لنفسه. والله تعالى في القرآن الكريم يسند الأمور إلى ذاته العلية في الأمور المهمة وأمور الخير، ولا ينسب الشر والسوء إلى نفسه ألبتة. قال تعالى: "وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً. ١ " الجن

فعندما ذكر الشر بناه للمجهول، وعندما ذكر الخير ذكر الله تعالى نفسه وهذا مطرد في القرآن الكريم، ونجده في نحو: "آتيناهم الكتاب" و "أوتوا الكتاب" فيقول الأولى في مقام الخير، وإن قال الثانية فهو في مقام السوء والذم. وقال تعالى: " وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً ١٨٣ الإسراء فعندما ذكر النعمة قال: (أنعمنا) بإسناد النعمة إلى نفسه تعالى. وعندما ذكر الشر قال: "وإذا مسه الشر" ولم يقل: إذا مسسناه بالشر ولم ترد في القرآن مطلقا: زينا لهم سوء أعمالهم، وقد نجد: زينا لهم أعمالهم، بدون السوء، لأن الله تعالى لا ينسب السوء إلى نفسه

_ إن قيل: فقد قال في موضع: "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" البقرة ٢٦٩

فالرد أنه عز وجل قد قال قبلها: "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" فنسب إتيان الحكمة إلى نفسه، ثم أعادها عامة بالفعل المبني للمجهول مقام الشكر

- (أَنِ اشْكُو لِلَّهِ) لها دلالتان:

الشكر والكفر

﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنيٌّ حَمِيدٌ ١٢)

"يشكر" قال الشكر بلفظ المضارع ، والكفران قاله بالفعل الماضي "ومن كفر" من الناحية النحوية الشرط يجعل الماضي استقبالا ، مثال (إذا جاء نصر الله)، فكلاهما استقبال. ويبقى السؤال : لماذا اختلف زمن الفعلين فكان الشكر بالمضارع والكفر بللشي على أن الدلالة هي للاستقبال؟

من تتبعنا للتعبير القرآني وجدنا أنه إذا جاء بعد أداة الشرط بالفعل الماضي فذلك الفعل يُفعل مرة واحدة أو قليلا، وما جاء بالفعل المضارع يتكرر فعله

مثال: " وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ٣ ٩ النساء وبعدها قال: "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَرَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ٣ ٩ " النساء فعندما ذكر القتل الخطأ جاء بالفعل الماضي لأن هذا خطأ غير متعمد، إذن هو لا يتكرر وعندما جاء بالقتل العمد جاء بالفعل المضارع (ومن يقتل) لأنه ما دام يتعمد قتل المؤمن فكلما سنحت له الفرصة فعل. فجاء بالفعل المضارع الذي يدل على التكرار.

مثال آخر: "وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ١٩ " الإسراء ، فذكر الآخرة وجاء بالفعل الماضي لأن الآخرة واحدة وهي تراد. لكن عندما تحدث عن الدنيا قال: "وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ١٤٥ " آل عمران ، لأن إرادة الثواب تتكرر دائما.

كل عمل تفعله تريد الثواب، فهو إذن يتكرر والشيء المتكرر جاء به بالمضارع يشكر، فالشكر يتكرر لأن النعم لا تنتهي " وَإِنْ تَعُدُّوا نعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْأَنْسَانَ لَظُلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤" إبراهيم .

فالشكر يتكرر، كلما أحدث لك نعمة وجب عليك أن تحدث له شكرا أما الكفر فهو أمر واحد حتى إن لم يتكرر، فإن كفر الإنسان بأمر ما فقد كفر، إن كفر بما يعتقد من الدين بالضرورة فقد كفر، لا ينبغي أن يكرر هذا الأمر لأنه إن أنكر شيئا من الدين بالضرورة واعتقد ذلك فقد كفر وانتهى ولا يحتاج إلى تكرار، أما الشكر فيحتاج إلى تكرار لأن النعم لا تنتهي. وفيه إشارة إلى أن الشكر ينبغي أن يتكرر وأن الكفر ينبغي أن يقطع، فخالف بينهما في التعبير فجاء بأحدهما في الزمن الحاضر الدال على التجدد والاستمرار وجاء بالآخر في الزمن الماضي الذي ينبغي أن يتهي.

الله غنی حمید

﴿ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنيٌّ حَمِيدٌ ١٢)

جاءً بإنما التي تفيد الحصر، أي الشكر لا يُفيد إلا صاحبه ولا ينفع الله ولا يفيد إلا صاحبه حصرا أما الله فلا ينفعه شكر و لا تضره معصية

(يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر)

لذلك قال فَإِنَّ اللَّهَ غَنيٌّ حَمِيدٌ

جمع بين هاتين الصفتين الجليلتين الحميد أي المحمود على وجه الدوام والثبوت وهو تعالى غني محمود في غناه

- قد يكون الشخص غنيا غير محمود .
 - أو محمودا غير غني .
- أو محمودا وهو ليس غنيا بعد، فإن اغتنى انقلب لأن المال قد يغير الأشخاص وقد يغير النفوس كما أن الفقر قد يغير النفوس .
- وقد يكون الشخص غنيا وغير محمود لأنه لا ينفع في غناه، ولا يؤدي حق الله عليه ولا يفيد الآخرين، بل قد يجر المصالح لنفسه على غناه .
 - وقد يكون محمودا غير غني، ولو كان غنيا لما كان محمودا، فإن اجتمع الأمران فكان غنيا محمودا فذلك منتهى الكمال .

و في آية أخرى في السورة نفسها قال: " لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) نقول: فلان غني أي هو من جملة الأغنياء، وقد يكون ملكا معه أغنياء فإذا قلت هو الغني فكأن الآخرين ليسوا شيئا بالنسبة إلى غناه وهو صاحب الغني وحده.

فلماذا قال ها هنا فإن الله غني حميد وهناك في السورة نفسها هو الغني الحميد؟

نلاحظ أن في هذه الآية لم يذكر له ملكا و لا شيئا وهذا حتى في حياتنا اليومية نستعمله نقول أنا غني عنك كما قال الخليل:

أبلغ سليمان أبي عنه في جو وفي غنى غير أبي لست ذا مال

فقد تقول: أنا غني عنك، ولكن ليس بالضرورة أن تكون ذا ثروة ومال فهنا لم يذكر الله سبحانه لنفسه ملكا المعنى أن الله غني عن الشكر وعن الكفر لا ينفعه شكر ولا يضره كفر.

أما في الآية الأخرى فقد ذكر له ملكا " لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) فعندما ذكر له ملك السموات والأرض المتسع ، فمن أغنى منه؟ فقال ﴿ هُوَ الْغَنيُّ الْحَمِيدُ ﴾ .

أهمية الحكمة في الوعظ (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لَابْنهِ وَهُو َ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣)

ر وَرِدُ عَنْ عَنْدُنْ عَنِيْ وَلَمُو يَبِيْ مِنْ مُسْرِدٌ بِعَنْ إِنَّ مُسْرِدٌ عَنْ مُسْلًا أَنْ يُحَذَّفُها؟ من هنا بدأت الوصية، فلماذا صدر بقوله: "ولقد آتينا.." وكان يمكن مثلاً أن يحذفها؟ الحكمة لها جانبان: جانب قولي و جانب عملي، وحكمة لقمان ليست فيما ذكره من أحاديث وأقرال وما قاله لابنه من الوصية، وإنما أيضا في العمل الذي فعله وهو تعهده لابنه وعدم تركه بلا وعظ أو إرشاد، وفي هذا توجيه للآباء أن يتعهدوا أبناءهم ولا يتركوهم لمعلمي سوء ولا للطرقات.

وصدّر بالحكمة وهي ذات جانبين قولي وعملي لأمر آخر مهم، فعندما وصى ابنه فهل من الحكمة أن يوصي ابنه بشيء ويخالفه؟ هذا ليس من الحكمة ولو فعله فلن تنفع وصيته، لو خالف الوعظ عمل الواعظ والموجه لم تنفع الوصية بل لا بد أن يطبق ذلك على نفسه، فعندما قال آتينا لقمان الحكمة علمنا من هذا أن كل ما قاله لقمان لابنه فقد طبقه على نفسه أو لا حتى يكون كلامه مؤثرا لذلك كان لهذا التصدير دور مهم في التربية والتوجيه.

ففي هذا القول ولقد آتينا لقمان الحكمة عدة دروس مهمة:

؟ الأول فيما قاله من الحكمة،

؟ الثاني في تعهده لابنه وتربيته وتعليمه وعدم تركه لأهل السوء والجهالة يفعلون في نفسه وعقله ما يشاء،

؟ الثالث قبل أن يعظ ابنه طبق ذلك على نفسه فرأى الابن في أبيه كل ما يقوله وينصحه به من خير ، لذلك كان لهذا التصدير ملمح تربوي مهم وهو توجيه الوعاظ والمرشدين والناصحين والآباء أن يبدؤوا بأنفسهم فإن ذلك من الحكمة وإلا سقطت جميع أقوالهم

التعهد بالنصح مع حسن اختيار الوقت

(وَهُوَ يَعِظُهُ)

نحن نعرف أنه يعظه ويتضح أنه وعظ من خلال الآيات والأوامر وسياق الكلام، فلماذا قال وَهُوَ يَعِظُهُ فيها دلالتان

1. من حيث اللغة: الحال والاستئناس للدلالة على الاستمرار. وهو يعظه اختار الوقت المناسب للوعظ ، ليس كلاما طارئا يفعله هكذا، أو في وقت لا يكون الابن فيه مهيأ للتلقي، ولا يلقيه بغير اهتمام فلا تبلغ الوصية عند ذلك مبلغا لكنه جاء به في وقت مناسب للوعظ فيلقي ونفسه مهيأة لقبول الكلام فهو إذن اختار الوقت المناسب للوعظ والتوجيه

٢. والأمر الثاني (وَهُوَ يَعِظُهُ). فهذا من شأن لقمان أن يعظ ابنه، هو لا يتركه، وليست هذه هي المرة الأولى، هو من شأنه ألا يترك ابنه بل يتعاهده دائما، وهكذا ينبغى أن يكون المربي.

فكل كلمة فيها توجيه تربوي للمربين والواعظين والناصحين والآباء.

الرفق في الموعظة

(يا بني)

كلمة تصغير للتحبيب، أي ابدأ بالكلام اللين اللطيف الهين للابن وليس بالتعنيف والزجر. بل بحنان ورقّة لأن الكلمة الطيبة الهينة اللينة تفتح القلوب المقفلة وتلين النفوس العصية، عكس الكلمة الشديدة المنفرة التي تقفل النفوس. لذلك قال ربنا لموسى عن فرعون: "فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيّناً لَعَلّهُ يَتَذَكّرُ أَوْ يَخْشَى ٤٤ " طه.

وأنت أيها الأب إن أجلست ولدك إلى جانبك ووضعت يدك على رأسه وكتفه، وقلت له يا بني ، فتأكد أن هذه الكلمة بل هذه الحركة من المسح تؤثر أضعاف الكلام الذي تقوله ، وتؤثر في نفسه أكثر بكثير من كل كلام تقوله وتزيل أي شيء بينك وبينه من حجاب وتفتح قلبه للقبول. وعندها فهو إن أراد أن يخالفك فهو يخجل أن يخالفك،

هذه الكلمة اللطيفة الشفيقة تزيل ما ينك وبينه من حجاب، ويكون لك كتابا مفتوحا أمامك، وعندها سيقبل كلامك و الكلمة الطيبة صدقة

لذلك بدأ بهذه الكلمة مع أنه من الممكن أن يبدأ الأب بالأمر مباشرة ولكن لها أثُرها الذي لا ينكر ولا يترك، فأراد ربنا أن يوجهنا إلى الطريقة اللطيفة الصحيحة المنتجة في تربية الأبناء وتوجيههم وإزالة الحجاب بيننا بينهم من دون تعنيف أو قسوة أو شدة، وبذلك تريح نفسه وتريل كل حجاب بينك وبينه ونحن في حياتنا اليومية نعلم أن كلمة واحدة قد تؤدي إلى أضعاف ما فيها من السوء، وكلمة أخرى قون الأمور العظيمة وتجعلها يسيرة

ولقد تعلمت درسا في هذه الحياة قلته لابني مرة وقد اشتد في أمر من الأمور في موقف ما، وأنا أتجاوز الستين بكثير، وكان الموقف شديدا جدا، وقد فعل فعلته في جهة ما وخُبّرت بذلك فجئت به ووضعته إلى جنبي وقلت له: يا فلان تعلمت من الحياة درسا أحب أن تتعلمه وهو أنه بالكلمة الشديدة الناهرة ربما لا أستطيع أن أحصل على حقي ولكن تعلمت أنه بالكلمة الهينة اللينة آخذ أكثر من حقى .

أس الوصية

(يَا بُنيَّ لا تُشْرِكْ باللَّهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣)

لم يبدأ بالعبادة ولم يقل له اعبد الله وإنما بدأ بالنهى عن الشرك، وذلك لما يلى:

؟ أو لا: التوحيد أس الأمور، ولا تقبل عبادة مع الشرك، فالتوحيد أهم شيء.

؟ ثانيا: العبادة تلي التوحيد وعدم الشرك فهي أخص منه. التوحيد تعلمه الصغير والكبير، فالمعتقدات تُتعلم في الصغر وما تعلم في الصغر وما تعلم في الصغر فمن الصعب فيما بعد أن تجتثه من نفسه ، ولن يترك ما تعلمه حتى لو كان أستاذا جامعيا في أرقى الجامعات، هذا ما شهدناه وعايناه بأنفسنا فهذا الأمر يكون للصغير والكبير ، تعلمه لابنك وهو صغير، ويكتاجه وهو كبير، أما العبادة فتكون بعد التكليف.

؟ ثالثا: أمر آخر أنه أيسر، فالأمر بعدم الشرك (أي بالتوحيد) هو أيسر من التكليف بالعبادة، العبادة ثقيلة ولذلك نرى كثيرا من الناس موحدين ولكنهم يقصرون بالعبادة، فبدأ بما هو أعم وأيسر؛ أعم لأنه يشمل الصغير والكبير، وأيسر في الأداء والتكليف.

ثم قال (إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣)

لماذا اختار الظلم؟ لماذا لم يختر : إثم عظيم، ولماذا لم يقل كبير؟

لو تقدم شخصان إلى وظيفة أحدهما يعلم أمر الوظيفة ودقائقها وأمورها وحدودها، ويعبر عن ذلك بأسلوب واضح سهل بين، والثاني تقدم معه ولكنه لا يعلم شيئا ولا يحسنها وهو فيه عبء، وعنده قصور فهم وإدراك، فإن سوينا بينهما أفليس ذلك ظلما؟

ولو تقدم اثنان للدراسات العليا وأحدهما يعرف الأمور بدقة ويجيب على كل شيء، وله أسلوب فصيح بليغ لطيف، وآخر لا يعلم شيئا ولا يفقه شيئا ولم يجب عن سؤال ولا يحسن أن يبين عن نفسه، فإن سويت بينهما أفليس ذلك ظلما؟

والفرق بين الله وبين المعبود الآخر أكبر بكثير، ليست هناك نسبة بين الخالق والمخلوق، بين مولي النعمة ومن ليس له نعمة، فإن كان ذاك الظلم لا نرضى به في حياتنا اليومية فكيف نرضى فيما هو أعظم منه فهذا إذن ظلم، وهو ظلم عظيم والإنسان المشرك يحط من قدر نفسه لأن الآلهة التي يعبدها تكون أحط منه، وقصارى الأمر أن تكون مثله، فهو يعبد من هو أدنى منه، أو بمنزلته، فهذا حط وظلم للنفس بالحط من قدرها، إنه ظلم لأنه يورد نفسه موارد التهلكة ويخلدها في النار وهذا ظلم عظيم.

وأمر آخر أن الإنسان بطبيعته يكره الظلم، قد يرتضيه لنفسه لكن لا يرضى أن يقع عليه ظلم ، فاختار الأمر الذي تكرهه نفوس البشر (الظلم) وإن كان المرء بنفسه ظالما.

و في هذا القول تعليل، فهو لم يقل له: لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ وسكت، وإنما علل له، وهذا توجيه للآباء أن يعللوا لا أن يقتصروا على الأوامر والنواهي بلا تعليل، لا بد من ذكر السبب حتى يفهم لماذا، لا بد أن يعرف حتى يقتنع فهو بهذه النهاية (إنَّ الشَّرِّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣) أفادنا أمورا كثيرة في التوجيه والنصح والتعليم والتربية.

عظم حق الوالدين

(وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنِ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلُوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ١٤) (ووصينا) من قائلها؟ هذه ليست وصية لقمان، هذا كلام الله ، لقمان لم ينه وصيته، هذه مداخلة، وستتواصل الوصية فيما بعد قبل أن يتم الوصية قال الله (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) ، ولم يدع لقمان يتم الوصية، بل تدخل سبحانه بهذا الكلام ، وذلك لأسباب:

؟ أو لا : أمر الوالدين أمر عظيم، والوصية بهما كذلك، فالله تعالى هو الذي تولى هذا الأمر، ولم يترك لقمان يوصي ابنه به، فلما كان شأن الوالدين عظيما تولى ربنا تعالى أمرهما، لعظم منزلتهما عند الله تعالى.

؟ ثانيا : لو ترك لقمان يوصي ابنه يا بني أطع والديك لكان الأمر مختلفا. لأننا عادة في النصح والتوجيه ننظر للشخص الناصح هل له في هذا النصح نفع يعود على الناصح؟ فإن كان فيه نفع يعود على الناصح فأنت تتريث وتفكر وتقول: قد يكون نصحني لأمر في نفسه، قد ينفعه، لو لم ينفعه لم ينصحني هذه النصيحة. لو ترك الله تعالى لقمان يوصي ابنه لكان ممكنا أن يظن الولد أن الوالد ينضحه بهذا لينتفع به، ولكن انتفت المنفعة هنا فالموصى هو الله وليست له فيه مصلحة.

وقال: (ووصينا)، ولم يقل: وأوصينا

والله تعالى يقول (وصّى) بالتشديد إذا كان أمر الوصية شديداً ومهماً، لذلك يستعمل وصى في أمور الدين، وفي الأمور المعنوية: ("وَوَصَى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ١٣٢" البقرة) ("وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ١٣١" النساء)

أما (أوصى) فيستعملها الله تعالى في الأمور المادية : "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْتَيَيْنِ" النساء لم ترد في القرآن أوصى في أمور الدين إلا في مكان واحد اقترنت بالأمور المادية وهو قول السيد المسيح : "وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيَّاً ٣٦" مريم

في غير هذه الآية لم ترد أوصى في أمور الدين، أما في هذا الموضع الوحيد فقد اقترنت الصلاة بالأمور المادية وقد قالها السيد المسيح في المهد وهو غير مكلف أصلا.

قال وصّى وأسند الوصية إلى ضمير التعظيم (ووصينا) والله تعالى ينسب الأمور إلى نفسه في الأمور المهمة وأمور الخير

ولم يقل بأبويه بل اختار بوالديه

الوالدان مثنى الوالد والوالدة، وهو تغليب للمذكر كعادة العرب في التغليب إذ يغلبون المذكر كالشمس والقمر يقولون عنهما (القمران).

والأبوان هما الأب والأم ولكنه أيضا بتغليب المذكر ولو غلب الوالدة لقال الوالدتين، فسواء قال بأبويه أو بوالديه فهو تغليب للمذكر، ولكن لماذا اختار الوالدين ولم يقل الأبوين؟

لو نظرنا إلى الآية لو جدناه يذكر الأم لا الأب: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْن وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْن)

فذكر أو لا الحمل والفطام من الرضاع (وفصاله) ولم يذكر الأب أصلا ذكّر ما يتعلق بالأم (الحمل والفصال) وبينهما الولادة والوالدان من الولادة، والولادة تقوم بها الأم إذن:

؟ أو لا (المناسبة) فعندها ذكر الحمل والقصال ناسب ذكر الولادة.

؟ ثانيا: ذكره بالولادة وهو عاجز ضعيف، ولولا والداه لهلك فذكره به.

؟ ثالثا إشارة إلى انه ينبغي الإحسان إلى الأم أكثر من الأب، ومصاحبة الأم أكثر من الأب، لأن الولادة من شأن الأم وليست من شأن الأب.

لذلك فعندما قال (بوالديه) ذكر ما يتعلق في الأصل بالأم، ولذلك فهذه الناحية تقول: ينبغي الإحسان إلى الوالدة قبل الأب وأكثر من الأب. ولذلك لا تجد في القرآن الكريم البر أو الدعاء أو التوصية إلا بذكر الوالدين لا الأبوين أمثلة:

"وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُلُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفِّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كُرِيماً ٢٣" الإسراء

" وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ٣٦" النساء

" قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ١٥١" الأنعام وكذلك البر والدعاء والإحسان .

"رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ٤١ " إبراهيم

" رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ٢٨" نوح "وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً ٨" العنكبوت .

" وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بُوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً ٥ ٧ " الأحقاف .

لم يرد استعمال (الأبوين) إلا مرة في المواريث، حيث نصيب الأب أكثر من نصيب الأم، أو التساوي في الأنصبة. لكن في البر والتوصية والدعاء لم يأت إلا بلفظ الوالدين إلماحا إلى أن نصيب الأم ينبغي أن يكون أكثر من نصيب الأب.

كما ان لفظ (الأبوان) قد يأتي للجدين : "وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ٣" يوسف

ويأتي لآدمُ وحواء: "يَا بَني آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ٢٧" الأعراف

فاختيار الوالدين له دلالات مهمة.

ثم هو هنا لم يأت بالأب أصلا بل قال (حملته أمه وهنا ..) ولم يرد ذكر للأب أبدا، لذلك كان اختيار الوالدين انسب من كل ناحية.

قد تقول إن هذا الأمر تخلف في قصة سيدنا يوسف عندما قال: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْش وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً • • ١ "

يوسف فاختار الأبوين. الجواب: لم يتخلف هذا الأمر، فعندما قال رفع أبويه لم يتخلف وإنما هو على الخط نفسه، وذلك لما يلي:

؟ أو لا : في قصة يوسف لم يرد ذكر لأم مطلقا ورد ذكر الأب فهو الحزين وهو الذي ذهب بصره .. الخ ولم يرد ذكر للام أصلا في قصة يوسف.

؟ ثانيا : في هذا الاختيار أيضا تكريم للأم لأنه قال: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَحَرُّوا لَهُ سُجَّداً • • ١ " فالعادة أن يكرم الابن أبويه ، ليس أن يكرم الأبوان الابن ولكن هنا هم خروا له سجدا فالتكريم هنا حصل بالعكس من الأبوين للابن ولذلك جاء بلفظ الأبوين لا الوالدين إكراما للام فلم يقل: ورفع والديه

؟ وفيها إلماح آخر أن العرش ينبغي أن يكون للرجال .

فلما قال أبويه هنا ففيه تكريم للأم، ويلمح أن لعرش ينبغي أن يكون للرجال ، ويناسب ما ذكر عن الأب إذ القصة كلها مع الأب، فهو الأنسب من كل ناحية

وهنا قد يرد سؤال: إن الأم هي التي تتأثر وتتألم أكثر وتحزن فلماذا لم يرد ذكرها هنا؟ ألم تكن بمنزلة أبيه في اللوعة والحسرة؟

لا .. المسألة أمر آخر ، أم يوسف ليست أم بقية الإخوة ، هي أم يوسف وأخيه فقط ، ولذلك فيكون كلامها حساسا مع إخوته ، أما يعقوب عليه السلام فهو أبوهم جميعا ، فإذا عاتبهم أو كلمهم فهو أبوهم ، أما الأم فليست أمهم ، فإذا تكلمت ففي الأمر حساسية ، وهذا من حسن تقديرها للأمور فكتمت ما في نفسها وأخفت لوعتها حتى لا تثير هذه الحساسية في نفوسهم وهذا من حسن التقدير والأدب، فلننظر كيف يختار القرآن التعبيرات في مكالها و يعلمنا كيف نربي و نتكلم مع أبنائنا.

لمسات بيانية من سورة القمر

قال الله تعالى : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ {٤٥} فِي مَقْعَدِ صِدْق عِندَ مَلِيكٍ مُّقَنَّدِرٍ) [القمر]. سأل سائل: لم وحد تعالى: (النهر) في هذه الآية ولم يجمعه مع أن الجنات قبله جمع بخلاف المواضع الأخرى من القرآن الكريم، فإنه إذا جمع الجنة، جمع النهر أيضاً فيقول: (جنات تجري من تحتها الألهار)

والجواب: أنه جمع في لفظ (النهر) عدة معان وأعطى أكثر من فائدة لا يفيدها فيما لو قال: (ألهار) ذلك أنه علاوة على أن فواصل الآيات، تقتضي (النهر) لا (الألهار) لأن آيات السورة على هذا الوزن فقد جاء قبلها: (وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر) وجاء بعدها: (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) فإن المعنى أيضاً ذلك من جهات أخرى منها:

أنة النهر اسم جنس بمعنى الأنمار، وهو بمعنى الجمع والكثرة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "أهلك الناس الدينار والدرهم" والمراد بالدينار والدرهم الجنس لا الواحد.

وجاء في (معاني القرآن): "ولهر معناه ألهار وهو في مذهبه كقوله: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وزعم الكسائي أنه سمع العرب يقولون: أتينا فلاناً فكنا في لحمة ونبيذة فوحد ومعناه الكثير".

ومنها: أن معاني (النهر) أيضاً السعة والسعة ههنا عامة تشمل سعة المنازل وسعة الرزق والمعيشة، وكل ما يقتضي تمام السعادة السعة فيه. جاء في (البحر المحيط): "ونهر: وسعة في الأرزاق والمنازل". وجاء في (روح المعاني): "وعن ابن عباس تفسيره بالسعة والمراد بالسعة سعة المنازل على ما هو الظاهر، وقيل: سعة الرزق والمعيشة، وقيل: ما يعمهما".

ومنها: أن من معاني (النهر) أيضاً الضياء .

جاء في (لسان العرب): "وأما قوله ــ عز وجل ــ (إن المتقين في جنات ونهر) فقد يجوز أن يعني به السعة والضياء ، وأن يعني به النهر الذي هو مجرى الماء، على وضع الواحد موضع الجميع... وقيل في قوله: (جنات ونهر) أي: في ضياء وسعة، لأن الجنة ليس فيها ليل، إنما هو نور يتلألأ".

وجاء في (معانى القرآن) لفراء: "ويقال: (إن المتقين في جنات ونمو) في ضياء وسعة" .

وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فإن المتقين في جنات وألهار كثيرة جارية، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السعة، وفي ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة.

فانظر كيف جمعت هذه الكلمة هذه المعاني كلها، إضافة إلى ما تقتضيه موسيقى فواصل الآيات بخلاف ما لو قال (ألهار)، فإلها لا تعنى إلا شيئاً واحداً.

ثم انظر كيف ألهه لما كان المذكورون هم من خواص المؤمنين، وهم المتقون وليسوا عموم المؤمنين أعلى أجرهم ودرجتهم، فقال: (ولهر) ولم يقل: (وألهار) ولما أعلى أجرهم ودرجتهم وبالغ في إنعامهم وإكرامهم جاء بالصفة والموصوف بما يدل على المبالغة فقال: (عند ملك مقتدر) ولم يقل: (ملك قادر) فإن (مليك) أبلغ من (ملك) ورمقتدر) أبلغ من (قادر) فإن كلمة (مليك) على صيغة (فعيل) وهي أبلغ واثبت من صيغة (فعل). جاء في (روح المعانى: "عند مليك، أي: ملك عظيم الملك، وهو صيغة مبالغة، وليست الياء من الإشباع".

ولما جاء بالصيغة الدالة على الثبوت، قال: (في مقعد صدق) "ذلك لأن هذا المقعد ثابت لا يزول، فهو وحده مقعد الصدق، وكل المقاعد الأخرى كاذبة، لأنها تزول إما بزوال الملك صاحبه، وإما بزوال القعيد، وإما بطرده، وهذا المقعد وحده الذي لا يزول، وقد يفيد أيضاً أنه المقعد الذي صدقوا في الخبر به".

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إن معنى الصدق ههنا يفيد معنى الخير أيضاً والجودة والصلاح فجمعت كلمة (الصدق) ههنا معنيي الخير والصدق معاً، كما جمع (النهر) أكثر من معنى ثم انظر كيف ألهم لما صدقوا في إيمالهم وعملهم، كان لهم مقعد الصدق.

و (المقتدر) أبلغ أيضاً من (القادر) ذلك أن (المقتدر) اسم فاعل من (اقتدر) وهذا أبلغ من (قدر) فإن صيغة (افتعل) قد تفيد المبالغة والتصرف والاجتهاد والطلب في تحصيل الفعل بخلاف فعل ومنه اكتسب واصطبر واجتهد قال تعالى: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) [البقرة].

جاء في (الكشاف) في هذه الآية: "فإن قلت: لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟

قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس، وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال". وجاء في (البحر المحيط): "والذي يظهر لي أن الحسنات، هي مما تكتسب دون تكلف والسيئات ببناء المبالغة". وقال سيبويه: "كسب: أصاب، واكتسب: تتصرف واجتهد".

فجاء ههنا، أي: في قوله: (مقتدر) بالصيغة الدالة على القدرة البالغة مع الملك الواسع الثابت.

فانظر كيف بالغ وأعظم في الأجر، وبالغ وأعظم في الملك، وبالغ وأعظم في القدرة لمن بالغ وجد في عمله وصدق

فيه وهم المتقون.

ونريد أن نشير إلى أمر، وهو إطلاق وصف (المبالغة) على صفات الله نحو علام، وعليم، وغفور، وما إلى ذلك فقد توهم بعضهم أنه ينبغي أن لا يطلق على صفات الله وصف المبالغة، لأنها صفات حقيقية وليست مبالغاً فيها. وقد اعترض علي معترض ذات مرة بنحو هذا. مع أنهه من الواضح أن ليس المقصود كما ظن الظان أو توهم فالمقصود أن هذا البناء يفيد كثرة وقوع الفعل، وليس المقصود أن الأمر مبالغ فيه. فرعليم) أبلغ من (عالم) و (صبور) أبلغ من (صابر) ذلك أن الموصوف بعليم معناه أنه موصوف بكثرة العلم، وليس المقصود أن صاحبه وصف بهذا الوصف وهو لا يستحق أن يوصف به فكان الموصف به مبالغة.

لمسة بيانية

من سورتي الطور والقلم

قال تعالى في سورة الطور: ﴿ فَلَا كُرُّ فَمَا أَنْتَ بِنعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنِ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩)).

وقال في سورة القلم :(مَا أَنْتَ بنعْمَةِ رَبِّكَ بمَجْنُونٍ (٢)).

فزاد قوله : (بكاهن) على ما في سورة القلم ، فما سبب ذاك ؟

والجواب: أن هناك أكثر من سبب دعا إلى هذه الزيادة.

١ – منها أنه فصل في سورة الطور في ذكر أقوال الكفرة في الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكروا أنه كاهن ،
 وذكروا أنه مجنون ، وذكروا أنه شاعر . (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون). وقالوا إنه كاذب :(أم يقولون تقوله بل لا يؤ منون).

في حين لم يذكر غير قولهم إنه مجنون في سورة القلم : (ويقولون إنه لمجنون) فناسب ذكر هذه الزيادة في سورة الطور. ٢ - ومنها أنه ذكر في سورة الطور قوله : (أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين) والاستماع مما تدعيه الكهنة لتابعيهم من الجنِّ ، فناسب ذلك ذكر الكهنة فيها.

٣ - ومنها أنه ذكر السحر في سورة الطور فقال : (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون). فناسب ذكر السحر ذكر الكهنة.

٤ - ومما حسن ذلك أيضاً أنه توسع في القَسَم في أول سورة الطور بخلاف سورة القلم ، فقد قال : (والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور * والبيت المعمور * والسقف المرفوع* والبحر المسجور).

في حين لم يقسم في سورة القلم إلا بالقلم وما يسطرون. فناسب التوسع في الطور هذه الزيادة.

٥ - ذكر في سورة القلم في آخر السورة قول الكفرة ، إنه لمجنون ولم يزد على هذا القول ، فقال : (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون) فرد عليهم في أول السورة بنفي الجنون عنه

فقال: (ما أنت بنعمة ربك بمجنون). فناسب آخر السورة أولها.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف ناسب التأكيد بالباء الزائدة في النفي (بمجنون) التوكيد باللام في الإثبات (لمجنون) لأن الباء لتوكيد النفي واللام لتوكيد الإثبات. والله أعلم.

لمسة بيانية

من سورتي المعارج والقارعة

قال تعالى في سورة المعارج :(وَتَكُونُ الْجَبَالُ كَالْعِهْنِ (٩)). وقال في سورة القارعة :(وَتَكُونُ الْجَبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥)). فزاد كلمة (المنفوش) في سورة القارعة على ما في المعارج ، فما سبب ذاك؟ والجواب – والله أعلم :

1 – أنه لما ذكر القارعة في أول السورة ، والقارعة من (القرّع) ، وهو الضرب بالعصا ، ناسب ذلك ذكر النفش ؟
 لأن من طرائق نفش الصوف أن يُقرع بالمقرعة. كما ناسب ذلك من ناحية أخرى وهي أن الجبال تهشم بالمقراع – وهو من القرّع – وهو فأس عظيم تحطم به الحجارة ، فناسب ذلك ذكر النفش أيضاً.

فلفظ القارعة أنسب شيء لهذا التعبير. كما ناسب ذكر القراعة ذكر (الفراش المبثوث) في قوله : (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) أيضاً ؛ لأنك إذا قرعت طار الفراش وانتشر. ولم يحسن ذكر (الفراش) وحده كما لم يحسن ذكر (العهن) وحده.

٢ – إن ما تقدم من ذكر اليوم الآخر في سورة القارعة ، أهول وأشد مما ذكر في سورة المعارج . فقد قال في سورة المعارج : (تعرج لللائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة * فاصبر صبراً جميلاً * إلهم يرونه بعيداً * ونراه قريباً). وليس متفقاً على تفسير أن المراد بهذا اليوم ، هو اليوم الآخر. وإذا كان المقصود به اليوم الآخر فإنه لم يذكر إلا طول ذلك اليوم ، وأنه تعرج لللائكة والروح فيه. في حين قال في سورة القارعة : (القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة) فكرر ذكرها وعَظَّمها وهوَّلها. فناسب هذا التعظيم والتهويل أن يذكر أن الجبال تكون فيه كالعهن المنفوش. وكولها كالعهن المنفوش أعظم وأهول من أن تكون كالعهن من غير نفش كما هو ظاهر.

٣- ذكر في سورة المعارج أن العذاب (واقع) وأنه ليس له دافع (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) ووقوع الثقل على الصوف ، من غير دفع له لا ينفشه بخلاف ما في القارعة ، فإنه ذكر القرع وكرره ، والقرع ينفشه وخاصة إذا تكرر ، فناسب ذلك ذكر النفش فيها أيضاً.

٤ - التوسع والتفصيل في ذكر القارعة حسَّن ذكر الزيادة والتفصيل فيها ، بخلاف الإجمال في سورة المعارج ، فإنه
 لم يزد على أن يقول : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة).

و – إن الفواصل في السورتين تقتضي أن يكون كل تعبير في مكانه ، ففي سورة القارعة ، قال تعالى :(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش). فناسبت كلمة (المنفوش) كلمة (المبثوث).
 و في سورة المعارج ، قال :(يوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن*). فناسب (العهن) (المهل).

٣- ناسب ذكر العهن المنفوش أيضاً قوله في آخر السورة: (نار حامية) لأن النار الحامية هي التي تذيب الجبال ، وتجعلها كالعهن المنفوش ، وذلك من شدة الحرارة ، في حين ذكر صفة النار في المعارج بقوله: (كلا إنها لظى * نزاعة للشوى) . والشوى هو جلد الإنسان. والحرارة التي تستدعي نزع جلد الإنسان أقل من التي تذيب الجبال ، وتجعلها كالعهن المنفوش ، فناسب زيادة (المنفوش) في القارعة من كل ناحية. والله أعلم.
 ٧- كما أن ذكر النار الحامية مناسب للقارعة من ناحية أخرى ، ذلك أن (القرَّاعة) – وهي من لفظ القارعة – هي القداحة التي تقدح بما النار.

فناسب ذكر القارعة ، ذكر الصوف المنفوش ، وذكر النار الحامية ، فناسب آخر السورة أولها. وبهذا نرى أن ذكر القارعة حسَّنَ ذكر (المبثوث) مع الفراش ، وذكر (المنفوش) مع الصوف ، وذكر النار الحامية في آخر السورة. والله أعلم.

سورة الحديد

نظرة عامة:

تبدأ سورة الحديد بقوله تعالى (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) هل لها علاقة بما قبلها؟ هي قبلها سورة الواقعة تنتهي بقوله تعالى (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)) وقال بعدها (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) الحشر) يعني لقد سبّح لله فسبِّح أنت، توافق مع ما في السموات والأرض، هؤلاء كلهم سبحوا الله سبحانه وتعالى فسبِّح أنت باسم ربك العظيم. لا شك أن هذه مناسبة بيانية لطيفة.

علاقتها بما بعدها؟ بعض الذين كتبوا في القرآن قالوا: القرآن في إتصال بعضه ببعض وقالوا كالسورة الواحدة ثم قالوا بل كالآية الواحدة بل قالوا كالكلمة الواحدة في كونه متصلاً بعضه ببعض. وقال الرازي " هو كالكلمة الواحدة في تو افقه و إتصال بعضه ببعض". فعلاقة السورة بما بعدها: خاتمة السورة هي (لِنَلًا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلًا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْء مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْهَصْلُ بَيكِ اللَّهِ وَاللَّهُ دُو الْفَصْلِ الْعُطِيم (٢٠) وتأتي بعدها سورة الجادلة (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلُ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)) نسأل: جبار السموات والأرض ملك الملوك يسمع لشكوى امرأة لم يجد لها الرسول صلى الله عليه وسلم مخرجاً اليس هذا من الفضل العظيم؟ جبار السموات والأرض ملك الملوك يسمع خولة بنت ثعلبة تجادل في روجها أوس ابن الصامت فإذن أولاً من أعظم الفضل أن يسمع الله سبحانه وتعالى لهذه المرأة ويذكر لها مخرجاً وإلم الإيق الله عليه وسلم عليه المنفق أن يسمع الله سبحانه وتعالى لهذه المرأة ويذكر لها مخرجاً الآية الأولى في سورة الجادلة (قَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلُ الّي تُجَادِلُكَ فِي رَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللّهِ وَاللّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمَا القُرب. في أوائل سورة الجادلة (قَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلُ الّذِي تُجَادِلُكَ فِي رَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللّهِ وَاللّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُمَا اللّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) قال تعالى (يسمع) ولم يقل يعلم لأن العلم قد تكون بعيداً عنه و تعلم أما السمع فيدل على القُرب. في أوائل سورة الحديد قال تعالى (هُو الَّذِي حَلَقَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُ جُ فِيهَا وَهُو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا الْقَعْلَون بَعِيدًا وَهُو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْلَون بَعِيدًا وَهُو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْلُون بَعِيدًا وَهُو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْلُون بَعِيدًا وَهُو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْلُون بَعِيدًا وَهُو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا السَمَع فيدًا وَلَا السَمَع فيدًا وَلَا السَمَع فيدًا مَا السَمَع فيدًا وَلَا اللهُ اللهُ فَا اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ عَلَا اللهُ اللهُ وَلَا ا

هو معكم، إذن يسمع تحاوركما، الذي معك يسمع التحاور إذن هناك إرتباط. في آية المجادلة قال تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْء عَلِيمٌ) أليس اذنى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنبِّهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْء عَلِيمٌ) أليس هذا مرتبطاً بقوله تعالى في سورة الحديد (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فَي الْورة وَمَا يَعْرُبُ مُن السَّمَاء وَمَا يَعْرُبُ جُ اللهِ وَهَا وَهُوا مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)؟ إذن الإرتباط واضح ظاهر سواء كان في خاتمة السورة العرب كانت السابقة أو في بداية السورة اللاحقة. إذن هذا الترتيب هو ترتيب توقيفي وهذا الذي عليه الجمهور. والعرب كانت تفهم هذا الكلام وتفهم أكثر مما نفهم لكن فقط الناحبة العلمية وللكتشفات العلمية هذا أمر آخر. لكن من حيث

البلاغة هم يفهمون أكثر مما نفهم لذلك عندما تحداهم بسورة قصيرة كالكوثر أو العصر أو الصمد (فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مَّن مِّنْلِهِ (٢٣) البقرة) لم يفعلوا، سور قصيرة ليس فيها تشريع ولا قصص ولا تاريخ لكنهم سكتوا وعجزوا معناه ألهم كافرهم ومسلمهم يدركون من أمور البلاغة ما لا ندركه نحن.

(سبّح) ما معنى كلمة التسبيح؟ وهل له أنواع؟

التسييح هو التنزيه عما لا يليق، أصل التسييح هو التنزيه (سبّح الله) أي نزّهه هؤ لاء كلهم بما نفقه وبما لا نفقه من تسيحهم (وَإِن مِّن شَيْء إِلاَّ يُسبِّح بُحمْدَه وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُن تَسْبِيحهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) الإسراء) الطير تسبّح والأشجار تسبّح وكل شيء يسبح (وَظِلالُهُم بِالْعُلُو وَالآصَالِ (٥١) الرعد) لا نفقه تسييحها. التسبيح هو التنزيه عن كل ما لا يليق، عن كل نقص، أن تقول الله ولد أو تشبهه بخلقه أو أي شيء لا يليق بذاته. التسبيح ورد في صور شتى: ورد التسييح بالفعل الماضي (سبّح) وورد بالفعل المضارع (يسبح) وورد بفعل الأمر (فسبّح) (سبّح اسم ربك) وورد باسم المصدر (سبحان الذي أسرى بعبده) كل هذا ورد فيه، لماذا؟ سبّح للزمن الماضي، يسبح مضارع للحال والاستقبال (للضارع للاستقبال كما في قوله تعالى (إن الله يفصل بينهم) هذا في يوم القيامة) حتى أن بعض النحاة قالوا هو للإستقبال أو لا ثم للحال. (سبّح) الأمر وهو يدل على أن تبدأ به وتستمر، سبحان إسم مصدر. إسم المصدر قريب من المصدر، سبحان معناه علم على التنزيه نلاحظ أن الفعل مرتبط بزمن وبفاعل حتى مصدر. إسم المصدر هو الحدث المجرد الذي ليس له زمن و لا فاعل. إذن صار التنزيه إستغراق الزمن الماضي (سبح) والحال والمستقبل (يسبح) والأمر بالتسبيح ومداومته (سبّح) وسبحان التسبيح وإن لم يكن هناك من لم يسبح في السموات والأرض قبل الزمان وبعد الزمان إن كان أحد أو لم يكن فهو يستحق التنزيه سبحانه سواء كان هناك من بيسبح بفاعل أو بدون فاعل فاستغرق جميع الأزمنة وقبل الأزمنة وبعد الأزمنة واستغرق الخلق وما قبل الخلق وما بعد الخلق.

ليس هذا فقط إنما لاحظ كيف ورد التسبيح؟ ورد التسبيح (سبِّح اسم ربك الأعلى) ذكر الإسم، و(سبِّحوه بكرة وأصيلا) لم يذكر الإسم وذكر المفعول به مباشرة، (سبِّحه) (سبِّح اسم ربك الأعلى) متعدي وسبِّح باسمه متعدي بالباء، متعدي بنفسه والتعدية بالإسم وبالحمد (فسبح بحمد ربك)، (سبّح) هو في الأصل فعل متعدي. الفعل اللازم هو الذي يكنفي بفاعله ولا يأخذ مفعول به مثل ذهب ومشى ونام، الفعل المتعدي يتعدى إلى مفعول به مثل أعطى، وأحياناً يستعمل المتعدي كاللازم بحسب الحاجة مثلاً أحياناً يكون متعدياً إلى مفعوليم أو يذكر مفعو لا واحداً مثلاً (وَلَسَوُفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) الضحى) ماذا يعطيك؟ أطلق العطاء ولم يقيده بأمر معين. وقالوا يستعمل استعمال اللازم كما في قوله تعالى (حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) التوبة) وأحياناً لا يذكر المفعول به أصلاً (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّقَوْمٍ يسمعمون (٢٧) يونس) (يفقهون) فعل سمع متعدي (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٥) النمل) علم تأخذ مفعولين ما ذكرها لأنه أراد الفعل بالذات ولم يُرِد المتعلق. قد نستعمل المتعدي كاللازم نويد الفعل وليس مرتبطاً بالمفعول به كما تقول مثلاً: فلان يعطي ويمنع، ماذا يعطي؟ وماذا يمنع؟ (قَالَ لَا تَخَافًا إِنَّي مَعَكُمًا أَسْمَعُ وَأَرَى (٢٦) طه) هو يسمع ويرى ولا يقيّد بشيء معين.

لم لم يستخدم إسم المصدر ليخرجه من دائرة الزمان ودائرة الفعل؟

هذا فيه زمان وفيه فاعل (أسمع وأرى) الفاعل موجود والزمن موجود. (سبّح) يستخدمه القرآن متعدياً بنفسه مرة أو بحرف جرّ مرة أخرى فهل هناك من فرق بياني؟

سبّحه أي نزّهه، سبّح لله للتعليل أي الإخلاص تسبّحه لأجله (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) الأنعام) يسموها لام التعليل لبيان العِلّة وهي تدل على الإخلاص. فقوله (سبّح لله) أي أخلص التسبيح له فمن صلّى ولم يصلي لله، هو قام بالفعل لكن لم يصلي لله التسبيح له فهو لم يسبح لله، هذا هو الإخلاص معقد النية التي لأنه لم يُخلِص، لو سبّح أمام الناس لكن لم يكن التسبيح لله فهو لم يسبح لله، هذا هو الإخلاص معقد النية التي تتحول إلى عبادة ألم يقل تعالى (فَوَيْلٌ لَّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاوُونَ (٦) الله عبادة ألم يقل تعالى (فَوَيْلٌ لَلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاوُونَ (٦) الماعون) هم يصلون ولكنهم يراءون، (كالذي ينفق ماله رئاء الناس) لو أنفق لله لقبُل، لو سبّح لله لقبُل. إذن هناك فرق (سبّح) قام بالفعل لكن (سبّح لله) قام بالفعل وأخلص التسبيح له (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ لَلهِ الله على لغير الله ما يُقبل.

إذا تعدى الفعل بنفسه (سبّحه أي نزّهه) أي قام بالفعل، (سبّح الله) صلّى وصلّى له، زكّى وزكّى له، نسك ونسك له، لأجله إذن (سبح الله) أي سبّحه بإخلاص.

يقول تعالى (سبح لله ما في السموات والأرض) ومرة يقول (سبح لله ما في السموات وما في الأرض) فهل هناك فارق بينهما؟

كل الآيات بلا استثناء إذا كرر (ما) يعقب الآية بالكلام على أهل الأرض في كل القرآن في آيات التسبيح كلها، إذا قال (ما في السموات وما في الأرض) يعقب الكلام لأهل الأرض (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) الصف) لأهل الأرض، في سورة الحشر وهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُو الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفُرُوا مِنْ أَهْلِ الْكَتَابِ (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُو الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفُرُوا مِنْ أَهْلِ الْكَتَابِ مِن ذِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ (٢)) لأهل الأرض. وإذا لم يكرر (ما) لا يذكر أهل الأرض لا يعقبها وإنما يعقبها بشيء عن نفسه أو شيئ آخر (سَبَّحَ لِلَهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْدِي وَيُمِيتُ وَهُو عَلَى كُلَّ شَيْءَ قَدِيرٌ (٢) الحديد) لم يتكلم على أهل الأرض. في جميع القرآن حيث كرر (ما) يعقبها المي يعقبها المي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢)) ما كرر (ما)، سورة الحشر أولها قال (سَبَّحَ لِلَهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي السَّمَاوِي الْمَورِ (ما) وفي نما يه الماد المؤر وهُو اللَّهُ الْخَالِقُ الْمُعَاوِلُ الْمُعَامِ الْمُعَامِ اللْمُسَاءِ الْحُسْرِ وَهُو الْعَرِيزُ الْحَكِيمُ اللهُ الْمُ اللهُ الْمُعَامِ اللهُ الْمُعَامِ اللهُ المُعَلِقُ المَعْمَى أَلْوَلُ اللهُ الْمُعَامِ اللهُ الْمُعَامِ اللهُ الْعَلَيْ اللهُ الْحَدِيمُ اللهُ الْمُعَامِ اللهُ الْعَلَقُ الْمُعَلِقُ الْمُعَلِقُ اللهُ الْمُعَامِ اللهُ الْمُعَلِقُ الْمُولِ اللهُ الْمُعَلِقُ اللهُ الْمُعَامِ اللهُ اللهُ الْحَدْلُولُ اللهُ الْحَدْلُ الْمُعَامِ اللهُ الْمُعَامِ الل

حذف قُصِد قصداً ولم يأت هكذا.

ما الفرق بين (ما) و (من) في الإستخدام اللغوي؟

في اللغة تستعمل (ما) لذوات غير العاقل ولصفات العقلاء (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ (٢٩) طه) ماذا في يمينه؟ عصاه، (تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا) لذات غير العاقل ولصفات العقلاء. تقول من هذا؟ هذا فلان، تسأل ما هو؟ تسأل عن صفته فيقال مثلاً هو تاجر، (من هو؟) تسأل عن ذاته. (ما) هي تستعمل لأمرين: لذات غير العاقل ولصفات العقلاء (فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء (٣) النساء) عاقل وربنا سبحانه وتعالى يستخدمها لنفسه كما جاء في سورة الشمس (وَتُفْس وَمَا سَوَّاهَا (٧)) يتكلم عن نفسه سبحانه. (ما) تقع على صفات أولي العلم جميعاً حتى قسم من النُحاة أدق لا يقولون العقل لأن الله تعالى لا يوصف بالعقل ولا يصق نفسه أنه العاقل وإنما العالم، فيقول النحاة لذوي العلم وذوات غير العاقل. في سورة الليل قال تعالى (وَمَا خَلقَ الذَّكرَ وَالْأَنشَى (٣)) من الخالق؟ الله سبحانه وتعالى، في سورة الكافرون (وَلَا أَشُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣)) ما أعبد هو الله تعالى، (وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُمْ (٤)) الأصنام غير عاقلة و (ما) تستعمل لذوات غير العاقل وتستعمل لصفات العقلاء.

(من) إذا إنفردت تكون لذوات العقلاء تحديداً، قد تستعمل في مواطن تخرج عن هذا الأمر مثلاً أنت تُنزِلاً غير العقل منزلة العقل، تتكلم مع حصانك يقولون لك: من تُكلِّم؟ تقول: أكلِّم من يفهمني، من يحفظني، هذا تجوز. في الأصل أن (من) لذات غير العاقل وأحياناً يشترط العقل مع غير العاقل فتطلق عليهم (من) فيصير تفصيل (واللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رَجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ (٥٤) النور) من يمشي على بطنه غير العقل، من يمشي على رجلين الإنسان، اجتمعت في عموم فصل بد (من) لها مواطن. أما إذا انفردت فلا تكون إلا للعاقل (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّهِيفُ الْخَبيرُ (١٤) الملك) لذي العِلم.

(سبّح الله) بصيغة الماضي وفي بعض السور (يسبح) بصيغة المضارع فهل هذا مقصود بذاته؟

نلاحظ أنه كل سورة تبدأ بــ (سبّح) بالفعل الماصي لا بد أن يجري فيها ذكر للقتال في كل القرآن أي سورة تبدأ بــ (سبّح) فيها ذكر للقتال أبداً. سورة الصف (سبّح لِلّهِ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي اللّهِ صَفَّا كَأَنّهُم بُنيَانٌ السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْارْضِ وَهُوَ الْغَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) إِنَّ اللّه يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنّهُم بُنيَانٌ السّمَاوَاتِ وَمَا فِي اللّهِ سَرة الحديد (سبّح) لا بدأن يجري فيها ذكر القتال. هذه الآية في سورة الحديد (سبّح لِلّهِ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَاللّارْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)) (لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلُ أُولِيكَ أَعْظَمُ وَمَا اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرٌ (١٠)) ليس هنالك سورة في المرّدة في السّمَاوَاتِ وَاللّارِينَ أَنفقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرٌ (١٠)) ليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـــ (بسبح) إلا ويجري فيها ذكر للقتال وليس هنالك سورة في القرآن تبدأ بـــ (بسبح) إلا لم يذكر فيها القتال. هذا توجيه للناس في الحاضر والمستقبل أن يتركوا القتال، أن لا يقاتلوا، الذي جرى جرى في تاريخ البشرية الحال والاستقبال عليهم أن يتركوا القتال ويعيشوا حياهم، ينصرفوا إلى العاون وما هو أنفع وما هو أجدى وما هو خير. هو توجيه لما يقول (يسبح) للضارع يدل على الحال والاستقبال لم يذكر القتال وكأنما هو توجيه لم وتوجيه المنقول (يسبح) كأنه توجيه لما الفعل والاستقبال المني ماضي ذهب لكن (يسبح) كأنه توجيه لعباده. يتحادثوا، أن تكون صدورهم رحبة، هذا أنفع هم من القتال لا يليق كما قالت

الملائكة (قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ اللَّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٣٠) البقرة).

تقديم الجار والمجرور على الفاعل في قوله (سبح لله ما في السموات والأرض):

النقديم حسب الاهتمام في البلاغة، هل الكلام على الفاعل الآن أو على مستحق التسييح؟ الكلام على الله وليس على الله وليس على الفاعل لكن ينقدم المفعول على الفاعل لأغراض بلاغية.

لماذا قدم السموات على الأرض؟ أو لا من الذين كان يسبح سابقاً أهل السماء أو أهل الأرض؟ أهل السماء لأن أهل الأرض لم يكونوا موجودين أصلاً، قبل أن خلق آدم فبدأ بمن هو أسبق تسييحاً، بمن هو أدوم تسييحاً ريُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) الأنياء) (فَإِنِ اسْتَكُبُّرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَلَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) الأنياء (فَإِنِ اسْتَكُبُّرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) فصلت) فبدأ بأهل السماء لأهم أسبق في التسييح قبل خلق آدم ولأنهم أدوم قي هذه العبادة.

أول آية في سورة الحديد من الناحية البيانية:

ذكرنا أن فيها تقديم وتأخير وفعل ماضي ومضارع لكن الآية (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَوِيزُ الْحَكِيمُ (١)) العزيز في اللغة هو الغالب الممتنع والحكيم لها دلالتان إما أن تكون من الحُكم أو من الحِكمة. أصلاً الحكيم لها أكثر من دلالة لكن هنا فيها دلالتين. الحكيم قد تكون إسم مفعول بمعنى محكم (فعيل بمعنى مفعول مثل قتيل بمعنى مقتول) وحكيم بمعنى مُحكم قال تعالى (ذَلِكَ نَشُلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذَّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨) آل عمران) وقي سورة هو د قال تعالى (الركِتَابُ أُحْكِمَتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصَلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرِ (١)) يعنى مُحكم. هنا في هذه الآية حكيم لها دلالتان: حكيم من الحُكم وحكيم من الحِكمة ونجمع المعنيين للتوسع في المعنى لأنه أحياناً في اللغة الكلمة الواحدة يراد كل معانيها التي تحتملها في آن واحد وهذا يسمى التوسع في المعنى في جملة واحدة تحتمل كل دلالاتما اللغوية ويريد هذا الشيء وليس لها معنى محداً لأن أحياناً المعنى احتمالي. الجملة العربية نوعان ذات جلالة قطعية وذات دلالة احتمالية حتى لو وضعتها في سياقها. دلالة قطعية أي دلالة واحدة (وَأَحَلَّ اللهُ البُّيْعُ وَحَرَّمَ الرِّبًا ماء أو قدح؟ إذا قلتها بالإضافة فيها إحتمالان إحتمال أنك اشتريت الماء ومحتمل اشتريت الماء ولا يمكن أن تكون بالنصب : إشتريت قدحاً ماء تعني أنك اشتريت الماء فقط ولم تشتر القدح، إشتريت الماء ولا يمكن أن تكون الشتريت القدح. هنا الحكيم يحتمل المعنيان والمعنيان مرادان.

الحلقة الثالثة:

سورة الحديد:

تكلمنا في الحلقة الماضية على مفتتح سورة الحديد (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) وذكرنا بعض الأمور التي تتعلق بالنقديم والتأخير وذكر (ما) وعدم ذكرها وتوقفنا في نهاية الحلقة عند (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) وقلنا أن معنى العزيز هو الغالب الممتنع والحكيم فيها إحتمالان فعيل من الحِكمة أو من الحُكم. الحكمة هي وضع الشيء في محله قولاً وعملاً ويقولون (توفيق العلم بالعمل). بالنسبة للناس إذا يتكلم واحد في غير مكانه وفي غير مقام فهو ليس بحكيم وإنما ينبغي أن يختار الوقت المناسب مع الأشحاص المناسبين ويتكلم بما هو في مستواهم ولا

ينبغي أن يقول شيئاً ويفعل ضده فهذا ليس بحكيم. إذن الحكمة وضع الشيء في محله قولاً وعملاً. والله تعالى ذو الحكمة البالغة. الحكيم فيها اعتباران: قد تكون من باب الحكمة (الحكيم) وقد تكون من باب الحُكم (حكيم) والآية تجمعهما معاً وهذا يسمى باب التوسع في المعنى. أحياناً يؤتى بكلمة واحدة أو تعبير واحد يجمع عدة معاني كلها مرادة داخل سياق واحد. إذا أردت أن تعين لا بد أن تأتي أما بتعبير ذي دلالة واحدة قطعية أو تأتي بأمور أخرى حتى تصل إلى هدفك. مثال قوله تعالى: (وَبصَدِّهِمْ عَن سَييلِ اللهِ كَثِيرًا (١٦٠) النساء) ما المقصود؟ كثيراً من الناس؟ كثيراً من الصدّ؟ كثيراً من الوقت؟ يحتمل ولا يوجد قرينة سياقية تحدد أحدها وإنما أرادها الله سبحانه وتعالى جميعاً يصدون كثيراً من الناس وكثير من الصدّ، هذا يسمى التوسع في المعنى. (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا وَتعالى اللهِ عَن الناس وكثير من الصدّ، هذا يسمى التوسع في المعنى. (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا اللهِ عَنْ سَيون (١٥) الفتح) هل قليلاً من الفهم؟ قليلاً منهم؟ يحتمل وهي مرادة. (فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلَي قليلاً وقتاً قليلاً وليبكوا بكاءً كثيراً زمناً

كثيراً ولو أراد تعالى أن يحدد يأتي بما يحدد كما قال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (13) الأحراب) المراد هنا الذكر. هناك تعييرات يسموها احتمالية ويراد بما أن تجمع لها المعاني من باب التوسع في المعنى. مثلاً في الأحكام الشرعية: (وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ (٢٨٣) البقرة) و (لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ للهُ بِولَدِهِ الله الله الله والمناققة بدليل الراء في (يضارً) مفتوحة. هل هي لا يضارر؟ أي لا يضره أحد أو لا يضارر، هو لا يضر أحداً؛ محتمل أن الكاتب والشهيد يضغط عليه ويضر عليه ويهدد فيغير من شهادته يحتمل هذا المعنى أو أن الشهيد لا يريد أن يشهد لأسباب في شهسه، يغير في الشهادة. لا يصارر أو لا يضارر؟ لو أراد أن يقيد كان يقول ولا يضارر فيكون قطعاً هو المقصود (نائب فاعل) لو أراد أن الكاتب هو الذي يُضر يقول لا يضارر. مع أن الله سبحانه وتعالى قال في القرآن (ومن يرتدد) في مكان لو أراد أن الكاتب هو الذي يُعضر عليه هناك عطف لكنه أو جز تعيراً ويجمع المعاني ويسمى التوسع في المعنى. يجمعهما معاً يريد كلاهما. إذن لو فك يجعل هناك عطف لكنه أو جز تعيراً ويجمع المعاني ويسمى التوسع في المعنى. (لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَله بيث عَمع إبنها؟ ما المقصود؟ المعنيان مرادان وكلاهما منهي. عندنا باب إسمه التوسع في المعنى في علم المعنى، عندنا دلالة قطعية وعندنا دلالة احتمالية وهذه الاحتمالية تحتمل معاني قد تراد كلها أو بعضها أو كلها يسموه التوسع في المعنى.

الحكيم من الحِكمة ومن الحُكم، هذا الجمع (العزيز الحكيم) أجمل جمع: العزيز قد يكون حكيماً وقد لا يكون حكيماً، وقد يكون حاكماً وقد لا يكون حاكماً، الحاكم هو منتهى العزة منتهى العزة أن يكون حاكماً فإذن الآن صار كمال العزة بالحكم أعز شيء. نأتي إلى الحكمة إذا كان العزيز متهوراً تكون عزته صفة ذم فإذن ينبغي أن يتمم بالحكمة. فإذن ربنا تعالى هو العزيز الحكيم والحاكم الحكيم، كمّل في العزة بالحُكم فكان أعلى شيء لأن منتهى العزة أن يكون حاكماً وأكمل الكمال عنلما كان عزيزاً فهو حكيم وعندما كان حكيماً فهو حكيم إذن اجتمعت العزة والحكمة. لو كان عزيزاً غير حكيم تكون صفة ذم ولو كان حاكماً غير حكيم تكون صفة ذم. إذن الإثنين مرادان وقدم العزيز على الحكيم لأنه عز فحكم، ليس عندنا في القرآن الكريم حكيم عزيز.

عزيزاً ثم يكون حاكماً، كيف يكون حاكماً؟ كيف وصل إلى الحكم؟ إذا لم يكن هناك جماعة تعزه فتوصله إلى الجكم؟ لا بد أن هناك جماعة أوصلوه فلا بد أن يكون عزيزاً عند هؤ لاء حتى أوصلوه، إذن عز فحكم.

الأمر الآخر، قال (العزيز الحكيم) بالتعريف ولم يقل هو عزيز حكيم بالتنكير لأنه أراد أن يقصر العزة في الحقيقة وحده لا عزة لغيره على سيل الحقيقة والحكيم هو الحاكم في الحقيقة ولا حاكم سواه على وجه الحقيقة. أإن الله تعالى هو الذي يعز ويذل ويؤتي الحكم وينزعه (قُلِ اللَّهُمُّ مَالِكَ الْمُلْكِ ثُوْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتُنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن الْمُلْكِ ثُوْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتُنزِعُ الْحَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ (٢٦) آل عمران) إذن هو صاحب العزة، الحكمة (يُؤتِي الْحِكْمة مَن يَشَاء (٢٦) البقرة)، الحكم (وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ (١٤) الرعد) هذا التعريف القصر على أنه في الحقيقة كل عزة سوى عزته هي منه سبحانه سواء أعز أو أذلّ. وقد استخدم كلمة (عزيز) نكرة في القرآن وهذا بحسب السياق الذي تأتي فيه وهذا يحدد التنكير والتعريف.

الآية التالية: (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) الحديد) ذكر أولاً أنه سبح له ما في السموات والأرض ثم ذكر أن له ملك السموات والأرض وهذا يقتضي أنه ملك ما فيهما لأن الملك هو الحُكم (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمٍ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ (١٥) الزخرف) إذن لما قال (له الملك) إذن هو الملك لأن الملك لأن الملك لا يكون إلا على رعية، إذن هو الملك، هو ملك ما فيهما. أفاد تقديم الحار والمجرور (له) على أنه لا مملك لأحد سواه على الحقيقة.

في خارج القرآن يمكن أن يقال: (ملك السموات والأرض له) لو قدمنا الخبر وكان المبتدأ معرفاً لأن أحياناً التقديم يصير واجباً إذا كان نكرة، تقول: في الدار رجل، (لا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تُفِد). لكن إذا كان المبتدأ معرفة فتقديم الخبر يقولون للإهتمام وأبرزها القصر. محمد قائم، قائم محمد ، محمد في الدار، في الدار محمد، "محمد في الدار" هذه مبتدأ وخبر، "في الدار محمد" مبتدأ وخبر لكن قدمنا الخبر كأن الشخص يقول له لا ليس في الدار ولا يقول في له لا في الدار، (محمد في الدار) إذا كان المخاطب خالي الذهن وسألته أين محمد؟ يقول: محمد في الدار ولا يقول في الدار محمد، الأصل عدم النقديم، الأصل حفظ المراتب وعدم التقديم: الفعل، الفاعل، المفعول به ثم القيود، هذا هو الأصل هذا لا يُسأل القاتل لم قال هكذا؟ إذا قال أحدهم: أكرم محمد خالداً لا نسأله لم قلت هذا؟. ولكن إذا قال عمد أكرم خالداً نقول لماذا قدّمت محمد؟ لأنه خالف الترتيب. "في الدار محمد" يجب أن يكون هناك أمر أن المخاطب يعتقد أن محمداً ليس في الدار، تقول له أنت هو في الدار، هو يرى أنه في الدكان، في المحل. من أهم أغراضه القصر وله أغراض أخرى كالاهتمام. في قوله تعالى (له ملك السموات والأرض) هذا حصراً، لو قلنا رملك السموات والأرض له) هذا إحبار لكن لا يفي أن يكون كما تقول فلان يملك وفلان لا يملك، لا يمنع أن يكون لأحد آخر ملك، هناك مالكين آخرين في هذا الملك، ليس هو الملك الوحيد وقد يكون هناك مالكون آخرون يكون إخباراً وليس من باب الحصراً لا ملك إلا هو حصراً ليس لغيره ولو قيل (ملك السموات والأرض له)

سؤال من المقدم: (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ما دلالة ورود هذه الآية بعد الآية الأولى؟ وهل هناك علاقة رابطة بينهما؟

ينزه الله تعالى، الشخص قد يُحمد في ذاته لم يكن مالكاً أو ملكاً فإن حكم فقد يتغير. شخص تعرفه في ذاته جيد ليس ملكاً فإذا صار ملكاً فقد يتغير أو ليس مالكاً فإن ملك على آخرين قد يتغير. إذن ربنا تعالى ذكر أنه منزه في جميع أحواله: منزه في ذاته (سبح الله) قبل أن يكون هناك ملك وقبل أن يكون هناك أحد، ومنزه في صفاته، منزه في عزته، منزه في حكمته، منزه في حكمته، منزه في حكمته، منزه في ملكه، منزة في إحيائه وإماتته، لا يحيي ويميت عن عبث وإنما لحكمة، فهو منزه في كل ذلك، لا يفعل ذلك إلا عن حكمة. هذا يدل على خضوع أهل السموات والأرض له خضوع قهر وخضوع عبادة. قهر يعني غالب، قوة. (الذي له ملك السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) هذا متمكن ورب العالمين وصف تعالى نفسه بالقهار (الواحد القهار) والقهر هو التمكن، هذا خضوع قهر. كثير من الرؤوساء في المدول يُخضعون رعيتهم خضوع قهر. ربنا له خضوع، خضوع قهر باعتبار أنه هو المتمكن العزيز الحبار والمحيي والمميت هذا خضوع قهر لأنه متمكن. وخضوع عبادة (سبح الله) إذن هو يستحق التنزيه في كل هذه لأنه عندما والمميت هذا خضوع عبادة؟ الرؤوساء هل تخضع لهم رعيتهم خضوع قهر أو خضوع عبادة؟ حضوع قهر. رب العالمين سبحانه وتعالى عباده يخضعون له في ملكه خضوعان: قهر وعبادة. البعادة (سبح الله) وقهر (العزيز الحبار)، (يحيي ويميت) هذا قهر، سبحان من قهر عباده بالموت. إذن هذه الآية جمعت تنزيه خضوع العبادة (سبح الله) وخضوع القهر بما ذكر من الصفات فهو منزه في ذاته وصفاته سبحانه.

سؤال من المقدم: ورد في بعض آي القرآن الكريم (السموات والأرض وما بينهما) أما في هذه السورة فلم يرد (ما بينهما) فهل لهذا دلالة؟

كل موطن في القرآن الكريم يذكر (وما بينهما) يأتي تعقيب على من يذكر صفات الله تعالى بغير ما يستحق، تعقيب على قول النصارى (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) وعلى قول اليهود (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاوُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا يَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) المائدة). بعد أن قال تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّةُ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِن اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّةُ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخُلُقُ مَا يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءً وَلَا لَهُ مَلْكَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخُلَقُ مَا يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءً وَلَون نَى أَبِناء الله وأحباؤه تأتي بعدها (وما بينهما) لماذا رقيتم أنفسكم؟ هو تعالى لا يحتاج هذا حتى يتخذكم أبناء الله وأحباؤه تأتي بعدها (وما بينهما) لماذا رقيتم أنفسكم؟ هو تعالى لا يحتاج هذا حتى يتخذكم أبناء وهو الغنى؟

لاحظنا أنه في كل موطن يقول (وما بينهما) تأتي تعقيب في الله على ما لا يليق. (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا (١٧) المائدة) (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالتَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُو بِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) المائدة).

موطن آخر بياني (له ملك السموات والأرض وما بينهما) فيها ذكر ثلاثة أشياء: السموات، الأرض، ما ينهما، أبداً في كل موطن في القرآن الكريم يذكر فيها (وما يينهما) يذكر ثلاث ملل: اليهود والنصارى والمسلمين. في كل موطن يذكر (وما بينهما) يذكر في السياق ثلاث ملل اليهود والنصارى والمسلمين: في المائدة ذكر الكلام على بني إسرائيل (وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ (١٢)) ، نصارى (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ (١٤) المائدة)، أهل الكتاب (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ المائدة)، أهل الكتاب (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُم رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ قَلَيرٌ (١٩) المائدة)، ثلاث ملل. في الزحرف ذكر موسى وَلاَ نَذِيرِ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء قَلِيرٌ (١٩) المائدة)، ثلاث ملل. في الزحرف ذكر موسى وفرعون (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢٤)) وذكر عيسى (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثْلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٧٥)) ثم قال (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالِدِينَ (١٨)) في حَرُب ابْنُ مَرْيَمَ مَثْلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٧٥)) ثم قال (قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالِدِينَ (١٨٥)) في حَلُولُ الْقَرآن إذا قال (وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُو جَعُونَ (٨٥)) للله وزدا لم يذكرها لا يذكرها لا يذكر.

في آية سورة الحديد لم يقل (وما بينهما) لأن ما بينهما تعقيب على ذكر ما لا يليق بجلال الله والآية فيها تنزيه لله تعالى. والأمر الآخر ذكر ثلاث ملل وليس في الآية ذكر لها.

(يحيي ويميت) هو المنزّه في كل ما يفعل، في إحيائه و في إماتته، في كل شيء وهذا يدل على التوحيد (وهو العزيز الحكيم) لا حكيم سواه و لا عزيز سواه هو الحاكم في كل شيء.

سؤال من المقدم: (سبح) بالفعل الماضي، (العزيز الحكيم)، (يحيي ويميت) بالفعل المضارع؟ وفي القرآن قال أحيا وأمات، وقدم الموت على الحياة؟

هذه لأن الموت والحياة مستمر. في مواطن أخرى قال (أمات وأحيا) قدم الموت. الأصل للأحياء والأموات أنه كان حيًا فأماته الموت يسبق الحياة. وقد تذكر في صفات الله تعالى (وَأَنَّهُ هُو َ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) النجم) وقد يتكلم عن أموات سابقة أماقم ثم أحياهم فيذكر الموت أولاً (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) النجم).

الفعل المضارع له أكثر من دلالة: هو يدل على الحال والاستقبال ويدل على الإستمرار أحياناً ويدل على الحقيقة غير مقترنة بزمن، تقول مثلاً: يذوب السكر في الماء، هذه تسمى الحقيقة من حيث هي لا تقول متى؟ لو أردنا أن نتكلم عن الفعل المضارع نفرد له حلقة كاملة.

في قوله تعالى (وهو على كل شيء قدير) فيها تقديم وتأخير: هو قدير على كل شيء أراد أن كل شيء حصراً، العموم. وهنا قال (قدير) ولم يقل قادر مع أنه استخدم قادر في مواطن أخرى في القرآن لأن قدير من صيغ المبالغة على و زن فعيل، إذا عمم القدرة (وهو على كل شيء قدير) أو أطلقها (وهو العليم القدير) قادر على كل شيء هذه يستعمل صيغ المبالغة، إذا عممها أي إذا قال هذه يستعمل صيغ المبالغة (على كل شيء) فيها كثرة. إذا عمّم أو أطلق يستعمل المبالغة، إذا عممها أي إذا قال (على كل شيء) يستخدم (قدير) وإذا قيدها بشيء يقول (قادر) (وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّل عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنغَث عَلَيْكُمْ عَلَى أَن يُنغِث أَكْثَرَهُم لاَ يَعْلَمُونَ (٣٧) الأنعام) قيدت بإنزال آية، (قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلَى أَن يَبْعَث عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبسَكُمْ شِيعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبسَكُمْ شِيعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ بَلَى وَهُو الْحَلَاقُ الْعَلِيمُ (٨٥) يس) قادر إسم فاعل من فعل قدر، السَّمَاوَاتِ وَاللَّرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْحَلَاقُ الْعَلِيمُ (٨١) يس) قادر إسم فاعل من فعل قدر، قدير صيغة مبالغة. قدر هي مشترك لفظي (فقدر عليه رزقه) مشترك لفظي أي ها أكثر من معني، يقولون مشترك قدير صيغة مبالغة. قدر هي مشترك لفظي (فقدر عليه رزقه) مشترك لفظي أي ها أكثر من معني، يقولون مشترك

لفظي وأنا أرجح مشترك لأنه إسم فاعل لأن الفعل غير متعدي فلما تقول مشترك يحتاج مشترك لكذا تقديراً والمشترك هو الأصل. فحيث أطلق القدرة أو عممها أطلق الصفة (وهو على شيء قدير) ومتى قيدها قال (قادر) ليس فيها مبالغة وليس فيها كثرة، قدير فيها كثرة. فإذن حيث أطلقها يأتي بصيغ المبالغة وحيث عممها بكل شيء يأتي بصيغة مبالغة وحيث قيدها يأتي بإسم الفاعل، هذا الفارق الدلالي بين إسم الفاعل وبين صيغ المبالغة التي تدل على التكثير.

الحلقة الخامسة:

تابع سورة الحديد:

نظرة عامة على الآية (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)):

قال تعالى (هُوَ الْأُوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْء عَلِيمٌ) الأول الذي ليس لوجوده بداية وهو قبل كل شيء، الآخر الذي ليس لوجوده نماية، ليس لوجوده نماية، ليس بعده شيء لأنه آخر (هُو كُلُّ شَيْء هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ (٨٨) القصص) هذا من حيث الدلالة. الظاهر لها دلالتان في اللغة وهما مقصودان في الآية: الأولُ: الظاهر هو الذي ظهر للعقول بالدلائل، تجلّى للعقول بالدلائل التي أقامها على وجوده فهو ظاهر (أَفِي اللّهِ شَكُّ فَاطِر السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ (١٠) إبراهيم) إذن هو ظاهر ظهر بآياته ومعجزاته الدالة في الكون. إذن الظاهر الذي ظهر للعقول وتجلّى كما قال أحدهم: لو كُشفِ الحجاب ما ازددت يقيناً. والظاهر يأتي بمعنى الغالب في اللغة أي العالمي على كل شيء من الظهور أي الغَلَبة (فَايَدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوهِهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤) الصف) ظاهرين أي غالمين. إذن الظاهر لها دلالتان: الذي ظهر للعقول وتجلى للعقول بآياته والظاهر هو الغالب القهار. الباطن أيضاً لها دلالتان، الأولى: غير المدرك بالحواس المحتجب عن الأبصار كما قال تعالى (لاَّ تُدُرُكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ الباطن أيضاً الذي يعلم كل شيء وويعلم بواطن الأمور وخفاياها، ما ظهر وما بطن من الأمور. إذن الظاهر لها دلالتان والباطن لها دلالتان هذا من حيث اللغة. الكلمة أحياناً يكون لها أكثر من دلالة تُراد ويحتملها السياق. هو اذن الذي تجلى وهو الغالب القهار وهو المختجب عن الأبصار الذي لا تدركه الأبصار وهو الذي يعلم خفايا الأمور وبواطنها.

تعريف الصفات: ما قال تعالى: هو أول آخر ظاهر باطن وإنما قال (هُوَ الْأُوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّهِرُ وَالْبَاطِنُ) بالتعريف لأن التعريف هو للقصر أي أنه لا يشاركه في هذه الصفات أحد يعني ليس معه أول ولو قال هو أول يحتمل أن يشاركه أحد أما الأول فهي حصر، تحديداً والآخر تحديداً والظاهر إذن لا يشاركه في هذه الصفات أحد ولا شيء. الأمر الآخر أنه لم يقيد هذه الصفات بشيء لا بإضافة ولا وصف فلم يقل مثلاً هو أول الحكماء، أول الأغنياء، الأول في كذا وبعد ذلك تتقيد الأولية بما أضاف أو بما يليها. هذه مطلقة لم يقيدها بشيء إذن هو الأول على الإطلاق ليس بموجب شيء معين ولا مقيد بأمر معين، هو الأول. الأول بالنسبة لمن؟ ومتى؟ لكل شيء فهو سبحانه قبل الزمن وكلمة الأول تخرج من نطاق الزمن ولو أراد أن يقيدها لقيدها فأنت يمكن أن تقول: هو الأول في القصل مثلاً، هو الأول في السباق. لو قلت هذا الطالب هو الأول هذه يحددها أنت ما يريد فقد تكون القرينة

مقولة وقد تكون مفهومة من السياق والمقام هو الذي يحدد وليس من الضروري أن تنطق كل القرائن. هنا في هذه الآية ليس من قرينة تحدد فهو الأول والآخر والظاهر والباطن على الإطلاق وعلى القصر والتعريف هنا يفيد القصر وعدم التقييد يفيد الإطلاق.

فائدة العطف في رهُوَ الْأَوَّالُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ:

ما قال تعالى هو الأول الآخر كما قال في موضع آخر (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُلُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) الحشر) لأن العطف يأتي في الصفات فيما تباعد ما الصفات لأنه يصير أمراً مستغرباً، أما في الصفات القريبة فلا يؤتى بالعطف. أحياناً تأتي الواو للإهتمام وللتباعد ما بين الصفات. إذا كانت الصفات متباعدة يؤتى بالواو يعني ليست متقاربة من حيث أحداثها، مثلاً أنت تقول تتكلم مع شخص عن فلان وهو يعرفه لكن لا يعلم مثلاً أنه شاعر فتقول له: هو شاعر، فيقول: هو شاعر؟ فتقول وطبيب، الشعر والطب متباعد فيقول وطبيب؟ يستغرب من إجتماع هذه الصفات المتباعدة التي لا يعلمها هو في شخص، لذا تأتي الواو فإذا تباعدت الصفات فيحسن الإتيان بالواو. (هُوَ الْأُوّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبُاطِنُ) الأول والآخر والظاهر والباطن صفات متباعدة ليست مثل العزيز الحكيم المتقاربة العزة والحكم متقاربة لكن الأول والآخر منتهى التباعد والظاهر والباطن منتهى التباعد.

هذه الآية دلّت على إبطال الشِرك: هو الأول إذن ليس معه شريك إذن دلت على إبطال الشرك لأنه الأول إذن ليس معه شريك إذن دلت على إبطال الشرك لأنه الأول إذن كل ما نراه من الأمور هو الذي أوجدها لأنه هو الأول لأنه هو الغني المطلق لا يحتاج إلى شيء لأنه قبل كل شيء الخالق القادر. ثم دل قوله (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْء عَلِيمٌ) على العلم المطلق فهو الإله الحق في العلم والغني والقدرة والوجود وعدم الشرك. (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْء عَلِيمٌ) أي محيط علمه بكل شيء في الكون.

ما دلالة استخدام صيغة عليم ولم يقل عالم أو علام؟

عليم صيغة مبالغة على وزن فعيل، علام أيضاً صيغة مبالغة على وزن فعّال، عالم إسم فاعل. مبالغة تعني كثرة في الأشياء، هو القرآن له تخصيصات في الإستعمال أحياناً يخصص بعض المفردات بمعنى معين واستعمال معين ودلالة معينة بما يدل على القصد في الإستعمال. سابقاً فيما قبل، العرب لغوياً يقولون الريح والرياح ويستعملون الريح للشر والرياح للخير، والقاعدين في القرآن القاعدين عن الجهاد مع أن القعود هو ضد القيام لكن القرآن خصصها هكذا. ليس كلام العرب التخصيص ولكن القرآن يخصص في الإستعمال. إنما هو يخصصها بمعنى من المعاني وهذا يدل على التحديد والإرادة في التخصيص. لما يخصص كلمة بمعنى معين مثلاً الصلاة خصصها بمعنى واحد وهو العبادة، الصوم والصيام، الصيام خصصها للعبادة في القرآن والصوم خصصها الصمت ولا تجد في القرآن كلمة صوم للعبادة وإنما كلمة صيام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ (١٨٣) البقرة) بينما الصوم خصصها للصمت (إلِّي نَلَوْتُ صَوْمًا فَلَنْ أُكلِّمَ الْيَوْمَ إِنسيًّا (٢٦) مريم) الصوم عن الكلام. القرآن أحياناً يخصص المفردة بمعنى من معانيها. اللمسة البيانية في هذا التخصيص يدل على القصد في التعبير أنه ليس كلاماً ملقى هكذا لكنه مقصو د.

كلمة عالِم في القرآن لم ترد إلا في عالم الغيب مفرداً أو الغيب والشهادة، إما الغيب وإما الغيب والشهادة في القرآن كلمة عالِم في المحتمدة عالِم في المحتمدة عالِم في المحتمدة على المحتمدة عالِم المحتمدة عالَم المحتمدة عالَم المحتمدة عالم في القرآن في غير عالم الغيوب ولم ترد إلا مع الغيوب هم الغيب مجموعة، المحتمدة المحتمدة المحتمدة عالم على القرآن في غير عالم الغيوب ولم ترد إلا مع الغيوب هم الغيب مجموعة، المحتمدة والمحتمدة المحتمدة الم

بالْمُفْسدِين) جمع، (واللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) جمع، (إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) جمع. إما أن تستعمل عامة مع لكل الخلق، كل شيء أو مطلقة (واسع عليم) (سميع عليم) ليست مقيدة بشيء أو بالجمع (المتقين، المفسدين، الظالمين، بذات الصدور) أو بفعل الجمع (وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥) البقرة) لم يقل وما تفعل من خير، (وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) يوسف) (وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) النور) للجمع أو فعل الجمع. إذن كلمة عليم لم تحدد بشيء معين إما للعموم أو كولها مطلقة من كل شيء أو مع الجمع أو مع فعل الجمع لم يأت مع متعلق مفرد مطلقاً في القرآن لا تجد عليم بفلان أو بفعل فلان. علام محددة، عالم محددة، عليم هذه استعمالاتها. إذا أراد أحدهم أن يدرس هذه الاستعمالات تدرس في باب تخصيص الألفاظ القرآنية، هذه ظاهرة في القرآن وقد نأخذ عليها عدة حلقات لاحقاً.

هذه الآية مرتبطة بما بعدها: الأول مرتبط بقوله (هو الذي خلق السموات والأرض) الذي خلق السموات والأرض هو الأول، الآخر مرتبط بقوله (وإلى الله ترجع الأمور)، الظاهر قلنا لها معنيان إذا كان بمعنى الغالب يقول بعدها (له ملك السموات والأرض) فالذي له الملك غالب، وإذا كان بمعنى المتجلي للعباد (الذي خلق السموات والأرض) لأن السموات والأرض آيات دالة على وجوده، الباطن إذا كانت بمعنى المحتجب يرتبط بقوله (وهو معكم أينما كنتم) وإذا كان بمعنى الذي يعلم بواطن الأمور وخفاياها فيرتبط بقوله (وهو عليم بذات الصلور) (وهو بكل شيء عليم). إذن الآية مرتبطة إرتباطاً بما قبلها وهذه سمة في القرآن الكريم كل كلماته مرتبطة وسبق أن قلنا أن الرازي يقول أن سور القرآن كلها كالآية الواحدة بل كالكلمة الواحدة في ترابطها.

نظرة عامة على الآية (هُوَ الَّذِي حَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُتُتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)): الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُتُهُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)): قوله تعالى (الذي خلق السموات والأرض) يدل على أنه المالِك لهما هو خلقهما إذن هو المالِك إضافة إلى أنه الأول هو الخالق إذن هو المالك. دل قوله في قوله (له ملك السموات والأرض) قبلها وبعدها على أنه هو المالك إذن هو المالك وقبلها وبعدها هو الملك لأن الملك من الحكم هو ملك مالك إذن هو مالك الملك كما قال تعالى في آية أخرى (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِك الْمُلُك لِ (٢٦) آل عمران). الملك من الحُكم (أَلِيسَ لِي مُلكُ مِصْر (١٥) الزخوف) صاحبه ملك، الملك بكسر الميم من التملّك الميع والشراء صاحبه مالك. الملك بضم الميم صاحبه ملك والملك له تصرف يختلف عن الآخر. لما صاحبه مالك. (له ملك السموات والأرض) إذن هو الملك، كل من الملك والملك له تصرف يختلف عن الآخر. لما قال له مُلك يعني هو ملك، فرعون ملك مصر لكنه ليس مالكاً لها، هو يحكم ولا يملك أما الله سبحانه وتعالى ذكر أكرين: له ملك إذن هو مللك الملك السموات والأرض إذن هو مالك إذن هو مالك الملك المسموات والأرض الأرض ولم الملك). الملك هو مِلكه كما يملك المالك المالك أي شيء ولذلك في سورة الفاتحة نولت الآية مرتين (مالك يوم الدين) قراءتين متواترتين وكان شيء ولذلك في سورة الفاتحة نولت الآية مرتين (مالك يوم الدين) قراءتين متواترتين وكان وم اللك ينبغي أن تنزل مرتين: مالك الملك الملك. الملك المالك الملك الملك الملك الملك إذن الذي خلق السموات والأرض هو يملكهما وقال قبلها وبعدها (له ما في السموات والأرض) إذن هو الملك إذن هو مالك الملك. المالك الملك والمالك كلاهما ينبغي أن يعلم ماذا يملك والملك ينبغي أن يعلم كل شيء عما يملكه. المالك ينبغي أن يعلم ماذا يملك والملك والمالك ولماكا والمالك والمالك

سبحانه وتعالى مالك الملك إذن ينبغي أن يعلم كل شيء في مِلكه فقال (هُوَ الَّذِي حَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَوْضَ فِي سِتَّةِ الَّهُ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعُرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الَّارْضِ وَمَا يَخُرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُونَ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) لأنه لا يصح لملك أو مالك أن لا يعلم شيئاً فيما يملك ولذلك لا يبدّ عنه في ملكوته شيء لا المسكن ولا الساكن في الأرض ولا في السماء كلها. وليس ذلك فقط، ليس يعلم فقط وإنما أول مرة ذكر العلم المطلق (يعلم ما يلج) ليس ذلك فقط وإنما هو يُصر ما فيهما (بما تعملون بصير) ليس العلم فقط لأن العلم قد يأتي عن طريق الإخبار. الفرق بين العليم والبصير أن العليم قد يأتي عن طريق الخبر وليس بالضرورة أن يمي في المعلم والبصير أن العليم قط يعلم وإنما هو يُصر أيضاً (والله بما تعملون بصير) وأيضاً له مرتبة فوق الإبصار وهي المعيّة والمصاحبة (وهو معكم) لأن البصير قد يبصر عن بعيد، معكم تفيد بصير) وأيضاً له مرتبة فوق الإبصار وهي المعيّة والمصاحبة (والله معكم أينما كتتم) فهذه مرحلة فوق الإبصار، وله مرتبة فوق ذلك في الآية وليس فقط المعية والمصاحبة وإنما هو يعلم ماذا نفعل والسبب ظاهراً وباطناً ويعلم عمل كل عامل لِمَ عمله؟ لأنه أحياناً أنت ترى الإنسان يعمل عملاً وأنت لا تعلم لِمَ فعل ذلك؟ الله تعالى ليس فقط يعلم المعمل ولا يصره ولا معه وإنما يعلم لِمَ فعله. (بما تعملون بصير) بصير لها معنيان: البصر الرؤية هو سبحانه يرى الأنه قال (قَالَ لَا تَحَافًا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦٤) طه) ولكن ليس كرؤيتنا لأنه كل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك. تأتي البصر بمعنى الرؤية وتأتي بمعنى علم دواخل النفوس بصير بما يعمل العاملون. بصير ليست

بمعنى واحد (قَالَ بَصُوْتُ بِمَا لَمْ يَنْصُرُوا بِهِ (٩٦) طه) هذا بصر وبصير بالشيء أي بلواخل الأمور. هذه الآية ذكرت كل مراتب العلم:

عليم (يعلم ما يلج) إذن هو يعلم الداخل والخارج والصاعد والنازل، هذا العلم.

مصاحب لنا أينما كنا (وهو معكم أينما كنتم) مبصر لأعمالنا (والله بما تعملون بصير) ويعلم لِمَ فعلنا ذلك

إذن إستوفى كل مراتب العلم وهذا يتناسب مع الآية السابقة (وهو بكل شيء عليم) وارتبطت بما ارتباطاً. في الآية السابقة قال تعالى (وهو بكل شيء عليم) وهذه الآية (والله بما تعملون بصير) لم يقل وهو بما تعملون بصير مع أنه استعمل (هو) في الآية لأنه تكرر الضمير (هو) فأراد أن يغير.

عرفنا ترتيب الآية وهيكلها لكن ننظر الآن كيف استعملها؟ لو لاحظنا قال (يعلم ما يلج في الأرض) لم يقل يعلم ما يولج في الأرض (يلج بمعنى يدخل) أي يعلم ما يولجه هو، الله تعالى من قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في النهار ويولج النهار في الليل إنما قال (يلج) أي يدخل، من حيث العلم عادة الشخص الفرد يعلم ما يفعله هو ولو قال يولج لكان طبيعياً أنه يعلم ما يفعله هو وما يولجه هو، هذه قدرة (يولج) وتلك علم (يلج) لكن لما قال (يلج) فهذا يدل على العلم، هو ما قال يعلم ما يولج لأنه قطعاً هو يولج فهو يعلم لكنه قال (يلج) هذا يدل على العلم. وقال (وما يخرج) وما قال وما يُخرِج وقال وما ينزل ما قال وما يُنزِل وقال وما يعرج ولم يقل وما يعرج وهذا يدل على العلم فقال ما يدل على العلم هذا أمر. والأمر الآخر قدم تعالى ما يتعلق بالأرض على ما يتعلق بالسماء (يَعْلُمُ مَا يَلِحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخرُّ جُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيها) لأن الكلام على أهل الأرض (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يتكلم عن المسوات هنا لأن خلق السموات هنا الكرف هنا يتكلم عن العلم فقدّم الأرض.

الأمر الآخر من الناحية الفنية ناسب بين صورتين فيما يتعلق بالأرض والسماء، صورة فنية: بالنسبة للأرض قال (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) وفي السماء قال (وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) وفي الأرض قال (ما يلج) وفي السماء (وما ينزل) وكلاهما نزول إلى أسفل (ما يلج في الأرض) إنزال ودخول. هذه ما يلج في الأرض ينزل فيها وكثير مما ينزل من السماء هو يلج في الأرض من مطر وغيره. ثم قال (وما يخرج منها) و (وما يعرج فيها) وكلاهما إرتفاع وعلو. إذن من الناحية الفنية ناسب وليس فقط إختيار مفردات لكن يناسب بين الصور: ما يلج وما ينزل، وما يخرج وما يعرج وكما قلنا أن كثيراً مما ينزل قد يلج في الأرض وكثيراً مما يخرج يعرج الى السماء: (وما يخرج منها) فيها احتمالين ما يخرج منها من الحشرات والنبات أو ما يخرج من محيطها. هذه الهكرة العامة عن الآية.

ما دلالة استخدام بعض الأفعال المحددة: السموات جمع والأرض مفرد؟

القرآن لم يذكر الأرض بالجمع مطلقاً، السموات سبع ولم يجمع كلمة الأرض في القرآن أبداً وإنما قال (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ (١٢) الطلاق) أما في الحديث فجمع الأرض على أرضين "طوِّق من سبع أراضين". (من السماء) لم يقل السموات لأن السموات ذكرها مع الخلق.

۲۰۱۰ ISLAMICBOOK.WS | جميع المقوق متاحة لجميع المسلمين

كتاب : لمسات بيانية المؤلف : الدكتور فاضل صالح السامرائي

الحلقة السابعة:

تتمة سورة الحديد

سؤال من المقدم: قال تعالى في سورة الحديد (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)) وقال في سورة سبأ (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)) اختلف ختام الآيتين وفي آية سورة سبأ لم ينكر (وهو معكم أينما كنتم) فما هي اللمسة اليانية في الآيتين؟

في الدراسات القرآنية السياق يوضح كثيراً من الإجابات عن الأسئلة. عندما نرى آيتين تختلفان في كلمة أو في ذِكر أو عدم ذِكر فالرجوع إلى السياق يوضح هذا الأمر كثيراً. لو لاحظنا هذه الآية في سورة الحديد (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُتُهُمْ) قال تعالى قبلها (وهو بكل شيء عليم) هذا يدل على علمه وإحاطته بكل شيء، (وهو معكم أينما كنتم) هذا مناسب للعلم ويترابط معه. وبعدها قال تعالى (وهو عليم بذات الصدور) فهذه الآية متناسبة مع السياق التي وردت فيه وهو العِلم قبلها وبعدها (وهو معكم أينما كنتم) (والله بما تعلمون بصير) متناسب مع ما قبله (وهو بكل شيء عليم) ومتناسب مع ما بعده (وهو عليم بذات الصدور). هذا الموقع غير موجود في سورة سبأ، هذا أمر.

الأمر الآخر قال تعالى (وهو معكم أينما كنتم) في سورة الحديد وهذا يدل على المراقبة ولذا جاء بعدها بما يدل على معرفته بعَمَلنا قال (والله بما تعملون بصير). وفي سورة سبأ قال في ختام الآية (وهو الرحيم الغفور) وفي الحديد قال (والله بما تعملون بصير) هذا متناسب مع المراقبة (وهو معكم أينما كنتم). إذن في سبأ ختمها (وهو الرحيم الغفور) فأراد تعالى أن يرحم الناس بالرحمة والمغفرة فرفع ذكر المراقبة، أليس من رحمته أن يرفع ذكر المراقبة؟ عدم ذكر المراقبة أنسب مع الرحمة والمغفرة، أن تراقب الإنسان في كل شيء هذا ليس من الرحمة إذن ختام الآية (وهو الرحيم الغفور) أراد الله تعالى أن يرحم الناس فرفع ذكر المراقبة في آية سبأ بخلاف آية سورة الحديد التي فيها العِلم (وهو معكم أينما كنتم)، هذا أمر.

الأمر الآخر في آية سبأ ذكر الآخرة قبل الآية وبعدها، بدأت الآية في سورة سبأ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١)) الآخرة ليست وقت عمل ولا مراقبة وإنما وقت جزاء. الآية التي بعدها في الساعة (وقال الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِينَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبُرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِين (٣)) قبلها وبعدها الكلام في الساعة والساعة ليست لا وقت مراقبة ولا وقت عمل. آية الحديد (هُوَ الَّذِي حَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَمَا يَعْرُجُ وَالْأَرْضَ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ

فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)) إذن آية الحديد في بداية خلق السموات والأرض وهو زمان بداية الأعمال واستمرارها، وفي سورة سبأ زمان طيّ صفحة الأعمال، الآخرة هي طيّ صفحة الأعمال، فما قال (وهو معكم أينما كنتم) في آية سبأ لأنه ليس وقتها وانطوت صفحة الأعمال في الآخرة وانتهت فلذلك لم يذكرها بينما في سورة الحديد فهو زمان بداية الأعمال وزمان المراقبة (هو الذي خلق السموات والأرض) فإذن السياق مختلف: في سبأ في الآخرة وهو في طيّ صفحة الأعمال وفي الحديد في بداية صفحة الأعمال ولذلك وضع المراقبة مع السياق الذي يقتضي وضعها فيه ورفعها من السياق الذي لا يقتضي سواء كان في الآخرة أو في وقوعها ما يتعلق بالآخرة.

الأمر الآخر جو السورة أحياناً يظهر إختيار العبارات أو ذِكر أو عدم الذِكر: في سورة الحديد تردد فيها ذكر العلم والمراقبة (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْء عَلِيمٌ (٣)) (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)) (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)) (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٩)) (مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٩)) (وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْفَيْبِ (٩٥)) كلها علم، جو السورة قبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٩٣)) (وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْفَيْبِ (٣٥)) كلها علم، جو السورة يتردد فيه العلم. في سورة سبأ الذي شاع في جو السورة ذِكر الآخرة (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرةِ (١)) (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا اللَّهُ مَن يَحْوَرُ اللَّهُ مَن يَحْرُمُ عَلَى رَجُلٍ يُبَّنُكُمْ إِذَا مُزَقَّتُمْ كُلَّ مُمَزَّق إِنَّكُمْ لَفِي خَلْق جَلِيدٍ (٧)) (بَلِ الَّذِينَ لَا يُوْمِنُونَ اللَّاخِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبَنِّكُمْ إِذَا مُزَقَّتُمْ كُلَّ مُمَزَّق إِنَّكُمْ لَفِي خَلْق جَلِيدٍ (٧)) (بَلِ الَّذِينَ لَا يُوْمِنُونَ اللَّاسَعُةُ (٣)) (وَلَا لَنَعْلَمُ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكَّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْء وَهُو الْقَتَاحُ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨)) (إلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بُالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مَنْهَا فِي شَكَّ وَرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَلْ رَبِّيهِ إِلَى الْمَالِسُورة وَلَى الْوَعْدُ الْ وَعُدُ الْفَالِمُونَ مَوْلُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَطْدِمُونَ (٣٠)) (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَوْجِعُ بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْكِي يَعْضُ

الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنّا مُؤْمِنِينَ (٣٦)) (فَأُونَٰكِ لَهُمْ جَرَاء الضّعْف بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧)) (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُونَٰلِكَ فِي الْعُذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨)) (وَيَوْمَ وَهُمْ فِي الْغُذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨)) (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَوُلًاء لِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠)) (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَوُلًاء لِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠)) (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبِ (١٥)) إلى آخر السورة سورة سبأ شاع فيها ذكر الآخرة، وفتحت بذكر الآخرة وختمت بذكر الآخرة وهذا لا يتناسب مع جو المراقبة. ذاك جو العِلم يتناسب مع (وهو معكم أينما كنتم). إذن في كل الأمور: ما قبل الآية وما بعلها، ختام كل آية من الآيات يتناسب، السياق، بداية الأعمال وطيّ صفحة الأعمال، كل هذا يتناسب مع وضع كل تعبير في مكانه. ثم ختمها بقوله (والله بما تعملون بصير) قدّم العمل على البصر لأنه ورد بعدها (وهم معكم أينما كنتم) ما قال بصير بما تعملون.

سؤال من المقدم: ما الحكمة من التكرار في القرآن؟

بحسب السياق الذي ترد فيه والغرض، هو كتاب هداية، هذا تصريف للآيات (كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨) الأعراف) يأتي بها بصور شتى حتى تتردد في النفس وحتى تثبت في الذهن وحتى تثبت في القلب يردد معاني هنا وهناك إضافة إلى الإعجاز في التعبير، إختيار العبارات كل واحدة مناسبة في مكانما. خذ الرسل لما أتوا إلى أقوامهم أمروهم بأمر واحد (فَقَالَ يَا قَوْمِ اغْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) فهذا المعنى وهو يتعلق بدواعي الإيمان يشتها بصور شتى، بأمور شتى وتصاريف شتى لأن القصد هو تثبيت العقيدة في النفس. تصريف الآيات هو ترتيبها وتغييرها من حالة إلى حالة حتى يثبتها في النفس فيأتي بمثال ويركز في كل مسألة على ما يريد أن يتحدث عنه. وقد يكون التكرار هو من أعذب الكلام في البلاغة حتى في الشعر وفي غير الشعر لما يقول الشاعر:

يا موقِد النار بالهندي والغار هيا اشتري حَزَناً يا موقِد النار

(فيا قفر معنٍ ويا قفر معنٍ) أحياناً التكرار يكون من أعذب الكلام في موطنه وله فوائد كثيرة.

ختمت الآية في سورة الحديد بـــ (بما تعملون بصير) في آية الحديد يتناسب مع ذكر المراقبة (وهو معكم أينما كنتم) وفي آية سبأ السياق في الآخرة ذكر الرحمة (وهو الرحيم الغفور) فرفع ذِكر المراقبة لأنه أنسب مع الرحمة.

سؤال من المقدم: يقول تعالى (بما تعملون بصير) وفي آية أخرى يقول (بصير بما تعملون) فهل للتقديم والتأخير لمسة بيانية؟

النقديم والتأخير يأتي لسبب والسياق قد يكون الحاكم والموضح للأمور. إذا كان سياق الكلام أو الآية في العمل يقدم العمل وإذا لم يكن السياق في العمل أو إذا كان الكلام على الله سبحانه وتعالى وصفاته يقدم من باب تقديم العمل على البصر: (وَأَقِيمُواْ الصَّلاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدَّمُواْ لاَنفُسِكُم مِّنْ حَيْر تَجدُوهُ عِندَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) البقرة) بهذا العمل بصير، إذا كان السياق عن العمل يقدم العمل على البصر وإذا كان الكلام ليس في السياق عن العمل أو الكلام على الله تعالى وصفاته يقدم صفته. (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمُوالهُمُ ابْغَاء مَوْضَاتِ اللهِ وَتَشْبِينًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثلِ جَنَّةٍ بِرَبُوةٍ أَصَابَهَا وَابلٌ فَآتَتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَمْ يُصِيمٌ وَابلٌ فَطَلِّ وَاللهُ مَوْالهُمُ الْبِعَاء بَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٦٥) البقرة) هذا إنفاق، (وَالْوَالِدَاتُ يُوضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ مِمْاتَعَة وَعَلَى الْمُؤلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسُعَهَا لاَ تُصَارَّو وَالِدَةٌ بِوَلَوهِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسُعَهَا لاَ تُصَارَقُ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ وَعَلَى الْمُؤلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسُعَهَا لاَ تُصَارَو وَالدَّ فَرَائِقُورُ اللهُ وَاعْلَمُوا أَلَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اللهُ وَاعْلَدُوا أَلَولَا لَكُودُ مِنْ أَنْ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَعَلَى الْبَوْدَ وَلَوْ فَلَا فَرَعْتُمْ إِلَا لَكُودُ مَا لَو وَالْوَلِيَ اللهَ وَاعْلَمُوا أَلَاللهَ وَاعْلَمُوا أَلَو اللهُ وَاعْلَمُوا أَنَ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ أَو اللهُ مِن قَرَانِ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَلْ فَرَضَتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةٌ فَنِصْفُ مَا فَرَضَتُمْ إِلَا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الّذِي يَبِو

عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُا الْهَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٢١) البقرة) (وَإِنَّ كُلاَّ لَمُوفَيِّتُهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ حَبِيرٌ (١١١) هود) (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغُواْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١١) هود) الكلام على العمل فقدم العمل (أَنِ اعْمَلُ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) سبأ) قدم العمل، (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٠) فصلت) هذا في القرآن كله إذا كان الكلام ليس على العمل أو على الله تعالى (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ

أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْرِ حِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) البقرة) ليس فيها عمل، (وَحَسبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٨) بِمَا يَعْمَلُونَ (١٨) المائدة) لا يوجد عمل، (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) الحجرات) يتكلم عن الله تعالى فيقدم صفة من صفات الله تعالى.

هذا في العِلم والخبرة والعمل وليس فقط في العلم والبصر وهذا خط عام في القرآن. (إِن تُبْلُواْ الصَّدَقَاتِ فَنعِمًا هِي وَإِن تُخْفُوهَا وَتُوْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١) البقرة) هذا عمل فقدم العمل على الخبرة، (ومَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَيبلِ اللّهِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّن أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّن الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) الحديد) الإنفاق عمل فقدم العمل، (واللّذِينَ يُتوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَربَّعَنْ بَأَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ أَنفُسُهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ أَنفُسُهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ أَنفُسُهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) البقرة) هذا عمل فقدم العمل. بصير وخبير تستعمل بحسب السياق. (وَتَوَى الْجَبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِي تَمُونُ مَوَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَثْقَنَ كُلَّ شَيْء إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) النمل) ليس في الآية عمل فقدم الخبرة لأن الكلام ليس على عمل الإنسان ولكن على صنع الله الذي أتقن كل شيء.

نظرة عامة على آية سورة الحديد (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأَمُورُ (٥)):

في الآية التي قبلها ذكر خلق السموات والأرض (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) الصانع قد لا يكون ملكاً، خلق السموات والأرض هو خلقها، هو صنعها. الخلق قد يكون ابتداء أي سوّاها وقد يكون صنعها (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَثْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ (٨٨) النمل) الصناعة لا تقتضي أن يكون ملكاً، صانع الشيء ليس بالضرورة أن يكون ملكاً حاكماً. الآية الأولى قال (هو الذي خلق السموات والأرض) فعلها وسوّاها، الصانع قد لا يكون ملكاً. هذه الآية قال (لَه مُلكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ ثُرْجَعُ الأَمُورُ) يعني هو الملك وليس فقط الصانع، هو الصانع وهو الملك وقلنا أن المُلك هو من الحُكم والملك من التملك. هذه الآية قال (له ملك السموات والأرض) تدل على المُلك وقبلها يدل على الملكية (هو الذي خلق السموات والأرض). كلمة خلق يصح نسبتها للإنسان (فَتَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) المؤمنون) هذا ممكن لأن عيسى عليه السلام قال (أنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْنَةِ الطَّيْرِ (٩٤) آل عمران). هل بالضرورة أن يكون الحالق ملكاً؟ ليس بالضرورة أن يكون ملكاً فأناس كثيرون يصنعون أشياء لكنهم ليسوا ملوكاً. قبلها قال (خلق السموات) هو صنعها (صنع الله الذي أتقن كل شيء) هذه واحدة. والآية بعدها هو ليس صانعاً فقط وإنما هو ملك أيضاً (له ملك السموات والأرض) هو الذي خلق تحديداً وله الملك تحديداً فإذن هو الملك وهو الصانع الذي صنع وهو الملك فلا ملك سواه لأنه قدّم (له ملك) ليس هناك ملك سواه وإن ملكه ممتد بعد انقضاء الدنيا (له ملك السموات والأرض).

(وإلى الله ترجع الأمور): المفسرون يذكرون فيها أمرين: الأمور كلها ترجع إليه وهو الذي يقطع في الأمور ويبتّ فيها والمعنى الآخر إثبات المعاد أي الآخرة (فإذن هو الذي يقطع ويبتّ فيها وليس هنالك ذاتّ إلا الله حصراً وليس هناك جهة أخرى تقطع في الأمور وتبتّ فيها كل أمور السموات والأرض ترجع إلى الله حصراً هو يقطع فيها. وإثبات المعاد الآخرة. وتقديم الجار والمجرور تفيد الحصر (وإلى الله) لله فقط سواء المقصود المعاد (ثُمَّ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذِ الْمَسَاقُ (٣٠) القيامة) إلى الله حصراً لا إلى جهة أخرى. لو قال: ترجع الأمور إلى الله ليس فيها حصر وقد يحتمل أن ترجع إلى شيء آخر. (له ملك السموات والأرض) ملك السموات والأرض) ملك السموات والأرض له حصراً. النقديم والتأخير إذا كان النقديم على العامل (نقدم الفاعل على الفعل مثلاً صار مبتدأ، نقدم المفعول به على الفعل: أكرمت محمداً، محمداً أكرمت)، نعبدك – إياك نعبد، نستعينك – إياك نستعين، أي حصراً. إياك نعبد أصلها نعبدك فلما قدم الكاف (إياك) صارت العبادة حصراً لله تعالى لذا لم يقل إيانا إهد وإنما قال إهدنا الصراط المستقيم لأنه لا يصح ولا يجوز لأنها تعني اهدنا ولا تمدي أحداً غيرنا، خُصّنا بالهداية ولا تمدي أحداً سوانا، إهدنا أي خُصّنا بالهداية مثلما قال الأعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إر همني ومحمداً ولا ترحم أحداً الونا. فلا تقول: إياي ارزق لا تصح ولا تجوز وإنما قُل ارزقني لأن إياي ارزق تعني أنك تطلب الرزق فقط لنفسك. التقديم والتأخير لها دراسة مقصودة وفيها رسائل.

(يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)):

هذه فيها أمرين: فيها دلالة على القدرة (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) ارتبطت بقوله (وهو على كل شيء قدير) في أو ائل السورة. إذن هذه (يولج الليل في النهار) دالة على القدرة. يولج بمعنى يُدخل.

سؤال من المقدم: ألا يدل يولج الليل في النهار على أنه يولج النهار في الليل أيضاً؟

يولج الليل في النهار لا تعني بالضرورة أنك تولج النهار في الليل وإنما جعل الإثنين ليشمل الليل والنهار. يولج أصلها من فعل ولج يلج ويلج بمعنى يدخل. من فعل ولج يلج ويلج بمعنى يدخل. الفوق بين يلج ويدخل: يدخل أوسع وتستعمل في أشياء كثيرة (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) الفجر) كأنما الولوج في شيء يحتاج إلى ضيق والدخول أوسع.

إرتباط الآية بما قبلها وبعدها: هذه دلالة على القدرة (وهو عليم بذات الصدور) والآية فيها أمران: فيها القدرة وفيها العِلم. القدرة هي ما ارتبط بما قبلها (وهو على كل شيء قدير) والعِلم مرتبط أيضاً بما قبلها وما بعدها، قبلها قال (بكل شيء عليم) (وهو عليم بذات الصدور) ذات الصدور أي مكنوناها وخفاياها. المكنونات والخفايا التي تلزم الصدور ولا تريد أن تطلع عليها أحداً. (ذات) مؤنث ذو، ذو للمذكر أي صاحب وذات للمؤنث أي صاحبة، نقول هو ذو مال أي صاحب مال، ذات الصدور أي الأشياء الخفية المختصة بالصدور، التي تملكها الصدور، المكنونات الخفية لللازمة لها.

(آمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبيرٌ (٧)):

سؤال من المقدم: ختمت هذه السورة بقوله تعالى (لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) وفي سورة الإسراء قال تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوُمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩)) بالتأكيد فما دلالة هذا أولاً نظرة عامة على الآية: أولاً: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَيِيرٌ) أمرهم بشيئين: الإيمان بالله والرسول والإنفاق. هذا الأمران يطبعان السورة إلى حد كبير الإيمان بالله والرسول وليس الإيمان على العموم، الإيمان بالله والرسول يشيع ذكر هما في السورة كلها لم يذكر أركان الإيمان الأجرى (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ (٧)) ذكر قسماً من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله ورسوله، (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ (٨)) (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُو لَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاء (١٩)) (أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاء (١٩)) (أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أَوْلَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاء (١٩)) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ (٢٨)) صبغة عامة تطبع السورة في عمومها، والإنفاق (وأنفقوا).

الإيمان بالله والرسول لم يذكر أركان الإيمان، والانفاق يطبعان السورة إلى حد كبير (وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُستَخُلفِينَ فِيهِ (٧)) (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَيبلِ اللَّهِ (١٠)) (مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا (١١)) (إِنَّ الْمُصَّدِقِينَ وَالْمُصَّدِقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)) (الَّذِينَ يَيْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)) (الَّذِينَ يَيْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ (٢٤)) السورة مطبوعة بهذين الطابعين، لم يذكر جميع أركان الإيمان والا عموم العمل الصالح وإنما ذكر جانباً من العمل الصالح وهو ما يتعلق بالانفاق. ومع أنه ذكر القتال لكنه لم يأمر به (لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْقَتْحِ وَقَاتَلُوا (١٠٠)) ما قال قاتلوا ولكن قال أنفقوا، جاء فيها ذكر الشهداء (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ (٢٥)) من مظنّة الجهاد لكن الانفاق هو الطابع العام في السورة وليس عموم العمل الصالح. جزء من العمل الصالح وقسم من أركان الإيمان، السورة لها منهج هذين الأمرين.

(وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) رغّبنا في الانفاق أكبر ترغيب فقال تعالى (وأنفقوا مما جعلكم) جاء بـ (مما) للتبعيض لو قال وأنفقوا ما جعلكم مستخلفين لأنفقوا الكل. (جعلكم مستخلفين فيه) هو ربنا تعالى جعلكم واستخلفكم وهو الذي يطلب الانفاق، ما قال (وأنفقوا مما أنتم مستخلفين فيه) هو سبحانه أعطانا المال وهو يأمرنا بالانفاق، (جعلكم) يعني هو الذي أعطانا إياه، (مستخلفين فيه) فالأموال هي أموال الله تعالى استخلفكم فيها ثم كانت لغيركم ثم نقلها إليكم وستنتقل إلى غيرنا سواء في حياتنا أو بعد موتنا. فإذن كل هذه الأمور هو الله تعالى استخلفنا فيه ولن يبقى، كان لغيرنا ثم نقله إلينا وهو بين أيدينا وقد ينتقل إلى غيرنا في عيانا أو بعد مماتنا فلم لا تنفقون؟ هو أعطانا الأموال فلماذا لا تنفق ولك أجر كبير؟ إذن دواعي الانفاق متكاثرة والمال هو مال الله تعالى هو استخلفنا فيه، كان لغيرنا ثم وصل إلينا ثم ينتقل منا إلى غيرنا وهو أعطانا إياه فلماذا لا نفق ولنا أجر؟ فإذن الترغيب في الإنفاق إلى حد كبير فأنفق ولك أجر.

الحلقة العاشرة:

تتمة سورة الحديد:

(آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)) نظرة عامة على الآية وما فيها من لمسات:

هذه الآية سبق أن تكلمنا فيها على العموم ونذكّر للشاهدين بما ذكرناه في الآية أولاً ثم نواصل. في الآية أمرهم الله

تعالى بشيئين: الإيمان بالله ورسوله (آمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ (٧)) والانفاق (وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسَتَخْلَفِينَ فِيهِ (٧)) إذن أمرهم بشيئين الإيمان بالله والرسول والإنفاق وهذان الأمران يطبعان السورة ويشيع ذكر هما في السورة. لم يذكر جميع أركان الإيمان في السورة وإنما كرر الإيمان بالله ورسوله (آمِنُوا باللّهِ وَرَسُولِهِ (٧)) (وَمَا لَكُمْ لَا تُوْمِئُونَ بِاللّهِ وَالسُّلِهِ وَالسُّلِهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّدِّيَقُونَ وَالشُّهَدَاء (١٩)) (أُعِدَّتْ لِلّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء (١٩)) (أُعِدَّتْ لِلّذِينَ آمَنُوا اللّه وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء (١٩)) (أُعِدَّتْ لِلّذِينَ آمَنُوا اللّه وَرَمُولهِ بِرَسُولِهِ (٢٨)) لم يذكر جميع أركان الإيمان وإنما ذكر أمرين: الإيمان بالله ورسوله والإنفاق ولم يذكر عموم العمل الصالح وإنما ذكر الإنفاق وكرره في السورة (وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ (٧)) (وَمَا لَكُمُ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَيلِ اللّهِ (١٠)) (مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنَا بالله ورسوله والإنفاق وكرية والله قرصوله والإنفاق وكرية والله قرضه الله قرضوا اللّه قرضًا حَسَنَا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)) (الَّذِينَ يَنْخَلُونَ وَلَاللهُ ورسوله وخصص من العمل الصالح يكاد يخصص الإنفاق، وذكر القتال لكن لم يأمر به (لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ اللهُ قَرْمِنَ اللهُ قَرْمُنَ الْذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتُلُوا (١٠)) وذكر الشهداء (والَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وقَاتُلُوا (١٠)) وذكر الشهداء (والَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وقَاتُلُوا (١٠)) وذكر الشهداء (والَّذِينَ المُولِهُ اللهُ

وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ (١٩)) (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ (٢٥)) لكن الطابع العام من العمل هو الإنفاق. (وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) استخدم (من) ولم يقل أنفقوا ما جعلكم مستخلفين فيه فنحن مستخلفون في هذه الأموال استخلفنا فيها وستذهب إلى غيرنا فينبغي أن ننفق منها وقد استخلفنا ربنا فيها. هذا على العموم (فَالَّذِينَ آمَنُوا فِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) فذكر أن لمن آمن وأنفق أجراً كيراً.

سؤال من المقدم: في ختام هذه الآية في سورة الحديد قال تعالى (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَييرٌ) وفي سورة الإسراء قال تعالى (وَيُيشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩)) أكّد في الإسراء ولم يؤكد في الحديد لماذا؟

أولاً فواصل الآيات هي أنسب مع كل واحدة لأن الإسراء فيها مدّ (أليما، عجولا) لكن ليس هذا هو السبب الأول أو الوحيد أي ليست مناسبة خواتيم الآيات هو السبب الأول وقد يكون سبباً مكملاً يأتي بعد السبب الأول. المعنى هو السيد وليست الفاصلة. وقد يأتي بسورة كاملة ثم يأتي بآية لا توافقها أي آية ففي بداية سورة الإسراء قال تعالى (سبُّحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَاركُنَا حَوْلَهُ لِيُولِي مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١)) ولا تجد مثل هذه الفاصلة في جميع السورة وإنما كلها مدّ. فالمعنى هو الأول لكن قد يأتي مع تمام المعنى ما يناسب الفاصلة. نذكر لماذا أكدّ ولماذا لم يؤكد والنتيجة أنه كل آية مناسبة لفواصل الآيات. في آية الحديد قال تعالى (فالذين آمنوا) بصيغة الفعل أما في الإسراء فقال تعالى (ويشر المؤمنين) بالإسم. معلوم كما هو مقرر في البلاغة وفي اللغة أن الإسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد والإسم أقوى من الفعل، هناك فرق بين أن تقول هو متعلم أو هو يتعلم وهو يتثقف وهو مثقف، هو يتفقه وهو فقيه، هو حافظ أو هو يحفظ من الثوابت في اللغة أن الإسم يدل على الثبوت في اللغة حتى لو لم يقع. في البلاغة عموماً يذكر أن هذا أمر ثابت تذكره بالصيغة الإسمية قبل أن يقع، تسأل مثلاً هل سينجح فلان؟ فتقول: هو ناجح عموماً يذكر أن هذا أمر ثابت تذكره بالصيغة الإسمية قبل أن يقع، تسأل مثلاً هل سينجح فلان؟ فتقول: هو ناجح قبل أن يتحن لأنك واثق أنه ناجح كما قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَكِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْض خَلِيفَةً (٣٠)

البقرة) (وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) هود) لم يقل سأغرقهم. هذا في العبير أقوى دلالة من الفعل. الإسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد. فإذن في سورة الحديد قال (فالذين آمنوا) صيغة فعل وفي الإسراء (ويبشر المؤمنين)

فالصيغة الإسمية أقوى.

ثانياً الإيمان في سورة الحديد خصصه الله تعالى بالله ورسوله (آمنوا بالله ورسوله) إذن الإيمان مخصص، أما في الإسراء أطلقها (ويبشر المؤمنين) لم يخصص الإيمان بشيء، جعله عاماً في كل متطلبات الإيمان ليست مختصة بالله ورسوله فالإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، كل أركان الإيمان أطلقها ولم يقيدها فجعلها أعم أما في الحديد فالإيمان مخصص بشيئين: الإيمان بالله ورسوله. في الإسراء مطلق لم يخصصه (ويبشر المؤمنين) هذه في الإسراء أعم من آية سورة الحديد.

في سورة الحديد ذكر الإنفاق (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) ولم يذكر غيره من العمل الصالح أما في آية الإسراء فقال (الذين يعملون الصالحات) الذين يعملون الصالحات أعم، الإنفاق هو شيء من العمل الصالح فالذين يعملون الصالحات أعم من الذين أنفقوا. إذن أو لا كوفهم مؤمنين أثبت من الذين آمنوا ثم أطلق الإيمان بكل مقتضيات الإيمان (مؤمنين) ولم يقيده والعمل أطلقه ولم يقيده بشيء لم يقيده بإنفاق (يعملون الصالحات) فلا شك أن آية الإسراء أعم فلما كان أعم إذن المغفرة والأجر الكبير تُؤكّد للأعم الثابت لا للجزئية. مؤمنين أعم وأثبت، مؤمنين عامة على الإطلاق وليس فقط بالله والرسول، العمل بإطلاق، عموم العمل وليس فقط الإنفاق إذن توكيد الأجر الكبير أنسب مع الذين ذكرهم في آية الإسراء مع من هو أعم في العمل والإيمان وأثبت في الإيمان. إضافة إلى الفاصلة التي في كل آية لكن لو سألنا شخصاً لا يعلم بالبلاغة نقول له أنت عندك آيتان كالتي معنا فأين تؤكد الأجر؟ يقول في الإسراء. بلاغة القرآن كالقوانين الرياضية الثابتة.

سؤال من المقدم: ما الذي يحدث لو لم يؤكد في الإسراء؟

لو كان كلاماً عادياً لا يؤكد لكن لما تأتي في البلاغة ويأتيك موطنين كل واحد في مكان. البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال بمعنى ماذا يحتاج الحال؟ هل يحتاج توكيد؟ أنت رأيت إنساناً مُنكِراً تؤكد له، غير منكر لا تؤكد له، المقتضى الحال بي الحالين يقتضى توكيد الأجر الكبير؟ لو كان كلام المسكل ما عادي يتكلم بما يشاء لكن هل هو على حد البلاغة أن يكون كلام في مكانين وواحد منهم فيه أمور أرسخ من الآخر وأوسع وأعم تجعلهما بشكل واحد؟!. في سورة يس مشلاً قال تعالى (إنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ) وقال (إنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) أكّد أول مرة بـ (إن) وهذا التأكيد جاء بعد تكذيب (إذْ أَرْسَلْنَا إلَيْهِمُ الله يُن فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّرْنَا بِعَالِثِ فَقَالُوا إِلاَّ اِللَّهُمُ الله وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْء فَقَالُوا إِلاَّ اَلْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤)) (ربنا يعلم) هذا إنْ أَشُمْ إِلاَّ تَكُذَبُونَ (١٥)) فاحتاج لتوكيد بالقسم (قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦)) (ربنا يعلم) هذا قسمٌ عند العرب، القسم و (إنّ) واللام في (لمرسلون) هذا بعد الإنكار الآخر (قَالُوا مَا أَشُمْ إِلاَّ بَشَرَّ مُثْلُنَا وَمَا أَنزُلَ الرَّحْمن مِن شَيْء إِنْ أَشُمْ إِلاَّ بَشَرَّ مُثْلُنا وَمَا أَنزُلَ الرَّعْون أَلُوا المَا أَنتُكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦)). لا يستوي أن يقول إنا الرَّحْمن مِن شَيْء إِنْ أَشُمْ إِلاَّ تَكُذِبُونَ (١٥)) لا ياضية. القرآن الكريم يبين ذلك تماماً كالمعادلة الرياضية.

سؤال من المقدم: في سورة الحديد قال تعالى (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)) وفي سورة فاطر أضاف المغفرة فقال (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجُرٌ كَبِيرٌ (١٢)) فما دلالة ذكر المغفرة مع الأجر وعدم ذكرها؟ يخشون وَربَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجُرٌ كَبِيرٌ (١٢)) فما دلالة ذكر المغفرة مع الأجر وعدم ذكرها؟ كل موطن في القرآن يذكر فيه المغفرة يجب أن يذكر فيه الذنوب والكافرين في سائر القرآن. لما يضيف المغفرة سورة فاطر بدأ تعالى بقوله (النّدِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شيديدٌ واللّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَعْفِرَةٌ وَأَجُرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوء عمله هذا ذنب، (وَالّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيَّاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَابِيدٌ وَالْذِينَ وَمُشَلِي اللّهُ عَلِيمٌ بِمَا لَكُمْ وَالْذِينَ كَفَرُوا بربِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَمَ وَيَشْسَ الْمَصِيرُ (٢) إِذَا أَلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِي طَلَى الْأَمْ فَلَوْدَ وَلَلْذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيَّاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَابِيدٌ (١٠) الأَمْ وَنُونَ السَّيَّاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَابِكُ عَيْلِهِمُ عَذَابٌ اللّهُ عَلِيمٌ بِمَا لَلْفَ عَلِيمٌ بِمَا لَعْفُولُ الرَّهِمِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَنْسَ الْمُصِيرُ (٢) إِذَا أَلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِي الْعَيْرُ وَلَالْدَبُ وَلَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمُعُ أَوْنَ عَمْلُ مَا لَوْقَ الْمَنْ أَنْ فَي أَلُوا اللّهُ مِنْ شَيْء إِنْ أَنْتُمْ إِلّا فِي صَلَال كَبِير (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمُعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا لَوْقَ وَا بَذَنِهِمْ فَلُوا المَنْ فَول مغفرة وأجر كبير السَّعِير (٩) فَافُوا الكفورون، كلما يقول مغفرة وأجر كبير يسبقها أمران الكفو والذنب. في مورة الحديد لم يذكر الكافرين ولا الذنب فلم يذكر الكفورة وأجر كبير يسبقها أمران الكفوروالذنب. في مورة الحديد لم يذكر الكافرين ولا الذنب فلم يذكر المغفرة.

سؤال من المقدم: مع الذنوب يستعمل القرآن اغفر ومع السيئات فيستعمل كفِّر (فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا () الله عمران) فهل هناك فرق بين اغفر وكيّر وبين الذنوب والسيئات؟

الذنوب أكبر من السيئات، السيئات صغائر والذنوب كبائر. تستعمل سيئة وقد تكون من اللمم، أنت تقول أسأت إلى فلان ولا تقول له أذنبت معه. فالسيئة قد تقال لصغائر الذنوب والذنوب ما هو أكبر. هذا يقتضي التغيير في المغفرة والتكفير. يقولون أن التكفير هو أصلاً ستر: كَفَر الشيء أي ستره ومأخوذ أصلاً من الزرع فالزارع يسمونه الكافر لأنه يستر البذرة في الأرض، كفرها أي سترها. الكافر في الشريعة هو الذي خرج عن الملة هذا في الاصطلاح و في اللغة يعني ستر. في العربية البذرة تحفر لها حفرة صغيرة، وأصلاً العرب يسمون الليل كافر ومن أسماء الليل الظلمة والكافر لأنه يستر كما قال الشاعر:

لي فيك أجرُ مجاهد إن صحّ أن الليل كافر

المغفرة من المِغفر وهو الذي يُلبس في الحرب حتى يمنع السبهام. أيها الأمنع من الإصابة المِغفر أو التراب في الأرض؟ المِغفر أمنع. الليل يستر لكن لا يمنع سهماً أو إصابة وإنما يستر على العموم لكن لو جاءت ضربة لا تمنع أما المِغفر يمنع، فلما كان الذنب أكبر، الذنب يصيب الإنسان يمنع، فلما كان الذنب أكبر، الذنب يصيب الإنسان إصابة كبيرة فيحتاج إلى مغفرة كما يحتاج المِغفر في الحرب. لما كان الذنب أكبر إحتاج لمانع أكبر ولمغفرة أشدّ. كفر ستر قد تكون بدون منع أو قد تكون بمانع خفيف لذا قال (فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَا سَيِّئَاتِنَا).

سؤال من المقدم: هل هذا من قبيل الترادف في العربية أم أنه ليس هناك ترادف في العربية؟

هذا كلام طويل بين اللغويين والذي يبدو لي الترادف عندما يكون من لغتني أما في اللغة الواحدة فليس فيها ترادف. لغة تسمي سكين و لغة تسميها مدية، هاتان لغتان، اللهم إلا إذا كانت تراكم اللغة بالاتصال والتأثير والتأثر أما في أصل اللغة فلا أظن أن هناك ترادفاً وكل كلمة وضعت لغرض حتى لو كان هناك تقارب كبير ولكن ليس ترادفاً. في القرآن الكريم حتى لو جاء من لغتين فلا يستعملها مترادفتين. القرآن الكريم الكلمة الواحدة أحياناً يجري فيها تغيير لغرض بما يتناسب مثل توفهم و تتوفاهم الكلمة نفسها حذف في واحدة والعرب يحذفون. الكلمة نفسها لكن لا يفعل ذلك إلا لغرض، لا يقول توفهم بمعنى تتوفهم ولا يستعمل تتذكرون مثل تذكّرون. أما نزل وأنزل فالمن و ونرل فقل) وأفعل غير فقل، أفطر غير فطّر لكن الكلمة واحدة. تستطع وتسطع، (ولا تشبك ألو النجيث بالطيّب (٢) النساء) الكلام عن اليتلمى وفي آية أخرى (لَا يَحِلُّ لَكَ النساء مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواَجٍ (٢٥) الأحزاب) ما قال تتبدل. هذا الفرق في القرآن له غرض ويمكن أن نفرد له حلقة خاصة. كلمة ريح ورياح لها خصوصية في الإستعمال القرآني فالقرآن يستعمل الغيث مثلاً في الخير والمطر في الشر، هذه حالة خاصة بالقرآن وليس بالغة العربية. الصوم الصيام في القرآن لا يستعمل في العبادة إلا الصيام (كتب عليكم الصوم فإنه لى وأنا أجزي به).

سؤال من المقدم: هل العرب كان لها خصوصية محددة في استعمال ألفاظ محددة؟ مع لغتها لكن القرآن يخصص. من لم يؤمن بالقرآن كان يفهم حينها أكثر مما نقول بدليل أنه عندما تحداهم (والتحدي في الجاهلية كان موجوداً يقول أحدهم للآخر أنا أشعر منك ويقول الآخر أنا أشعر منك ويقول الآخر أنا أشعر منك فيتنافران وينهبان إلى محكم) قال لهم تعالى (وَإِن كُشُمْ فِي رَيْب مِّمًا نَرَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ (٢٣) البقرة) لإيلاف قريش سورة وأبو جهل وغيره سمعوا هذا الكلام ولم يأتوا بسورة مثله (قُل لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) الإسراء) تحداهم بسورة قصيرة مثل الكوثر، الإخلاص، العصر، وهم كان لديهم من القصاحة ما هو معروف ولم يكن أحلهم يرضى أن يقول له أحدهم أنا أشعر منك!.

سؤال من المقدم: إذا كانت الكلمات هي الكلمات فما سر الإعجاز في القرآن؟ ولم لم يأتوا بمثله؟ هي ليست مسألة رصف كلمات. أذكر في الكلية كان هناك أستاذ يدرِّس الأدب فقال العرب يفهمون الكلام وهو كلامهم فلماذا لا يأتون بقرآن مثله؟ الكلام كلامهم وهم يفهمونه فردّ عليه أستاذ آخر فقال له أنت استاذ أدب تشرح الشعر وتفهم كلام المتنبي فات بمثله! تفهم مفرداته وتعلم مقاصده فإت بمثله وأنت أستاذ أدب تشرح للطلبة فاصنع قصيدة مثل المتنبي. فهي ليست مسألة مفردات وكلمات تجمعها وتعرضها لكن فكرة نظم تحدث عنها الجرجاني.

سؤال من المقدم: لماذا جهلنا اللغة العربية ونحن أبناء العرب؟ نحن الآن نتعلم اللغة ونحن لا نتكلمها سليقة و لا نعرفها و نتعلمها و تعلمناها تعلماً مبتوراً، لا نعرف اللغة و الناس تجهل اللغة و أذكر طلبة في الصف الرابع تدرس النحو تقول (أوكي) فقلت لها نحو و في الصف الرابع و تقولين أوكي؟! نحن لا نعلم اللغة و الطلبة أصلاً لا يعرفون شيئاً عن اللغة.

استطراد من المقدم: يقولون أن اللغة العربية صعبة جداً في التعلم؟ هذا أيضاً يحتاج ليكون محوراً لحلقة. لا شك أن الإعراب مثلاً فيه صعوبة باعتبار يجب معرفة المرفوع والمنصوب والمجرور والمجزوم و لا شك أن الإنجليزية أسهل. فإذا أردت أن أقول أنا أذهبُ بالإنجليزية أقول: I want to go أما في العربية وأقول أريد أن أذهبَ وفي الإنجليزية أقول: I فلم في العربية وأقول أما في العربية فأقول: لم أذهبُ، لكن نسأل هل هي الصعوبة المقياس الوحيد؟ لو كان عندما جهازان من الأجهزة التقنية الحديثة وفي أحدهما مزايا مهمة أكبر من الصعوبة التي في الجهاز الآخر بحيث لا يؤدي إلا إلى خدمات قليلة والجهاز الذي فيه صعوبة يؤدي إلى خدمات متعددة فأيها الأفضل؟ الجهاز الذي فيه خدمات يحتاج لتعلم أفضل من الآخر. العربية تماماً مثل جهاز متطور بتقنية عالية جداً بالنسبة للغات الأخرى. أنت تقول: أعطى محمد خالداً كتاباً يقابلها بالإنجليزية: Mohamed gave khaled a book في العربية يمكن أن أقول: أعطى محمد خالداً كتاباً أعطى محمد كتاباً عطى المعنى يختلف عن الآخر)، أعطى كتاباً خالداً كتاباً أعطى محمد خالداً كتاباً عطى كتاباً على العربية فقد أعبر عنها بالإنجليزية والفرنسية؟ بصورة واحدة أما في العربية فقد أعبر عنها بعشر صور مختلف عن الأخرى، كيف تعبر عنها بالإنجليزية والفرنسية؟ بصورة واحدة أما في العربية فقد أعبر عنها بالإنجليزية والفرنسية؟ بصورة واحدة أما في العربية فقد أعبر عنها بعشر صور مختلفة لا تستطيع لغة أجبية أن تعبر عنها.

في النفي: لا طالبَ غائبٌ تقال بالإنجليزية: no st عليه السلام dent is absent أما في العربية فيمكن أن تقول: لا طالبٌ غائباً، وقد ورد في القرآن ما يشبه هذه الحالة (وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَر (٢٦) يونس) وورد (وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبر (٣) يونس) وورد (وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبر (٣) سبأ) اختلفت الدلالة. ليس هذا فقط وإنما يمكن أن تقول: ما طالبٌ غائباً، ما طالبٌ بغائب، ما من طالب بغائب، ونأتي بليس: ليس طالباً غائباً (قُل لَسْتُ عَلَيْكُم بوكيل (٦٦) الأنعام) (وَمَا أَنا عَلَيْكُم بوكيل (١٠٨) يونس) النفي مرة بليس ومرة بما والإثنان للنفي والدلالة مختلفة وكل واحدة لها دلالة. وتأتي بد (إن) النافية، أكثر من عشرين جملة تقابلها في الإنجليزية جملة واحدة. (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) النجم) أولاً ففي بد (ما) والمرة الثانية بد (إن)، (وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ في عند (ما). اللغات الأخرى بائسة في المعاني بالنسبة للغة العربية الثرية التي هي لغة القرآن. نضى بد (ما). اللغات الأخرى بائسة في المعاني بالنسبة للغة العربية الثرية التي هي لغة القرآن. نضص إن شاء الله تعالى حلقات لإظهار وبيان عظمة اللغة ونصصح الفكرة الخاطئة.

سألت أستاذ لغة إنجليزية عندما كتت في جامعة بغداد أن يترجم لي جملة: "بينما كنت ماشياً" فقال: While I السم was walking ثم سألته أن يترجم : بينما كنت أمشي" ترجمها نفس الجملة لكن في العربية واحدة فيها إسم فاعل (ماشياً) إسم دال على الثبوت والثانية فعل (أمشي). من هنا جاءت إستحالة ترجمة القرآن ولكن يمكن ترجمة المعاني العامة. (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالَ ذَرَّةٍ (٢١) يونس) (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي اللَّمَاوَاتِ وَلَا فِي اللَّمَانِ الْهَافِي اللَّمَانِ اللَّمَاوَاتِ وَلَا فِي اللَّمَانِ الْهَانِهُ لَا لَعْلَوْ اللَّهُ اللَّمَانِ الْهَانِهُ اللَّمَاوَاتِ فَي اللَّمَانِ الْهَانِهُ لَا لَا لَعْلَالُونُ اللَّهُ الْهُ اللَّهُ اللَّمَانَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ الْمُعْلَالِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ الْمُلْعُلُونُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْعُلُولُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلَالَةُ اللَّهُ اللَّهُ ا

الحلقة ١٢

تابع سورة الحديد

(وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨)) نظرة عامة على الآية:

الآية التي قبل هذه الآية قوله تعالى (آمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبيرٌ (٧)) إذن كانت الآية طلب الإيمان بالله والرسول (آمنوا بالله ورسوله) ثم قال تعالى (وما لكم لا تؤمنون) أي كيف لا تؤمنون؟ طلب منهم الإيمان، لماذا لا تؤمنون بالله والرسول موجود وجاء بالآيات البينات والدلائل الواضحة أنه رسول من عند الله، (وقد أخذ ميثاقكم). كيف لا تؤمنون بالله؟ هذا إستفهام (ما في (وما لكم لا تؤمنون) إستفهامية) يدعو للعجب كيف أنه مع دواعي الإيمان المتكاثرة والموجودة، كيف لا يؤمنون؟ مع كل الأمور التي ذكرها في الآية ذكر الرسول يدعوهم ليؤمنوا بربهم. ثم (وقد أخذ ميثاقكم) فيها أمر: كيف أخذ ميثاقنا بالإيمان؟ يقال الله تعالى أخذ ميثاقنا بما أودع في عقولنا أنه إذا نظرنا في الآيات الكونية ستفضي بنا حتماً إلى الإيمان بالله تعلل، وما في الآيات من الدلائل الكونية أو دع في عقولنا عقولنا، في المحاكمات العقلية، العقل الذي أو دعه الله يحكم. الميثاق، وضعه فيك أنك إذا نظرت في هذا الكون واستعملت عقلك حتماً سيفضي بك إلى الإيمان، هذا ميثاق عقلي. والميثاق الآخر ميثاق فطري، إن الله تعالى وضع في فطرة الإنسان إعتراف بوجود الله وأن الله خالقه ويظهر هذا الأمر إذا وقع الإنسان في ضائقة لا يستطيع أن ينجو منها أو وقع في كرب يقطع الأمل في الأسباب عند ذلك يقول: يا رب. صوت الفطرة الذي أودعه الله تعالى فيه سيظهر (وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُرُّ فِي الْبُحْرِ صَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَ إِيَّاهُ فَلَمًا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَغُوضَتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفَد الله ويَالَهُ فَوَلَ اللهُ تعالى عند ذلك يقول: يا رب. صوت الفطرة الذي أودعه الله تعالى فيه سيظهر (وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُرُّ فِي الْبُسران) ومَا بكم مِّن نَعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُ فَإِلَيْهِ تَجَأَرُونَ (٢٧) الإسراء) (وَمَا بكم مِّن نَعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الصُّرُ قَالَيْهِ تَجَأَرُونَ (٢٧) الإسراء) (وَمَا بكم مِّن نَعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ قُمَ إِذَا مَسَّكُمُ الصُّرُ وَالَهُ الْعَالَ الْعَلَى الْعَلْدِي الْعَد اللهُ وَلَا اللهُ وَاللهِ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَلَا اللهُ وَهَا إِلَا الْعَلَهُ وَالَا اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ

النحل). إذن هناك ميثاق عقلي في المحاكمة العقلية عند كل البشر مسلمهم وكافرهم لو أي إنسان فكر بتجرّد وحيادية تامة في هذا الكون وينظر في هذا الكون وما فيه ويتفكر بما فيه من أمور ودقائق وما إلى ذلك من غايات مرسومة موجودة بحيث إذا كان ينظر في نفسه (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) الذاريات) ينظر كل أجهزته موضوعة لغايات مرسومة، كل جهاز من أجهزته موضوع لغاية ويقوم بغاية مرسومة يؤديها، هذا ميزان عقلي في المحاكمة (أفي الله شك فَاطِر السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ (١٠) إبراهيم) هذا أمر عقلي يعني المحاكمات العقلية تفضي بك المحاكمة وكافرهم وكافرهم وكافرهم وكافرهم ومن الملحدين من وقع في مأزق كبير ثم يلجأ إلى الله . إذن أخذ الله تعالى منا ميثاقين: ميثاق السماع وهو المحج البينة التي جاء بما الرسول و نظرت في هذه الحجج وحاكمتها تفضي بك إلى الإيمان. السمع والعقل والمنطق والفطرة كلها تدعوك للإيمان فكيف لا تؤمن إذن؟

إستفهام غرضه التعجب. تضافرت الدواعي العقلية والنفسية والسماع المؤيد بالحجج فكيف لا تؤمن؟ العقل والفطرة والسماع المؤيد بالحجج العقلية فكيف لا تؤمن؟

سؤال من المقدم: كيف نفهم قوله تعالى (إن كنتم مؤمنين) والآية بدأت (وما لكم لا تؤمنون)؟

إن كنتم تؤمنون أي إن كنتم تريدون الإيمان، تعتزمون الإيمان. في اللغة نقول: نحن خارجون إن كنت خارجاً أي إن كنت تنوي الخروج نخرج، هو لم يخرج. القوم راحلون إن كنت راحلاً، هو لم يرحل ولكن إن كنت عزمت على الرحيل فالقوم راحلون إن كنت نويت الرحيل معهم. فإذن إن كنت تنوي الإيمان فإذن دواعي الإيمان موجودة فلِمَ لم تؤمن؟ سؤال من المقدم: ما دلالة استعمال لفظة (بربكم) ولم يقل تؤمنوا به في الآية (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ)؟

أراد أن يحبب إليهم الإيمان فجاء بلفظ (بربكم) لأن ربكم هو الذي تعهدكم وهو الذي رباكم وأرشدكم وقام عليكم فالرب هو السيد والقيّم والمرشد والمربي معناه أحسن إليكم. أراد أن يحبب الإيمان بربهم الذي يربّهم يرعاهم ويهديهم فإذن هذا أولاً من باب التحبيب. ثم مناسب للآية بعدها (هُوَ الَّذِي يُنزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيَّاتٍ لِيُحْرِجَكُم مِّن الظُّلُمَاتِ إِلَى التُّورِ وَإِنَّ اللَّه بِكُمْ لَرَوُّوفٌ رَّحِيمٌ (٩)) الرب مهمته الهداية فلما قال يخرجكم من الظلمات إلى النور أي يهديكم وكثيراً ما يقترن لفظ الرب بالهداية في القرآن الكريم (إني ذاهب إلى ربي سيهدين) (قَالَ كَلًا إنَّ مَعِيَ ربِّي سَيَهْدِين (٦٣) الشعراء) (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ (٦) الفاتحة).

إستطراد من المقدم: ما الفرق بين كلمة الله والرب من حيث اللغة والدلالة؟

الله هو لفظ الجلالة الأعظم (الأكثرون يقولون هو إسم الله الأعظم). وأهل اللغة يقولون هو من أله أي عَبد وتأتي تحيّر. الإله من المعبود في اللغة، من العبادة. فهي أصلها كما يقول أهل اللغة الإله أي المعبود أسقيطت الهمزة الوسطية فصار عندنا لامان لام التعريف واللام الثانية أدغمت فصارت الله. والذي يدل على ذلك (الله) هو إسم علم. وأسماء الأعلام إذا لم تكن ممنوعة من الصرف تنوّن (محمد، محمداً) والممنوع من الصرف يُجرّ بالفتحة (إبراهيم وإسماعيل) الله يُجر بالكسرة (بالله ورسوله). الذي لا يُنوّن وهو ليس ممنوعاً من الصرف فمعناها هو معرّف برال) مثل (الرجل). فلفظ (الله) أصلها معرفة برأل) الإله وأنه يجر بالكسرة معناه ليس ممنوعاً من الصرف إذن الله معناها الإله أي المعبود ثم جعل علماً على الإسم الأعظم (الله) معرّف من حيث اللفظ الإله أصبحت اللام لازمة، لو قلت إله ترجعها إلى أصلها (وَهُو الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُو الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) الزحرف) صارت إسم جنس لكن الله إسم علم بهذه الوضعية. وللشركون استخدموا كلمة إله واستخدموا كلمة الزحرف) صارت إسم جنس لكن الله إلى الله رُ الزمر) (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ الله (٣٨) الزمر) (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله (٣٨)

أما الرب معناها في اللغة المربي وهو الموجه والمرشد والقيّم والرازق ولذلك كلمة رب حتى في اللغة يقصد بها غير الله أيضاً (اذكريني عند ربك () يوسف) رقال ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ (٥٠) يوسف) يجوز أن يقال رب البيت ورب الدار وتضاف أيضاً فيقال رب العالمين، رب السموات.

سؤال من المقدم: لماذا لم يقل (تؤمنوا بالله) جمع دلالتين لو قال بالله تعود نفس الكلمة ولكنه جمع أمرين في الآية: أنه الله وأنه الربّ لأن قسم يأخذون أرباباً متفرقين من دون الله لكن يقول هو الله وهو الرب يجمع دلالتين لو قال (به) تعود الكلمة نفسها. جمع معنيين هو الله وهو ربكم لا تتخذوا رباً غيره، فرعون قال (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) النازعات) (أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) يوسف). إذن هو الآن جمع دلالتين لما قال (الله، ربكم) في الآية فهو الله وهو ربكم ليس لكم رب غيره. بينما في قريش يعترفون بالله ويتخذون أرباباً من دون الله. هو الله وهو الذي يخرجكم من الظلمات إلى النور، يهديكم والرب هو المرشد والهادي، وهو

تعالى قال: يخرجهم من الظلمات إلى النور يعني يهديهم وأنسب شيء في هذا المقام أن يستخدم كلمة رب. كلمة رب جمعها أرباب أما لفظ الجلالة الله فليس له جمع ولا قياس وكل كلمة ليس لها نظير لا تُشّى ولا تُجمع هذه قاعدة. مثلاً كلمة مكة لا تُجمع ولا تُشتّى فهي مدينة واحدة لا يوجد غيرها.

سؤال من المقدم: ما دلالة إن كنتم مؤمنين في الآية بعد قوله وما لكم لا تؤمنون؟

قلنا إن كنتم مؤمنين أي إن كنتم تنوون الإيمان، إن كنتم تعتزمون الإيمان. هذا خطاب عام: إن كنت نويت الإيمان فكيف لا تؤمن؟ خطاب عام لمن آمن ولغير المؤمن هذه حجة ملزمة: كيف لا تؤمن ودواعي الإيمان كثيرة والميثاق موجود في عقلك في فطرتك إضافة إلى الحجج التي جاء بها الرسول؟ تضافرت اللوافع العقلية والسمعية أنتم يا بشر كيف لا تؤمنوا؟

(إن كنتم مؤمنين) متعلقة (أحذ ميثاقكم) الرسول يدعوكم وقد أخذ ميثاقكم فإن كنت تريد الإيمان ما الذي سيأتي بك إلى الإيمان؟ إما أن يكون منطق عقلي أو سماع الحجج التي يأتي بها الذي يخاطبك والرسول يأتي بالحجج التي تدل على أنه رسول من عند الله وليس من عند نفسه ومن الناحية النفسية والفطرة إرجع إلى نفسك كيف لا تقومن؟ إن كنت تنوي الإيمان إذن ما هي الأشياء التي تأتي بك إلى الإيمان؟ عقلك؟ موجود، نفسك؟ موجودة، والذي ينظر فيما جاء به الرسول من الحجج ملزمة لا تقبل الشك. والله تعالى هو الذي أخذ ميثاقهم (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرَّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْهُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) الأعراف) هو أودع فينا الميثاق في عالم الذر أودع في عقولنا بأن نحاكم و نقبل وأودع في نفوسنا سماعاً مؤيداً بالحجج، عقل في النظر والنفس.

سؤال من المقدم: ما فائدة (قد) مع الفعل الماضي في (وقد أخذ ميثاقكم) هل تفيد التأكيد؟

(قد) تفيد التحقيق والتحقيق لا ينفك عنها إذا دخلت على الماضي وأحياناً يجتمع معها التقريب والتوقع. التحقيق لا ينفك، لا محالة واقع إذا دخلت على الماضي وقد يكون مع التحقق التقريب أو التوقع أو تجتمع كلها لكن يبقى التحقيق معها. (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِلَّاسَّا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ (٢٦) الأعراف) (قد) هنا لا فيها توقع من بني آدم ولا فيها تقريب لكن فيها معنى التحقيق. (و َلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلّةٌ (٢٣) آل عمران) فيها توقع لأن الله تعالى وعدهم بالنصر (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ (٧) الأنفال) وفيها تقريب. التحقيق لا يفارق (قد). إذا دخلت على الفعل المضارع قد يكون للتحقيق والتكثير. (قد) حرف وإعرابها حرف تحقيق مبني (سائر الحروف مبنية).

سؤال من المقدم: ماذا ينقصنا لنتعلم العربية حق التعلم؟

ينقصنا الكثير لأن أصلاً التعليم عندنا في الأصل مبتور منقوص ويجب أن نرجع إلى المصادر الأولى نتعلمها وكلّ حسب مرحلته حسب مرحلته فالذي ليس عنده علم أصلاً يجب أن يبدأ بالأوليات تعطيه المعلومات الأولية. كلّ حسب مرحلته وطالب الكلية لديه معلومات قليلة ليست مكتملة حتى في الإختصاص، في الإعدادية المعلومات ضئيلة مشتتة

فحسب المرحلة الدراسية وما المعلومات التي أخذها حتى لو كان في مجرسة دينية لكن ينبغي إذا كان ينوي الدراسة أن يكون هناك أحد أمران في الدراسة حتى في كل المراحل التدريسية في الجامعة وغيرها: أولاً ينبغي ربط الدراسة بالمعنى فالنحو مثلاً ينبغي أن يُربط بالمعنى وليست استكنار أوجه كما يذكر في كتب النحو وينبغي على الأستاذ أن يفسر كل وجه من أوجه النحو ولا يكون هناك أكثر من وجه إلا إذا كانت لغتان. في النحو أوجه يذكرها النحاة لكن كل وجه له دلالة يستثقلها الطالب إذا أخذها مجرد أوجه لكن عندما تربط بالدلالة وبالمعنى يستمتع بها ويجد في نفسه اندفاعاً ولذة لحفظها ومعرفتها. هذا أمر أساسي أنه يجب أن لا يفصل الدراسة النحوية والبلاغية عن المعنى وتعلمها وربطها بالمعنى هذا أمر أساسي والناحية التطبيقية أي التمرين على ما يقرأ، التطبيقات حتى في المرحلة الجامعية.

إستطراد من المقدم: يسأل المشاهدون من أين يأتي الدكتور فاضل بهذا الكلام؟ وهل هناك كتاب موجود يتناول هذه اللمسات؟

كتب النفسير فيها إضاءات عظيمة لكني لم أطلع على كتب تتناول ما نتناوله بهذا التركيز ولا أدري إن كان موجوداً أو لا. في تفسير الكشاف إشارات وإضاءات، روح المعاني للألوسي فيه إضاءات، البحر المحيط، كتب التشابه والاختلاف في درة التنزيل فيها إشارات عظيمة جداً. والأمر يحتاج للإطلاع على كتب النفسير والمعاني والبلاغة.

وفي رد على المقدم متى بدأ الدكتور فاضل رحلته مع هذه اللمسات البيانية في القرآن الكريم أجاب الدكتور أنه درس في هذا المجال كبداية قبل الستينات وحتى في الخمسينات كانت لي عناية كبيرة فيما أقرأ في بعض كتب التفاسير وكنت أستمتع بما أجده في كتب البلاغة وقبل أن أكون طالباً في الكلية قرأت كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني أربع مرات فكنت أقرأ وأستمتع وأجد في نفسي هوى كبيراً والأمر بدأ في الستينات بشكل شديد. أما بالنسبة للكتب في هذا المجال فهي موجودة على ما أعتقد في المكتبات وجامعة الشارقة طبعت كتاب على طريق النفسير البياني في جزئيه ودار عمار في الأردن طبعت مجموعة من الكتب منها لمسات بيانية وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني والتعبير القرآني وأظن ألها توزعها في الشارقة في بعض المكتبات. (المعرفة أماكن تواجد كتب الدكتور فاضل اضغط على هذا الرابط).

سؤال من المقدم: (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (٩)) رؤوف رحيم ترد في القرآن معاً فهل وردتا متفرقتين؟ وما الفرق بين الرؤوف والرحيم؟

قبل الإجابة على هذا السؤال نبدأ من أول الآية. قال تعالى (هو الذي ينزل على عبده) هو أي هو لا غيره. واختار كلمة عبد وأضافه إلى ضميره وهذا فيه تكريمان: الأول إختيار كلمة (عبد) لأن الله تعالى في القرآن الكريم لما يذكر (عبد) يذكره في مقام التكريم لأن العبودية نوعان في القرآن الكريم: العبودية الإختيارية والعبودية القسرية. العبودية الإختيارية هي أن الإنسان يختار أن يكون عبداً لله مطيعاً له وبهذا يتفاضل المؤمنون. ففي مقام مدح نوح عليه السلام قال تعالى (ذُرِيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) الإسراء) أثنى على نوح وصفه بالعبودية. وقال تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً (١) الإسراء) وصفه بالعبودية (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (٩ ١) الجن). أما العبودية القسرية فليس فيها فضل لأنه رغم عن الإنسان نحن كلنا عباد الله شتنا أم أبينا (إن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إلَّا آتِي الرَّحْمَن عَبْدًا (٩٣) مريم) عبادة قسرية رغماً عنا، الله تعالى

يرزقنا ويختار لنا المكان الذي نولد فيه ويختار الأبوين ويعطينا إمكانيات ونعيش في السنن التي وضعها لا نتجاوزها هذه عبادة قسرية شئنا أم أبينا ليس فيها فضل وكل الناس هكذا (أَأْتُمْ أَصْلَلْتُمْ عِبَادِي هَوُلَاء أَمْ هُمْ صَلُوا السَّبيلَ (١٧) الفرقان) هذه عبودية قسرية ليس فيها فضل وقمة العبودية هي العبودية الإختيارية وحتى الأنبياء يتفاضلون في عبوديتهم لله سبحانه وتعالى (نعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) ص). فكلمة عبد وسام للشخص من الله تعالى فإذا أضافها إلى ضميره (عبده) نسبه إليه إذن فيها تكريمان لأنه لما ينتسب العبد إلى الله تعالى يكون في حمايته. فقال تعالى (هُوَ الَّذِي يُنزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ يَّيِنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى التُّورِ) فيها ثلاث تكريمات: هو الذي ينزل على عبده لا غيره، وعبده، وآيات بينات. لماذا؟ ليخرجكم من الظلمات. وكلمة (عبده) المقصود بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصف الآيات بأنها ييّنات ظاهرات بحجة والدلالة واضحة. آيات مقصود بها القرآن الكريم.

من الذي يُخرج؟ (ليخرجكم) فيها إحتمالان وكالاهما يصح: الله تعالى هو الذي يُخرِج والرسول صلى الله عليه وسلم وسلم يُخرِج لأنه هادي. (يخرجكم) يحتمل أن يرجع إلى الله تعالى وأن يرجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكلاهما صحيح. قال تعالى (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) يجمع القرآن دائماً الظلمات ويِّفرِ النور لأن الظلمات مصادرها متعددة أما النور مفرد وليس له إلا سييل واحد وهو الطريق النازل من السماء. ليس هناك هداية على الحقيقة إلا ما جاءت به الرسل. أما الظلمات متعددة الشيطان والنفس وغيرها، لذلك الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يجمع الظلمات في القرآن ويفرد النور.

سؤال من المقدم: قال تعالى في أول الآية: هو ثم عبده، وفي نهاية الآية قال: إن الله بكم لرؤوف رحيم فلماذا لم يقل مثلاً إنه بكم لرؤوف رحيم؟ وما الفرق بين الرحمة والرأفة؟

هو أوضح من هو بعد أن كان ضميراً جاء بالظاهر، الظاهر والضمير تضافرا على المقصود وحتى لا يشت الذهن لأمر آخر قال (وإن الله بكم لرؤوف رحيم).

الفرق بين الرأفة والرحمة: الرأفة أخص من الرحمة والرحمة عامة. الرأفة مخصوصة بدفع المكروه وإزالة الضرر والرحمة عامة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) الأنياء)، (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا (٦٥) عامة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا (٦٥) الأنياء)، (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا (٢٥) الأنياء به عندما يكون متوقعاً أن يقع عليه شيء. الرحمة عامة (وَإِنَّا الْكهف) ليست مخصوصة بدفع مكروه. تقول أنا أرأف به عندما يكون متوقعاً أن يقع عليه شيء. الرحمة عامة (وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا (٤٨) الشورى) فالرحمة أعمّ من الرأفة. عندما نقول في الدعاء يا رحمن ارحمنا هذه عامة أي ينزل علينا من الخير ما يشاء ويرفع عنا من الضر ما يشاء ويبسر لنا سبل الخير عامة.

استطراد من المقدم: هل أفردت الرأفة عن الرحمة في القرآن؟

فقط في موطنين في القرآن كله قال (والله رؤوف بالعباد) في موطنين: في سورة البقرة (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي تَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) البقرة) وفي سورة آل عمران (يَوْمَ تَجَدُ كُلُّ تَفْسِ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءَ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ (٣٠)) ما قال تعالى رؤوف رحيم.

يغار سؤال لماذا رؤوف رحيم وهنا في الموطنين اختلف؟ لو لاحظنا السياق الذي وردت فيه الآيتان يتوضح الأمر. في سورة البقرة قال تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجَبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُو أَلَدُّ الْخِصَامِ سورة البقرة قال تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجَبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَرْثَ وَالنَّسْلُ وَاللّهُ لاَ يُحِبُ الْهَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِشْمِ الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُ الْهَسَادَ (٥٠٧) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي تَفْسَهُ ابْتِعَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَوُّوفٌ بِالْعِبَادِ (٧٠٧) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي تَفْسَهُ ابْتِعَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَوُّوفٌ بِالْعِبَادِ (٧٠٧) المُعَلِق اللّهُ وَاللّهُ رَوُّوفٌ بِالْعِبَادِ (٧٠٧) اللهِ وَاللّهُ وَاللّهُ رَوُّوفٌ بِالْعِبَادِ (٧٠٤) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي تَفْسَهُ ابْتِعَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَوُّوفٌ بِالْعِبَادِ (٧٠٤) اللهِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَوَلِي اللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ الْعَبَادِ (٧٠٤) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي تَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْء إِلاَّ أَن تَتَقُواْ الْمُوسِق وَلَا يَتَعْدِ اللّهُ فَي شَيْء إِلاَ أَن تَتَقُواْ الْمُحْدِي وَلَي اللّهِ وَلَا يَتناسِب التَحذير مع اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ (٨٨) آل عمران) مقام تخذير وليس مقام رحمة ولا يتناسب التَحذير مع الرحمة. الموضعين والسياق اقتضاهم أفودت الرأفة عن الرحمة. الموال من المقدم: ما دلالة التوكيد بـ (إنّ) واللام في هذه الآية (وَإنَّ اللَّهُ بَكُمْ لَرَوُّوفٌ رَّحِيمٌ)؟

التوكيد بحسب ما يحتاجه المقام، إذا احتاج إلى توكيدين مثلاً لما يذكر الله تعالى النعم التي أنزلها علينا يؤكد وإذا لم يحتج إلى توكيد لا يؤكد ولو احتاج لتوكيد واحد يؤكد بواحد. (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَوُّوكَ رَّحِيمٌ (١٤٣) البقرة) أكد. (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي اللّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي اللّهُ نِيَا اللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَ فَصْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللّه رَوُّوكَ رَحِيمٌ (٢٠) النور) ما أكد. في الآية الأولى كانوا في طاعة (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) ويقولن هذه الآية نزلت لما تحولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة تساءل الصحابة عن الذين ماتوا هل ضاعت صلاقم؟ وهل ضاعت صلاتنا السابقة؟ سألوا عن طاعة كانوا يعملون بما فأكد الله تعالى (إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوكَ رَّحِيمٌ) أما في الآية الثانية فهم في معصية (يحبون أن طاعة كانوا يعملون في معصية (إِنَّ اللهَ بالنَّاسِ لَرَوُّوكَ رَّحِيمٌ) أما في الآية الثانية فهم في معصية (يحبون أن تشيع الفاحشة) فلا يحتاج إلى توكيد. في تعداد النعم (ألم تر أن الله سخر إِنَّ اللهَ بالنَّاسِ لَرَوُّوكَ رَّحِيمٌ) أما في الدَّا الله بالنَّاسِ لَرَوُّوكَ رَّحِيمٌ) أما في الآية الثانية فهم في معصية لا يؤكد. ولم يقل في القرآن (والله رؤوف رحيم) أبداً إما مؤكدة باللام و(إنّ) أو طاعة يؤكد ولما يكون في معصية لا يؤكد. ولم يقل في القرآن (والله رؤوف رحيم) أبداً إما مؤكدة باللام و(إنّ) أو (وقف بالعباد).

استطراد من المقدم: هل قدمت الرحمة على الرأفة في القرآن؟ وهل جاءت رحيم رؤوف؟ لم ترد رحيم رؤوف في القرآن ووردت فقط رأفة ورحمة (وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا (٢٧) الحديد) لكن ليس بهذه الصيغة. حسب السياق الذي ترد فيه أحياناً من الخاص إلى العام وأحياناً من العام إلى الخاص.

الحلقة ٤ ١

تابع سورة الحديد

(وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَييلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْقَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)) نظرة عامة على الآية:

الآية السابقة (وَمَا لَكُمْ لَا تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُوْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُتتُم مُّوْمِنِينَ (٨)) وهنا قال تعالى (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَيِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَى مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلُ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) الْفَتْحِ وَقَاتَلُ أَوْلَئِكَ أَعْظَمُ دُرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) يعني لِمَ لا تنفقون في سيبل الله والله تعالى وارث أمو الكم وستؤول إليه أموال الخلق كلها (وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرٌ (١٨٠) آل عمران) فأنفقوا حتى تنالوا جزاء المنفقين قبل أن تنقل رغماً عنكم وتذهب إلى الله بعالى، أنفقوا حتى تنالوا . قال تعالى (وَمَا لَكُمْ أَلَا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ولم يقل ولله ميراث أموالكم. هل الإنفاق مقترن بالمال؟ الإنفاق الأصل فيه المال لكن مرة يقول تعالى أنفقوا من المال ومرة مما رزقناهم ينفقون، الرزق أعمّ من المال وهنا لم يحدد، (في سيبل الله) في الغالب أموال، جهاد، لأنه قال تعالى (لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَشْحِ وَقَاتَلَ) الذي يبدو من سياق الآية أنه على المال. عندما قال (وما لكم ألا تنفقوا) ما قال تعالى سوف يهلككم ويميتكم ويأخذ أموالكم إن لم تنفقوا وإنما جعله عاماً يدخل فيه هؤلاء وغيرهم. (ولله ميراث السموات والأرض) إذن أموالكم أنتم أيضاً ستؤول إليه وهذا في القرآن كثير يذكر أمر ثم يأتي بأمر عا يدخل فيه هؤلاء (وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠)

وإنما قال لا يضيع أجر المصلحين فهذا يدل على أن هؤ لاء من المصلحين فالمصلحين أعمّ فدخل فيه هؤ لاء ودخل غيرهم فصار في زمرة الأعم، فشمل هؤ لاء وشمل غيرهم من عموم المصلحين. (مَن كَانَ عَدُوًّا لَلَهِ وَمَلاَيْكِةِ وَرُسُلِهِ وَجُبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوًّ لِّلْكَافِرِينَ (٩٨) البقرة) لم يقل عدو هم فأفاد أن هؤ لاء كافرون والآية تشمل كل الكافرين، هؤ لاء دخلوا في زمرة الكافرين ولا تخص عداوة الله تعلى لحؤلاء وإنما لعموم الكافرين فأفاد أمرين أن هؤلاء كافرين وأن عداوة الله لا تتحصر بحم ولكن بكل كافر. وهنا قال (ولله ميراث السموات والأرض) لم يقل ميراث أموالكم هؤلاء دخلوا في العموم. وقدّم الجار والمجرور (لله) ألها ستؤول إليه حصراً وإذا قال ميراث السموات والأرض لله ليس فيها قصر ولا حصر. التقديم عندنا شكلين: يقدم على العامل وتقديم على غير العامل. مثلاً تقديم الحبر على المبتدأ (ولله ميراث السموات والأرض) ميراث مبتدأ و(لله) لفظ الجلالة خبر مقدّم وهذا من باب جو از الفديم وليس من باب الوجوب لأن ميراث السموات والأرض معرفة مضافة إلى معرفة وليست نكرة تقديم الخبر على المبتدأ يسمونه من باب تقديم المعمول على العامل وهذا التقديم يفيد التخصيص أو الاهتمام حسب السياق. قد يفيد القصر كما في قوله (إياك نعبد) وأصلها نعبلك. هنا قال تعالى (ولله ميراث السموات والأرض) هذا اهتمام هو ستؤول إليه حصراً ولا تؤول إلى جهة أخرى مع الاهتمام.

(ولله ميراث السموات والأرض) ثم ذكر أنه (لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ ذَرَجَةً مَّن الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا) من أنفق وقاتل من قبل الفتح لا يستوي مع من أنفق وقاتل بعده لكثرة الأعداد وقِلة الخيائم لن يستووا، الذي ينفق من بعد النصر حاصل وفيها احتمال غنائم وفيها فائدة. (وكلاً وعد الله الحسنى) كل هؤ لاء على سبيل الاستغراق كل من أنفق وقاتل قبل الفتح وبعده بلا استثناء داخلون في وعد الله تعالى بالحسنى والحسنى حاصلة لكن الدرجات في هذه الحسنى تختلف. لم يستثني منهم أحداً كل من أنفق وقاتل قبل الفتح أو بعده كلهم داخلون في هذا الوعد، في الحسنى لم يستثني منهم أحداً. لكن الذين أنفقوا من قبل وقاتلوا أعظم وأرفع كلهم داخلون في هذا الموعد، في الحسنى لم يستثني منهم أحداً. لكن الذين أنفقوا من قبل وقاتلوا أعظم وأرفع درجة. الخطاب في الآية للمؤمنين (لَا يَسْتَوِي مِنكُم) (وما لكم ألا تنفقوا) أي كيف لا تنفقون مع أن دواعي الإنفاق كثيرة؟ هذا أسلوب استفهام غرضه التعجب كيف لا ينفق أحلهم وهم يعلم أن هذه الأموال ستؤول إلى الله تعالى رغماً عنه؟! كلمة الميراث الشموات والأرض يكون بعد الموت. كلهم ميتون وليس ميراثكم أنتم فقط سيؤول إلى الله تعالى وإنما ميراث السموات والأرض كله لله تعالى (إنَّا نَحْنُ نَرثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُوْرَفَ وَلَ إلى الله تعالى وإنما ميراث السموات والأرض كله لله تعالى (إنَّا نَحْنُ نَرثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُوْنَ

سؤال من المقدم: قال تعالى (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) باستعمال (أن) وقبلها قال تعالى (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ باللَّهِ) بدون (أن) فما الفرق؟

(أن) الناصبة تفيد الاستقبال في اللغة وهي من مخلّصات الفعل للاستقبال وعند النُحاة النصب علم الاستقبال نصب الفعل المضارع علامة الاستقبال وعندهم النواصب هي مخلصات الفعل للإستقبال. إذن حسب هذه القاعدة (أن) الناصبة تفيد الاستقبال. والفرق بينها وبين الآية التي قبلها (وما لكم لا تؤمنون) أن الإيمان لا يحتمل الاستقبال ولا بد أن تؤمن الآن فلا تدري بعد دقيقة ما الذي سيحصل. أما الإنفاق فيحتمل الاستقبال (أن لا تنفقوا) محتمل أن يكون مطلوب مني الجهاد لكنه غير واقع الآن وقد يكون نصاب الزكاة وقد لا يكون عندك نصاب الزكاة في الصدقات قد لا يكون عندك صدقة ولك أن ترجئها. فرق بين الإيمان والإنفاق فالانفاق يحتمل الإرجاء أما الإيمان فلا يحتمل الإرجاء أما الإيمان الذكاة قال روما لكم ألا تنفقوا).

سؤال من المقدم: (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) إسم الموصول (من) جاء مع مفرد (أنفق) ثم قال تعالى (والذين أنفقوا) إسم الموصول صار جمعاً (الذين) والفعل جمع (أنفقوا) فما الفرق؟

(من) و (ما) تسمى الأسماء الموصولة المشتركة أي يشترك فيها المفرد والمتنى والجمع والمذكر والمؤنث (وَمَن يَقُنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا تُوْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدُنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) الأحزاب) (ومِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) البقرة) (من) إذن اسم موصول مشترك واسم الموصول (الذي) مختص لأنه يكون للمفرد المذكر، وعندنا التي للمفرد المؤنث واللذان للمثنى المذكر واللتان للمثنى المؤنث والذين للجمع المؤنث. (من) تحتمل الإفراد وغير الإفراد. (الذين) جمع، فلما كان الإنفاق قبل الفتح كان المنفقون قليلين والمسلمون قليلين فجاء بما يدل على المفرد والقِلّة قال (من أنفق من قبل الفتح) ولما كثروا بعد الفتح استعمل ما يدل على المنحصيص) ولو قال (الذين) يعني به واحداً فقط فلا يمكن التي قد تستعمل للواحد (والذي تستعمل للواحد على التخصيص) ولو قال (الذي) يعني به واحداً فقط فلا يمكن أن يقول (الذي). أما (من) فتحتمل المفرد والجمع والمثنى. استعمل ما يدل على القلة فجاء بـ (من) الذي يحتمل القِلة وجاء بـ (أنفق) وهذه إشارة للتفرقة بين الحالتين: هؤ لاء قبل الفتح قِلّة ينفقون ويقاتلون واللواعي قليلة المؤست دواعي كسب وإنما إخلاص وتضحية أما بعد الفتح فصاروا أكثر فقال (الذين أنفقوا).

ما القرينة السياقية التي حددت (من) للقِلّة؟ السياق واضح في المقام لأنه لا شك ألهم كانوا قلة قبل الفتح وهذا معلوم في مقام المسألة والدواعي والدوافع للإشتراك في القتال قليلة، ماذا يكسب قبل الفتح؟ فالمقام يوضح ذلك.

سؤال من المقدم: ختمت الآية بقوله تعالى (والله بما تعملون خبير) فما اللمسة البيانية في تقديم العمل على الخبرة هنا علماً أين في آيات أخرى يقدم الخبرة على العمل (خبير بما تعملون)؟

تكلمنا سابقاً عن بما تعملون بصير وبصير بما تعملون. بالنسبة لهذه الآية واضحة لأن الكلام على هؤلاء، على عمل

هؤلاء من الإنفاق والقتال فقدم العمل لكن نقول أمراً في العمل والخبرة: يقدم العمل على الخبرة أو الخبرة على العمل بحسب ما يقتضيه المقام: فإذا كان السياق في عمل الإنسان وليس في الإنسان، في عمل الإنسان – وهناك فرق بين الكلام على الإنسان عموماً وعمل الإنسان – قدّم العمل ، هذا أمر. وإذا كان السياق في غير العمل ويتكلم عن الإنسان في غير عمل كالقلب أو السياق في أمور قلبية أو في صفات الله عز وجل يقدم صفة الخبير على العمل، هذا خط عام. إذا كان السياق في عمل الإنسان يقدم العمل (والله بما تعملون خبير) يقدم العمل على الخبرة وإذا كان السياق في أمور قلبية أو عن الله سبحانه وتعالى يقول (خبير بما تعملون). نضرب أمقلة حتى تتضح الصورة: (إن تُبدُوا الصَدَقَاتِ فَنعِمًا هِيَ وَإِن تُخفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُو خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّنَاتِكُمْ وَالله بما تعملون خير)، (ومَا لَكُمْ ألَّا تُنفِقُوا فِي سَيلِ اللهِ بمَا تَعْمَلُونَ خَبيرٌ اللهُ أَنْ وَيُقُولُ وَيَدُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بأَنفُسَهِنَّ أَرْبَعَة أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَعْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ وَلَقَالُ فقدم العمل، (والَّذِينَ يُتَوَفُّونَ مِنكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيرٌ (١٠) الحديد) الكلام على الانفاق والقتال فقدم العمل، (والَّذِينَ يُتَوَفُّونَ مِنكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيرٌ (١٠) الجديد) الكلام على الانفاق والقتال فقدم العمل، (والَّذِينَ يُتَوَفُّونَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بأَنفُسَهِنَّ أَرْبَعَة أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي الْفُسَعِقُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيرٌ (١٠) الجديد) الكلام على الانفاق والقتال فقدم عليهما فَعْلَنَ فِي الْفُسَعِقُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيرٌ (١٥) البقرة)

الكلام على العمل (فعلن)، (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتَتَبُّوُنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالتُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٍ (٨) التغابن) ذكر العمل فقدمه لأنه ذكر ما يتعلق بالإنسان وعمله فقدم العمل. في حين قال تعالى (وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتُهُمْ لَيَحْرُجُنَّ قُل ذكر ما يتعلق بالإنسان وعمله فقدم العمل. في حين قال تعالى (وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتُهُمْ لَيَحْرُجُنَّ قُل لَا تُقْسَمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٣٥) النور) النفاق أمر قلبي وليست عملاً فقدم الخبرة، (وَتَرَى اللّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْء إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) النمل) يتكلم عن الله سبحانه وتعالى فقدم الخبرة، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا التَّقُوا اللّهَ وَلْتَنظُّرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَت لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ لَكُلم عن الله سبحانه وتعالى فقدم الخبرة، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا التَّقُوا اللّهَ وَلْتَنظُّرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَت لِعَدٍ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨٨) الحسل على الله سبحانه وتعالى يقدم الإنسان يقدم العمل على الله سبحانه وتعالى يقدم الخبرة. العمل على الخبر وإذا كان الكلام ليس عن العمل وإنما في أمر قلبي أو الكلام على الله سبحانه وتعالى يقدم الخبرة. (مَن ذَا الَّذِي يُقُرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيْضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)) نظرة عامة على الآية:

نلاحظ أولاً تركيب التعبير (مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِمٌ): يُقرِض، هذا الفعل مبني للمعلوم ماضيه أقرض وهو فعل رباعي وكل فعل مضموم حرف المضارعة فهو رباعي بالأصالة أو بالزيادة سواء كان أصلياً أو مزيداً وهذه قاعدة. يُقرِض أقرَض والمصدر أفعل إفعالاً، أقرض إقراضاً هذه القاعدة مثل أكرم إكراماً، أنعم إنعاماً. لكن في الآية لم يقل إقراضاً ولم يأت بمصدره وإنما جاء بمصدر الفعل الثلاثي قَرَض (فَرْض). الثلاثي قَرَ مصدره قرْض والرباعي أقرض ومصدره إقراض. وهذا موضوع كبير ومتسع ولو أردنا أن ندخل فيه يكون على حلقات تحت عنوان التوسع في المعنى. الإقراض هو المصدر في اللغة مثل الإكرام. القرض له دلالتان في اللغة: الإقراض والمال الذي يُقرَض (إسم العين) تحديداً ما تعطيه من المال. إذن الإقراض له دلالة واحدة هو الإعطاء. القرض له دلالتان: المصدر عن الإقراض والمال، إذن صار أوسع وهو دلالة المال مع الإقراض. القرض الحسن هذا الإنفاق له صفات حتى يسمى حسناً لأن هناك قرض وهنالك قرض حسن.

القرض الحسن فيه شروط وصفات: أو لا يكون بإخلاص الية لله تعالى ولو لم يكن لله تعالى سقط عنه الحسن ولس فيه أجر أصلاً لأنه " إنما الأعمال بالنيات". الأمر الآخر كونه عن طيب نفس ليس فيه من ولا تكدير وإنما فيه بشاشة وجه (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَهُواللَّهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُبْعُونَ مَا أَنفَقُوا مَثًا وَلاَ أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ بشاشة وجه (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَهُواللَّهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يَتحرّى المال الحليب وإذا كان مالاً حراماً لا يصح. ثم أن يتحرّى المال الكريم وليس الخبيث (ولا تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ (٢٦٧) البقرة) المال الحلال الحليل عدل وعندك نعجة سمينة أيضاً حلال لكنها كريمة لذا قال تعالى (ولا تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ (٢٦٧) البقرة) الجبيث ليس مالاً حراماً (ولَسَتُم بآخِنِيهِ إِلاَّ أَن تُعْمِضُواْ فِيهِ (٢٦٧) البقرة) وهناك فرق بين الحلال والكريم، بين الخبيث ليس مالاً حراماً (ولَسَتُم بآخِنِيهِ إِلاَّ أَن تُعْمِضُواْ فِيهِ (٢٦٧) البقرة) وهناك فرق بين الحلال والكريم، بين الطيب والحلال " إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً "هذا حلال، والكريم الطيب. ثم يتحرى أفضل الجهات التي ينفق الطيب والحلال " إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً "هذا حلال، والكريم الطيب. ثم يتحرى أفضل الجهات التي ينفق فيها، أفضل الجهات ما كان أشدها حاجة وأكثرها نفعاً للمسلمين. هذه شروط القرض الحسن. عندما تجتمع كلها يكون قرض فسوف يعيد المال له وهذا تموين على المقرض أكثر من الصدقة. لذلك قال بعضهم الإقراض هو في يكون المسن والمندوبات وليس في المفروض لأن (من ذا الذي يقرض الله كثير من المفسرين قالوا من المندوبات وليست المنفقين لأن من

شروط القرض أن يعاد إلى صاحبه أما الصدقات فلا تعاد (إنما الصدقات للفقراء والمساكين). (فيضاعفه له) أي للمنفق، وعده الله تعالى بشيئين: المضاعفة والأجر الكريم وهو الأجر الحسن البالغ الجودة.

سؤال من المقدم: قال تعالى (من ذا الذي) فما دلالة هذه الصيغة؟

قال تعالى (من ذا الذي) هذه عامة ما قال من ذا الذين لأن كل واحد مسؤول عن إنفاقه و لا يجتمعون في الانفاق. كل واحد وكل شخص مدعو بذاته أن يفعل هذا الفعل. الخطاب موجه لكل فرد، كل واحد، كل شخص.

ما أصل (ذا)؟ قال تعالى (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورِ (٢٠) الملك) وقال (من ذا الذي). (من ذا) في هذه الآية فيها احتمالان: إما (ذا) إسم إشارة (هذا) أو (من ذا) كلها واحدة إسم استفهام بمعنى (من) لكن قالوا ألها أقوى من (من) لأنه زاد في المبنى وزيادة المبنى في العالب تدل على زيادة المعنى. (من ذا الذي يقرض الله قرضاً) تحتمل أن يكون من هذا الذي ويحتمل من الذي. وهناك فرق بين من ذا ومن هذا: الهاء للتنبيه (هذا: الهاء للتنبيه وذا إسم إشارة). لما يقتضي الكلام الشدة وما إلى ذلك يأتي بـــ (هذا) رَأَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمُ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَجُوا فِي عُتُو وَهُولِ (٢١) الملك). فرق بينها وبين (من ذَا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ (٥٥٧) البقرة) هذا شفيع والشفيع يترجّى، تنهب إلى من بيده الأمر وتشفع لفلان يعني يعلم أن عندا الذي تَذَهب إليه هو الذي يقضي في الحاجة ويفصل فيها فما قال من ذا الذي. (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرُزُقُكُمُ إِنْ أَمْسَك الرزق وهذا أمَّسَكَ رِزْقَهُ بَل لُجُوا فِي عُتُولً وَنُفُورٍ (٢١) الملك) من هو هذا الذي هو نذ الله تعالى؟ الله تعالى يمسك الرزق وهذا يرزق؟! من هذا؟ فجاء بهاء التنبيه الألها أشد. من هذا الذي هو نذ الله تعالى؟ (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُو جُندٌ لَكُمْ يَصُرُكُم مِّن أَل فِي غُرُورٍ (٢٠) الملك) من هو؟ هذه أشد وأقوى من (من ذا) لأن فيها تنبيه يقول (أمن هذا) وإذا لم يكن فيها تنبيه يقول (من ذا) وهذا ميزان عجيب في التعمير.

سؤال من المقدم: في سورة البقرة قال تعالى (مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)) وهنا قال (فيضاعفه له وله أجر كريم) واختلفت خاتمة الآيات فما الفرق بين الآيتين؟

أو لا في سورة البقرة قال تعالى (فيضاعفة له أضعافاً كثيرة) وفي الحديد ذكر المضاعفة مع الأجر (فيضاعفه له وله أجر كريم) زاد هنا بالأجر الكريم وهو الحسن البالغ الجودة. في البقرة ما قال هكذا وقال فقط (أضعافاً كثيرة) هنا مكان الأضعاف الكثيرة قال (فيضاعفه له وله أجر كريم) هذه زيادة. الفرق في البقرة ذكر الكمّ ولم يذكر الكيف (اضعافاً كثيرة) وفي الحديد ذكر الكمّ (فيضاعفه له) وذكر الكيف (وله أجر كريم) ذكر أمرين. أما في البقرة فذكر الكمّ فقط وفي الحديد ذكر الكمّ والكيف: المضاعفة والأجر الكريم. وذكرنا بأن سورة الحديد مطبوعة بطابع الإيمان والانفاق، هذا أمر. والأمر الآخر أنه قال في سورة البقرة (والله يقبض وييسط أمل يقبض معناه يضيق الرزق يصيبه القبض والتضييق في الرزق يحتاج إلى المال ولذلك لما قال تعالى يقبض ويسط هذا محتاج إلى المال فقال وفيضاعفه له أضعافاً كثيرة) لأنه يحتاج إلى المال. أما في يقول له: أنفِق حتى لا يصيبك القبض وحتى يُشيك البسط. هذا من باب تبصيره في الأمر سورة الحديد فليس فيها تمديد بالقبض أما في آية البقرة ففيها تمديد بالقبض فقال تعالى في الحديد (فيضاعفه له وله أجر كريم). وفي سورة البقرة قال تعالى في آية البقرة ففيها تمديد بالقبض فقال تعالى في الحديد (فيضاعفه له وله أجر كريم). وفي سورة البقرة قال تعالى في آية أجرى (مُثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَيلِ اللّهِ كَمَشَلِ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) البقرة) في مقام التكثير التحري السورة.

سؤال من المقدم: قال تعالى في آية سورة الحديد (وله أجر كريم) وقال في آية أخرى في نفس السورة (أجر كيير) فما الفرق بين الأجر الكريم والأجر الكبير؟

الآية التي قال فيها أجر كبير قال (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)) ذكر أمرين الإيمان والإنفاق وهنا ذكر الإنفاق فقط (من ذا الذي يقرض الله). ذكر الإيمان والانفاق في الأولى وهذه دائرة أوسع فلما اتسعت الدائرة إتسع الأجر فقال (أجر كبير) أي متسع. كل أجر له دلالة. الأجر الكبير يحوي الكريم لكن من حيث الكمّ هو أكبر لأنه ذكر أمرين: الإيمان والانفاق، إتسعت فصار أكبر.

سؤال من المقدم: ما الفرق بين خواتيم الآيتين (وإليه ترجعون) (وله أجر كريم)؟

في سورة البقرة قال تعالى (مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)) وهنا قال (وله أجر كريم). أصلاً سورة البقرة واقعة في سياق القتال والموت (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْل عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْل عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ اللّهَ مَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ (٢٤٣)) بعدها قال (وَقَاتِلُواْ فِي سَيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٤٢)) مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٣)) الإقراض معلَق الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَصْعُافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)) الإقراض معلَق على نية تجهيز الجيوش (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلاِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا تُقاتِلْ فِي سَيلِ اللّهِ (٢٤٦)) الآيات في الموت والقتال والموت والقتل مظنّة الرجوع إلى الله تعالى فقال (وإليه ترجعون)

مناسبة للموت والقتال. أما في سورة الحديد فالكلام في الإنفاق وليس في الموت والقتال. أما في سورة البقرة فجاءت في سياق الموت والقتال رفَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوثُونٌ) ماتوا أي رجعوا إلى الله والموت والقتل مظنة الرجوع إلى الله تعالى فقال (وإليه ترجعون) ولما كان الكلام ليس في هذا السياق في سورة الحديد قال (وله أجر كريم).

الحلقة ٦٦

تابع سورة الحديد:

(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢))

نظرة عامة على الآية: ربنا سبحانه وتعالى ذكر المؤمنين والمؤمنات في عرصات يوم القيامة وذكر أموراً فيها. قال عنهم ألهم يسعى نورهم ولم يقل يمشي نورهم وهذا يدل على إسراعهم أو الإسراع بهم إلى الجنة لأن السعي أسرع من المشي، ليس الجريان وإنما قال يسعى نورهم أي يُسرع بهم ولم يقل يمشي لأنه يحتمل أن المشي فيه إبطاء فأراد إما إسراعهم أو الإسراع بهم يُركب بهم على محاف كما يقال أو على مطايا خاصة تسرع بهم إلى الجنة. لاحظ لو لم يكن يُسعى بهم أو لو كان النور يسعى وهم يمشون هذا يدل على الإسراع بهم ذكر يسعى نورهم ولم يذكرهم هم لو كان النور يسعى وحده كان سبقهم وتركهم في ظلمة. المقصود بنورهم (نورهم) لأن كل مؤمن يؤتى نوراً على قدر عمله والنور محدد (بين أيديهم وبأيماهم). قال يسعى لأن السعي قدر عمله يسرع وهم مبطئون وإذا كان النور يسعى وهم يمشون لسبقهم فيه إسراع وقال يسعى نورهم ليس معناه أن النور يُسرع وهم مبطئون وإذا كان النور يسعى وهم يمشون لسبقهم وتركهم في ظلمة فلما قال يسعى نورهم دل على إسراعهم أو الإسراع بهم ولم يقل إلى أين يسعة بهم لأنه سيأتي وتركهم في ظلمة فلما قال يسعى نورهم دل على إسراعهم أو الإسراع بهم ولم يقل إلى أين يسعة بهم لأنه سيأتي التبشير لاحقاً.

ذكر السعي للنور لماذا لم يقل يسعون؟ لأنه لو قال يسعون احتمال هذا يفضي إلى الجهد والتعب إذا هم سعوا لأن السعي يفضي إلى التعب والجهد فقال يسعى نورهم إذن نفهم من هذا أنه يُسعى بهم هم يُركب بهم على محاف و السعي يفضي إلى النور ولم يقل يسعون لأن هذا يفضي بهم إلى الجهد مطايا يُسرع بهم فيسرع نورهم معهم. إذن هو أسند السعي إلى النور ولم يقل يسعون لأن هذا يفضي بهم إلى الجهد والتعب وأسنده إلى النور وأسند النور إليهم لأن كل واحد يعطى له نوراً خاصاً يستضيء هو به ولم يقل يسعى النور. وهذا النور بين أيديهم وبأيمالهم. (بين أيديهم) أمامهم ولو قال أمامهم يحتمل القريب والبعيد، تقول القرية أمامك وقد يكون أمامك نور بعيد لكن لا تستضيء به ولا يكون نافعاً. بين أيديهم أي قريب وهم يسعون في هذا النور وجهة السير أمامهم.

ولم يقل يسعون بنورهم لأن هذا يفضي بمم إلى تعب فكل كلمة مرسومة.

سؤال من المقدم: يسعى نورهم هل فيه دلالة على أن المؤمنين يسعون؟ لا وإنما يُسعى بهم ولا يركبون عليه وإنما النور يسعى بين أيديهم أي ألهم يصرون الطريق وهذا الطريق نور لهم ولو لم يكن هكذا لضلوا كالمنافقين الذين ذكرهم في الآية التي بعدها. (بين أيديهم) جهة السير بين أيديهم لم يقل أمامهم لأن ذلك احتمال أن يكون بعيداً فلا ينتفعون به.

(بأيمانهم) جمع يمين، يكون النور باليد اليمنى لأنها جهة كُتُب السعداء (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (١٩) الحاقة). ونلاحظ أنه لم يقل عن أيمانهم وإنما (بأيمانهم) الباء هنا للإلصاق كأنه مصباح تحمله في يدك، وكألهم يحملون نورهم والله أعلم بالحال يوم القيامة. لذلك ما قال عن أيمانهم وقد وردت آيات أخرى فيها (ثُمَّ لآتِينَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خُلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ (١٧) الأعراف) وإنما قال (بأيمانهم) كما قال (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينكَ يَا مُوسَى (١٧) طه) لأنه ملتصق بأيمانهم. (عن) تستعمل للمجاوزة لما يقال جلس عن يمينه أي متراخياً عن يمينه ليس ملتصقاً أما بيمينك أي ملتصق. (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينكَ يَا مُوسَى) هو يحملها في يده.

سؤال من المقدم: يسعى نورهم أسند السعي للنور فمسافة السعي بين أيديهم وبأيمانهم يُسعى بجم إلى الأمام هل هذا التركيب يُفهم منه أنه خاص بالمؤمنين والمؤمنات في حال سعيهم يوم القيامة؟ هو يتكلم عن المؤمنين والمؤمنات يوم القيامة (بشراكم اليوم). والخطاب موجه لكل من يصلح أن يُخاطَب، (يوم ترى) لكل من يصلح أن يخاطب والمرسول صلى الله عليه وسلم أو لا لكن كل من يصلح أن يخاطب إما أن ينتفع بهذا الخطاب فهو مؤمن ويكون من هؤلاء والآخر فيكون حجة عليه من باب التأكيد. لأن أحياناً يكون الخطاب قد يكون لكل من يصلح له الخطاب. (يوم ترى) والرؤية هنا في الآية بالعين.

لماذا قال تحديداً المؤمنين والمؤمنات ولم يقل المسلمين والمسلمات؟ أولاً لأنه بعدها سيتكلم عن المنافقين والمنافقات مباشرة بعدها (يوم يقول المنافقون والمنافقات) والمنافقون أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنًا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) البقرة) (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنًا قُل لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَا يَدْخُلِ اللّهِ وَبِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) البقرة) (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنًا قُل لَمْ تُوْمِنوا وَلَكِن مَن أفعاله الظاهرة والإيمان ما وقر في الله في قُلُوبِكُمْ (١٤) الحجرات) الإسلام هو الظاهر وهو بالقول وما يُرى من أفعاله الظاهرة والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل. لذلك لما ذكر المنافقين والمنافقات يقابلهم المؤمنين والمؤمنات وليس المسلمين والمسلمات لأن المنافقين يقولون نحن مسلمين. (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنًا قُل لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ أَل المنافقين يقولون نحن مسلمين. (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنًا قُل لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ أَي إلى الآن ما دخل وهو متوقع الدخول. (لمّا) معناها لم يحدث إلى الآن ولكن متوقع الحدوث. نقول لمّا يفعل نفيه لم يفعل، يفعل الآن ولكنه متوقع الحضور. (لمّا) نفي لـ (قد) لما نقول قد فعل نفيه لمّا يفعل ولما تقول فعل نفيه لم يفعل، حضر تفيها لم يحضر وقد حضر نفيه لمّا يحضر.

سؤال من المقدم: عدّد الله تعالى في آية أخرى بعض الصفات مثل القانتين والقانتات والصابرين والصابرات وغيرها وهنا اكتفى بالمؤمنين والمؤمنات تحديداً؟ هذا مقابل المنافقين والمنافقات تحديداً وهذا يسمى المقابلة. (بشراكم اليوم): البشرى ما يُبشّر به تقول أبشّرك بهذا. وأصل البشرى للمحمود فإذا قيلت في الذم تكون من باب التهكم (فَبشّرهُ بِعَذَاب أَلِيمٍ (٧) لقمان). البشرى في الأمور الحسنة هذا في اللغة فإذا استعملتها في آخر تُخرجها عن ظاهرها من باب التهكم كما تقول لأحدهم أنت أشعر من البحتري وهو لا يُحسن أن يقول بيتاً.

(بشراكم اليوم) أي يوم القيامة. ثم حذف القول ما قال يقال لهم بشراكم اليوم (بشراكم اليوم) هذا قول يبشرون به. لم يقل يقال لهم بشراكم اليوم ولكن قال بشراكم اليوم لأنه أراد أن الأمر مُشاهَد مرئي مسموع وليس إخباراً وإنما هو مشهد أمامك تسمع وترى ولو قال يقال لهم يصير إخباراً. (يوم ترى) هذا مُشاهَد ترى وتسمع من دون إخبار فلما قال (يوم ترى) أراد أن المشهد مسموع مرئى وليس إخباراً وإنما المشهد هذا أمامك. (بشراكم اليوم)

ليس إخباراً عن غائب. وقال بشراكم أي كل واحد يدخل في البشرى وما قال البشرى جنات.

سؤال من المقدم: في خارج القرآن قد يقول بشراهم لكن في الآية تحول من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب فما دلالة هذا.التحول؟

الآن الكلام موجه للمؤمنين وقبل كان الكلام موجه للآخرين لو قال بشراهم يكون إخباراً عن أمر غائب. (يوم ترى المؤمنين) أنت تشاهدهم أمامك لما أقول يوم ترى المؤمنين أنت جهة أخرى غيرهم وأنت تشاهدهم، المشهد أمامك والآن يتوجه الكلام للمؤمنين، (بشراكم اليوم) الكلام ليس لك وإنما أصبح خطاباً للمشاهد وليس للمشاهد، هذا يسمى تحولاً في الخطاب غرضه اليباني أنه يجعل المشهد حاضراً أمامك وليس إخباراً عن أمور غائبة وإنما عن أمر مشاهد هذا يكلم هذا وهذا يقال له وأنت تنظر.

(بشراكم اليوم جنات): ما الذي أفادته كلمة اليوم وقال في أول الآية (يوم ترى المؤمنين)؟ يوم ترى المؤمنين غير اليوم في (بشراكم اليوم) يخاطب المؤمنين في الأولى يخبرك يوم ترى كذا وكذا، (بشراكم اليوم) هذا اليوم حاصل وهو ليس إخباراً عن أمر مستقبل والبشرى كلما كانت قريبة كانت أدعى للمسرّة. اليوم وليس بعد سنين طويلة لا، اليوم، فهذا أدعى للمسرة لأن البشرى قريبة. يسعى بهم الآن هم ذاهبين إلى الجنة (بشراكم اليوم) اليوم يعني هذا الأمر كائن في هذا اليوم.

وقال جنات ولم يقل جنة وكأنه لكل واحد أكثر من جنة (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) الرحمن) (وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) الرحمن) إذن البشرى أن لكل واحد أكثر من جنة.

(تجري من تحتها الأنمار) في آية واحدة فقط في القرآن قال (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّالُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ التَّبَعُوهُم بِاحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْجَعُوهُم بِاحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠٠) التوبة). أولاً (من تحتها) أعلى من (تحتها) لأن بداية الحري مع مشهد بدايته من تحتها. (تحتها) ليس بالضرورة أن يكون النبع تحتها. لكن (من تحتها) أي بداية الجريان من تحتها يتمتع بمشهد الجري وبداية الجري.

أما لماذا قال في آية واحدة فقط (تجري تحتها)؟ كل آية فيها (تجري من تحتها الأنهار) معهم الأنبياء، المؤمنين والمؤمنات معهم أنبياء. أما في آية سورة التوبة فليس معهم أنبياء (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالنَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ) ليس معهم نبيّ. كل الآيات الأخرى على الإطلاق معهم الأنبياء وهذه ليس معهم الأنبياء. تجري من تحتها أي منبع الأنهار من تحتها.

سؤال من المقدم: لم يقل تسعى هنا بدل تجري؟ لأن الأنهار تجري ولا يقال تسعى والجري هو الركض من الإسراع. وتحت الجنة الواحدة عدة أنهار (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنِ (١٥) محمد). ونلاحظ أنه لما قال (تجري) معناها الأنهار غير راكدة، فيها تجدد للمياه لأن عدم الجري مظنّة الركود والأسن. إذا كان الماء لا يجري فهو مظنة الأسون. لاحظ لما لم يذكر الجري (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ) ما

قال تجري ولكن قال (من ماء غير آسن) حدّد لأنه لما لم يذكر تجري حتى يرفع مظنة الأسون والركود قال (من ماء غير آسن) آسن أي متغيّر متعفن من عدم الجريان. لما يقول تجري لا يقول غير آسن ولما لا يقول تجري يقول غير آسن. الأنهار غير الآسنة تضاهى تجري من تحتها الأنهار من حيث التعبير البياني.

سؤال من المقدم: مرة يذكر في القرآن (خالدين فيها أبداً) ومرة (خالدين فيها) لماذا؟ وما نعنى أبداً (أبداً) أي ليس له نماية. وخالدين الخلود عام وأحياناً العرب تقول خالدين لا يعنون فيها الأبد وإنما محلودة بفترة طويلة (ما دامت السموات والأرض). الأبد يعني بلا انقطاع لا ينتهي. وقد أثير هذا السؤال سابقاً وأجبنا عنه مطولاً وذكرنا جملة أمثلة من القرآن الكريم. إذا كان من باب تعظيم الأجور والكلام الطويل في وصفها يقول أبداً إذا كان تفصيل في الجنات ونعيمها يذكر أبداً وإذا كان إيجازاً لا يذكر أبداً.

سؤال من المقدم: بالرغم من أن المؤمنين والمؤمنات مذكورين لم يقل خالدين لماذا؟ لأنه لم يذكر نعيم الجنة وليس فيها تفصيل، ما ذكر شيئاً من النعيم وما فصّل في الجنة.

سؤال من المقدم: ختم الله تعالى هذه الآية بقوله (ذلك هو الفوز العظيم) وفي آية أخرى يقول (ذلك الفوز العظيم) فما دلالة الاختلاف؟

هو عرّف الفوز وجاء بضمير الفصل (هو) (وضمير الفصل يقع بين المبتدأ والخبر أو ما أصله مبتدأ وخبر أي إسم أن وخبرها وإسم كان وخبرها بين المفعولين حتى يفصل بين الخبر والنعت أو الصفة)، هذا هو ضمير الفصل وفاتدته التوكيد والحصر. فلما قال (ذلك هو الفوز العظيم) يعني ليس هناك فوز آخر وما عداه هو الخسران. ما قال ذلك فوز عظيم لأن معناه قد يكون هناك فوز آخر محتمل. هذا ربح وليس معناه أنه ليس هناك فوز آخر وما عداه وليس معناه أنه ليس هناك نجاح آخر. فلما قال (ذلك هو الفوز العظيم) تحديداً أي ليس هناك فوز آخر وما عداه خسران. وجاء بـــ (هو) زيادة في التوكيد والحصر. ويقول في آيات أخرى (ذلك الفوز العظيم) هذه فيها حصر وأحياناً تأتي بؤكد واحد أو مؤكدين تكون أقوى. في نفس السؤال نضرب مثلاً في قوله تعالى (يَا أَيُهَا الَّهِ بِمَامُواَلِكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَاب أَلِيم (١٠) تُؤمّئونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَهِدُونَ فِي سَييلِ اللَّهِ بَأَمْوَالِكُمْ وَلَكُمْ ذَلِكُمْ جَنَّاتِ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا اللَّهَارُكُمْ وَلَكُمْ ذَلِكُمْ جَنَّاتِ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا اللَّهَارُكُمْ وَلَيْنَ خِلُكُمْ جَنَّاتِ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا اللَّهَارُكُمْ وَلَيْنَ خِلُكُمْ جَنَّاتِ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا اللَّهَارُ لَقُورَ الْعَظِيمُ (١٢) الصفّ) ما قال (هو)، قال (تؤمنون بالله والجهاد في سبيل الله وتجاهدون في سييل الله أه أنونكم ويدخلهم جنات، طلب منهم الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله يَقْتُلُونَ وَيُقْتُلُونَ وَيُقْتُلُونَ وَعُدًا عَلَيْهِ حَقًا فِي التُورَ اقِوالإنجيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِن اللهِ مَنْ عَذَل مَوْ يَعْدُونَ وَعُدًا عَلَيْهِ حَقًا فِي التُورَةِ وَالإنجيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِن اللهِ اللهِ أَلْفَالُونُ وَيُقْتَلُونَ وَعُدًا عَلَيْهِ حَقًا فِي التُورَةِ وَالإنجيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهُونُ اللهُونُ اللهُونُ اللهُونُ اللهُونُ اللهُونُ اللهُورُ الْبَعُولُ وَالْإِنْكِيلُ وَالْوَرُورُ الْبَيْكُورُ الْ بَيْحَكُمُ مُن

الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التوبة) في الآية الأولى قال تؤمنون بالله، يعني طلب منهم الإيمان بالله والاستمرار عليه وهنا قال اشترى من المؤمنين فوصفهم بالإيمان. هناك طلب منهم أن يجاهدوا في سيبل الله (تجاهدون في سيبل الله) عندهم الأموال والأنفس يجاهدون فيها لكن في الثانية باع واشترى ولم يبقى عندهم مال ولا أنفس (فاستبشروا بيبعكم). هناك جهاد وهنا يقاتلون والجهاد ليس بالضرورة من القتال فالدعوة جهاد (وَجَاهِدُهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) الفرقان) أما القتال حرب (فيقتلون ويُقتلون) وهذا أقوى الجهاد. أي تضحية أكبر من أن يدفع الواحد نفسه فلا يبقى عنده مال ولا نفس؟ هذه أكبر ولذلك في الآية الأولى قال (ويدخلكم

جنات) لما أدخلهم جنات هل بالضرورة أنها صارت مُلكهم؟ في الثانية قال (بأن لهم الجنة) كأنهم اشتروا الجنة فصارت تمليكاً لهم كأن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالجنة، هذا تمليك أما في الآية الأولى فليس فيها تمليك فالإدخال ليس بالضرورة أن يكون تمليكاً، الثانية يبع وشراء هذا هو الفوز الأعظم ولذلك قال فيها (ذلك هو الفوز العظيم).

في آية الحديد ما ذكر شيئاً من البيع والشراء لأن الفوز قد يكون في أمور أخرى. (والسابقون الأولون) ليس كلها على نمط واحد لكن هو شيء أعظم من شيء. لو رجعنا إلى الآية (والسابقون الأولون الفوز العظيم) وفي آية أخرى في سورة التوبة (وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَثّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْبِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيّبَةً فِي جَنَاتِ عَدن وقال جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضُوانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُو الْفُوْزُ الْعَظِيمُ (٧٧)) أو لا ما قال مساكن طيبة في جنات عدن وقال ورضوان من الله أكبر ورضوان من الله أكبر من الجنات. الرضوان هو الرضوان مصدر) ولم يستعمل في القرآن كلمة الرضوان إلا رضى من الله تعالى أما المرضاة فتأتي من الله ومن غيره والرضوان هو أعظم الرضى وأكبره فخصة بالله سبحانه وتعالى أما مرضاة فليست مختصة بالله تعالى وإنما تأتي لله تعالى ولغيره (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِقَاء مَرْضَاتِ اللّهِ (٧٠٧) البقرة) (تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ (١) التحريم) أما الرضوان فهو لله تعالى يشري نفسهُ ابْتِقَاء مَرْضَاتِ اللهِ (٧٠٧) البقرة) (تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ (١) التحريم) أما الرضوان فهو لله تعالى المقط، خاص بالله تعالى ولموان أعلى من الجنة وفي الأثر أنكم لتحتاجون إلى علمائكم في الجنة كما تحتاجون اليهم في الدنيا، فقالوا كيف يا رسول الله؟ قال يطُلَ الله تعالى على عباده أصحاب الجنة فيقول سلوبي، فيحارون ماذا يسألونه وكل شيء موجود فينظر بعضهم إلى بعض فيذهبون إلى علمائهم يقولون ما نسأل ربنا؟ فيقول العلماء سلوه الرضى. ولذلك قال (ورضوان من الله أكبر) ولما ذكرها قال (ذلك هو الفوز العظيم) فخي حسب السياق سلوه الآية بشرى ونور والله تعالى في آية سمى البشرى فوزاً (لهم البشرى في الحياة الدنيا). وفي هذه الذي يأتي. هنا في الآية بشرى ونور والله تعالى في آية سمى البشرى فوزاً (لهم البشرى في الحياة الدنيا). وفي هذه الآية بنور وبشرى وما إلى ذلك فهو فوز عظيم.

نظرة عامة على الآية: (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجَعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِئْهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنْهُسَكُمْ وَتَرَبَّصْنتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتُكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْعَرُورُ ﴿٤٤)›.

بعد أن ذكر المؤمنين والمؤمنات ذكر المنافقين والمنافقات بمقابل المؤمنين والمؤمنات حتى يدل على أن كل فرد من الجنسين الذكور والإناث ينال جزاءه للايشفع لأحد ما قرابة وما تغني المؤمنة عن قريبها المنافق أو قريبتها المنافقة كما أن المؤمن لا يغني عن قريبه و لا عن زوجه وإنما كل واحد بنفسه و لا تقول المنافقة كنت تابعة لزوجي أو لأخي وإنما كل واحد ينال جزاءه. المنافقون والمنافقات مقابل المؤمنين والمؤمنات يقولون للمؤمنين (انظرونا نقتبس من نوركم) يمعنى انتظرونا ولم يقولوا انتظرونا لأن الانتظار فيه تمهل وإبطاء أما الإنظار فليس فيه ذلك و لا يشترط فيه ذلك. انتظر على وزن (إفعل) وفيها تمهل مثل اصبر واصطبر وكسب واكتسب وجهد واجتهد. اصطبر هو صبر طويل شديد، (واصبر على مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجُرًا جَمِيلًا (١٠) المزمل) (وَأَمُرُ أَهْلَكَ بالصَّلَاقِ وَاصْطَبرُ عَلَيْهَا طويل شديد، (واصبر على ما يقولون واصطبر عليها) لأن الصلاة تحتاج لصبر طويل ودائم. صيغة افتعل فيها تمهّل وهدة واجتهاد وإبطاء. مثل كسب واكتسب واكتسب (لاَ يُكلِّفُ اللهُ تَفْسًا إلاَّ وُسُعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتسَبَتْ

(٢٨٦) البقرة) الإكتساب فيها تعمّل واجتهاد وليست اكتسب عامة أنما في الشر. الكسب يكون في الخير والشر لأن الكسب أسرع والاكتساب فيه تعمّل واجتهاد وكسب حتى يكتسب والسيئات تحتاج إلى مشقة أما الخير فقد يأتيك وأنت لا تعلم، يغتابك أحد وتكسب أنت خيراً وهو يكتسب شراً. لم يقل انتظرونا لأن الانتظار فيه تمهل وإبطاء وهؤ لاء يُسرع بهم ولو قالوا انتظرونا ليس هناك مجال أن يجيبوهم، انظرونا ولو قليل، هم يُسرع بهم الآن إلى الجنة فلا ينتظرون، هم يعلمون أنه لو قالوا انتظرونا لم يجيبوهم لأنه ليس هناك فسحة للوقت فهم طلبوا

أقل الوقت.

(المنافقون والمنافقات) في صدر الآية حتى لا يشفع أحدهم للآخر لا تقول المنافقة هذا زوجي يملك أمري كان منافقاً فماذا أفعل؟ لا يشفع هذا لها وينبغي أن تستقل بالعقيدة استقلالاً فيها إفراد لتتحمل المسؤولية لا يغني عنك هذا. في العقيدة ليس هناك طاعة "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" التغليب يدل على العموم والشمول وأحياناً يراد به الفصيل.

(انظرونا نقتبس) تحتمل انظروا لنا، هي فيها احتمالين انظروا إلينا نقتبس من نوركم. (أَنظَره بمعنى أمهله) (قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (١٤) الأعراف) هذا فعل رباعي انظرين من الفعل الرباعي، انظر مضارعه يُنظِر وكل رباعي مضموم حرف للضارعة. هنا أُنظرونا من نظر ينظر. انظرونا لها معنيين: على الإمهال (أنظرين في الدِيْن) أي أمهلني وانظرونا بالعين. نظر فعل متعدِ بذاته (فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَرْكَى طَعَامًا (١٩) الكهف).

الحلقة ١٨

تابع سورة الحديد

(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا تَقْتَبَسْ مِن تُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا تُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤)). ذكرنا المنافقين والمنافقات في حلقة سابقة وذكرنا أنه فصّل وذكرهم ليدل على أن كل فرد من الجنسين ينال جزاؤه

ذكرنا المنافقين والمنافقات في حلقة سابقة وذكرنا أنه فصّل وذكرهم ليدل على أن كل فرد من الجنسين ينال جزاؤه ولا يشفع لأحدهم قرابة فلا تقول المنافقة كنت تابعة لزوجي أو أخي. وذكرنا أن الانتظار فيه تمهل وإبطاء وقلنا أن نظر أسرع من انتظر لأن انتظر فيها تمهل وإبطاء على وزن (إفعل) وضربنا أمثلة في حينها والمؤمنون يُسرع بهم إلى الجنة فلا يو جد وقت للانتظار والمنافقون يعلمون هذا ولو قالوا لهم انتظرونا لم يجيبوهم ولم يأبجوا لهم لأنهم يُسرع بهم إلى الجنة فطلبوا مدة قليلة أن ينتظروهم ولو كان في الأمر متسع في الوقت كما قال تعالى في الدنيا (فانتظروا إني معكم من المنتظرين) لكن الظرف لا يسمح بالانتظار والتمهل الكثير. قال انظرونا وهي ليست مثل انتظرونا من حيث دلالتها على الزمن. إبليس قال (أنظرين إلى يوم يبعثون) أي أمهلني وهذا معنى مختلف. أنظرين أي أمهلني أما انظرونا بمعنى انتظرونا وهنا لم ترد انظرونا من أنظر الفعل الرباعي كما قال إبليس وإنما انظرونا من الفعل الثلاثي نظر ينظر وليس من أنظر. أنظرونا في اللغة تحتمل أمرين: أنه انظروا إلينا وبمعنى انتظرونا وذكرنا هذا سابقاً. انظرونا أي استقبلونا بوجوهكم حتى نرى لأن لديهم نوراً في أيديهم حتى يستضيؤا به، قال انظرونا. إذن تحتمل معين يحتمل الانتظار ولو كان قليلاً ليستضيؤا بمم ويحتمل انظروا إلينا ليمشوا في نورهم.

(نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ) أي نُصِب من نوركم وليس بمعنى نأخذ لأن القبس يستعمل في النار وهو الشعلة من النار. القبس ويقال اقتبس من علمه لكن في الأصل هو الشعلة من النار (بشهاب قبس) لكن فرق بين نأخذ ونقتبس فالقبس أن تأتي بعود وتضعه في النار فيشتعل فتأخذه أما الأخذ فهو أن تلتقط من النار لذا قال تعالى (نقتبس) ولم يقل نأخذ لأن الاقتباس لا يُنقِص من المقتبس أما الأخذ فقد ينقص منه لذلك قال تعالى (نقتبس من نوركم) أي أن نوركم باق لكن دعونا نقتبس منه ولا نأخذ منه ولو قال نأخذ منه حتماً سيردّوهم. ولذلك قال نقتبس لأنه لن يؤثر على نورهم والنور كبير عندهم. أما لو قال نأخذ قطعاً يعرفون أن المؤمنين لن يوافقوا على هذا الطلب.

قال (نقتبس) ولم يقل نقبس لأن الاقتباس أعظم من القبس (اقتبس على وزن افتعل) أكثر. هذا يدل على عِظَم نور المؤمنين فهو ليس قليلاً مهما أُخِذ منه فهو كثير فقالوا نقتبس من نوركم وهذا يدل على عظم النور الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين. فقالوا نقتبس، رأوا نوراً عظيماً عند المؤمنين فقالوا (نقتبس). هذا يشير للسامع العربي إلى النور العظيم الذي أعطاهم إياه الله تعالى حتى يقول المنافقون نقتبس منه وهذا معناه أنه نور عظيم وهذا يدل على اكرام المؤمنين، هذا النور لا ينقص بالاقتباس وهو كثير. هذا ليس من قبيل زيادة المبنى تدل على زيادة لمعنى هو في الغالب هذا صحيح لكن في بعض الأحيان قد يكون البناء الأقل أبلغ من البناء الأكثر مثلاً من صيغ المبالغة (حذر) وحاذر إسم فاعل لكن حذر أبلغ من حاذر مع أن حذر بناؤها أقل. فهذه ليست قاعدة مضطردة.

(نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ) لم يقل من النور الذي معكم. وقال (يسعى نورهم) إذن هو نورهم هم، ملكهم، ليس من النور الذي معكم وإنما لكل واحد منهم نور.

سؤال من المقدم: هل في هذا دلالة على التملك؟ هو دلالة على شبه التمليك فهو أي النور لا يملُّك.

ما قالوا انظرونا نقتبس من هذا النور لأن من نوركم أكبر ونور المؤمنين أكرم فكل واحد له نور عظيم وليس نوراً عادياً بحيث يمشون فيه وإنما لكل واحد نور خاص يمشي به.

(قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا): لاحظ الآية تقول (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا) إذن هم يخاطبون الذين آمنوا، (قيل) فعل مبني للمجهول ولم يقل قالوا لأنه من الذي قال؟ الملائكة لأن المؤمنين مشغولون بما هو أعظم وأهمّ وأدعى للاهتمام لذلك قال (قيل ارجعوا) الملائكة هم الذين قالوا لأن هذا ليس كلام المؤمنين وإنما هم يُسعى بهم إلى الجنة فليس عندهم وقت للوقوف والكلام.

(قيل ارجعوا وراءكم) إرجعوا فيها دلالة الوراء فما دلالة وراءكم؟ هذه فيها أكثر من أمر في اللغة: إما أن يكون ظرفاً مؤكّداً (وراءكم) ونحن عندنا ظرف مؤكد وظرف مؤسس كما عندنا حال مؤكد وحال مؤسس ونعت مؤكد ونعت مؤسس. المؤسس هو الذي يؤسس معنى جديداً غير موجود في الجملة مثل: أقبل أخوك مسرعاً، رأيت أخاك نائماً، نائماً ليست من رأيت أخاك وليس لها علاقة برأيت أخاك هذه يسمولها حال مؤسسة. أما قوله تعالى (ولّى مدبراً) حال مؤكدة. عندنا ظرف مؤسس وظرف مؤكد، ظرف مؤسس أكثر مثال على الظروف تقول: جاء يوم الجمعة لأن الجيء يمكن أن يكون في أيام أخرى، جلس بين الأشجار (مؤسس) لكن جلست زمناً لا بد أن يكون له زمن، تكلّم حيناً هذا يسمى ظرف مؤكد. (وراءكم) ظرف مؤكد لـــ (ارجعوا). والدلالة التي يزيدها التوكيد هنا لأن التأكيد مطلوب في اللغة كما قال تعالى (فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوقِهِمْ (٢٦) النحل) السقف معروف أنه فوق وكذلك قوله تعالى (وَلاَ طَائِر يَظِيرُ بِجَنَاحَيْهِ (٣٨) الأنعام) معروف أن الطائر يطير بجناحيه فالتوكيد موجود في اللغة وغرضه البياني زيادة في التوكيد والاهتمام. وقد يكون (وراءكم) إسم فعل بمعنى ارجع فيكون فيها تأكيدين: إسم وغرضه البياني زيادة في التوكيد والاهتمام. وقد يكون (وراءكم) إسم فعل بمعنى ارجع فيكون فيها تأكيدين: إسم

الفعل وتأكيد بالفعل. (إرجعوا وراءكم) فيها إهانة أشد للكافرين. ثم (وراءكم) ليس بالضرورة أن تكون مؤكدة. لما تقول إرجع قد ترجع في مكانك بظهرك من غير إستدارة لكن لما تقول إرجع وراءك فلا بد أن تستدير وترجع للمكان الآخر فهناك فرق بين ارجع أي أفسح المجال أو وسِّع أما ارجع وراءك فهو أمر آخر وهو أن يذهب للخلف يستدير ويرجع فهذا كالطرد. (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا)، قيل ارجعوا قلنا أن المؤمنين لم يقولوا هذا الكلام وإنما لللائكة قالتها لأن المؤمنين مشغولون بما هو أهم.

لم يقل هناك نور وإنما قال (فالتمسوا نورا) أي اطلبوا منهم نوراً، لم يقل هناك نور موجود وإنما قال إلتمسوا نوراً. وفَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ للهُ بَابٌ بَاطِئهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ حُجز بينهم ولم يقل بينهما مع ألهما فريقان كما قال في آية أخرى (فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) النمل) أي بين الأفراد أجمعين لأنه قال بالجمع منافقين ومنافقات وعندنا مؤمنين ومؤمنات فضرب بينهم على الجمع أي حُجز بينهم بسور. ضرب في اللغة لما تأتي بالباء (ضرب بينهم بسور) أي ليس ضرباً بالعصى وإنما حُجز بينهم ويسمى هذا تضمين يعني يضمن الفعل معنى آخر، أصل الفعل يتعدى بحرف جرثم يأتي بفعل آخر لا يتعدى بهذا الحرف وتعديه بهذا الحرف الجرفيعطي معنى آخر، مثلاً: نصرناهم من الذين كفروا، فعل نصر لا يتعدى بـ (من) وإنما فعل نجّى يتعدى بـ (من) فلما قال نصرناهم من الذين كفروا، فعل النجاة ومعنى النصر. هذا يسمى في اللغة التضمين يكتسب معنيين المعنى الأصلي المذكور ومعنى ذلك الفعل الذي أشار إليه بحرف الجر.

(ضرب بينهم بسور) أي حجز بينهم. السور هو ما أحاط بالشيء لكنه قال (له باب) حتى لا يُظنّ أن المؤمنين محتجزون فيه. لو لم يكن له باب يحتمل ألهم محتجزون. المؤمنون والمنافقون حُج. ينهم بسور هذا السور له باب يدخل منه المؤمنون ينفذون منه إلى مرادهم إلى الجنة والمنافقيون لا يستطيعون أن ينفذوا منه. فالسور يحجز يينهم بحيث هذا الباب يفضي بالمؤمنين إلى الجنة والمنافقون خارج السور والمؤمنون داخله فهمنا هذا من قوله تعالى (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) داخله فيه الرحمة وهي الجهة التي فيها المؤمنون وظاهره من قبله العذاب جهة المنافقين. لم يقل يينهم سور وسكت وإنما من جهتهم وإنما من باطنه أي جهة المؤمنين. ولاحظ أنه قال عن السور (باطنه لا يمكن لهم الدخول لأن الباب ليس من جهتهم وإنما من باطنه أي جهة المؤمنين. ولاحظ أنه قال عن السور (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) أي أن ظاهره يختلف عن باطنه كما أن المنافقين ظاهرهم يختلف عن باطنهم فهي لمسة فنية دقيقة جداً. فكما أن المنافقين يخالف باطنهم ظاهرهم كذلك السور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب. المنافقين يخالف باطنهم ظاهرهم كذلك السور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب. المنافقين عناهم خارجه.

(يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ) قبلها قال تعالى (يوم يقول المنافقون والمنافقات) باستعمال الفعل (يقول) والآن (ينادوهُم) نادى أي رفع الصوت، مدّ الصوت، مدّ النداء والقول عام حتى في النفس كما في قوله تعالى (وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذَّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ (٨) المجادلة). هم كانوا قريبين منهم في البداية لكن مع السور صار كل واحد في جهة ويحتاجون لرفع الصوت (ينادوهُم) أي يرفعون أصواهم لأن القول حتى لو تكلم أحدهم بأخفض الأصوات هو القول حتى في النفس. الآن صار ينهم حاجز ويحتاجون لرفع الصوت (ينادوهُم).

(يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ) لم يقولوا ألم نكن منكم، هم لم يكونوا منهم ولو قالوا ألم نكن منكم لقال المؤمنون كلا. ألم نكن منكم أي مؤمنين، ألم نكن معكم صحيح أنتم معنا تُظهرون الإيمان، فالمعيّة لا تعني بالضرورة أن يكونوا منهم، نعم هم موجودون معهم في نفس المكان أو المدينة لكنهم ليسوا منهم. (معكم) ظرف و (من) حرف جر وكل واحدة لها دلالة. قالوا بلى أنتم معنا ولكن ليسوا منهم (قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتُبْتُمْ وَغَرَّكُم باللَّهِ الْغَرُورُ. وَغَرَّتْكُمُ الْلَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم باللَّهِ الْغَرُورُ.

سؤال من المقدم: هنا قال تعالى (قالوا بلى) وفي الآيات السابقة قال (قيل ارجعوا وراءكم)؟ لو قال :قيل بلى الكلام ليس حكماً لألهم يكلمون المؤمنين ولو قيل بلى كيف يكون حكماً على الآخر؟ أنا أسألك أنت وغيرك يجيب عنك كيف تكون أجبت أنت؟ هذا سؤال، أما (انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا) هذا طلب يحتمل أن يرد الآخر عني أما في السؤال فلا يجب أن يجيب عنك أحد. (ألم نكن معكم) من يقول هذا الكلام صحيح؟ أنت المسؤول تجيب فقال (قالوا بلى) لا يمكن أن تكون هنا (قيل بلى) لأنه احتمال أن يجيب غيرهم أن يكون معهم أو لا. لو قال واحد بلى يقال أنا لا أسألك أنت ولكن أسألهم لأنني كنت معهم.

سؤال: (وَلَكِيَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنْهُسكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارَتَبتُمْ وَغَرَّكُمُ الْلَمَانِيُّ حَتَى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْفَرُورُ) هل هذا الميتب مقصود هنا؟ هو قطعاً مقصود لأنه مرتب ترتيباً منطقياً. أولاً نعرف ما هو معنى فننتم أنفسكم؟. فتن أشرنا إلى معناها في الحلقة السابقة، (فننتم أنفسكم) معناه الاحتبار وقد يكون العذيب (وَالْهِتِنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ (١٩١) المبقرة) والفتنة إدخال الناس في النار (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) الذاريات) وكل هذه المعاني مطلوبة هنا. أنتم فنتم أنفسكم أي وضعتم أنفسكم في الاحتبار وتقولون لهؤلاء نحن معكم ولهؤلاء نحن معكم وكل فريق سوف يختبركم إذن هم وضعوا أنفسهم في فتنة الاحتبار. ثم هذا الاحتبار طال (تربصتم وارتبتم) فصار هناك تعذيب نفسي هي ليست لحظة وإنما عمر، والعذيب في الدنيا والآخرة. التربص هنا هو الانتظار والنار مأواهم. تربصتم أي تنتظرون التيجة لكل واحد يتربصون بالفريقين، (الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَيْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُواْ أَلَمْ نَستُحُوْذُ عَلَيْكُمْ (١٤١) النساء) ثم يتربصون بالفريقين وينتظرون ماذا ميكون؟ أي فريق الذي فيه نفع لهم؟ يقولون نحن معكم، هذا فيه تربص ثم لما دخلتهم الريبة من سيفوز؟ الريبة بمعنى الشك. والشك يختلف عن الريبة لأن الريبة حتى يقال هذا الحيوان لا يريبه شيء أي لا يزعجه شيء فالريبة أعمّ الشك. والشك يختلف عن الريبة لأن الريبة حتى يقال هذا الحيوان لا يريبه شيء أي لا يزعجه شيء فالريبة أعمّ (ذلك الكتاب لا ربب فيه).

ما قال ارتبتم في شيء لأن الحياة عامة ليست في شيء محدد وهذا عمر والأمر طال. ارتبتم حتى تربصتم ولم يذكر شيئاً والفريقان ينتظرون من سيفوز؟ طال الأمر وينتظرون من سيفوز هؤ لاء أم هؤ لاء؟ دخلتهم الريبة لأنه طال الانتظار. ولما طال الانتظار دخلتهم الريبة ولما دخلتهم الريبة بقيت الأمنيات. لما لم يحدث شيء بقيت الأمنيات. ثم دخل الشيطان فقال (وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْعَرُورُ) فهي مرتبة ترتيباً منطقياً أحدها يفضي إلى الآخر. هم ظلموا أنفسهم وأظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ثم طال التربص و دخلتهم الريبة والشكوك ثم طالت المسألة ثم دخل الشيطان حتى جاء أمر الله ورحلوا عن الدنيا منافقين مغرورين من الشيطان (وَلَكَنَّكُمْ فَتَستُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّكُمُ اللَّهِ الْغَرُورُ).

في صدر الآية قال (انظرونا نقتبس من نوركم) هو الآن مشهد ذكر أن المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم (بشراكم اليوم جنات) هذا الآن يُسرع بمم إلى الجنة أما المنافقين فليس عناهم غير أن يطلبوا النور حتى يمشون لكن النور انقطع فقالوا أعطونا النور قيل ارجعوا وراءكم ثم صار تدرجاً، صار سور، ألم نكن معكم بدأ الحوار.

(فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنِكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) الكلام لا يزال في يوم القيامة. ذكر الفدية لأن الخطاب موجه إلى المؤمنين والمنافقين إما من الله تعالى أو من الموكلين بهذا القول. (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أولاً ذكر الفدية لأنه تكرر في السورة ذكر الإنفاق والقرض الحسن فذكر فدية ويبدو أن الفدية هنا هي المال لأنه قال (لا يؤخذ منكم) وما قال لا يقبل منكم لأن الفدية في اللغة والقرآن ليست مختصى بالأموال فقد ورد في القرآن (فَفِدْيَةٌ مِّن صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ (١٩٦) البقرة). القدية يفدي بها نفسه يدفع فدية. ذكر ربنا في الدنيا في الحج (فَقِدْيَةٌ مِّن صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ) والآن قال لا يؤخذ منكم فدية وما قال لا يقبل منكم فيبدو ألها مال. كان يمكن أن نفقوا في الدنيا ويفدوا أنفسهم في الدنيا أما اليوم فلا يؤخذ منهم فدية وليس منهم فقط ولكن من الكفار أيضاً وليس جميع الكفار منافقين حتى تكون عامة. هل يخرج من غير المنافقين؟ قال لا منكم ولا من غيركم، لا منكم ولا من الذين كفروا فالخطاب للجميع.

(مأواكم النار) الكلام الآن بالذات مع المنافقين النار مولاكم عامة ومأواكم النار المأوى هو دار الإقامة أو الملجأ المكان الذي تأوون إليه أو الملجأ، والمولى هي التي تتولى أمركم، النار تتولى أمرهم. ذكر أمرين: يأتيهم الشر من جهتين من المأوى والمولى فقد يكون المؤى سيئاً لكن المولى حسن وقد يكون العكس أنا هؤلاء فالنار مأواهم ومولاهم. يحتمل أن يكون المولى من الولي أي القرب (أولى لك فأولى) أي مكانكم عن قرب والمعنيان مرادان فهي تتولى أمرهم وهي مكلفم عن قرب ولم يرد في جهنم (هي مولاكم) إلا في هذا الموطن وذلك لسببين السبب الأول أنه ذكر في الآية أن المنافقين تربصوا وغرقم الأماني حتى الموت فبعد طول الأمل والتربص الطويل كانت النار أقرب إليهم فهم كانوا يستبعجونها وهي أقرب وأدنى من آمالهم. والسبب الآخر أن كل الآيات التي ورد فيها (وَمَأُوانُهُ جَهَنَّمُ وَبِعْسَ الْمَصِيرُ (٢٦٢) آل عمران) ونحوها إنما قيلت وهم في الدنيا والدنيا لا تزال غير منقضية وأما هذا القول فإنه قيل وهم في الآخرة وقد ضرب السور بينهم وبين المؤمنين وأتاهم العذاب من قبله فالنار قريبة منهم فقال (هي مولاكم).

(وبئس المصير) هذه أنسب خاتمة لهم فقد كانوا في ترقبهم وأمانيهم ينتظرون للصير السن والمستقبل المشرق فكانت لهم الظلمة والمصير الأسوأ.

إن هذه الآيات يتجلى فيها إكرام المؤمنين وإبعاد النصب عنهم بخلاف المنافقين فإنها يتجلى فيها إرهاقهم وإهانتهم والتهكم بحم فقد قال في المؤمنين: (هذا الجزء منقول من كتاب الدكتور فاضل السامرائي على طريق التفسير البياني الجزء الأول من صفحة ٢٦٦ إلى صفحة ٢٦٦ للفائدة)

السعى نورهم): ولم يقل (يمشي نورهم) للدلالة على الإسراع بهم إلى الجنة، وهذا إكرام فإن الإبطاء إلى السعادة ليس كالإسراع إليها، وفي الإسراع ما فيه من الإكرام.

٢ ــ أنه تعالى أسند السعي إلى النور ولم يسنده إليهم فلم يقل (يسعون) لأن السعي قد يجهدهم، فأسنده إلى النور فدل على أنه يسعى بحم، فهو لم يقل إلهم يمشون، لأن المشي قد يكون فيه إبطاء، ولم يقل يسعون، لأن سعيهم قد يكون فيه إجهاد، ولكنه أفاد السعى من ذكر سعى النور.

٣ ــ قال يسعى نورهم، فذكر الفاعل ولم يقل (يُسعى هم) بالبناء للمجهول وحذف الفاعل فلا يُدرى أيسعون في ظلمة أم في نور، فذكر أن لهم نورا يسعى.

٤ ــ أضاف النور إليهم، وهذا فيه أمران: الأول الدلالة على أن هذا النور إنما هو نور المؤمن، وهو يدل على قدر

عمله. فهو إهابة بالمؤمن ليعظم نوره ويكثره. ومن ناحية أخرى لم يقل (يسعى النور) فيجعله عاما يستضيء به المنافقون، فجعل لكل مؤمن نوره الذي يستضيء به فلا يشاركه فيه غيره، وهذا إكرام للمؤمنين وحسرة على المنافقين.

قال (بين أيديهم) ومعنى (بين أيديهم) أمامهم، غير أنه لم يقل (أمامهم) لأن الأمام قد يكون بعيدا عن
 الشخص، فقد تسأل عن قرية فيقال: هي أمامك، وقد يكون النور أمامك و لا تتمكن من الاستضاءة به لبعده فقال
 (بين أيديهم).

٦ ـ وقال (وبأيماهم) ولم يقل (عن أيماهم) لأن معنى بأيماهم أنه ملتصق بالأيمان وليس مبتعدا عنها كما قال تعالى:
 "وما تلك بيمينك يا موسى١٧" طه، ولو قال (عن أيماهم) لدل أنه متراخٍ عن أيماهم أو منحرف عنها لأن (عن)
 تفيد المجاوزة، والباء تفيد الإلصاق.

٧ ـــ قال (بشراكم)، ولم يقل (يقال لهم بشراكم) لأنه أراد ن يجعل المشهد حاضرا ليس غائبا، يُسمع فيه التبشير ولا يُنقل.

٨ ــ وأضاف البشرى إلى ضمير المخاطبين لتنال البشرى كل واحد، ولم يقل (البشرى جنات) وهو إكرام آخر.
 ٩ ــ وقال (اليوم) للدلالة على قرب البشرى، وألها ليست من الوعد البعيد الوقوع، والبشرى كلما كانت أقرب كانت أحب وأدعى إلى المسرة.

• 1 _ وقال (جنات) ولم يقل (جنة) للدلالة على أن لكل منهم جنة أو أكثر كما قال تعالى: "ولمن خاف مقام ربه ونحى النفس عن الهوى" النازعات.

11 _ قال: "تجري من تحتها الأنهار" ولم يقل (فيها أنهار) وذلك للدلالة على أنها جارية وليست راكدة، والركود مظنة الأسون، هذا إضافة إلى التمتع بمشهد الجري، ولذلك عندما لم يذكر الجري في قوله: "فيها أنهار من ماء 10" محمد. قال (غير آسن) لينفي عنها صفة الأسون، ولما ذكر الجري لم يذكر ذلك لأنه لا حاجة إليه.

١٢ ــ وقال (الأنهار) ولم يقل (نهر) للدلالة على كثرة الأنهار.

١٣ ــ قال (خالدين) وهي بشرى أخرى، وقال (فيها) للدلالة على أن الخلود في الجنات وليست الجنة مرحلة أو مكانا ينتقلون منه إلى ما هو أقل سعادة.

١٤ ــ قال (ذلك هو الفوز العظيم) ولم يقل (ذلك فوز عظيم) وإنما عرف الفوز بأل للدلالة على القصر وعلى أنه
 لا فوز أعظم منه، ثم جاء بضمير الفصل للزيادة في التوكيد.

ثم إن الأمر يعظم ويكبر بعظم قائله فإن الفوز الذي يذكره طفل أو رجل من ضعفة الناس يختلف عن الفوز الذي يذكره قائد أو ملك. فكيف وقد ذكره ملك الملوك ووصفه بالعظمة وقصره وأكده؟

• ١ - ذكر أن المنافقين يقولون (انظرونا) ولم يقولوا (انتظرونا) فإنهم يدركون أنهم لا يسعهم الانتظار، وإنما طلبوا منهم مهلة قصيرة لينظروهم أي ينتظروهم. وفي هذا دلالة على الإسراع بمم إلى الخير والسعادة، فإن الذي يسرع به إلى الخير والسعادة أكرم من الذي يبطأ به.

١٦ ـــ ثم قال (نقتبس) ولم يقل (نقبس) و الاقتباس أكثر من القبس، وذلك يدل على عظم النور الذي عندهم.
 ١٧ ـــ قال (من نوركم) ولم يقل (من النور) وهذا تكريم آخر فإن النور نورهم.

١٨ ــ قال (قيل ارجعوا) ولم يقل (قالوا) لأنه أراد ألا ينشغلوا بما لا فائدة فيه من الكلام فتكلم لللائكة أو غيرهم بالنيابة عنهم ولم يشغلوهم بالكلام عما هو أهم، ولم يرهقوهم بكثرة القيل.

19 _ قال (فضرب بينهم بسور) فحجزوهم عن أولئك السائلين المنافقين.

• ٢ ــ ثم قال (له باب) للدلالة على ألهم غير محتجزين فيه، وإنما ينفذون منه إلى مرادهم.

٢١ ــ ثم قال (باطنه فيه الرحمة) وهو تكريم آخر وكيف لا وهم في رحمة الله؟

أما دلالتها على إهانة المنافقين وإرهاقهم فهو أوضح ما يكون:

الـ فقد ذكر أن المنافقين والمنافقات يطلبون من المؤمنين أن ينظروهم للاقتباس من نورهم، وهذا يدل على أتهم في ظلمة، وقد قيل إنهم أعطي لهم نور ثم انطفأ من باب إهانتهم و خديعتهم والاستهزاء بمم كما كانوا يخادعون ويستهزئون في الدنيا. قال تعالى: "إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم " النساء ٢٤٢

جاء في تفسير ابن كثير: "ويقول المنافقون للذين آمنوا "انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا" وهي خدعة الله التي خدع بما المنافقين حيث قال "يخادعون الله وهو خادعهم" فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب"

٢ — وقال (قيل ارجعوا) ولم يذكر أن المؤمنين ردوا عليهم، فبنى الفعل لجهول، وقيل إن القائل هم الملائكة، فهم الذين تولوا الرد عليهم، أما المؤمنون فلا يعنيهم هذا الطلب وإنما هم مشغولون بما هو أهم، وهذا إهانة للمنافقين أن يطلبوا من المؤمنين فلا يجيبوهم وإنما يجيبهم آخرون.

٣ ـ وقال (ارجعوا) وهو إهانة أخرى.

ع _ وقال (وراءكم) وهو إما أن يكون ظرفاً مؤكداً أو يكون اسم فعل بمعنى (ارجعوا) فيكون كأنه قيل لهم:
 ارجعوا ارجعوا، وهو إهانة ظاهرة.

٥ ــ قال (فالتمسوا نورا) وهم يعلمون أن ليس ثمة نور، وهو من باب الاستهزاء بمم.

٦ _ وقال (فضرب بينهم بسور له باب) فحجزوهم عن اللحاق بالمؤمنين وهو إهانة ظاهرة.

٧ _ وقال (وظاهره من قبله العذاب) وهي جهتهم.

٨ ـــ وقال (ينادونهم ألم نكن معكم) فذكر ألهم يرفعون أصواتهم من وراء السور ينادون المؤمنين ليلتحقوا بهم،
 ولكن حيل يينهم وبين ما يريدون.

9 ــ وفي رد المؤمنين عليهم إهانات متعددة، فقولهم لهم: إنكم فتنتم أنفسكم، وتربصتم، وارتبتم، وغرتكم الأماني،
 وغركم بالله الغرور، كل خصلة منهن إهانة وتبكيت.

• 1 _ قوله تعالى: "فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا"و "مأواكم النار" "هي مولاكم" "وبئس المصير" كله إهانات وإخبار لهم بما سيلاقونه من سوء العاقبة والمنقلب، نعوذ بالله. فالأشياء محشودة حشداً فنياً دقيقاً في إكرام المؤمنين وإهانة المنافقين.

الحلقة ٢٠

تابع سورة الحديد:

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَحْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِلذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦)

نظرة عامة على الآية: قال تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِنِكُو اللَّهِ وَمَا نَوَلَ مِنَ الْمَحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِيَّابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مَّنْهُمْ فَاسِقُونَ الْمِيان يعني ألم يجن؟ الفعل يأن ماضيه أبى يأنى، أبى يعني حان ونضج. ألم يأن معناه ألم يجن هذا الأمر وقد جاءت الآيات والبينات؟ (ألم يأن للذين الشيء أي هذا وقته ووجب. ألم يأن أي إلى الآن لم يجن هذا الأمر وقد جاءت الآيات والبينات؟ (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم) نلاحظ أنه أسند الخشوع إلى القلب والخشوع هو أمر مشترك بين القلب والجوارح في الحديث "لو خشع قلبه لخشعت جوارحه" وفي القرآن قال تعالى (حَاشِعة أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّة (٤٣) القلم) المحشوع (وَتَرَاهُمْ يُوْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلَ (٤٤) الفاري. الخشوع هو الحضوع والحشية والدلل بالحشوع (وَتَرَاهُمْ يُوْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلُ (٤٤) الفالين. ما قال تخضع واستعمل الخشوع والحشية والتذلل. والحشية والحضوع والحشية والخضوع الذلل فيه النذلل والخشية والحضوع. ذكر أمرين قال (ألَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَحْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكُو اللَّهِ وَمَا نَوْلَ مِنَ الْحَقِّ (لذكر وسمّاه الله سبحانه وتعالى ذكراً (أَنْنِلَ عَلَيْهِ الذَّكُومُ مِن بَيْنَا (٨) ص) فالذكر عام والقرآن من الذكر والذكر أعم من القرآن فالذكر يكون في القرآن في التسييح والتحميد والفكر. (وما نزل من الحق) أي القرآن. عندنا أمران: ذكر الله العام (عموم ذكر الله خالياً ففضات

عيناه)، وما نزل من الحق هو القرآن تحديداً فذكر الخاص بعد العام وكل منهما مدعاة إلى الخشوع. ذكر الله عموماً حتى لو في نفسك تذكر عظمته وتسبحه وهذا مدعاة للخشوع والخشية وقال تعالى (وَبَشِّرِ الْمُخْبِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّاةِ وَمِمًا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) الحج) والقرآن هو في حد ذاته مدعاة للخشوع والخشية (إِنَّ الَّذِينَ أُوثُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) ويَيخِرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ ويَزيدُهُمْ حُشُوعًا سُجَّدًا (١٠٨) ويَخِرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ ويَزيدُهُمْ حُشُوعًا اللهِ (١٠٩) الإسراء) الخشوع من القرآن، (لَوْ أَنزلُنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتُصَدِّعًا مُنْ حَشْيَةِ اللهِ (٢١) الإسراء) الخشوع من القرآن، (لَوْ أَنزلُنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتُصَدِّعًا مُنْ جُلُودُ اللهِ نَوْلَ اللهِ نَوْلَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَّقَانِيَ تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُ اللهِ يَوْلُونُ اللهِ وَعَلَى المُؤْمِنُونَ الزِمر) إذا كان علماء أهل الكتاب إذا يتلى عليهم القرآن يخرون للأذقان يبكون ويناها مدعاة المخشية أولا الحِظاب للمؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) وذكر الله والحق الذي نزل والذي هو القرآن منها مدعاة للدخشية أولاً الحَظاب للمؤمنين (يَا أَيها الذين آمنوا) وذكر الله والحق الذي نزل والذي هو القرآن وهذا قوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتُهُمْ إِيَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ وَيَذَا تُلِيتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتُهُمْ إِيَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ وَقَلُولُ اللهُ وَالْحَوْلَ اللهُ وَعَلَى الْجَلَالُهُ وَعَلَى رَبِّهُمْ وَالْمَالًى وَالْمَالُ الْمُؤْمِنُونَ اللّهُ وَعَلَى اللهُ وَالْحَوْلَالُهُ وَعَلَى وَلَالَهُ وَعَلَى الْمَالُولُ الْحَلَى اللهُ وَعَلَى اللهُ وَعَلَى اللهُ وَعَلَى اللهُ وَعَلَى اللهُ وَعَلَى اللهُ وَالْمَلُولُ الْمُؤْمِلُولُ الْمُقَالِقُولُهُ الْمُعَالُ الْمُ

هناك مسألة: قال (تخشع قلوبهم لذكر الله) ثم قال بعدها (قست قلوبهم) وضع المؤمنين في مقابل الذين قست قلوبهم) وضع المؤمنين في مقابل الذين قست قلوبهم. وللعلم فإن القرآن لم يُسند القسوة إلا إلى القلوب (فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ (٢٢) الزمر) (ثُمَّ

قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِي كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً (٧٤) البقرة) لم تسند القسوة إلا إلى القلوب في القرآن كله. (فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) منهم أي من الذين أو توا الكتاب.

سؤال من المقدم: قال تعالى (أن تخشع قلوبهم) بإسناد الخشوع إلى القلوب فلم لم يقل مثلاً: ألم يأن لقلوب المؤمنين أن تخشع لذكر الله وما نزل من الحق؟

هو حذّرهم من أن يكونوا كالذين أو توا الكتاب ولم يحذرهم من قلوهم. لم يُحذّروا من قلوب الذين أو توا الكتاب وإنما من الذين أو توا الكتاب. إذن التحذير من أن يكونوا كالذين وإنما من الذين أو توا الكتاب هذا أمر. وصار تشبيه جماعة بجماعة ، الذين أو توا الكتاب بمقابل الذين آمنوا. ثم قال (وكثير منهم فاسقون) هذا وصف للأشخاص لا للقلوب. ثم ذكر المؤمنين وقلوهم وأهل الكتاب وقلوهم (واَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ)، (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا لَنُولَ مِنَ الْحَقِّ كَانَ الله تعالى حريص على العباد حتى لا يطول عليهم الأمد فتقسو قلوهم لأن طول الأمد مدعاة لقسوة القلوب ولهذا قال (تخشع قلوهم). (المُمد هو الزمن وجمعها آماد.

سؤال من المقدم: لماذا قال (أوتوا الكتاب) ولم يقل (آتيناهم الكتاب)؟

القرآن الكريم يستعمل أو توا الكتاب في مقام الذم ويستعمل آتيناهم الكتاب في مقام المدح. قال تعالى (وَلَمَّا جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ بَكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبْعُواْ قِبْلَتَكَ (١٠٥) البقرة) هذا ذم، (وَلَيْنُ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ بَكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبْعُواْ قِبْلَتَكَ (١٠٥) البقرة) هذا ذم، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَوُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) آل عمران) (وَمَا تَفَوَّقَ الَّذِينَ آوَتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءِتُهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) المينة) هذا ذم، (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابِ مِن بَعْدِ مَا جَاءِتُهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) المينة) هذا ذم، (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابِ مِن الْخِيمَ اللّهِ السَّيلُ (٤٤) النساء) ذم. بينما آتينهم الكتاب تأتي مع للدح (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَثُلُونَهُ مَقَّ تِلاَوْتِهِ (١٢١) البقرة) مدح، (أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ عَنْ رَاكُواْ اللّهِ مَن الْكِتَابَ يَشُونُ الْكِتَابَ وَالْحُكُمْ وَالتُبُوقَة (٨٩) الأنعام) مدح، (وَالَذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمُ وَالتُبُوقَة (٨٩) الأنعام) مدح، (وَالَذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَوْمُنُونَ بِهِ (٢٤) العَمْ ورَاتُولُ اللّهِ اللّهِ الْكِتَابَ فَاللّهُ واللّهُ اللهُ اللهُ واللّهُ اللهُ اللهُ واللهُ اللهُ اللهُ واللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ على كثرة ما ورد من أو توا الكتاب وآتيناهم الكتاب حيث قال أوتوا الكتاب فهي مقام ذم وحيث قال آتيناهم الكتاب في مقام ثناء ومدح. القرآن الكريم له خصوصية خاصة في استخدام المفردات وإن لم تجري في سنن العربية. أو توا في العربية لا تأتي في مقام الذم وإنجاهذا خص

بالقرآن الكريم. عموماً رب العالمين يسند النفضل والخير لنفسه (آتيناهم الكتاب) لما كان فيه ثناء وخير نسب الإيتاء إلى نفسه، أوتوا فيها ذم فنسبه للمجهول (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا (٥) الجمعة) (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْلِهِمْ لَقِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) الشورى)، أما قوله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٣٢) فاطر) هذا مدح.

سؤال من المقدم: ما دلالة (من قبل) في الآية (وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ) ولماذا البناء على الضم في (قبلُ)؟

لو لم يقل (من قبل) يعني لو قال ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب هذا لا يدل على أن الأولين قست قلوبهم وإنما فقط يدل على المعنيين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أما الأولون فلم تقسو قلوبهم. (من قبل) هي التي دلت على أن الأولين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم. إذن (وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُونُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ) (من قبل) أفاد أن الأولين قست قلوبهم ولو لم يقل (من قبل) لم يفد هذا. لو قال ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب قد يكون القصود بهم الذين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يشر إلى الأولين فهوالآن كأنه ذمّ الذين في زمن الرسول صلى الله عليه والم الله عليه والم الله عليه والم الم والم يقل عليهم الأمد وليس فيه دلالة على أن الأقدمين قست قلوبهم كذلك والم اد هم الأقدمون. لما قال (من قبل) دل على أن الأولين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم فكيف لهؤ لاء وقد تطاول عليهم الأمد؟! إذا كان الأولون قست قلوبهم وقد تطاول الزمن فما بالك بمؤ لاء؟!.

أما السؤال الآخر وهو لماذا جاءت (قبلُ) بالضم؟ هذه تسمى الظروف المقطوعة (قبل وبعد وما جرى مجراها) قبلُ هنا ظرف زمان لكن الظروف المقطوعة لا تنحصر في الزمان (الظروف: فوق وتحت وما جرى مجراها مثل من فوق ومن تحت ومن قبل ومن بعد). إذا حذف للضاف إليه ونُويَ معناه نقول (من قبلُ). عندنا أن يذكر المضاف إليه ومن تحت ومن قبل ومن بعد). إذا حذف للضاف إليه ونُويَ معناه نقول (من قبلُ). عندنا أن يذكر المضاف اليه وينوى معناه (من قبلُ)، وعندنا أن يحذف المضاف إليه ولا ينوى معناه يصير نكرة (من قبلُ) ليس هناك مضاف إليه أصلاً كمكرة من النكرات فننون هنا ويكون ظرفاً مجروراً بالكسرة (كجلمود ضخر حطّه السيل من على). قد يحذف وينوى لفظه فيحذف التنوين كأنه موجود. هذا أن يحذف المضاف إليه وينوي معناه السيل من على) لما تحذف المضاف إليه وتنوي معناه متنبيه على الضم فيصبح معرفة وليس نكرة لأنك تنوي زمناً معلوماً للمخاطب لذلك قالوا سقط من على أي ممن من علو معلوم، سقط من على أي سقط من مكان عال لا نعرف ارتفاعه لذا قال (حطّه السيل من على) أي من من قبل الكتاب عليهم. إذا كانت مبنية على الضم تدل على أمر معين زمن أو الكتاب عليهم. إذا كانت مبنية على الضم تدل على أمر معين زمن أو مكان وإعراها مبني على الضم في محل جرّ. قوله تعالى (إذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْقَلَ مِنكُمْ (١٠) الأحزاب) مكان وإعراها مبني على الضم في محل جرّ. قوله تعالى (إذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْقَلَ مِنكُمْ (١٠) الأحزاب) مكان وإعراها مبني على الضم في محل وأيما هو ممنوع من الصرف. الظروف المقطوعة أي مقطوعة للإضافة.

سؤال من المقدم: آخر الآية قال تعالى (وكثير منهم فاسقون) نقف عند (كثير) وفي مواطن أخرى استخدم إسم النفضيل (أكثر) فلماذا استخدم هنا كثير؟

كثير على وزن فعيل وهي صفة مشبهة، أكثر إسم تفضيل. يعبّر بــ (أكثر) إذا كان السياق في تعداد أسوأ الصفات والإطالة في ذكرها. (أكثرهم) جاءت صيغة النفضيل هذه في مكانين في المائدة وآل عمران. في آية الحديد ذكر وانتقل إلى كلام آخر ليس له علاقة بأهل الكتاب، فالكلام عن أهل الكتاب جزء من آية ثم انتقل بكلام آخر ليس له علاقة بأهل المئدة فالآيات من ٥٧ إلى ٦٥ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اَتَّخَذُوا

دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُتْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنِّبُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرِّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّيلِ (٦٠) اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرِّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّيلِ (٦٠) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦٦) وَتَرَى كَثِيرًا وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦٦) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُلُونَ وَالْآحِبُ السَّحْتَ لَبِعْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٦) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ السَّحْتَ لَبِعْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٣٣) وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّنَ أَيْلِيهِمْ

وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَفِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٢٤) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقُوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّنَاتِهِمْ وَلَاَدْحُلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٢٤) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقُوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّنَاتِهِمْ وَلَاَدْحُلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٢٤) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٥) هَا الْآيات من (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٣٦) مَا كَانَ أَنْ الْمُشْرِكِينَ (٣٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِابْرَاهِيمَ لَلَذِينَ الْمُشْوِينَ (٣٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِابْرَاهِيمَ لَلَذِينَ الْمُشْوَى وَاللَّهُ وَلِيُ الْمُونِينَ (٣٨) وَقَالَتُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضَلُونَ (٣٦) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكُفُّرُونَ بَآيَاتِ اللَّهِ وَالْذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُوْمِنِينَ (٨٦) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُونَ (٣٦) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكُفُّرُونَ بَآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٧) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ الْكِتَابِ لِمَ الْفَيْقِيقِ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَشْهُدُونَ (٧٧) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ الْكِتَابِ لِمَ الْفَيْقِيقِ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْمُونَ الْحَقَّ وَأَنْشُمُ مَا مُعْلَمُونَ (٧٧) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أَنْولَ عَلَى الْبَيْءِ لَى عَلَى الْمُولِقُ بِاللَّذِي أَنْهُولَ وَلَى الْمَوالِي وَتَكُنْمُونَ الْحَوْقَ وَالْمَالِقُولَ عَلَى الْمُولِقُولَ عَلَى الْمُولِقُ وَلَاتُ عَلَى الْمُولِقُ الْمُؤْمِلُونَ الْفَالِقُولَ عَلَى الْمُؤْمِنَ الْمَوالِقُونَ الْفَالِقُولَ عَلَى الْمُولِي وَالْتُولُ وَالْوَالِمُولِ وَالْمَالِولُولُولَ عَلَى الْمُؤْ

آمَنُوا وَجُهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٧) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُوَى اللَّهِ أَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٧) يُوثَى آحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْهَصْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ ذُو الْقَصْلِ الْعَظِيمِ (٧٤) وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِيْطَارِ يُوكِمُ إِلَيْكَ وَلِيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ اللَّهِ اللَّهِ بِينَارِ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِآلَهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّنَ سَيِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَلَا يُنظُرُ إِلَيْهِمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا حَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزكِيهِمْ وَلَهُمْ وَلَهُمْ وَلَهُمْ وَلَكَيْبُونَ (٧٥) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفُرِيقًا يَلُونُ اللَّهُ عَلَيْهُ إِللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزكِيّعِهِمْ وَلَهُمْ وَلَى اللَّهُ وَلَا يُوسَلِقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَوْبَ اللَّهُ وَلَا يُنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) وَمِن (قُلْ يَا أَهْلَ الْكَوَتِابِ لِمَ عَلَى اللَّهُ وَمَا هُوَ مَنْ شَيِيلِ اللَّهُ مِعْمَلُونَ (٨٩) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِيَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَيِيلِ اللَّهُ مِنْ آمَنَ مَنْ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ مِعْمَلُونَ وَلَمْ وَلَى اللَّهُ الْذِينَ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ مَنْ آمَنَ مَنْ اللَّهُ مِنْ عَنْ مَلُونَ (٩٩) يَا أَيُّهُمْ اللَّذِينَ

آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١)) (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسَ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ و أَكْثُوهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُولُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١١٠) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ النَّلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِعَصَب مِنَ اللَّهِ وَصُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمُسْكَنَةُ ذَلِكَ بَا تَعْهُمُ الذَّلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِعَصَب مِنَ اللَّهِ وَصُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمُسْكَنَةُ ذَلِكَ بَا يَعْهُمُ الذَّلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَتَعْدُونَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَعْرُوفَ وَيَنْهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٩١٥) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ بِالْمَعْرُوفَ وَيَنْهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٩٤٥) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ بِالْمَعْرُوفَ وَيَنْهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٩٤٥) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ اللَّهُ عَلِيمِ اللَّهُ عَلِيمِ الللَّهُ عَلِيمِ اللَّهُ عَلِيمِ اللَّهُ عَلَيْم وَيُعلَى الْمُعَلِى الْهُمُ اللهُ عَلَيْم مِلِكَة وَإِدَا كَانَ أَصِيرِ صَفَة مشبهة. مثال : سميع صيغة مبالغة، عليم من علم وهو فعل متعدي إذن عليم مبالغة، حتى في رحيم قالوا إذا كانت من رَحُم فعل لازم تصير صفة مشبهة. وعندنا فعُل أبلغ من فعِل وأحياناً نحوّل فعل متعدي فعل متعدي فهي مبالغة وإذا كانت من رَحُم فعل لازم تصير صفة مشبهة. وعندنا فعُل أبلغ من فعِل وأحياناً نحوّل الله فعل لازم فطويل صفة مشبهة وكذلك قصير وقيح و هيل صفة مشبهة. الما له فعل الله فعل من طال فعل لازم فطويل صفة مشبهة وكذلك قصير وقيح وهيل صفة مشبهة.

(اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧))

نظرة عامة على الآية وارتباطها بما قبلها وما بعدها: أمرنا ربنا أن نعلم هذا الأمر وهو أن الله تعالى هو الذي يحيي الأرض بعد موتما فما كانت لتحيا لولا أن الله يحييها، لا تحيا من الماء بنفسها ولا أن هنالك ذاتاً معه أو بلونه قادرة أن تحيي وإنما هو الذي يحيي الأرض وأراد أن نعلم هذا الأمر فقال (اعلموا). الارتباط بما قبلها ظاهر من جهتين: أولاً في الآية قبلها قال تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) فهو تمثيل لأثر الذكر والقرآن في القلوب يحييها كما يحيي العيث الأرض. أثر الذكر والقرآن في القلوب يحييها كما يحيي العيث والذكر والقرآن في القلوب المؤيث أمنوا أستنجيبوا لله وكلرسول الأرض بالغيث والذكر والقرآن يحيي القلوب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا استَنجيبُوا لِللهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحيي الأرض بالغيث فالذكر يحيي القلوب من موتما كما قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) هذا الذكر يحيي كما تحيا الأرض بالغيث فالذكر يحيي القلوب من موتما كما يحيي الله الموتى). إذن من جهتين من جهة أن الله سبحانه وتعالى كما يحيي الأرض بعد موتما يحيي الموتى وذكر مشهداً القلوب بذكر الله وما نزل من القرآن، هذا أمر ومن ناحية أخرى دليل أو تشبه كيف يحيي الله الموتى). إذن من جهتين من جهة أن الله سبحانه وتعالى كما يحيي الأرض بعد موتما يحيي الموتى في الآخرة من المرتمة المرافق أن الله سبحانه وتعالى سيحيي الموتى كما يحيي الأرض، يحيي الموتى في الآخرة من مشاهد الآخرة هذا أيضاً تدل على أن الله سبحانه وتعالى سيحيي الموتى كما يحيي الأرض، يحيي الموتى في الآخرة كما يحيي الأرض.

سؤال من المقدم: قال تعالى (يحيي الأرض بعد مولها) أليس هذا مظنة والعياذ بالله لأي شك أن الذي يميت هو غير الله تعالى؟

قال يحيي بعد مولها ولم يقل بعد إماتتها. يقال مات فلان وأماته أي شخص آخر يميته. قال تعالى (وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) النجم) (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْييكُمْ (٢٨) البقرة) أنت تقول مات الإنسان. يميتكم من أمات، عندنا مات يموت وعندنا أمات يميت. هناك فرق بين الموت والإماتة. الموت من تلقاء نفسه، أماته أي الله سبحانه وتعالى أماته. مات وأمات فعلان أحدهما لازم والآخر متعدي. لو قال يحيي الأرض بعد إماتتها يكون للسؤال وجاهة لكنه قال بعد موتما.

إرتباطها بما بعدها (إن المصدقين والمصدقات) شأن الأرض التي تحيا بالغيث تضاعف ما فيها (مَّشَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمُورَالَهُمْ فِي سَييلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّنَةً حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) البقرة) وللصدقين والمصدقات أيضاً يضاعف لهم كما أن الأرض بعد موقما تضاعف ما يخرج من الغلّة كذلك الصدقة تضاعف الأجور (كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّنَةُ حَبَّةٍ) المنفق والمقرض يضاعف له كما أن الأرض تضاعف. إذا أحيا الله سبحانه وتعالى الأرض بعد موقما تضاعف الحبّ وكذلك المصدقين يضاعف لهم الله تعالى الأجور. ثم ذكر الآخرة (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشُهدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجُرُهُمْ وَنُورُهُمْ (١٩٥)) أيضاً فيها دلالة على الحياة الآخرة. وسيأتي ذكر للآخرة فيما بعد. فهي ترتبط بما قبلها وبما بعدها من ناحيتين.

هل إرتباطها بما قبلها أقرى؟ التذكير بقدرة اله تعالى حاصل لكن من الناحية الفنية عندما قال (يضاعف لهم) وهذا شأن الأرض التي تحيا بالغيث ولما ذكر المصدقين والمصدقات قال يضاعف لهم ولهم أجر كريم كما تضاعف الأرض فالمناسبة ظاهرة. والآية مدخل للآية التي بعدها.

(إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)

ذكر تعالى في غير موطن المتصدقين والمتصدقات وأشرنا في أكثر من مناسبة ووقفنا عند هذا وقلنا أنه من باب الإبدال الجائز. أصل للصدقين والمصدقات متصدقين ومتصدقات مثلما ذكرنا يدبر ويتدبر وذكرنا في حينها أنه فيها تضعيفان (المصدّقين) والتضعيف فيه مبالغة فهنا قال (إِنَّ الْمُصدَّقِينَ وَالْمُصدَّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسنًا يُضاعَفُ لَهُمْ) لما بالغوا في الصدقة أعطاهم مضاعفة لذا لاحظ في سورة يوسف قال (وتَصدَّق عَلَيْنَآ إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصدِّقِينَ (٨٨) يوسف) لم يطلبوا المبالغة في الصدقة وهذا من حسن أدبهم يعني يكفيهم الشيء القليل فلم يقولوا (فاصدّق علينا) كلفم يريدون الشيء الكثير. قسم قال (يجزي المتصدقين) لم يقل المصدقين لأن المتصدقين تشمل المقدّين والمكثرين. لو قال المصدقين تدل على أنه يجزي المبالغين في الصدقة دون غيرهم لكنه يجزي المقلّ والمكثر. المصدّقين والمصدّقات هم المكثرون في الصدقات فقال تعالى يضاعف لهم ولهم أجر كريم، هؤلاء المبالغين في الصدقة وأقرضوا الله قرضاً حسناً والجزاء على قدر العمل. (مصدّق) الذي يُخرج أمواله في سبيل الله ومنها قد تكون من باب الفروض كالزكاة ورب العالمين سماها صدقة.

ماذا يفيد العطف بين المصدقين والمصدقات؟ أو لا يدل على استقلال النساء في أموالهن، وما دام مالها فلها الحرية في أن تصرف وتقرض الله قرضاً حسناً وأن تفعل ما تشاء في مالها. ويبين أيضاً أنه إذا كان لها مال فلا تغني صدقة زوجها أو أبيها عنها وأنها يضاعف لها كما يضاعف للرجال. ثم ذكر المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات فالجو العام هكذا فذكر المصدقين والمصدقات.

تابع سورة الحديد:

(إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)) في خواتم قال تعالى (إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)) في خواتم الحلقة الماضية ذكرنا المصدقين والمصدقات والعرض من الإبدال وأن أصلها المتصدقين والمتصدقات ثم حصل فيها إبدال جائز وذكرنا أن المصدقين فيها مبالغة في الصدقة أكثر من المتصدقين لأن فيها تضعيفان (في الصاد و في الدال) وذكرنا في إخوة يوسف قال المتصدقين ولم يقل المصدّقين وقالوا وتصدّق علينا ولم يقولوا إصدّق علينا لحسن أدبهم وكرم أخلاقهم فلم يطلبوا المبالغة في الصدقة، وقال: إن الله يجزي المتصدقين ولم يقل المصدّقين لأن ذلك يشمل المكثرين في الصدقات والمقلّين في الصدقات ولو قال المصدّقين لم يشكل المُقلّين وإنما يشمل الكثرة فقط. هنا أطلق الأجر للجميع للمقلّ والمُكثر. وقلنا عطف المصدقات على المصدقين للدلالة على إستقلال النساء في أموالهن ولا يرغمهن أحد في أموالهن وأن عليهن الصدقة كما على الرجل وما تغني صدقة الزوج أو الأب.

سؤال من المقدم: ألا تشمل المصدقين كجمع مذكر النساء أيضاً للتغليب؟ أحياناً وأحياناً يراد به التفصيل، يذكر الأمرين وحتى المصدقات إذا كان لهن مال فليس الأحد أن يرغمهن على أمو الهن فيمنعهن من الصدقة ولهن أن يتصرفن بأمو الهن وأن عليهن الصدقة كما على الرجال والا تغني صدقة أزواجهن والا آبائهن إذا كان لهن مال لذلك أفردهم (والمصدقات). ومثله جرى في السورة فذكر المنافقين والمنافقات والمؤمنين والمؤمنات فذكر أيضاً المصدقين والمصدقات، جرى هذا النمط في السورة. هذا ما ذكرناه في الحلقة الماضية.

سؤال من المقدم: ما اللمسة البيانية في قوله تعالى (و أقرضوا الله قرضاً حسناً) ولماذا ذكر القرض بعد المصدقين؟ قسم ذهب إلى أن الصدقة غير القرض. قسم قال القرض هو تطوع والصدقة في الواجب. ربنا تعالى سمّى الزكاة صدقة لكن هي ليست مقصورة على الزكاة وإنما هي عبادة عامة (المال) ومنها الزكاة لكن قسم من الصدقة هو فروض كصدقة الفطر و بعض الصدقات كالكفارات هذه فروض والزكاة فرض. فقسم قال الإقراض المذكور هو من باب التطوع و لا يدخل في باب الفروض. المصدّقين قد يدخل فيها الفرض. وقسم قال القرض هو أعمّ من الصدقة يدخل في الفروض وغير الفروض. فإذا كان الأمر كذلك فهو من باب عطف العام على الخاص إذا كان القرض هو أعم من الصدقة في عمومها يصير أعم من الصدقة فعند ذلك إذا كان الأمر كذلك أي إذا كان القرض هو أي إلى الصدقة فيكون من باب عطف العام على الخاص. وقسم يقول لا هي تطوع الصدقة بدليل أنه فيما أظن أن القرض هو في التطوع والذي يدو لي – والله أعلم الكريم يذكر القرض الحسن بعد الزكاة في مواطن وقد يأمر به بعد الأمر بالزكاة كما في قوله (لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَة وَالْقرض المندي الزكاة في مواطن وقد يأمر به بعد الأمر بالزكاة كما في قوله (لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَة وَالَّيْ اللهُ وَصُ فقال بعدها (وأقرضتم الله). وفي آية أخرى قال تعالى (وَأقِيمُوا الصَّلَاة وَآثُوا الرَّكَاة فرض فقال بعدها (وأقرضتم الله). وفي آية أخرى قال تعالى (وَأقِيمُوا الصَّلَاة وَآثُوا الرَّكَاة فرض صار القرض من باب المُحسن، الزكاة فرض فقال بعدها (وأقرضتم الله). وفي آية أخرى قال تعالى (وَأقِيمُوا الصَّلَاة وَآثُوا الرَّكَاة وَرَافُون من باب

التطوع، من باب المندوبات وليس كل المندوبات فروض لكن علمنا أن الزكاة فرض وعطفها على الزكاة فلا يأخذ نفس الحكم لأنه ليس بالضرورة أن يأخذ المعطوف نفس الحكم خاصة في المندوبات فقد يكون عطف مندوب على فرض.

ثم تسميته (قرض) المُقرِض ليس ملزماً بالإقراض. القرض في اللغة إعطاء مال تحديداً. القرض إعطاء مال ويتوقع استرداده أما الزكاة فلا تُردّ. لما قال المصدقين والمصدقات الصدقة لا تُردّ، المقرِض عندما يُقرِض شخصاً المفروض أن يرد عليه قرضه. لذلك لما قال تعالى (من ذا الذي يقرض الله) رب العالمين سيرده عليه بأضعاف كثيرة (فيضاعفه له). تسميته قرضاً المقرِض ليس ملزماً بالإقراض إذا أردت الاقتراض من أحد فهو ليس ملزماً بإقراضك فلما قال ربنا (قرض) معناه أنه ليس ملزماً، معناه أنه من باب التطوع. وبخلاف التصدق لأن منه ما يلزم. وقال تعالى في أكثر من موضع (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) كأنه من باب الترغيب. فتسميته قرض توحي والله أعلم بأنه ليس من باب الفروض وحتى طبيعة قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) من باب الترغيب وليس من باب الإلزام.

(قرضاً) أحد أمرين: إذا كان المقصود مال تحديداً يكون مفعولاً به وإذا كان مصدراً فيكون مفعولاً مطلقاً. ما المقصود بالقرض في (قرضاً)؟ هل هو مال؟ إذا كان مالاً يكون (قرضاً) مفعولاً به (أقرضتك مالاً) وإذا كان مصدراً يعني أقرضتك إقراضاً حسناً يكون مفعولاً مطلقاً ويصير حدثاً. للصدر أقرض إقراضاً وليس قرضاً. المسألة أن قرض مصدر قرَض وقرَض وأقرض كالاهما بمعنى واحد ثلاثي ورباعي وأحياناً نأتي بالمصدر، نأتي بالفعل وتأتي بمصدر فعل آخر كما في قوله تعالى (واللَّهُ أَنبَتكُم مِّنَ اللَّرْضِ نَبَاتًا (١٧) فرح) لم يقل إنباتاً وقال في مريم عليها السلام (وأنبَتهَا كنبئاً حَسنًا (٣٧) آل عمران) المفروض أن يقال إنباتاً، لكن هذا يكون لغرض. إذا كان الفعلان بمعنى واحد قرض وأقرض أو حتى لم يكونا بمعنى واحد يكون لغرض آخر مثل قوله تعالى (وتبتل إليه تبتيلا) المفروض تبتلاً. تبتيل مصدر بيّل وبتل غير تبتل تماماً والمعنى مختلف. ليجمع المعنيين يأتي بالفعل للدلالة ويأتي بالمصدر من فعل آخر من مصدر بيّل وبتل غير تبتل تماماً والمعنى مختلف. ليجمع المعنيين يأتي بالفعل للدلالة ويأتي بالمصدر من فعل آخر من ألمور في غاية الغرابة في الإيجاز. في مريم قال (فَقَمَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسنَ وَأَنبَهَا نَبَاتًا وَتَبَتًا (٣٧) آل عمران) لم يقل أمور في غاية الغرابة في الإيجاز. في مريم قال (فَقَمَّلَهَا رَبُها بِقَبُولِ حَسنَ وَأَنبَهَا نَبَاتًا فنبت نباتاً حسناً بعل لها فضلاً لكن أنبتها فنبتت نباتاً حسناً بعل لها فضلاً لكن أنبتها فنبت نباتاً حسناً أي طاوعت هذا الإنبات فجعل لها قبول، فجعل لها فضل في معدلها الكريم. بينما لو قال إنباتاً لم يجعل لها فضلاً رب العالمين أنبتها يفعل ما يشاء، لكن

نباتاً جعل لها فضلاً، هي نبتت وجهل لها فضلاً فنبتت نباتاً حسناً فجعل لها في معلفها قبول لهذا النبات فنبتت نباتاً حسناً.

سؤال من المقدم: هل المقصود بالقرض في الآية (قرضاً حسناً) المال أو المصدر؟

أحياناً يسمونه التوسع في المعنى. يمكن أن نذكر هذا التعبير بعدة صور: أقرضوا الله إقراضاً حسناً، قرضوا قرضاً

حسناً باعتبار فعل قرض بمعنى أقرض. لو قال أقرضوا الله إقراضاً حسناً لم يكن إلا معنى المصدر، معنى واحد هو الحدث إقراضاً فقط. لما قال قرضاً حسناً فيه أمران المال والحدث، الإقراض الحسن في التطوع وكيفية الإقراض والمال هو حسن في نفسه من الحلال الطيب فيجمع الأمران الإقراض والمال. لو قال إقراضاً فقط كأنه فقط المصدر، فقط الحدث ولذلك جمع بين الأمرين.

سؤال من المقدم: لماذا استخدم أقرضوا الله ولم يقل قرضوا الله؟ أقرضوا الله أشهر.

سؤال من المقدم: ما فائدة حسناً بعد قرضاً؟ ذكرنا سابقاً القرض الحسن. وللعِلم أنه لم يذكر القرض إلا وصفه بالحسن في جميع القرآن. ذكرنا في حينها ما المقصود بالقرض الحسن: في الشخص أن يكون من دون منّ، عن طيب نفس وبشاشة وجه، وفي المال ينبغي أن يكون في المال الحلال الطيب الكريم وأن لا ينتغي الحبيث (وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْحَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ (٢٦٧) البقرة) ثم في الجهة أن يتحرى أفضل الجهات، هذا القرض الحسن. القرض الحسن يكون من كريم المال يكون له صفات في المقوض الجهات التي فيها نفع للمسلمين ولذلك لا تجد في القرآن إلا وصفه وحلاله ويكون من دون من ويكون في أفضل الجهات التي فيها نفع للمسلمين ولذلك لا تجد في القرآن إلا وصفه بالحسن، القرض بالذات. أيضاً لا تجد القرض إلا لله. الصدقة أطلقها لكن القرض لم يأت إلا قرضاً حسناً ومع الله تعالى (أقرضوا الله قرضاً حسناً) حتى يفرق بين القرض الذي هو في المعاملات والقرض الذي هو عبادة مع الله. هنا الإقراض قد يكون بين الناس في المعاملات وهنا المقصود العبادات ولذلك دائماً يقول وأقرضوا الله. لو قال أقرضوا المعاملة والمتعامل بين الناس ليس له علاقة بالعبادة. ولذلك في القرآن هنالك أمران أنه وصف القرض بالحسن المعاملة والتعامل بين الناس ليس له علاقة بالعبادة. ولذلك في القرآن هنالك أمران أنه وصف القرض بالحسن من الله عز وجل يضاعف له.

سؤال من المقدم: لماذا عطف بالفعل على الإسم في الآية (إنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسنًا)؟

هذا يجوز إذا كان الإسم المشبه بالفعل يجوز عطفه على الفعل (واعطف على اسم شبه فعل فعلاً وعكس استعمله تجده سهلا) تكرر أكثر من مرة على ما هو مقرر في القرآن أن الإسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث. الصدقة لازمة ثابتة ولذلك لا تجد في القرآن (المقرضين) لأنما ليست صفة ثابتة ثبوت الصدقة كما نجد المتصدقين التي هي ثابتة.

(وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩)»

سؤال من المقدم: هل الصديقون هم الذين آمنوا فقط؟

ليس هناك صدّيق إلا من هو آمن بالله والرسل ولا يمكن أن يكون صدّيقاً من غير إيمان بالله. (صدّيق) صيغة مبالغة قسم قال من صدّق وفي الحديث " ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً" يصدق ويصدّق بما جاء به، إذا كان يبالغ في الصدق فهو صدّيق وإذا كان يبالغ في التصديق بما أنزل الله وما جاء به الرسل يسمى صدّيقاً. الصدّيق وصف، رب العالمين وصف قسماً من الرسل بالصديقين ذكر إبر اهيم (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً بَيًّا (٤١) مريم) وإدريس (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً بَيًّا (٥١) مريم) وإدريس (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً بَيًّا (٥١) مريم) وإدريس (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً بَيًّا (٥٠) المرتبى . فكلمة صدّيق وصف الله تعالى بها الأنبياء وغير الأنبياء ووصف مريم عليها السلام (وَأُمُهُ صِدِّيقة أُونَاكُ هُمُ الْمُتَقُونَ (٣٣) الزمر). وقد يعلهم صنفاً آخر غير الأنبياء فيقول (فأولنك مع الذين أنعم الله عليهم أوْنَاكُ هُمُ الْمُتَقُونَ (٣٣) الزمر). وقد يعلهم صنفاً آخر غير الأنبياء فيقول (فأولنك مع الذين آمنوا بالله ورسله) أولنك هم الصديقين على العموم؟ هل كل من آمن بالله ورسله هو صدّيق بالصديقية درجات كما أن الشهداء درجات، ذكر تعالى الأنبياء صديقون وذكر من هم دونهم أيضاً ووصفهم بالصديقين وذكر الرسول صلى الله عليه درجات، ذكر تعالى الأنبياء صديقون وذكر من هم دونهم أيضاً ووصفهم بالصديقين وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً. هي درجات تتسع إتساعاً كيراً.

هناك أمر أيضاً: الرسول صلى الله عليه وسلم سئل: أيزي المؤمن؟ قال صلى الله عليه وسلم بلى، قيل أيسرق المؤمن؟ قال بلى، قيل: أيكذب المؤمن؟ قال لا. فالمؤمن لا يكذب إذن المؤمن يجب أن يصدق فإن كذب فقد خرج عن الإيمان. هكذا يقول الحديث. فالمؤمن صفته الصدق دائماً وأبداً فإن لم يصدق خرج عن الإيمان في تلك اللحظة. فإذن قطعاً المؤمن صديق لأنه صدق وصدق في الكلام. الصديق قد يكون من كثرة الصدق " و لا يز ال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً"، ما قال يُصدِّق وإنما يصدُق أي حينما يتكلم لا يتكلم إلا صدقاً. في هذه الحالة يكون المؤمن صديقاً. إذا تحرى الصدق فهو صديق وإذا صدق بما جاء به النبي فهو صديق، إذا صدق صار مؤمناً. فالصديقون هنا مقصود هم كلها فما دام أصبح مؤمناً فهو يَصدُدق ويصدق لأنه إذا لم يصدق فهو ليس بمؤمن وإذا كذب انتفت عنه صفة الإيمان. لكن الصديقية درجات كالإيمان والعمل الصالح فالمؤمن تطلقها على من آمن بالله. وهم درجات متفاوتة عظيمة والصديقية تطلق على صفوة الخلق وعلى على سيد الرسل وتطلقها على من آمن بالله والرَّسُولَ فَأُو لَيْكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالصَّدِينَ وَالصَّدِينَ وَالصَّدِينَ وَالصَّدِينَ وَالصَّدِينَ وَالصَّدِينَ وَالصَّدِينَ وَالصَّدُ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِينَ وَالصَّدِينَ وَالصَّدِينَ وَالصَّدِينَ وَالصَّدِينَ وَالصَّدُ المِينَ وَالصَّدُ وَلِينَ وَالصَّدُ المَا لَوْ وَمَن يُطِع الله وَالرَّسُولَ فَأُو لِيَكَ مَع الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِينَ وَالصَّدِينَ وَالصَّدُ وفيها خصوصية.

سؤال من المقدم: من هذا المنطلق سمي أبو بكر الصديق بهذه الصفة مع أن غيره كثيرون صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم؟ الرسول صلى الله عليه وسلم أطلق عليه هذا الاسم والصدّيقون درجات فهناك الصفوة وهناك صفوة الصفوة.

سؤال من المقدم: في الآية (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩)) هل الذين كفروا وكذبوا مقابل الذين آمنوا بالله ورسله؟

لو أخذنا الآية (والذين آمنوا بالله ورسله) وبعدها (كفروا وكذبوا بآياتنا) الذين كفروا بمقابل الذين آمنوا بالله، والذين كذبوا بآياتنا مقابل الذين آمنوا برسله لأن تكذيب الآيات يكون عن طريق الرسل. التصديق والتكذيب يكون عن طريق الرسل، فإذن الذين كفروا مقابل الذين آمنوا بالله والذين كذبوا بآياتنا مقابل الذين آمنوا برسله. فلاحظ ذكر الشهداء بعد الصديقين (أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاء عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) كما في آية أخرى (وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) النساء) ثم ذكر أجرهم ونورهم والأجر والنور واضحان في السورة يترددان في أكثر من موضع في هذه السورة. قال في أكثر من موضع (فيضاعفه له وله أجر كريم) هذا أجر، (يسعى نورهم) ذكر الأجر والنور (يضاعف لهم ولهم أجر كريم) هذا أبر السورة (ويجعل لكم نوراً) هذان الأمران يطبعان السورة.

سؤال من المقدم: لماذا لم يقل كفروا بنا؟ او كفروا بالله؟

ذكرها مطلقة لأن الكفر عام والكفر هو الستر والتغطية. الكفر بالآيات هذا أحد أركان الكفر، فلو آمن بالله وكفر بالرسالات ولم يصدّق سيكون كافراً لذا لم يخصصها وإنما أطلقها عامة (كفروا) على العموم والإطلاق

(اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضُوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠))

نظرة عامة على الآية ودلالة الترتيب واللمسة البيانية فيه: حقيقة ما يعيشه الناس أجملَه تعالى في هذه الآية ورتبها بحسب ترتيبها في حياة الناس. بدأ باللعب واللعب عادة يقع في دور الطفولة والصبا مبكراً هذا هو الأصل وإن كان أحياناً يُطلق على نقيض الجَدّ (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ (٦٥) التوبة) (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣) الزخرف) (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) الأنبياء) نقيض الجد.

تابع سورة الحديد

(اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ خُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَعْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠))

نظرة عامة على الآية: قال الله تعالى (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنَيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمُوالِ وَالْمُوالِ وَالْمُوالِ عَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَعْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرِضُوانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنِيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) أَهَلَ ربنا سبحانه وتعالى حقيقة ما يعيشه الناس في الحياة الدنيا في هذه الآية ورتبها بحسب ترتيبها في حياهم. بدأ باللعب (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب) واللعب يقع في دور الطفولة والصبا فيدأ به. وقد يأتي اللعب نقيض الجِدّ. أصل اللعب في دور الطفولة والصبا ويُطلق أحياناً على نقيض الجِدّ (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ (٦٥) التوبة) (فَذَرْهُمْ يَحُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي

يُوعَدُونَ (٨٣) الزخرف) (قَالُوا أَجِتْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) الأنبياء) أي غير جادين. اللهو عادة يكون في دور الفتوّة والشباب بعد دور الطفولة. ثم اللهو أعمّ من اللعب لأن الكبير قد يلهو في أمور يضيق صدره في أمور فينتقل إلى أمر يلهو به بعض الشيء. ثم ذكر الزينة والزينة مقصد من مقاصد الشباب والنساء في دور بداية اكتمال أنوثتهن – خاصة النساء – وحتى الشباب يتزيّن لا يرضى كما كان طفلاً يلبس ما تعطيه أمه. ثم ذكر بعدها النفاخر وهذا أكثر ما يكون في شأن الرجال يتفاخرون بأعمالهم وبأنسابهم ومآثر ما يفعل هو وما فعل آباؤه وأحسابه لذلك الشعراء يفتخرون بآبائهم وأحسابهم وأنسابهم (أولئك آبائي فجئني بمثلهم). هذه المفاخرة هي أن ينسب الخير إلى أهله و نفسه كالشجاعة والكرم. ثم ذكر التكاثر في الأموال والأولاد وهذه مرحلة جادة يبدأ يشتغل بجمع

سؤال من المقدم: هل هناك ترتيب مقصود لذاته في هذه الآية؟

هي هكذا حسب الأطوار في الحياة رتبها وذكرنا النقديم والتأخير وقلنا أنه ليس هنالك نمط واحد للتقديم والتأخير إنما هو السياق ومدار الاهتمام. العرب يقدّمون ما هم ببيانه أعنى وما هو أهم، الأهمية التي بحسب السياق فمرة نقدم المتقدم ومرة نقدّم المتأخر، مرة نقدّم من القلّة إلى الكثرة ومرة من الكثرة إلى القلة ومرة نبذأ بالأفضل ثم ننتهي إلى المفضول ومرات أخرى تبدأ بالأفضل ثم الأعلى، الهضول ثم الهاضل. الذي يحدد النقديم والتأخير هو المقام ففي قوله تعالى مثلاً (والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين) البلد الأمين هو مكة وهي أفضل من طور سنين لكنه أخرها وبدأ بطور سنين. هناك دواعي للتقديم والتأخير تُنظر في سياقها والمقام الذي قبلت فيه (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُوْمِنٌ (٢) التغابن) بدأ بالمفضول (فَمِنهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (٥٠١) هود) تأتي بحسب كيف وضعها في السياق هو الذي يحدد التقديم والتأخير وتقدر كل حالة بقدرها. (فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٢٩) النساء) لما ذكر الذين أنعم الله عليهم بدأ النبين النعم (النبين). إذن هو حسب المقام الذي تقال فيه.

سؤال من المقدم: قال تعالى (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) عدد أشياء كثيرة و في غير موطن في القرآن قال (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ (٣٢) الأنعام) فقط ولم يذكر بقية الأطوار كما في آية الحديد، لماذا؟

أحياناً يقتصر على اللعب واللهو لأن ما ذكره بعدها يندرج (الزينة وما بعدها) يندرج في اللهو فإذا أراد أن يفصل فصل وإذا أراد أن يُجمِل وقف عندها. الزينة قد تُلهي والنفاخر يلهي والتكاثر يلهي. الله تعالى سمّى المال والبنون زينة (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٤٦) الكهف) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلهِكُمْ أَهْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ (٩) المنافقون) دخلت في الزينة والزينة دخلت في اللهو. ما ذُكِر في الزينة دخل هنا في اللهو. قال تعالى (ألهاكم التكاثر) دخل التكاثر في اللهو، أطلق التكاثر. لما فصل في آية الحديد (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمُوالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ خُطَامًا وَقَى الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرِضُوانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) فصل وعندما أراد أن يُجمِل وفي الْآخِرة عَذَابٌ شَدِيدٌ ومَغْفِرة مِّنَ اللّهِ وَرِضُوانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرة خَيْرٌ (٣٢) الأنعام) وقف عند الأصل والباقي يدخل فيه (ومَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرة وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمُوالَكُمْ (٣٦) محمد). عندها وما مثل (إنَّمَا الحَيَاةُ الكُنْيَا لَهِبٌ وَلَهُوٌ وَإِن تُوْمِنُوا وَتَتَقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمُوالَكُمْ (٣٦) محمد). يقولون البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال أراد التفصيل يفصل، أراد الإجال يُجمِل.

سؤال من المقدم: ما معنى الإجمال والنفصيل في القرآن الكريم ؟ من المستشرقين من يقول لِمَ يُجمِل هنا ويفصّل هنا مع أن الدلالة وصلت؟

أحياناً يريد أن يوضح المسألة ويعطيها أبعادها، أحياناً يكنفي بكلمة أو كلمتين وأحياناً يشرح أدق الأمور ويتعرض لها. هذا ليس تكراراً وإنما هو تفصيل يريد أن يوصل المعلومة كاملة في كل أبعادها وفي كل أحوالها. ثم إن الناس ليسوا سواء في الفهم والاستيعاب. إذا قلت (لعب ولهو) كم واحد يُدخِل فيها ما ذكر؟ كم شخص سيذكر الأموال والزينة والأولاد؟ قليل. يفصّل للجميع وكل آية تضيف ملمحاً في إطار السورة حتى تتضح جميع جوانبها.

سؤال من المقدم: قدّم الله تعالى اللعب على اللهو في هذه السورة وفي آية سورة العنكبوت قدّم اللهو على اللعب (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٤)) فما دلالة تقديم اللهو؟

قلنا ليس هنالك أمر يقضي بنقديم كلمة على كلمة وإنما هو السياق. لو لاحظنا سياق العنكبوت تقدّم هذه الآية قوله تعالى (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْء عَلِيمٌ (٢٣)) الرزق مدعاة إلى الالتهاء (يَا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَهُو الْكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ (٩) المنافقون) ربنا تعالى ذكر أمرين: البسط والتضييق، الذي بسط له رزقه يلتهي بجمعه والذي قُدِر عليه رزقه يلتهي للحصول عليه حتى يعيش فإذن سيكون مدعاة للهو فقدّم اللهو. ما دام قدّم البسط في الرزق والتضييق سيكون مدعاة للهو (وتُحبُّونَ الْمَالَ حُبَّا سيكون مدعاة للهو وقدّم اللهو. ما دام قدّم البسط في الرزق والتضييق سيكون مدعاة للهو روتُحبُّونَ الْمَالَ حُبَّا جَمَّا (٢٠) الفجر) (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) العاديات) الخير فسروه بالمال. (قُدِر عليه رزقه) أي ضيّقه. (نقدر عليه) أي نضيّق عليه، حتى في قصة ذي النون (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي عليه) أي نضيّق عليه، حتى في قصة ذي النون (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لًا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) الأنبياء) هو هنا في هذا المكان لم يجد أذناً صاغية الظُّلُمَاتِ أَن لًا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) الأنبياء) هو هنا في هذا المكان لم يجد أذناً صاغية

ولم يجد من يستجب له قال أفهب إلى مكان آخر والله تعالى يوسّع عليّ في مكان آخر (لن نقدر عليه) أي لن نضيّق عليه، هناك متسع وهذا اجتهاد من ذي النون قال أذهب إلى مكان آخر فيه متسع والله تعالى لن يضيّق عليّ لكنه لم يخرج بإذن ربه ولكنه اجتهاد من تلقاء نفسه لذا قال تعالى (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (٢٤٢) الصافات) مليم أي يخرج بإذن ربه ولكنه اجتهاد من تلقاء نفسه لذا قال تعالى (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ لكن مليم أتى فعلاً يُلام عليه، لماذا خرجت من دون إذن؟ لذا قال (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن مَا اللهُ عليه، ملوم يُلام لكن مليم أي ولذا قيل للرسول صلى الله عليه وسلم (فَاصْبِرْ لِحُكُم ربِّكَ وَلَا تَكُن كُمَا وَبِ الْحُوتِ إِذْ

نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) القلم). إذن نقدر يعني نضيّق. سؤال من المقدم: ما المقصود بالكفار في الآية (كَمثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾؟

المفسرون ذهبوا إلى أمرين في تفسير الكفار قسم يقول الكافرون بالله الجاحدون لأن هؤلاء هم الذين يغترّون بالدنيا وقسم قال هم الزُرّاع لأنما من كَفَر البذرة أي سترها في الأرض وأصل كفر في اللغة ستر ومنه الكفر أي ستر الفطرة المؤمنة لأن رب العالمين سبحانه وتعالى خلق الناس فطرقم مؤمنة. فإذن المفسرون قسم من قال الكفار هم الزُرّاع وقسم يقول هم الجاحدون وأنا يترجّح عندي ألهم الكفار الذين يكفرون بالله وآياته لأنهم يغترّون بالدنيا وقد يكون المعنيان مقصودان وليس هناك مانع أن يعجب هؤلاء ويعجب هؤلاء.

سؤال من المقدم: في موضع آخر في القرآن قال تعالى (كَوَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ (٢٩) الفتح) وهنا قال (كَمَثْلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَاهًا) فما الفرق بين الآيتين واللمسة البيانية في كليهما؟

اختيار كل كلمة في مكالها أنسب اختيار. الزُرَاع في آية الفتح أنسب ولا يقال يعجب الكفار ليغيظ بهم الكفار، الزُرَاع أفضل. ليس هذ فقط هذا تشبيه بصورة محمودة وإنما هناك فرق بين الزُرَاع. هذه الآية في سورة الفتح في الحُرَاع أفضلًا مِّن اللهِ عليه وسلم (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدًاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَعًا سُجَدًا يَبْتَغُونَ فَصْلًا مِّن اللهِ وَرِصْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ آثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي اللهُ الَّذِينَ الْإِنجِيلِ كَرَرْعِ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعجبُ الزُّرَاع لِيغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ الْإِنجِيلِ كَرَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعجبُ الزُّرَاع لِأن الزارع يزرع ما ينتفع به هو وينفع الآخرين وهؤلاء ليسوا كالذين ذكرهم (كَمَثَلِ غَيْثِ أَغْجَبَ الْكُفَّارَ بَلاَتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَوًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) الإخورين وهؤلاء ليسوا كالذين ذكرهم (كَمَثَلِ غَيْثِ أَغْجَبَ الْكُفَّارَ بَلاَتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَوًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) الإخواد بنو الأرض وخوج النبات وقد يكون فيه أدغال وحشائش لا تنفع الناس. هناك تصريح بالزُراع وقيدت عندما يمطر أيخرِج حشائش الأرض التي لو خوجت في حديقتك ستقلعها. في آية الفتح ذكر الزُرَاع لأن الزارع لا يزرع الحشائش وإنما يزرع ما ينتفع به هو وينفع الآخرين. ذاك كمثل غيث، الغيث أنت لا تسيطر على ما يُخرِجه فقد يُخرج مما تريد وما لا تريد. آية الفتح وقعت في صورة محمودة في تشبيه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ينخرج مما تريد وما لا تريد. آية الفتح وقعت في صورة محمودة في تشبيه أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم

(محمد رسول الله والذين معه). ثم إن الزُرّاع كأنما هناك من زرعه فخرج أي خرج بأمر مقصود. مثال ذلك قوله تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاس (١١٠) آل عمران) ما قال خرجت لأن ربنا

أخرجها إخراجاً، هذه الأمة الإسلامية ربنا أخرجها بالصورة التي أرادها أخرجت للناس ولم يقل خرجت من تلقاء نفسها. (خرجت) يعني خرجت من نفسها وليست برسالة، أخرج فعل متعدي (أخرجته)، خرج فعل لازم (خرجت من البيت). (أُخرجت للناس) أي أن الله سبحانه وتعالى أخرجها على غط معين كما يريد ولم تخرج من تلقاء نفسها كما تخرج الحشائش والأدغال في النبات. الزارع ينتقي ويعلم ما يزرع وهذه الأمة أُخرجت إخراجاً إلى الناس ولم تخرج من تلقاء نفسها وفق منهج معين معد واختيار دقيق. هذه الأمة أُخرجت بهذا المنهج لهذا الغرض للناس كافة. تلك الآية خرج كما تخرج الحشائش بالغيث يُعجب من يُعجب وأما في سورة الفتح إختار الزُراع يزرعون وينتقون ماذا يريدون. كنتم خير أمة أخرجت للناس أخرجها ربنا بصورة معينة ولغرض معين منهج معين واختيار معين ماذا يريدون. كنتم خير أمة أخرجت للناس أخرجها ربنا بصورة معينة ولغرض معين منهج معين واختيار معين الكفار نباته هذا تشبيه حالة مذمومة بينما آية الفتح في الشاء والمدح في وصف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والذين معه.

سؤال من المقدم: هل كلمة الزراع جمع زارع؟

الزُرّاع جمع زارع مثل كُتّاب وكاتب وواعظ وعّاظ. وعندنا زارعون جمع وأحياناً الكلمة يكون لها أكثر من جمع مثل كلمة ساجد تُجمع على سُجّد (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا (٢٩) الفتح) وسجود (أَن طَهِرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ مثل كلمة ساجد تُجمع على سُجّد (تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا (٢٩) الفتح) وسجود (أَن طَهِرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢١٥) البقرة) وساجدين (وَتَقَلَّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) الشعراء) يكون هناك أكثر من جمع للكلمة. وعندنا ميّت تُجمع على ميّتون (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) الصافات) وموتى (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْمِي الْمَوْتَى الْمَوْتَى الْمَوْتَى الْمَوْتَى اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء (١٥٤) البقرة) كلها جمع ثم تختلف بين القِلّة والكثرة ودلالات أخرى.

سؤال من المقدم: في سورة الواقعة قال تعالى (أَأْنتُمْ تَوْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤)) ولم يستعمل الزُرّاع لماذا؟

لما يذكر ضمير التعظيم يذكر جمع المذكر السالم.

سؤال من المقدم: ما اللمسة البيانية في الالتفات في الضمير في الآية (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا)؟

ذكر مآل الزرع الذي خرج بالغيث حتى يخرج منه إلى تشبيه الحياة الدنيا كيف هي بعد أن ذكر أنه يُعجب الكفار نباته ذكر ما سيؤول وذكر النتيجة حتى ينتقل منه إلى الآخرة. قال (ثم يهيج) يتحرك أول مرة ثم ييس، هاج تأتي بمعنى يس وتأتي بمعنى تحرك في النمو ثم يبس، هاج الزرع تأتي في اللغة بمعنى يس الزرع وفي القرآن. يس فتراه مصفراً. لكن بالنسبة للسؤال (فتراه مصفراً) الإسناد يختلف عن يهيج ويكون حطاماً ما قال ثم يكون مصفراً هذا يدلنا على زوال الزينة لأن الزينة تتعلق بالناظر لأنه قال قبلها (وزينة) لما قال فتراه مصفراً أي زالت الزينة بالنسبة

للناظر لأن الزينة تتعلق بالناظر وإلا لماذا يتزين؟ لذا قال (فتراه مصفراً). الخطاب موجّه لكل سامع ولكل ناظر (فتراه مصفراً) كما قال تعالى (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَزَيَنَاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) الحجر) لأن الزينة تتعلق بالنظر لذلك الأعمى لا يرى الزينة فالزنية ليست للعُمي وإنما للمبصرين. (فتراه مصفراً) أي الزينة زالت لأنه علقها بالمؤية لأن الزينة تتعلق بالرؤية ولم يقل وتراه حطاماً أنت تراه حطاماً لكن أحياناً الذي تراه أنت حطاماً له قيمة كبيرة والقيمة لا تتعلق بالرؤية لكن الزينة تتعلق بالرؤية. أنت قد ترى حطاماً لكنه قد يكون ثميناً جداً وقيمته عالية لا تقدر الأمور بما ترى. الحجر الصناعي أجمل من الطبيعي لكنه ليس أغلى منه هذا الأمر لا يتعلق بالرؤية. هذا يكون حطاماً وليس تراه حطاماً إذا رأيته حطاماً هذا لا يتعلق بقيمته لأن الرؤية لا تقدّر القيمة وإنما تقدّر الزينة، قد يراه حطاماً وفيه فائدة كبيرة أنت تراه هكذا ولكنك لا تحسن تقديره. (ثم يكون حطاماً) أي أصبح حطاماً لا فائدة فيه ولا يتعلق برؤيتك له وتقديرك، رؤيتك تتعلق بالزينة. هذا الأمر في تقييم حقيقة الأمر وقيمته الحقيقية وهذا لا يتعلق بالزينة وإنما يتعلق بالموفية والمقيمة والمقيمة الحقيقية وهذا لا يتعلق بالزينة وإنما يتعلق بالمعرفة الحقيقية والمقيمة الحقيقية

فقال (ثم يكون حطاماً) أصبح حطاماً لا فائدة فيه. إذن فرق بين تراه مصفراً وثم يكون حطاماً. (فتراه مصفراً) يعود على الزينة وعلى رؤيتك للشيء أما يكون حطاماً فهو حقيقة الأمر ذهبت الحياة الدنيا وتحطمت ولم يبق فيها شيء (إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو) تحطمت وذهبت زينتها وأصبحت حطاماً فلِم تغتر بهذا؟ لو قال في خارج القرآن فتراه مصفراً ثم تراه حطاماً لا يُفهم هذا المعنى أنت تراه ولكن لا تقدر قدر الشيء لكن ما يعرفه أصحاب الشأن قد ترى أشياء حطاماً تراها حطاماً ولا تقدر قيمتها لكن هناك صاحب شأن من يعرف قيمتها وفرق بين تراه وبين يكون. الإسناد في (فتراه) لكل ناظر.

سؤال من المقدم: ما دلالة اتسعمال (ثم) والفاء في الآية (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْقَرَّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾؟

لما قال يهيج إنتهى. هي كلها (ثم والهاء) عاطفة لكن الفاء للترتيب والتعقيب و(ثم) للترتيب والتراخي أي مدة. (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ (٢٢) عبس) الميت يُقبر فوراً (فأقبره) (ثم) للتراخي (ثم إذا شاء أنشره) النشور بعد الموت بآلآف السنين وليس مباشرة. (ثم يهيج) يبس (فتراه مصفراً) فوراً تراه مصفراً فاستعمل الفاء. (ثم) تحتاج لوقت.

سؤال من المقدم: في هذه الآية قال تعالى (ثم يكون حطاماً) وفي آية أخرى قال (ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا (٢٦) الزمر) فما الفرق؟

لو عدنا إلى السياق وقراءة كل آية يتضح الفرق. هذه الآية عرفناها، كل الكلام عن الغيث وما يخرج منه. في آية الزمر قال تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَائُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِلْوَلِي الْأَلْبَابِ) هو الذي أنزل ما قال في آية الحديد أنزل غيثًا وإنما قال (كمثل غيث) لم ينسبه إلى نفسه سبحانه، (فسلكه ينابيع في الأرض) الله سبحانه وتعالى هو الذي سلكه، (ثم يخرج به زرعًا) الله سبحانه وتعالى يُخرِج، (ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً) الذي أنزل من السماء

ماء وسلكه ينابيع في الأرض وأخرج به الزرع هو الذي جعله حطاماً. ولو قال يجعله حطاماً في آية الحديد ليس هناك إسناد لله سبحانه وتعالى أما في سورة الزمر فالاسناد لله تعالى ابتداء من أول الآية إلى آخرها هو الذي جعله حطاماً. في آية الحديد ليس هناك إسناد لله تعالى أما في الزمر فالاسناد لله تعالى ابتداء.

سؤال من المقدم: هل الماء والغيث كلاهما مطر؟ ذكر الغيث في آية الحديد وماء في آية الزمر وهناك فرق بين الماء والغيث لكن الماء والغيث لكن الماء والغيث لكن الماء والغيث في الآيتين هو ما ينزل من السماء لكن هذا الماء الذي ينزل من السماء قد يكون غيثاً وقد يكون مطراً بحسب التعبير القرآني. المطر يستعمله الله سبحانه وتعالى في العقوبات (وَأَمْطُونًا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُو كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) الأعراف) لم يستعمل القرآن المطر إلا في العقوبة (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتُ مَطَرَ السَّوْء (٠٤) الفرقان) (وَأَمْطَرْنًا عَلَيْهِم جَجَارَةً مِّن سِجِيل (٤٧) الحجر) (وَأَمْطُونًا عَلَيْهِم مَّطُوا فَسَاء مَطَلُ الْشُنَرِينَ (١٧٣) الشعراء) أما الغيث فيستعمله في الخير. هذا في الاستعمال القرآني أما في الحديث فاستعمل المطر للخير ولكن للقرآن خصوصية في الاستعمال اللغوي نخصص لها إن شاء الله تعالى حلقات لنتحدث عنها لأنه موضوع كبير. والعرب فهمت هذا الفرق من الاستعمال. (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثُ مِن بَعْدِ مَا قَتَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُ الْحَمِيدُ (٢٨) الشورى). إذن في القرآن الكريم يذكر المطر للعذاب.

سؤال من المقدم: ما دلالة تقديم العذاب على المغفرة في الآية (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُمُورِ﴾؟

العذاب يسبق المغفرة والرضوان في الآخرة: عذاب الموقف قبل الحساب وقبل القضاء والدخول في الجنة أو النار والناس ينتظرون خمسين ألف سنة قبل القضاء، هذا العذاب الأول. ورود النار لجميع الخلق (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَثْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) مريم) هذا عذاب قبل دخول الجنة، قسم من الناس يعذّبون ثم ينتهي عذاهم ثم يخرجون إلى الجنة وليس العكس لا يمكن أن يكون أحد في الجنة ثم يدخل النار، إذن العذاب يسبق المغفرة. وتقديم المغفرة على الرضوان لأن الرضوان في الجنة والمغفرة قبلها حتى يدخل الجنة يجب أن يكون هناك مغفرة إذن العذاب قبل المغفرة والمغفرة قبل الرضوان.

ونلاحظ أنه في العذاب قال تعالى (عذاب شديد ومغفرة من الله) ولم يقل عذاب من الله لكن في المغفرة قال ومغفرة من الله للدلالة على سعة رحمة الله تعالى ما ذكر الجهة المعذّبة وإنما قال (عذاب شديد) بينما في المغفرة نسبها له سبحانه وتعالى فقال (ومغفرة من الله) لا ينسب تعالى السوء إلى نفسه أبداً (وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) الجن) مع أها إرادة الله تعالى في الحالين. وكذلك قوله تعالى (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُو يَشْفِينِ (٨٠) الشعراء) (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ (١٥) فصلت).

سؤال من المقدم: في آية الحديد قال تعالى (ومغفرة من الله ورضوان) وفي مواضع أخرى في القرآن استعمل مرضاة وغفران فما الفرق؟

عندنا المغفرة وغفران ورضوان ومرضاة. كلمة غفران لم ترد إلا في موطن واحد في قوله تعالى (غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) البقرة) في طلب المغفرة من الله تعالى. إذن كلمة غفران مخصصة بطلب المغفرة من الله تعالى، هذه دعاء أي نسألك المغفرة (غفرانك ربنا). إذن غفران تستعمل في طلب المغفرة ومن الله تعالى تحديداً. المغفرة لم تأت في طلب المغفرة أبداً وإنما جاءت في الإخبار وفي غير الطلب (وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّعْفِرَةٌ مِّنْهُ وَفَصْلاً (٢٦٨) البقرة) (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَعْفِرَةٌ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ (٦) الرعد). في طلب المغفرة فقط يستعمل كلمة غفران ومن جهة واحدة وهي المغفرة من الله عز وجل. لم تأت المغفرة في الطلب وقد تأتي من غير الله سبحانه وتعالى كما في قوله (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَعْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) البقرة) قد تأتي من العباد. إذن المغفرة ليست خاصة بالله سبحانه وتعالى ولها أكثر من جهة ولم يستعملها القرآن في طلب المغفرة. الغفران مختصة بطلب المغفرة ومن الله تعلى تحليهً تعلى تحديداً.

مرضاة ورضوان: الرضوان من الله سبحانه وتعالى فقط ولم ترد في القرآن من غيره (يَيشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضُوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا تَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢٦) التوبة) (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ جَيْرٌ (٩٠١) التوبة) (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ جَيْرٌ (٩٠١) التوبة). المرضاة من الله تعالى ومن غيره (يَا التوبة). المرضاة من الله تعالى ومن غيره ولم تستعمل في القرآن إلا في ابتغاء وطلب الرضا من الله تعالى ومن غيره (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ (١) التحريم) (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْيَغَاء مَرْضَاتِ اللهِ (٢٠٧) البقرة) في الابتغاء وفي طلب الرضا فقط أما الرضوان فهو في الابتغاء وغير الابتغاء. الرضوان عام وخاص بالله سبحانه وتعالى و المرضاة أخصّ من الرضوان وهو من الله تعالى وغير الله وهذه أيضاً من خصوصيات القرآن الكريم في الاستعمال اللغوي.

الحلقة ٧٧

تابع سورة الحديد

(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبُّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْقَصْل الْعَظِيم (٢٦))

نظرة عامة على الآية: قال الله تعالى (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَصْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَصْلُ الْعَظِيمِ) بعد أن ذكر الدنيا ومآلها في الآية السابقة (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَابِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مَن اللَّهِ وَرِضُوانٌ وَمَا الْحَيَاةُ اللَّذِيا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) وجهنا ربنا سبحانه وتعالى إلى المسابقة في الخير. لأن كانت هناك مسابقة دنيوية اللعب فيه نوع من المسابقة وهناك مسابقة في النفاخر واللهو والزينة والتكاثر هو تباري ومسابقة فبدل هذه المسابقة في أمور الدنيا التي ستكون حطاماً ألا أدلكم على ما هو خير من ذلك؟ وهو المسابقة إلى طلب المغفرة وإلى الجنة فقالوا (سابقوا) بدل تلك المسابقة في الدنيا من اللعب والتفاخر والتكاثر فقال ألا أدلكم على أفضل من هذه المسابقات التي ستكون حطاماً نسابق إلى مغفرة من ربنا والمسابقة إلى الجنة (أعدت للذين على أفضل من هذه المسابقة في الذن أمرنا ووجهنا إلى المسابقة في الخير إلى مغفرة من الله سبحانه وتعالى. هكذا تكون المسابقة وليست المسابقة في اللعب واللهو والتفاخر.

سؤال من المقدم: هذه الآية تتعلق بما قبلها ففي هذه الآية قال (مغفرة من ربكم) و في الآية قبل قال (مغفرة من الله) ه

هنا أمر عباده المؤمنين ووجههم إلى المسابقة وهو ربحم والرب هو الموجه والمرشد إلى ما هو خير فقال (سابقوا إلى مغفرة من ربكم) والمعلم والقيم أما الله فهو لفظ الجلالة تأتي من العبادة، المعبود. الله إسم العلم الذي يُعرف به سبحانه وتعالى والباقي صفات (الرحمن الرحيم) هذه صفاته، المقصود بالاسماء الحسنى صفاته. الله تعالى له صفات كالرحمن صفة من صفاته واسم له لكن اسمه العَلَم الله.

الفرق بين الإسم والصفة؟ اسم العلم هو ما يسمى به الشخص وفي أسماء العلم في الدنيا هو ما أطلقه عليه أبويه في الدنيا أما الصفة فهو ما يتصف به كأن تقول الشارع أو الفقيه هذا ليس اسم علم. إسم العلم قد يكون مرتجل يعني يُطلق هذا وليس منقولاً من وصف وقد يكون منقولاً من وصف (كريم، فاضل، محمد) منقول من وصف أو من مصدر أو من وصف آخر أما المرتجل فسمي هكذا. الله هو إسم الله تعالى لما تقول منقول يجب أن يكون منقولاً عن شيء آخر منقول من صفة أو من إسم جنس مثل أسد وذئب. المرتجل أطلق عليه ابتداء. حتى لو كان لكلمة الله اشتقاق (أكثر اللغويين على ألها مأخوذة من أله وقسم يقول بمعنى تحير، هو الإله والمعبود ثم سقطت الهمزة أصلها الإله المعبود معرفة بال سقطت الهمزة وأدغمت اللام باللام وصارت الله) ويدل على ألها في الأصل معرفة بأل ألها لا تنون مع ألها ليست ممنوعة من الصرف (الممنوع بالصرف يجر بالفتحة)، المنصرف ينون وهذه ليست منونة فهي في الأصل معرفة. الرب معناها المربي والمالك ونقول رب الدار (إنه ربي أحسن مثواي) لأن الرب قد يقال للشخص فهو المربي والسيد والمرشد والمالك.

قال من ربكم لأنه أمر عباده ووجههم وأرشدهم إلى ما فيه خير أما هناك فليس خطاباً لأحد (كمثل غيث) ليس خطاباً وإنما هو وصف للدنيا (ومغفرة من الله) هذا وصف وليس خطاباً. أما الأخرى فهو توجيه وخطاب ومسابقة (مغفرة من ربكم) هذا أمر وهناك وصف للدنيا الطبيعي أن يقول مغفرة من الله لأنه لا يخاطب أحدنا (كمثل غيث) ليس خطاباً أما (مغفرة من ربكم) فيها خطاب لأنه مضافة إلى ضمير المخاطبين (كم). الهدف واحد لكن في آية مخاطبين و الثانية كلام عام وصف للدنيا.

سؤال من المقدم: ألا يظن أحلهم أن هناك والعياذ بالله من يسمى الله ومن يسمى الرب؟ الله هو الرب (الحمد لله رب العالمين) هذه من أسمائه وصفاته التي تذكر، الرحمن الرحيم هل نقول أنه واحد آخر وإذا قلنا الرزاق أو الرحمن أو غيره هل يكون هناك ٩٩ إلهاً.

سؤال من المقدم: في هذه الآية قال تعالى (سابقوا) وقال (وسارعوا) في آل عمر ان؟

هذا ذكرناه قبل سنوات وأشرنا إلى هاتين الآيتين في سؤال ويعاد السؤال الآن مرة أخرى وهناك أكثر من اختلاف في الألفاظ. آية الحديد (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبُّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَصْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَصْلِ الْعَظِيمِ (٢٦)) وآية آل عمران (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبُّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)

المفارقة ليست بين سابقوا وسارعوا فقط وإنما في الآية كلها فهو قال (كعرض السماء) في آية الحديد جاء بكاف التشبيه والسماء مفردة وفي آل عمران لم يأت بكاف التشبيه وقال السموات جمع. في آل عمران قال أعدت للمتقين وفي الحديد قال للذين آمنوا بالله ورسله. ثم أضاف في آية الحديد (ذلك فصل الله يؤتيه من يشاء). إذن ليست مسألة سابقوا وسارعوا فقط.

سابقوا وسارعوا: المسارعة أنت قد تسارع بنفسك إلى الأمر (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ (٩٠) الأنبياء) أما المسابقة فتقتضي أكثر من واحد حتى تكون مسابقة. لا بد أن يكون أكثر من متسابق. المسارعة قد تكون لوحدك أنت تسارع إلى الامتحان لكن المسابقة تسابق غيرك للوصول إلى المركز الأول. المسارعة سرعة أما المسابقة هي سرعة وزيادة.

(كعرض السماء) (عرضها السموات والأرض): قدّم المغفرة على الجنة لأن المغفرة تسبق دخول الجنة. ما الفرق بين السماء والسموات؟ إذا عرفنا الفرق نفهم التشبيه لماذا حصل. السماء في القرآن وفي اللغة إما أن يكون واحدة السموات السبع (وَ لَقَدْ زُيَّنَا السَّمَاء الدُّلِيَا بِمَصَابِيحَ (٥) الملك) السموات السبع كل واحدة منها تسمى سماء السماء الأولى إلى السابعة. والسماء قد يقال لكل ما علاك فالسحاب يسمى سماء (وَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء (٢٧) البقرة) الجو (أَلَمْ يُرَوْ اللَّي الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء (٧٩) النحل) السقف سماء بنص القرآن (فَلْيَمْدُدْ بسبَب المَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعُ فَلْيَنظُرُ هَلْ يُدْهِنَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥) الحج) إلى سقف بيته (السبب هو الحبل) من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليخنق نفسه فالسقف سماء. (كَأَنَّما يَصَعَّدُ فِي السَّمَاء (٢٥) الأنعام) فضاء، السحاب قال (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الريَّاحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاء (٨٤) الروم). كل ما علا السحاب قال (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الريَّاحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء (وَمَا مِنْ غَنِيَة فِي السَّمَاء وَالَّارْضِ إلَّا فِي علاك. الأوسع هي السماء لأن السموات ستكون قسماً من السماء (وَمَا مِنْ غَنِيَة فِي السَّمَاء وَالَّارْضِ إلَّا فِي علاك. الأوسع هي السماء لأن السموات ستكون قسماً من السماء (وَمَا مِنْ غَنِيَة فِي السَّمَاء وَالَّارْضِ إلَّا فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ (٢) النمل) (قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ (٢) القول فيه سرٌ وعلن يعني قلت في نفسي يصير سراً أَنزَكُ اللَّه وسم من السرّ (وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلًا يُعَدِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ (٨) المُحادلة) هذا سر وعلن فلما قال يعلم فالقول قال في السماء

لأنها أوسع لما قال السر وهو جزء قال السموات.

كعرض السماء وعرضها السموات. السماء أوسع من السموات فجاء بكاف التشبيه (كعرض السماء) هي مشبّهة كعرض السماء لأن السماء أوسع بكثير من السموات فجاء بكاف التشبيه لأن المشبه دون المشبه به. المشبه هو الجنة والمشبه به السماء والأرض فلما اتسعت اتساعاً هائلاً جداً شبّه ولما حدّد لم يحتاج التشبيه. في آل عمران (عرضها السموات والأرض هكذا أخبرنا تعالى أن الجنة عرضها عرض السموات والأرض. يعني جنة آية الحديد أوسع من جنة آل عمران.

في آية الحديد أعدت الجنة للذين آمنوا بالله ورسله وهم أكثر من المتقين التي ذكرت في آل عمران. المتقين جزء من الذين آمنوا بالله ورسله فلما اتسع العدد استعمل الكثير (السماء). ليس كل الذين آمنوا بالله ورسله من المتقين. لم يقل وعملوا الصالحات وإنما قال (الذين آمنوا بالله ورسله) هذا فضل عظيم قال الذين آمنوا بالله ورسله أما في آل عمران فهي أخص لأنه لم يقل فقط المتقين وإنما المتقين الذين ينفقون (أعدت للمتقين) لما اتسع الخلق المكان يجب أن يتسع (السماء) لما خصص المتقين خصص (عرضها السموات).

أيها فيها تفضل أكثر؟ أن يدخل عموم الذين آمنوا بالله ورسله أم المتقين؟ الذين آمنوا فقال ذلك فضل الله لأن الفصل كبير جداً أدخل الجنة كل من آمن بالله ورسله فقال (ذلك فضل الله).

نلاحظ قال سابقوا وهي المسارعة وزيادة، وقال السماء وهي السماوات وزيادة وقال الذين آمنوا وهي المتقين وزيادة وزاد ذلك فضل الله. في آل عمران خصص المتقين وقال الذين ينفقون فضيق الدائرة وهذه لها علاقة بما قبلها لأنه في آل عمران طلب الأمر بالتقوى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبا أَضْعَافًا مُضاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُهُلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) فناسب (أعدت للمتقين)، قال قبلها اتقوا الله واتقوا النار فقال أعدت للمتقين. (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء) وقد لهى عن أكل الربا (لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبا أَضْعَافًا مُضاعَفَةً) ثم قال المتقين الذين ينفقون بعكس آكل الربا (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء) هذا يأخذ من الناس وهذا ينفق هو يعطي وهذا ينفق في السراء والضراء لما تقدم الأكل على الربا لأن الأكل هو الأخذ من الناس والذي ينفق هو يعطي الناس. المؤمنون ينفقون في الشدة حتى في السراء والضراء وألضراء وآكل الربا يأخذ مال الذي وقع في الشدة، يأكل من مال من وقع في الشدة واضطر للإستدانة وهذا ينفق في شدته و رخائه.

سؤال من المقدم: في القرآن نجد اتقوا الله واتقوا النار؟ فكيف نتقي الله؟

نحمي أنفسنا من الله (وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبابِ (١٩٧) البقرة) يجب أن نحاذر من عقابه نبتعد عن محارمه وأصل التقوى الحذر شبهوها بالذي يمشي في أرض مشوكة يحذر يشمر ثيابه ويتحسس موقع أقدامه. والتقوى أن لا يراك مولاك حيث نماك ولا يفتقدك حيث أمرك. أن نأتمر بالأوامر وننتهى عن النواهي.

سؤال من المقدم: (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ (٢٢)) هل هناك من رابط بين هذه الآية وما سبقها؟

قبلها تكلم عن الحياة الدنيا تكون حطاماً، هذه مصيبة وهنا وجهنا إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة في (سَابِقُوا إِلَى مَفْفِرَةٍ مِّن رَّبُكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهٍ ذَلِكَ فَصْلُ اللَّهِ يُوْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْهَصْلُ الْعَظِيمِ) فهذه المصيبة التي وقعت في الأرض لما قال (اعَلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَهِبِ وَلَهُوْ وَرَيْنَةٌ وَتَهَاخُرِّ بَيْنَكُمْ وَثَكَاثُرٌ فِي الْمُوالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصُفَرًا ثُمَّ يَكُونُ وَقِياةٌ وَتَهَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَثَكَاثُرٌ فِي الْمُؤالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصُفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطامًا وَفِي الْأَخِورِةِ عَذَالِ وَالْمُؤلِّ مُنَالِي وَقَعَت في الله اللهِ ورَضُوانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنِي اللهِ المُوسِدِة عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ سِحت حطاماً كل مصيبة تقع في الأرض وفي الأنفس وتحل إلا هي ملونة مكتوبة قبل أن تقع وهي يسيرة على الله سبحانه وتعالى. كل ما أصابكم وما يصيبكم في المستقبل، ما أصاب من مصيبة في الأرض وما إلى ذلك وفي الأنفس إلا مدونة مكتوبة كتبها ربنا عنده في كتاب (الكتاب هنا اللوح المحفوظ الذي كتب فيه ما كان وما سيكون إلى يوم الدين). كلها ملونة في كتاب قبل أن تقع لذا ينبغي أن نوجه أنفسنا إلى أمر آخر وهو المسابقة إلى الآخرة حيث لا مصيبة في الأرض و لا في الأنفس إلا وهي ملونة فلِمَ التأسف؟، قبل أن نخلقها، قبل أن نوجلها، من قبل أن نبرأها. مصيبة في الأرض و لا في الأنفس إلا وهي ملونة فلِمَ التأسف؟، قبل أن نخلقها، قبل أن نوجها، من قبل أن نبرأها. موال من المقدم: قال (ما أصاب) هل أصاب عنى حل أو وقع؟

القرآن لا يستعمل مع المصيبة إلا أصاب ولم يستعمل فعلاً آخر لم يقل وقعت مصيبة أو حلّت مصيبة إنما يستعمل أصاب ومتصرفاتها ما تصرّف منها. أصاب أصلها من الإصابة والإصابة أصلها ضد الخطأ (أصاب فلان الهدف أي لم يخطئه، أصاب فلان في كلامه أي لم يخطئ) رب العالمين بين لنا أن المصائب هي مقدرة وقد أصابت موقعها المقدر لها لم تخطئه. لا تتصور أن هذه المصائب وقعت عشوائياً وإنما اصابت موقعها المقدر لها لم تخطئه فلم الأسي؟ إن يستعمل أصاب ولم تقع عشوائياً ولا تؤدي حلّت أو وقعت هذا المعنى. لكن أصابت أي أصابت موقعها المقدّر لها لم تخطئه.

سؤال من المقدم: (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ) قدم المصيبة في الأرض على النفس؟ الأرض هي مقدمة من حيث الخِلقة، الأرض تسبق لأن الأرض مهيأة لمن عليها من الأشخاص والمصائب في الأرض قبل أن تقع في الأنفس، المصائب في الأرض هي تقع فيها كوارث من فيضانات وغيرها قبل أن يوجد البشر إذن المصيبة في الأرض أسبق من مصيبة الأنفس ولذلك قدمها (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ) قدم الأرض لأنها وقعت قبل الأنفس.

ما فائدة (من)؟ هذه تسمى في اللغة مِنْ الاستغراقية التي تستغرق كل ما دخلت عليه. (وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلاَّ اللهُ (٢٦) آل عمران) استغرقت جميع الآلهة. (أن تَقُولُواْ مَا جَاءنا مِن بَشِيرٍ وَلاَ تَذِيرٍ (١٩) المائلة) تستغرق كل ما دخلت عليه. لما تقول ما جاءيني رجل فيها احتمالين أنه ما جاءك رجل وإنما رجلين أو أكثر وما جاءيني رجل أي واحد من هذا الجنس أما ما جاءيني من رجل تستغرق الجنس بكامله لم يأتك لا واحد ولا أكثر من هذا الجنس. ما أصاب من مصيبة أي أي مصيبة كبيرة أو صغيرة لم يشذ عنها مصيبة واحدة فيما يحدث في كل الدنيا لا يمكن أن تقع مصيبة إلا وهي مدونة في كتاب وخارج الكتاب لا تقع وهذا على سعة علم الله وإحاطته بالأشياء صغيرة أو كبيرة حيثما وقعت هي مدونة مكتوبة في كتاب من قبل أن تقع.

سؤال من المقدم: في الحديد قال (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ) وفي الشورى (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ (٣٠))؟

(أصاب) مطلق لم يقيدها بمصاب معين، (ما أصاب) لا قيدها في مكان و لا في شخص، بينما (ما أصابكم) هناك مخاطبين لا تتعلق بالأرض فهي للمخاطبين تحديداً لأنه قال (فبما كسبت أيديكم) لما قال فبما كسبت أيديكم لما خصصها فذكر للصائب التي تصيبنا بما كسبت أيدينا، لما قال ما أصابكم عندما خصص قال بما كسبتم أيديكم لما خصص خصص و في الثانية أطلق فقال أصاب لم يقل بما كسبت أيديكم (ما أصاب) وعندنا في آية أخرى في التغابن (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إلَّا بإذْنِ اللَّهِ (11)). (ما أصابكم) خاصة و (ما أصاب) عامة مطلقة.

سؤال من المقدم: في الحديد (مِّن قَبْل أَن نَّبْرَأَهَا) لماذا لم يقل من قبل أن تقع؟

في الآية يدل على العلم والقدرة لما قال (إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا) دل على علمه وقدرته. نبر أها يعني نوجدها وهي أحد معاني الخلق. الخلق له معاني وقد ينسب إلى الإنسان تقول خلقت هذا الشيء كما قال عيسى (أنّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بإِذْنِ اللّهِ (٤٩) آل عمران) يأتي بمعنى التصوير. بمعنى من المعاني الخلق يعني الإيجاد. قال نبرأها بدل نوجدها. الله تعالى يستعمل إسم البارئ بمعنى الخالق. لم يقل من قبل أن تقع لأن هذه الآية تدل على العلم والقدرة: العلم أنه في كتاب و (من قبل أن نبرأها) أي هو الذي أوجدها إذن دل على علمه وقدرته ولو قال من قبل أن تقع دل على علمه فقط ولا يدل على القدرة. نبرأها هو الذي أوجدها فيها علم وقدرة، علِم بما فدوّ لها وأوجدها فيها قدرة. لو قال من قبل أن تقع لا تدل على القدرة وإنما على العلم والقدرة وتدل على التوحيد إذا كان يبرأها كلها فأين الآلهة الأخرى التي يزعمون؟ يدل على القضاء والقدر لألها ملونة في كتاب ويدل على التوحيد ونفي الشرك.

ضمير النصب في نبرأها على من يعود؟ المصيبة أو الأنفس أو الأرض؟ يعود على جميعها قبل خلق الأنفس والأرض والمصيبة وهذا علم عظيم، عندما قال من قبل أن نبرأها أطلقها. لا يمكن أن يقول نبرأهم لأنها للذكور للعقلاء ولا نبرأهن تعني ثلاثة، لكن نبرأها أكثر لأن ضمير غير العقل لو عندنا ضمير غير عاقل في الجمع الجمع القليل نأتي بضمير الجمع وللقليل نأتي بالإفراد. مثال (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ (٣٦) التوبة) قال منها لم يقل منهن (فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسكُمْ) لما قال أربعة قال فيهن بضمير الجمع ولما قال اثنا عشر قال منها وجاء بالإفراد. إذا كان الضمير لغير العاقل إذا كان كثيراً نأتي بضمير الإفراد وإذا كان قليلاً أي أقل من عشرة نأتي بضمير الجمع. العرب لما يؤرّخون يقولون: لثلاث خلون، لأربع خلون، لإحدى عشرة ليلة خلت، لما يتجاوز العشرة يقولون خلت.

ضمير الفاعل للتعظيم (النون في نبرأها جمع التعظيم) جاء بعدها بالمفرد (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) ما قال علينا وهذا تعبير في القرآن حيث يذكر ضمير التعظيم في جميع القرآن يأتي بعده أو يسبقه ما يدل على الإفراد. ليس في القرآن موطن فيه ضمير التعظيم إلا أن يكون قبله أو بعده ما يدل على الإفراد. (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر) هذا في جميع القرآن حيث ذكر ضمير التعظيم لا بد أن يسبقه أو أن يأتي بعده ما يدل على الإفراد.

سؤال من المقدم: إن ذلك على الله يسير ما فائدة التقديم؟

هذه للحصر أي على الله يسير حصراً لو قال يسير على الله قد يكون يسيراً على غيره لما تقول هذا هيّن عليّ هذا ليس حصراً هين عليّ قد يكون هين على غيرك. (قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ (٩) مريم) أي حصراً وفائدة النقديم الحصر لا يكون يسيراً على غيره.

لمسات يبانية من سورة المنافقون

في هاتين الآيتين ــ كما هو شأن الآيات القرآنية كلها ــ أسرار تعبيرية بديعة. والذي دعاني إلى الكتابة فيهما، أن سائلاً سألني مرة: لماذا قال تعالى: (فأصدق) بالنصب وعطف بالجزم، فقال: (وأكن) ولم يجعلهما على نسق واحد؟ فآثرت أن أكتب في هاتين الآيتين لارتباطهم.

(يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون). لقد نمى الله في هذه عن الانشغال بأمر الأموال والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها، والانشغال بأمر الأولاد إلى حد الفعلة عن ذكر الله، وإيثار ذلك عليه ومن يفعل ذلك كان خاسراً خسارة عظيمة.

هذا معنى الآية على وجه الإجمال، إلا أن هناك أسراراً تعبيرية تدعو إلى التأمل منها:

١- إنه قال: (لا تلهكم أموالكم) ومعنى (لا تلهكم): لا تشغلكم [١] وقد تقول: لماذا لم يقل: (لا تشغلكم)؟ والجواب: أن من الشغل ما هو محمود فقد يكون شغلاً في حق كما جاء في الحديث: "إن الصلاة لشغلاً" وكما قال تعالى: (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيُوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ) [يس] أما الإلهاء فمما لا خير فيه وهو مذموم على وجه العموم، فاختار ما هو أحق بالنهى.

٢ لقد أسند الإلهاء إلى الأموال والأولاد فقال: (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم) فقد لهى الأموال عن إلهاء المؤمن، والمراد في الحقيقة لهي المؤمن عن الالتهاء بما ذكر والمعنى لا تلتهوا بالمال والأولاد عن ذكر الله وهذا من باب النهي عن الشيء والمراد غيره، وهو كقوله تعالى: (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم الله الغرور) [لقمان] فقد لهى الحياة الدنيا عن غير المؤمن والمراد لهى المؤمن عن الاغترار بالدنيا

إن المنهي في اللغة: هو الفاعل نحو قولك: (لا يضرب محمود خالداً) ف (محمود) هو المنهي عن أن يضرب خالداً، ونحو قولك: (لا يسافر إبراهيم اليوم) فإبراهيم منهي عنة السفر. ونحو قوله تعالى: (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن) [الحجرات] فالقوم هم المنهيون وكذلك النساء وكما تقول: (لا تضرب خالداً) و (لا تضربي هند) فالفاعل هو المنهي وليس المفعول به. والفاعل في الآية هو الأموال والأولاد، وهي منهية عن إلهاء المؤمن.

وقد تقول: ولم لم يعبر بالتعبير الطبيعي فيقول: لا تلتهوا بالأموال والأولاد، على أصل المعنى؟ والجواب: أن في هذا العدول عدة فوائد:

منها: أنه لهي الأموال عن التعرض للمؤمن وإلهائه عن ذكر الله فكأنه قال: أيها الأموال لا تملي المؤمن عن ذكري.

فكأن الله يريد حماية المؤمن وذلك بنهى السبب عن أن يتعرض له فكيف عن التعرض.

و في هذا النهي مبالغة إذ المراد نهي المؤمن ولكنه بدأ بالأصل المسألة وهي الأموال والأولاد فنهاها هي عن التعرض للمؤمن بما يلهيه فقد جعل الله المؤمن كأنه مطلوب من قبل الأموال والأولاد تسعى لإلهائه وفتنته فنهاها عن السعي لهذا الأمر لينقطع سبب الإلتهاء ويقمعه.

ومنها: أن فيه إهابة للمؤمن ألا يقع في شرك الأموال والأولاد بحيث تلهيه وهو غافل مسلوب الإرادة، فنسب الإلهاء ليأخذ المؤمن حذره منها، فكأن الأموال والأولاد ينصبون الشرك ليلهوه عن ذكر الله، فعليه أن يحذر من أن يقع فيه كما تقول: (لا يخدعك فلان) فغن فيه إهابة لأخذ الحذر منه.

هذا بالإضافة إلى ما فيه منة التعبير المجازي اللطيف، وهو إسناد الإلهاء إلى الأموال فجعلها عاقلة مريدة تنصب الشرك لوقوع المؤمن في الفخ.

جاء في (روح المعاني): "والمراد بنهي الأموال وما بعدها نهي المخاطبين، وإنما وجه إليها للمبالغة لأنها لقوة تسببها للهو وشدة مدخليتها فيه، جعلت كأنما لاهية وقد نهيت عن اللهو، فالأصل لا تلهوا بأموالكم .. الخ. فالتجوز في الإسناد وقيل: إنه تجوز بالسبب عن المسبب كقوله: (فلا يكن في صدرك حرج) أي: لا تكونوا بحيث تلهيكم أموالكم" [7]

و جاء في (تفسير البيضاوي): "توجيه النهي إليها للمبالغة" [٣] .

٣_ جاء بـ (لا) بعد حرف العطف فقال: (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم) ولم يقل: (أموالكم وأولادكم) ذلك أن كلاً من الأموال والأولاد داع من دواعي الإلهاء وكذلك الأولاد.

وق قال: (أموالكم وأولادكم) لاحتمل أن النهي عن الجمع بينهما، فلو لم يجمع بينهما جاز، فلو انشغل بالمال وحده جاز، أو انشغل بالأولاد وحدهم جاز، وهو غير مراد. إذ المراد عدم الانشغال بأي واحد منهما على سبيل الانفراد أو الاجتماع.

٤ قدم ألأموال على الأولاد لأن الأموال تلهي أكثر من الأولاد، فإن الانشغال فيها وفي تنميتها يستدعي وقتاً
 طويلاً وقد ينشغل المرء بها عن أهله، فلا يو اهم إلا لماماً فقدم الأموال لذلك.

قدم المفضول على الفاضل، فالأولاد أفضل من الأولاد لأن المال، إنما يكون في خدمتهم ويترك لهم وذلك لأكثر من سبب.

منها: أن المقام مقام إلهاء كما ذكرنا فاستدعى تقديهما.

ومنها: أن المقام يقتضي ذلك من جهة أخرى، فغن هذا التقديم نظير التقديم في الآية اللاحقة من تقديم المفضول وهو قوله: (فأصدق وأكن من الصالحين) فقدم الصدقة على كونه من الصالحين.

ولما قدم النهي عن الإلتهاء بالمال قدم الصدقة. والصدقة إنما هي إخراج للمال من اليد والقلب، والالتهاء غنما هو انشغال به بالقلب والوقت والجارحة.

ولما قال: (عن ذكر الله) قال: (وأكن من الصالحين) لأن المنشغل عن الفرائض وذكر الله ليس من الصالحين. فهو تناظر جميل.

لا تلهكم أموالكم و لا أو لادكم ... فأصدق.

عن ذكر الله وأكن منم الصالحين

والملاحظ أنه حيث اجتمع المال والولد في القرآن الكريم، قدم المال على الولد إلا في موطن واحد، وذلك نحو قوله

(شغلتنا أموالنا وأهلونا) [الفتح] وقوله: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) [الكهف] وقوله: (وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً) [المدثر]، ونحو ذلك، لأن المال في هذه المواطن أدعى إلى النقديم، إما لأن الانشغال به أكثر كما ذكرنا، أو لأنه أدعى إلى الزينة والتفاخر وما إلى ذلك من المواطن التي تقتضي تقديم الأموال.

أما المواطن الذي قدم فيه الولد على المال، فهو قوله تعالى:

(قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَائُكُمْ وَأَرْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَ تُكُمْ وَأَهْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَثَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْقَوْمَ اللّهَ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [التوبة] وذلك لأن المقام مقام حب. ولا شك أن المتقدمين من الأبناء والأزواج وغيرهم أحب إلى المرء من ألأموال لأنه إنما ينفق المال عليهم ويبقيه لهم بعد رحيله عن هذه الدار.

ثم لا تنس أنه قدم مجموع القرابات من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة، ولا شك أن هؤلاء بمجموعهم أحب إلى المرء من المال. فالأبناء وحدهم أثقل من ميزان الآباء من الأموال، فكيف إذا اجتمع معهم ما اجتمع ممن يحب؟

أما مسألة تقديم الأموال على وجه العموم، فلعل الله ييسر لنا البحث فيها.

٦-قال: (ومن يفعل ذلك) ولم يقل: (ومن تلهه لك) فنسب الفعل إلى الشخص، لينال بذلك جزاءه و لئلا يفهم أنه
 ليس بمقدور الشخص الانصراف عن اللهو، وأنه غير مسؤول عن هذا الالتهاء.

فقال: (ومن يفعل ذلك) للدلالة على أن ذلك بمقدور، وأن هذا من فعله وكسبه. فالالتهاء ليس أمراً سلبياً، بل هو فعل يقوم به الشخص وينال جزاءه عليه.

٧- ثم انظر كيف جاء لذلك بالفعل المضارع فقال: (ومن يفعل) للدلالة على استمرار الحدث وتكرره ولم يقل: (ومن فعل) بالماضي، ذلك لن الالتهاء بالأموال والأولاد أمر يومي ومتكرر، ولذا عبر عنه الفعل المضارع الذي يدل على التكرار والتطاول.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أنه لو قال: (ومن فعل) لاحتمل أن ذلك الخسران الكبير، إنما يقع ولو فعله مرة واحدة وهو غير مراد. ثم ليتناسب الفعل والجزاء إذ ليس من المعقول والقصر إنما الخسران الكبير الثابت المدلول عليه بالجملة الإسمية والقصر إنما يكون لما وقع مرة واحدة من الالتهاء، بل المناسب أن يكون ذلك لما تكرر حصوله وتطاول.

٨ـــ ثم قال بعد ذلك: (فأو لئك هم الخاسرون) واختيار الخسران نهاية للآية أنسب شيء هاهنا فإنه المناسب للالتهاء
 بالأموال والانشغال بها.

فإن الذي ينشغل بالمال إنما يريد الربح، ويريد تنمية ماله فقال له: إن هذا خسران وليس ربحاً حيث باع "العظيم الباقي بالحقير الفاني"[٤]

9 ثم إن الإتيان بضمير الفصل (هم) بين المبتدأ والخبر وتعريف (الخاسرون) بأل، إنما يفيدان القصر والتأكيد، أي أن هؤلاء لا غيرهم هم الخاسرون حقاً. وهم أولى من يسمون خاسرين فإنه لم يقل: (فأو لئك خاسرون)، أو من الخاسرين ولو قال لأفاد أن خسارهم قد تكون قليلة أو قد يشاركهم فيها غيرهم بل قال: (فأو لئك هم الخاسرون) للدلالة على ألهم هم الخاسرون دون غيرهم وهم المتصفون بالخسارة إلى الحد الأقصى.

جاء في (روح المعاني): "وفي التعريف بالإشارة والحصر للخسران فيهم، وفي تكرير الإسناد وتوسيط ضمير الفصل ما لا يخفي من المبالغة" [٥].

• 1 — اختار الإلهاء عن ذكر الله دون غيره من العبادات فلم يقل مثلاً: لا تلهكم عن الصلاة أو عن الجهاد أو عن غير ذلك من العبادات، ذلك أن ذكر الله يشمل جميع القرائض، فكل عمل تعلمه لا يكون لله إلا إذا كنت ذاكراً لله في نفسك أو على لسانك أو مستحضراً له في قلبك والذكر قد يكون في اللسان، قال تعالى: (وأذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة) [الأعراف] وقال: (وأقم الصلاة لذكرى) [طه] فذكر الله "عام في الصلاة والثناء على الله تعالى بالتسييح والتحميد وغير ذلك والدعاء وقال الحسن: جميع الفرائض" [7].

ولذلك كان الخسران كييراً فهو متناسب مع عظم المعصية، والله أعلم (وأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَرْتِنِي إِلَى أَجَلِ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ).

1 ــ تبدأ الآية بقوله: (وأنفقوا من ما رزقناكم) وهذا الأمر بالإنفاق مقابل النهي عن الإنفاق على أصحاب رسول الله من المنافقين فالمنافقون يقولون لأوليائهم: (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) [المنافقون] والله يقول لأوليائه: (وأنفقوا من ما رزقناكم) فانظر كيف قابل النهى بالأمر.

٢ قال: (من ما رزقناكم) فجاء بـ (من) الدالة على التبعيض ولم يقل: (أنفقوا ما رزقناكم)، للدلالة على أن الإنفاق إنما يكون في قسم من المال و لا يشمل المال كله، فتستهل النفوس التخلي عن قسم من المال، استجابة لأمر ركما بخلاف ما إذا سألها المال كله، فإنما تستعظم ذلك وتبخل به، قال تعالى: (وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ {٣٦} إِن يَسْأَلُكُمُ وَهَا فَيَحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَصْعَانَكُمْ) [محمد]

٣ أسند الرزق إلى نفسه فقال: (من ما رزقناكم) للدلالة على أن هذا المال غنما هو من رزق الله سبحانه، ملكه عباده، فتطيب النفوس لإخراج بعض ما رزقه الله، استجابة لأمر الله الرازق.
وهذا التعبير اللطيف مدعاة إلى الخروج عن الشح والاستجابة لأمر الله.

٤ ـ ثم قال: (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) فجاء بـ (من) ولم يقل: (قبل أن يأتي أحدكم الموت) إشارة على قرب الموت من الإنسان، وأنه على الإنسان أن يسابق الموت ويبادر بالعمل الصالح فإن (من) هذه تفيد ابتداء الغاية الزمانية، ومعناه الزمن القريب من الموت بل المتصل به، وأن حذفها يفيد الوقت الذي هو قبل الموت سواء كان قريباً أم بعيداً [٧] ويفيد إعطاء المهلة مع أن الأجل إذا جاء لا يمهل، فالمجيء بما يفيد طلب التعجيل بالتوبة والإنفاق إذ كل ساعة تمر بالإنسان، تحتمل أن تكون هي ساعة الموت، وهي التي ذكرها بقوله: (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) فانظر حسن التعبير ودقته.

٥ قدم المفعول بعه على الفاعل، فقال: (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) ولم يقل: (يأتي الموت أحدكم) ذلك لأن المفعول به هو المهم هاهنا، إذ هو المعني بالتوبة والصلاح، وهو المدعو للإنفاق وهو المتحسر النادم إذا عاجله الموت. فالعناية والاهتمام منصبان على المفعول الذي يأتيه الموت، وهو كل واحد منا.

٦- جاء بالفاء في قوله: (فيقول رب) ولم يأت بـ (ثم) أو الواو، ذلك لأن الفاء تفيد معنيين السبب والعطف، في
 حين أن ثم أو الواو لا تفيد السبب، وبل تفيد العطف وحده.

ومن ناحية أخرى، إن الهاء تفيد التعقيب بلا مهلة في حين أن (ثم) تفيد التراخي، والواو تفيد مطلق الجمع. فجاء بالهاء لجمع معنيي السبب والعطف، أي أن الموت سبب لهذا الندم وطلب التأخير لما ينكشف له من سوء

المنقلب و العياذ بالله.

ثم إن طلب التأخير يأتي رأساً بلا مهلة، ففي ساعة الموت وعند حضوره يطلب التأخير ليسلك سبيل الصالحين، ولو جاء بـــ (ثم) لما أفاد ذاك، بل يفيد أن طلب ذاك إنما يكون بعد مهلة وتراخ، وكذلك الواو لا تفيد ما أفادته الفاء.

٧ ــ ثم انظر كيف ناسب المجيء بالفاء الدالة على قصر الوقت حذف حرف النداء، فقال: (رب) ولم يقل: (يا رب)
 لأن الوقت لم يعد يحتمل التضييع في الكلام فيأتي بــ (يا) بل يريد أن يستعجل في طلبه، فيختصر من الكلام ما لا
 حاجة له به ليفرغ إلى مراده.

٨ــ جاء بــ (لولا) فقال: (لولا أخرتني) ولم يقلك (لو أخرتني) لأن (لولا) أشد في الطلب من (لو) وقائلها أكثر
 إلحاحاً من قائل: (لو) فإن (لو) تكون للطلب برفق، وأما (لولا) فتكون للطلب بشدة وحث، ومعنى ذلك أن ما هو فيه يستدعي الإلحاح في الطلب، وأن يجأر به وأن يأتي بما هو من أشد أدوات الطلب قوة، كما أنها من أدوات التديم وفيها تنديم للنفس على ما فرط، ولو جاء بــ (لو) لفاد العرض الخفيف.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إن (لو) قد تفيد التمني، والتمني قد يكون ميئوسا منه ليس لصاحبه فيه مطمع نحو (لو يعود الميت إلى الحياة، فيخبر الناس بما هو فيه) في حين أن هذا القائل ليس متمنياً، بل هو طالب للعودة، سائل لها فلو جاء بــ (لو) لأفاد أن هذا من باب التمني الذي يتمناه الإنسان، ولا يرجو وقوعه كقول القائل: (ألا ليت الشباب يعود يوماً) والتمني قد يكون فيحال العافية كما يكون في غيرها في حين أن هذا طالب للتأخير وليس متمنياً.

٩- جاء بالفعل الماضي بعد (لولا) فقال: (لولا أخرتني) ولم يقل: (لولا تؤخرني) ذلك أن المحذور وقع في حين أن الفعل المضارع قد يفيد أن ألأمر لم يقع بعد، وأن في الأمر سعة وذلك نحو قوله تعالى: (لو نشاء جعلناه أجاجاً فولا تشكرون) [الواقعة] وقوله: (قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجُلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَعْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)
 [النمل].

هذا علاوة على ما يفيد دخول (لولا) على الماضي من قوة الطلب وشدته، وإن كان مستقبل المعني.

• 1 ـ ثم انظر كيف طلب مهلة قصيرة لإصلاح حاله، مع أنه كان يتقلب في الأرض من دون أدبى تفكير أو اهتمام بمآله في الآخرة أو بالأوقات التي يضيعها هدراً من دون اكتراث، فقال: (إلى أجل قريب) ولم يقل: (إلى أجل) فيحتمل القريب والبعيد، فطلب مهلة قصيرة وأجلاً قريباً لتدارك ما فات.

فانظر كيف جاء بالفاء الدالة على قصر الزمن بين إتيان الموت وطلب التأخير، وحذف (يا) النداء اختصاراً للزمن ليفرغ إلى طلبه، وجاء ب، (لولا) الدالة على الإلحاح في الطب، كل ذلك ليحصل على مهلة قليلة ليصلح شأنه، فانظر أية إشارات هذه إلى هول ما هو فيه؟

وقد تقول: ولم قال هاهنا : (أخرتني) بالياء وقال في سورة الإسراء (أخرتني) فحذف الياء واجتزأ بالكسرة؟ والجواب: أن المقام يوضح ذلك.

فقد قال في سورة الإسراء على لسان إبليس: (قَالَ أَرَأَيْنَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً) [الإسراء].

وقال ههنا: (لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) وهنا نسأل: أي الطلبين يريده المتكلم لنفسه على وجه الحقيقة، وأيهما يعود بالنفع عليها ودفع الضرر عنها أهو قوله: (لَوْلَا أَخَّرْتَبِي إِلَى أَجَلِ قَرِيبِ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ)أم قوله: (لَئِنْ أَخَّوْتَن إلَى يَوْم الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنكَنَّ ذُرِّيَّتُهُ إلاَّ قَلِيلاً).

والجواب ظاهر فإن طلب إبليس لا يريده من أجل نفسه، ولا لأنه محتاج إليه، وإنما يريده ليضل ذرية آدم. ثم إن هذا الطلب لا يعود عليه بنفع، ولا يدفع عنه ضراً وليست له مصلحة فيه، بل العكس هو الصحيح بخلاف الطلب الآخر، فإنه يريده لنفسه حقاً وإنه لا شيء ألزم منه لمصلحته هو ودفع الضرر عنه.

فلما كان طلب التأخير لمصلحة الطالب حقاً، وأنه ابتغاه لنفسه على وجه الحقيقة أظهر الضمير ولما كان طلب إبليس ليس من أجل نفسه ولا يعود عليها بالنفع حذف الضمير واجتزأ بالكسرة.

ثم في الحقيقة، إن كلام إبليس ليس طلباً، وإنما هو شرط دخل عليه القسم فقال: (لئن أخرتن) فهو من باب الطلب الضمني، وليس من باب الطلب الصريح وأما قوله: (لولا أخرتني) فهو طلب صريح ففرق تبعاً لذلك بين التعبيرين. فصرح بالضمير وأظهر نفسه في الطلب الصريح، وحذف الضمير واجتزأ بالإشارة إليه في الطلب غير الصريح. وهو تناظر جميل، ففي الطلب الصريح صرح بالضمير، وفي الطلب غير الصويح لم يصرح بالضمير.

11 ـ وهنا نأتي إلى سؤال السائل وهو: لم عطف بالجزم على النصب، فقال: (فأصدق) بالنصب ثم قال (وأكن) بالجزم ولم يجعلها على نسق واحد؟

والجواب: أنة هذا مما يسميه النجاة (العطف على المعنى) وقد يسمى فير غير القرآن (العطف على التوهم). ذلك أن (أصدق) منصوب بعد فاء السببية، و(أكن) مجزوم على أنه جواب للطلب، والمعنى: إن أخرتني أكن من الصالحين ونحو ذلك أن تقول: (هلا تدلني على يبتك أزرك)، ف : (أزرك) مجزوم بجواب الطلب والمعنى، إن تدلني على بيتك أزرك ولو جئت بفاء السبب لنصت، فقلت: (هلا تدلني على بيتك فأزورك)، وإن أسقطت الفاء وأردت معنى الشرط جزمت.

جاء في (البحر الحيط): "وقرأ جمهور السبعة (وأكن) مجزوماً قال الزمخشري: (وأكن) مجزوماً على محل (فأصدق) كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن وقال ابن عطية: عطفاً على الموضع لأن النقدير إن تؤخرني أصدق وأكن" [٨] ففي الآية الكريمة جاء بالمعطوف عليه على إرادة معنى السبب وجاء بالمعطوف على معنى الشرط فجمع بين معنيي السبب والشرط فالعطف إذن ليس على إرادة معنى الفاء بل على إرادة معنى جديد.

جاء في (معاني النحو): "عطف (أكن) المجزوم على (أصدق) المنصوب، وهو عطف على المعنى وذلك أن المعطوف على عليه يراد به السبب والمعطوف لا يراد به السبب، فإن (أصدق) منصوب بعد فاء السبب وأما المعطوف فليس على تقدير الفاء ولو أراد السبب لنصب، ولكنه جزم لأنه جواب الطلب نظير قولنا: (هل تدلني على بيتك أزرك؟) كأنه قال: إن تدلني على بيتك أزرك فجمع بين معنيي التعليل والشرط، ومثل ذلك أن أقول لك: (احترم أخاك يحترمك) و(احترم أخاك فيحترمك) فالأول جواب الطلب والثاني سبب وتعليل وتقول في الجمع بين معنيين (أكرم صاحبك فيكرمك ويعرف لك فضلك) وهو عطف على المعنى"[٩].

وقد تقول: ولماذا لم يسو بينهما، فيجعلهما نسقاً واحداً؟

و الجواب أنهما ليسا بمرتبة واحدة في الأهمية، فالصلاح أهم من الصدقة ذلك أنم الذي ينجي من العذاب، هو كونه من الصالحين لا كونه متصدقاً فإن المؤمن قد لا يتصدق بصدقة أصلاً ومع ذلك يدخل الجنة بصلاحه فقد يكون ليس معه ما يتصدق به. فالذي ينجيه من العذاب، ويدخله الجنة، هو أن يكون من الصالحين، والتصدق وإنما يكون

من الصلاح. والذي يدلك على ذلك قوله تعالى في سورة (المؤمنون): (حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ الْالْحِيْوِنِ {٩٩} لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْم يُبْعَثُونَ) فإنه ذكر الصلاح ولم يذكر الصدقة، لأن الآية لم تقع في سياق الكلام على الأموال وإنفاقها، وذلك يدل على أن الصلاح هو مناط النجاة وأنه هو الأهم فعبر عن كونه من الصالحين بأسلوب الشرط، لأنه أقوى في الدلالة على التعهد والتوثيق، فقد اشترط على نفسه أن يكون من الصالحين، وقطع عهداً على نفسه بذلك فأعطى الأهم والأولى أسلوب الشرط الدال على القوة في الأخذ على النفس والالتزام وأعطى ما هو دونه في الأهمية والأولوية، أسلوب التعليل ولم يجعلهما بمرتبة واحدة.

وقد تقول: إذا كان الأمر كذلك فلك قدم الصدقة على الصلاح؟

والجواب: أن السياق هو نفي إنفاق الأموال، فقد قال تعالى في هذه الآية: (وأنفقوا من ما رزقناكم ...) فدعا إلى الإنفاق، فكان تقديم الصدقة مناسباً للمقام. ثم إنه تردد في السورة ذكر الأموال والانشغال بها، وما إلى ذلك، فقد جاء قبل هذه الآية قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فنهى عن الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله، وجاء قبلها قوله في المنافقين: (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُول اللهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض).

فأنت ترى أن تقديم الصدقة، والمناسب للسياق الذي وردت فيه الآية وللجو الذي تردد فيه ذكر الأموال والانشغال بها، والتوصية من المنافقين بعدم إنفاقها في سيبل الخير.

وقد يقول: ولم قال: (فأصدق) ولم يقلك (فأتصدق) الذي هو الأصل؟

والجواب: أن هناك أكثر من سبب يدعو إلى هذا الاختيار.

منها أن مقاطع (فأتصدق) أكثر من مقاطع (فأصدق) فإن مقاطع (فأتصدق) ستة ومقاطع (فأصدق) خمسة:

فَ + أَ + تَ +صد +دَ +قَ = ستة مقاطع.

فَ +أص +دَ +قَ = خمسة مقاطع.

وهو طلب التأخير إلى أجل قريب فاختار اللفظة التي هي أقصر لتناسب قصر المدة.

ثم إن في (فأصدّق) تضعيفين أحدهما في الصاد، والآخر في الدال في حين أن في (فأتصدق) تضعيفاً واحداً موطنه الدال، والتضعيف مما يدل على المبالغة والتكثير، ولذا كان في قوله: (فأصدق) من المبالغة والتكثير في الصدقة ما ليس في (فأتصدق) فدل بذلك أنه أراد أجلاً قريباً ليكثر من الصدقة ويبالغ فيها.

فهذا البناء أفاد معنيين:

الأول: قصر المدة وذلك لأنه طلب التأخير مدة قصيرة.

والآخر: هو الإكثار من الصدقة في هذه المدة القصيرة فكان ذلك أنسب.

من هذا ترى أنه وضع كل تعبير في مكانه الذي هو أليق، وأعطى كلاً منهما حقه الذي هو له. فانظر كيف جمع بين معنيين التعليل والشرط.

وقدم الصدقة مناسبة للمقام وأعطى الصلاح أهمية تفوق الصدقة، وجاء لفظة تدل على قصر المدة والإكثار من الصدقة فجمعت معنيين مناسبة للمقام، كل ذلك بأو جز عبارة وأبلغها والله أعلم.

- [۱] الكشاف ۲۳۵/۳ [۲] روح المعاني ۱۱۷/۲۸ [۳] تفسير البيضاوي ۷۳۸ [٤] الكشاف ۲۳۵/۳
 - [٥] روح المعاني ١١٧/٢٨ [٦] البحر المحيط ٢٧٤/٨ [٧] انظر معاني النحو ٢١٩/٢ وما بعدها.
 - [٨] البحر المحيط ٢٧٥/٨، وانظر الكشاف ٢٣٦/٣ فتح القدير ٥/٧٧ [٩] معايي النحو ٣٠٥٩ .

لمسات بيانية في سورة الإنسان

قوله: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ اللَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُوراً {١} })

لو نظرنا في سياق السورة نجد أن آيات السورة تذكر الإنسان قبل وجوده وتذكره وهو نطفة أمشاج وتذكره فيما بعد كإنسان مكلّف وتذكره بعد خروجه من الدنيا إلى النعيم واللك الكبير أو الأغلال والسعير، فالسورة كلها تذكّره في كل مراحل الإنسان فهي بحق سورة الإنسان ولذا ناسب تسميتها سورة الإنسان.

والسورة تبدأ بقوله تعالى (هل أتى) . إن المفسرين وأهل اللغة عموماً يقولون هل هنا معناها (قد) بمعنى (قد أتى) لكن لا يُقصد بما الإخبار وإنما (قد) مسبوقة باستفهام بمعنى (أقد أتى) فالإستفهام قائم والقصد منه التقرير وليس الإستفهام حقيقة. فالإستفهام حقيقة هو أن يسأل الإنسان (هل أتى) لا أن يُخبر الإنسان (قد أتى) كما أننا لا نقول لشخص قد أنعمت عليك لكن تقول هل أنعمت عليه ليأتي الجواب منه بنعم. فالله تعالى يسأل هل أتى على الإنسان فيجيب الإنسان نعم فجواب السؤال لكل من يسأل هو نعم إذن من الذي خلق الإنسان بعد أن كان عدماً؟ إذا كان أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا فمن الذي خلقه؟ فالجواب (إنا خلقنا الإنسان) أياً كان هذا الإنسان لم يكن شيئاً مذكوراً.

الآن نسأل من المقصود بهذا الإنسان الذي ذكره تعالى في مطلع السورة؟ هنا اختلف المفسرون فقسم قال أن المقصود هو آدم – عليه السلام – لم يكن شيئاً مذكوراً عندما خلقه الله تعالى من الطين إلى قبل نفخ الروح فيه كان شيئاً ولم يكن مذكورا، وقسم آخر يقول هو الإنسان بدليل قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) يشمل ذرية آدم – عليه السلام – وليس آدم لأن آدم من تراب فكل واحد من البشر كان شيئاً في الرحم لكنه لم يكن مذكورا. لكن الذي يترجح والله أعلم أن الإنسان في الآية يشمل آدم – عليه السلام – ويشمل ذريته أي جنس الإنسان عموماً. ويأتي سؤال هنا في الحقيقة ما المقصود ب (لم يكن شيئاً مذكورا)؟ هل المقصود أنه لم يكن شيئاً أصلاً كقوله تعالى في سورة مريم (ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) في خطابه لزكويا – عليه السلام – أو قوله تعالى (أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) أو المقصود أنه خلقه أي كان شيئاً لكنه لم يكن مذكورا؟ فما لمعنين وهذا من باب فما دلالة كلمة (مذكورا) هنا؟ وهل هي منفية أو مثبتة؟ مثل هذا التعبر في اللغة يحتمل معنين وهذا من باب الموسع في المعنى، فهو يحتمل نفي القيد أصلاً (لم يكن شيئاً) لا مذكوراً ولا غيره كما في قوله تعالى (لا يسألون الموات والأرض وما بينهما الماهين) لم ينفي خلق السموات والأرض لكنه نفى اللعب. وعليه فإن قوله تعالى (لم يكن شيئاً المارض وما بينهما الاعين) لم ينفي خلق السموات والأرض لكنه نفى اللعب. وعليه فإن قوله تعالى (لم يكن شيئاً الكنه لم يكن مذكورا) تحتمل أنه أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً أصلاً مذكوراً أو غير مذكور وتحتمل أن يكون شيئاً لكنه غير مذكور وتحتمل أن يكون شيئاً لكنه غير مذكور وتحتمل أن يكون شيئاً لكنه غير مذكورا) تحتمل أنه أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً أصلاً مذكوراً أو غير مذكور وتحتمل أن يكون شيئاً لكنه غير مذكورا) تحتمل أنه أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً أصلاً مذكوراً أو غير مذكور وتحتمل أن يكون شيئاً أكنه غير مذكور وتحتمل أن يكون شيئاً أكنه غير مذكور وتحتمل أن يكون شيئاً أكنا في قوله تعالى روما خلورا وتحتمل أن يكون

يُبنى على هذا السؤال سؤال آخر: إذا كان المُراد المعنى الأول (أي الفي أصلاً) أي العموم فلَمِ ذكر كلمة مذكور ولم يقل كما جاء في سورة مريم (ولم تك شيئا) بدون ذكر كلمة مذكور؟ هناك أكثر من سبب لذكر كلمة (مذكور) أولاً هي إشارة إلى تطور على جميع مراحل الإنسان فقد خلق الإنسان من لا شيء وكان شيئاً ولم يكن مذكورا ثم نطفة أمشاج ولو لم يقل مذكورا الأفاد أنه قفز فوق المرحلة الوسطى والسورة كما أسلفنا تتحدث عن تطور مراحل الإنسان وجميع أطواره قبل وجوده ووجوده وهو غير مذكور ووجوده وهو مذكور والنطفة وغيرها. إذن لماذا لم يستخدم كلمة مذكورا في سورة مريم؟ عدم ذكرها في سورة مريم هو المناسب لأن الآية في السورة خطاب لزكريا عليه السلام – عندما دعا ربه ليهب له غلاماً فقال تعالى (إنا نبشرك بغلام اسمه يجيى) فيتعجب زكريا (أتى يكون في غلام) فقال تعالى (ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) بمعنى أن الله تعالى خلقه ولم يكن شيئاً أصلاً ولو قال شيئاً مذكورا لا تظهر قدرة الله تعالى يويد أن يُظهر أنه خلق زكريا ولم يكن شيئاً مذكوراً أي خلقه من العدم وهذا أصعب الحلق من الوين وكله عند الله تعالى يريد أن يُظهر أنه خلق زكريا ولم يكن شيئاً مذكوراً أي خلقه من العدم وهذا أصعب من الحلق من أبوين وكله عند الله تعالى سهل لكننا نتحدث من منطق البشر. والعموم يدل على القدرة الأكبر ولو قال في آية سورة مريم (شيئاً مذكورا) لم تؤدي المعنى المطلوب في الآية. وهذا أدل على القدرة، كذلك في قوله تعالى أن الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) لم يأت بكلمة مذكورا هنا أيضاً لأن الخطاب في الآية للذين أنكروا البعث فهم يستبعدون أن يعيدهم الله بعد موهم فيخبرهم الله تعالى أن الإعادة أيسر من الإبتداء بالخلق من عدم ونفى الشيء هو أبلغ من الذكر.

ومن الملاحظ أيضاً في هذه الآية استخدام فعل أتى بدل فعل جاء والسبب أن القرآن يستعمل أتى فيما هو أيسر أما جاء فيستعمل فيما هو أشق وأصعب. وهنا قال تعالى (هل أتى على الإنسان) فالإنسان ليس فيه مشقة أو ثقل على إتيانه في مثل هذه الحالة استعمل أتى دون جاء.

وكذلك قدّم الجار والمجرور (على الإنسان) على الفاعل (حين) والأصل أو ينقدم الفاعل على الجار والمجرور لكن الكلام في الآية هو على الإنسان وليس على الدهر فالدهر يمر والكلام في الإنسان فهو أهم من الدهر في السياق الذي وردت فيه الآية فاقتضى تأخير الفاعل وتقديم الجار والمجرور.

- قوله (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً) {٢}

بعد أن أثار تعالى السؤال في الآية الأولى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا) فإن السامع سيقول قطعاً نعم أتى عليه هذا الحين، فيُطرح سؤال آخر إذن: من خلق هذا الإنسان وأو جده؟ فيجيب الله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) والإجابة جاءت بضمير التعظيم وبالتوكيد (إنّا) ضمير التعظيم مع التوكيد لأن هذا الأمر فيه عظمة و جلال. وقد قدّم إسم إنّ على الجملة الفعلية التي هي خبر إن. ومن جملة معاني التقديم هو القصر بمعنى نحن و حدنا خلقنا الإنسان على سبيل الحصر والقصر وقد أكد تعالى ذلك بـــ (إنّ) وذكر ذلك بضمير التعظيم إذن فهو الخالق حصراً ليس معه شريك سبحانه.

وفي نفس الوقت قال (نبتّله) بضمير التعظيم بدليل أن الخالق والمبتلي جهة واحدة وهو الله تعالى لأنه أحياناً قد يكون الإبتلاء من إنسان على إنسان وهذا يدل على عظمة الأمر الذي يبتلي به. ثم قال (فجعلناه) وهذا الفعل منسوب إلى الله تعالى أيضاً وهو سبحانه الذي تفضّل على الإنسان بذلك فخلقه وأنشأه وهو الذي اختبره وذكر الوسائل التي يصح معها الإختبار.

الإنسان: قال تعالى (إنا خلقنا الإنسان) وهنا نسأل من هو الإنسان الذي ورد ذكره في الآية؟ في الآية الأولى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا) اختلف في مدلول كلمة الإنسان أهو آدم – عليه السلام – أم ذريته؟ أما في هذه الآية فالمقصود قطعاً هم ذرية آدم لأنه تعالى ذكر أنه خلقه من نطفة أمشاج وهذا لا يكون لآدم الذي خلقه من تراب. المرجّح في الآية الأولى أن المقصود بالإنسان المذكور في الآية هو آدم – عليه السلام – فذكر الإنسان الأول ومن بعده وهذا يدل على القدرة وعلى الإيجاد والإستمرار ولذلك لم يذكر الضمير في الآية الثانية التي تدل على الإنسان فلم يقل مثلاً إنا خلقناه من نطفة أمشاج باستعمال الضمير بل قال تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) وهذا يدل على أن القصود قطعاً ذرية آدم. وهذا كله يرجّح أن الإنسان في الآية الأولى يقصد بها آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الثانية يقصد بها ذرية آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الثانية يقصد بها ذرية آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الثانية يقصد بها ذرية آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الثانية يقصد بها ذرية آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الثانية يقصد بها ذرية آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الثانية يقصد بها قدرية آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الثانية يقصد بها ذرية آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الثانية بقصد بها ذرية آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الثانية بقصد بها ذرية آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الأولى يقصد بها آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الثانية الأولى يقصد بها آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الثانية الأولى يقصد بها آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الثانية الأولى يقصد بها آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الأولى يقصد بها السلام – والإنسان في الآية الأولى يقصد بها آدم – عليه السلام – والإنسان في الآية الثانية الأولى المربع القراء المربع القراء القراء المربع المربع المربع المربع المربع المربع القراء المربع المرب

نطفة أمشاج: الأمشاج لغة هي الأخلاط وكلمة أمشاج تستعمل مفرداً وجمعاً رمشيج ومشج والجمع أمشاج، مشيج تجمع على أمشاج مثل بطل وأبطال ومشج ومزج متشابهتان في المبنى والمعنى)، وفي اللغة العربية كلمات عديدة تستعمل مفرداً وجمعاً مثل كلمة بشر وقد استعملت في القرآن الكريم للمفرد (أبشراً منا واحداً نتبعه) والجمع (ما أنتم إلا بشر مثلنا) سورة يس، وكذلك كلمة الفلك استعملت في القرآن للمفرد (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون) سورة يس، وللجمع رحتى إذا كتتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) سورة يونس، وكذلك كلمة طفل تستعمل للمفرد والجمع وقد يستعمل جمعها أيضاً لأنما تجمع على أطفال (والطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) و (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم). والأمشاج هي الأخلاط وكما قلنا تستعمل للمفرد والجمع ونسأل لماذا اختار الجمع على المفرد في هذه الآية؟ كان من المكن الأخلاط وكما قلنا تستعمل للمفرد والجمع ونسأل لماذا اختار الجمع على المفرد في هذه الآية؟ كان من المكن القول (نطفة مشيجة أو مشج) لكن اختيار الجمع لكثرة ما فيها من أخلاط وامتزاجات وهذا موجود في اللغة فيقال : بلد سبسب رأي قفر) وبلد سباسب، يمكن القول بلد سباسب إذا كثر فيه القفر كأن كل جزء من البلد هو سبسب والسبسب هي الأرض الواسعة الصحراء. كذلك نقول أرض قفر وأرض قفار والجمع تعني أن كأن كل جزء من الأرض قفر على حدة، و لهذا قال تعالى إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج من كثرة ما فيها من أخلاط.

كتاب : لمسات بيانية المؤلف : الدكتور فاضل صالح السامرائي

نبتليه: بمعنى نحتبره ونمتحنه. الفعل المجرّد بلى يبلو أما فعل ابتلى يبتلي ففيه مبالغة أكثر من فعل بلى مثل صبر واصطبر لأن صيغة افتعل فيها مبالغة مثل كسب واكتسب. إذن قال تعالى نبتليه وليس نبلوه دلالة على المبالغة في الإختبار. وقد استعمل القرآن الكريم نبلو وابتلى في مواضع عديدة فبعد غزوة أحد قال تعالى (وليبتلي الله ما في صدروكم) سورة آل عمران ثم بعد غزوة الأحزاب قال تعالى (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدا) سورة الأحزاب. والقول أن الريادة في المبنى تفيد الزيادة في المعنى غير مضطرد لأنه أحياناً يكون الأقل في المبنى أبلغ في المعنى مثل فعل حذر (صيغة مبالغة) وحاذر (إسم فاعل)، حذر أبلغ من حاذر وفيها صيغة مبالغة (وهذه الأمور تعرف في أبنية الفعل وفي معانيه في علم الصرف ودلالة الصيغ مثل صيغة فعل وافتعل وتفاعل واستفعل وغيرها) ونسأل الآن لماذا جاءت آية سورة الملك باستخدام فعل بلى يبلو في قوله تعالى (الَّذِي حَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ { ٢ }) ؟ ولماذا جاء التخفيف في البلاء ولم يستعمل ليتليكم؟ وما الفرق بينهما؟

لو قرأنا آية سورة الملك (الَّذِي حَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُو الْعَزِيزُ الْعَفُورُ {٢}}) لوجدنا ألها تنتهي بقوله تعالى وهو العزيز الغفور، والمغفرة تقتضي التخفيف أولاً لأن الإبتلاء والشدّة لا تتناسبان مع الغفور التي هي أصلاً صفة مبالغة أما صيغة ليبلوكم فهي أنسب مع المغفرة والتخفيف جزء من المغفرة. وهناك أمر آخر: نلاحظ في سورة الإنسان ذكر تعالى ما يصح معه الإبتلاء (فجعلناه سميعاً بصيرا) (إنا هديناه السبيل) السمع والبصر والإختيار والعقل وأطال في ذلك فلما أطال في ذكر ما تردد أطال في صيغة الإبتلاء (نبتليه) أما في سورة الملك فلم يذكر أياً من وسائل الإبتلاء إنما ذكر خلق السموات مباشرة في الآية التي بعدها فاقتضى استعمال الصيغة المخففة (ليبلوكم).

أمر آخر أنه تعالى ذكر في سورة الإنسان شيئاً من ابتلاء الأعمال ما لم يذكره في سورة الملك. فذكر في سورة الملك آية في المؤمنين (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ {١٢} }) وآية في الكافرين (وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرِبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِنْسَ الْمَصِيرُ {٦} }) لكن في سورة الإنسان ذكر الإبتلاء في الأعمال (يُوفُونَ بِالتَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {٧} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً {٨}) (فَاصْبِرْ لِحُكْم رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْ كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {٧} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً {٨}) (فَاصْبِرْ لِحُكْم رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مَنْ كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {٧٤ } وَاذْكُو اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً {٣٧ } وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحُهُ لَيْلاً طَوِيلاً عَنْ مَنْ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحُهُ لَيْلاً طَوِيلاً إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسُ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {٢٢ }) وأفاض في ذكر النعيم في الآخرة م ثما لم يذكره في الملك (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسُ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {٤٧ }) وأفاض في ذكر النعيم في الآخرة في الملك (إِنَّ الْقُبْرَارَ يَشْرَبُونَ مَن وَرَاءَهُمْ يَوْماً تَقِيلاً {٢٧ }) وذكر الظالمين (يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّلْمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيماً {٣٦ }) والظلم من نتائج الأعمال. إذن وذكر الطالمين ويُدُولُ هذكر من الأعمال جعل ذكر الإبتلاء أنسب من كل ناحية من حيث الوسائل وجو السورة والسياق والأساق والأعمال هذا من حيث الصيغة.

يأتي سؤال نحوي هنا: قال تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا) فما هو وضع نبتليه من الناحية النحوية في الآية؟ نبتليه جملة فعلية تحتمل معنيين: الأول : التعليل نبتليه بمعنى لنبتليه كما قال في سورة الملك لنبلوكم، الجملة إسمها استئنافية تفيد التعليل مثل: جئت أشتري داراً أو جئت أتعلم.

والإحتمال الثاني: أن تكون حال مقدرة من الهاعل. والحال مقسمة إلى ثلاثة أقسام من حيث الدلالة على الزمن: 1. حال مقارنة: مثل جاء ماشياً أو شربت الماء بارداً وهذه أكثر أنواع الحال.

7. حال مقدرة: تقع في الإستقبال يعني الفعل في زمن والحال في زمن آخر في المستقبل كما جاء في قوله تعالى (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) وهناك فرق بين الزمن عند تبشير إبراهيم بإسحق ولم يكن عندها موجوداً حتى في رحم أمه، أو كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصرين) والحلق والتقصير هي آخر الشعائر بعد الطواف والسعي. إذن الفعل يأتي في زمن والحال تأتي في زمن آخر في المستقبل.
٣. حال محكية قد يكون زمنها ماضي.

نعود للحال القدرة ودلالتها في آية سورة الإنسان: نبتليه جملة فعلية حال مقدرة من الفاعل فقوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه) بمعنى مبتلين له أي الله تعالى هو المبتلي، ومحتمل أن تكون حال مقدرة من المفعول بمعنى خلقنا الإنسان مُبتلى مثل قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) وأصلاً الحال يمكن أن تفيد عِلّة مثل (جئت طامعاً في رضاك) و (جئت مبتغياً عونك) هي حال وتظهر كألها علة. إذن استخدام كلمة (نبتليه) أفاد معاني عدة وهذا من باب التوسع في المعنى لألها احتملت أن تكون استئنافية للتعليل، أو حال مقدرة من الفاعل أو حال مقدرة من المفعول. ولو جاء الفعل باللام (لنبتليه) لما أفاد إلا معنى التعليل فقط وصيغة (نبتليه) أفادت عدة معاني وكلها مقصودة في الآية.

ونسأل لماذا لم تستخدم هذه الصيغة في آية سورة الملك لتفيد التوسع أيضاً؟ لأن التعبير في سورة الملك لا يحتمل أصلاً لأنه تعالى ذكر في سورة الملك خلق الموت والحياة ولم يذكر الإنسان أصلاً فكيف تأتي الحال وهو لم يذكر الإنسان ؟ إذن لا يصح التعبير أما في سورة الإنسان فذكر الإنسان لذا جعل كل تعبير في مكانه الذي يؤدي المعنى المطلوب بأوسع صورة.

من الملاحظ في آية سورة الإنسان أن الله تعالى ذكر كل ما يصح معه الإبتلاء ومستلزمات الإبتلاء: السمع (سميعاً) والبصر (بصيرا) والعقل (إنا هديناه السبيل) والإختيار (إما شاكراً وإما كفورا) ولا يمكن للإنسان أن يكون شاكراً و كفرواً إلا إذا كان عاقلاً، وذكر مادة الإختيار أي السبيل الذي هداه الله له وذكر موقف المكلفين من الإختيار فقسم منهم شاكر وقسم كفور وذكر عاقبة الإبتلاء (الجنة والسعير) وذكر المبتلي (وهو الله تعالى) وذكر المبتلي (وهو الله تعالى) وذكر المبتلي (وهو الإنسان) فلم يدع شيئاً يخص الإبتلاء إلا وذكره في هذه الآية والإبتلاء لا يصح بدون هذه الأدوات كلها. فجعلناه سميعاً بصيرا: قدّم تعالى السمع على البصر في هذه الآية كما هو شأن الكثير من آيات القرآن في تقديم السمع على البصر في هذه الإختبار من البصر لأن فاقد السمع من الصعب تكليفه السمع على البصر الذي يكمن تبليغه وتكليفه بشكل أسهل. والأمثلة في القرآن الكريم عديدة عن تقديم السمع على البصر كقوله تعالى (وهو السميع البصير) (إنني معكما أسمع وأرى) (إن السمع والبصر والفؤاد).

و في هذه الآية من سورة الإنسان قدّم تعالى السمع والبصر على الهداية فبعد أن قال تعالى (فجعلناه سميعاً بصيرا) قال (وهديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا)لأن السمع والبصر يوصلان المعلومات إلى العقل وبدونهما تتعسّر الهداية والأحكام في الغالب تأتي بما يقدمه السمع والبصر فهما إذن أي السمع والبصر سبيل للوصول إلى الهداية وسبيل العقل لفهم المعلومات. ومن الملاحظ أنه تعالى لم يفصل بين السمع والبصر بالواو كأن يقول (سميعاً وبصيرا) أنما جاءت الصفتان متصلتان (سميعاً بصيرا) لئلا يُفهم أنه تعالى خلق الإنسان على نوعين منهم من يسمع ومنهم من يبصر.

وهنالك أمر آخر في هذه الآية أيضاً وهو لماذا استخدم صيغة المبالغة (سميعاً) ولم يستخدم (سمّاع) مثلاً؟

في القرآن الكريم يستعمل صيغة المبالغة (سميع) كما في قوله (وهو السميع البصير) (السميع العليم) ويستعمل صيغة المبالغة (سمّاع) كما في قوله في سورة المائدة (يَا أَيُهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْرُنكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِب سَمَّاعُونَ لِقَوْمِ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مَن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُوْتُوهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُردِ اللَّهُ فِيْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا وَلِكُمْ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُوتُوهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُردِ اللّهُ فِيْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا وَإِن بُعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُوعُونَ وَمَن يُردِ اللّهُ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ {٤٤} كَلَم مَن اللّهِ شَيْئًا وَإِنْ لِللّهُ أَن يُطَهِّرُ قُلُوكَ فَاحْكُم يَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيم وَالْتَعْرِقُ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَاللّهُ عَلَيه فَلَى يَعْدُونُ فَلَى يَصُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ كَوْمَ فَا خُكُم يَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسطِينَ {٤٤ }) وفي سورة التوبة (لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ حَرَاكُمُ يَنْهُونَكُمُ الْفِيْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ {٤٤ }) والفرق في استعمال خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاللهُ عَلِيم إللهُ الطَوق في استعمال والمنسان وهي في مقام المدح، أما صيغة سمّا ع فلم تستعمل في القرآن إلا كوصف للإنسان وفي مقام المذح والإمتنان والفضَل بالنعمة ففي آية سورة الإنسان وفي مقام المذح والإمتنان والفضَل بالنعمة ففي آية سورة الإنسان وعلى ما جرى عليه في القرآن الثناء هنا بالإمتنان على الإنسان (سيعاً بصور) لذا اقتضى استخدام الصيغة (سيع) وليس

(سمّاع).

- قوله (إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبيلَ إمَّا شَاكِراً وَإمَّا كَفُوراً ﴾ [٣]

نلاحظ أنه كما قال تعالى في الآية السابقة (إنّا خلقنا) بالتوكيد وضمير التعظيم قال في هذه الآية أيضاً (إنا هديناه) بالتوكيد وضمير التعظيم أي بإسناد الفعل إلى نفسه تعالى لأن الهداية أمر مهم وهي الغاية التي خُلق الإنسان وقد تفوق خلق الإنسان. والخلق لِعِلّة كما قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) فإذا كان الخلق مؤكد فلا بد من أن تكون الهداية مؤكدة وكما أسند تعالى الخلق إلى نفسه في آية سورة الإنسان (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) أسند الهداية إلى نفسه أيضاً في قوله (إنا هديناه السييل) ومن ناحية أخرى فإن المنهج الصحيح لا يستطيعه أحد إلا الله تعالى ولو تُرك الناس إلى عقولهم لأصبحوا شيعاً وأحزاباً كلٌ يختار ما يشاء، إذن الطريق الصحيح للهداية لا يستطيعه إلا الله تعالى لأنه هو الذي خلق وهو أعلم بمصالح العباد.

(إنا هديناه السيبل) عدّى الفعل بنفسه وفعل هدى قد يتعدى بنفسه كقوله (إهدنا الصراط المستقيم) وقد يتعدى بسر (إلى) كما في قوله تعالى (يهدي إلى الحق) بمعنى يدلّه وير شده إليه، وقد يتعدّى باللام كما في قوله (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) و قوله (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) وقد تكلمنا باستفاضة عن فعل هدى في شرح سورة الفاتحة . و في هذه الآية قال تعالى (إنا هديناه السيبل) لأن التعدية بالفعل بإلى تقال لمن لم يكن في الطريق فتدله وترشده إليه فإذا و صل إلى الطريق يحتاج لمن يعرّفه به و بماذا في الطريق فحينها يتعدى الفعل باللام أما تعدية الفعل

بدون حرف جر فتقال لمن كان في الطريق فتبين له مراحل في الطريق ومن لم يكن في الطريق أو كان بعيداً عنها فتر شده إليها وتدله إليها. وقال تعالى مخاطباً رسوله – صلى الله عليه وسلم – (ويهديك صراطاً مستقيما) والرسول – صلى الله عليه وسلم – سلك الطريق وقال تعالى على لسان الرسل (وقد هدانا سبلنا) وهم أيضاً كانوا في الطريق. وقال تعالى (فاتبعني أهدك صراطاً سويا) في خطاب إبراهيم – عليه السلام – لأبيه الذي لم يكن في الطريق وكذلك قال تعالى مخاطباً المنافقين (ولهديناهم صراطاً مستقيماً). إذن عدم تعدية الفعل في الآية بحرف جر جمعت المعنيين وبذلك أثم تعالى نعمته على الإنسان بأن يدلّه ويرشده إلى الطريق لما كان بعيداً عنها ويبيّن له معالم ومراحل الطريق عندما يصل إليها وقامت الحجة على الجميع إذن فالله تعالى يستحق الشكر على ذلك.

إما شاكراً وإما كفورا: شاكراً صيغة إسم فاعل وكفورا صيغة مبالغة لم يجعلهما على نمط واحد لم يقل إما شاكراً وإما كفورا. لأن الشكور قليل مصداقاً لقوله تعالى (وقليل من عبادي الشكور) ول قال تعالى شكورا لكان أخرج من بينهم الشاكرين وهم الأكثر فالآية حينها لن تشكل مجموعة الخلق الشاكرين. وكذلك لم يقل كافراً (اسم فاعل) لأن الكافر لم يستعملها القرآن الكريم مقابل الشاكر وإنما بمقابل المؤمن (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) إذن لا تصح المقابلة (شاكرا) و (كافرا) لأن القرآن لم يستعملها هكذا. صيغة كفور يستعملها القرآن لأمرين : للكافر المبالغ في الكفر (إن الإنسان لكفور مبين) (وكذلك نجزي كل كفور) ولجاحد النعمة غير الشاكر (إما شاكراً وإما كفورا) (وكان الشيطان لربه كفورا). وهنا يأتي سؤال: كي تكون كفرواً بمعني غير شاكر في قوله تعالى (وكان الشيطان لربه كفورا)؟ يدل على ذلك اللام في (لربه) لأن الكفر المقابل للإيمان يُعدّى بالباء لا باللهم كما في قوله تعالى (وكان الذي يكفرون بالله ورسوله) (وكانو ابشركائهم كافرين) فلا نقول يكفر لله وإنما يكفر بالله. وكذلك الكفر المقابل للشكر لا يُعدّى باللام فكفران النعمة يتعدى بنفسه (فاشكروا لي ولا تكفرون) بمعنى على النعمة أب الغة أو اسم القاعل هذا الفعل الذي يتعدى بنفسه يمكن إضافة لام التقوية له كما في قوله تعالى (وهو الحق مصدقاً لما معه) فعل صدّق يتعدى بنفسه واللام للتقوية وكذلك قوله تعالى الوكان الشيطان لربه مصدقاً لما معه) فعل صدّق يتعدى بنفسة قد يُوتى باللام المقوية كما جاء في قوله تعالى (وكان الشيطان لربه كفورا).

أمر آخر أنه تعالى اختار الشكر على الإيمان في آيات أخرى منها قوله تعالى في سورة التغابن (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {٢}) أما في آية سورة الإنسان اختار الشكر مع كفران النعمة لأن نعمة الخلق والهداية لا تقتضي الإيمان فقط وإنما تقتضي الشكر لأنه لما أنعم تعالى على الإنسان بالسمع والبصر والعقل والإختيار والهداية كل هذه نعم تقتضي الشكر فهو الإيمان وزيادة في الآية السابقة في سورة التغابن ذكر تعالى نعمة الخلق فقط أما في سورة الإنسان ذكر الخلق والهداية فكما زاد وتفضّل بأن جعل الخلق وزيادة ينبغي أن تكون الزيادة أيضاً فذكر الشكر وزيادة.

(إنا خلقنا) لم يكتف بذلك بل قال سميعاً بصيرا وجعل له عقلاً واختياراً لذا يقتضي الإيمان وزيادة ثم النعم مثل قوله (هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفندة) فالنعمة تقتضي الشكر وليس مجرد الإيمان ومسألة الشكر والإيمان مناسب لجوّ السورة فقد جاء في سورة الإنسان قوله تعالى (إنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُريدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً {٩}} وقوله تعالى (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً {٢٢}) فذكر الشكر مناسب من جهة السياق ومن ناحية جو السورة الكلي . وهناك أمر آخر حسن اختيار الشكر (إنا هديناه السبيل) والسيل هي الطريق المسلوكة الميسّرة السهلة وهناك فرق بينها وبين النجد (وهديناه النجدين) فربنا هدانا السبيل الميسرة للهداية وكولها ميسرة يستدعي الشكر ولما قال (وهديناه النجدين) أتبعها بقوله تعالى (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا للهداية وكولها ميسرة فيتحتاج إلى شكر ولما قال (وهديناه النجدين) أتبعها بقوله تعالى (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا السيل الميسرة فتحتاج إلى شكر . إضافة إلى ما سبق من أين ما نظرنا فالسياق يستدعي الشكر . وقد يرد السؤال : السيل الميسرة فتحتاج إلى شكر . إضافة إلى ما سبق من أين ما نظرنا فالسياق يستدعي الشكر . وقد يرد السؤال : لماذا قدّم الشاكر على الكفور؟ قدّم الشكر لأنه قدّم ما يستدعي الشكر (النعم التي ذكرها) ثم أنه في السورة أفاض لماذا قدّم الشاكرين في سبع عشرة آية من الآية (إِنَّ اللَّبُورَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {٥}) إلى قوله (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء و كَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً {٢٢}) في لهاية الآية بينما اختصر في عقاب الكافرين ولم يذكرهم إلا في آية واحدة هي (إِنَّا أَعْتَدُنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً {٤}) إذن الإفاضة في ذكر جزاء الجنة وذكر الشاكرين اقتضي تقديم الشاكرين على الكافرين، وهناك أمر آخر أنه تعالى قدّم الرحة على العذاب في آخر وذكر الشاكرين اقتضى تقديم الشاكرين على الكافرين، وهناك أمر آخر أنه تعالى قدّم الرحة على العذاب في آخر

خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ {٧٣}). وقد قال الرازي إن القرآن كله كالسورة الواحدة بل كالآية الواحدة بل الكلمة الواحدة.

- قوله (إنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً) {٤}

نلاحظ في هذه الآية أنه تعالى أكد الإعتاد والعذاب (إنا أعتدنا) كما أكد الخلق والهداية سابقاً (إنا خلقنا، إنا هديناه). وهنا يأتي سؤال وهو ما الفرق بين اعتدنا وأعددنا؟ القرآن الكريم يستعمل أعتدنا وأعددنا فلماذا استخدم هنا أعتدنا؟ لأن أعتد فيها حضور وقرب والعتيد هو الحاضر (هذا ما لدي عتيد) أي حاضر وقوله (وأعتدت لهن متكناً بمعنى حضرت أما الإعداد فهو التهيئة وليس بالضرورة الحضور كما في قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم) بمعنى هيّأوا وليس حضروا وقوله (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدّة) أما في سورة النساء فقال تعالى (وكيست التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّنَاتِ حَتَّى إذَا حَصَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفًارٌ

أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً {١٨}} لأنهم ماتوا فأصبح الحال حاضراً وليس مهياً فقط، وكذلك ما ورد في سورة الفرقان (وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَفْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً {٣٧}) قوم نوح أَغرقوا وماتوا أصلاً فجاءت أعتدنا. أما في سورة النساء (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَرَآؤُهُ جَهَيَّمُ حَالِداً فِيهَا أَغرَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً {٩٣}) هؤ لاء لا يزالون أحياء وليسوا أمواتاً فجاءت أعد بمعنى هيّأ. وعَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴿٩٣}) هؤ لاء لا يزالون أحياء وليسوا أمواتاً فجاءت أعد بمعنى هيّأ. ومما سبق نقول أنه في آية سورة الإنسان بما أن جزاء أهل الجنة بالحضور بصيغة الوقوع لا بصيغة المستقبل كذلك يقتضى أن يكون عقاب

الكافرين حاضراً كما أن جزاء المؤمنين حاضر فقال تعالى في أهل الجنة (يشربون من كأس، ولقّاهم نضرة وسرورا، وجزاهم بما صبروا) وجاء عقاب الكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا).

أما في آخر السورة فجاءت الآية (يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً {٣١}) باستخدام (أعد) لأن الكلام في الآية عن أهل الدنيا وليس عن الآخرة.

إضافة إلى ذلك لم يرد في القرآن الكريم كلمة أعددنا مطلقاً أي أعدّ واستعمال الضمير (نا) وإنما يستعمل أعتدنا وهي خصيصة من خصائص التعبير.

تكلّمنا سابقاً عن الفرق بين أعتد وأعد والآية التي قبل هذه الآية (إما شاكراً وإما كفورا) وفي هذه الآية قال تعالى (للكافرين) وهي ليست جمع كفور وإنما هي جمع كافر وكان المضمون أن يجعل الإعتاد لجمع الكفر وهي (كُفُر) على وزن فعول فُعُل مثل صلوق صُدُق ورسول رُسُل وهذا هو القياس. إذن لماذا قال (إما شاكراً وإنا كفورا) ثم قال (إنا أعتدنا للكافرين) ولم يقل (أعتدنا للكُفُر)؟ لو قال أعتدنا للكُفُر لكان يذهب الظنّ أن العذاب يتناول المبالغ في الكفر وليس لغير المبالغ أي كأن الكافر لا يناله العذاب، لكن لمّا ذكر عقاب الكافرين فمن باب أولى أن يكون عقاب الكُفُور أكبر بمعنى أن هذا عذاب من دونه وهو الكافرين فكيف يكون عذاب الكُفُور؟ لا بد أنه أكبر وأشدّ.

سلاسل وأغلالاً وسعيرا: هنا العذاب بالسلاسل والأغلال والسعير فلماذا ذكر هذا النوع من العذاب؟ السعير هي جهنم للكافر عموماً لماذا ذكر السلاسل والأغلال؟ ذكر تعالى أنه أطلق الحرية للإنسان (إما شاكراً وإما كفورا) والإختيار في الدنيا وهداه السيبل فلم يسلكها ولهذا قيده الله تعالى في الآخرة لأنه ليس له أن يختار في الآخرة فكما أساء الإختيار في الدنيا قيده بالسلاسل (والحربي عكس القيد) والسلاسل تُقيد حركة الأرجل والأغلال تقيد حركة الأعناق والأيدي كما في قوله تعالى في سورة المائدة آية ٢٤ (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَعْلُولَةٌ غُلَّتُ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ) قيد حركته على كل حال بمقابل الحرية المطلقة التي كانت له في الدنيا.

- قوله (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {٥} عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾ [٦] ورد في القرآن جمع الأبرار والبررة ونلاحظ أن القرآن الكريم يستعمل الأبرار للناس للكلّفين ويستعمل البررة للملائكة ولم يستعملها للناس أبداً (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ {١٥ } كِرَامٍ بَرَرَةٍ {١٦ } عبس) لماذا؟ الأبرار هي من الصيغ المستخدمة لجموع القَلّة والناس قليل منهم الأبرار (قلة نسبية) مصداقاً لقوله تعالى (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ {١٠٣ } يوسف) فاستعمل القَلّة النسبية بينما الملائكة كلهم أبرار فاستعمل معهم الجمع الذي يدل على الكثرة (بررة).

ثم قال تعالى (يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) والكأس هي الزجاجة التي فيها شراب فإذا كانت فارغة تُسمّى زجاجة. وفي الآية ذكر تعالى صنفين من هؤلاء (الأبرار) الذين يشربون من كأس ممزوجة بالكافور وقسم آخر هم (عباد الله) في قوله تعالى (عيناً يشرب بها عباد الله) والمقصود بعباد الله هنا المقرّبون حسب بعض المفسرين وكلمة عبد الله هي أرفع وسام يصف الله تعالى به عبده فلمّا وصف تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – في أعلى مقام قال (سبُحانَ الَّذِي أَسْرَى بعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ {١} الإسراء) وقال في نوح – عليه السلام – (ذُرِيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً {٣} الإسراء) وهناك عبودية إختيارية وعبودية قسرية وهذه هنا عبودية اختيارية. إذن هناك نوعين من المكلفين وهم أولهم الأبرار وهم يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، وثانيهم المقرّبون الذين يشربون من العين خالصة.

في قوله تعالى (يشربون من) عدّى الفعل بــ (من) وفي المقرّبين عدّى الفعل بالباء (عيناً يشرب بها عباد الله) وهذا يدل على أن جزاء المقربين أعلى من جزاء الأبرار ويقولون أن حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، فكيف دلّ على ذلك؟ هناك جملة أمور تدل على ما ذكرنا: أولاً بالنسبة للأبرار يُوتى بكأس يشربون منها أما المقرّبون يشربون بها وهي تفيد الإلصاق بمعنى أقام بالعين وشري بها فإذن صار التلذذ بالنظر وبالشراب، ثانياً الأبرار يشربون من كأس مخزوجة بالكافور وليست خالصة (يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) وهي تُمزج بقدر أعمالهم في الدنيا أما المقرّبون فيشربون من العين صرفة خالصة ليست ممتزجة، ثالثاً عدّى الفعل بالباء تدل على تضمين معنى روي به (يشرب به) بمعنى يرتوي به على خلاف الشرب الذي لا يدل على الإرتواء فالتعدية بالباء تدل على نزول في المكان والشرب الخالص والإرتواء منها.، ورابعاً قال تعالى في عباد الله يفجرونها تفجيرا بمعنى يُجرونها حيث شاءوا ويقال في الآية أنه معهم قضبان من ذهب في أيديهم يجرونها حيث شاءوا وهذا يدل على أنه ليس فيها عناء ولكنها تتم بسهولة. وهناك فرق بين جزاء الأبرار وجزاء المقرّبين.

– قوله (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً {٧} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾ [4]

بدأ تعالى الآية بذكر الوفاء بالنذر لأن الوفاء بالنذر واجب ثم جاء بعده ذكر الوفاء بالواجب فكأنه ذكر النيّة المقابلة لعموم العمل فكل عمل تقترن به النية الخالصة لله فكأن قوله تعالى (يوفون بالنذر) هو العمل ز (يخافون يوماً) هو النية ، وينبغي أن تكون النية مقابلة للعمل. وقوله تعالى (كان شرّه مستطيرا) بمعنى فاشياً منتشراً ويقال عن يوم القيامة كان شره مستطيرا بمعنى انتشر شرّه حتى ملأ السموات والأرض فلا يبقى ملك مقرّب ولا نبي مُرسل إلا جثا على ركبتيه. وفي اللغة استطار الشيئ أي تفشّى الشيئ وبلغ أقصى مدى.

و بعدها قال تعالى (و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا). وهنا يأتي السؤال على ماذا يعود الضمير في كلمة (حبّه)؟ ذكر فيه أكثر من حالة وإن كان أظهرها على حبه يعني على حب الطعام مع حاجتهم إليه وهذا من باب الإيثار يطعمون الطعام مع ألهم محتاجون إليه مصداقاً لقوله تعالى (لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْء فَإِنَّ اللّه بِهِ عَلِيمٌ {٩٢} آل عمران)، ويحتمل أيضاً أن يعود على حب الإطعام فيعود على المصدر (الإطعام) كقوله تعالى (اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَقْوَى)، المائدة آية ٨) هو هنا تعود على العدل وهؤلاء يطعمون الطعام

بطيب نفس وبدون مَنة و لا تكدير ، ويحتمل أيضاً أن يكون يعود الضمير على حب الله بمعنى ابتغاء وجهه كما تذكر الآية في نفس السورة (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً {٩}). فالضمير إذن يعود على الطعام من باب الإيثار وعلى الإطعام من باب الإحسان وعلى حب الله وهو من باب الإخلاص. وقد قال قسم من المفسرين أن أعلى هذه الإحتمالات أن يكون من باب الإيثار، وهو في الحقيقة يجمع المعاني كلها. ويأتي سؤال هنا لماذا ذكر الله تعالى كلمة الطعام (ويطعمون الطعام) ولم يقل (ويطعمون)؟ ذكر الطعام حتى يصح عودة الضمير عليه وهو أعلى الأوجه كما قلنا سابقاً وهو الإيثار، فذكر كلمة الطعام أفاد ثلاثة معاني ولو حذف الطعام لما عاد الضمير لن يعود على الطعام وهو الإيثار (ويطعمون الطعام على حبه). ثلك ذكر ثلاثة أصناف من البشر بالترتيب التالي (مسكيناً ويتيماً وأسيرا) فتقديم المسكين على اليتيم واليتيم على الأسير يفيد جملة أمور:

النقديم بحسب الرتبة وحسب الحاجة: وتقديم المسكين لأن المسكين محتاج على اللوام وهو من المذكورين في باب الزكاة واليتيم قد لا يكون محتاجاً وقد يكون غني لكن المسكين يكون إطعامه على الوجوب والتطوع ، أما الأسير قد يكون كافراً والكافر لا يدخل في باب الوجوب على الحاكم أو ولي الأمر. وبدأ بالواجب (الوفاء بالنفر) وكذلك بدأ بمن هو أولى وهو المسكين أولاً ثم اليتيم ثم الأسير. النقديم بحسب الكثرة: فالمساكين هم أكثر من اليتامي لأن اليتم يزول بالبلوغ أما المسكين فيبقى مسكيناً كذلك

العديم جسب الحدرة. فلمساكين هم اكبر من اليناسي لا قا السبم يرون البلوع الله المسكين فيبعى مستنينا كنانك الميتامي أكثر من الأسرى لأنه هؤلاء الأسرى لا يكونون إلا في وقت الحرب وهم أقل من اليتامي والمساكين وهذا ملحظ آخر للتقديم وهو تقديم الأكثر ثم الأقل.

وقد يكون للتقديم مسوّغ آخر وهو بحسب القدرة على التصرف : فالمسكين له الأهلية الكاملة على التصوف أما اليتيم فأهليته ناقصة حتى يبلغ أما الأسير فلا يمكن أن يتصرف حتى يأمر فيه صاحب الأمر.

وهناك عدة أمور تسوّغ التقديم بهذه الصورة وعنلما ذكر الأسرى كان مناسباً لما ذكره في عذاب الكافرين (سلاسل وأغلالاً وسعيرا) لأن الأسرى يقيّدون بالأغلال والسلاسل.

ونأتي لسؤال آخر لماذا استعمل كلمة (ويطعمون) ولم يستعمل (ويتصدقون)؟ والجواب حتى لا يُخص ذلك الصدقات أو يخص من تجب عليهم الصدقة أو تجب لهم الصدقات وليس كل المسلمين تجب عليهم الصدقة أو تجب لهم الصدقة لكن أراد عموم فعل الخير سواء كان الفاعل غنياً أو فقيراً وساء كان المُطعَم تجب عليه أو لا ويشمل المتصدق عليهم وغير المتصدق عليهم . وكلمة تطعمون تدل على فعل الخير العام وهذا المعنى لم تكن لتدل عليه كلمة بتصدقه ن.

- قوله ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُريدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً ﴾ {٩}

تتناول الآية الكريمة أمرين في إطعامهم الطعام وقد مرّ في الآية السابقة أنهم يطعمون الطعام مع حاجتهم إليه (على حبّه) وهذا أشهر الأوجه وأعلاها كما ذكرنا سابقاً، وألهم مخلصون لله في إطعامهم في هذه الآية. وقوله تعالى (على حبّه) تدل على الإيثار وهنا في هذه الآية تدل على الإخلاص في قوله تعالى (لوجه الله) وهذا أعلى أنواع الإطعام أن يجتمع فيه الإيثار والإخلاص.

قال تعالى (إنما) ولم يقل مثلاً نحن نطعمكم فلماذا؟ إنما تفيد القصر والحصر في اللغة يعني تخصيص الإطعام لهذا الأمر (الغاية هي لوجه الله ولا يطعمون إلا لوجه الله) أي لا يبتغون شيئاً آخر وهذا هو أعلى أنواع الإخلاص. ولو قال نحن نطعمكم سيؤدي هذا إلى أمرين ويفيد ألهم يطعمون لوجه الله ولا ينفي إطعامهم لغير وجه الله بخلاف المعنى المقصود من الآية والتي هو قصر الإطعام لوجه الله تعالى فقط وهذا يفيد أن الأعمال كلها حصراً يجب أن تكون ابتغاء وجه الله تعالى.

ويقول بعض أهل اللغة أن القول (نحن نطعمكم) هي حصر بالتقديم (تقديم نحن على نطعمكم) نقول نعم ولكن هذا حصر بالفاعل وليس حصر بالفعل وهذا يُغيّر المعنى المقصود (يعني نحن لا غيرنا نطعمكم) وهذا معنى غير مطلوب في الآية ولا يصح لأن هناك غيرهم من يُطعم إما استخدام (إنما) في الآية فهي تفيد التخصيص الفعل (لا الفاعل) لوجه الله تعالى.

ثم قال تعالى في الآية (لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً) أي لا نريد مكافأة على الإطعام بالعمل (لأن الجزاء هو المكافأة على العمل) ولا نريد شكراً باللسان. نلاحظ قوله تعالى (إنما نطعمكم) ولم يقل بعدها (قالوا لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أو يقولون، لكنه لم يذكر فعل القول حتى يشمل لسان الحال فهم لم يقولوا ذلك بلسائهم ولكن قالوه بلسان حالهم وقد يكون أبلغ. ومن المفسرين من يقول أئهم لم ينطقوا بهذا القول ليشمل لسان الحال ولسان النطق. وهذا من باب الإخلاص أيضاً ألهم قالوه بلسان حالهم.

ثم أن الآية بقوله تعالى (لا نريد منكم) ولم يستخدم مثلاً (لا نريد جزاء ولا شكورا) وهذا لتدلّ على ألهم يريدون الجزاء والشكر من رب العالمين فقط لا من الناس الخزاء والشكر وإنما أرادوه من رب العالمين فقط لا من الناس الذين يطعمونهم، ولا يصح أصلاً أن نقول لا نريد جزاء ولا شكورا بشكل مطلق.

ثم نلاحظ أنه قدّم الجزاء على الشكر وهذا لأن الجزاء بالفعل أهم من الشكر باللسان فالناس في الدنيا يهمهم الجزاء وليس الشكر باللسان فقط فالمطلوب الأول في العمل هو الجزاء لذا بدأ به سبحانه أما الشكر فهو ثناء باللسان و لا يُعدّ جزاء العمل.

وكذلك نلاحظ تكرار (لا) في قوله (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) ولم يقل (لا نريد منكم جزاء وشكورا) وهذا دليل على ألهم لا يريدون أي واحد من الجزاء أو الشكر على وجه الإجتماع أو على وجه الإفتراق حتى لا يُفهم ألهم قد يريدون أحدهم.

ثم نلاحظ أيضاً أنه قال لا نريد ولم يقل لا نطلب لأن الإنسان قد يريد ولا يطلب فنفي الإرادة أبلغ وأعمّ من نفي الطلب فهو إذن ينفي الطلب وزيادة (الإرادة).

ثم نلاحظ استعمال كلمة (شكورا) وليس (شكرا) الشكور تحتمل الجمع والإفراد في اللغة وهي تعني تعدد الشكر والشكر في اللغة يُجمع على الشكور ويحتمل أن يكون مفرداً مثل القعود والجلوس، وقد استعمل القرآن كلمتي الفسق والفسوق لكن لكل منها دلالته فجاءت كلمة الفسق مع الأطعمة والذبائح أما كلمة الفسوق فجاءت عامة لتدل على الخروج عن الطاعة. والجمع يدل على الكثرة أي لا نريد الشكر وإن تعدد وتكرر الإطعام باعتبار الجمع. وقد استعمل القرآن الكريم كلمة الشكور في الحالتين وإذا أردنا الشكور مصدراً فهو أبلغ من الشكر واستعمال المصادر في القرآن عجيب والذي يُقوي هذه الوجهة استعمال الشكور لما هو أكثر من الشكر. ولقد استعملت كلمة الشكور في القرآن مرتين في هذه الآية وفي آية سورة الفرقان (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لَمَنْ أَرَادَ أَن يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً {٦٢}) فقط واستعمل الشكر مرة واحدة في قصة آل داوود (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُوذَ شُكُراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُوذَ شُكُراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ لَقَ يَسْاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُوذَ شُكُراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ وَقَلِيلٌ مِّنَ عِبَادِيَ الشَّكُورُ وَيَعْمَلُونَ لَهُ وَتَرَيبَ وَتَمَاثِيلَ وَعَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُوذَ شُكُراً وَقَلِيلٌ مِّنَ عِبَادِيَ الشَّكُورُ وَيَعْمَلُونَ لَا عَمْلُوا الْقَادِقُ وَيَعْمَلُونَ لَكُولُونَ الْحَرَادُ الشَّكُولُونَ الشَّكُورُ وَيُعْمَلُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ الشَورِيقِيقُولُونَ الشَورَةُ وَلَيْ عَبَادِي الشَيْلُوا الْهَالِقُولُ وَلَا الشَورُ وَالْوَلُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ وَلَا الْهُ وَلَولُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَلُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمُؤْلُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَلِيلُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالِولُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمُؤْلُولُ الْمَال

{١٣} إسبأ) ومن ملاحظة الآيات التي وردت فيها كلمتي الشكور والشكر نرى أن استعمال الشكر جاء في الآية التي خاطب بها تعالى آل داوود وهو قلّة بالنسبة لعموم المؤمنين المخاطبين في سورة الفرقان أو في هذه السورة التي فيها الإطعام مستمر إلى يوم القيامة والشكر أيضاً سيمتد إلى يوم القيامة ما دام هناك مطعِمين ومطعَمين. إذن هو متعلقات الشكر في هاتين الآيتين أكثر من متعلقات الشكر في قصة آل داوود. وفي سورة الفرقان قال تعالى (لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا) وكلمة (يذكّر) فيها تضعيفين فالذي يبالغ في التذكر هو مبالغ في الشكر فيبدو والله أعلم أن استعمال الشكر في آية سورة الإنسان.

- قوله (إنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَريراً) [١٠]

هذه جملة مستأنفة تفيد التعليل. وهي تعطي السبب لماذا يطعمون الطعام ولا يريدون الجزاء ولا الشكور لأنهم يخافون من ربحم يوماً عبوساً قمطريوا. وقد وصف اليوم بالعبوس على المجاز لأن اليوم لا يوصف بالعبوس مثل العرب تصف الليل بالقاتم (مجاز عقلي) ومحتمل لإرادة الشمول والعموم فهو عبوس هو وأهله ومن فيه وما فيه هو وأهله لليوم ومن فيه. وعبوس صيغة مبالغة وقمطرير أي شديد العبوس وهي صيغة مبالغة تدلّ على الشدة. قال إنا نخاف من ربنا ومن قبل قال لوجه الله ولا فرق بين استعمال لفظي الرب والله (قُلْ يَا أَهْلَ الْكَيَّابِ تَعَالَوْ الله فَوَلُو الله سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا الله وَلا فرق بين استعمال لفظي الرب والله (قُلْ يَا أَهْلَ الْكَيَّابِ تَعَالَوْ الله فَوَلَ الله فَإِنَ تَوَلُواْ الله فَوَلَ الله فَإِنَ تَوَلُواْ والمحالم وعبادتين ظاهرتين طاهرتين هما الوفاء بالنذر والإطعام، وعبادتين قلبيتين هما الخوف من اليوم الآخر والإخلاص لوجه الله، ونفى عنهم شيئين هما الجزاء والشكور، وذكر صنفين ممن يطعمون هما صنف مسالم (اليتيم والمسكين) وصنف محارب (الأسير)، وذكر صنفين من المسالمين هما المسكين واليتيم، وأحدهما بالغ والآخر قاصر. حوفين من المسالمين هما المسكين واليتيم، وأحدهما بالغ والآخر قاصر.

لما ذكر ألهم يخافون ذلك اليوم قال ربنا وقاهم شر ذلك اليوم ولقاهم بدل العبوس النضرة وكلاهما في الوجه وبدل الحوف والسرور ومحلهما القلب، قابل العبوس بالنضرة وهما في الوجه وقابل الحوف بالسرور وهما في القلب. مقابل الحوف الأمن وزيادة وقد يكون الإنسان في الحوف الأمن ولكنه قابل بين الخوف والسرور والعبوس والنضرة. السرور هو الأمن ومقابل العبوس قال النضرة ولا أمن لكنه بلا سرور ثم نلاحظ أنه أيضاً مقابل الحوف قال السرور وهذا زيادة لأنه تعالى قال (من جاء بالحسنة فله خير تقابل العبوس لأن الوجه قد يكون غير عابس لكنه غير نضر. وهذا زيادة لأنه تعالى قال (من جاء بالحسنة فله خير منها) ولم يقابلها بمثلها بل بخير منها. فالسرور مقابل الحزن وليس مقابل الخوف، فالخوف عادة يكون قبل أن يقع الشيء فإذا وقع حزن الإنسان كما في قوله تعالى (لا حوف عليهم ولا هم يجزنون) فأصبح في حزن لذا ذكر العاقبة السرور. وقال أيضاً في الآية السابقة (يخافون يوماً) وقال في هذه الآية (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) وهذا يعني ألهم هم شر اليوم وإنما جاءت الآية (يخافون يوماً) أما في هذه الآية فذكر تعالى (فوقاهم شر ذلك اليوم) وهذا يعني ألهم هم خافوا اليوم بما فيه من شرور ومصاعب وحساب وهو يوم عسير ومن شرور ذلك اليوم أنه (يجعل الولدان شيبا) لكنه تعالى وقاهم شر ذلك اليوم بما فيه وحسبه أن يقيهم اليوم ومشهد ذلك اليوم وفي هذا إنذار وتخويف كيران فكل إنسان خلك اليوم الذي سيشهده كل الناس أجمعين.

والفاء في قوله (فوقاهم) تفيد السببية في أغلب معانيها ولو كانت عاطفة أو يُنصب بعدها الفعل وهي تعني بسبب ما

فعلوه في الدنيا وقاهم الله شر ذلك اليوم. - قوله (وجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً) {17}

في الآية السابقة قال تعالى (ولقّاهم) وفي هذه الآية قال (وجزاهم) لأن اللقاء يكون قبل الجزاء أي قبل أن يدخلوا الجنة وبعد اللقاء أدخلهم الجنة فصار الجزاء. (اللقاء أولاً ثم يأتي الجزاء بعده) جزاهم الله تعالى بعد اللقاء جنة وحريرا وقال تعالى (بما صبروا) و(ما) هنا تحتمل معنيين : إما أن تكون ما مصدرية بمعنى جزاهم بصبرهم وتحتمل أن تكون إسم موصول والعائد محذوف بمعنى جزاهم بالذي صبروا عليه، من الطاعات والإيثار، وحذف العائد ليشمل المعنيين ولو ذكر العائد لتخصص بمعنى واحد وهذا من باب التوسع في المعنى، إذن جزاهم للصبر ولما صبروا عليه. وجمع أمرين وهما الجنة والحرير والجنة كما في اللغة هي البستان وفي الآخرة هي إسم لدار السعادة وفيها جنتان كما قلنا في لقاء سابق عن قوله تعالى في سورة الرحمن (ولمن خاف مقام ربه جنتان) (راجع لمسات بيانية في آي القرآن الكريم) وقلنا أنه قد يكون للمتقي أكثؤ من جنة ولهذا يجمع القرآن جنة على جنات كما ورد في الآيات (جنات عدن) و (جنات الفردوس) وهذه الجنات كلها في الجنة. وجزاهم جنة والجنة للأكل وجزاهم الحرير وهو للبس وهم أطعموا الطعام فقط لوجه الله فجزاهم الله تعالى أكثر مما فعلوا مصداقاً لقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها) وفي هذه الآية زاد الحرير على الجنة وهذا يدل على كرم الله تعالى.

- قوله (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً) {١٣}

قد يسأل البعض عن تكرار فيها في الآية (متكئين فيها) ثم (لا يرون فيها) ألا يكفي أن تُذكر مرة واحدة؟ فنقول لو حذف (لا) الثانية ولو قال مثل ما ذهب الظنّ إليه باستخدام (لا) مرة واحدة لوقع لبس ولكا أوهم أنه فقط عند الإتكاء لا يرون شمساً ولا زمهريرا وألهم لو غادروا المكان لرأوا الشمس والزمهرير ولكن هذا المعنى غير مطلوب لأن المقصود بالآية أنه سواء عند الإتكاء أو عندما يغادروا المكان لا يرون شمساً لولا زمهريرا في كلتا الحالتين. فالتكرار إذن أفاد معنى آخر ولذا اقتضى تكرار (فيها). والشمس هي دليل النور والزمهرير في اللغة : هو البرد الشديد وقد قيل في لغة العرب أيضاً أنه هو القمر فإذا أخذنا في الإعتبار المعنى الأول للزمهرير تكون الآية بمعنى لا يرون فيها يرون فيها لا شمس ولا قمر وإذا أخذنا المعنى الآخر للزمهرير وهو البرد الشديد تكون الآية بمعنى لا يرون فيها دفء ولا برداً والدفء يأتي من الشمس والزمهرير من البرد فنفى البرد والحرّ ونفى القمر في آن واحد، ولهذا اختار كلمة الزمهرير لأفاد معنى واحداً فقط.

جمع تعالى لهم بين دنو الظلال وتذليل القطوف التي تفيد الدنو أيضاً وهذه القطوف لا يردها بُعد ولا شد وبهذا جمع إضافة إلى الدنو ألها ميسرة وليس هناك ما يمنع من رد اليد عنها. فلماذا قال دانية باستخدام الصيغة الإسمية وذللت بالصيغة الفعلية؟ الظلال ثابتة مستقرة فجاء بالصيغة الإسمية التي تدلّ على الثبوت أما القطوف فهي متجددة سواء كانت في جنّة أهرى أو في نفس الجنة وهي تتجدد كلما أكلوا منها أو قطفوا منها ولذا جاء بالصيغة الفعلية التي تدلّ على التجدد. وقد قيل فيها معنى آخر فقد جاء في الآية (وجزاهم جنة وحريرا) قسم من المفسرين ذهب إلى أن المعنى وجنّة دانية عليهم ظلالها بمعنى لهم جنتان كما قلنا سابقاً (ولمن خاف مقام ربه جنتان) الأولى فيها جنة وحرير والثانية دانية عليهم ظلالها.

- قوله (وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكُواب كَانَتْ قَوَارِيرَا {١٥ } قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ [13 } بعدما ذكر الفاكهة ذكر السَّراب بعدها وأنه يُطاف عليهم بما وذِكر المشروب بعد الطعام هو الجاري عليه في القرآن كله فحيث اجتمع الطعام والشراب في الدنيا أو الآخرة قدّم الطعام على الشراب (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) (وهو الذي يطعمني ويسقين) وغيرها. وذكر الطعام قبل الشراب لأن الطعام أهمّ.

ثم قال تعالى (قوارير من فضة) والمعلوم أن القوارير تكون من زجاج فكيف جمع بين القوارير التي هي من زجاج وبين الفضة? ونقول أن الفضة هي فضة في صفاء القوارير وشفافيتها وهذه هي فضة الجنّة العجيبة. وقوله تعالى (وقدّروها تقديرا) فيها معنيين الأول على مقدار حاجتهم لا أكثر ولا أقلّ والثاني على ما تشتهيه أنفسهم كيف تكون هيئة القوارير وشكلها أي قدّروها على ما يرغبه الشخص من هيئة وشكل. يأتون بما هو أحبّ لنفسهم والشراب نفسه مقدّر في شكل الإناء وترتيبه وفيما يُقدّم فيه.

وذكر في الآية فضة وأكواب من فضة وفي آية سورة الزخرف قال تعالى (يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَب وَأَكُوَاب وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْهُسُ وَتَلَدُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٧١}) باستعمال ذهب وليس فضة فلماذا الإختلاف بين الإستعمال للفضة في آية سورة الإنسان والنهب في آية سورة الزخرف؟

إذا استعرضنا الآيات في سورة الزخرف (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَشُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ {٧٠} يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَب وَأَكْوَاب وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَشُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٧١} وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {٧٢} لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ {٧٣}) لو لاحظنا الآيات في سورة الإنسان والزخرف نلاحظ أنه:

في سورة الزخرف ذكر ألهم المتقون (الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ عَدُوِّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ {٦٧}) ثم أضافهم إلى نفسه تعالى وهذا أشرف فخاطبهم (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ {٦٨}) ثم طمألهم من الخوف مخاطباً إياهم مباشرة (لَا حَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) وهذه مرتبة أعلى مما جاء في آيات في سورة الإنسان حيث جاء فيها (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَقَّاهُمْ نَصْرَةً وَسُرُوراً {١١})

وجاء في الزخرف ألهم جمعوا بين الإيمان والإسلام (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ {٢٩}) والإيمان هو التصديق بالقلب والإسلام هو الإنقياد في العمل كما تذكر الآيات في القرآن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وأحياناً يُقصد بالمؤمن المسلم. أما ما ورد في آيات سورة الإنسان فهي جزء من صفات المتقين التي جاءت في الزخرف لأن فيها العمل فقط (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً {٨}) والإيمان يدخل فيه عموم العمل الصالح. في الزخرف ناداهم الله تعالى مخاطباً إياهم مباشرة (ادخلوا الجنة) أما في الإنسان فجاء قوله تعالى (وجزاهم بما صبروا) وما جاء في الزخرف هو أعلى مكانة ولم يكتف بهذا بل إنه تعالى في الزخرف أدخلهم هم وأزواجهم (أنتم وأزواجكم) وهذا لم يرد في سورة الإنسان وهذا يدل على زيادة الإكرام في سورة الزخرف.

وقال في الزخرف (تُحبرون) وفي الإنسان (نضرة وسرورا) والحبور أعمّ وهو يشمل السعادة والسرور والبهاء والجمال والنعمة والإكرام المبالغ فيه وسِعة العيش أما ما في سورة الإنسان فهو جزء مما ذُكر في سورة الزخرف. ففي الزخرف إذن شمل ما جاء في سورة الإنسان وزيادة.

وقال تعالى أيضاً في سورة الزخرف (وفيها ما تشتهيه الأنفس) ولم يذكر ذلك في سورة الإنسان ثم قال (فيها

خالدون) ولم ترد في سورة الإنسان وكلها تدل على الزيادات في النعيم.

ثم ذكر في سورة الزخرف (فيها فاكهة كثيرة) ولم يذكرها في سورة الإنسان لذا ناسب أن يأتي بصحاف من ذهب في الأولى وقوارير من فضة في الثانية .

والأمر الآخر أنه في سورة الزخرف لم يذكر الفضة أبداً وجو السورة شاع فيها ذكر النهب والتنعّم والزخرف ففيها جاء قوله تعالى (وَلَوْلًا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكُفُّرُ بِالرَّحْمَنِ لِلْبُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ {٣٣}) فإذا كان هذا للذين كفروا بالرحمن في الدنيا فكيفَ يكون جزاء المتقين في الآخرة أقل مما كان للكافر في الدنيا (سقف من فضة وعليها معارج) ؟ وسقف الفضة والمعارج هي أكثر من قوارير من فضة فكألها تدل على أن الجنة جزاؤها أقل من الدنيا فلا يسمح جو السورة في الزخرف باستخدام قوارير من فضة فيها لأنه لا يناسب أن يعطي الله تعالى الكافر في الدنيا أكثر مما يعطي المتقين في الجنة. إذن ينبغي أن يكون للمتقين في الآخرة جزاء أعظم لذا جاء بصحاف الذهب جزاء المتقين في سورة الزخرف.

وفي سورة الزخرف ذكر تعالى أيضاً أن فرعون استكبر في نفسه وثم استخفّ بموسى – عليه السلام – كما في قوله تعالى على لسان فرعون مخاطباً قومه (فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّن ذَهَب أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ {٥٣}) فكيف يناسب ذكر الفضة في السورة إذا كان فرعون المتكبر العالي في الأرض يستعمل الذهب؟ فالأفضل أن جاء تعالى بالفضة والذهب كل في مكافه الذي ناسب جو السورة ووضع كل تعبير في مكانه يناسب سياق الآيات في كلتا السورتين.

- قوله (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) (١٨)

قبل هذه الآية قال تعالى (ويُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكُوابِ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥)) فلمّا ذكر تعالى أنه يُطاف عليهم بالآنية والأكواب ناسب أن يقول يُسقون وليس يشربون أما في الآية الأولى فلم يذكر الآنية أو الطائفين لذا جاء قوله تعالى (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسِ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)) وذكر الطائفين فيما بعد. ولفظ السلسييل يوحي بالسلاسة وسهولة المسار هذا ما يقابل طعام الكفار الذي قال فيه تعالى (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) المزّمل) والذي يظهر أن الشراب المذكور في قوله تعالى (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجيبلا) أعلى من الذي ورد في الآية السابقة ومن تسلسل الآيات فإن الشراب يُحمل إليهم ويُسقونه ثم أنه تعالى وصف آنية الشراب الذي يطاف عليهم بما (من فضة) ووصف الطائفين (لؤلؤاً منثورا) وهذه الأمور لم تُذكر في الآية الأولى. إذن فقد استوفى عناصر الطواف كلها: الطائفين (ولدان) والمطوف عليهم (الأبرار) والمطوف به (الشراب والآنية) ولم يبق شيء لم يُذكر منها.

- قوله ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُوًا مَنْغُورًا ﴿٩٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبيرًا ﴾ (٢٠)

و نلاحظ أنه تعالى قال بعدها هذه الآية وولدان جمع ولد وهم صغار السن. فبعد وصف الآنية من الفضة ووصف السقاة وصفهم باللؤلؤ المنثور لأنهم سراع في الخدمة ومنثورين في كل مكان في حين لما أخبرنا تعالى عن الحور العين (وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللَّوْلُو الْمَكْنُونِ (٣٣) الواقعة) وصفهم بألهم لؤلؤ مكنون أي في أماكتهم مستورين مصانين غير منثورين في كل مكان. وفي سورة الطور وصف تعالى الغلمان باللؤلؤ المكنون (وَيَطُوفُ عَلَيْهمْ غِلْمَانٌ

لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُوْ لُوْ مَكُنُونٌ (٢٤)) فما السبب في ذلك؟ أولاً الوصف باللؤلؤ المكنون له جانبان: جانب الصون والحفظ باعتباره محفوظ في الصدف، وجانب آخر جانب الصفاء لأن اللؤلؤ أصفى وأنقى وأبيض ما يكون وهو في الصدف فإذا خرج من الصدف تغير لونه وقد يصبح أسود اللون خارج الصدف. فعندما يُقال مكنون يكون المقصود هذان الجانبان. لكن يقى السؤال لماذا جاء في سورة الطور لؤلؤ مكنون للغلمان؟ الفرق بين الآيتين أنه في آية سورة الإنسان قال تعالى (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ أُوْلُؤًا مَنْعُورًا (١٩)) لم يذكر (لهم) وإنما ذكر الولدان الذين يأتون بالأشياء كما يأمر الله تعالى أما في آية سورة الطور (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَانَّهُمْ لُوْلُو مَكْنُونٌ (٢٤)) ذكر (لهم) بمعنى خاصّين بهم وليسوا عامّين كالذين ورد ذكرهم في آية سورة الإنسان، كَانَّهُمْ لُوْلُو مَكْنُونَ (٢٤)) ذكر (لهم) بمعنى خاصّين بهم وليسوا عامّين كالذين ورد ذكرهم في آية سورة الإنسان، فأصبحوا مكنونين لألهم أصبحوا في الأسرة والعائلة متخصصين في خدمتها. أي عائلة؟ إذا نظرنا إلى الآيات التي سبقت الآية للذكورة في الطور نجد قوله تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَبَعَتْهُمْ ذُرَيَّتُهُمْ فِي إِعَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرَيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَناهُمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ الْمُوئِ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢٢)) فالكلام عن الأسرة وهذه الأسرة أصبح لها

خصائص كذلك قوله تعالى (ويطوف عليهم غلمان لهم) أي خاص بهم كألهم أو لؤ مكنون وسياق الآيات في سورة الطور فيه خصوصية شديدة للمؤمنين.

وقال تعالى (إذا رأيتهم) وإذا كما نعلم في اللغة تدل على التحقيق والتيقن وهي ليست من باب الإفتراض ولهذا لم يأت بب (إن) أو (لو) لأن إذا كما قلنا تستخدم لتيقن الحدث أو للدلالة على الحدث الكثير الوقوع ولهذا جاءت كل الآيات التي تتحدث عن أحداث يوم القيامة باستخدام (إذا) لأنما محققة الحصول وكذلك قوله تعالى في آية الوضوء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا قُمْتُمْ إلَى الصَّلَاةِ فَاغْسلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إلَى الْمَرَافِقِ وَالْمُسَحُوا برُحُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إلَى الْمَرَافِقِ وَالْمُسَحُوا برُحُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إلَى الْمَرَافِقِ وَالْمُسَحُوا برُحُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إلَى الْمَرَافِقِ وَالْمُسَحُوا برُجُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إلَى الْمَرَافِقِ وَالْمُسَحُوا برُجُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ فَرْبُحُ مِنْ اللَّهُ لِيجَعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ مَنْ اللَّهُ لِيجَعَلَ عَلَيْكُمْ اللَّهُ لَيجَعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ مَرْبُحُوسِكُمْ وَلَيْتِيمَ بْعُمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعْلَكُمْ تَشْكُرُونَ (٦)) فجاء بو إذا) في القيام إلى الصلاة وهذا أمر متكرر الوقوع أما في حالة الجنب أو المرض جاء بو (إن) لأنه أقل الحدوث. وكذلك استخدام إذا في قوله تعالى متخدم الأمر وإذَا بَلغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمُ مَنْ الْبُعُوا الحلم فهذا أمر متيقن الحصول. أما (إن) فهي تستخدم للأمر حَلَي الإفتراضي كما في قوله تعالى (فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض) (وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً) و (إن كان للوحمن ولد) ليس موجوداً أصلاً وإنما هو

افتراض وبعيد الحصول. أما (لو) فتستخدم للتمني ولما هو أبعد (لو أنفقت ما في الأرض جميعا) وتأني في الأشياء المستحيلة وما هو أبعد من (إن) أصلاً.

وقوله تعالى (إذا رأيتهم حسبتهم أولؤاً منثورا) تدل على تحقق الرؤية. وكذلك قوله (وإذا رأيت ثم رأيت) بمعنى إذا رأيت حيث وقفت هناك رؤية. ورأيت هنا وإن كان فعلاً متعدياً لكنه ليس بالضرورة ذكر المفعولين للفعل المتعدي وإنما يؤتى بالذي يناسب قصد المتكلم فأحياناً يستعمل الفعل المتعدي استعمال اللازم أو يتعدى الفعل بمفعول به واحد وقد لا يؤتى بالمفعولين والأمثلة في القرآن كثيرة منها قوله تعالى (فأما من أعطى واتقى) لم يذكر لمن أعطى وما أعطى، أو يأتي بمفعول به واحد كما في قوله تعالى (حتى يُعطوا الجزية عن يد) لم يذكر لمن يعطوها ، وقوله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) لم يذكر ماذا يعطيه، وقد يُذكر المفعولين كما في قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر). وهذ

الإطلاق كم في قوله (لم تعبد ما لا يسمع و لا يبصر و لا يغني عنك شيئا) وذكر المفعولين أو أحدهما أو عدم ذكر هما يكون بحسب ما يريد المتكلم.

وقوله تعالى (وإذا رأيت) بمعنى مطلق الرؤية ليس هناك شيء محدد أو مكان محدد أينما وقعت الرؤية وهذا من دلالة القدرة والنعيم الذي في الجنة لعباد الله المؤمنين.

وقوله تعالى (إذا رأيتهم حسبتهم) قد يتساءل البعض أن كلمة حسبتهم بمعنى ظنّ وأن هناك تشابه في المعنى أو يحتملان دلالة قريبة كما في كلمتي النظر والرؤية. فنقول أن النظر قد لا يكون معه رؤية بمعنى تنظر إلى المكان سواء رأيته أم لم تره. والرؤية تفيد تحقق المرئي (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) لذا استخدم تعالى الفعل رأى هنا في الآية لنفيد تحقيق الرؤية.

- قوله (عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُصْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) (٢٦)

يقول المفسرون أن عاليهم تعني فوقهم لكنها في الحقيقة لا تعني فوقهم لأن الفوقية لا تقتضي الملامسة فقد يكون الشيء ملامساً وقد لا يكون إذا كان فوقهم كما في قوله تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْء بَصِيرٌ (١٩) الملك) وكذلك قوله (وَرَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِينَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ الْمُورَ بِمِينَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ اللَّهِمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ مِينَاقًا غَلِيظًا (١٥٤ النساء)) وقوله تعالى (أَفَلَمْ الدُّخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِينَاقًا غَلِيظًا (١٥٤ النساء)) وقوله تعالى (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) ق) فوقهم هنا تُعرف بالظرف المُبهم الذي يَنظُرُوا إلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) ق) فوقهم هنا تُعرف بالظرف المُبهم الذي ليس له حدود مثل كلمة يمين لا حدود لها كل ما على يميني يمين. وعليه فإن كلمة عاليهم تفيد الملامسة وتعني يلبسونها.

وقوله تعالى (وحُلّوا فيها أساور من فضة) هي مقابل ما ذكره للكافرين (سلاسل وأغلالاً وسعيرا) وهنا نسأل لماذا ذكر تعالى أساور من فضة هنا في سورة الإنسان بينما ذكر في مواضع أخرى في القرآن أساور من ذهب (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَب وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُصْرًا مِنْ سُنْدُس وَإِسْتَبْرَق مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ النَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) الكَهف) ومرة أساور من ذهب ولؤلؤ (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَب وَلُوْلُؤُ الوَّالِهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) فاطر) قسم من المفسرين قال أَهَا تدل على المعاقبة أو الجمع أي مرة يلبسون ذهب ومرة فضة ومرة يجمعون بينها.

فلماذا جاءت ذكر أساور فضة في سورة الإنسان بينما جاءت من ذهب ولؤلؤا في سورة فاطر؟ يجب أن يكون هناك سبب لاختيار كل منها في السورة المناسبة وإذا نظرنا في سياق الآيات في سورة فاطر من قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوفِّهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَصْلِهِ إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعَبَادِهِ لَخَيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُفْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَاقِيً بِعِبَادِهِ لَحَيرٌ بَعِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكَبَيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَهَا يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَب ولُوْ لُوَا الْحَيْدُ وَلَكُ هُو الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَهَا يُحَلُّونَ فِيها مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَب ولُوْ لُوَا الْحَمْدُ لِلَهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلْنَا ذَارَ اللَّهُ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَخْهُ بُ (٣٥) اللَّهُ مِنْ فَصْلِهِ لَهُ عَلَى اللَّهُ بِ الْعَلَى الْمُورُ اللَّهُ وَلَهُ لَهُ وَلَهُ اللَّهُ عَلَهُ مِنْ فَصْلِهِ لَا يَمَسُنَا فِيهَا نَصَب وَلَا يَمَسُنَا فِيها لَعُولَا مُ مَنْ الْكُورُ (٣٥) اللَّهُ عَمْ اللَّهُ لِلَهُ اللَّهُ بِ (٣٥) اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْكَابِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُمُ اللَّهُ الْعُولُ اللَّهُ ال

* ففي سورة فاطر قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩)) و في سورة الإنسان قال (يُوفُونَ بالنَّذْر ويَيخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا {٧} وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً {٨}) والأكيد أن الإنفاق سراً وعلانية هو أعم وأشمل من إطعام الطعام على حبه المسكين واليتيم والأسير.

- * ثم إن يتلون الكتاب ويقيمون الصلاة هي أرفع وأعلى من الوفاء بالنذر لأن النذر أصلاً مكروه شرعاً وفي الحديث: "النذر صدقة البخيل" فالأمور التي ورد ذكرها في فاطر هي أعم وأرفع وأعلى مما ورد في سورة الإنسان فتلاوة القرآن أوسع من إقامة الصلاة ولهذا قدّم التلاوة على الصلاة والإنفاق لأن الصلاة لا تصح إلا بتلاوة القرآن والتلاوة تكون في الصلاة وفي غير الصلاة.
- * ثم إن التلاوة والصلاة جاءت بصيغة المضارع بينما جاء الإنفاق بصيغة الماضي لتكرر التلاوة والصلاة أكثر من الإنفاق. فالوصف في سورة فاطر أعلى مما جاء في سورة الإنسان هذا أمر
- * والأمر الآخر أنه تعالى في سورة فاطر ذكر (يوفيهم أجورهم ويزيلهم من فضله) بينما قال في سورة الإنسان (إن هذا كان لكم جزاء) ففي سورة فاطر توفية وزيادة وهما أعلى من الجزاء لذا ذكر اللؤلؤ وهو الزيادة ، وكذلك في فاطر قال تعالى (إنه غفور شكور) وفي الإنسان (وكان سعيكم مشكورا) فزاد المغفرة على الشكر في سورة فاطر. * ثم ذكر في سورة فاطر (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) بإسناد الفعلين إلى نفسه تعالى وهذا في مقام التكريم ثم ذكر الإصطفاء بالذات وهو من باب التكريم أيضاً. اصطفاهم هذا تكريم والتكريم الآخر هو الإسناد في قوله (أورثناهم).
- * قسّم تعالى المصطفين إلى قسمين (مقتصد) و(سابق بالخيرات) ذكر السابقين وهم أعلى المكلفين فلا يناسب معهم أن يذكر الأساور من فضة لأنما قد تدل على أن الفضة للسابقين مع أنه يجب أن يتميزوا لأنهم أعلة المكلّفين ولهذا جاء بأساور من ذهب أولوًا ليتناسب مع المذكورين.
- * قوله تعالى في فاطر (ويزيدهم من فضله) (وذلك هو الفضل الكبير) يناسب الزيادة أيضاً لأن هذا الفضل يقتضي الزيادة
- * ذكر المغفرة والشكر مرتين (إنه غفور شكور) و(إن ربنا لغفور شكور). من الناحية البلاغية، لمّا ذكر تعالى (يتلون كتاب الله) قال (إنه غفور شكور) بجون اللام ولمّا ذكر الظالم لنفسه والمقتصد ذكر ألهم يخلون الجنّات ذكر اللام في قوله (إن ربنا لغفور شكور) لأنه هؤلاء محتاجون للمغفرة أكثر ولولا المغفرة لما دخلوا الجنة وهؤلاء أحوج إلى المغفرة من الأولين لذا أكد باللام (إن ربنا لغفور شكور) فالتأكيد جاء بحسب الحاجة إلى المغفرة.
- * قال تعالى في سورة الإنسان (حُلُوا أساور من فضة) وفي فاطر (يحلون فيها من أساور من ذهب) فيها تكريم لأن (من) تفترض الكثرة لأنهم أعلى من المذكورين في سورة الإنسان لأنه عندما نقول لأحد مثلاً إلبس هذه الثياب أو البس من هذه الثياب بالتأكيد الثانية أوسع لأن له أن يختار من بين الثياب ما يشاء. ثم قال تعالى (حُلوا) بصيغة الماضي وفي سورة فاطر (يحلّون) بصيغة للضارع وفي الآيتين الفعل مبني للمجهول لكن في سورة الإنسان الإخبار بما هو حاصل أما في سورة فاطر فالإخبار بشيء لم يحدث بعد وفيه إخبارهم ألهم سيدخلون الجنة (يدخلون الجنة) لذا جاءت يُحلّون.
- * يبقى السؤال لماذا قال في سورة الإنسان (يُطاف عليهم ويُسقون ويطوف عليهم) بصيغة المضارع مع أنه قال (جزاهم وحّلوا) بصيغة الماضي وهذا للدلالة على تجدد الطواف والإستمرار فيه فهو لا ينقطع ولا يناسب أن يقول تعالى (طيف عليهم) لذا جاء بصيغة المضارع في الطواف والسقيا. وكذلك يلبسون ويحلون لأن التحلية هي من

الحلى والتزيّن.

الشراب أنواع مختلفة.

- قوله (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) .

طهور هي صيغة مبالغة على وزن فعول بمعنى الطاهر والمطهِّر والمبالغة فيهما والعرب استعملت كلمة طهور للشيئين وطهور مشتقة بالأصل من الفعل الثلاثي طهُر.

الطاهر ليس بالضرورة مطهِّر فكثير من السوائل طاهرة لكنها ليست بالضرورة مطهِّرة. واستعمال طهور هنا مناسب لسياق الآيات وتشتمل المعاني كلها الطاهر والمطهر والمبالغة فيهما. والصيغ لها فروق بيانية فيما بينها مثل غفّار وغفور كلتاهما صيغة مبالغة وكذلك همَّاز وهُمزة كلتاهما صيغة مبالغة لكنها ليست متساوية في الدلالة. والعرب كانت تنحدث هذه اللغة فاللسان عربي أصلاً لكن الناس يختلفون فيه فيكون بعضهم أبلغ من بعض ويختلفون في اختيار الكلمات والسياق والبلاغة وتنهي قمة الإعجاز في القرآن الكريم. فلماذا استخدم كلمة (طهور) في الآية؟ ذكر تعالى في الآيات السابقة من السورة (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسِ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)) و (وَيُستَقُونُ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧)) و(وَستَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) ذكر أنا تعالى ثلاثة أنواع من الشراب كل منها أعلى من الذي سبقها أولاً ذكر ألهم يشربون من كأس (كافورا) ثم في الثانية ذكر ألهم يُسقون كأساً (زنجييلا) هنا الفعل مبني للمجهول وذكر الساقي (ولدان مخلدون) والآنية التي يُسقون فيها ذكر أنهم يُسقون ولا يشربون وإنما سقاهم رهم وهذه أعلى الدرجات لم يقل يُسقون ولا يشربون وإنما سقاهم رهم فهذا الشراب هو أفضل من السابقين لأنه أسنده تعالى إلى الربّ سبحانه وتعالى وهذه الآيات دلّت على أن

شراباً طهورا كلمة موجزة تحوي معاني كثيرة بينما وصف في الآيات السابقة ما يشربون فيه من آنية وصفاً دقيقاً ولم يذكر في هذا الوصف إلا (شراباً طهورا) وهذا يدل على أن الشيء عندما يكون فوق الوصف لا يذكر شيئاً ولا تستطيع اللغة ولا الوصف أن يعبروا عن هذا الأمر العظيم، كما ورد في سورة الرحمن (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشِ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَق وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٤٥)) وصف البطائن ولم يصف الظاهر ونقول إذا كانت البطائن من استبرق فكيف يكون الظاهر؟ لا يُتصور الظاهر ولهذا لم يُذكر لأنه ما من لغة أو وصف يمكن أن يعبر عما يوجد هناك من نعيم وسعادة مصداقاً لقوله تعالى (فلاً تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِي لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) السجدة). وكذلك عندما يصف لنا تعالى شجرة الزقوم (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) الصافات) لم يراها أحد ولم ترد على ذهن الإنسان وكما أن في الجنة أمور لا يعلمها أحد كذلك في النار.

- قوله (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) (٢٢)

لماذا تقديم (لكم) على جزاء في الآية؟ قبل النقديم لما ذكر تعالى أن هؤلاء لا يريدون جزاء ولا شكورا (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُوِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩)) جزاهم ربنا أحسن الجزاء وشكر لهم لذا قدّم (لكم) على جزاء فصار جزاء بالفعل وشكر باللسان.

كان يمكن القول (هذا كان جزاء لكم) لكن التقديم أفاد أن الجزاء مختص لكم لأن الجزاء في الآخرة مختص لكل واحد وإذا لاحظنا في القرآن كله قدّم الجار والمجرور للإختصاص لأنه اختصاص به وتعريض للآخرين من أهل النار رقُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (٥٥) الفرقان) و (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْقَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءً الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْفُرُفَاتِ آَمِنُونَ (٣٧) سبأ) و (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩)) إنما في الدنيا فليس الفرورة التقديم وقد جاء في سورة القمر مثلاً (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ عَلَى كَانَ كُفِرَ (١٤)) لمن يأتي النقديم هنا لأن الآية ليس فيها اختصاص والذي كُفر هو نوح – عليه السلام – لكن السفينة لم تحمله وحده وإنما كان معه من آمن معه و الجزاء لهم أيضاً لذا أطلق ولم يُخصص فكما كان الجزاء لنوح – عليه السلام – كان للمؤمنين.

- قوله (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا) (٢٣)

لماذا جاء في الآية ثلاثة توكيدات بينما جاء في أول السورة توكيد واحد في قوله تعالى (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةِ أَمُشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢))؟ في الآية (إِنَّا نَحْنُ نَرَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَثْرِيلًا (٣٣)) ذكر تعالى ثلاثة أمور المنزِّل (الله تعالى) وذكر المنزِّل (القرآن) والمنزِّل عليه (الرسول) وأكد ثلاثة توكيدات (إنّا، نحن، والضمير المتصل في نزّلنا (نا) والسبب أن في الآية أول السورة أمر الحلق لم يُختلف فيه ذلك الإختلاف أي كون الله تعالى هو الحالق فهذا أمر لم ينكره كفار قريش بدليل قوله تعالى (وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٣) لقمان) و (وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٣) لقمان) و (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلْ وَلَمْ اللّهُ عُلْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلْ وَلَمْ اللهِ عَلَى هُو اللهِ عِلْ هُنَّ مُالله عُلَيْهُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللّهُ بِصُرِّ هَلْ هُنَ كَاشِفَاتُ صُرِّهِ أَوْ أَرَادَني برَحْمَةٍ هَلْ هُنَ مُشْكَاتُ اللهَ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُونَ (٣٨) الزمر) لكن مسألة التنزيل هي التي اختلفوا فيها وأنكروها أشد الإنكار فالتوكيد أكثر في حالة الإنكار الشديد أصلاً والله عَلَيْ فهو أولى بالتوكيد أكثر في حالة الإنكار الشديد أصلاً والله يه يودها الله تعالى فالتنزيل هو أهم من الخلق لأن الغاية من الخلق العبادة والغاية من التنزيل هو تنزيل كتاب العبادة التي يردها الله تعالى فالتنزيل هو القصد الأول في الخلق فهو أولى بالتوكيد. والتوكيد جاء كما يقتضيه الساق والمقام من جهة الأهمية والإختلاف والتنازع فيه.

وهذا التأكيد يذكرنا بسورة يس (قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦)) وقد أكّد في هذه الآية مرتين مع أنه في الآية التي سبقت (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّرْنَا بِعَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤)) أكد مرة واحدة لأن الله تعالى أرسل لهم في البداية رسولين فكذبو هما ثم عزز بثالث فأنكروا إنكاراً أكبر لذا جاء التوكيد في الآية الثانية واقتضى أن يؤكد أكثر فصار التوكيد بالقسم لأن (ربنا يعلم) قسم في لغة العرب فلما ازداد الإنكار ازداد التوكيد.

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا) في هذه الآية ذكر تعالى (عليك) و في آية سورة الحجر قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا اللَّـكُرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)) فما دلالة (عليك) في آية سورة الإنسان؟

لو نلاحظً ما جاء بعد هذه الآية لوجدنا أن الكلام موجه إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالأو امر و النواهي (فَاصْبِرْ لِحُكْمٍ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦)) وهناك أمور تتعلق بالرسول المخاطب لذا استخدم (عليك). أما في آية سورة الحجر فلم يرد في الآيات التي سبقت أو تلت ما يتعلق بالرسول – صلى الله عليه وسلم – لكن الكلام متعلق بالقرآن

(كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢١)) وكل الكلام عن الذكر وليس عن الرسول. لماذا جاء ذكر كلمة (القرآن) في آية سورة الإنسان وكلمة (الذكر) في آية سورة الحجر؟

إسم الكتاب المنزّل على الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو (القرآن) ولم يرد في سورة الإنسان له ذكر إلا في هذا الموضع وهذه الآية (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا)، أما في سورة الحجر فقد ورد ذكر القرآن والذكر والآية في سورة الحجر (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلُ عَلَيْهِ الذِّكُرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦)) ثم قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذَّكْرَ وَالآية في سورة الحجر (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلُ عَلَيْهِ الذَّكُرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦)) ثم قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ لَوَّلْنَا الذَّكُرَ وَاللهُ لَا الذَّكُرُ وَاللهُ لَا الذَّكُرُ وَاللهُ لَكُ لَحَافِظُونَ (٩)) فلمّا سماه كفار قريش ذكراً ردّ عليهم الله تعالى بكلمة (الذكر) ولهذا فهي أنسب للآية التي قبلها من استعمال كلمة القرآن رغم ألها وردت في سورة الحجر كثيراً.

- قوله (فَاصْبِرْ لِحُكْم رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) (٢٤)

الآية التي قبلها قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَوَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُوْآَنَ تَنْزِيلًا) ثم أمره بالصبر بعد ذكر تنزيل القرآن لأن التنزيل يستدعي الصبر لما فيه من قول ثقيل وأمور وتكاليف تستدعي الصبر (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) المزمّل) و (وَأُمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِوْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢) طه) ويحتاج أيضاً لصبر على الأذى لأنه سيؤذى بسببه لذا كان من المناسب بعدما ذكر تنزيل القرآن أن يذكر الصبر لأنه أمر يستدعي الصبر فقال تعالى (فَاصْبرْ لِحُكْم رَبِّكَ).

دلالة كلمة (حكم): في اللغة قد يكون الحكم بمعنى الحكمة (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٦) الشعراء) وقوله تعالى (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (٢٦) مريم) أي الحكمة. وقد تأتي بمعنى القضاء أو الفصل (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبُرُوا إِنَّا كُلِّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) غافر) وهنا أمره بالصبر لهما معاً أي أن يصبر لحكمة أرادها الله تعالى ولحكم الله وقضائه لأن قضاءه له حكمة بمعنى الصبر لحكم الله وقضائه لحكمة أرادها الله تعالى وهذا ما يُسمى التوسع في المعنى.

(وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) ما دلالة استخدام كلمة آثم وكفور؟

الآثم : هو الذي يرتكب الإثم والإثم قد يكون ظاهراً وباطناً بدليل قوله تعالى (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكُسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (٢٠٠) الأنعام) أو من أعمال القلب أو أفعال الجوارح.

أما الكفور: فهو المبالغ في الكفر وفيه دلالتان: الأولى نقيض الإيمان والثانية نقيض الشكر لذا قال تعالى في أول السورة (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّيِلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)) والكفور المبالغ في الكفر بمعنى نقيض الإيمان هو الذي استعمل في القرآن (وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦) الحج) و (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥) الزخرف) والمبالغ في جحد النعمة والكفر قد يكون باطناً أو جحود باللسان. وكل كفور آثم وليس كل آثم كفور. ولو قال كافر لنهى عن صنف واحد وليس عن الصنفين الذين تدلان علهما كلمة كفور.

ما دلالة استعمال (أو) ولم يأتي بواو العطف مثلاً؟

لو جاء بالواو لجاز له أن يُطيع أحدهما إنما استعمال (أو) دلّت على الأمر بأن لا يطيع واحداً منهما على سبيل الجمع أو الإفراد. والآثم هو اسم فاعل والأثيم صفة مبالغة وفي هذه الآية أراد تعالى أن لا يطيع الآثم سواء بالغ في الإثم أو لم يبالغ فلو قال أثيم مثلاً لكان فُهم أن النهى فقط عن إطاعة الأثيم ويحق له أن يطيع الآثم وأما استخدام

كلمة أثيم فهي تدل على النهي عن إطاعة الآثم وهو أقل الدرجات فمن باب أولى أن لا نطيع الأثيم. في سورة القلم قال تعالى (مَنَّاعِ لِلْخَيْرِ مُعْتَدِ أَثِيمٍ (١٢)) باستخدام الأثيم لأنه لو لاحظنا ما ورد في السورة لوجدنا أن الله تعالى ذكر فيها كل صفات المبالغة (حلاف، همّاز، مشّاء، مهين، منّاع للخير) (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينِ أن الله تعالى ذكر فيها كل صفات المبالغة (حلاف، همّاز، مشّاء، مهين، منّاع للخير) (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينِ (١٠) هَمَّازٍ مَشّاء بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلِّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣)) فجو السورة جو مبالغة والأمر الآخر أن الذي يفعل كل هذه الأمور الذي سبقت ألا يكون أثيماً؟ بالطبع هو أثيم وليس آثم بل إن فعل كل واحدة من هذه الأفعال يجعله أثيماً وليس آثماً فكيف لو اجتمعت كل هذه الصفات في المعتدي فلا بد أن يكون أثيماً.

- قوله (وَاذْكُر اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْل فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَويلًا) (٢٦)

علاقة الآية بما قبلها: أمر الله تعالى الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالذكر والتسبيح بعد الأمر بالصبر (فَاصْبِرْ لِحُكْم رَبِّكَ) والنهي عن طاعة الآثم والكفور (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) أمره بالإكثار من النسبيح والذكر في المواطن التي تحتاج إلى صبر و في الأزمات (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيكَ الْيقِينُ (٩٩) يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيكَ الْيقِينُ (٩٩) الحجر) وأمره بالتسبيح في قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٥٤) النَّنْفال) ومداومة التسبيح تفرّج الكروب كما جاء في قصة يونس وهو في بطن الحوت (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ (٣٤٢) لَلَبَثَ فِي بَطْنهِ إِلَى يَوْم يُبْعَثُونَ (٤٤) الصافات) فالذي نجّى يونس من بطن الحوت هو المُستبِّحِينَ (٣٤١) لَلَبَثَ فِي بَطْنهِ إِلَى يَوْم يُبْعَثُونَ (٤٤) الصافات) فالذي نجّى يونس من بطن الحوت هو مداومته على التسبيح (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)) والتسبيح وذكر الله هي أزكى الأعمال وأرفعها عند المليك. فهو ترتيب منطقي جداً بعدما تضيق الصدور والقلوب نذكر اسم ربنا.

قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) (٢٦)

لماذا قدّم الجار والمجرور على الفعل؟ لأن النهجد شاق على النفس فقدّم الليل بما يقابل الشدة (كَاثُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْلَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)) قدّم ما هو متعلق على الفعل، (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْتِي لَهُمْ مِنْ فُوَّ أَعْيُنِ جَزَاءً بِمَا كَاثُوا يَعْمَلُونَ (١٧) السجدة) (وَمِنَ اللَّيْلِ فَنَهَجَدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَنَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩) الإسراء) أمور تقيلة وأجرها عظيم لذا قدّم (من الليل) على الفعل (فاسجد له). كما أن الترتيب يفيد علو منزلة السجود وتقديم الجارّ والمجرور سوّغ إدخال الفاء في قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ) ودلالة الفاء هنا أما تفيد التأكيد على أي حال. وقد قال النحاة أن الفاء قد تكون إما جواب شرط مقدّر يعني مهما كان الأمر فاسجد له وهي دعوة للسجود مهما كان الأمر وقسم آخر يقول أن الفاء زائدة للتوكيد وفي كلتا الحالتين يكون فاسجد له وهي دعوة للسجود مهما كان الأمر وقسم آخر يقول أن الفاء زائدة للتوكيد وفي كلتا الحالتين يكون التوكيد للسجود والدلالة على أهميته وعظمته وجاءت الواو قبلها أيضاً (ومن الليل فاسجد له) ولا يصح أن نقول (واسجد له من الليل) لأنها تفوت أهمية السجود (لِإيلَافِ قُريْشِ (١) إيلَافِهِمْ رِخْلَةَ الشَّتَاء وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيعْبُلُوا رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) قريش) وقوله تعالى (وربّك فكبّر) فلا يصح التقديم بدون الفاء. أفاد النقديم الدلالة على أهمية السجود ومنزلته ويفيد الإهتمام وهو الذي يُسوّغ إدخال الفاء في كل أحوالها تدل على عظم منزلة السجود.

وعندما أوصى تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يقوم الليل (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) المزمل) هنا أخّر الليل كما يقتضي الترتيب النحوي فلماذا لم يأتي بمثل ما جاء في آية سورة الإنسان؟

هذا الأمر في سورة المزمل جاء في أو ائل الرسالة ثم لمّا اشتد الأمر أصبح فيه مشقة ويحتاج إلى صبر كما في سورة الإنسان وهذا في مرحلة متقدمة من الرسالة. والقرآن يبدأ شيئاً فشيئاً وكلمة تبتّل يفيد التدرج في العبادة وتبتّل تبتيلا، وتبتيل مصدر الفعل بتّل وهو دلالة على التكثير مثل جرّح تجريح وتجرّع فأمر الله تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – أن يبدأ بالتدرج وينتهى بالكثرة.

- قوله (إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا) (٢٧)

ما هي العاجلة؟ ولم قال ويذرون وراءهم مع أن اليوم أمامهم؟

العاجلة هي الدنيا كما هو معروف يعيشون فيها ويتعجّلون أمرها. ويذرون وراءهم لأنهم نبذوه وراءهم لو عناه أمرهم لجعلوه أمامهم لكنهم تركوه وراءهم هكذا يقول قسم. وفي استعمال العرب لكلمة وراءهم يذكرون أنها تأتي بمعنى أمامهم كما في قوله تعالى (وكان وراءهم ملك) الخرق كان بعد أن ركبوا في السفينة ولو تركوه وراءهم لكانوا نجوا منه. وراءهم تستعمل لمن كان طالباً لك وهو أمامك كما نقول باللغة العامية (وراءك امتحان) ليست بمعنى خلفك لكنه يطلبك. إذن العرب تستعمل وراءك بمعنى أمامك إذا كان يطلبه.

فقوله تعالى (ويذرون وراءهم) بمعنى تركوه وهو يطلبهم وليسوا بفارّين منه. واللمسة البيانية في التعبير بـــ " وراء " بمعنى أمام لأن كلمة " وراء " فيها معنى الطلب كما يطلب الغريم غريمه (لا مفر منه طالباً له).

في سورة القيامة قال تعالى (كلًا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) القيامة) فذكر العاجلة وذكر (وتذرون الآخرة) فلماذا قال في سورة الإنسان يوماً ثقيلاً وفي القيامة قال الآخرة؟

أولاً العاجلة هي نفسها في الآيتين بمعنى الدنيا. أما بالنسبة لاستعمال (يوماً ثقيلا) في سورة الإنسان فلأنه تكرر ذكر اليوم من بداية السورة (يُوفُونَ بالنَّذْرِ وَيَحَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧)) و(إِنَّا نَحَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا حَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠)) و(فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيُومِ وَلَقَاهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا (١١)) فالكلام في السورة عن اليوم الذي هو يوم القيامة وهو اليوم الثقيل ثم عندما ينصرف أهل الجنة إلى الجنة لا يكون ثقيلا،. أما الآخرة فهي أعمّ من اليوم. في سورة القيامة جاءت الآيات بالحطاب المباشر (كلًّا بَلْ تُحبُّونَ الْقاجِلَةَ (٢٠) وتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) القيامة) أما في سورة الإنسان فجاءت الآيات باستعمال ضمير الغائب (ويذرون وراءهم) لأن المقام في سورة الإنسان لا يناسب الحطاب المباشر ولا يصح لأنه ذكر أن قسماً ممن ذُكروا في السورة لم يذروا الآخرة (يُوفُونَ بالنَّذْرِ وَيَحَافُونَ يَوْمًا الحَطاب المباشر (لا)) و (ويُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأُسِيرًا (٨)) وقد وقاهم الله شر ذلك اليوم (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَاهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا (١١)) فلا يصح إذن الخطاب فكيف يخاطبهم أجمعين وقسم منهم يفعل الخير حتى يقيهم الله شر ذلك اليوم فالخطاب لا يناسب.

- قوله (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا) (٢٨)

علاقة هذه الآية بما قبلها: قال تعالى في هذه الآية (نحن خلقناهم) وفي الآية السابقة قال تعالى (إنا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلا) وهذا يدل على أن الذي خلقهم وشد أسرهم (نحن) هو الذي أنزل عليهم القرآن (نحن) فينبغي لهم

أن يسمعوا لكلام خالقهم ويطيعوا تنزيله فكأن الآية التي سبقت هي مقدمة لهم بأن يسمعوا ما أُنزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

لماذا تقديم ضمير المتكلم (نحن) عن الفعل (خلقناهم)؟ التقديم له أكثر من سبب وإن كان يجمعها الإهتمام لكن مداراته مختلفة. وهذا تقديم المعمول على العامل (نحن: مبتدأ) و(خلقناهم: خبر) وفي هذه الحالة الخبر جملة فعلية وهذا يفيد القصر في الغالب بمعنى لأنه لم تكن هناك جهة أخرى خلقت أو تشاركه سبحانه في الخلق فهو وحده سبحانه متفرّد بالخلق (بمعنى نحن خلقناهم حصراً) وكذلك قوله تعالى (إنا نحن نزلنا عليك القرآن) تفيد الحصر. فالذي خلقهم حصراً هو الذي نزّل القرآن حصراً فعليهم أن يطيعوه.

أوجه التقديم : يجمع النقديم تحت عبارة: كأنما يقدمون الذي هم ببيانه

وقد يقدّم الأفضل وقد يقدّم المفضول حسب السياق وقد يقدّم كلمة على أخرى في مكان ويؤخرها نفسها في مكان آخر ولكل مقامه في البلاغة.

وشددنا أسرهم: بمعنى أحكمنا خلقهم أي أحكمنا توصيل مفاصلهم وأحكمناها وثبتناها (أي إحكام الربط). والأسر هي المفاصل والعظام وما إلى ذلك. فهو الذي أحكم خلقهم وشد أسرهم وقد قال تعالى في آية أخرى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) وهذا من تمام النعمة على الإنسان ومن تمام النعمة أن يطيعوه، فالخلق نعمة وشد الأسر نعمة وهو القادر أن يفعل ما يشاء (وإذا شئنا بدلنا أمثاهم تبديلا).

سؤال: لماذا جاء قوله (وشددنا أسرهم)؟ ألا يمكن أن يقال نحن خلقناهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم؟

نحن خلقناهم هذا أمر وشددنا أسرهم هذا أمر آخر بعد الخلق وهي نعمة أخرى بعد الخلق ولو لم يقلها لأغفلت نعمة من نعم الله تعالى. فهو تعالى جعلهم أقوياء وهذه نعمة وليس فقط الخلق هو النعمة. مثل قوله تعالى (هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) فهناك عدة أمور بعد الخلق ومن إتمام النعمة أن يشد أسرهم فيكونوا أقوياء وخلفاء في الأرض.

استطراد: القرآن كثيراً ما يستعمل الفعل (شدّ) ومضاعفاته مثال قوله تعالى (واشدد به أزري) فهل للفعل شدّ دلالة خاصة في اللغة؟

شدّ في اللغة بمعنى ربط وأحكم وأوثق وشدّ. وشدّ مضعّف والتضعيف في الغالب فيه قوة وشدّ فعل ثلاثي ليس مزيداً لكن من الناحية الصوتية تجعل حرف في حرف فتعطيه قوة.

سؤال: في أول السورة قال تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) وفي هذه الآية قال تعالى (نحن خلقناهم) فلماذا التوكيد بــــ (إن) في الأولى؟

في أول السورة أكد بـــ(إن) وهنا لم يؤكد لأنه في أول السورة تحدث عن خلق الإنسان بعد أن لم يكن شيئاً مذكورا وهي أصعب من الخلق من أب وأم ثم يضع فيه القابلية على التوالد (وهذه هي البداية) وهي أصعب ثما بعدها (نحن خلقناهم) فهذه تأتي من سلسلة الآباء من الأبناء. هذا أمر والأمر الآخر كونه خلقهم أمر غير منازع فيه عند كفار قريش وكثير من الكفار لو سألتهم من خلقهم ليقولون الله. لكنهم ينازعون في أن الخلق لم يكن ثم كان بمعنى أنه ليس له بداية كما يقول الفلاسفة والدهريون وينسبون الخلق إلى سلسلة الوجود ليس له بداية فينكرون (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر). فالذي ينازع فيه الفلاسفة إذن هو كون هناك بداية للمخلوقات والخلق (سؤ الهم هل هناك بداية؟) وعليه احتاج الأمر إلى توكيد في الآية أول السورة (إنا خلقنا

الإنسان من نطفة أمشاج). وهناك أمر آخر قوله تعالى (نبتليه) ذكر تعالى أن الخلق الأول للإبتلاء وهذا أيضاً أمر منازع فيه وكفّار قريش كانوا ينكرون هذا ويقولون هل خلق الله الإنسان ليبتليه ثم يحاسبه؟ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ مَندُلُكُمْ عَلَى رَجُلِ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزَقِّتُمْ كُلَّ مُمَزَّق إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقِ جَدِيدٍ (٧) سبأ) وكثير من الناس ينكرون هذا الأمر أيضاً حتى لو اعتقدوا فعلاً أن الله هو خالقهم. ونلاحظ من كل ما ذكرنا أن الآية في أول السورة احتاجت إلى توكيد فجاء بـــ (إن) في قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) وهو الخلق الأول والبداية و خُلق للإبتلاء وكلها تقتضي التوكيد بخلاف الآية الثانية (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم).

- قوله (وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا) .

جاء هنا بـــ (إذا دون (إن) وكما سبق وذكرنا في حلقات سابقة أن استعمال (إذا) يكون للقطع لكثير الوقوع وللمتيقن وقوعه بخلاف (إن) التي تستعمل إذا كان هناك احتمال للوقوع أو المشكوك في وقوعه. واستعمال (إذا) هنا يدل على أن الله تعالى سيبدّل أمثالهم ويأتي بأناس مؤمنين مكانهم فالمشيئة حاصلة وقد تمّت.

- قوله (هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبيلًا) (٢٩)

باختصار هذه الآية هي نظير قوله تعالى (إنا هديناه السبيل) فالتخيير هنا كالتخيير هناك. فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا مكان شاكراً ومن لم يفعل ذلك يكون كفورا.

- قو له ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٣٠)

إن مشيئتكم واختياركم كان بمشيئة الله تعالى ولو لم يرد الله تعالى ذلك لما أعطى هذا الإختيار.

- قوله (يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (٣١)

ما دلالة هذه الآية وربما يكون هناك من لا يستحق رحمة الله تعالى؟

ذكر تعالى أمرين يرفعان هذا الإحتمال:

الأمر الأول : أنه قال الله تعالى قبل هذه الآية (إن الله كان عليماً حكيما) يفعل ذلك لعلمٍ وحكمة و لا يفعل سبحانه إلا لحكمة. ومعناها أنه لا يُدخل في رحمته إلا من علم سبحانه أنه يستحق.

والأمر الآخر: قال بعدها (والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما) استثنى سبحانه من دخول رحمته الظالمين. فقوله تعالى يُدخل من يشاء في رحمته استثنى الظالمون ولا يُدخل سبحانه إلا من يستحق واقتضاه العلم والحِكمة.

سؤال: لماذا جاءت كلمة الظالمين منصوبة؟ هذا يسموه الإشتغال في باب النحو ، وكلمة الظالمين مفعول به مقدّم لفعل إما أن يكون من نفس الفعل أو أن يكون بمعناه كأن نقول مثلاً زيداً سلّمت عليه بمعنى حييت زيداً سلّمت عليه لأن فعل سلّم لا ينصب مفعولاً به. وكذلك قوله تعالى السماء رفعها بمعنى رفع السماء رفعها. فإذا كان الفعل يصح أن يتسلّط على الأول يُقدّر نفسه وإذا كان لا يصح يقدّر ما هو قريب منه. فالنصب هنا من باب الإشتغال وله أغراض عديدة وربما نفرد له حلقة خاصة لاحقاً.

سؤال: يقول تعالى في أول السورة (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا) وفي هذه الآية قال تعالى (والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما) فهل هذا يدل على أن العذاب الأول أشد من الثاني؟

في الآية الأولى قال تعالى (للكافرين) وهنا قال (للظالمين) وليس بالضرورة أن يكون الظالم كافراً، فكل كافر ظالم وليس بالضرورة أن يكون الظالم كافراً. قال الله تعالى (والكافرون هم الظالمون) إذن قطعاً لا بد أن يكون العذاب الأول أشدّ لأنه ذكر الكافرين صراحة وهنا عمّم صراحة فقال الظالمين فمنهم الكافر فيشمله الأول ومنهم من هو

غير الكافر فيشمله العذاب الخاص به. والظلم في القرآن جاء في موضع الشرك (إن الشرك لظلمٌ عظيم) والظلم في القرآن قد يكون حتى في الأشياء الخفيفة كما قال الله تعالى (ربنا ظلمنا أنفسنا) و (رب إني ظلمت نفسي) فالظلم يأتي من أشياء قليلة وقد يصل إلى الشرك الأكبر. وكل مشرك ظالم لكن ليس كل ظالم كافر ولهذا اختلف العذاب حسب الدرجة.

ارتباط خاتمة السورة ببدايتها:

بدأت السورة بالإنسان وهو لم يكن شيئاً مذكورا وانتهت بخاتمة هذا الإنسان ومصيره فبدأت ببدئه وخُتمت بخاتمته ومصيره فكأنها رحلة الإنسان وهو الإنسان وهو الإنسان وهو ألينسان وهو في الحياة وهو يخاف من ربه ويخاف من اليوم الآخر وهذه هي رحلة الإنسان. إذن سورة الإنسان بدأ بالإنسان وقبل بدئه وانتهت بخاتمته ومصيره وكأنها تمثّل عمر الإنسان.

وأمر آخر هو أنه تعالى في أول السورة ذكر الشاكر والكفور وفي خاتمتها ذكر المرحوم (يُدخل من يشاء في رهمته) والمعذُب (والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما).

الخطوط التعييرية في السورة:

الواضح في هذه السورة ألها بُنيت على التثنية ووردت الأشياء فيها صنفين على سبيل المثال:

* ذكر صنفين من الناس: الشاكر والكفور، وفي آخرها ذكر المرحوم والمعذّب.

* ذكر صنفين من العذاب: القيود والسعير.

* وذكر صنفين من القيود: السلاسل و الأغلال.

* وذكر صنفين من أصحاب الجنة: الأبرار وعباد الله السابقين.

* وذكر نوعين من الشراب الممزوج: الممزوج بالكافور والممزوج بالزنجييل.

* وذكر نوعين من العبادات الظاهرة: الوفاء بالنذر والإطعام.

* وذكر نوعين من العبادات القلبية: الخوف (نخاف من ربنا) والإخلاص (إنما نطعمكم لوجه الله).

* نفى المُطعمون عن أنفسهم أمرين: الجزاء (وهو المكافأة بالفعل) والشكور (الثناء باللسان).

* لقَّاهم شيئين: النضرة (وتكون في الوجه) والسرور (في القلب).

* جزاهم الله تعالى بصبرهم شيئين: الجنة (للأكل) والحرير (للبس).

* ونفى عنهم رؤية شيئين: الشمس والزمهرير.

* وذكر دنو شيئين منهم: الظلال والقطوف.

* ذكر الطواف بشيئين: الآنية والأكواب.

* ذكر الشُرب بصورتين: من الكأس ومن العين.

* وذكر نوعين من الشرب من الكأس: شرب بساقي وشرب بدون ساقي.

* ذكر نوعين من الثياب: سندس واستبرق.

* ذكر نوعين من الزينة: لباس وأساور.

* ذكر لهم شيئين: جزاء وسعيكم مشكورا.

- * لهي عن إطاعة صنفين من الناس: الآثم والكفور.
- * طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة والتسييح في النهار والليل.
 - * ذكر وقتين: بكرة وأصيلا.
 - * ذكر عبادتين في الليل: السجود والتسييح.
 - * ذكر حياتين: الدنيا (العاجلة) والآخرة.
 - * وذكر الحبّ والترك (يحبون ويذرون).
 - * ذكر أمرين من أمر الإنسان: الخلق وشدّ الأسر.
- * ذكر مشيئتين: مشيئة الله تعالى ومشيئة الإنسان (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله، ويخل من يشاء في رحمته).
 - * ختم بصنفين من الناس: المرحوم (يُدخل من يشاء في رحمته) والمعذّب (والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليما).

والسورة فيها خط آخر: أنه يذكر الأحداث المستقبلية بالفعل الماضي: (إنا أعتدنا للكافرين) (كان مزاجها) (كان شره مستطيرا) (فوقّاهم) (ولقّاهم) (وجزاهم) و(ذُللت) (كانت قواريرا) (قدّروها) (حُلّوا) (سقاهم) (كان لكم جزاء) (كان سعيكم) (أعدّ لهم).

هل للتعبير عن المستقبل بالفعل الماضي دلالة بيانية محددة في اللغة؟

العرب والقرآن يُعبّرون عن الأحداث الماضية بفعل مضارع وعن الأحداث المستقبلية بفعل ماضي. والتعبير عن الأحداث المستقبلية بالفعل الماضي دلالة على أن هذا الأمر واقع وهو بمنزلة ما مضى من الأفعال. فلا شك في وقوع حدث ماضي لأن الفعل الماضي لا شك في حدوثه فهذه الأحداث المستقبلية وإن كانت مستقبلة فهي بمنزلة ما مضى من الأفعال ولا شك بوقوعها. فكما أن الفعل الماضي حصل ووقع فهذه بدلالة ما وقع وحصل. كما في قوله تعالى روسيق الذين كفروا) وكذلك قوله (ونادى أصحاب الأعراف). فهذه الأحداث المستقبلية هي من التحقق بمنزلة ما مضى من الأفعال.

وبالمقابل له أكثر من غرض متى يستعمل الفعل الماضي في المضارع؟ قال تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء) حكاية الحال الفعل الماضي تضفي عليه الحركة والحيوية وتجعله كأنه معاصر خاصة في الأمور المهمة. وقال تعالى (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل) لم يقل قتلتم وهذا من باب التشنيع على الفعل فعنلما تكون الأمور مهمة التي تحتاج إلى جعلها صورة معاصرة لأن الإنسان يتفاعل مع الصور الحيّة معه القريبة منه وهي ليست كالأحداث الماضية البعيدة عنه، فقد نسمع أحداث ماضية ولا نتفاعل معها لكننا بالتأكيد نفاعل مع حادثة قتل أمامنا مثلاً. فالعرب عموماً إذا أرادوا حكاية الحال ليعبّروا عن الأحداث الماضية يجعلونها حيّة. ويقول النحاة إما ينقلك إلى الحدث أو ينقل الحدث اليك. وكالاهما تعبير عن الأفعال الماضية بالفعل للضارع ويدخل في زمن الفعل. وللفعل أزمان متعددة وللفعل الماضي وحده ١٦ زمن وما يُدرس في المدارس والجامعات هو زمن واحد أي الماضي فقط. المنادة في السورة فما فائدة التضاد في اللغة؟ التضاد يُبرز المعنى ويوضحه. والشيء يُظهر حسنه الضدّ.

في سورة الليل

قوله: (والليل إذا يغشى - والنهار إذا تجلى - وما خلق الذكر والأنثى - إن سعيكم لشتى -) ما الحكم البياني في استخدام بالفعل للضارع (يغشى) مع الليل والفعل الماضي (تجلى) مع النهار؟ سورة الليل تبدأ بقوله تعالى (والليل إذا يغشى) هو سبحانه أقسم بالليل وقت غشيانه ونلاحظ أن المفعول لفعل يغشى محنوف فلم يقل سبحانه ماذا يغشى الليل، هل يغشى النهار أو الشمس لأنه سبحانه أراد أن يطلق المعنى ويجعله يحتوي كل المعاني المحتملة. (والنهار إذا تجلى) أي كشف وظهر.

واستعمال صيغة المضارع مع فعل يغشى هو لأن الليل يغشى شيئاً فشيئاً بالتدريج وهو ليس كالنهار الذي يتجلى دفعة واحدة بمجرد طلوع الشمس. أي أن عملية الغشيان تمتد ولذا احتاج الفعل لصيغة المضارع، أما النهار فيتجلى دفعة واحدة لذا وجب استخدام صيغة الماضي مع الفعل تجلى. والآيات هنا مشابحة لآيات سورة الشمس في قوله تعالى: (والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها) فصيغة الأفعال متعلقة بالتجلى والغشيان.

- قوله (وما خلق الذكر والأنثي)

ما حكم (ما) في هذه الآية؟

هناك احتمالان لمعنى (ما): الأول أن (ما) اسم موصول بمعنى الذي. ويعتقد الكثيرون أن (ما) تستخدم لغير العاقل فيقولون (ما) لغير العاقل و(من) للعاقل ولكن الحقيقة أن ما تستعمل لذات غير العاقل كما في قوله: (يأكل مما تأكلون منه ويشر مما تشربون) ولصفات العقلاء كما في قوله: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) (ونفس وما سواها) ويؤتى بما في النفخيم والتعظيم في صفات العقلاء، ولذلك قال تعالى (وما خلق الذكر والأنثى) ويعني به ذاته العلية.

ويحتمل أن تكون مصدرية بمعنى (وخلق الذكر والأنثى) أي أنه سبحانه يقسم بخلق الذكر والأنثى وليس بالخالق ، وعليه فإن (ما) تحتمل أمرين إما أن الله عز وجل يقسم بذاته أو أنه يقسم بفعله الذي هو خلق الذكر والأنثى. فلو أراد تعالى أن ينص على أحد المعنيين لجاء بذلك ولقال سبحانه (والذي خلق الذكر والأنثى) وتأتي ما بمعنى اسم موصول كما سبق أو قال سبحانه (وخلق الذكر والأنثى) لتعطي معنى القسم بالفعل الذي هو خلق الذكر والأنثى، ولكن الصورة التي جاءت عليها الآية تفيد التوسع في المعنى فهي تفيد المعنيين السابقين معاً وكلاهما صحيح.

فيبقى مجال الترجيح في الجيء هنا بــ (ما) والاحتمال هو مقصود لإرادة أن يحتمل التعبير المعنيين الخلق والخالق، كلاهما مما يصح أن يقسم به خلقه والخالق وربنا سبحانه يقسم بخلقه ويقسم بذاته. و لو أردنا أن نرجح لقلنا أن القسم هنا القسم هنا القسم بالخالق والله أعلم . (وما خلق الذكر والأنثى) لم يقسم بللخلوق وإنما اقسم بالمصدر (أي خالق الذكر والأنثى) أما الليل والنهار فهما مخلوقان فإذا أردنا المخلوق نؤل المصدر بالمفعول أحياناً فيصبح تأويل بعد تأويل أحياناً يطلق على المصدر ويطلق على الذات مثال: (هذا خلق الله فأرويني ماذا خلق الذين من دونه) أحياناً يراد بالمصدر الذات. والخلق ليس مثل الليل والنهار.

مثال: زرعت زرعاً في اللغة العربية زرعاً هي للصدر وأحياناً يضع العرب المصدر موضع الذات كقوله (نخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم) فالزرع هنا أصبح الذات وليس المصدر.

سؤال: يقول السيد مصطفى ناصف في السياق اللغوي أن السياق هو الحقيقة الأولى والكلمة خارج السياق لا تفي

بشيء وفائدة السياق اللغوي انه يحول معنى الكلمة من التعدد والاحتمال إلى التحديد والتعيين. فلماذا لم يحدد ربنا في هذه الآية معنى (ما) ولم يترك المعنى هكذا بدون تحديد؟

جواب: هناك مبدأ عام في اللغة العربية: الجمل في اللغة على نوعين:

-ذات دلالة محددة معينة قطعية (أحل الله البيع وحرم الربا) ..

-ذات دلالة احتمالية (اشتريت قدح ماء) هنا تدل الجملة على احد أمرين:

إما أن أكون اشتريت القدح.

وإما أن أكون اشتريت ماء بقدر قدح. .

فإذا قلنا (اشتريت قدحاً ماءً) دلت الجملة على معنى واحد قطعي أني اشتريت الماء قطعاً ولا يحتمل أن تكون اشتريت القدح بتاتاً ...

ومثال ذلك أيضاً لا النافية للجنس فهي قطعية كقولنا: لا رجل حاضر، فإذا قلنا: لا رجلاً حاضراً تحتمل الجملة إما نفى الجنس (الرجال) أو نفى الوحدة (ولا حتى رجل واحد حاضر)

وفي تحديدنا لهذه المعاني للجمل يجب مراعاة ما يريد المتكلم البليغ هل يريد الاحتمال أو القطع فالذي يريد الاحتمال له غوض من إرادة الاحتمال والذي يريد القطع له غرض من إرادة القطع وهنا تنفاوت البلاغة فالمتكلم البليغ يختار الجملة التي تؤدي المعنى الذي يريده. فالسياق لا يمكن أن يؤدي إلى بيان المقصود لأن المقصود قد يكون هو الاحتمال بحد ذاته في القرآن يحذف حرف الجر وقد يكون هناك أربع احتمالات ومع هذا حذف الحرف لأن هذا ما أراده الله تعالى .

قوله (وما خلق الذكر والأنشى -)

ما المراد بالذكر والأنثى هنا؟

قسم من المفسرين قالوا إن الذكر هنا هو الجنس البشري وقسم آخر قال انه كل ذكر أو أنشى من للخلوقات جميعاً بلا تحديد وهذا الذي يبدو على الأرجح لأن سياق الآيات كلها في هذه السورة في العموم والله اعلم.

قوله: (إن سعيكم لشتى -)

ما علاقة القسم (والليل إذا يغشى...) بمذا الجواب؟

منذ بداية السورة أقسم الله تعالى بأشياء متضادة: يغشى ، يتجلى، الذكر، الأنثى، الليل، النهار فجواب القسم شتى يعني متباين لأن سعينا متباين ومتضاد فمنا من يعمل للجنة ومنا من يعمل للنار فكما أن الأشياء متضادة فان أعمالنا مختلفة ومتباينة ومن هذا نلاحظ أنه سبحانه أقسم بهذه الأشياء على اختلاف السعي (إن سعيكم لشتى) واختلاف الأوقات (الليل والنهار) واختلاف الساعين (الذكر والأنثى) واختلاف الحالة (يغشى وتجلى) واختلاف مصير الساعين (فأما من أعطى ... وإما من بخل واستغنى)

قوله: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى – وَالنَّهَارِ إِذَا تَجْلَى – وَمَا خَلَقَ الذَّكُو وَالْأَنْثَى – ﴾

لماذا هذا الترتيب؟ نلاحظ أن الله تعالى بدأ بالليل قبل النهار لأن الليل هو اسبق من النهار وجوداً وخلقاً لأن النهار جاء بعد خلق الأجرام وقبلها كانت الدنيا ظلام دامس والليل والنهار معاً اسبق من خلق الذكر والأنثى وخلق الذكر اسبق من خلق الأنثى (خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) فجاء ترتيب الآيات بنفس ترتيب الخلق:

الليل أولاً ثم النهار ثم الذكر ثم الأنثى وعلى نفس التسلسل.

ما الحكم في عدم استخدام كلمة الزوجين في الآية (وما خلق الزوجين الذكر والأنشي)؟

كما يأتي في معظم الآيات التي فيها الذكر والأنشى كقوله تعالى: (فجعل منه الزوجين الذكر والأنشى) (سورة القيامة) وقوله: (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنشى)(سورة النجم) وإنما قال: (وما خلق الذكر والأنشى) بحذف الزوجين؟

إذا استعرضنا الآيات في سورة القيامة نرى أن الله سبحانه وتعالى فسر تطور الجنين من بداية (ألم يك نطفة) إلى قوله (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) فالآيات جاءت إذن مفصلة وكذلك في سورة النجم (وأنه هو اضحك وأبكى – إلى قوله – انه خلق الزوجين الذكر والأنثى). لقد فصل سبحانه مراحل تطور الجنين في سورة القيامة وفصل القدرة الإلهية في سورة النجم أما في سورة الليل فإن الله تعالى أقسم بلا تفصيل هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قوله تعالى (إن سعيكم لشقى) يقتضي عدم التفصيل وعدم ذكر الزوجين. لماذا؟ لأن كلمة الزوج في القرآن تعني المثيل كقوله تعالى (وآخر من شكله أزواج) وكلمة شتى تعني مفترق لذا لا يتناسب التماثل مع الافتراق فالزوج هو المثيل والنظير وفي الآية (إن سعيكم لشقى) تفيد التباعد فلا يصح ذكر الزوجين معها. الزوج قريب من زوجته مؤتلف معها (لتسكنوا إليها) وكلمة شتى في الآية هنا في سورة الليل تفيد الافتراق. فخلاصة القول إذن إن كلمة الزوجين لا تتناسب مع الآية (وما خلق الذكر والأنثى)من الناحية اللغوية ومن ناحية الزوج والزوجة لذا كان من الأنسب عدم ذكر كلمة الزوجين في الآية.

هل يستوجب القسم في السورة هذا الجواب (إن سعيكم لشتي)؟

المقصود في السورة ليس القسم على أمر ظاهر أو مشاهد مما يعلمه الناس ولكن القسم هو على أمر غير مشاهد ومتنازع فيه والله تعالى أوضح القسم (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) هذا الأمر متنازع فيه وأكثر الخلق ينكرونه (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) عموم الخلق لا يعلمون (فأما من أعطى...) ويتنازعون فيه. والسعي هنا لا يدل على السعي في أمور الدنيا من التجارة والزراعة والصناعة وغيرها وأن السعي للآخرة. وكذلك قال تعالى (سعيكم) وكأنه يخاطب المكلفين فقط وليس عامة الناس ولذا أكد باللام أيضاً في (لشتى) ولم يقل إن السعى لشتى.

- قوله: (فأما من أعطى واتقى - وصدق بالحسنى - فسنيسره لليسرى -) لماذا لم يذكر المفعولين لفعل أعطى؟

إذا تدارسنا سورتي الليل والشمس لوجدنا أن القسم في سورة الليل وجواب القسم مطلق (والليل إذا يغشى - والنهار إذا تجلى - وما خلق الذكر والأنثى -) كلها مطلقة فلم يقل ماذا يغشى الليل ولم يحدد الذكر والأنثى من البشر وكذلك جواب القسم في سورة الليل (إن سعيكم لشتى) مطلق أيضاً وكذلك (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) أطلق العطاء والاتقاء والحسنى.

أما في سورة الشمس (والشمس وضحاها – والقمر إذا تلاها – والنهار إذا جلاها – والليل إذا يغشاها – والسماء وما بناها – والأرض وما طحاها – ونفس وما سواها – فألهمها فجورها وتقواها – قد افلح من زكاها – وقد خاب من دساها – كذبت ثمود بطغواها – . .) في هذه الآيات تحديد واضح فقد قال تعالى يغشاها وجلاها وكذلك حدد في (ونفس وما سواها) خصص بنفوس المكلفين من بني البشر وكذلك في (كذبت ثمود بطغواها) محددة ومخصصة لقوم ثمود.

فكأنما سورة الليل مبنية كلها على العموم والإطلاق في كل آياتها. وقد أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء (الليل والنهار وخلق الذكر والأنثى) وذكر ثلاث صفات في المعطي (أما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) وثلاث صفات فيمن بخل (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى)

في الآية (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) لم يذكر المفعولين المعطى والعطية والمراد بهذا إطلاق العطاء فلم يذكر المعطى أو العطية لأنه أراد المعطي والمقصود إطلاق العطاء سواء يعطي العطاء من ماله أو نفسه فقد يعطي الطاعة والمال ونفسه كما نقول يعطي ويمنع لا نخصصه بنوع من العطاء ولا بصنف من العطاء. وقد يرد في القرآن الكريم مواضع فيها ذكر مفعول واحد المراد تحديده وحذف مفعول يراد إطلاقه كقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) و (إنا أعطيناك الكوثر) أما في سورة الليل فحذف المفعولين دليل على العموم والإطلاق.

فعل أعطى هو فعل متعدي و لازم فهل نقول على هذا الفعل أن السلوك الخاص به في الجملة سلوك لازم أي فعل متعدي أم حذف مفعول؟ قسم يقول أنه هذا حذف وقسم يقول عدم ذكر. حذف عندما يقتضي التعبير الذكر، مثل جملة الصفة لا بد أن يكون فيها ضمير يعود على الموصوف (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) ويمكن أن نحذف كما في قوله تعالى: (واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا) هذا حذف. العائد للذكر فإذا حذف نقول محذوف كقوله: (ذرين ومن خلقت وحيدا) حذف الهاء في (خلقته). فيما عدى الذكر تنزيل المتعدي منزلة اللازم: لا يحتاج إلى مفعول (إن في ذلك لآيات لقوم يعلمون) أو لقوم يفقهون، يسمعون، لا يحتاج هنا إلى مفعول و لا يريد أن يقيد العلم بشيء. وفي قوله: (لم تعبد ما لا يسمع و لا يبصر و لا يغني عنك من الله شيئاً) أراد أصل المسألة فلم يرد عنك بغناءً و شيئاً من الأشياء؟ كل واحدة لها معنى وليست الأولى كالثانية.

كذلك الفعل (اتقى). معنى اتقى هو احترز وحذر. والفعل اتقى هنا يراد به الإطلاق أيضاً ولم يقيده سبحانه بشيء فقد يقول (اتقوا النار أو اتقوا يوماً) ولكن هنا جاء الفعل مطلقاً. فأما من أعطى واتقى تدل على أنه اتقى البخل.

الحسنى: اسم تفضيل وهو بمعنى تأنيث الأحسن كما نقول (العليا – الأعلى، الدنيا – الأدنى) والحسنى هو وصف مطلق لم يذكر له موصوف معين. وصدق بالحسنى معناها أنه صدق بكل ما ينبغي التصديق به قسم يقول إلها الجنة وقسم يقول الحياة الحسنى و آخر الكلمة الحسنى (لا إله إلا الله) أو العاقبة الحسنى في الآخرة وقسم يقول إلها العقيدة الحسنى ولكنها في الحقيقية تشمل كل هذه المعاني عامة، فكما حذف مفعولي أعطى و اتقى للإطلاق أطلق الحسنى بكل معانيها بحذف المفعول وحذف الموصوف. ولو أراد سبحانه أن يعين الموصوف لذكره وحدد الفعل كما في قوله (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) ولكنه أطلق لتتناسب مع باقي الآيات في السورة، فإذا أراد أن يطلق حذف.

لماذا الترتيب على النحو التالي: (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره للحسني)؟

هناك أكثر من سبب لذلك فقد قال قسم من المفسرين أن النقديم في سبب النزول لأن هذه الآيات نزلت في شخص فعل هذه الأفعال بهذا التسلسل وقالت جماعة أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه و أخرى قالت إنها نزلت في على بن أبي طالب رضى الله عنه .

وترتيب العطاء ثم الاتقاء لأنه سبحانه بدأ بالأخص ثم ما هو أعم ثم ما هو أعم. كل معط في سييل الله متقي ولكن ليس كل معطي فالمعطي إذن أخص من المتقي. وكل متق مصدق بالحسني لكن ليس كل مصدق بالحسني متق

لذا فالمتقى أخص من المصدق بالحسني وعلى هذا كان الترقى من الأخص إلى الأعم.

إن سعيكم لشتى والسعي هو العمل وأقرب شيء للسعي هو العطاء. أما الإتقاء ففيه جانب سعي وجانب ترك كترك المحرمات وعلى هذا نلاحظ أن الآيات رتبت بحيث قربها من السعي أي بتسلسل العطاء ثم الاتقاء ثم التصديق وهو الأقل والأبعد عن السعي.

- قوله (وما خلق الذكر والأنثى - إن سعيكم لشتى -)

المجتمع يتكون من الذكر والأنثى وأهم شيء يقدمه الإنسان للمجتمع هو العطاء ؛ فهو إذن الدعامة الأولى لبناء المجتمع فعلى الإنسان أن يكون معطياً لا آخذاً وهذا يعني التآزر والتكافل ثم يلي ذلك الإتقاء وهو أن يحذر من الإساءة إلى الآخرين كما يحذر أن يضع نفسه في موضع الإساءة (أي يقي نفسه ويحفظ مجتمعه الذي هو فيه) لذا يأتي الإتقاء بعد العطاء. أما التصديق بالحسني فهي من صفات المجتمع المؤمن وهي من الصفات الفردية فالمصدق بالحسنى لا يفرط في حقوق الآخرين . وعلى هذا الأساس قدم الله تعالى ما هو أنسب للمجتمع عامة: العطاء ثم الإتقاء ثم التصديق بالحسنى.

- قوله (فأما من أعطى واتقى - وصدق بالحسنى - فسنيسره لليسرى -) ما معنى (فسنيسره لليسرى)؟

اليسرى في اللغة: هي تأنيث الأيسر مضاد الأعسر أو الأشق، يقال الأمر اليسير والأمر العسير، فاليسرى هو اسم تفضيل من الدرجة الثالثة أي أعلى درجات التفضيل.

الحكم النحوي لليسرى: إذا كان اسم التفضيل مجرداً من (أل) أو الإضافة أو مضاف إلى نكرة يصح التذكير (استخدام صيغة المذكر) فيقال أفضل رجل وأفضل امرأة ، أما إذا أضيف الاسم إلى معرفة جاز فيه المطابقة وعدم المطابقة، فإذا عرف بـــ(أل) وجبت المطابقة إلا إذا لم يسمع أو لم يرد عند العرب. يقال: النار الكبرى. استخدام كلمة اليسرى جاء بالدرجة العليا من التفضيل من ناحية ونلاحظ انه ذكر الصفة ولم يذكر الموصوف ولو أراد أن يقيد أو يحدد أمراً محدداً لذكر وقال مثلاً الخلة اليسرى أو العاقبة اليسرى أو غيره تماما كما جاء في الاستخدام المطلق لكلمة الحسنى في الآية السابقة كما ورد ذكرها آنفاً.

واليسرى يطلق على كل ما هو الأيسر سواء من أعمال الدنيا أو الآخرة ، واليسرى تدور حول ثلاث محاور:

الأول: أن يبسر على غيره أمورهم ويسعى في حاجتهم ويعينهم ويغيثهم ويعطيهم بمعنى يسر الله لخير غيره. والمحور الثاني أنه تتيسر أموره كلها فتكون سهلة وميسرة عليه فيما يريد من أي ضيق وحالة تصيبه مصداقاً لقوله تعالى: (يجعل له من أمره يسرا)، والمحور الثالث هو الآخرة بمعنى أن الله تعالى ييسره لدخول الجنة بيسر وسهولة وهذه عاقبة المحورين الأولين. إذن هي ثلاثة محاور تندرج تحت (فسنيسره لليسرى) وهذا مفهوم الآية.

ورد في القرآن (ونيسرك لليسرى) وهنا جاءت الآية (فسنيسرك لليسرى) لماذا هذا الاختلاف؟

السين في اللغة تفيد الاستقبال عند النحاة بالإجماع ، وكثير منهم يذهب إلى أن السين تفيد التوكيد (يعني الاستقبال مع التوكيد) السين وسوف يفيدان التوكيد والاختلاف بينهما هو أيهما ابعد زمنا لكن الاثنين يفيدان الاستقبال مع التوكيد وقد بدأ بهذا الرأي الزمخشري ، فالسين إذن هي للاستقبال المؤكد.

في الآية الكريمة (ونيسرك لليسرى) هي خطاب للرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – والرسول أموره كلها ميسرة دائماً في الحال وفي المستقبل لذا قال تعالى: ونيسرك لليسرى. أما في الآية (فسنيسرك لليسرى) فهي جاءت

بعد الآية (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) بمعنى أن التيسير لليسرى في هذه الآية مرتبط بالعطاء والإتقاء والتصديق بالحسنى، فإذا أعطينا واتقينا وصدقنا بالحسنى عندها سبيسرنا الله لليسرى. ما ارتباط (فسنيسرك لليسرى) بما قبلها؟

كما قلنا سابقاً التيسير لليسرى جاء على ثلاث محاور وقد قال تعالى: (فإما من أعطى) مرتبط بالمعنى الأول لأن الذي يعطي ييسر على الآخرين فأعانهم، الإعطاء هنا ينطبق على القسم المحور الأول من محاور التيسير. (واتقى) قال تعالى: (ومن يتق الله يجعل له مخز جا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال تعالى: (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) اتقى هنا تأتي مرتبطة بالمحور الثاني من محاور التيسير أي أن الله تعالى ييسر له أموره كلها. (وصدق بالحسنى) مرتبط بالمحور الثالث لليسرى لأن الله تعالى يجعل له العاقبة الحسنى ويدخله الدار الحسنى (للذين استجابوا لربحم الحسنى) فمن يصدق بالحسنى سيدخل الجنة ييسر وسهولة، فالآية مرتبطة بكل متعلقات (فسنيسره لليسرى).

- قوله (فأما من بخل و استغنى - وكذب بالحسنى - فسنيسره للعسرى -) .

تقابل هذه الصفات ما قبلها في الآية التي سبقت. وقد أورد الله تعالى أمرين: الشيء ونقيضه فقال سبحانه: فأما من أعطى مقابلها فأما من بخل، واتقى مقابلها واستغنى، وكذب بالحسنى مقابل وصدق بالحسنى. والسورة كلها قائمة على التقابل: الليل والنهار، يغشى و تجلى، الذكر والأنثى.. استغنى مقابل اتقى لأن المستغني لا يحذر شيئاً ولا يحترس والاستغناء مدعاة للطغيان كما في قوله تعالى: (إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى) والذي يطغى لا يحذر لأنه لو كان يحذر لما طغى أصلاً والمنقي يحذر ويحترس أما الطاغية فلا يحذر والطغيان مدعاة التعسير على الآخرين. كذب بالحسنى جاءت مقابل صدق بالحسنى، وكذلك جاءت (فسنيسره للعسرى) مقابل (فسنيسره لليسرى) ولم يقل نعسره للعسرى لأنها تفيد الثناء على عكس القصود بالآية أنه يعسر الأمور على غيره وعلى نفسه وفي الآخرة يعسر عليه دخول الجنة.

وفي العسرى كما في اليسرى لم يذكر سبحانه وتعالى موصوفاً فتركها مطلقة وأعسر العسرى هي النار أعاذنا الله منها جميعا. والسورة بكاملها تفيد الإطلاق (يغشى ولم يحدد ماذا يغشى، تجلى ولم يحدد ماذا تجلى، الذكر والأنشى ولم يحدد أهما للبشر فقط أو لسائر للخلوقات، سعيكم لشتى ولم يحدد من عمل صالحاً مثلاً إنما السعي على إطلاقه فخط السورة إذن هو خط الإطلاق والعموم من أولها إلى آخرها. كما أنه لم يحدد الحسنى كذلك لم يحدد اليسرى ولم يحدد العسرى وحتى (من أعطى واتقى) لم يحدد العطاء والاتقاء.

قوله (وما يغني عنه ماله إذا تردى -)

لماذا جاءت هذه الآية عقب الآية السابقة: (فإما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى) ولم تأت آية مثلها عقب الآية: (فأما من أعطى و اتقى وصدق بالحسنى)؟

في الآية ذكر الله تعالى أن الذي بخل، بخل بماله واستغنى من الغنى فلما بخل ذكر (ما يغني عنه ماله) و(ما يغني عنه ماله) وضع المفسرون لها احتمالين: الأول أن تكون نافية والثاني أن تكون استفهامية ومن باب التقريع والتوبيخ. ويسمى هذا في اللغة من باب الاتساع في المعنى، فلو أراد تعالى بالآية معنى الاستفهام لقال تعالى: (ماذا يغني عنه ماله) ولو أراد النفي لقال تعالى: (لم يغني عنه ماله) وإنما جاء سبحانه وتعالى بلفظ يتسع للمعنيين وهو يريدهما معا فكأنما يريد القول ماذا يغني عنه ماله ولم يغني عنه ماله، أي يريد الاستفهام للتوييخ والتقريع والنفي أيضاً ولهذا يضع

سبحانه وتعالى جملة فيها اتساع في المعنى وهذا الأسلوب يتكرر في القرآن فقد يستعمل سبحانه وتعالى ألفاظاً تحتمل معاني عدة قد تصل إلى أربع أو خمس معاني للفظ الواحد وهذا من البلاغة التامة حتى لا تتكرر الآية بمعنى مختلف في كل مرة وإنما يؤتى بما بلفظ معين يتسع لكل المعاني المقصودة. وهذا لا يعني تناقضاً أو عدم تحديد في القرآن كما قد يتبادر إلى أذهان المستشرقين لأن الله تعالى عندما يريد التقييد يأتي بحرف أو كلمة محددة تفيد المعنى المراد كما في قوله سبحانه: (اذكروا الله كثيراً) فقد حدد هنا الذكر الكثير وفي موضع آخر (واذكروا الله كثيراً) لم يرد التقييد ولم يحدد إنما أطلق المعنى.

فالقاعدة أن ننظر ماذا يريد المتكلم البليغ، هل يريد التحديد فهو يحدد. في الآية الكريمة: (ولا تشركوا به شيئا) سورة النساء، آية ٣٦، فيها إطلاق والآية: (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فيها تخصيص. في الآية الأولى لا ندري ما المقصود بـ (شيئا) هل شيئا من الأشياء التي يشرك بما كالأصنام أو الأشخاص أو غيره أو المقصود شيئا من الشرك (شرك أعلى أو شرك أصغر) ولو أراد أن يخصص لقال كما في الآية (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) سورة الكهف، آية ١١، أحدا هنا لا تحتمل غير معناها لأنما محددة. لذا فإن الآية (ولا تشركوا به شيئا) تحتمل المعنين والمراد منها أن لا نشرك بالله شيئا من الشرك أو شيئا من الأشياء كالأصنام والبشر وهذا يسمى اتساع في المعنى. مثال آخر في الآية: (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصلهم عن سبيل الله كثيرا) سورة النساء، آية الآية: (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصلهم عن سبيل الله كثيرا) سورة النساء، آية الكثير ولو أراد سبحانه أحد هذه المعاني فقط لجاء بلفظ يدل على المعنى المطلوب ولحدد وخصص. الكثير ولو أراد سبحانه أحد هذه المعاني فقط لجاء بلفظ يدل على المعنى المطلوب ولحدد وخصص. ما الحكم البياني في استخدام (إذا) بدلا عن (إن): (وما يغني عنه ماله إن تردى) بدل (وما يغني عنه ماله إذا تردى)؟

- للمقطوع بحصوله كما في الآية: (إذا حضر أحدكم الموت) ولا بد أن يحضر الموت، (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) ولا بد للأشهر الحرم من أن تنسلخ، وقوله تعالى: (وترى الشمس إذا طلعت) ولا بد للشمس من أن تطلع وكقوله: (فإذا قضيت الصلاة) ولا بد للصلاة أن تنقضى.
- وللكثير الحصول كما في قوله تعالى: (إذا قمتم إلى الصلاة..) و (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) تفيد الحدوث الكثير.

وإذا جاءت (إذا) و(إن) في نفس الآية تدل (إذا) على الكثير و(إن) على الأقل كما في قوله تعالى: (وإن تعجب فعجب قولهم ءإذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد.) سورة الرعد، آية ٥، والآية: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا) سورة المائدة، آية ٦، فإقامة الصلاة أكثر حلوثا من الجنابة لذا استعملت (إذا) مع إقامة الصلاة و(إن) مع الجنب. والآية: (فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن ما على المحصنات من العذاب) سورة النساء، آية ٢٥. فالحصنات أكثر من اللواتي يأتين بفاحشة مبينة.

(إذا) وردت في القرآن الكريم في ٣٦٣ موقعاً ولم تأت في موقع غير محتمل البتة فإما أن تأتي بأمر مجزوم بوقوعه كما في الآيات التي تصف الآخرة كقوله: (إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت...) وقوله: (إذا السماء انفطرت، وإذا الكواكب انتثرت..) لأن كل آيات الآخرة مقطوع بحصولها، او كثير الحصول كما ورد سابقاً.

(إن) تستعمل لما قد يقع ولما هو محتمل أو مشكوك فيه أو نادر أو مستحيل كما في قوله: (أرأيتم إن جعل الله عليكم

الليل سرمدا) الموقف هنا افتراضي، وقوله: (وإن يرواكسفا من السماء ساقطا..) لم يقع ولكنه احتمال. وقوله تعالى: (انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه..) افتراضي واحتمال وقوعه.

والتردي حاصل والتردي إما أن يكون من الموت أو الهلاك ، أو تردى في قبره، أو في نار جهنم فماذا يغني عنه ماله عندها الوهذه ليست افتراضاً وإنما حصولها مؤكد وهي أمر حاصل في كل لحظة ولهذا السبب جاء بلفظ (إذا) بدل (إن) لأن (إذا) مؤكد حصولها) و(إن) مشكوك فيها أو محتمل حلوثها. وهذه إهابة بالشخص أن لا يبخل أو يطغى أو يكذب بالحسنى ، إذن لا مفر منه فلماذا يبخل ويعسر على الآخرين ويطغى ويكذب بالحسنى؟

- قوله (إن علينا للهدى - وإن لنا للآخرة والأولى -) .

ما هو المعنى العام للآيات وارتباطها بما سبقها وما تلاها من الآيات؟

قوله: (إن علينا للهدى -).

الهدى به جل وعلا.

هذا التعبير (إن علينا للهدى) يحتمل معنين: الأول علينا أن نبين طريق الهدى بمعنى أن الله تعالى يتكفل ببيان طريق الهدى، والثاني أن الهدى يوصل صاحبه إلى الله. طريق الهدى في النتيجة يوصل إلى الله عز وجل (إن ربي على صراط مستقيم) (فمن شاء اتخذ إلى ربه سيبلا) من أراد أن يبغي مرضاة ربه يسلك هذا الطريق ومثلها قوله تعالى (وعلى الله قصد السيبل) والقصد هو استقامة الطريق. فمعنى الآية علينا أن نبين الطريق المستقيم والطريق المستقيم يوصل إلى الله تعالى.

ما الحكم البياني في النقديم والتأخير في الآية (إن علينا للهدى) بدل القول إن الهدى علينا؟ النقديم في هذه الآية يفيد القصر. إن معرفة وتقديم الخبر يفيد القصر. طريق الهدى يبينه الله تعالى فقط وليس هناك معه جهة أخرى، أي أن الهدى يعود إلينا (أي الله تعالى) حصراً وأي هدى من غير طريق الله فهو غير مقبول ومرفوض ولا يوصل إلى الله عز وجل. فالجهة التي تبين طريق الهدى هو الله تعالى حصراً. وقول: إن الهدى علينا يتضمن المعنى السابق لكنه لا ينفى كون جهة أخرى توصل إلى الهدى ولكن الله تعالى حصر

ما الحكم البياني في استخدام التوكيد بـــ(إن) وبـــ(اللام)؟

التوكيد يكون بحسب الحاجة وبحسب إنكار المخاطب للأمر. إذا كان المخاطب يقبل الأمر لا يوجد داعي للتوكيد لكن أكثر الناس يرفضون هذا الأمر لقوله تعالى: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سيبل الله) وهذا الشيء ينازع فيه كثير من الناس في زمن الرسول أو الآن ويرفضون الفكرة وينسبون الهدى لأنفسهم وألهم هم الذين يبينونه وينازعون فيه لذا وجب التوكيد، لذا المسألة تحتاج إلى توكيد بالمعنيين: الهدى علينا حصراً والمعنى الآخر: طريق الهدى هو الطريق الذي يوصل إلى الله. ولو جاءت الآية (إن الهدى لعلينا) هذا يؤكد المعنى الثاني ويؤدي إلى فوات معنى الحصر الأول.

في عموم القرآن هناك ارتباط بين الآيات وما يسبقها أو يليها، (إن علينا للهدى)مرتبطة بما قبلها (إن سعيكم لشتى) لأنه لو ابتغى الناس الهدى عند الله لما تشتت سعيهم ومرتبطة بالآية (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) لأنها من الهدى الذى ييسر ه الله تعالى.

-قوله (و إن لنا للآخرة والأولى -) .

وهذه الآية مرتبطة أيضاً بما قبلها (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى) لأن الذي يعطي وينقي يريد الآخرة فقال الله تعالى (إن لنا للآخرة) والذي يبخل يريد الدنيا فقال تعالى (والأولى) فالآخرة والأولى لله وحده فيجب أن نتبع هدى الله تعالى في الأولى والآخرة. ومرتبطة كذلك بالآية (فسنيسره لليسرى) (فسنيسره للعسرى) لأن التيسير والتعسير إما أن يكونا في الدنيا أو في الآخرة ولله الآخرة والأولى. إذن علينا أن نتبع ما أراد الله منا.

ما الحكم البياني في تقديم الآخرة على الأولى؟

النقديم والتأخير في القرآن عموماً مرتبط بسياق الآيات فأحياناً يقدم المفضول على الأفضل وقد يقدم المتأخر على المتقدم. ولو نظرنا في سياق الآيات في هذه السورة لوجدنا أن الله تعالى قدم الآخرة لنقدم طالبها (فأما من أعطى والقي وصدق الحسني).

في سورة القصص وردت الآية: (فله الحمد في الأولى والآخرة) أي تقدم ذكر الأولى على الآخرة وفي سورة الليل تقدم ذكر الآخرة على الأولى فما الفرق بين الآيتين؟

في سورة القصص سياق الآيات (٧٠ –٧٧) هو في نعم الدنيا من الآية: (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون، قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون، ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيع ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) فالسياق كله في الدنيا وما أودع الله تعالى من النعم في الأولى. فلذا ناسب تقديم الأولى على الآخرة في سورة الفصص. وقال تعالى: (وله الحمد) أيضاً الذي يدل على أن النعم يجب أن تقابل بالحمد والشكر والاختيار ناسب السياق للآيات وهو تذكير للإنسان بنعم الله تعالى في الدنيا ، أما في سورة الليل فقال تعالى (إن لنا للآخرة والأولى) لم يذكر الحمد وقدم الآخرة كما سبق وفصلنا.

والتوكيد بـــ(اللام) في كلمة (للآخرة) فيه اختلاف مع آية سورة النجم (فلله الآخرة والأولى) فما الحكم البياني في هذا التوكيد في سورة الليل؟ التوكيد في سورة الليل جاء مناسباً لسياق الآيات، فسياق الآيات في سورة الليل جاء كله في الأموال وامتلاكها والتصرف فيها (فأما من أعطى) والمعطي لا بد أن يكون مالكاً لما يعطيه، (وأما من بخل واستغنى) والبخيل هو أيضاً مالك للمال لأنه لو لن يكن يملكه فيم يبخل؟ وكذلك الذي استغنى وهو من الغنى ثم ذكر المال (وما يغني عنه ماله إذا تردى) و (الذي يؤتي ماله يتزكى) فالسورة كلها في ذكر الأموال وتملكها والتصرف فيها فلذا ناسب التوكيد باللام هنا لأن الآخرة والأولى من الملك لله حصراً. أما في سورة النجم فسياق الآيات ليس في المال ولا في التملك أصلاً فلم يؤكد باللام.

في الآية جاءت كلمة (الأولى) مقابل (الآخرة) ولم ترد مثلاً كلمة (الدنيا) مقابل (الآخرة) ما الحكم في استخدام الأولى بدل الدنيا؟

الحقيقة أو لاً وللعلم لم يرد في القرآن الكريم كله و لا مرة واحدة لفظ الدنيا مع الآخرة إنما ورد دائماً كلمتي الأولى والآخرة. ولهذا أسبابه البيانية:

الأولى أعم من الدنيا في الاستعمال القرآني وفي اللغة أيضاً. القرآن يستعمل الدنيا لما يحيا فيه الإنسان ويعيش كقوله تعالى: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) و (اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) و (متاع الدنيا قليل)، أما الأولى فتستعمل عامة لما يعلمه الإنسان وما لا يعلمه من أمر السموات والأرض فكلها الأولى. فالأولى إذن أوسع من الدنيا. ولما أراد الله تعالى أن يذكر سعة الملك في سورة الليل ناسب أن يأتي بكلمة الأولى التي هي أعم وأوسع.

الثاني أن كلمة الدنيا نفسها هي مؤنث الأدنى ومن معانيها الأقرب والأخس والدون والأقل كما في قوله تعالى رأتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) فلما أراد الله تعالى أن يذكر في سورة الليل سعة ملكه وعظمته لم يناسب ذكر كلمة الدنيا التي قد تحتمل في معانيها (الدون أو الأقل). إذن كلمة الدنيا لا تناسب هنا من حيث الدلالة اللغوية واشتقاقها ومن حيث السياق أيضاً.

- قوله (فأنذرتكم ناراً تلظى - لا يصلاها إلا الأشقى - الذي كذب وتولى -) .

هذه الآيات مرتبطة بقوله تعالى (إن علينا للهدى* وإن لنا للآخرة والأولى) لأن هذا من الهدى ، أنذرنا هو من الهدى الذي ينبه الله تعالى منه (إن علينا للهدى) وهذا في الآخرة فهي مرتبطة بـ (وإنا لنا للآخرة). وفي سورة الليل ذكر الله تعالى الإنذار ولم يذكر التبشير ولذلك اقتصر على ذكر النار ولم يذكر الجنة لأن ذكرها تبشير وليس هنا مقام التبشير. كما ذكر للأشقى صفتين: التكذيب والتولي، (الذي كذب وتولى) كذب: بمعنى كذب بكل مفردات الإيمان، وتولى بمعنى أدبر عن الطاعات واشتغل بالمعاصي. فجاءت كذب مقابل (وصدق بالحسنى) و تولى وقابل (أعطى واتقى) لأن عدم العطاء من التولي. وهذه الآية (لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى) توكيد للآية السابقة (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى) وهي أعم منها أيضاً لأن التولي أعم من البخل والاستغناء فالتولي لا يقتصر على البخل والاستغناء إنما هو تولى عن كل الطاعات وإدبار عنها عموماً. وكذّب أعم من (كذّب بالحسنى) لأنه كذّب بالحسنى و بغير الحسنى.

إذن لما عمّ السوء وانتشر أصبحت العاقبة أشد من الأولى و لما كان هذا أعم كانت العاقبة أسوأ لأن الأول بخل واستغنى وكذب بالحسنى وهذا كذب عموما وتولي عام لذا كان يجب أن تكون العقوبة أسوأ، أولاً وصفه بالأشقى وذكر أن له ناراً تلظى أما في الآيات السابقة اكتفى بـــ (فسنيسره للعسرى) وهذه العاقبة أخف.

ما الحكمة في الإتيان بفعل (فأنذرتكم) بصيغة الماضي وقد ورد هذا الفعل بصيغة المضارع في آيات أخرى في القرآن؟: جاء الفعل بصيغة المضارع لأن الله تعالى أنذرهم هنا بشيء واحد ألا وهو ناراً تلظى بمعنى شيء واحد وانتهى، كما في قوله أيضاً (فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) و(إنا أنذرناكم عذاباً قريبا). أما في قوله تعالى (إنما أنذركم بالوحي) فالإنذار هنا مستمر طالما الوحي مستمر بالنزول ولا ينتهي لذا جاءت صيغة الفعل المضارع.

ما الحكم البلاغي في مجيء الآية (فأنذرتكم ناراً تلظى) بدون توكيد على خلاف ما جاء في سورة النبأ (إنا أنذرناكم عذاباً قريبا). سورة النبأ فيها توكيد لأن الإنذار في سورة النبأ متسع ومتكرر من أول السورة إلى أوسطها إلى آخرها (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) (إن جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآبا،...جزاء وفاقا..فذوقوا ..) (إنا أنذرناكم عذاباً قريبا) فهو إنذار متسع طويل وفيه بسط ومتصل ومكرر فهو أدعى للتوكيد من سورة الليل. أما في سورة الليل فلم يرد الإنذار إلا في آية واحدة لذا لا تحتاج إلى توكيد.

– قوله (وسيجنبها الأتقى – الذي يؤتي ماله يتزكى –) .

لماذا لم ترد الآية على نفس سياق ما قبلها (ولا يجبها إلا الأتقى) لا تصح لأن في هذا جلالة على أنه لن يجبها إلا الأتقى بمعنى أن المتقون لن يجبوها وفي هذا ظلم للمتقين وحاشا لله أن يكون هذا. وهذا من رحمة الله تعالى بعباده لأن معنى الآية أن الله تعالى يجبب الأتقى وغير الأتقى أيضاً فرحمته سبقت غضبه. في العذاب حصر (لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى) وفي الرحمة أطلق سبحانه هو الرحيم.

إجمالاً في هذه الآية والتي قبلها ذكر مقابل الأشقى الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى. فالصفة العليا (الأتقى) الذي يؤتي ماله (الوصف الأعلى للإنفاق ولم يقل من ماله إنما قال ماله ولم يقل المال) والتزكي (أعلى درجات التصديق).

في السيئة بدأ من الخاص إلى العموم (أما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) وفي الحسنة ترقى من الأفضل إلى الأفضل (الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) أعطى مقابل يؤتي ماله، واتقى مقابل الأتقى وصدق بالحسنى مقابل يتزكى لأن صدق بالحسنى هي أعلى الدرجات لأن فيها الإخلاص.

سيجنبها: استخدم الفعل بصيغة المبني للمجهول فلماذا لم يستخدم الفعل (سيتجنبها)؟

الآية فيه تحذير وإنذار عظيم إلى الناس لأن الأتقى لا يتجبها بنفسه وإنما الأمر يعود إلى خالق الخلق وخالق النار ، فالله تعالى هو الذي يجبب عباده النار ولا أحد يستطيع أن يتجبها بنفسه أبداً. ونظير هذه الآية ما جاء في قوله تعالى (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) سورة مريم. لا يستطيع الناس أن ينجوا بأنفسهم من النار ولو كان أحلهم الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى إنما ألمر يعود لخالق الناس وخالق النار سبحانه.

جاء في كثير من الآيات في القرآن الكريم قوله تعالى (ينجي الله) (ننجي الذين اتقوا) فما الحكمة في الآية هنا (سيجنبها الأتقى)؟ هناك فرق بين التجنيب والتنجية. التنجية قد تكون بعد الوقوع في الشيء ومعاناته كما في قوله (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) بمعنى ألهم ذاقوا العذاب ثم نجاهم الله تعالى فكانت النجاة بعد الوقوع في المكروه. وكذلك قوله تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) بعدما وقعوا في النارينجي الله تعالى الذين اتقوا. وكذلك في قصة سيدنا يونس – عليه السلام – (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) سورة الأنياء، آية ٨٨، كان قد وقع في الكرب ثم نجاه الله تعالى منه . إذن النجاة تقع بعد الوقوع (ننجي الذين اتقوا). أما التنجنيب فهي التنحية بمعنى أنه لا يقع في المكروه أصلاً (سيجنبها الأتقى) والأتقى في المرتبة الأعلى فهو لا يقع في التجربة أصلاً. إذن مع اتقوا يستعمل القرآن لفظ (التنجية) ومع الأتقى يستعمل (التجنيب). –قوله (وما لأحد عنده من نعمة تجزى – إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى – ولسوف يرضى –) . عندما يؤتي ماله ليس لأحد فضل عليه يؤديه له وإنما يفعله لوجه الله تعالى وعمله غير مشوب بشائبة فهو لا يرد معروفاً لأحد وإنما ابتغاء وجه الله من غير توقع رد جميل وإنما هو خالص لوحه الله وهذا هو منتهى الإخلاص. ليس معروفاً لأحد وإنما ابتغاء وجه الله تعالى.

ولسوف يرضى: فيها احتمالين أن تكون للشخص الذي يرضى بثوابه في الآخرة (الأتقى الذي أعطى ماله) أو هو الذي يبتغي وجه ربه الأعلى إذن سيرضى الله عنه، وهي الحالتين معاً سيرضى بثوابه فيما أعج الله تعالى له من كرامة ورضوان الله أعلى شيء (ورضوان من الله أكبر) أكبر من الجنات. وقالوا في الأثر: تحتاجون لعلمائكم في الجنة كما

كنتم تحتاجون إليهم في الدنيا قالوا كيف يا رسول الله قال يطلع الله على أهل الجنة فيقول سلوبي سلوبي و لا يعرفون ما يسألونه فيذهبون إلى علمائهم فيقولون ماذا نسأل ربنا فقالوا اسألوه رضوانه وهو أعلى شيء.

الخطوط التعييرية في السورة: خط العموم، خط المقابلة، خط النفضيل.

خط العموم: السورة كلها في العموم من قوله تعالى (والليل إذا يغشى) لم يذكر تعالى ناذا يغشى و(النهار إذا تجلى) (وما خلق الذكر والأنثى)، (إن سعيكم لشتى) (فأما من أعطى) أطلق العطاء وأطلق جهة العطاء وأطلق اتقى ماذا اتقى. النار، غير النار، (صدق بالحسنى) ما هي الحسنى؟ (فسنيسره لليسرى) ما هي اليسرى؟

لمسات يبانية

في سورة البلد

- قوله (لا أقسم بهذا البلد - وأنت حل بهذا البلد - ووالد وما ولد - لقد خلقنا الإنسان في كبد -) . اطلالة عامة على السورة: لو نظرنا في السورة وعلاقتها بما قبلها أي (سورة الفجر)، قال تعالى في سورة الفجر (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن) ذكر الإنسان الغني والفقير، الذي قدر عليه رزقه والذي أغناه. وفي سورة البلد ذكر الذي أهلك المال والفقير. ثم إن ربنا تعالى وصف الإنسان في سورة الفجر بقوله: (كلا بل تكرمون اليتيم ولا تخاضون على طعام المسكين) وفي سورة البلد وصانا تعالى بالرحمة بهذين الضعيفين بقوله: (أو إطعام في يوم ذي مسخبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة).

والأمر الآخر أن هناك ترابط بين السورتين بدليل: قال تعالى في سورة الفجر: (وتأكلون التراث أكلاً لَمَّا)، وقال في سورة البلد: (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) فكما تأكل يجب أن تطعم.

في سورة البلد على العموم استوفت كل عناصر البلاغ والإرسال: موطن الرسالة (لا أقسم بهذا البلد) والرسول (وأنت حل بهذا البلد) والمرسل إليه وهو الإنسان (ووالد وما ولد) والرسالة وهي الإيمان والعمل الصالح (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) وأصناف الخلق بالنسبة للإستجابة للرسالة (أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة).

- قوله (لا أقسم بهذا البلد)

ما دلالة (لا) في القسم؟

أولاً لم يرد في القرآن كلّه (أقسم بـــ) أبداً، كل القسم في القرآن ورد باستخدام (لا) كقوله تعالى: (لا أقسم بمواقع النجوم) (ولا أقسم بالخنّس) (فلا وربّك لا يؤمنون) وهكذا في القرآن كله.

فما هي (لا)؟ اختلف النحاة في دلالة (لا): كلام عام من (لا أقسم عموماً) يقولون (لا) زائدة لتوكيد القسم بمعنى (أقسم) مثال قولنا: والله لا أفعل معناها لا أفعل، ولو قلنا: لا والله لا أفعل معناها لا أفعل، لا يختلف المعنى والقسم دلالة واحدة. وقسم يقولون هي للنفي (أي نفي القسم) والغرض منه أن الأمر لا يحتاج للقسم لوضوحه فلا داعي للقسم، وقسم قال ألها تنفي لغرض الإهتمام كأن تقول لا أوصيك بفلان (بمعنى لا أحتاج لأن أوصيك). وفي السورة (لا أقسم بهذا البلد) تدور (لا) في كل هذه الأمور على ألها توكيد للقسم بمعنى (أقسم بهذا البلد)، إذن الغرض للتوكيد لأن الأمر فيه عناية واهتمام.

- قوله (وأنت حل بهذا البلد -) ما اللمسة البيانية في قوله تعالى (حِلّ) عوضاً عن كلمة حالّ أو مقيم؟

بداية السورة (لا أقسم بهذا البلد – وأنت حلّ بهذا البلد – ووالد وما ولد – لقد خلقنا الإنسان في كبد –) المعنى العام أنه أقسم أو لم يقسم بهذا البلد في وقت حلول الرسول في البلد أنه خلق الإنسان في الشدائد لكن يبقى السؤال (وأنت حل) ما معنى حل؟ الرأي الأشهر أنه الحالّ والمقيم أي بمعنى وأنت حالٌ في البلد تبلّغ دعوة ربك وتلقى من الأذى ما تلقى. إذا كان هذا هو المعنى فلماذا لم تأتي كلمة (حالّ) بدل (حِلّ)؟ لأن كلمة (حل) لها أكثر من دلالة ولا تقتصر على الدلالة المتبادرة للذهن:

(حل) تأتي بمعنى اسم المفعول أي بمعنى (مُستحِل) (على صيغة وزن من أوزان أسماء المفعول مثل الطحي من طحيناً والذبح، ما يعد للذبح، والحِمل أي الذي يُحمل). لأن صيغة فعل هي من جملة أوزان أسماء المفعول الذي له أكثر من ثمانية أوزان (فعل مثل سلب ونهب). لا أقسم بهذا البلد وأنت مستحلٌ قتلك لا تراعى حرمتك في بلد آمن يأمن فيه الطير والوحش (إذا كانت لهذا المعنى فلا تكون نافية).

وتأتي (حِل) بمعنى حلال (حل، حلال، حلة) أي بمعنى حلال أن تقتل وتأسر من تشاء في ذلك البلد وذلك في يوم الفتح لأن أهل البلد جاءوا بما يستحلون به حرمتهم فرفعت الحرمة عنهم فأصبح حِلاً فتكون لا للنفي. وهذه المعاني كلها مادة وهو ما يسمى بالتوسع في المعنى.

لا أقسم بهذا البلد وأنت حالٌ في هذا البلد تلاقي ما تلاقي وأنت مستحلٌ لا تُراعى حرمتك وأنت حلال بهذا البلد تقتل من تشاء و تأسر من تشاء في وقت من الأوقات (هذه كلها تشير إلى معاني كلمة حِل) ومرتبطة بمعاني (لقد خلقنا الإنسان في كبد). ولو جاء باسم الفاعل (حال) لاقتصر على معنى واحد من هذه المعاني المتعددة لكن المطلوب كل هذه المعاني فجاءت كلمة (حِل) لمناسبتها لمقتضى المعنى.

قال تعالى في آية أخرى في القرآن (وهذا البلد الأمين) فما الحكمة في أن يرد القسم في سورة البلد (لا أقسم بهذا البلد) بدون استخدام كلمة الأمين؟ هذا لأن جو السورة كلها فيه ذكر للمكابدة وللشقة واستحلال الحرمات وما أصاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – في هذا البلد وليس في السورة مجال لذكر الأمن، فالرسول والصحابة ليسوا آمنين في هذا البلد والرسول – صلى الله عليه وسلم – حلٌ يفعل ما يشاء يوم الفتح فارتفعت عن البلد صفة الأمن في هذه السورة، فجو السورة كلها من أولها إلى آخرها ليس فيه أمن وأمان حتى في نهاية السورة لم يذكر جزاء المؤمنين (أولئك أصحاب الميمنة) إنما اكتفى تعالى بذكر جزاء الكافرين (والذين كفروا بآيتنا هم أصحاب المشمة عليهم نار مؤصدة). لا يوجد أمن في البلد ولا الجو العام في السورة فيه أمن.

ما اللمسة البيانية في تكرار كلمة (البلد)؟ فلماذا لم ترد مثلاً : وأنت حلٌّ به؟

لو لاحظنا كلام العرب لوجدنا أنهم يكررون في مواطن التحسّر أو التعظيم أو التهويل لأنه أبلغ كما في قوله تعالى (القارعة ما القارعة) و(الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة) هنا تأتي للتهويل. وكما في قوله تعالى (أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون، أفأمنوا مكر الله) هنا التكرار للتعظيم.

و في سورة البلد تكرار كلمة (البلد) هي في مقام التعظيم. ويذكر أيضاً سبب آخر للتكرار وهو أن البلد المقصود به

مكّة وهو بلد حرام لا يسفك فيه دمٌ ولا يروّع فيه آمن ولكن الله تعالى أحلّ لرسوله – صلى الله عليه وسلم – في يوم الفتح أن يفعل ما يشاء من قتل أو أسر فكأنما البلد صار غير البلد في يوم الفتح فأصبح له صفتان: حالة الحلّ وحالة الحرب وكأنه أصبح بلدين فكرّر سبحانه كلمة البلد لتكرار الوصف.

قوله (ووالد وما ولد -)

لهذا التعبير عدة دلالات: قسم قال القصود به الإنسان (آدم وذريته)، وقسم قال أن القصود كل والد وما ولد من الأناسي والبهائم ولذا لم يقل ومن ولد وإنما قال وما ولد (المقصود به العموم وليس الخصوص ومن جملته آدم وذريته) وخصص بعد. أما ارتباطه بالمقسم عليه فهو أن جواب القسم (لقد خلقنا الإنسان في كبد) والكبد هو المشقة والشدة، والولادة هي المكابدة والشدة والمشقة فإذن ارتبطت بقوله (لقد خلقنا الإنسان في كبد) ثم ارتبطت بآخر السورة (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) لأن الوالد يحتاج في تربية ولده إلى صبر ومرحمة سواء كان من الأناسي أو البهائم ولولاهما لما استطاع تربية أبنائه. وهي مناسبة لجو السورة الذي كله يقوم على المكابدة والمشقة والصبر والمرحمة والإطار العام للسورة ، وارتبط بما كان يلاقيه الرسول – صلى الله عليه وسلم – من مكابدة ومشقة.

- قوله (لقد خلقنا الإنسان في كبد -)

ما هو ارتباط الجواب بالقسم وما هي دلالة كبد؟

الكبد له أكثر من دلالتين فهو يعني:

الشدة والمشقة: يكابد مشاق الدنيا والآخرة ولم يقل خلقنا الإنسان مكابداً. (في كبد) تعني أنه مغمور في الشدائد والمشقات منذ قطع سرّته والمشاق تحيط به وهو منغمر فيها إلى أن يقتحم العقبة فأما أن ينجو أو أن يكون في النار. للقوة والصلابة والشدة: والكبدة هي القطعة من الأرض الصلبة يقال (أرض كبداء) لأن الذي خُلق للمشاق ينبغي أن يكون متحملاً للشدائد فهي من لوازم المعنى الأول.

أما ارتباط الجواب بالقسم: السورة كلها مبنية على هذا الأمر أي الكبد وكل تعبير مبني على ذلك. لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد وقد ذكرنا عدة معاني لكلمة (حِل)

فإذا كان المعنى الأول أي بمعنى (حالّ) فهو يلقى من قومه ما يلقاه من العنت فهو في كبد مم يلاقيه من المشقة وهو يلقاها بقوة وثبات وتحمّل.

وإذا كان بمعنى (مستحل) لا تراعى حرمته فهو دليل على أنه في كبد يُحارب من قومه ويحاولون قتله.

وإذا كلن المقصود المعنى الثالث وهو (حلال في البلد) أي ضد الحرام فهو – صلى الله عليه وسلم – يحلّ له أن يقتل ويأسر إذن فالكفار هم في كبد ومشقة وعنت أما المسلمون ففي قوة، وهكذا ارتبط الجواب بالقسم فمن كل ناحية و في كل معنى من المعانى.

وكذلك ارتباط (ووالد وما ولد) فالولادة مشقة وعنت وتحتاج إلى مثابرة وقوة للتربية، كما هي مرتبطة بما بعدها من اقتحام العقبة ومشاق الجوع في يوم ذي مسغبة.

- قوله (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد - يقول أهلكت مالاً لبدا - أيحسب أن لم يره أحد - ألم نجعل له عينين - ولساناً وشفتين - وهديناه النجدين -)

بعد قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) وذكرنا أن من معاني الكبد المشقة والشدّة والصلابة ثم قال تعالى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) هذا الحسبان موجه لن؟ قسم من المفسرين يقول هو موجه للذي يستضعف المؤمنين (وأنت حلُ هِذَا البلد) بمعنى يحلل دمك ويعذّب جماعتك، والذي يفتن المؤمنين ويعذهم. وقسم من المفسرين قال أنه الخطاب ليس مقصوراً على هذا الجنس بالذات وإنما هو موجه للإنسان عموماً فالإنسان الذي خلقه الله تعالى مكابداً للشدائد ينبغي أن يكون قادراً على تحمل الشدائد فالذي خلق صلباً شديداً مكابداً ليحسب أن لن يقدر عليه أحد وهذا الحسبان يكون في نفوس البشر لأن البشر يظنون أن لن يقدر عليهم أحد فيظلم بعضهم بعضا ويضرب بعضهم رقاب بعض. فالبشر يرون أن لن يقدر عليهم أحد والذين يستضعفون المؤمنين يظنون أن لن يقدر عليهم أحد. والله تعالى سبحانه ذكر في هذه الآية والآية التي بعدها أمرين عظيمين يعتصم همما الإنسان ويعقد أن لا أحد يتمكن منه وهذان الأمران هما المال والقوة يعتصم همما الإنسان ويرى ألهما أداتا الضغط والتسلط على الآخرين. يتمكن منه وهذان الأمران هما المال والقوة يعتصم هما الإنسان ويرى ألهما أداتا الضغط والتسلط على الآخرين. معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين) سورة القلم آية 1 1 - 1 1 فل فلشعوب للستعمرة يجتمع لها عادة هذين الأمرين كما جاء في قوله تعالى مخاطباً بني إسرائيل في سورة الإسراء (ثم رددنا لكم الكرّة عليهم عادة هذين الأمرين وجعلناكم أكثر نفيرا) آية 7.

- قوله (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد - يقول أهلكت مالاً لبدا -) هذا الخطاب موجّه للإنسان عموماً الذي خلقه الله تعالى لإصلاح الحياة.

أهلكت: تأتي بمعنى الإنفاق فما اللمسة اليانية في استخدام كلمة أهلكت بدل أنفقت؟ هذه هي الآية الوحيدة في القرآن كله التي استعمل فيها الإهلاك مع المال، عادة تأتي الإنفاق لكن اختيار كلمة أهلكت في هذه السورة مناسب لجو السورة ومناسب لما تقدمها ولما يعانيه الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه في لحظات الشدائد التي أدت إلى إهلاك بعضهم ومناسب للعقبة ومناسب ليوم ذي مسغبة لأن الذين لم يطعموا في ذلك اليوم أهلكوا ومناسب مع أصحاب المشئمة الذين أهلكوا ومناسب لكل إنفاق بغير وجه مناسب لأنه يعتبر إهلاكاً للمال وليس إنفاقاً في الخير. إذن جو السورة هكذا في إهلاك المال بغير وجهه وكل السورة مشقة وإهلاك (الكبد، سلوك النجدين، اقتحام العقبة، للشئمة والمسغبة) فكان استخدام كلمة إهلاك أنسب وأفضل كلمة تؤدي المعنى المطلوب الذي يقتضيه جو السورة وسياق الآيات فيها.

كلمة لُبدا: لبد معناها الكثير المُجتمِع. وفيها احتمالان: قد تكون مفرد صيغة مبالغة (صيغة فاعل) مثل هُمز وحُطم أو جمع (لُبدة) مثل نقطة نقط. ليس معناها الكثير فقط لكن الكثير المجتمِع وهي مناسبة لاجتماع الكفرة على الرسول – صلى الله عليه وسلم – مثل قوله تعالى في سورة الجن (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) وهو مناسب للإهلاك وجو الإجتماع في أكثر من موطن في جو السورة (ووالد وما ولد، العينين في آلة الإبصار، اللسان والشفتين في آلة النطق، النجدين، تفسير العقبة بجملة أمور منها اجتماع الذين آمنوا على التواصي بالمرحمة، واجتماع الكفرة في النار وأوصاد النار عليهم) لو قال تعالى (كثيرا) لا يؤدي المعنى المطلوب لجو الإجتماع في السورة. الكثرة لا تنفي الإجتماع لذلك اختيار الإهلاك واللبد متناسب جداً من الناحية الملاغية والفنية لجو السورة.

- قوله (أيحسب أن لم يره أحد)

يقول أهلكت مالاً لبدا هذا الذي يدّعي إهلاك المال أيحسب أن لم يره أحد أنه أنفق المال في أمور لا يحبّ أن يطّلع عليها الآخرين وقد تكون في أمور سرّية؟ قال لم يره أحد أي راقب الشخص لم يقل أيحسب أن لم يعلم به أحد لكنه قال يره لأن الرؤية أهم وأخص من العلم وهناك فرق بين العلم بالشيء ورؤيته. فالرؤية هي التي تدلّ على تفاصيل الأمور ومراقبتها لذا فالرؤية أخص. ويره هنا من المراقبة لأن الله تعالى يراقب ويعلم كل ما يقوم به المخلوقات. لماذا جاءت هنا (لم يره أحد) وسابقاً (لن يقدر عليه أحد) : ألم يره أحد في هذا الإنفاق والمفروض أن هذا الحسبان والإدّعاء أنه فعل ماضي (ماضي فيما فعل وما ادّعي أنه فعل) وتأتي الآية فيما بعد (أيحسب ألن يقدر عليه أحد) بعد استكمال الأمور أي في المستقبل بعد أن يعتصم بهذه الأمور وأيحسب أن يعتصم بهذه الأمور وأيحسب أن هذه الأمور تنجيه) لذا جاء التعبير بالمضارع وهذا ما يقتضيه السياق.

قوله (ألم نجعل له عينين – ولساناً وشفتين –)

أراد الله تعالى أن يدلل على قدرته وعلمه فقال تعالى: ألم يجعل الله للإنسان عينين ليبصر بهما ، ألا يراه؟ هو سبحانه الذي أعطاه ليبصر ألا يراه؟! وهو سبحانه الذي هداه للطريق ألا يعلم ما يفعل؟! ونلاحظ تناسب الكلمات: جاءت كلمة عينين وهما أداة الرؤية مقابل قوله تعالى (أيحسب أن لم يره أحد) وجاءت كلمة لساناً وشفتين مقابل قوله تعالى (يقول أهلكت مالاً لبدا) واللسان والشفتين هما أداة النطق. فكأنما سبحانه وتعالى جعل الدليل على علمه وقدرته بما أعطاه للإنسان من وسائل ليستعملها.

- قوله (وهديناه النجدين -)

النجد هو التعبير الوحيد المستعمل في القرآن فقد ورد في القرآن كلمة السبيل والصراط والنجد يعني الطريق المرتفع. وأغلب المفسرين يقولون لا يكون إلا قفاً وصلابة في الأرض في ارتفاع مثل الجبل. وأغلب المفسرين قالوا أنه يعني طريق الخير وطريق الشر. واختيار كلمة النجد مناسب تماماً لجو السورة فلم يقل هديناه السبيل لأن السبيل هو الطريق السهل الميسر الواضح التي يكثر السير فيها، أما سلوك النجد ففيه مشقة وصعوبة ومناسب لحو السورة وما فيها من مشقة ومناسب للمكابدة في جو السورة. وسلوك النجد يحتاج إلى قوة وفيه شدة وصعوبة ومناسب للكبد في السورة. إذن فالنجدين تتواءم مع السورة من حيث القوة والمشقة والمكابدة. ومن معاني النجد: الثدي. وما عليه عامة المفسرين وعن الرسول – صلى الله عليه وسلم – (لا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير) وهذا الأقرب. إذا استخدمت الهداية مع النجدين فهي تكون بمعنى الدلالة على الطريقين طريق الخير وطريق الشر (بصرة للطريق فقط) أي يرشده إلى الطريق، لأن الطريق قد تكون مودية إلى الجحيم. إذن هي تبصرة للطريق فقط (كتب عله أنه من تولاه فأنه يُضله ويهديه إلى عذاب السعير).

- قوله (فلا اقتحم العقبة - وما أدراك ما العقبة -)

نظرة عامّة على هذه الآيات: هذه الآية هي بعد قوله تعالى (وهديناه النجدين) والنجدين كما أسلفنا هو الطريق المرتفع في الأرض ثم قال بعدها (فلا اقتحم العقبة) والعقبة هي طريق في الجبل وعِر أو الجبل الطويل بعرض الطريق (طويل صعب شديد) هذا في العقبة أما الإقتحام فهو الدخول والمجاوزة بشدة ومشقّة (والقحمة هي الشدة والمهلكة). فلو لاحظنا اختيار العقبة مع اقتحم وبعد النجدين لوجدنا أن النجد وهو الطريق المرتفع يؤدي إلى العقبة من حيث سلوك الطريق، والعقبة تقع عادة بعد النجاد أو في المرتفعات من الأرض إذن وضع العقبة بعد النجدين ومع كلمة اقتحم هو وضع طبيعي حداً وهو من الناحية البلاغية البيانية الفنية ذروة البلاغة من حيث

الإختيار. ثم إن الله تعالى فسر العقبة بما يتبعها من آيات (فك رقبة، إطعام في يوم ذي مسغبة) فكلمة اقتحم هي من أنسب الألفاظ لهذا الوصف لأن الإقتحام يتناسب مع العقبة والشدة ولو قال اجتاز أو عبر مثلاً لما أعطى المعنى المطلوب واختيار كلمة اقتحم هو للدلالة على أن الأمر مخيف وشديد ومُهلك وليس سهلاً يسيراً وليس من العقبات التي تُجتاز بسهولة ويسر وإنما تحتاج إلى اقتحام وفيها شدة وصعوبة. فلو لاحظنا (فلا اقتحم العقبة) ومن قبلها (وهديناه النجدين) لوجدناها متناسبة ومرتبطة بقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) وقد قلنا أن من معايي الكبد المشقة والقوة واقتحام العقبة فيه مشقة و تعب ويحتاج إلى قوة وفيها ارتباط بمعني الكبد (المشقة والقوة). (لقد خلقنا الإنسان في كبد يتناسب مع ما سيأتي من آيات في تفصيل معنى العقبة من المشقات (فك رقبة، إطعام في يوم ذي مسغبة).

لا: أية لا هذه وما حكمها؟ نظر القسرون في (لا) هذه والمعروف في قواعد اللغة العربية أن (لا) إذا دخلت على الفعل الماضي ى تفيد النفي كما في الفعل المضارع. و(لا) لا تنفي الفعل الماضي إلا إذا كُررت مثل قوله تعالى (فلا صدق ولا صلّى) ولا نقول في اللغة لا ذهب بمعنى لم يذهب ولإنما يقال ما ذهب للدلالة على نفي الفعل الماضي. إذن لا يصح ولا يجوز القول لا مع الفعل الماضي للنفي. لكن يبقى السؤال هل (لا) في هذه الآية في؟ قسم من المفسرين قال قد تفيد النفي واستشهلوا على ذلك ببعض ما ورد في أشعار العرب مع ألها على غير سنن العرب (وأيّ أمر سيء لا فعل)، ومنهم من قال إلها تفيد الدعاء وليس النفي، كما يقال: لا فض الله فاك أو يقال لا عافاك الله، لا ردّه الله سالماً وغيرها، وقد تكون للدعاء عليه بأن لا يقتحم العقبة فهذا الشخص الذي أنفق ماله في غير وجه خير دعا عليه بأن لا يقتحم العقبة إذن اعتبروها قسم من المفسرين على ألها للدعاء وليس للنفي. وقسم آخر رأوا ألها تفيد نفي الإستقبال: في العربية إذا كان الفعل الماشي يفيد الإستقبال يجوز أن تدخل عليه (لا) نفيه بـــ (لا) كقولنا (والله لا فعلت ذلك أبداً) بمعنى لا افعله، فإذا كان الفعل للإستقبال يجوز أن تدخل عليه (لا) باعتبار الدلالة الزمنية (تالله لا عذبتهم بعدها سقر). فلا اقتحم العقبة تفيد إذن في هذه الحالة نفي الإستقبال بمعنى لا يقتحم العقبة قيد إذن في هذه الحالة نفي الإستقبال بمعنى لا يقتحم العقبة تفيد إذن في هذه الحالة نفي الإستقبال بمعنى لا يقتحم العقبة قيد إذن في هذه الحالة نفي الإستقبال بمعنى لا يقتحم العقبة قيد إذن في هذه الحالة نفي الإستقبال بمعنى لا يقتحم العقبة قيد المنات في المستقبل.

ومنهم من قال إنما استفهام وقد حذفت همزة الإستفهام (ألا اقتحم العقبة) وكأن هذا الإستفهام للتوييخ على ما حصل وللحض على اقتحام العقبة. وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة حذفت منها همزة الإستفهام (مثل قوله تعالى مرة في سورة الشعراء: أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) وفي آية أخرى (إن لنا لأجراً). وحذف حرف الإستفهام خاصة الهمزة كثير في الشعر والنثر عند العرب.

وخلاصة القول أن (لا) في قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) قد جمعت كل هذه المعاني التي ذكرنا وفيها احتمالات النفي والدعاء والإستقبال والإستفهام وهذا ما يُسمّى في اللغة باب التوسّع في المعنى فكل المعاني مُرادة سواء كان للصنف أم للشخص الذي أهلك مالاً لبدا لم يقتحم العقبة ولا يقتحمها في المستقبل ودعاء عليه بأن لا يقتحمها إلا إذا أصلح حاله وتوبيخ على أنه لا يقتحمها فقد جمعت كل هذه المعاني معاً ولو جاء بأي حرف آخر مثل (ما أو لم) لما أمكن جمع كل هذه المعاني وأي حرف آخر كان أوّل إلى معنى النفي فقط ولكن (لا) جاءت بأربع أو خمس معاني كلها مقصودة.

وما أدراك ما العقبة: لماذا التكرار في كلمة العقبة؟

التكرار في اللغة مشهور وله أغراض قد يكون منها التهويل والتعظيم والتحسّر والنفخيم والتحبيب. وفي هذه الآية

جاء التكرار للتفخيم والتهويل والتعظيم لأمر العقبة وما سيفسرها فيما بعد وقد ورد التكرار كثيراً في القرآن الكريم كما في قوله تعالى (القارعة ما القارعة) و (الحاقة ما الحاقة).

ما الحكمة من استخدام صيغة الفعل الماضي في قوله (وما أدراك) وقد استخدم في القرآن صيغة الفعل المضارع كما في قوله تعالى (وما يديرك لعلّه يزكى) وقوله (وما يدريك لعلّ الساعة). في القرآن كلّه أسلوب محدد إذا استعمل (يجريك) بصيغة المضارع لا يفصّل بعدها ولا يجيب على السؤال ويبقيه مبهماً (وما يدريك لعلّه يزكى) لم يأتي بعدها تفصيل أو إجابة وإنما بقي مبهماً، وإذا استعمل (أدراك) بصيغة الماضي يتبعها بالتفصيل كما في قوله تعالى (والسماء والطارق* وما أدراك ما الطارق* وإذا السعم الناقب) وقوله (وما أدراك ما العقبة* فك رقبة* أو إطعام في يوم ذي مسغبة) نلاحظ النفصيل بالجواب بعد أدراك. والقرآن الكريم له خصوصيات في الإستعمال والتعبير يختصّ بما عن قواعد اللغة العربية تماماً كما اختص كلمة العيون (لعيون الماء) والأعين (لأداة الإبصار) في القرآن كله وكذلك الصوم (الإمتناع عن الكلام) والصيام (الإمتناع عن الطعام والشراب).

لماذا تكور لفظ العقبة في هذه السورة؟ وقد ورد في سورة أخرى (فأمّه هاوية* وما أدراك ما هي* نار حامية) استخدم الضمير (هي) لمعنى الهاوية.

هناك قاعدة في اللغة العربية أن الإسم الظاهر أقوى من الكناية أو الضمير ولذلك فإن الضمير لا يؤكد الظاهر. معنى ذلك أن الأمر في سورة البلد أقوى من التكرار بالضمير (هي) في سورة القارعة فالسياق والموطن أقوى ولذا جاء بتكرار الإسم الظاهر وليس بالضمير. في سورة القارعة فسر الهاوية بنار حامية وفي سورة الهمزة (كلا لينبذن في الحطمة * وما أدراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * التي تطّلع على الأفتدة * إنما عليهم مؤصدة * في عمد ممددة) هنا جاء بر (نار الله) وفي القارعة (نار) فقط فوصف النار في سورة الهمزة غير الوصف في سورة القارعة لذا كرر كلمة (الحقبة) فالسياق والموطن هو الذي يدعو إلى اختيار الظاهر على الضمير أو اختيار الضمير على الظاهر.

فك رقبة * أو إطعام في يوم ذي مسغبة * يتيماً ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة *

ما معنى فك رقبة؟ قال الله تعالى فيما سبق من الآيات (فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة) ثم بدأ يوضّح كيف تُقتحم العقبة فبدأ بقوله تعالى (فك رقبة) وهو تخليصها من الرِّق وغيره وليس المقصود بما تحرير الرقبة فقط (وقد ورد ذكرها في الكفارات بلفظ تحرير) وفي عصرنا الحالي ليس هناك رقيق ولا عتق رقاب بمعنى تحريرها من الرِّق. إذن فك رقبة تعني تخليصها من الرِّق كالغارم والمطلوب لأمر ما بمعنى التخليص من هذا الأمر، والفك لغة هو حلّ القيد والعتق يُسمى فك أيضاً. أما التحرير فهو خاص بالعتق أما الفك فهو أشمل لأي قيد وهذا مرتبط بقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) وكل هؤلاء المقيدين هم في كبد.

وفك الرقبة هي عقبة من عقبات المجتمع قديماً وحديثاً ومستقبلاً ويدخل فيها مثلاً رقبة الشعوب المستضعفة ونصرتهم وإغاثتهم وهذا يدخل في الرقبة وفي القيد، وهي دائمة مستمرة ما دامت البشرية فلا يمكن أن تأتي آية في القرآن ولا يكون لها تطبيق لكل زمان ومكان. حتى في المجتمع الواحد (الفرد للفرد والسلطة للشعب) يستذل الفرد غيره بشيء ما أو الحاكم يذل شعبه أو نحوه وهذه من العلاقات الكبيرة في المجتمعات ولذا بدأ بها وهي لا تختص بالعتق ولكنها تدخل فيها والفك مستمر لا ينقطع.

أو إطعام في يوم ذي مسغبة.

لماذا استخدام كلمة (مسغبة) بدل سغب مثلاً أو جوع أو مخمصة؟

أو لاً هناك مسألتين لاستعمال كلمة مسغبة بدل السغب أو الجوع أولها: أن المسغبة تعني الجوع العام والجماعي وليس للفرد والسغب هو الجوع الفردي.

وثانياً أن المسغبة هي الجوع العام مع التعب والإرهاق ولهذا خصص باستعمال (مسغبة) أما الجوع فلا يرافقه بالضرورة التعب والإرهاق، أما للخمصة فهي الجوع الذي يرافقه ضمور البطن. وهذه عقبة من عقبات المجتمع إنه في يوم مجاعة مع التعب والإرهاق وهو اليوم الذي فيه الطعام عزيز وغير مبذول وهو دلالة على شدة الضيق والكرب كما قال بعض المفسرين، وهناك فرق بين الإنفاق في وقت الطعام فيه متوفر ويوم ذي مسغبة وهو ليس كأي يوم من الأيام. وهنا خصص القرآن في وصف العقبة واليوم واليتيم والمسكين فيما بعد.

لماذا استخدام لفظ (إطعام) وليس طعام مثلاً أو أن تطعموا؟ من الناحية اللغوية من الممكن القول: أن تطعموا، إطعام أو طعام. الطعام تحتمل معنيين أولهما أن تكون بمعنى المصدر لفعل أطعم وهي تعني عملية الأكل نفسها (فلينظر الإنسان إلى طعامه) (ولا تحاضون على طعام المسكين) وثانيها أن يكون هو الأكل نفسه. وكل آية ورد فيها لفظ (طعام) فيها احتمالين في المعنى (الطعام والإطعام) كما قال المفسرون وكلاهما مرادان في المعنى. لكن في هذه السورة ومن سياق الآيات نلاحظ أن المراد هنا معنى (إطعام) لأن اليوم ذي مسغبة والقصود الأكل لأن الجوع مع النعب يسبب إطعام.

أما عدم استخدام (أن تطعموا) لأن الفعل المضارع مع وجود إنّ يدل معناه على الحلوث مستقبلاً ولكن هذا المعنى لا يصح في الآية لأن المسغبة قائمة ويجب أن يكون الإطعام فوراً ولهذا استخدمت الصيغة الإسمية.

- قوله (يتيماً ذا مقربة * أو مسكيناً ذا متربة *)

مقربة: تعني القريب في النسب وفي الرحم وتجتمع فيه الصدقة وصلة الرحم فهو أولى وتختلف عن القرابة أو القُربى في اللغة. القرابة هي عامّة مثل القرابة في النسب، أما القُربى فقد تكون في النسب وفي الرحم كالأخ والأخت والمقربة هي بينهما وهي أعمّ.

ما اللمسة البيانية في استخدام (أو) بدل حرف العطف (الواو)؟ إذا استخدم الواو فإنه يدل على أن اقتحام العقبة لا يتم إلا إذا اجتمعت كل هذه الأمور (إطعام اليتيم والمسكين وفك الرقبة) ولكن المقصود في الآيات أنه من فعل أحد هذه الأمور يقتحم العقبة وهو بحسب استطاعته فمن استطاع فك رقبة يكفيه ومن استطاع إطعام اليتيم أو المسكين يكفيه أيضاً وهذا من رحمة الله تعالى الواسعة بعباده. وهذا من باب التخيير فالإنسان يختار ما يستطيع بحسب إمكانياته وظروفه.

يتيماً مفعول به للمصدر إطعام.

ما فائدة تقديم فك رقبة على إطعام في يوم ذي مسغبة؟

أولاً المسكين ذو المتربة هو ليس أي مسكين أو المسكين بشكل عام. وفي الآيات: اليوم مخصص بأنه (ذو مسغبة) والمتيم مخصص (ذو مقربة) والمسكين خصص (ذا متربة) وقد فرّق المفسرون بين الفقير والمسكين وقالوا أن الفقير هو من الحاجة وهو الذي لا يملك قوت يومه أما المسكين فهو الذي لديه عمل أو رزق لكن لا يكفي حاجته واستدلوا بذلك على قوله تعالى في سورة الكهف في وصف أصحاب السفينة (وأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) سمّاهم المساكين مع أنه كان لديهم سفينة وكانوا يعلمون في البحر لكن مدخولها لا

يكفيهم.

والمتربة: هو الفقر وهو من التراب بمعنى التصق بالتراب من فقره، إذن (مسكيناً ذا متربة) هو للسكين الفقير الذي لا مأوى له وهو مطروح على قارعة الطريق وهذا ليس من المساكين العاديين وإنما من خصوص المساكين وهذا صنف ما زلنا نراه في المجتمعات.

أما سبب النقديم (فك رقبة) أولاً فهو إشارة إلى عِظم الحرية في الإسلام إذا كان بمعنى الرِّق لأنه الأولى في الحياة التحرير بالنسبة للأفراد والشعوب في المجتمعات. وثانياً قد يكون الشخص مطلوب بدم أو بشيء آخر أو غارم فأولى شيء عنده أن تفك رقبته وقد يكون هو الأحوج إلى الإطعام والفك من غيره من الأيتام والمساكين لأنه إذا كان مطلوباً فإنه لن يكون قادراً على الخروج لطلب الطعام أو غيره فاليتيم ممكن أن يخرج للبحث عن الطعام وكذلك المسكين أما الغارم أو المطلوب فهو الأولى بذلك لذا جاء ذكره أولاً وهو أوّل ما يُفك وهو أسبق من اليتيم والمسكن.

ثم اليتيم بعد فك الرقبة لأنه في اليوم ذي المسغبة واليتيم هو الصغير دون سن البلوغ فإذا بلغ انتفت عنه صفة اليتم، هذا الصغير اليتيم في مثل هذا اليوم ينبغي أن يُراعى ويُتفقد في هذا اليوم العصيب ذي مسغبة وماذا سيأكل في هذا اليوم. ثم يأتي المسكين وهو أكبر سناً من اليتيم ويمكن أن يفعل شيئاً للحصول على الطعام بعكس اليتيم إذن فهي مرتبة بحسب القلّة والكثرة من القلّة إلى الكثرة (المطلوبين والغارمين قليلون في المجتمعات أما إذا كانوا رقيقاً فهم لم يعودوا موجودين أصلاً) ثم الأيتام أكثر من الغارمين والمطلوبين لكنهم أقل من المساكين لأن هؤ لاء اليتامي سيكبرون وتنتفي عنهم صفة اليتم، أما المساكين فهم الأكثر في المجتمعات.

ما علاقة الآيات بما قبلها؟ الآيات مرتبطة بقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) فهؤلاء الغارمون والمطلوبون والمسترقون والميتروقون والميتروقون والميتروقون والميتروقون والميتروقون والميتروقون والميترون وكذلك مرتبطة بقوله تعالى (أهلكت مالاً لُبدا) كان ينبغي له أن ينفق على هؤلاء المساكين والميتامي والمغارمين شيئاً من ماله الذي أهلكه في غير وجه حق، ومرتبطة بقوله (ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالمرحمة) لأن فك الرقاب وإطعام المجتاجين من المرحمة وهؤلاء من أحوج الناس إلى الصبر أيضاً.

ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة * والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة * عليهم نار مؤصدة *

دلالة الآية: بعد أن ذكر تعالى الأصناف واقتحام العقبة ذكر (ثم كان من الذين آمنوا) لأن الشرط الأساسي هو الإيمان وجاء بـ (ثم) والمعروف في النحو أن (ثم) تفيد الترتيب والتراخي ولكن ليس دائماً فقد يكون من أشهر دلالاتها ألها لمجرد ترتيب الذكر أحياناً يؤخّر ما هو أولى مثال قوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) (فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد) قد تكون الترتيب للأخبار وليس للترتيب الزمني (تراخي رتبة الإيمان عمّا قبلها لأنه لا ينفع شيء بدون إيمان، فالإيمان أنفع من فك رقبة وهو الأول وكل ما ذُكر قبلاً لا تنفع في الآخرة إلا إذا كان مؤمناً. إذن الأساس أن يكون من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة.

في غالبية آي القرآن الكريم يأتي ذكر الذين آمنوا مقرونا بــ (عملوا الصالحات) أما في هذه الآية لم يذكر (عملوا الصالحات) وهذا لأنه سبحانه وتعالى قد ذكر الأعمال الصالحة فيما سبق من الآيات في السورة (فك رقبة، إطعام في يوم ذي مسغبة) فذكر كل ما يتعلق بمكابدة المال وذكر العمل لذا كان معنى العمل واضح في الآيات.

ما اللمسة البيانية في تكرار فعل (تواصوا) في الآية؟ هناك ثلاثة احتمالات لهذه الجملة:

وتواصوا بالصبر وبالمرحمة: بتكرار حرف الجر دون الفعل. وتواصوا بالصبر والمرحمة: بالعطف دون حرف جرّ.

تواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة: بتكرار الفعل وهي أقوى التعبيرات لأن فيها توكيد لأهمية كل واحد من الصبر والمرحمة. فالتواصي بالمرحمة مهم بذاته أيضاً وهذه السورة مبنية كلها على الصبر والمرحمة. والمرحمة هي ليست الرحمة فقط ولكنها عامة وهي أهم من الرحمة والسورة كلها مبنية على الصبر والمرحمة. الصبر: (وأنت حل بهذا البلد) لما يلاقيه الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الأذى ، (ووالد وما ولد) لأن تربية الأولاد تحتاج إلى صبر طويل، وكذلك سلوك النجدين يحتاج إلى صبر واقتحام العقبة والرقبة المسترقة والغارم واليوم ذي المسغبة كله يحتاج إلى صبر طويل وكذلك اليتيم والمسكين والذين آمنوا يحتاجون إلى الصبر على الطاعات والصبر عن المعصية.

كذلك المرحمة: (وأنت حلِّ بهذا البلد) بمعناها (حلّ) الأحرى أن يُعامل بالمرحمة وليس بالأذى وإذا كان بمعنى حلال فالرسول – صلى الله عليه وسلم – قال يوم فتح مكة (اليوم يوم مرحمة)، (ووالد وما ولد) والعلاقة بينهما علاقة رحمة وبر، (أهلكت مالاً لبدا) الذي أهلك المال يحتاج إلى رحمة، الرقبة المسترقّة واليوم ذي المسغبة واليتيم والمسكين والذين آمنوا ينبغي أن يتواصوا بالمرحمة (رحماء بينهم) فالسورة كلها مبنية على الصبر والمرحمة لذا ينبغي التواصي بالمرحمة.

ذكر التواصي بالصبر أولاً ثم التواصي بالمرحمة لأنه تعالى قدّم في السورة ما يحتاج إلى الصبر من المكابدة وللشقة واقتحام العقبة والنجدين وكلها يحتاج إلى صبر ثم إلى مرحمة (في إطعام اليتامى والمساكين) هذا والله أعلم. - قوله (أولئك أصحاب الميمنة* والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة * علهم نار مؤصدة*)

ما المقصود بالميمنة والمشئمة؟ الميمنة احتمال أن تكون من اليُمن أي الخير والبركة، أو من اليمين أي الإتجاه اليمين أو من أصحاب اليمين الذين يُعطون صحائفهم بأيمانهم.

إذن الميمنة لها ثلاثة دلالات:

أصحاب جهة اليمين

الذين يُؤتون صحائفهم بأيماهم

أصحاب اليُمن والخير والبركة لأنهم أفاضوا على أنفسهم (ليقتحموا العقبة) وعلى غيرهم (إطعام اليتامي والمساكين وفك الرقبة).

و المشئمة أيضاً تحتمل ثلاثة دلالات هي:

أصحاب جهة الشمال (أصحاب النار الأشقياء)

الذين يُؤتون صحائفهم بشماهم

من الشؤم وهو ضد اليُمن لأنهم كانوا أصحاب الشؤم على أنفسهم (أهلكت مالاً لبدا) وعلى غيرهم (الذين لا يقتحمون العقبة ولا يطعمون اليتامي والمساكين ولا يفكون القراب ويسترقّون الناس ويستحلون حرمة البلد الحرام والرسول – صلى الله عليه وسلم –).

إذن أصحاب الميمنة تختلف عن أصحاب اليمين لأنها أعمّ والميمنة جمعت عدة معاني وجاء في آخر الآيات ذكر اليُمن على غيرهم (فك رقبة، إطعام في يوم ذي مسغة) فكان أولى أن يستخدم لفظ (الميمنة) بدل اليمين. ما اللمسة البيانية في استخدام (هم) مع أصحاب المشئمة دون أصحاب الميمنة في قوله تعالى: هم أصحاب المشئمة؟ قال (هم) مع الكفار أما أصحاب الميمنة لم يذكر معهم (هم) لأنه لو قال هم أصحاب الميمنة لكان أصحاب الميمنة حصراً على هؤلاء الذين ذكرهم في الآيات السابقة ولكن أصحاب الميمنة أكثر من هؤلاء . الذين يتواصون بالصبر ويتواصون بالمرحمة هؤلاء فقط أصحاب الميمنة وهذا غير صحيح لأن رأس الأمر الإيمان بالله وهؤلاء إذن من أصحاب الميمنة ولمين أصحاب الميمنة حصراً فلا يصح القصر هنا أبداً بمعنى أن من عداهم ليسوا من أصحاب الميمنة . (عدم القصر هو السبيل الصحيح الذي لا يصح غيره هنا). أما الذين كفروا هو أصحاب المشئمة حصراً. هنا القصر في أصحاب المشئمة هو السبيل الصحيح الذي لا يصح غيره.

- قوله (عليهم نار مؤصدة*)

مؤصدة معناها مطبقة من أوصد الباب بمعنى لا ضوء ولا مخرج ولا فرج فيها. فلماذا قدم الجار والمجرور؟ تقديم الجار والمجرور هو للقصر بمعنى ألها مؤصدة عليهم حصراً أما إذا أخر الجار والمجرور فقد يُفهم المعنى على أن النار المؤصدة ليست محصورة بالكفار ولكنها قد تكون مؤصدة على غيرهم أيضاً إذن الآيات متفقة مع بعضها النار على هؤلاء الذين كفروا وأصحاب المشئمة النار مؤصدة عليهم حصراً فالقصر هو الذي يؤدي المعنى المطلوب. ورد في بعض القراءات لفظ (موصدة) فأيهما أصح؟

كلتا القراءتين متواترتين وكلتاهما من القراءات السبع الصحيحة وليس للقارئ أن يُوجّح إنما له أن يختار فقد يختار موصدة أو مؤصدة ؛ مؤصدة وموصدة لغتان الفعل الأصلي (أصد وآصد مؤصدة) والآخر (وصد وأوصد موصدة ومنها الوصيد)، فمن كان لغته آصد اختار مؤصدة ومن كان لغته وصد اختار موصدة، وأنا شخصياً (والكلام للدكتور فاضل السامرائي) أختار لفظ (مؤصدة) بالهمزة لأنما مناسبة للحالة التي هم عليها فاليوم ثقيل وما هم فيه ثقيل حتى صوت الهمزة في (مؤصدة) وقعها ثقيل على السمع وهو أنسب مع جو المكابدة في السورة. في سورة الهمزة وصف تعالى بقوله (إنما عليهم مؤصدة* في عمد ممددة) وفي هذه السورة لم يعقب على النار بشيء فما اللمسة البيانية في هذا؟

لو لاحظنا المذكورين في سورة الهمزة نلاحظ أنه تعالى قد توسّع في ذكر صفات المعذّب (ويل لكل همزة لمزة ، الذي جمع مالاً وعدده،...) وكما توسّع في الصفات توسّع أيضاً في العذاب (في عمد ممددة) أما في سورة البلد فلم يتوسع في ذكر صفات المعذبين وإنما قال (والذين كفروا) هذا والله أعلم.

والأمر الآخر أنه في قوله تعالى (ويلٌ) بالرفع في أول السورة تدل على الهلاك التام الدائم ومناسب لقوله تعالى (في عمد ممددة) لأن ويل هي جملة إسمية (ويل: مبتدأ نكرة وخبره: لكل همزة لمزة ، وويل فيها معنى الدعاء وإذا كان فيها معنى الدعاء يصح أن تبدأ الجملة الإسمية بها مثل قوله تعالى سلام عليكم) ومن المعروف أن الجملة الإسمية تدلّ على الثبوت فاقتضى هذا الثبوت ثبوت الهلاك ودوامه (عليهم نار مؤصدة * في عمد ممددة) لا تفتح فيها الأبواب. ولو قال ويلاً لما ناسب سياق الآيات معنى العذاب والتوسع فيه (ويلاً: هي مفعول مطلق لفعل محذوف معناه ألزمه الله ويلاً. كما أن ويل: هو مصدر من المصادر التي أُميتت أفعالها ومثلها : ويح، ويب، ويس، بمعنى أهلك. أما ويلاً: مفعول مطلق تقديره أهلكه الله مثل قعد جلوساً أو ألزمه الله ويلاً (مفعول به) والمشهور عند النحاة المعنى:

أهلكه الله إهلاكاً وهو مفعول مطلق.

السؤال الآن أيهما أقوى في اللغة، ويل أو ويلاً؟

لا يمكن القول هنا أيهما أقوى لأن البلاغة في القرآن الكريم هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال فأحياناً يقتضي الحال استخدام الجملة البعلية المتخدام الجملة البعلية المتخدام. فتستخدم.

الأمر الآخر في سورة الهمزة أن الله تعالى ذكر الكافر الذي يجمع المال ويعدده ويحفظه فكما حفظ الكافر المال وجمعه وحسب أنه يُخلده ولم بنفع به الآخرين أغلق الله تعالى عليه أبو اب جهنم (في عمد ممددة) وناسب هذا الإستيثاق في حفظ المال الإستيثاق في الخلود في النار. أما في سورة البلد فلم يكن سياق الكلام على هذا النحو وإنما وصف الله تعالى أن الكافر أهلك المال (أهلكت مالاً لُبدا). ثم إن في سورة الهمزة ذكر تعالى أن الكافر يحسب أن ماله أخلده وهذا الحسبان قابله الحسبان بحقيقة الخلود في النار بأن أغلق عليه الأبواب وجعل النار عليه في عمد ممددة . وكذلك في سورة الهمزة وصف الله تعالى الكافر أنه يتعدّى على الآخرين ويهمزهم ويلمزهم ويمنع خيره عنهم والذي يتعدى على الآخرين ويهمزهم ويلمزهم ولم يُذكر هذا في والذي يتعدى على الآخرين. والكفر درجات والعقوبة سورة المبلد واكتفى بالوصف (الذين كفروا بآياتنا) ولم يذكر ألهم اعتدوا على الآخرين. والكفر درجات والعقوبة دركات بحسب ما يفعله الكافر فليس كل الكفّار في عذاب واحدو في دركة واحدة بدليل قوله تعالى (في المدك الأسفل من النار).

ثم إن المعذّبين في سورة الهمزة كفّار وزيادة فهم كافرون، يتعدون على الآخرين، يجمعون الأموال، يحسبون أن مالهم يخلّدهم وهذا كله لم يُذكر في سورة البلد ولهذا ناسب الإستيثاق في الحبس والجعل في عمد ممددة للكفار في سورة الهمزة.

لماذا لم يُذكر جزاء المؤمنين في السورة كما ذكر جزاء الكفار؟

قال تعالى في السورة (لقد خلقنا الإنسان في كبد) والكبد كما قلنا سابقاً هو المشقة والمعاناة ولا يناسب جو السورة ذكر الجزاء وإنما ذكر الجزاء وإنما ذكر الإشارة إلى المؤمنين ألهم أصحاب الميمنة. والسورة كلها في المشاق والمتاعب فلم يناسب ذكر الجزاء للمؤمنين مع كل ما في السورة من مشقة و تعب وسلوك النجدين واقتحام العقبة واليوم ذي مسغبة والكبد هذا والله أعلم.

لمسات يبانية

في سورة الضحى

والضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢)

ما هي دلالة القسم في قوله تعالى (والضحي)

يذكر أهل النفسير أن الوحي أبطأ على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أياماً فشق ذلك عليه وقيل له: إن ربك قلاك ، فأنزل الله تعالى هذه السورة رداً على المشركين وإكراماً للرسول – صلى الله عليه وسلم – ، فلماذا حزن الرسول الكريم وجزع لانقطاع الوحي مع ما يلقاه في سبيل الوحي من العنت والجهد؟ في الحقيقة انه اختبار

من الله تعالى للرسول الكريم: هل هو حريص على الوحي وما فيه من مشقة أم انه سيرتاح من هذا الوحي التقيل؟ وهذا فيه توجيه إلى الدعاة أنه عليهم أن يصبروا ويثبتوا في الدعوة مهما لاقوا من مشقة وعنت في سبيل الدعوة إلى الله.

الضحى في اللغة: هو وقت ارتفاع الشمس بعد الشروق

سجى في اللغة : لها ثلاث معانى ، فهي بمعنى سكن، أو اشتد ظلامه أو غطى مثل تسجية الميت.

أقسم الله تعالى بالضحى والليل إذا سجى انه ما ودع رسوله وما قلاه، والضحى هنا يمثل نور الوحي وإشراقه كما قال المفسرون، والليل يمثل انقطاع الوحي وسكونه والدنيا من غير نور الوحي ظلام ولذلك قدم سبحانه الضحى هنا لأنه ما سبق من نور الوحي وأخر الليل لما يمثل من انقطاع الوحي. وقال بعض الهسرين أن القسم يشير أن الانقطاع يمثل الاستجمام والسكون كما يرتاح الشخص المتعب في الليل ومن معاني سجى السكون وهو يمثل الراحة وهو نعمة. فالقسم هنا جاء لما تستدعيه الحالة التي هو فيها.

ما اللمسة البيانية في كلمة (سجى) وليست في كلمتي غشى او يسر؟

كما في قوله (والليل إذا يغشى) (والليل إذا يسر) سبق القول أن من معاني سجى: سكن وهذا يمثل سكون الوحي وانقطاعه وهذا هو السكون، والانقطاع ظلمة وهذا المعنى الثاني لسجى فكلمة سجى جمعت المعاني كلها التي تدل على انقطاع الوحي وسكونه. أما كلمة يغشى أو يسر فهما تدلان على الحركة وهذا يناقض المعنى للقسم في هذه السورة. وعليه فان القسم (والضحى والليل إذا سجى) هو انسب قسم للحالة التي هو فيها من نور الوحي وانقطاعه وكل قسم في القرآن له علاقة بالمقسم به.

ما الحكم البياني في استخدام كلمة (والضحي) بدل والفجر او النهار؟

الضحى هو وقت إشراق الشمس أما النهار فهو كل الوقت من أول النهار إلى آخره ، والضحى يمثل وقت ابتداء حركة الناس يقابله الليل إذا سجى وهو وقت السكون والراحة. والفجر هو أول دخول وقت الفجر (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) ولا يكون هناك ضوء بعد أو نور كوقت الضحى بعد شروق الشمس.

- قوله (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)

أين مفعول الفعل قلى؟

في هذه الآية الكريمة ذكر مفعول الفعل ودع وهو (الكاف في ودعك) وحذف مفعول الفعل قلى (ولم يقل قلاك) في اللغة عند العرب التوديع عادة يكون بين المتحابين والأصحاب فقط ويكون عند فراق الأشخاص. اختلف النحاة في سبب ذكر مفعول فعل التوديع وحذف مفعول فعل قلى منهم من قال لظهور المراد بمعنى أن الخطاب واضح من الآيات انه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومنهم من قال إنما مراعاة لفواصل الآيات في السورة (الضحى، سجى، قلى، الأولى،...) لكن القرآن العظيم لا يفعل ذلك لفواصل الآيات وحدها على حساب المعنى أبداً ولا يتعارض المعنى مع الفاصلة والمقام في القرآن كله. فلماذا إذن هذا الحذف والذكر؟

الذكر من باب التكريم والحذف من باب التكريم أيضاً. لم يقل الله تعالى قلاك لرسوله الكريم حتى لا ينسب الجفاء للرسول – صلى الله عليه وسلم – فلا يقال للذي نحب ونجل ما أهنتك ولا شتمتك إنما من باب أدب المخاطبة يقال ما أهنت وما شتمت فيحذف المفعول به إكراماً للشخص المخاطب وتقديرا لمنزلته وترفع عن ذكر ما يشينه

و لو كان بالنفي.

أما التوديع فالذكر فيه تكريم للمخاطب فيحسن ذكر المفعول مع أفعال التكريم وحذفه مع أفعال السوء ولو بالنفي. وهكذا يوجه الله تعالى المسلمين لأدب الكلام ويعلمنا كيف نخاطب الذين نجلهم ونحترمهم. ولقد جمعت هذه الآية التكريم للرسول من ربه مرتين مرة بذكر المفعول مع فعل التوديع ومرة بحذف المفعول مع الفعل قلى. فلماذا قال تعالى " ربك " ولم يقل " الله " ؟

هنا تكريم آخر من الله تعالى لرسوله الكريم. فالرب هو المربي والموجه والقيم. وذكر الفاعل وهو الرب إكرام آخر فلم يقل لم تودع ولم تقلى. والرب هو القيم على الأمر فكيف يودعك وهو ربك لا يمكن أن يودع الرب عبده كما لا يمكن لرب البيت أن يودعه ويتركه ورب الشيء لا يودعه ولا يتركه وإنما يرعاه ويحرص عليه. واختيار كلمة الرب بدل كلمة الله لأن لفظ الجلالة الله كلمة عامة للناس جميعا ولكن كلمة الرب لها خصوصية وهذا يحمل التطمين للرسول الكريم من ربه الذي يرعاه ولا يمكن أن يودعه أو يتركه أبداً.

- قوله (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى)

اختلف المفسرون في معنى كلمة الآخرة فمنهم من قال : إنها ما هو غير الدنيا بمعنى الدار الآخرة. وقسم قال انها كل ما يستقبل من الحياة على العموم كما جاء في قوله تعالى (فإذا جاء وعد الآخرة ...) الآخرة هنا ليست في القيامة

الآخرة في سورة الضحى جاءت مقابل الأولى ولم تأت مقابل الدنيا فلم يقل وللآخرة خير لك من الدنيا. ومعنى الآية أن ما يأتي خير لك أيها الرسول مما مضى ؛ أي من الآن فصاعداً فيما يستقبل من عمرك هو خير لك من الأولى وأكد ذلك باللام في كلمة وللآخرة. وقد حصل هذا بالفعل فكل ما استقبل من حياته – صلى الله عليه وسلم – خير له مما حصل.

فلماذا لم يقل خير لك من الدنيا؟

لأنه لو قالها لما صحت إلا في الآخرة فكأنما حصر الخير في الآخرة فقط ونفى حصول الخير فيما يستقبل من حياته – صلى الله عليه وسلم – وهذه الآية توكيد لما سبقها في قوله تعالى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى.

ولماذا قال تعالى (لك) ولم يقل وللآخرة خير من الأولى؟

هذه السورة وسورة الشرح هما خاصتان بالرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو المخاطب المباشر بهما ولو قال تعالى: "وللآخرة خير من الأولى" لما صح هذا القول لأنه سيكون عاماً للناس جميعاً وهذا ما لا يحصل وعندها ستفيد الإطلاق ولا يصح على عمومه لان بعض الناس آخرتهم شر لهم من أولاهم ولا يصح هذا الكلام على إطلاقه إنما لا بد من أن يخصص المعنى وهو للرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – بالذات ولهذا قال تعالى (وللآخرة خير لك من الأولى)

قوله (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَوْضَى)

ما هي علاقة هذه الآية بما سبقها من الآيات؟

سوف دالة على الاستقبال وقد سبق أن قال تعالى (وللآخرة خير لك من الأولى) وهي تدل أيضاً على الاستقبال وجاء أيضاً باللام في (وللسوف) وأكده بنفس التوكيد باللام في (وللآخرة) وللذا لم يحدد العطاء بشيء ما وإنما قال ولسوف يعطيك ربك فترضى؟

لقد أطلق سبحانه العطاء ولم يحدده إنما شمل هذا العطاء كل شيء ولم يخصصه بشيء معين إكراماً للرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وتوسيعاً للعطاء وكذلك أطلق فعل الرضى كما أطلق العطاء فجعل العطاء عاماً وجعل الرضى عاماً وذكر المعطي أيضاً وهو الرب وعلينا أن نتخيل كيف يكون عطاء الرب؟ والعطاء على قدر المعطي وهذا كله فيه تكريم للرسول كذلك في إضافة ضمير الخطاب " الكاف " في (ربك) تكريم آخر للرسول – صلى الله عليه وسلم –

لماذا اختيار كلمة (فترضى) ؟

اختيار هذه الكلمة بالذات في غاية الأهمية ؛ فالرضى هو من أجل النعم على الإنسان وهو أساس الاستقرار والطمأنينة وراحة البال فإن فقد الرضى حلت الهموم والشقاء ودواعي النكد على الإنسان. وان فقد في جانب من جوانب الحياة فقد استقراره بقدر ذلك الجانب ولذا جعل الله تعالى الرضى صفة أهل الجنة (فهو في عيشة راضية) (فارجعي إلى ربك راضية مرضية). وعدم الرضى يؤدي إلى الضغط النفسي واليأس وقد يؤدي إلى الانتحار. والنعب مع الرضى راحة والراحة من دونه نكد وتعب، والفقر مع الرضى غنى والغنى من دونه فقر، والحرمان معه عطاء والعطاء من دونه حرمان. لذا فان اختيار الرضى هو اختيار نعمة من اجل النعم ولها دلالتها في الحياة عامة وليست خاصة بالرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – فإذا رضي الإنسان ارتاح وهدأ باله وسكن وان لم يرض حل معه النعب والنكد والهموم والقلق مع كل ما أوتي من وسائل الراحة والاستقرار.

لماذا قال يعطيك ولم يقل يؤتيك؟

الإيتاء يكون لأمور مادية وغيرها (الملك، الحكمة، الذكر) أما العطاء فهو خاص بالمادة. والإيتاء أوسع من العطاء واعم والعطاء مخصص للمال. والإيتاء قد يشمله النزع والعطاء لا يشمله النزع. (آتيناه آياتنا فانسلخ منها) (يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء) وقد لا يستوجب الإيتاء لشخص ما أن يتصرف بما أوتي ، أما العطاء فلصاحبه حرية التصرف فيه بالوهب والمنح ولذا قال تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) لأن الكوثر أصبح ملكاً للرسول صلى الله عليه وسلم – وكما قال الله تعالى لسيدنا سليمان – عليه السلام – (هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب) أي له الحق بالتصرف فيه كما يشاء.

- قوله (أَلَمْ يَجِدُكَ يَتِيماً فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَاتِلاً فَأَعْنَى (٨))
هذه الآيات مرتبطة بالآيات السابقة (ما ودعك ربك وما قلى) (وللآخرة خير لك من الأولى) ومرتبطة أيضاً بالقسم في أول السورة (والضحى والليل إذا سجى) والآية (ألم يجدك يتيماً فآوى) تؤكد أن ربه لم يودعه ولم يقله وكذلك في (وجدك ضالاً فهدى) وهي كلها تصب في (وللآخرة خير لك من الأولى) فالإيواء خير من اليتم ؛ والهداية خير من العيلة فكلها مرتبطة بالآية (ما ودعك ربك وما قلى) وتؤكد معناها.
(وللآخرة خير لك من الأولى) فالله تعالى لم يترك رسوله – صلى الله عليه وسلم – ليتمه أو لحاجته أو للضلال هذا من ناحية ؛ ومن ناحية أخرى هي مرتبطة بالقسم فقد اقسم الله تعالى بالضحى والليل وما سجى ؛ واليتم ظلمة والإيواء هو النور وكذلك الضلال ظلمة والهدى نور (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجوهم من النور إلى الظلمات) سورة البقرة، والحاجة والعيلة ظلمة أيضاً والعنى نور وهجة.

في هذه الآيات بدأ سبحانه وتعالى بالظلمة ثم النور (اليتم ثم الايواء، الضلال ثم الهدى، العيلة ثم الغنى وهذا ليناسب ويتوافق مع قوله تعالى (وللآخرة خير لك من الأولى) والأولى هي الظلمة أما الآخرة فهي النور وهي خير له من الأولى.

لماذا لم يقسم سبحانه بالليل إذا سجى أولاً ثم الضحى؟

الضحى هو نور الوحي وكان السكون بعد الوحي وكان القسم على اثر انقطاع الوحي فانقطاع الوحي هو الذي تأخر وليس العكس لذا جاء قسم الضحى أولاً ثم الليل.

لماذا تكررت كلمة ربك في هذه السورة؟

الرب معناه انه هو المعلم والمربي والمرشد والقيم وكل آيات السورة مرتبطة بكلمة الرب (ألم يجدك يتيماً فآوى...) اليتيم يحتاج لمن يقوم بأمره ويرعاه ويعلمه ويوجهه ويصلح حاله وهذه من مهام الرب واليتيم يحتاج هذه الصفات في الرب أو لا ثم إن الضال يحتاج لمن يهديه والرب هو الهادي والعائل أيضاً يحتاج لمن يقوم على أمره ويصلحه ويرزقه فكلمة الرب تناسب كل هذه الأشياء وترتبط بها ارتباطاً أساسياً ، وكثيراً ما ارتبطت الهداية في القرآن الكريم بكلمة الرب (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (يهديهم ربهم بإيمانهم) (الحمد الله رب العالمين... اهدنا الصراط المستقيم)

لماذا حذف المفعول للأفعال: فآوى ، فأغنى ، فهدى مثلما حذف في فعل قلم؟

ذكر المفسرون هنا عدة آراء منها : أن الحذف هو لظهور المراد لأنه تعالى كان يخاطب الرسول – صلى الله عليه وسلم – والمعنى واضح ، وقسم قال إلها مراعاة لفواصل الآيات حتى لا يقال آواك و أغناك وهداك فتختلف عن فواصل باقي الآيات ولكن كما سبق آنفاً قلنا إن القرآن الكريم لا يراعي الفاصلة على حساب المعنى مطلقاً وهي قاعدة عامة في القرآن: المعنى أولاً ثم الفاصلة القرآنية ومثال ذلك الآية في سورة طه (إلهكم واله موسى فنسي) وكانت الفاصلة في بلقي السورة مختلفة وعليه فان الحذف هنا جاء للإطلاق والدلالة على سعة الكرم. فآوى بمعنى فآواك عادك عاتلا فأغناك لكان العنى محصوراً بالرسول – صلى الله عليه وسلم – فقط لكن عندما أفاد الإطلاق دل فوجدك عاتلا فأغناك لكان العنى محصوراً بالرسول – صلى الله عليه وسلم – فقط لكن عندما أفاد الإطلاق دل وكذلك آوى الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقط لكن عندما أفاد الإطلاق دل وكذلك آوى الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الجنة كما ورد في الحديث، أنا وكافل اليتيم برسول الله وطمعا في صحبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الجنة كما ورد في الحديث: أنا وكافل اليتيم برسول الله وطمعا في صحبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الجنة كما ورد في الحديث: أنا وكافل اليتيم كهاتين وأشار إلى إصبعيه. وكذلك بالنسبة للهداية فالله تعالى هدى رسوله الكريم وهدى به خلقاً كثيراً (وانك كهاتين وأشار إلى إصبعيه. وكذلك بالنسبة للهداية فالله تعالى هدى رسوله الكريم وهدى به خلقاً كثيراً (وانك للهور المراد وفواصل الآيات وسعة الإطلاق كلها مجتمعة لا يتعارض احدها مع الآخر. وكذلك تناسب سعة الإطلاق هنا قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى). فالحذف هنا جاء للعموم والإطلاق في المعنى.

لماذا ترتيب الآيات على هذا النحو؟ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَاتِلاً فَأَغْنَى (٨)

هذا هو الترتيب الطبيعي في الحياة. اليتم يقال لمن فقد والديه أو احدهما وهو دون سن البلوغ فإذا بلغ انتفت عنه

صفة اليتم ، وإذا بلغ دخل في سن التكليف الشرعي فهو يحتاج إلى الهداية ليتعلم كيف يسير في الحياة قبل أن يكون فقيراً أو غنياً وكيف يجمع المال الحلال لأن كل مال جمع من غير طريق الهداية هو سحت ثم تأتي العيلة وهي أمر آخر بعد البلوغ ؛ من الناس من يكون فقيراً أو غنياً وعلى الاثنين أن يسيرا وفق التعاليم التي تعلماها بعد البلوغ مباشرة وهذا طبيعي ويمر به كل الخلق فهذا هو التسلسل الطبيعي في الحياة لذا فقد بدأ سبحانه بالحالة الأولى (اليتم) ثم إذا بلغ تأتي الهداية في المرتبة الثانية ، وثالثاً العائل والغني يجب أن يسيرا على الهداية.

- قو له (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بنعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

القهر في اللغة : هو التسلط بما يؤذي و لا تقهره بمعنى لا تظلمه بتضييع حقه و لا تتسلط عليه أو لا تحتقره أو تغلب على ماله ،كل هذه المعانى تدخل تحت كلمة القهر.

السائل اختلف المفسرون فيها فقال بعضهم: هو سائل المال والمعروف والصدقة ومنهم من قال: انه سائل العلم والدين والمعرفة وقسم قال انه مطلق ويشمل المعنيين، فسواء كان السائل سائل مال وصدقة أو سائل علم ومعرفة يجب أن لا ينهر مهما كان سؤاله. لا يصح أن يزجز أو ينهر سائل المال أو سائل العلم والدين. إذا كان سائل مال أعطيناه أو رددناه بالحسني وسائل العلم علينا أن نجيبه و نعلمه أمور الدين.

أما النعمة فقال بعض المفسرين إنها النبوة وتعاليمها وقال آخرون إنها كل ما أصاب الإنسان من خير سواء كان في الدنيا أو الآخرة. وقال آخرون إنها نعمة الدين (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) والواقع أن النعمة هنا أيضاً تشمل كل هذه المعاني فهي نعمة الدين يجب أن يتحدث بما ويبلغ عنها وهي نعمة الدنيا والله سبحانه يجب أن يرى اثر نعمته على عباده وان يتحدث الإنسان بنعم الله عليه وان يظهرها والنعمة عامة في الدنيا والدين وعلى الإنسان أن يحدث بهذه النعمة. (النعمة بفتح النون وردت في القرآن بمعنى العقوبات والسوء كما في قوله (ونعمة كانوا فيها فاكهين) (الكافرين أولي النعمة) لماذا اختيار كلمة (فحدث) ولم يقل (فأخبر)؟

الإخبار لا يقتضي التكرار يكفي أن تقول الخبر مرة واحدة فيكون إخباراً أما التحديث فهو يقتضي التكرار والإشاعة أكثر من مرة، وفي سياق الآية يجب أن يتكرر الحديث عن الدعوة إلى الله مرات عديدة ولا يكفي قوله مرة واحدة. ولهذا سمى الله تعالى القرآن حديثا (فليأتوا بحديث مثله). فمعنى (فحدث) في هذه الآية هو المداومة على التبليغ وتكرارها وليس الإخبار فقط فيمكن أن يتم الإخبار مرة واحدة وينتهى الأمر.

وفي تسلسل الأحاديث في كتب السنة نلاحظ أنهم يقولون: حدثنا فلان عن فلان ويكررون ذلك مرة أو مرات عديدة حتى يصلوا إلى أخبرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فالرسول الكريم يخبر بالحديث ثم يتناقله الصحابة فيما بينهم ويستمر تناقل الحديث حتى يعم وينتشر.

لماذا جاء ترتيب الآيات على هذا النحو؟ (فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث). أثار هذا الترتيب الكثير من الأسئلة عند المفسرين لماذا رتبت الآيات على هذه الصورة لأنه لا يرد بنفس تسلسل الآيات السابقة (الم يجدك يتيما فآوى، ووجدك ضالا فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى).

لنستعرض الآيات و احدة و احدة : أما اليتيم فلا تقهر جاءت بنفس تسلسل الآية (ألم يجدك يتيما فآوى) نفس النسق.

، أما السائل فلا تنهر كان من المفروض أن تأتي مقابلة للآية (ووجدك عائلا فأغنى) لكنها جاءت في مقابل الآية

(ووجدك ضالاً فهدى)

(وأما بنعمة ربك فحدث)، كان يجب أن تقدم باعتبار النعمة دين ويجب أن تكون مقابل (ووجدك ضالاً فهدى) لكن الواقع أن ترتيب الآيات كما ورد في السورة هو الترتيب الأمثل، كيف؟ اليتيم ذكر أو لا مقابل اليتيم، ثم ذكر (وأما السائل فلا تنهر) قلنا سابقا أن السائل يشمل سائل العلم والمال وهنا اخذ بعين الاعتبار السائل عن المال والسائل عن العلم فهي إذن تكون مقابل (ووجدك ضالاً فهدى) وأيضاً (ووجدك عائلا فأغنى) لان السائل عن المال يجب أن لا ينهر والسائل عن العلم يجب أن لا ينهر أيضاً وعليه فان الآية جاءت في المكان المناسب لتشمل الحالتين وم تبطة بالاثنين تماما.

(وأما بنعمة ربك فحدث) ، هي في انسب ترتيب لها فان كان المقصود بالنعمة كل ما أصاب الإنسان من خير في الدنيا فلا يمكن أن نتحدث عن النعمة إلا بعد وقوعها وليس قبل ذلك. والآيات السابقة تذكر نعم الله على الرسول فاقتضى السياق أن يكون التحدث بالنعمة آخراً أي بعد حدوث كل النعم على الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

وإذا كان المقصود بالنعمة الدين، فيجب أن يكون التحديث في المرحلة الأخيرة لأن على الداعية أن يتحلى بالخلق الكريم وفيه إشارة أن الإنسان إذا أتاه سائل عليه أن يتصف بهذه الصفات قبل أن يبلغ الناس عن النعمة (الدين) فعليه أن لا يقهر يتيماً ولا ينهر سائلاً ولا يرد عائلاً وقد جاءت هذه الآية بعد إسباغ النعم وهو توجيه للدعاة قبل أن يتحدثوا أن يكونوا هينين لينين فقد قال تعالى (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) فعلى الداعية أن يتحلى بالخلق الحسن ولا ينهر سائلاً.

وكذلك جعل التحديث بالنعمة (وأما بنعمة ربك فحدث) جاءت بعد (وأما السائل فلا تنهر) لان كل داعية يتعرض لأسئلة محرجة أحيانا تكون لغاية الفهم وقد تكون لنوايا مختلفة فعليه أن يتسع صدره للسائل مهما كانت نية السائل أو قصده من السؤال وعلى الداعية أن لا يستثار وإلا فشل في دعوته وقد يكون هذا هو قصد السائل أصلاً من الدروس للستفادة من هذه السورة إضافة إلى ما سبق انه يحسن للإنسان تذكر أيام العسر والضيق لأنه مدعاة للشكر ومدعاة لمعاونة المبتلى أيضاً لذا يجب التذكير بالماضي وما يتقلب فيه المرء من نعم ليشكر الله تعالى عليها مهما كان في ماضيه من أذى أو حرج أو ضيق فلا بأس أن يتذكر أو يذكر به حتى يشكر الله تعالى على نعمه فيكون من الشاكرين لله تعالى.

لمسات يبانية

في سورة التين

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣)

ابتدأت السورة بالقسم بالتين والزيتون. والتين والزيتون قد يكون قصد بجما الشجران المعروفان، وقد ذكر المفسرون لاختيار هذين الشجرين للقسم بجما أسباباً عدة، فقد ذكروا أنه أقسم بنوعين من الشجر، نوع ثمره ليس فيه عجم و نوع فيه عجم، وأنه ورد في الأثر أن التين من شجر الجنة فقد روي أنه أُهدي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه: "كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن

فاكهة الجنة بلا عجم". وقد ذكر أن آدم خصف من ورقه ليستر عورته حين انكشفت في الجنة. وأما الزيتون فإنه شجرة مباركة كما جاء في التنزيل العزيز. وقد ذكروا أموراً أخرى لا داعى لسردها هاهنا.

ولا ندري هل لبدء السورة بالقسم بالشجر الذي يذكر أن له أصلاً في الجنة أعني التين له علاقة بعدد آيات هذه السورة أو لا؟ فإن عدد آيات هذه السورة ثمانية وهن بعدد أبوبا الجنة. وقد يكون هذا القول خوصاً محضاً وأنا أميل إلى ذلك، ولكنا قد وجدنا شيئاً من أنواع هذه العلاقات في القرآن. فقد تكرر كما سبق أن ذكرنا قوله تعالى (فَباًي ّ آلَاءِ ربِّكُمَا تُكذَّبانِ) الرحمن)، عند الكلام في وصف الجنة ثماني مرات بعدد أبواب الجنة، وحصل هذا مرتين في السورة، وتكرر في الوعيد سبع مرات بعدد أبواب جهنم (انظر ملاك التأويل) ابتداء من قوله (سَنَفْرُغُ لكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (٣١) الرحمن). وقالوا إن سورة القدر ثلاثون كلمة بعدد أيام شهر رمضان وإن قوله (هي) في قوله تعالى (سَلَامٌ هِي حَثَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) القدر) هي الكلمة السابعة والعشرون وهي إشارة إلى أن هذه الليلة هي الليلة السابعة والعشرون وهي إشارة إلى أن هذه الليلة هي الليلة السابعة والعشرون ومن رمضان.

وعلى أي حال فإن كثيراً من هذه العلاقات ربما كانت مو افقات والله أعلم.

وقيل: إن المقصود بالتين والزيتون جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانة طور تينا وطور زيتا لألهما منبتا التين والزيتون. (النفسير الكبير ٩/٣٢)، روح المعاني ١٧٤/٣٠).

والعلاقة بين التين والزيتون وما بعدهما ليست ظاهرة على هذا إلا بتكلف. وقيل: "هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار فالأول: محله التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم – عليه السلام – والثاني: طور سنين وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران – عليه السلام –، والثالث: مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – (تفسير ابن كثير ٢٦/٤).

وجاء في (التبيان في أقسام القرآن): " فأقسم سبحانه بهذه الأمكنة الثلاثة العظيمة التي هي مظاهر أنيائه ورسله، أصحاب الشرائع العظام والأمم الكثيرة. فالتين والزيتون المراد به نفس الشجرتين المعروفتين ومنبتهما وهو أرض بيته المقدس... وهو مظهر عبد الله ورسوله وكلمته وروحه عيسى بن مريم. كما أن طور سنين مظهر عبده ورسوله وكليمه موسى، فإنه الجبل الذي كلمه عليه وناجاه وأرسله إلى فرعون وقومه.

ثم أقسم بالبد الأمين وهو مكة مظهر خاتم أنبيائه ورسله سيد ولد آدم. وترقى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل، فبدأ بموضع مظهر المسيح، ثم ثتى بموضع مظهر الكليم، ثم ختمه بموضع مظهر عبده ورسوله وأكرم الخلق عليه. ونظير هذا بعينه في التوراة التي أنزلها الله على كليمه موسى: (جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير وواستعلن من فاران).

فمجيئه من طور سيناء بعثته لموسى بن عمران ، وبدأ به على حكم الترتيب الواقع، ثم ثنّى بنبوة المسيح، ثم ختمه بنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – (التبيان ٣٥ –٥٥).

وهذا هو الراجح فيما أرى لأن المناسبة بين هذه المحالّ المُقسم بما ظاهرة على هذا.

ثم لننظر إلى ترتيب هذه الأشياء المقسم كها:

فقد بدأ بالتين والزيتون. والزيتون أشرف وأفضل من التين فقد شهد الله له أنه شجرة مباركة قال تعالى (اللَّهُ نُورُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ ثُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُو نَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ثُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)) وهي فاكهة من وجه وإدام من وجه وزيتها يُستعمل في إنارة المصابيح والسُرُج.

ثم أقسم بطور سنين وهو أفضل مما ذكر قبل، فإنه الجبل الذي كلم الرب عليه موسى وناجاه وأرسله إلى فرعون وقومه.

ثم انظر من ناحية أخرى كيف وضع طور سنين بجوار الزيتون لا بجوار التين، وقد ورد ذكر الزيتون بجوار الطور في موطن آخر من التنزيل العزيز (في ظلال القرآن ٢٩٠/٣٠)

قال تعالى (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَثْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغِ لِلْآكِلِينَ (٢٠)) وهذه الشجرة هي شجرة الزيتون بإجماع المفسرين. قال الواحدي: "والمفسرون كلّهم يقولون إنّ المراد بهذه الشجرة شجرة الزيتون (فتح القدير ٤٦٣/٣، روح المعاني ٢٢/١٨ ٣٣٠)"

ثم أقسم بالبلد الأمين وهو مكة المكرمة: مكان مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومبعثه ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين (روح المعاني ١٧٣/٣٠). وهو أفضل البقاع عند الله وأحبها إليه كما جاء في الحديث الشريف، فتدرّج من الفاضل إلى الأفضل ومن الشريف إلى الأشرف.

فأنت ترى أنه تدرج من التين إلى الزيتون إلى طور سنين إلى بلد الله الأمين، فختم بموطن الرسالة الخاتمة أشرف الرسالات.

وقد وصف الله هذا البلد بصفة (الأمين) وهي صفة اختيرت هنا اختياراً مقصوداً لا يسدُّ مسدّها وصف آخر. فالأمين وصف يحتمل أن يكون من الأمانة، كما يحتمل أن يكون من الأمن. وكلا المعنيين مُراد. فمن حيث الأمانة وُصف بالأمين لأنه مكان أداء الأمانة وهي الرسالة والأمانة ينبغي أن تؤدى في مكان أمين.

فالرسالة أمانة نزل بما الروح الأمين وهو جبريل، وأداها إلى الصادق الأمين وهو محمد، في البلد الأمين وهو مكة.

فانظر كيف اختير الوصف ههنا أحسن اختيار وأنسبه.

فالأمانة حملها رسول موصوف بالأمانة فأداها إلى شخص موصوف بالأمانة في بلد موصوف بالأمانة. جاء في (روح المعاني): "و أمانته أن يحفظ من دَخَله كما يحفظ الأمين ما يُؤتمن عليه"

وأما من حيث الأمن فهو البلد الآمن قبل الإسلام وبعده، دعا له سيدنا ابراهيم – عليه السلام – بالأمن قبل أن يكون بلداً وبعد أن صار بلداً فقال أولاً: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّمَرَاتِ مَنْ آمَنُ عُنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيُومِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَتُعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَصْطُرُهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِيْسَ الْمَصِيرُ (٢٦)) وقال فيما بعد: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥)) فهو مدعو له بالأمن من أبي الأنبياء. وقد استجاب الله سبحانه هذه الدعوة قال تعالى ((فيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ مَنَا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِبْرُهِ سِبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)) وقال: (وَإِذْ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِبْرَهِيمَ مُصَلَّى وَعَهِدْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِرًا بَيْتِي جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِلُوا مِنْ مَقَامٍ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَرًا بَيْتِي لِطَّائِفِينَ وَالرُّكَع السُّجُودِ (١٢٥)).

ف (الأمين) على هذا (فعيل) للمبالغة بمعنى الآمن، ويحتمل أن تكون (الأمين) فعيلاً بمعنى فعول، مثل جريح بمعنى

مجروح وأسير بمعنى مأسور أي المأمون ، وذلك لأنه مأمون الغوائل (روح المعاني ١٧٣/٣٠، البحر المحيط ١٠٩٠/٨ ، ٢٩ ك، الكشاف ٣٤٨/٣)

جاء في روح المعاني: "الأمين فعيل بمعنى فاعل أي الآمن من أمن الرجل بضمّ الميم أمانة فهو أمين.. وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه.. وأما بمعنى مفعول أي: المأمون من (أمنه) أي: لم يَخَفه، ونسبته إلى البلد مجازية. والمأمون حقيقة الناس أي: لا تخاف غوائلهم فيه، أو الكلام على الحذف والإيصال أي: المأمون فيه من الغوائل (روح المعاني ١٧٣/٣٠)".

وجاء في البحر المحيط: "وأمين للمبالغة أي: آمن من فيه ومن دخله وما فيه من طير وحيوان، أو أمُن الرجل بضمّ الميم أمانة، فهو أمين كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه. ويجوز أن يكون بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل (البحر المحيط ٨/٠ على الكشاف ٣٤٨/٣)".

وقد تقول: ولم اختار لفظ (الأمين) على (الآمن) الذي تردد في مواطن أخرى من القرآن الكريم؟ قال تعالى (وَقَالُوا إِنْ نَتَبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْء رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ وَكُنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) القصص) وقال (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يَكُفُرُونَ (٦٧) العنكبوت)

والجواب : أنه باختياره لفظ (الأمين) جمع معنيي الأمن والأمانة، وجمع معنى اسم الفاعل واسم المفعول، وجمع الحقيقة والجاز، فهو أمين وآمن ومأمون، وهذه المعاني كلها مُرادة مطلوبة.

ثم انظر إلى جواب القسم وهو قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) التين) كيف تناسب مع المُقسم به تناسباً لطيفاً ولاءمه ملاءمة بديعة. فإنه أقسم بالرسالات على بداية الإنسان ونهايته فقال: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَن تَقْويم (٤)) وهذه بدايته، ثم قال: (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْقَلَ سَافِلِينَ (٥)) وهذه نهايته.

"ثم لما كان الناس في إجابة هذه الدعوة فريقين منهم من أجاب ومنهم من أبى، ذكر حال الفريقين. فذكر حال الأكثرين وهو المردودون إلى أسفل سافلين (التيبان في أقسام القرآن ٥٥-٥٦) والآخرين وهم المؤمنون الذين لهم أجر غير ممنون.

ولما كانت الرسالات إنما هي منهج للإنسان وشريعة له، كان الجواب يتعلق بالإنسان طبيعة ومنهجاً، فذكر طبيعة الإنسان في قوله (لَقَدْ حَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) التين) وذكر المنهج في قوله: (إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونِ (٦)).

و في هذه إشارة إلى أن المنهج لا بد أن يكون متلائماً مع الطبيعة البشرية غير متناقض لها وإلا فشل. فكان الجواب كما ترى أو في جواب وأكمله وأنسب شيء لما قبله وما بعده.

ثم انظر من ناحية أخرى إلى قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) التين) فإنه أسند الخلق إلى نفسه ولم يبنه للمجهول، وذلك أنه موطن بيان عظيم قدريه وحسن فعله وبديع صنعه فأسند ذلك غلى نفسه، وهذا في القرآن خط واضح، فإنه في مثل هذا المقام وفي مقام النعمة والنفضّل يسند الأمر إلى نفسه قال تعالى (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالْحَقِّ وَبه يَعْدِلُونَ (١٨١) الأعراف).

وقال: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) يس)

فانظر كيف أسند الخلق في مقام النهمة والتفضّل إلى ذاته في حين قال: (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ ضَعِيفًا (٢٨) النساء) ببناء الفعل للمجهول لما كلن القصد بيان نقص الإنسان وضعفه. وقال (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجُلُونِ (٣٧) الأنبياء) وقال (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢٠) المعارج).

فانظر إلى الفرق بين المقامين، وقد مرّ شيء من هذا في موطن سابق.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه أسند الخلق إلى نفسه لأن المقام مقام بيان منهج للإنسان، فأراد أن يبين أن واضع المنهج للإنسان هو خالق الإنسان ولا أحد غيره أعلم بما يصلح له وما هو أنسب له، ولو بنى الفعل للمجهول لم يفهم ذلك صراحة.

فأنت ترى أن إسناد الخلق إلى ذات الله العلية أنسب شيء في هذا المقام. وقد تقول: ولم أسند الرد إلى أسفل سافلين إلى نفسه فقال: (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥)) وهذا ليس مقام تفضّل ولا بيان نعمة؟

فنقول: إن هذا الإسناد أنسب شيء هاهنا ولا يليق غيره، وذلك أنه أراد أن يذكر أن يبده البداية والنهاية، وأنه القادر أولاً وأخيراً لا معقب لحكمه يفعل ما يشاء في البداية والختام، وهذا لا يكون إلا بإسناد الأمر إلى ذاته العليّة. ألا ترى أنه لو قال: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رُدّ أسفل سافلين) لكان يُفهم من ذلك أن هناك رادّاً غيره يفسد خلقته ويهدم ما بناه؟

ومعنى قوله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) التين) أنه صيّره على أحسن ما يكون في الصورة والمعنى والإدراك و في كل ما هو أحسن (روح المعاني ١٧٥/٣، البحر المحيط ١٩٠/٨) من الأمور المادية والمعنوية. وقال بعدها (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥)) فجاء بـ (ثم) التي تفيد الترتيب والتراخي، لأن كونه أسفل سافلين لا يعاقب خلقه بل يتراخى عنه في الزمن، فهي من حيث الوقت تفيد التراخي، كما ألها من حيث الرتبة تفيد التراخي، فوتبه كونه في أسفل سافلين، فثمة بون بعيد بين الرتبتين فأفادت (ثم) هاهنا التراخي الزماني والتراخي في الرتبة.

و اختلف في معنى (أَسْفَلَ سَافِلِينَ) فذهب قسم من المفسرين إلى أن المقصود به أرذل العمر، والمُراد بذلك: الهرم وضعف القُوى الظاهرة والباطنة وذهول العقل حتى يصير لا يعلم شيئاً (روح المعاني ١٧٦/٣٠، البحر المحيط ٨/٠٨)

ومعنى هذا الإستثناء على هذا أن الصالحين من الهرمى لهم ثواب دائم غير منقطع (الكشاف ٣٤٨/٣) يُكتب لهم في وقت شيخو ختهم كما كان يُكتب لهم في وقت صِحّتهم وقوقهم" وفي الحديث "إن المؤمن إذا رُدِّ لأرذل العمر كُتِب له ما كان يعمل في قوّته" وذلك أجر غير ممنون (البحر المحيط ٨/٠٩٤) أي غير منقطع. وذهب آخرون إلى أن المقصود به أسفل الأماكن السافلة وهو جهنم أو الدرك الأسفل من النار. ومعنى الإستثناء على هذا ظاهر، فالصالحون مستثنون من الرد إلى ذلك.

وركز بعضهم على الخصائص الروحية. جاء في ظلال القرآن: "والتركيز في هذا المقام على خصائصه الروحية. فهي التي تنتكس إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الفطرة ويحيد عن الإيمان المستقيم معها. فهو مهيّأ لأن يبلغ من

الرِّفعة مدى بفوق مقام الملائكة المقربين.. يهذا هذا الإنسان مهيأ حين ينتكس لأن يهوي إلى الدرك الذي لا يبلغ إليه مخلوق قط: (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْقَلَ سَافِلِينَ (٥)) حيث تُصبح البهائم أرفع وأقوم لاستقامتها على فطرتها... (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونِ (٦)) فهؤلاء هم الذين يبقون على سواء الفطرة ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح. ويرتقون بها إلى الكمال القدر لها (في ظلال القرآن ٣٠٠/١٩)". وظاهر أن معنى الآية يتسع لكل ما ذكروه، وهي تفيد أيضاً أن حياة غير المؤمن نكد وغمّ، وعيشة ذنك وشقاء قال تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً صَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) طه) وقال : (حُقَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) الحج).

فحياة هؤ لاء هابطة سافلة بل هم في أسفل سافلين. ثم لننظر إلى الإستثناء وهو قوله تعالى : (إلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونِ (٦) التين) فإنه استثنى من الرد أسفل سافلين من آمن وعمل صالحاً ولم يزد على ذلك، فلم يقل مثل ما قال في سورة العصر (إلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا اللهِ اللهِ عَلَى (وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرِ (٢) إلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالْحَبِّ وَتَوَاصَوْا بِالْحَبِّ وَتَوَاصَوْا بِالْحَبِّ وَتَوَاصَوْا بِالْحَبِّ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالْحَبِّ وَتَوَاصَوْا بِالْحَبِّ وَتَوَاصَوْا بِالْحَبِّ وَتَوَاصَوْا بِالْحَبِّ وَتَوَاصَوْا بِالْحَبِّ وَالْعِصِ فَينَ لَنَا أَنَ الإِيمانَ والعمل الصالح يمنعه من الرد أسفل سافلين. ولكن لا يمنعه من الخسران الذي يفوته فيما لو تواصى بالحق وبالصبر فإن كلّ من ترك شيئاً من ذلك خسر شيئاً من الأجر الذي كان يربحه فيما لو فعله، فانظر الفرق بين الموطنين وبين الإستثنائين.

جاء في (التبيان): "وتأمل حكمة القرآن لما قال: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقِي خُسْرِ (٢)) فإنه ضيّق الإستثناء وخصصه فقال (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)) ولمّا قال (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْقَلَ سَافِلِينَ (٥)) وسّع الإستثناء وعممه فقال (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦)) ولم يقل (وتواصوا) فإن التواصي هو أمر الغير بالإيمان والعمل الصالح، وهو قدر زائد على مجرد فعله. فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح فصار في خُسر، ولا يلزم أن يكون في أسفل سافلين.

فإن الإنسان قد يقوم بما يجب عليه و لا يأمر غيره، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبة زائدة. وقد تكون فرضاً على الكفاية وقد تكون مستحبّة.

والتواصي بالحق يدخل فيه الحق الذي يجب، والحق الذي يُستحب، والصبر يدخل فيه الصبر الذي يجب والصبر الذي يُستحب. الذي يُستحب. فهؤ لاء إذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر حصل لهم من الربح ما خسره أو لئك الذين قاموا بما يجب عليهم في أنفسهم ولم يأمروا غيرهم به. وإن كان أو لئك لم يكونوا من الذين خسروا أنفسهم وأهليهم. فمطلق الحسار شيء والحسار المطلق شيء (التبيان ٩١)".

ثم قال: (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) قيل: ومعنى غير ممنون غير منقوص ولا منقطع، وقيل معناه غير مكدر بالمن عليهم (البحر المحيط ١٠٩٨، روح المعاني ١٧٦/٣٠). والحق أن كل ذلك مراد وهو من صفات النواب، لأنه يجب أن يكون غير منقطع ولا منغصاً بالمنة (النفسير الكبير ١١/٣٢).

فقال: (غير ممنون) ليجمع هذه المعاني كلها، ولم يقل غير مقطوع ولا نحو ذلك فيفيد معنى دون آخر.

ثم انظر كيف زاد الفاء في قوله (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) ولم يفعل مثل ذلك في آية شبيهة بها وهي قوله (إلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥) الإنشقاق) بدون فاء. وذلك لأن السياقين مختلفان، فسياق سورة الإنشقاق أكثره في ذكر الكافرين، وقد أطال في ذرهم ووصف عذابهم فقال: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) الإنشقاق) ثم قال مقرَّعاً للكافرين مؤنّباً لهم : (فَمَا لَهُمْ لَا يُؤمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ {سَ } (٢٠) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشَرْهُمْ بِعَذَابِ أَلِيم (٢٤) إلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥))

في حين لم يزد في الكلام على المؤمنين عن قوله (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) الإنشقاق).

فانظر كيف أطال في وصف الكافرين وأعمالهم وعقابهم، وأوجز في الكلام على المؤمنين، ولذا حذف الفاء من جزاء المؤمنين في سورة الإنشقاق مناسبة للإيجاز. في حين لم يذكر الكافرين في سورة التين ولم يزد على أن قال ((تُمَّ مَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) التين) يعني الإنسان، وهو غير صريح في أن المقصود به الكافرون أو غيرهم كما أسلفنا.

ثم انظر إلى كل من السورتين كيف تناولت الكلام على الإنسان. فقد بدأت سورة الإنشقاق بذكر كدح الإنسان ومشقته ونصبه (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) الإنشقاق) وتوعّده ربه بركوب الأهوال والشدائد المتتابعة التي يفوق بعضها بعضاً في الشدة فقال (فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَق (١٩)).

في حين بدأ في سورة التين بتكريم الإنسان فقال (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) التين) فناسب ذلك تأكيد استمر ار أجره وعدم تنغيصه، وذلك بزيادة الفاء في التين دون الإنشقاق.

ثم قال بعدها (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) التين) والمعنى: أي شيء يجعلك أيها الإنسان مكذّباً بالجزاء بعد هذا الدليل الواضح؟ والمعنى: إن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشراً سوياً وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي مع تحويله من حال إلى حال، أوضح دليل على قدرة الخالق على الحشر والنشر (الكشاف ٣٤٩/٣، النفسير الكبير ١٢/٣٢) فإن الذي خلقك أقدر على أن يعيدك بعد موتك ويُنشئك خلقاً جديداً، وأن ذلك لو أعجزه لأعجزه خلقك الأول (التبيان ٢٦).

فانظر جلالة ارتباط هذا الكلام بما قبله.

ثم انظر كيف استدل على الجزاء بالأدلة النقلية والعقلية. فالدليل النقلي هو ما أخبرت به الرسالات السماوية، وقد ذكر من هذه الرسالات كبراها وهي رسالات موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. والدليل العقلى هو الإستدلال بخلق الإنسان في أحسن تقويم وتدريجه في مراتب الزيادة والنقص.

ثم انظر كيف اختار كلمة (الدين) ولم يختر كلمة الجزاء أو الحساب أو النشور ونحوها، وذلك لما تقدم ذكر مواطن الرسالات ناسب ذلك ذكر الدين، لأن هذه أديان، ولأنه قد يُراد بذلك معنى (الدين) علاوة على معنى الجزاء. والمعنى أي شيء يجعلك مكذّباً بصحة الدين بعد هذه الأدلة المتقدمة؟ فالذي خلقك في أحسن تقويم يرسم لك أحسن منهج تسعد به في الدنيا وفي الآخرة. فجمعت كلمة (الدين) معنى الدين ومعنى الجزاء في آن واحد، ولو قال فما الذي يكذبك بالجزاء لم يجمع هذين المعنين.

فأنت ترى أنه اختار كلمة (الدين) لنقع في موقعها المناسب لها تماماً. ثم قال بعدها: (أَيُسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)) وأحكم الحاكمين يحتمل أن يكون معناه: أعظم ذوي الحكمة وأحسنهم تدبيراً، ويحتمل أن يكون معناه أقضى القاضين، لأن (حكم) يحتمل أن يكون من الحكمة، ويحتمل أن يكون من القضاء وهو الفصل في المحاكم. وعلى الوجه الأول يكون المعنى: أليس الذي فعل ذلك بأحكم الحاكمين صنيعاً وتدبيراً وأن حكمته بالغة لا حلود لها. وإذا تبيّن أن الله سبحانه أحكم الحاكمين وهو بيّن – تعيّنت الإعادة والجزاء لأن حكمته تأبي أن يترك الإنسان سدى ولا يحاسب على أعماله، فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن لا يُجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؟ وهل ذلك إلا قدح في حكمه وحكمته (التبيان ٣٣ وما بعلها، التفسير الكبير ١٢/٣٢).

وعلى الوجه الثاني يكون المعنى: أليس الله بأقضى القاضين (روح المعاني ١٧٧/٣٠، مجمع البيان ١٢/١٠٥) فيحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، كما قال تعالى (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَحْتَلِفُونَ (٤٦) الزمر)

فانظر قوة ارتباط هذه الآية بما قبلها على كلا الوجهين، فإن حكمته تقتضي الإعادة والجزاء. والجزاء والفصل بين الخلائق يقتضي وجود أقضى القاضين.

فجمع هذه العبارة معنيين: القضاء والحكمة بل لقد جمع معاني عدة هذا التعبير، إذ كل لفظ من (أحكم الحاكمين) يحتمل أن يكون بمعنى القضاء والحكمة فيكون قد جمع أربعة معان كلها مرادة وهي (أحكم الحاكمين) بمعنى أكثرهم حكمة و(أقضى الحكماء) و(أقضى القضاة) و(أحكم القضاة).

فانظر كيف جمع أربعة معان تؤدي بأربع عبارات في عبارة واحدة موجزة ولو قال (أقضى القاضين) لدلت على معنى واحد.

ثم انظر كيف جعل ذلك بأسلوب الإستفهام التقريري ولم يجعله بالأسلوب الخبري فهو لم يقل (إن الله أحكم الحاكمين) ولا نحو ذلك، وإنما قرر المخاطب ليقوله بنفسه وليشترك في إصدار الحكم فيقول: بلى (وأنا على ذلكم من الشاهدين)

ثم انظر إلى ارتباط خاتمة السورة بفاتحتها، فإن فاتحة السورة في ذكر مواطن الرسالات العظمى وارتباطها بخاتمتها واضح يين فإن الذي أنزل هذه الشرائع العظيمة وما تضمنته من أحكام سامية هو أحكم الحاكمين.

ثم انظر إلى التسيق الجميل في إختيار خواتم الآي، فإن خاتمة كل آية اختيرت لتجمع عدة معان في آن واحد.

فاختيرت (الأمين) لتجمع معنيي الأمن والأمانة، و(أسفل سافلين) لتجمع معنى غير منقطع و لا منغّص بالمِنّة عليهم، وكلمة (الدين) لتجمع الجزاء والدين، و(أحكم الحاكمين) لنجمع الحكمة والقضاء.

فانظر إلى هذا الدقة في الإختيار وهذا الحسن في التسيق. أليس الذي قال بأحكم الحاكمين؟ بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

لمسات يبانية

في سورة الكوثر

لماذا قال الله تعالى أعطيناك ولم يقل آتيناك؟

سورة الكوثر تأتي بعد سورة الماعون (أرأيت الذي يكذب بالدين..)

وهي تقابل هذه السورة من نواحي عديدة:

سورة الكوثرثر

إنا أعطيناك الكوثر

فصل لربك و انحر

(المقصود بالنحر التصدق) ... سورة الماعون

فصل لربك وانحر (أمر بالصلاة ودوام عليها) ... أرأيت الذي يكذب بالدين

فذلك الذي يدع اليتيم

ولا يحض على طعام المسكين

فويل للمصلين الذين هم عن صلاهم ساهون

فصل لربك وانحر (إخلاص الصلاة الله) ... فويل للمصلين الذين هم عن صلاقم ساهون (سهو عن الصلاة) إنا أعطيناك الكوثر (الكوثر فهر في الجنة وهذا تصديق بيوم الدين والجزاء) ... الذين هم يرآؤون (مرآءاة في الصلاة)

إن شانتك هو الأبتر (والأبتر هو من انقطع عمله من كل خير ... الذي يكذب بيوم الدين (لا يصدق بالجزاء ويوم الدين)

رُّكُلُ الصفات في هذه السورة تدل على الأبتر لأنه انقطع الخير عنه فهو الأبتر حقيقة (يكذب بيوم الدين، لا يدع اليتيم، لا يحض على طعام المسكين، ... رُرُّ

وسورة الكوثر هي انجاز لما وعد الله تعالى رسوله في سورة الضحى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) في سورة الضحى وعد من الله بالإعطاء وفي سورة الكوثر عطاء وتحقق العطاء. وفي سورة الكوثر قال تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) وإنا تفيد التوكيد وفي سورة الضحى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ولسوف تفيد التوكيد أيضاً. وفي سورة الكوثر (فصل لربك وانحر) وفي الضحى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) اي فصل لربك الذي وعدك بان يعطيك و أنجز الوعد.

إنا أعطيناك: في بناء الآية لغوياً يوجد تقديم الضمير إنا على الفعل أعطيناك وهو تقديم مؤكد تأكيد بـــ (إن) وتقديم أيضاً. فلماذا قدم الضمير إنا؟ أهم أغراض التقديم هو الاهتمام والاختصاص.

فعندما نقول أنا فعلت بمعنى فعلته أنا لا غيري (اختصاص)

وأنه خلق الزوجين ...ونوحاً هدينا من قبل.. (تفيد الاهتمام)

ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان...(تفيد الاهتمام) لم يقصر السماع عليهم وحدهم إنما سمع غيرهم أيضاً.

في الآية إنا أعطيناك الكوثر يوجد الأمران: الاختصاص والاهتمام ؛ فالله تعالى أعطى نبيه الكوثر اختصاصاً له وليس لأحد سواه وللإهتمام أيضاً وإذا كان ربه هو الذي أعطاه حصرا فلا يمكن لأي أحد أن ينزع ما أعطاه الله من حيث التأكيد في تركيب الجملة.

إنا: ضمير التعظيم ومؤكد

أعطيناك: لماذا لم يقل آتيناك؟

هناك تقارب صوتي بين آتى وأعطى وتقارب من حيث المعنى أيضاً لكن آتى تستعمل لما هو أوسع من أعطى في اللغة فقد يتقاربان.

آتى تستعمل لأعطى وما لا يصح لأعطى (يؤتي الحكمة من يشاء) (ولقد آتينا موسى تسع آيات) (وآتيناهم ملكاً عظيماً). آتى تستعمل للرحمة، للحكمة، للأموال (وآتى المال على حبه) وتستعمل للرشد (وآتينا إبراهيم رشده). آتى تستعمل عادة للأمور المعنوية (لقد آتيناك من لدنا ذكرا) وقد تستعمل للأمور المادية أيضاً.

أما أعطى فهي تستعمل في الأمور المادية فقط (وأعطى قليلاً وأكدى) (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) إذن آتى تستعمل للأموال وغير الأموال وأكثر استعمالها للأمور الواسعة والعظيمة كالملك والرشد والحكمة. وأعطى للتخصيص على الأغلب وهناك أمور لا يصح فيها استعمال أعطى أصلا كالحكمة والرشد.

وما دامت كلمة آتى أوسع استعمالا فلماذا إذن لم يستعمل آتى بدل أعطى؟

الإيتاء يشمله النزع بمعنى انه ليس تمليكا إنما العطاء تمليك. والإيتاء ليس بالضرورة تمليكا (تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) (وآتيناه من الكنوز....ثم خسفنا به وبداره الأرض) إذن الإيتاء يشمله النزع أما العطاء فهو تمليك. في الملك يستعمل الإيتاء لأنه قد ينزعه سبحانه أما العطاء فهو للتمليك وبما انه تمليك للشخص فله حق التصرف فيه وليس له ذلك في الإيتاء. (رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي.... هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) أي بما انه عطاء من الله تعالى لسيدنا سليمان فله حق التصرف في عطاء الله له.

وقد يكون الإيتاء آية فليس للنبي حق التصرف بها بل عليه تبليغها ورب العالمين ملك رسوله – صلى الله عليه وسلم – الكوثر وأعطاه إياه تمليكاً له أن يتصرف فيه كيفما شاء.

لماذا قال تعالى الكوثر ولم يقل الكثير؟

الكوثر من صفات المبالغة تفيد (فوعل وفيعل) تدل على المبالغة المفرطة في الخير. وقيل عن الكوثر انه نهر في الجنة وقيل الحوض وقيل رفعة الذكر وغيره وكل ما قيل يشمل الخير الذي أعطاه الله تعالى لرسوله – صلى الله عليه وسلم – فهو كوثر ومن الكوثر أي الخير الذي انعم الله تعالى على رسوله به.

والكوثر يدل على الكثرة المفرطة في الشيء والفرق بين الكوثر والكثير ان الكوثر قد تكون صفة وقد تكون ذاتاً أما الكثير فهي صفة فقط. وكون الكوثر صفة يدل على الخير الكثير وليس على الكثرة (الكثير هو الكثرة) ولكن الكوثر تدل على الخير الكثير والكثرة قد تكون في الخير وغيره. فالكوثر هو بالإضافة إلى الكثرة المفرطة فهو في الخير خصوصاً. وقد تكون الكوثر الذات الموصوفة بالخير (يقال أقبل السيد الكوثر أي السيد الكثير الخير و العطاء) ولا يقال اقبل الكثير. النهر عادة هو ذات ولكنه ذات موصوف بكثرة الخير. فالكوثر أولى من الكثير لما فيه من الكثرة المفرطة مع الخير وهناك قراءة للآية (الكيثر) وهي صفة مشابحة مثل الفيصل.

والواو أقوى من الياء فأعطى الله تعالى الوصف الأقوى وهو الكوثر وليس الكثير. وفي هذه الآية حذف للموصوف فلم يقل تعالى ماءً كوثراً ولا مالاً كوثراً وإنما قال الكوثر فقط لإطلاق الخير كله.

وعندما عرف الكوثر بأل التعريف دخل في معناها النهر ولو قال كوثر لما دخل النهر فيه لكن حذف الموصوف أفاد الإطلاق وجمع كل الخير.

وعندما أعطى الله تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – الخير المطلق والكثير فهو في حاجة للتوكيد والتعظيم ولذلك قال إنا مع ضمير التعظيم لأنه يتناسب مع الخير الكثير والمطلق وناسبه التوكيد أيضاً في إنا.

- قوله (فصل لربك وانحر)

لماذا لم يقل سبحانه وتعالى فصل لنا أو صل لله ولماذا قال انحر ولم يقل ضحي أو اذبح.

بعد أن بشر الله تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – بإعطائه الكوثر جاء السبب بالقاء أي أراد منه أن يشكر النعمة التي أعطاه إياها ، ينبغي تلقي النعم بالشكر ولم يقل له فاشكر لان الشكر قد يكون قليلاً أو كثيراً فلو قال الحمد لله فقط لكان شاكراً لكن هذا الأمر الكبير والعطاء الكبير يستوجب الحمد الكثير ولذا طلب الله تعالى من رسوله – صلى الله عليه وسلم – شيئين الأول يتعلق بالله تعالى وهو الصلاة والثاني يتعلق بالعباد وهو النحر. والصلاة أعظم ركن من أركان الإسلام وهو أعلى درجات الشكر لله والنحر وفيه إعطاء خلق الله والشفقة بخلق الله. فشكر النعم يكون بأمرين شكر الله والإحسان إلى خلقه من الشكر أيضاً وعنلما نحسن إلى خلق الله يكون هذا من شكر نعم الله.

وقدم الله تعالى الصلاة على النحر لأن الصلاة أهم من النحر وهي ركن من أركان الإسلام وأول ما يسأل العبد عنه يوم الحساب والمفروض أن تكون خمس مرات في اليوم والليلة ولهذا فهي أعم من النحر لأن النحر يكون مع التمكن المادي فقط في حين أن الصلاة لا تسقط عن العباد في أي حال من الأحوال من مرض أو فقر أو غيره. وقد وردت الصلاة في القرآن على عدة صور فهي إن كانت من الله تعالى فهي رحمة ، ومن الرسول – صلى الله عليه وسلم – دعاء ، ومن العباد عبادة وقول وفعل وحركة الصلاة. وكلما ورد ذكر الصلاة والزكاة في القرآن تتقدم الصلاة على الزكاة لأنما أعم وأهم.

فصل لربك: لماذا لم يقل فصل لله أو فصل لنا؟

اللام في (لربك) تفيد الاختصاص والقصد أن الصلاة لا تكون إلا الله وحده وهي مقابلة لما ورد في ذكر المرائين في الصلاة في سورة الماعون (الذين هم عن صلاهم ساهون، الذين هم ير آؤون و يمنعون الماعون) أما في سورة الكوثر فجاءت فصل لربك أي داوم على الصلاة لربك وليس كالمرائين.

لماذا لم يقل فصل لنا؟ في اللغة تسمى التفات من الغيبة إلى الحضور أو العكس. الصلاة تكون للرب وليس للمعطي فإذا قال فصل لنا لأفاد أن الصلاة تكون للمعطي ولكن الصحيح أن المعطي له الشكر فقط وليس الصلاة حتى لا يتوهم أن الصلاة تكون لأي معطي والصلاة حق لله وحده إنما المعطي له الشكر فقط. وكذلك قال تعالى إنا أعطيناك باستخدام ضمير التعظيم فلو قال فصل لنا لأوهم انه فيه شرك (انه تعالى له شريك والعياذ بالله) أو انه يمكن استخدام ضمير التعظيم للجمع

ملاحظة: في القرآن كله لا يوجد موضع ذكر فيه ضمير التعظيم إلا سبقه أو تبعه إفراد بما يفيد وحدانية الله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع . . . إنا لله وإنا إليه راجعون (كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله) (ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك . . . وإلى ربك فارغب) ولم يقل والينا فارغب. وهكذا يتبين انه لم يذكر ضمير التعظيم في القرآن كله إلا سبقه أو تبعه ما يدل على الإفراد تجنباً للشرك.

واختيار كلمة الرب بدل كلمة الله (فصل لربك ولم يقل فصل لله) هذه الآية انجاز لما وعد الله تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – في سورة الضحى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ومعناها صل لربك الذي أنجز الوعد الذي وعدك إياه. والعطاء من الرعاية ولم يرد في القرآن كله لفظ العطاء إلا مع لفظ الرب (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (ولسوف يعطيك ربك فترضى) (كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محذورا) (جزاء من ربك عطاء حسابا) لم تقترن كلمة العطاء في القرآن كله بغير لفظ الرب، والرب هو المربي والمعطي والقيم.

لماذا قال: (وانحر) ولم يقل واذبح؟

النحر في اللغة: يتعلق بنحر الإبل فقط ولا تستعمل مع غير الإبل. يقال ذبح الشاة وقد يستعمل الذبح للجميع وللبقر والطيور والشاة والإبل لكن النحر خاص بالإبل لأنها تنحر من نحرها فأراد الله تعالى أن يتصدق بأعز الأشياء عند العرب فلو قال اذبح لكان جائزاً أن يذبح طيراً أو غير ذلك ومعروف أن الإبل من خيار أموال العرب. وبما أن الله تعالى أعطى رسوله – صلى الله عليه وسلم – الخير الكثير والكوثر فلا يناسب هذا العطاء الكبير أن يكون الشكر عليه قليلاً لذا اختار الصلاة والنحر وهما أعظم أنواع الشكر.

لماذا لم يقل وتصدق؟

الصدقة تشمل القليل والكثير فلو تصدق احلهم بدرهم أو بطير لكفى المعنى ولكن الله تعالى أراد التصدق بخير الأموال ليتناسب مع العطاء الكثير.

لماذا لم يقل وزكى؟

الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يكن يملك النصاب للزكاة أصلاً فهي غير واردة على الإطلاق ثم إن الزكاة تجب مرة واحدة في العام وبنسبة ٥.٢ % فقط ولما اختلف عما فرضه الله تعالى على المسلمين جميعاً ولن تكون شكراً خاصاً لله تعالى على عطائه الكثير ألا وهو الكوثر.

لماذا لم يقل وضحى؟

الأضحية هي كل ما تصح به الأضحية الشرعية فلو ضحى بشاة لكفت ، والأضحية لها وقتها وهو أربعة أيام يوم النحر و أيام التشريق فقط والله تعالى لم يرد أن يحصر الشكر له على عطائه الكثير بأيام محددة.

اختلف المفسرون بالصلاة والنحر أهي صلاة العيد أو عامة الصلاة أو خاصة والمعنى في الآية (فصل لربك وانحر) تشمل كل هذه الحالات ففي العيد يكون النحر بعد الصلاة ولكن الكثير من المفسرين قالوا إنما عامة ويدخل فيها صلاة العيد والأضحية.

لماذا لم يقل فصل لربك وانحر لربك؟ أو انحر له؟

إن المتعلق الأول لربك كأنما يغني عن المتعلق الثاني وهو ما يسمى بظهور المراد أي يفهم من الآية فصل لربك وانحر لربك .

الصلاة أهم من النحر لأنما لا تسقط بأي حال من الأحوال فجعل المتعلق بما هو أهم والنحر لا يكون إلا مع الاستطاعة .

الصلاة لا تكون إلا عبادة ولا تكون غير ذلك أما النحر فقد يكون إما للعبادة وقد يكون للأكل فقط وليست بمدف العبادة لذا النحر يختلف عن الصلاة. وإذا كان النحر عبادة فلا يكون إلا لله تعالى وملعون من ذبح لغير الله فلو قال وانحر لربك لألزم أن يكون النحر فقط عبادة ولما جاز لغير العبادة أبداً.

لماذا لم يقل وتقرب؟ القربان من التقرب ولقدورد القربان مرة واحدة في القرآن الكريم في حادثة ابني آدم عليه السلام.

- قوله (إن شائك هو الأبتر)

نزلت هذه الآية لما مات ابني الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقالت قريش بتر محمد وإذا مات أبناء الشخص المذكور يقال له أبتر.

ما هو تعريف كلمة الأبتر وما معناها؟

الأبتر في اللغة لها عدة معاني:

كل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر

٢. إذا مات أولاد الشخص الذكور أو ليس له أولاد ذكور أصلاً

٣. الخاسر يسمى أبتر

من أشهر ما ذكر في أسباب النزول حادثة وفاة ابني الرسول - صلى الله عليه وسلم -

هو الأبتر" يقال هو الغني لتفيد التخصيص. هو غني : أي هو من جملة الأغنياء.

أراد الله تعالى أن يخصص الشانئ بالأبتر ولم يقل إن شائئك هو أبتر. هو في الآية ضمير منفصل وتعريف الأبتر بأل التعريف حصر البتر بالشانئ تخصيصاً.

شنئان: بغض.

جعل الله تعالى مجرد بغض الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو خسارة وهذه خاصة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

لم يقل عدوك هو الأبتر لأن مجرد الشنئان للرسول – صلى الله عليه وسلم – هو بغض وخسارة ولو لم يعلن عداوته علناً رفإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن)

لماذا قال الأبتر ولم يقل المبتور؟

الأبتر صفة مشبهة على وزن أفعل تفيد الثبوت مثل الأحمر والأعرج والأسمر والأصلع.

المبتور صيغة فعول تدل على الحدوث فترة مثل مهموم ومحزون ومسرور ولا تدل على الثبوت بل تتحول.

فاستخدام الأبتر وجب بكل معاني البتر مع استمرارية هذه الصفة مع انقطاع ذريته حقيقة أو حكماً ويقال إن شانيء الرسول – صلى الله عليه وسلم – انقطع نسله بتاتاً إما بانقطاع الذرية أصلاً أو بإسلام ذريته من بعده فلا يدعون لأبيهم الكافر أبداً فينقطع أيضاً ذريته وذكره بعد موته، فقد بتر من الذرية وبتر من الخير أيضاً (وورد أن شانيء الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو أبو جهل الذي اسلم أبناؤه كلهم و آمنوا بالله وبرسوله – صلى الله عليه وسلم –).

لماذا لم يقل وجعلنا شانتك هو الأبتر او سنجعل شانتك هو الأبتر؟

الخير الكثير هو الذي يعطيه الله تعالى والعطاء يقاس بقدر العطاء وقيمته وبقدر المعطي فاذا كان المعطي عظيما كان العطاء عظيماً. من ناحية المعطي ليس هناك أعظم من الله تعالى والكوثر هو الخير الكثير اما الأبتر فهو ليس جعلاً إنما صفته الأصلية فهناك فرق بين جعل الإنسان بصفة معينة او انه كذلك بصفته الأصلية.

شائتك : من حيث البيان هي أقوى الألفاظ و في قراءة (شنئك) تفيد أن الأبتر هو الذي بالغ في الشنئ. ارتبط آخر

السورة بأولها فالله تعالى أعطى في أولها الكثير من الخير وفي المقابل جاءت كلمة الأبتر وهو الذي خسر كل شيء والذي انقطع أثره من كل خير مقابل الخير الكثير الذي أعطاه الله تعالى للرسول – صلى الله عليه وسلم –.

الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يخسر لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو ليس بالأبتر فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يذكر اسمه في كل ثانية وهذا خاص بسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – إنما الشانيء فهو الأبتر في الدنيا والآخرة وهو الخاسر مادياً ومعنوياً.

لما أمر الله تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – بالنحر (فصل لربك وانحر) مكنه من مئة من الإبل نحرها بعد نزول الآية شكراً لله تعالى على نعمه الكثيرة.

لمسات يبانية

في سورة الناس

المعوذتان هما سورتان في القرآن الكريم جمعتا الإستعاذة من الشرور كلها الظاهرة والحفية والواقعة على الإنسان من الخارج والتي تصدر منه من الداخل. فسورة الفلق تضمنت الإستعاذة من الشرور الظاهرة والخفية الواقعة على الإنسان من الخارج ولا يمكن للإنسان دفعها ولا سبيل لذلك إلا بالصبر لأن الإنسان الصابر إذا صبر على هذه الشرور ينال الأجر من الله تعالى على صبره ويزيد في ميزان حسناته لأن الله تعالى يجزي الصابرين والشر في سورة الفلق مما لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه لأنه ليس من كسبه فهو غير محاسب عليه أما سورة الناس التي بين أيدينا فهي سورة الإستعاذة ؛ من سور الإنسان الداخلية (النابعة من نفسه) وهي التي تقع على الإنسان نفسه أو على غيره وهي التي يستطيع الإنسان أن يدفعها ويتجنب ظلم النفس والآخرين وهذه الشرور إذا وقع فيها الإنسان يكون في صحيفة سيئاته والشر المقصود في هذه السورة هو مما يدخل تحت التكليف ويحاسب عليه المرء لأنه يدخل ضمن ما نهى عنه .

السورتان جمعتا الاستعاذة من الشرور كلها الظاهرة والخفية.. ما يدخل تحت التكليف (ما جاء في الناس)، وما لا يدخل في التكليف (ما جاء في الفلق) .. ما لا يستطيع دفعه (الفلق) وما يستطيع دفعه (الناس (ما يدخل سجل الحسنات (الفلق) وما يدخل سجل السيئات (الناس. (وكما قال عدد من المفسرين والمحققين: سورة الفلق استعاذة بالله من شرور المعايب.

- قوله (قل أعوذ برب الناس -)

أعوذ بالله: لغة هي بمعنى ألتجئ وأعتصم بالله.

قل: أمر الله تعالى للرسول – صلى الله عليه وسلم – بأن يقول (قل) والأمر بالقول له أهمية كبيرة هنا ولو حذف الفعل لاختل المعنى المقصود. (قل) للإفصاح عن ضعفه والتجائه إلى ربه، فكلمة (قل) هي من باب الإفصاح والإعلان عن حاجة الإنسان إلى ربه جلّ وعلا،وهو يفصح عن حاجته هذه بنفسه وينطقها بلسانه. وفيها قتل للغرور لأن الكِبر والغرور يمنعان المرء أحيانا من طلب الإعانة وهو في حاجة شديدة إليها، ولأن الذي يطلب المعونة من غيره يمتنع عن الغرور، ولا يكتفي الإنسان بالشعور بالحاجة إلى ربه لكن ينبغي أن يُعلن حاجته لربه سواء أكان

الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو غيره من الناس.

قالوا أتشكو إليه ما ليس يخفى عليه فقلت ربي يرضى ذل العزيز لديه

قل: في هذا الإعلان قتل بل علاج للكبر والغرور الذي في نفس الإنسان والذي قد يودي به إلى الطغيان. (إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى) لذلك لابد من قولها باللسان ولا يجوز النطق بالاستعاذة دون الأمر (قل(وهذا القول من أسباب الطاعة فإذا استعنا بالله ليعصمنا من الشرور فإنها من أسباب الطاعة له سبحانه. وإذا صاحب الإستعاذة شعور بالنفس بالحاجة إلى غياث المستغيثين ليأوي إلى ركن شديد فهذا الشعور بالحاجة إلى مولاه فهذا الشعور بُلين القلوب القاسية.

- قوله (قل أعوذ برب الناس - ملك الناس - إله الناس -)

الإستعاذة في السورة هي بـ: رب الناس، بملك الناس، وبإله الناس من شر الوسواس الخنّاس. فالمستعاذ منه شرّ واحد والإستعاذة منه جاءت بالربّ والملك والإله من وسوسة الشيطان المهلكة. وهذا بخلاف ما جاء في سورة الفلق حيث كانت الإستعاذة بشيء واحد من شرور متعددة. وفي هذا إشارة عظيمة إلى خطورة الوسوسة على الإنسان وعلى غيره لأنه إن استجاب لهذه الوساوس فقد يردي نفسه في الدنيا والآخرة، أما الأمر الذي ليس من كسبه (ما جاء في سورة الفلق) فقد استعاذ منه بأمر واحد وهذه لفتة بيانية عظيمة من هاتين السورتين الكريمتين إلى خطورة الوسوسة.

وجاء الترتيب في سورة الناس على الشكل التالي: رب، ملك، إله. فالإنسان إذا وقع في حاجة يستعين أو لا بخبرته وعلمه أو بمن له خبرة وتجربة ليرشده وليشير عليه بما يفعل وهذا هو شأن الربّ أي المربي فهو المرشد والمعلم والموجه ولذا بدأت الآيات به (رب الناس). فإذا لم ينجح فيما يريد لجأ إلى السلطة وصاحبها أي الملك (ملك الناس) فإن لم تُجدي السلطة نفعاً التجأ إلى الله تعالى (إله الناس) والترتيب في الآيات في السورة هو على سياق هذا الترتيب وكحاجة الإنسان للتعامل في الحياة. وهو واضح في مراحل حياة الإنسان ومعاشهم، فالأجنة هي المداية ثم يخرج الناس للحياة ليواجهوا المربي الذي يقدم لهم ما يحتاجونه من تربية ورعاية، فإذا كبروا احتاجوا إلى المجتمع وما ينظم علاقتهم به، ثم يأتي سن التكليف حيث يحاسبه الإله. والمجتمعات عموما بين الربوبية والملك، فكل مجتمع يحتاج صغاره إلى المربي ثم إلى السلطة، ثما الألوهية فتتأخر وقد تخفى على بعض الناس وتحيطها الشكوك والأوهام .. والإلحاد .. وتحتاج إلى تذكير.

وقد تدرّجت الآيات من الكثرة إلى القلّة فالربّ هو المرشد الموجّه وقد يكون هناك العديد من المرشدين والمربّين في المجتمع لكن لكل دولة ملك واحد والدنيا فيها ملوك كثر ولكن الإله واحد للكل فانتقل في السياق من الكثرة للقلة من حيث دلالة الكلمة بالعدد (الرب كثير، الملك أقلّ وأما الإله فهو واحد).

وردت كلمة الناس ٣ مرات في السورة وكل منها تعني مجموعة من الناس مختلفة عن غيرها نوضحها فيما يلي: كلمة " الناس " تُطلق على مجموعة قليلة من الناس أو واحد من الناس أو كل الناس.

والربّ هو مُرشد مجموعة من الناس قد تكون قليلة أو كثيرة، أما الملك فناسه أكبر من ناس المربي وأما الإله فهو إله كل الناس وناسه الأكثر حتماً. فلو جاءت الآيات برب الناس وملكهم وإلههم لعاد المعنى كله إلى المجموعة الأولى من الناس (ناس الرّب) دون أن يشمل غيرهم ولما تحدد أي مجموعة من الناس. لذلك لا يغني الضمير هنا، بل لا بد من تكرار المضاف إليه مذكورا صريحا، لأن لكل معنى مختلف.

. وكلمة الناس من حيث دلالتها العديدة في السورة تنتقل على عكس كلمة الرب والملك والإله من القلّة إلى الكثرة. الكثرة. فالتدرج في الصفات بدأ من الكثرة إلى القلة، أما في المضاف إليه (الناس) فبالعكس من القلة إلى الكثرة، فناس المربي أقل، وناس الملك أكثر، وناس الإله هم الأكثر.

ولم تأتي الآيات في السورة بواو العطف فيما بينها ولا يجوز أصلاً أن يقول (برب الناس وملك الناس وإله الناس) وإنما جاءت (قل أعوذ برب الناس* ملك الناس* إله الناس) وهذا حتى لا يُظنّ ألهم ذوات مختلفة لأنما هي ذات واحدة فهو سبحانه المربي وهو الملك وهو الإله الواحد.وحتى لا يُظن أن المقصود أكثر من واحد، بل هو واحد سبحانه، فمن أراد الرب يقصد رب الناس ومن أراد الملك يقصد ملك الناس ومن أراد الإله يقصد إله الناس فلا إله إلا الله

- قوله (من شر الوسواس الخنّاس - الذي يوسوس في صدور الناس - من الجنّة والناس -)

من شر الوسواس الخنّاس: جاءت الآية باستخدام (من شر الوسواس) وليس (من الوسواس) كما في الاستعاذة من الشيطان: "فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم"، لأنه هنا لم يحدد الشيطان، بل قال: من الجِنّة والناس، فجعل الوسواس قسمين: من الجِنّة أو من الناس. قد يكون الوسواس من الجِنّة أو من الناس فالجِنّة فيهم صالحون وفيهم قاسطون " وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون" كما قال تعالى على لسان الجن في سورة الجن، لذا لا يصح الإستعاذة من الجِنّة عموماً وكذلك الناس نحن نستعيد من الظالمين والأشرار من الناس وليس من الناس كلهم جميعاً ولذا جاءت الآية بتحديد الاستعاذة من الشر (من شر الوسواس الجنّاس) وأما الشيطان فشر كله لذلك جاءت الآية بالاستعاذة منها، أما البشر فلا، ورد في الأثر: (الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير ممن لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)

الوسواس: كلمة وسواس على صيغة فعلال وهي صيغة تفيد التكرار لأنه لا ينفك عن الوسوسة ويسمى في اللغة (تكرار المقطع لتكرار الحَدَث) وفيها تكرار المقطع (وس) كما في كلمة كبكب (تكرار كب) وحصحص (تكرار حص) للدلالة على تكرار الحدث. وصيغة فعلال تفيد المبالغة أيضاً إذن كلمة وسواس تفيد المبالغة والتكرار. وقد جاء التعبير في الآية بكلمة الوسواس وليس الموسوس لأن الموسوس لا تفيد المبالغة، ولأنها تقال للشخص الذي تعتريه الوسوسة دون أن تفيد المبالغة. وجاءت الإستعاذة بـ (شر الوسواس) وليس شر الوسوسة فقط للدلالة على أن الإستعاذة إنما تكون من كل شرور الوسواس سواء كانت وسوسة أو لم تكن.

الخنّاس: صفة من (الخنوس) وهو الاختفاء، وهي أيضا صيغة مبالغة، وتدل على أن الخنوس صار نوعا من حرفة يداوم عليها. عندما يكون للمرء عدو فإنه يحرص على أن يعرف مقدار عدائه ومدى قوته والأساليب التي تمكنه من التغلب عليه أو النجاة منه، وقد أخبرنا الله تعالى عن عدونا أن قصارى ما يستطيع الإنسان فعله هو أن نخنس وسوسته لأن الشيطان باق إلى يوم الدين و لا يمكننا قتله أو فعل أي شيء آخر به وإنما نستعيذ بالله فيخنس الشيطان أو أن نغفل وننسى فنقع في الوسوسة كما جاء في الحديث: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم إن ذكر الله خنس، وإن نسي وسوس)

الذي يوسوس في صدور الناس: ذُكر في الآية مكان الوسوسة وهو الصدور ولم ترد القلوب لأن الصدور أوسع، وهي كالمداخل للقلب، والشيطان يملأ الصدر بالوسوسة ومنه تدخل إلى القلب

دون أن تترك خلفها ممرا نظيفا يمكن أن تدخله نفحات الإيمان، بل يملأ الساحة بالوساوس قدر استطاعته مغلقا الطريق إلى القلب.

من الجِنّة والناس: الوسواس قسمان فقد يكون من الجِنّة وقد يكون من الناس والناس هم المعتدى عليهم ولذا جاء الآية رب الناس ولم يقل رب الجِنّة والناس لأن الناس لما وقع عليهم الأذى استعاذوا أو أمروا أن يستعينوا بربهم ليخلّصهم من شر الوسواس والجِنّة هم الأصل في الوسوسة. وقدم الجنة على الناس لأنهم هم الأصل في الوسوسة، والناس تَبَع، وهم المعتدون على الناس، ووسوسة الإنسي قد تكون من وسوسة الجني. والجِنّة هم الأصل في الوسوسة، ولا تقع الوسوسة في صلورهم بل في صدور الإنس. وفي آية أخرى في القرآن الكريم وردت الآية بنقديم شياطين الإنس على الجنّ وذلك لأن السياق كان على كفرة الإنس الذين يشاركون الجن الوسوسة فلذا تقدّم فكرهم على الجنّ (وكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبيً عَدُوًا شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ) سورة الأنعام آية ١٩٢٢.

الفهرس

1	مقدمة
o	لمسات بيانية في سورة الفاتحة
٢٣	لمسات يبانية في آية الكرسي
΄A	لمسات بيانية في الإسراء والمعراج
' ለ	بعض اللمسات البيانية في سورة الكهف
٤٥	لمسات بيانية في سورتي النمل والقصص
٠١	لمسات بيانية في وصايا لقمان لابنه
v y	لمسات بيانية في سورة القمر
٧٥	لمسات بيانية من سورتي الطور والقلم
٧٦	لمسات بيانية من سورتي المعارج والقارعة
٧٨	لمسات بيانية من سورة المنافقون
١٨	لمسات بيانية في سورة الإنسان
170	لمسات بيانية في سورة الليل
١٤١	لمسات بيانية في سورة البلد
107	لمسات بيانية في سورة الضحى
178	لمسات بيانية في سورة التين
1 V £	لمسات بيانية في سورة الكوثر
	لمسات بيانية في سورة الناس

أسرار البيان في التعبير القرآني

للدكتور / فاضل صالح السامرائي أستاذ النحو في جامعة الشارقة

أسرار البيان في التعبير القرآبي

(1)

القرآن هو تعبير بياني مقصود أي أن كل كلمة وكل حرف فيه وُضع وضعاً مقصوداً. الذكر والحذف:

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازِ عَنْ وَالِدِهِ شَيْتًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقِّ فَلَا تَغُرَّنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) لقمان) وقال تعالى : (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُوْجَعُونَ فِيهِ وَعْدَ اللَّهِ حَقِّ فَلَا تَغُرَّنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) لقمان) وقال تعالى : (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُوْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) البقرة) الآيتين جملتان وصفيتان فلماذا الحذف (فيه) في إحداها والذكر في الأخرى؟ السبب أن النقدير حاصل (يجزي فيه) لكن لماذا الحذف؟ الحذف يفيد الإطلاق و لا يختص بذلك اليوم. فالجزاء ليس منحصراً في ذلك اليوم وإنما سيمتد أثره إلى ما بعد ذلك اليوم وكلما يذكر الجزاء يحذف (فيه) (لا تجزي) و(لا يجزي)

أما في الآية الثانية فذكر (فيه) لأنه منحصر فقط في يوم الحساب وليس عموماً. وكذلك في قوله تعالى (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) اليوم منحصر في يوم القيامة والحساب لذا ذكر (فيه). وحذف (فيه) عندما كان اليوم ليس محصوراً بيوم معين.

(١) وهذه محاضرة ألقاها الدكتور فاضل السامرائي ضمن فعاليات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام ٢٠٠٢م

(قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتًا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِن الْهَالِكِينَ (٨٥) يوسف) محذوف حرف النفي (لا) (تالله لا تفتأ). القاعدة: أنه إذا كان فعل مضارع مثبت لابد من حرف اللام فإن لم تذكر اللام فهو منفي مثال: والله أفعل (معناها لا أفعل) و والله لأفعل (معناها أثبت الفعل) فلماذا حذف إذن؟ هذا هو الموطن الوحيد في القرآن الذي حُذف فيه حرف النفي جواباً للقسم. وقد جاء في القرآن قوله تعالى (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا الذي حُذف فيه حرف النفي جواباً للقسم. وقد جاء في القرآن قوله تعالى (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) النساء) (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهُمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) النحل). إنما آية سورة يوسف هي الوحيدة التي تفيد النفي ولم يذكر فيها حرف النفي لماذا؟ الذين أقسموا هم إخوة يوسف ومن المقرر في يوسف هي الوحيدة التي تفيد النفي ولم يذكر فيها حرف النفي لماذا؟ الذين أقسموا أن أباهم لا يزال يذكر يوسف حتى النحو أن الذكر يفيد التوكيد والحذف أقل توكيداً. فعلى ماذا أقسموا؟ أقسموا أن أباهم لا يزال يذكر يوسف حتى يهلك فهل هم متأكدون من ذلك؟ أي هل هم متأكدون أن أباهم سيفعل ذلك حتى يهلك وهل حصل ذلك؟ كلا لم يحصل.

في حين في كل الأقسام الأخرى في القرآن الأمر فيها مؤكد. أما في هذه الآية لا يؤكد بالحذف لحرف النفي مع أنه أفاد النفي.

فتأ: من معانيها في اللغة نسي وسكّن وأطفأ النار يقال فتأت النار والإتيان بالفعل (فتأ) في هذه الآية و في هذا الموطن جمع كل هذه المعاني. كيف؟ المفقود مع الأيام يُنسى ويُكفّ عن ذكره أو يُسكّن لوعة الفراق أو نار الفراق في فؤاد وفي نفس من فُقد له عزيز. ولو اختار أي فعل من الأفعال الأخرى المرادفة لفعل فتأ لم تعطي كل هذه المعاني المختصة في فعل فتأ.

TODO ISLAMICBOOK.WS (جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

كتاب : لمسات بيانية المؤلف : الدكتور فاضل صالح السامرائي

قال تعالى في سورة آل عمران (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّسَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَق الْكَافِرِينَ (١٤١) اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَق الْكَافِرِينَ (١٤١) اللَّهُ في (ليعلم) هي لام التعليل ثم قال ويتخذ) عطف بدون لام ثم قال (ليمحّس) عطف وذكر اللام ثم قال (محق) عطف بدون ذكر اللام ، لماذا ؟ قلنا أن الذكر للتوكيد وما حذف أقل توكيداً وإذا استعرضنا الأفعال في الآية فهل كلها بدرجة واحدة من التوكيد والحذف؟

(وليعلم) الله تعالى يريد ذلك من كل شخص علماً يتحقق منه الجزاء لكل شخص. إذن هو أمر عام لجميع الذين آمنو ا ومن غير الذين آمنو ا فهو أمر ثابت مطلق لكل فرد من الأفراد.

(يتخذ) لا يتخذ كل المؤمنين شهداء فهذا الفعل ليس بدرجة اتساع الفعل الأول وهو ليس متعقلاً بكل فرد. (ليمحص) متعلق بكل فرد وهذا يتعلق به الجزاء.

(يمحق) لم يمحق كل الكافرين محقاً تاماً فالكفر والإيمان موجودان.

إذن عندما يذكر اللام على وجه العموم والمقصود يكون كل فرد من الأفراد والحذف عكس ذلك.

قال تعالى (ولتبتغوا فضلاً من ربكم) في الحالتين ذكر اللام لأن الأمرين مطلوبين حتماً في هذه الحياة.

قال تعالى في سورة النساء (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨)) وقال تعالى في سورة البقرة (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوا بِهِ مُتَشَابِهَا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥))

ذكر الباء في الآية الأولى (بأن) وحذفها في الثانية (أن) مع أن التقدير هو (بأن) لماذا؟ لأن تبشير المنافقين آكد من تبشير المؤمنين ، ففي السورة الأولى أكّد وفصّل في عذاب المنافقين في عشرة آيات من قوله (ومن يكفر بالله وملائكته). أما في الآية الثانية فهي الآية الوحيدة التي ذكر فيها كلاماً عن الجزاء وصفات المؤمنين في كل سورة البقرة. إذن (بأن) أكثر من (أن) فالباء الزائدة تناسب الزيادة في ذكر المنافقين وجزاؤهم. وقال تعالى في سورة الأحزاب (وبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَصْلًا كَبِيرًا (٤٧)) لأنه تعالى فصّل في السورة جزاء المؤمنين وصفاقهم.

قال تعالى في سورة المؤمنون (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابِ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩)) وقال في سورة الزخرف فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابِ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٣)) وقال في سورة المؤمنون السياق في الكلام عن الدنيا وأهل الدنيا وتعداد النعم قال (ومنها تأكلون) فالفاكهة في الدنيا ليست للأكل فقط فمنها ما هو للإدخار والبيع والمريّبات والعصائر فكأنه تعالى يقصد بالآية : ومنها تدّخرون، ومنها تعصرون ومنها تأكلون وهذا ما يُسمّى عطف على مخذوف. أما في سورة الزخرف فالسياق في الكلام عن الجنة والفاكهة في الجنة كلها للأكل ولا يُصنع منها أشياء

تتوفاهم - توفّاهم، تنزّل - تتنزّل، تذكرون - تتذكرون، تبدّل - تتبدل. الحذف من الفعل يدخل تحت ضابطين في القرآن كله: 1. يحذف من الفعل إما للدلالة على الإقتطاع من الفعل.

٢. يحذف من الفعل في مقام الإيجاز ويذكر في مقام النفصيل.

قال تعالى في سورة فصلت (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَاتِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)) وقال في سورة القدر (تَنزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّو حُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْر (٤)) استخدم هس الفعل للضارع لكن حذفت التاء في الآية الثانية (تنزّل) لماذ؟

الآية الأولى هي عند الموت تنزل الملائكة على الشخص المستقيم تبشرة بمآله إلى الجنة ، أما الثانية فهي في ليلة القدر ، التنزّل في الآية الأولى يحدث في كل لحظة لأنه في كل لحظة يموت مؤمن في هذه الأرض إذن الملائكة في مثل هذه الحالة تتنزّل في كل لحظة وكل وقت أما في الآية الثانية فهي في ليلة واحدة في العام وهي ليلة القدر. لإذن التنزّل الأول أكثر استمرارية من التنزّل الثاني، ففي الحدث المستمر جاء الفعل كاملاً غير مقتطع (تتنزّل) أما في الثانية في الحدث المحدث المتعمر جاء الفعل كاملاً غير مقتطع (تتزّل) أما في الثانية في الحدث المحدث المتعمر جاء الفعل كاملاً غير مقتطع الفعل (تنزّل).

مثال آخر في قوله تعالى في سورة النساء (إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمُ الْمَاتِكَةُ ظَالِمِي أَقْفُسِهِمْ قَالُوا فِيهَا قَلُوا كُنَّا مُسْتَصْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأُولَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧)) مُسْتَصْعَفِينَ فِي اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا وَفِي سورة النحل (الَّذِينَ تَتَوَقَّاهُمُ الْمَاتِفِينَ فِي السياقين: في آية سورة النساء المتوفين في السياقين: في آية سورة النساء المتوفون هم جزء من المتوفين في آية سورة النحل ففي سورة النساء المتوفون هم المستضعفون من الذين ظلموا أنفسهم أما في سورة النحل فالمتوفون هم ظلمي أنفسهم كلهم على العموم. فأعطى تعالى القسم الأكبر الفعل الأطول وأعطى القسم الأقل الفعل الأقلّ مثال آخر في سورة الأحزاب (لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَرْوًا جٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسنتُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء رَقِيبًا (٥٠)) وقوله تعالى (وَآثُوا الْيَتَهَى أَمُوالَهُمْ وَلَا تَشَدَّلُوا الْخَبِيثَ مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء رَقِيبًا (٥٠)) وقوله تعالى (وَآثُوا الْيَتَهَى أَمُوالَهُمْ وَلَا تَشَدَّلُوا الْخَبِيثَ مِنْ أَرُولُ الْمُ عَلَى كُلِّ شَيْء رَقِيبًا (٥٠)) وقوله تعالى (وَآثُوا الْيَتَهَى أَمُوالَهُمْ وَلَا تَشَدَّلُوا الْخَبِيثَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء رَقِيبًا (٢٥)) وقوله تعالى (وَآثُوا الْيَتَهَى أَمُوالَهُمْ وَلَا تَشَدَّلُوا الْخَبِيثَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء رَقِيبًا وه عموم المسلمين وليس مقصور عليه أحد معين وإنما هو مستمر إلى يوم القيامة. لذا لكل المسلمين وهذا التبدّل هو لعموم المسلمين وليس مقصوراً على أحد معين وإنما هو مستمر إلى يوم القيامة. لذا أعطى الحدث الصغير الصغير الصيغة القصيرة (تبدّل) وأعطى الحدث المعية الممتدة (تبدلوا).

مثال آخر: قال تعالى في سورة الشورى (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشِكُ وَلَا تَتَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)) وقال في سورة آل عمران (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَقَرَّقُوا وَاذْكُرُوا يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)) وقال في سورة آل عمران (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَقَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نَعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَآصِبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا خُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مَنْ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٠٣)) في الآية الأولى الوصية خالدة من زمن سيدنا نوح – عليه

السلام – إلى خاتم الأنبياء – صلى الله عليه وسلم – فجاء الفعل (تتفرقوا) أما في الآية الثانية فهي خاصة بالمسلمين لذا جاء الفعل (تفرقوا). والأمة المحمدية هي جزء من الأمم المذكورة في الآية الأولى. وكذلك فالحدث محدد في الثانية (تفرقوا). فالأولى وصية خالدة على زمن الأزمان (ولا تتفرقوا فيه) لأن هذا هو المأتى الذي يدخل إليه أعداء الإسلام فيتفرقون به لذا جاءت الوصية خالدة مستمرة، وصّى تعالى الأمم مرة ووصّى الأمة الإسلامية مرتين. والآية الأولى أشد تحذيراً للأمة الإسلامية (شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك). شرعه لنا في الوصية العامة لنوح وخصّ بالذي أوحينا إليك ثم خصّ الأمة الإسلامية في الآية الثانية والحذف له سببان هنا الأولى لأن الأمة المحمدية أصغر. ولهانا عن التفرّق مهما كان قليلاً وأراد ربنا تعالى أن نلتزم بهذا الأمر (لا تفرقوا) وقال (واعتصموا بحبل الله جميعا). أكد على الجمع الكامل

وعلى سبيل العموم كأنه فرض عين على الجميع فلا يُعفى أحد من المسؤولية أن لا نتفرق وأن نعتصم بحبل الله وذكرهم بنعم الله عليهم وتوعدهم على الإختلاف بالعذاب العظيم وأطلق العذاب ولم يحصره في الآخرة إنما قد يطالهم في الدنيا والآخرة. للصدر لا يعمل بعدوصفه (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) ليست متعلقة بالعذاب العظيم. التفرّق يكون عذابه عظيماً في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى (والذي أوحينا إليك) اختار الإسم الموصول (الذي) عندما ذكر شريعة محمد – صلى الله عليه وسلم – ولم يقل (وما أوحينا إليك) لأن (الذي) أعرف وأخص من (ما) التي تشترك في المفرد والمثنى والجمع وللذكر والمؤنث. وقد بيّن تعالى شريعتنا وعرفناها فجاء بالأعرف (اسم الموصول الذي)، لا نعلم على وجه النفصيل ما وصّى الله تعالى نوحاً وعيسى وموسى وإبراهيم لذا اختار سبحانه (ما) اسم الموصول غير المعرّف. مثال آخر: قال تعالى في سورة لقمان (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ الشّكُرُ لِلّهِ وَمَنْ يَشْكُرُ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ الله كَنيِّ حَمِيدٌ (١٢)) وقال في سورة إبراهيم (وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكَثَفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللّهَ لَغَنيٌّ حَمِيدٌ (٨)) في الآية الأولى أكدها بـ (إن) بقوله (فإن الله غني حميد) وغني نكرة وحميد نكرة. أما في الآينة الأينية فأكد بـ (إن) واللام (فإنه لغني حميد). وفي سورة لقمان أيضاً قال تعالى (لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَاللّارْضِ إِنَّ اللّهَ لَهُو الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٢)) باستخدام الضمير (هو) والتعريف (الغني الحميد) أما في سورة الحجر (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَاللّامِ فلِي اللهُ عَلى اللهُ عَلى اللهُ عَلَى الشَّمَاوَاتِ وَاللّهُ لَهُو الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٢)) زاد تعالى اللام على الضمير المفصل (هو) لذ؟

في الفرق بين آية لقمان الأولى وآية سورة إبراهيم نجد أن الثانية آكد من الأولى لأنه ذكر اللام. في آية سورة لقمان ذكر تعالى صنفين أي جعل الخلق على قسمين : من شكر ومن كفر، ومن كفر بعض من الناس. أما في آية سورة إبراهيم (وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَثْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيُّ حَمِيدٌ (٨)) افترض كُفر أهل الأرض جميعًا لذا جاء قوله (فإن الله لغني حميد) أعم وأشمل. إن تكفروا تحتاج إلى الإستمرار وتحتاج إلى التوكيد فكان التوكيد فكان التوكيد أنسب من الآية الأولى. في سورة آل عمران (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْيَبْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّه غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)) باستخدام صيغة الماضي و في النَّاسِ حِجُّ الْيَبْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّه غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)) باستخدام صيغة الماضي و في النَّاسِ وجَجُّ الْيَبْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّه غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)) باستخدام صيغة الماضي و في النَّاسِ وجَجُّ الْيَبْتِ مَنِ اسْتَطِل يفترض الحدث مرة آية سورة إبراهيم (وإن تكفروا) بصيغة المضارع. فعل الماضي بعد أداة الشرط مع المستقبل يفترض الحدث مرة واحدة أما فعل المضارع فيدل على تكرار الحدث.

واستخدام صيغة الماضي والمضارع في القرآن كثير مثل قوله تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِن أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنة إِلَا حَطاً وَمَنْ قَتَلَ مِوْ فَوْمِنة وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُو لَكُمْ وَهُو مَوْمِن فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَيَيْبَهُمْ مِيتَاقٌ فَدِيَةٌ مُسلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدُ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٣) النساء) وقوله تعالى (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاوُهُ جَهَنَم خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) النساء) أي كلما سنحت له الفرصة قتل جَهَنَم خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) النساء) أي كلما سنحت له الفرصة قتل وهذا دليل التكوار لذا جاء الفعل بصيغة المضارع. وكذلك في قوله تعالى (ومن يشكر فإنما يشكر لفسه) صيغة المضارع لأن الشكر يكون في كل لحظة على كل نعم الله أما (ومن كفر) جاء بصيغة الماضي لأن الكفر يحصل مرة واحدة فقط. وقال تعالى (إنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيَحْفِكُمْ تُبْخَلُوا وَيُخْرِجُ أَصْغَانَكُمْ (٣٧) محمد) سؤال متكرر فجاء الفعل بصيغة المضارع، وقال تعالى (قَالَ إنْ سَأَلُتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَلُهُ عُذَرًا (٣٧) الكهف) السؤال حصل مرة واحدة فجاء بصيغة الماضي.

أسئلة:

- فأكله الذئب: لماذا لم يقل أفترسه لأن هذا عادة الذئب الإفتراس ؛ والإفتراس يُفترض أن يمزّق ثيابه كلها وإخوة يوسف جاءوا على قميصه بدم كذب فدلّ ذلك على أن الذئب لم يفترسه لذا جاء فعل (فأكله).

-قال تعالى: (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) النساء) المعروف أن النبشير بالشيء الحسن أما هنا فجاء النبشير من باب السخرية والتهكم منهم. كما في قوله تعالى أيضاً (ذُق أنك أنت العزيز الكريم) العزيز الكريم من باب التهكم والسخرية.

-لماذا نصب (ديناً) في قوله تعالى (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (171) الأنعام)؟ النصب يدخل في باب التخصيص بالمدح.

-قال تعالى (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلِّ يَجْرِي لِأَجْلٍ مُسَمَّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ ثُوقِنُونَ (٢) الرعد) على ماذا يعود الضمير في ترولها؟ قسم يقول إلها عمد غير مرئية بمعنى (بغير عمد مرئية) وقسم قال (بغير عمد ثم استأنف ترولها بمعنى ترولها مرفوعة بغير عمد. هناك تعبيرات قطعية وتعبيرات ظنية وهذه الآية تحتمل المعنيين.

-ما الفرق بين "استطاعوا " وَ "اسطاعوا " في سورة الكهف (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧))؟ هذه من الحذف للتقليل من الفعل كما ذكرنا سابقاً. استطاعوا تحتاج إلى جهد لنقب السدّ أما اسطاعوا فهي للصعود على ظهره وبالتأكيد أن إحداث نقب في السد المصنوع من الحديد والنحاس أشدّ من الصعود على ظهره ويستغرق وقتاً أطول فحذف من الفعل الذي مدته أقل وذكر في الحدث الممتد.

-ما دلالة التذكير والتأنيث في قوله تعالى (وقال نسوة في الْمَدِينةِ الْمَرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَال مُبِينِ (٣٠) يوسف)؟ بحسب القاعدة النحوية المعروفة أنه جائز باعتبار أن جمع التكسير يجوز تذكيره وتأنيثه. يؤنّث الفعل عندما يكون الفاعل أكثر وإذا كان أقل يُذكّر الفعل. ونسوة هن حاشية امرأة العزيز. كما جاء في قوله أيضاً (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنًا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُل الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ

تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) الحجرات) استخدم الفعل قالت مؤنشاً لأن الأعراب كُثُر. وكذلك في قوله تعالى (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُوْمِنَ لِرَسُولِ حَثَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلِّ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُثْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) آلَ عمران) هؤ لاء النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَتْ مِعْمُوعة مِن الرسل أما في قوله تعالى (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُودٌ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسرُوا أَتْهُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ وَكُلُوا يَقْتُولُ اللَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسرُوا أَتْهُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كُثُو مِن الأُولِى لذا جاء الفعل مؤنثاً.

-لاذا التحول في الخطاب من المفرد إلى الجمع في قوله تعالى (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْوَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) طه) ؟ هذا يسمى النفاف ويستعمل لتطرية نشاط السامع وقد ورد في القرآن كثيراً. يلتفت من الغائب إلى الحاضر ومن الجمع إلى الإفراد ومن الغائب إلى المتكلم. ما معنى جيوهن؟ الجيب هو فتحة الصدر.

تذكير الفعل أو تأنيثه

مع الفاعل المؤنّث

قال تعالى (و لا تكونوا كالذين جاءهم البينات) وقال تعالى (وما كان صلاهم عند البيت) وقال تعالى (قد كان لكم فيهم أسوة حسنة)

هناك خط بلاغي في القرآن الكريم حول هذا الموضوع وقد أُثير في عديد من الأسئلة خلال الحلقات ونذكر منها ما جاء في تذكير وتأنيث الفعل مع كلمة الضلالة والعاقبة وكذلك مع كلمة الملائكة وكذلك مع كلمة البيّنات. وقلنا باختصار أنه:

* تذكير الفاعل المؤنث له أكثر من سبب وأكثر من خط في القرآن الكريم. فإذا قصدنا باللفظ المؤنث معنى المذكر جاز تذكيره وهو ما يُعرف بالحمل على المعنى. وقد جاء في قوله تعالى عن الضلالة (فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ التَّحَنُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٠) الأعراف) وقوله تعالى (وَلَقَدْ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ التَّحَنُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ أُعْبُلُوا اللَّهَ وَاجْتَنبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) النحل). ونرى أنه في كل مرة يذكر فيها الضلالة بالتذكير تكون الضلالة بمعنى العذاب لأن الكلام في الآخرة (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) الأعراف) وليس في الآخرة ضلالة بمعناها لأن الأمور كلها تنكشف في الآخرة. وعندما تكون الضلالة بالتأنيث يكون الكلام في الدنيا فلمّا كانت الضلالة بمعناها هي يؤنّث الفعل.

* وكذلك بالنسبة لكلمة العاقبة أيضاً تأتي بالتذكير مرة وبالتأنيث مرة ، وعندما تأتي بالتذكير تكون بمعنى العذاب وقد وردت في القرآن كثيرة منها قوله تعالى في سورة الأمثلة في القرآن كثيرة منها قوله تعالى في سورة الأنعام (قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ { ١١}) وسورة يونس (فَكَذَّبُوهُ فَتَجَّيْنَاهُ وَمَن مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ { ٧٣ }) و(وَأَمْطَرْنَا

عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) الأعراف) و(فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) الصافّات) المقصود بالعاقبة هنا محل العذاب فجاء الفعل مذكراً. وعندما تأتي بالتأنيث لا تكون إلا بمعنى الجنّة كما في قوله تعالى (وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) القصص) وقوله تعالى في سورة الأنعام (قُلْ يَا قَوْمٍ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَاتَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدِّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥) }.

* تذكير كلمة شفاعة مرة وتأنيثها مرة أخرى في سورة البقرة: قال تعالى في سورة البقرة (وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْس شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُوْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ {٤٨} }) وقال في نفس السورة نفس مَن تَفْس شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُها شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ {٢٣ } }). جاءت (وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ يَخْزِي نَفْس مَن تَفْس شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُها شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ {٢٣ } }). جاءت الآية الأولى بتذكير فعل (يقبل) مع الشفاعة يينما جاء الفعل (تنفعها) مؤنثاً مع كلمة الشفاعة نفسها. الحقيقة أن الفعل (يقبل) لم يُذكّر مع الشفاعة إلا في الآية الثانية فالمقصود البقرة وهنا المقصود ألها جاءت لمن سيشفع بمعنى أنه لن يُقبل ممن سيشفع أو من ذي الشفاعة. أما في الآية الثانية فالمقصود الشفاعة نفسها لن تنفع وليس الكلام عن الشفيع. وقد وردت كلمة الشفاعة مع الفعل المؤنث في القرآن الكريم في آيات أخرى منها في سورة يس (أَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرً لاَّ تُغْنِ عَنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ {٣٣ }) وسورة النجم (وَكَم مِّن مَّلكِ في السَّمَاوَاتِ لَا تُغْني شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً ولاَ يَقْدُنُونِ غَيْر ضَى {٢٣ }).

* وكذلك كلمة (البيّنات) فإذا كانت بمعنى العلامات الدالة على المعجزات أنّث الفعل وإذا كانت بمعنى الأمر والنهي وحدّ الله والدين ذكّر الفعل هناك حكم نحوي مفاده أنه يجوز أن يأتي الفعل مذكراً والفاعل مؤنثاً. وكلمة (البيّنات) ليست مؤنث حقيقي لذا يجوز تذكيرها وتأنيثها. والسؤال ليس عن جواز تذكير وتأنيث (البيّنات) لأن هذا جائز كما قلنا لكن السؤال لماذا؟ لماذا جاء بالاستعمال فعل المذكر (جاءهم البيّنات) مع العلم أنه استعملت في غير مكان بالمؤنث (جاءهم البيّنات)؟

جاءهم البيّنات بالتأنيث: يؤنّث الفعل مع (اليّنات) إذا كانت الآيات تدلّ على النبوءات فأينما وقعت بهذا المعنى يأتي الفعل مؤنثاً كما في قوله تعالى في سورة البقرة (فَإن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٩٠٢}) والآية (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدةً فَبَعثَ اللّهُ النَّبيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكَثِّابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيّنَاتُ بَعْنَهُمْ مَلَى اللّهُ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {٢١٣}) و (تِلْكَ الرُّسُلُ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {٢١٣}) و (تِلْكَ الرُّسُلُ النَّذِينَ مَن الْحَقِّ الْأَدْينَ مَن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {٢٦٩ }) و (تِلْكَ الرُّسُلُ الْذِينَ آمَنُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ ذَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَوْيَمَ الْيَيِّنَاتِ وَآيَدُنَاهُ بِرُوحٍ اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَعْضَهُمْ ذَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَوْيَمَ الْيَيِّنَاتِ وَلَيْدُنَاهُ بِرُوحٍ وَلَقُولُوا فَوْقِهُم مَّن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتُهُمُ الْبَيّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّن آمَن وَمِنْهُم مَّن وَمُوله في سورة النساء (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكَتِابِ أَن اللّهُ مَا الْقَتَلُواْ وَلَكِنَ اللّهُ عَلْمَ الْكَهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتُهُمُ الْمَالَعُ مُونَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُّيناً وَهُمُ الْمَاعَةُ بِظُلُوهُمْ مُ ثُمَّ الْعَالَالُهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتُهُمُ الْمَايِّقِيْ وَلَكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلُطَاناً مُّيناً مُّهُمُ السَّعَةِ مُ الْمَلْقَمُ الْمُؤَلِقُولُونا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلُطَاناً مُّيناً وَلَاهُ مُؤْمَلُولُ الْعَرفُولُ الْعَرفُولُ الْعَرفُولُ الْعَرفُولُ الْعَرفُولُ الْعَرفُولُ الْعَلْمُ الْمُؤْمُولُونا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنًا مُوسَى اللّهُ عَرفُولُ الْعَرفُولُ الْعَرفُولُ الْعَرفُ الْعَلْمُ الْمُؤْمُولُولُ الْعَنْ الْمُؤْمُولُولُ الْعَرفُولُولُ الْعَرفُولُولُ الْعَرفُولُ الْعَرفُولُ الْعَرفُولُ الْعَرفُولُ

^{*} أما "جاءهم البيّنات" بالتذكير: فالبيّنات هنا تأتي بمعنى الأمر والنهي وحيثما وردت كلمة اليّنات بهذا المعنى من الأمر والنهي يُذكّر الفعل كما في قوله تعالى في سورة آل عمران (كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِلُواْ

أَنَّ الرَّسُولَ حَقِّ وَجَاءهُمُ الْيَّيِنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {٨٦}) و (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {٥٠١}) وفي سورة غافر (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءنيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {٦٦}).

*. وقد يكون التأنيث للكثرة والتذكير للقلة كما في قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا) وقوله تعالى (وقال نسوة في المدينة). ونقول أن هذا الأمر جائز من حيث الجواز اللغوي وليس في هذا شيء لكن السؤال يبقى لماذا اختار تعالى التذكير في موضع والتأنيث في موضع آخر؟ و نأخذ قوله تعالى (جاءكم رسول) بتذكير فعل جاءكم، وقوله تعالى (جاءت رسل ربنا) بتأنيث فعل جاءت. ونلاحظ أنه في الآية الأولى كان الكلام عن جميع الرسل في جميع الأمم من آدم إلى أن تقوم الساعة وهذا يدل على الكثرة فجاء بالفعل مؤتناً للدلالة على الكثرة. أما في الآية الثانية فالخطاب لبني إسرائيل ولزمرة منهم وفي حالة معينة أيضاً وهذا يدل على القلة فجاء بالفعل مذكّراً.

* مثال آخر قوله تعالى (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكُفُرُونَ (٣٥) الأنفال) والمكاء والتصدية : هما التصفيق والصفير وكلاهما مذكر وجاء الفعل مع كلمة (الصلاة) مذكراً لأن المراد بالصلاة هنا التصفيق والصفير وكلاهما مذكر. والصلاة عندهم كانت تفيد الطواف والطواف مذكر أيضاً (صلاهم كانوا يطوفون وحول الكعبة ويصفقون ويصفرون). إذن الطواف والتصفيق والصفير كلّها مذكر فجاء الفعل مع كلمة الصلاة المقصود بمعناها المذكر جاء مذكراً.

* قال تعالى (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِهَا حِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتُ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلُ صَالِحًا تُوْتِهَا أَجْرَهَا مَوَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) الأحزاب) هذه الآية ليست من باب التذكير والتأنيث أصلاً في اللغة تستعمل للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع وطبيعة والسؤال هو لماذا استعمل (من) في الآية؟ من أصلاً في اللغة تستعمل للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمحمع وطبيعة المؤد في كلام العرب والقرآن أنه حتى لو كان الخطاب للإناث أو الجمع يأتي أول مرة بـ (من) بصيغة المفرد المذكر ثم يعقبه ما يوضح المعنى. ومهما كانت حالة من سواء أكانت إسماً موصولاً أو نكرة تامة بمعنى شخص أو المذكر ثم يعقبه ما يوضح المعنى. ومهما كانت حالة من سواء أكانت إسماً موصولاً أو نكرة تامة بمعنى شخص أو ذات أو كانت اسم شرط، يؤتى بها بصيغة المفرد المذكر أول مرة ثم يُعاد عليها بمعناها في المرة الثانية كقوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين) وهذا هو خط القرآن وهو الأكثر في كلام العرب وهذا هو الأصل. وكقوله تعالى (ومنهم من يقول ائذن لي). والآية موضع السؤال (من يأت منكن) تدخل في هذه القاعدة جاء بـ (من) بما يدل على الإفراد والتذكير ثم جاء فيما بعد بما يدل على المعنى. وإذا خرج عن هذا الأمر كما في قوله تعالى (ومنهم من ينظر إليك ومنهم من يستمعون إليك) جاء في الأولى بالإفراد والثانية جمع لماذا؟ نسأل أيهما أكثر الذين ينظرون إلى الشخص أم الذين يستمعون إليه؟ الجواب الذين يستمعون ولهذا عبر عنهم بالجمع المهما أكثر ولهذا عندما يخالف القاعدة فإنه يخالف بما يقتضيه السياق والمعنى.

* مثال آخر قوله تعالى (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتَتَيْنِ الْتَقَتَا فِنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَيِلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةَ لِأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣) آل عمران) وفي آية أخرى (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣) آل عمران) وفي آية أخرى (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَةٍ مَنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) الأنعام) وقوله تعالى (وَإِذَا جَاءَتُهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُوْتَى هِشْلَ مَا لُكَةً وَاللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَكِيدٌ بِمَا كَانُوا

يَمْكُرُونَ (١٢٤) الأنعام) نقول أنه من حيث الحكم النحوي يجوز تذكير وتأنيث الفعل لكن يبقى السر البياني لهذا التذكير والتأنيث. ونقول أنه عندما تكون كلمة (آية) بمعنى الدليل والبرهان تكون بمعنى مذكّر فيأتي الفعل بالتذكير وإذا كانت كلمة الآية بمعنى الآية القرآنية أنّث الفعل (وإذا جاعقم آية).

* مثال آخر قوله تعالى في سورة الممتحنة (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسُوةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا وَبُنكُمُ وَبِمَا تَعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا يَّيْنَا وَبَيْنكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْصَاءُ أَبَدًا وَإِلَيْكَ أَلْبَا وَاللَّهُ وَحْدَهُ إِلَّا قُولُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لِلَّسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْء رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَلْنَا وَإِلَيْكَ أَلْبَنَ اللَّهُ هُوَ إِلَّا قُولُ إِبْرَاهِيمَ لِلْبَيهِ لِلسَّتِفْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مَن اللَّهِ مِنْ شَيْء رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَلْنَا وَإِلَيْكَ أَلْمَصِيرُ (٤)) وفي سورة الأحزاب (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهم أَسُوةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّه وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَ أَنِه مِن الناحية النحوية إذا كثرت الفواصل فالتذكير أفضل. في الآية الأولى النَّاخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)) ونقول أنه من الناحية النحوية إذا كثرت الفواصل فالتذكير أفضل. في الآية الأولى الفاصل بين الفعل وكلمة أسوة (لكم) أما في الآية الثانية فالفاصل (لكم فيهم) وفي الثالثة (لكم في رسول الله) فعندما تكون الفاصلة أكثر يقتضي التذكير .وهناك أمر آخر وهو أن التذكير في العبادات أفضل وأهم من التأنيث كما جاء في مريم (وكانت من القانتين) لأن الذين كملوا في التذكير أكثر. وكذلك عندما يتحدث عن عبادة الملائم في هذه عامة وهي أهم و الإستشاء هو قول إبراهيم، أما في الثانية (فيكم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) هذه عامة وهي أهمّ ولذلك أكدها باللام (لقد كان لكم) وجاء بأمرين بتذكير العبادة كما جاء باللام في جواب القسم المقدّر وكذلك في آية سورة الأحزاب الآية عامة ولم

يخصص بشيء ولهذا ذكّر وخصص باللام الواقعة في جواب القسم، أما في الأولى فجاء بـــ (قد) وأنّث الفعل. فعندما اتسعت العبادة وصارت أعمّ وأوسع من الأولى ذكّر وجاء باللام وهذا هو الأمر البياني بالإضافة إلى الأمر النحوي الذي تحدثنا عنه.

* التذكير مرة والتأنيث مرة مع الملائكة في القرآن الكريم : قال تعالى في سورة ص (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {٧٣}) وجاءت الملائكة هنا بالتذكير، وفي سورة آل عمران (فَنَادَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُنشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ {٣٩}) جاءت الملائكة بالتأنيث. الحكم النحوي: يمكن أن يؤنّث الفعل أو يُذكّر إذا كان الجمع جمع تكسير كما في قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا) و(قالت نسوة في المدينة) فيجوز التذكير والتأنيث من حيث الحكم النحوي.

اللمسة البيانية: أما لماذا اختار الله تعالى التأنيث في موطن والتذكير في موطن آخر فهو لأن في الآيات خطوط تعييرية هي التي تحدد تأنيث وتذكير الفعل مع الملائكة. وهذه الخطوط هي:

^{*} في القرآن الكريم كله كل فعل أمر يصدر إلى الملائكة يكون بالتذكير (اسجدوا، أنبئوني، فقعوا له ساجدين)

^{*} كل فعل يقع بعد ذكر الملائكة يأتي بالتذكير أيضاً كما في قوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) و(الملائكة يشهدون) (الملائكة يسبحون بحمد ربمم)

^{*} كل وصف إسمي للملائكة يأتي بالتذكير (الملائكة المقرّبون) (الملائكة باسطوا أيديهم) (مسوّمين، مردفين، منزلين) * كل فعل عبادة يأتي بالتذكير (فسجد الملائكة كلهم أجمعين) (لا يعصون الله ما أمرهم) لأن المذكر في العبادة أكمل من عبادة الأنشى ولذلك جاء الرسل كلهم رجالاً.

* كل أمر فيه شِدّة وقوة حتى لو كان عذابين أحدهما أشدّ من الآخر فالأشدّ يأتي بالتذكير (ولو ترى إذا يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق) (يتوفى) جاءت بالتذكير لأن العذاب أشد (وذوقوا عذاب الحريق) أما في قوله تعالى (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) (تتوفاهم) جاءت بالتأنيث لأن العذاب أخف من الآية السابقة. وكذلك في قوله تعالى (ونزّل الملائكة تنزيلا) بالتذكير وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها من كل أمر) بالتأنيث.

* لم تأت بشرى بصيغة التذكير أبداً في القرآن الكريم فكل بشارة في القرآن الكريم تأتي بصيغة التأنيث كما في قوله تعالى (فنادته الملائكة) و (قالت الملائكة)

* قال تعالى (إذا جاءكم المؤمنات) هذه تندرج أيضاً في سياق الكثرة والقلة وفي سياق زيادة الفواصل أيضاً.

التقديم والتأخير

في القرآن الكريم

المفهوم الفعلي من حيث الدلالة اللغوية للتقديم والتأخير أنه إذا بدأنا بكلمة سابقة على غيرها فقد قدمناها في الكلام. والتقديم نوعان أو ثلاثة:

تقديم اللفظ على عامله نحو قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) وقوله تعالى (وربك فكبّر) وقولنا : زيداً أكل أو زيداً أكرمت.و بمحمد اقتديت.

تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل وذلك نحو قوله تعالى (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) البقرة وقوله (وَمَا أُهِلَّ لِغَيْر اللَّهِ بهِ) المائدة

أولاً: تقديم اللفظ على عامله:

ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله وتقديم الحال على فعله وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما وتقديم الخبر على المبتدأ ونحو ذلك. وهذا النقديم في الغالب يفيد الإختصاص فقولك (أنجدت خالداً) يفيد أنك أنجدت خالداً ولا يفيد أنك خصصت خالداً بالنجاة بل يجوز أنك أنجدت غيره أو لم تنجد أحداً معه. فإذا قلت: خالداً أنجدت أفاد ذلك أنك خصصت خالداً بالنجدة وأنك لم تنجد أحداً آخو.

ومثل هذا التقديم في القرآن كثير: فمن ذلك قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) في سورة الفاتحة، فقد قدّم المفعول به " إياك " على فعل العبادة وعلى فعل الإستعانة دون فعل الهداية قلم يقل إيانا اهد كما قال في الأوليين ، وسبب ذلك أن العبادة والإستعانة مختصتان بالله تعالى فلا يعبد أحد غيره و لا يستعان به. وهذا نظير قوله تعالى (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) الزمر) وقوله (وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) البقرة) فقدم المفعول به على فعل العبادة في الموضعين وذلك لأن العبادة مختصة بالله تعالى.

** ومثل التقديم على فعل الإستعانة قوله تعالى (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢) ابراهيم) وقوله (على الله توكلنا ربنا ، الأعراف) وقوله (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) هود) فقدم الجار والمجرور للدلالة على الإختصاص وذلك لأن التوكّل لا يكون إلا على الله وحده والإنابة ليست إلا إليه وحده.

ولم يقدم مفعول الهداية على فعله قلم يقل: إيانا اهد كما قال (إياك نعبد) وذلك لأن طلب الهداية لا يصح فيه

الإختصاص إذ لا يصح أن تقول اللهم اهدني وحدي ولا تمد أحداً غيري أو خُصني بالهداية من دون الناس وهو كما تقول اللهم ارزقني واشفني وعافني. فأنت تسأل لنفسك ذلك ولم تسأله أن يخصك وحدك بالرزق والشفاء والعافية فلا يرزق أحداً غيرك ولا يشفيه ولا يعافيه.

** ومن هذا النوع من النقديم قوله تعالى (قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوكَلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي صَلَال مُبِينِ (٢٩) الملك) فقدم الفعل آمنا على الجار والمجرور (به) وأخر توكلنا عن الجار والمجرور (عليه) وذلك لأن الإيمان لله لم يكن منحصراً في الإيمان بالله بل لا بد معه من رسله وملائكته وكتبه واليوم الأخر وغيره مما يتوقف صحة الإيمان عليه، بخلاف التوكل فإنه لا يجوز إلا على الله وحده لتفرده بالقدرة والعلم القديمين الباقيين قدّم الجار والمجرور فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله وون غيره لا يملك ضراً ولا نفعاً فيتوكل عليه. ** ومن ذلك أيضاً قوله تعالى (ألا إلى الله تصير الله وفي وقوله تعالى (إلا إلى الله وهو نظير قوله تعالى (إلا إلى الله وهو نظير قوله تعالى (إليه أَدْعُو وَإلَيْهِ مَأْب (٣٦) الرعد) وقوله (وَلَكِنْ كَذَّب وَتَوَلَّى (٣٣) القيامة) فالمساق إلى الله وحده لا إلى ذات أخرى وهذا ليس من النقديم من أجل مراعاة المشاكلة لرؤوس الآي كما القيامة) فالمساق إلى الله وحده لا إلى ذات أخرى وهذا ليس من النقديم من أجل مراعاة المشاكلة لرؤوس الآي كما كلله (٣٣) هود) وقوله (وَلَقَطَّعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ كُلِّ إلَيْهَا رَاجُعُونَ (٣٣) الأنياء) وغير ذلك من الآيات. فقيه ومن هذا الباب قوله تعالى (إليه يُرتُم عُلُم السَّاعَة (٧٤) فصلت) فعلم الساعة مختص بالله وحده لا يعلمه أحد غيره ونحوه قوله تعالى (إنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَة (٧٤) فصلت) فعلم الساعة مختص بالله وحده لا يعلمه أحد غيره ونحوه قوله تعالى (إنَّ الله عِنْدُمُ السَّاعَة (٤٧) فصلت) فقدم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ وهو نظير قباساقة.

** ونحو قوله (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ (٥٩) الأنعام) فقدم الظرف الذي هو الخبر على المبتدأ (مفاتح الغيب) وذلك لاختصاصه سبحانه بعلم الغيب ألا ترى كيف أكد ذلك الإختصاص بأسلوب آخر هو أسلوب القصر فقال: لا يعلمها إلا هو؟

وقد يكون التقديم من هذا النوع لغرض آخر كالمدح والثناء والتعظيم والتحقير وغير ذلك من الأغراض، إلا أن الأكثر فيه أنه يفيد الإختصاص. ومن التقديم الذي لا يفيد الإختصاص قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلَّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ (٨٤) الأنعام) فهذا ليس من باب التخصيص إذ ليس معناه أننا ما هدينا إلا نوحاً وإنما هو من باب المدح والثناء. ونحو قوله (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) الضحى) إذ ليس المقصود به جواز قهر غير السائل وإنما هو من باب التوجيه فإن اليتيم ضعيف وكذلك السائل وهما مظنة القهر فقلمهما للاهتمام بشأهما والتوجيه إلى عدم استضعافهما.

ثانياً: تقديم اللفظ وتأخيره على غير العامل:

إن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول، يجمعها قولهم: إن التقديم إنما يكون للعناية والإهتمام. فما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام. والعناية باللفظة لا تكون من حيث أنما لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال. ولذا كان عليك أن تقدم كلمة في موضع ثم تؤخرها في موضع آخر لأن مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذاك. والقرآن أعلى مثل في ذلك فإنا نراه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام. فنراه مثلاً يقدم السماء على الأرض ومرة يقدم الأرض على السماء ومرة يقدم الإنس

على الجن ومرة يقدم الجن على الإنس ومرة يقدم الضر على النفع ومرة يقدم النفع على الضر كل ذلك بحسب ما يقتضيه القول وسياق التعبير.

فإذا أردت أن تبين أسباب هذا التقديم أو ذاك فإنه لا يصح الإكتفاء بالقول إنه قدم هذه الكلم للعناية بها والإهتمام دون تبيين مواطن هذه العناية وسبب هذا التقديم.

فإذا قيل لك مثلاً: لماذا قدم السماء على الأرض هنا؟ قلت لأن الإهتمام بالسماء أكبر ثم إذا قيل لك ولماذا قدم الأرض على السماء في هذه الآية قلت لأن الإهتمام بالأرض هنا أكبر، فإذا قيل ولماذا كان الإهتمام بالسماء هناك أكبر وكان الإهتمام بالأرض هنا أكبر؟

وجب عليك أن تبين سبب ذلك وبيان الإختلاف بين الموطنين بحيث تبين أنه لا يصح أو لا يحسن تقديم الأرض على السماء فيما قدمت فيه السماء أو تقديم السماء على الأرض فيما قدمت فيه الأرض بياناً شافياً. وكذلك بقية المواطن الأخرى. أما أن تكنفي بعبارة أن هذه اللفظة قدمت للعناية والإهتمام بها فهذا وجه من وجوه الإبهام. والإكتفاء بها يضيع معرفة التمايز بين الأساليب فلا تعرف الأسلوب العالي الرفيع من الأسلوب المهلهل السخيف إذ كل واحد يقول لك: إن عنايتي بهذه اللفظة هنا أكبر دون البصر بما يستحقه المقام وما يقتضيه السياق. إن فن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أو توا حظاً من معرفة مو اقع الكلم وليس ادعاء يدعى أو كلمة تقال.

وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن كما في غيره الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكافها المناسب. ولم يكتف القرآن الكريم الذي وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله. فنرى التعبير متسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة.

إن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك و كذلك مرتعا فيه سياق الكلام والإتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبمى صورة. وسنوضح هذا القول المجمل ببيان شاف.

إن القرآن كما ذكرت يقدم الألفاظ ويؤخرها حسبما يقتضيه المقام فقد يكون سياق الكلام مثلاً متدرجاً حسب القدم والأولية في الوجود، فيرتب الكلمات على هذا الأساس فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه وهكذا وذلك نحو قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) الذاريات) فخلق الجن قبل خلق الإنس بدليل قوله تعالى (وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) الحجر) فذكر الجن أولاً ثم ذكر الإنس بعدهم.

** ونحو قوله تعالى (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ (٢٥٥) البقرة) لأن السِّنة وهي النعاس تسبق النوم فبدأ بالسنة ثم النوم. ** ومن ذلك تقديم عاد على ثمود قال تعالى (وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ (٣٨) العنكبوت) فإن عاداً أسبق من ثمود.

** وجعلوا من ذلك تقديم الليل على النهار والظلمات على النور قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلِّ فِي فَلَكِ يَسْبَحُونَ (٣٣) الأنبياء) فقدم الليل لأنه أسبق من النهار وذلك لأنه قبل خلق الأجرام كانت الظلمة وقدم الشمس على القمر لأنها قبله في الوجود. وقال ريُقلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأَولِي الْأَبْصَارِ (٤٤) النور) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. ومثل تقديم الليل على النهار تقديم الظلمات

على النور كما ذكرت. قال تعالى (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ (١) الأنعام) وذلك لأن الظلمة قبل النور لما مر في الليل.

قالوا: ومن ذلك تقديم العزيز على الحكيم حيث ورد في القرآن الكريم (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) الحشر) قالوا لأنه عزّ فحكم.

** ومنه تقديم القوة على العزة لأنه قوي فعزٌ أي غلب بالقوة فالقوة أول قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٠ ٤) و (٧٠) الحج) وقال (وَكَانَ اللَّهُ قَويًّا عَزِيزًا (٢٥) الأحزاب).

** وقد يكون التقديم بحسب الفضل والشرف منه تقديم الله سبحانه في الذكر كقوله تعالى (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) النساء). فقدم الله على الرسول ثم قدم السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم فبدأ بالأفضلين وهم النبيون ثم ذكر من يعدهم بحسب تفاضلهم. كما تدرج من الفئة القليلة إلى الكثرة فبدأ بالنبيين وهو أقل الخلق ثم الصديقين وهم أكثر ثم الشهداء ثم الصالحين فكل صنف أكثر من الذي قبله فهو تدرج من القلة إلى الكثرة ومن الأفضل إلى الفاضل و لا شك أن أفضل الخلق هم أقل الخلق إذ كلما ترقى الناس في الفضل قلّ صنفهم.

** ومن ذلك قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا عَلِيظًا (٧) الأحزاب) فبدأ بالرسول لأنه أفضلهم.

** وجعلوا من ذلك تقديم السمع على البصر قال تعالى (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) الشورى * و (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١٠) و (هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠) غافر) وقال (إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) و (هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠) غافر) الإسراء) وقال تعالى (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) الإنسان) فقدم السمع على البصر. وقال (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمَّا وَعُمْيَانًا (٧٣) الفرقان) فقدم الصم وهم فاقدو السمع على العميان وهم فاقدو البصر. قالوا لأن السمع أفضل. قاو لا والدليل على ذلك أن الله تعالى لم يبعث نياً أصم ولكن قد يكون النبي أعمى كيعقوب – عليه السلام – فإنه عمى لفقد ولده.

والظاهر أن السمع بالنسبة إلى تلقي الرسالة أفضل من البصر ففاقد البصر يستطيع أن يفهم ويعي مقاصد الرسالة فإن مهمة الرسل التبليغ عن الله. والأعمى يمكن تبليغه بها وتيسير استيعابه لها كالبصير غير أن فاقد السمع لا يمكن تبليغه بسهولة فالأصم أنأى عن الفهم من الأعمى ولذا كان العميان علماء كبار بخلاف الصم. فلكون متعلق ذلك التبليغ كان تقديم السمع أولى.

ويمكن أن يكون تقديم السمع على البصر لسبب آخر عدا الأفضلية وهو أن مدى السمع أقل من مدى الرؤية فقدم ذا المدى الأقل متدرجاً من القصر إلى الطول في المدى ولذا حين قال موسى في فرعون (قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) طه) قال الله تعالى (قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦) طه) فقدم السمع لأنه يوحي بالقرب إذ الذي يسمعك يكون في العادة قريباً منك بخلاف الذي يراك فإنه قد يكون بعيداً وإن كان الله لا يند عن سمعه شيء.

وقد يكون التقديم بحسب الرتبة وذلك كقوله تعالى (فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) القلم) فإن الهمّاز هو العيّاب وذلك لا يفتقر إلى مشي بخلاف النميمة فإنما نقل للحديث من مكان إلى مكان عن شخص إلى شخص. فبدأ بالهماز وهو الذي يعيب الناس وهذا لا يفتقر إلى مشي ولا حركة، ثم انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء وهو المشي بالنميمة ثم انتقل إلى مرتبة أبعد في الإيذاء مما تقدمها. ثم انتقل إلى مرتبة أخرى أبعد مما قبلها وهو الإعتداء فإن منع الخير قد لا يصحبه اعتداء أما العدوان فهو مرتبة أشد في الإيذاء. ثم ختمها بقوله أثيم وهو وصف جامع لأنواع الشرور فهي مرتبة أخرى أشد إيذاءً. جاء في بدائع الفوائد: وأما تقدم همّاز على مشّاء بنميم فالرتبة لأن المشي مرتب على القعود في المكان. والهماز هو العيّاب وذلك لا يفتقر إلى حركة وانتقال من موضعه بخلاف النميم. وأما تقدم (مناع المخير) على (معتد) فبالرتبة أيضاً لأن المناع يمنع من نفسه والمعتدي يعتدي على غيره و نفسه قبل غيره.

** وجعلوا من تقدم السمع على العلم حيث وقع في القرآن الكريم كقوله تعالى (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) البقرة) وقوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٦) الأنفال) وذلك أنه خبر يتضمن التخويف والتهديد. فبدأ بالسمع لتعلقه كالأصوات وهمس الحركات فإن من سمع حسك وخفي صوتك أقرب إليك في العادة ممن يقال لك: إنه يعلم وإن كان علمه تعالى متعلقاً بما ظهر وبطن وواقعاً على ما قرب وشطن. ولكن ذكر السميع أوقع في باب التخويف من ذكر العليم فهو أولى بالتقديم.

ويمكن أن يقال: إن السمع من وسائل العلم فهو يسبقه.

** وجعلوا منه أيضاً تقديم المغفرة على الرحمة نحو قوله (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣) البقرة) في آيات كثيرة وقوله (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠) النساء) قالوا: وسبب تقديم الغفور على الرحيم أن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والمسلامة مطلوبة قبل الغنيمة وإنما تأخرت في سورة سبأ في قوله (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخُرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)) فالرحمة شملتهم جميعاً والمغفرة تخص بعضاً ، والعموم قبل الخصوص بالرتبة. ولإيضاح ذلك أن جميع الخلائق من الإنس والجن والحيوان وغيرهم محتاجون إلى رحمته فهي برحمته تيراحم وأما المغفرة فتخص المكلفين فالرحمة أعمّ.

** ومن النقديم بالرتبة أيضاً قوله تعالى في من يكنز الذهب والفضة (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكُوَى بِهَا جَبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَرْتُمْ لِأَنْهُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) التوبة) فبدأ بالجباه ثم الجنوب ثمَ الظهور قيل: لأثهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم فتدرج حسب الرتبة.

وقد يكون التقديم بحسب الكثرة والقلة فقد يرتب المذكورات متدرجاً من القلة إلى الكثرة حسبما يقتضيه المقام وذلك نحو قوله (أَنْ طَهِّرًا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) البقرة) فكل طائفة هي أقل من التي بعدها فتدرج من القلة إلى الكثرة. فالطائفون أقل من العاكفين لأن الطواف لا يكون إلا حول الكعبة. والعكوف يكون في المساجد عموماً والعاكفون أقل من الراكعين لأن الركوع أي الصلاة تكون في كل أرض طاهرة أما العكوف فلا يكون إلا في المساجد . والراكعون أقل من الساجدين وذلك لأن لكل ركعة سجدتين ثم إن كل راكع لا بد أن يسجد وقد يكون سجود ليس فيه ركوع كسجود التلاوة وسجود الشكر فهو هنا تدرج من القلة إلى الكثرة. ولهذا التدرج سبب اقتضاه المقام فإن الكلام على بيت الله الحرام. قال تعالى (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طُهِّرًا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَع السُّجُودِ (١٢٥) البقرة) فالطائفون هم ألصق المذكورين

بالبيت لأنهم يطوفون حوله، فبدأ بهم ثم تدرج إلى العاكفين في هذا البيت أو في بيوت الله عموماً ثم الركع السجود الذين يتوجهون إلى هذا البيت في ركوعهم وسجودهم في كل الأرض. ونحوه قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) الحج) فبدأ بالركوع وهو أقل للذكورات ثم السجود وهو أكثر ثم عبادة الرب وهي أعمّ ثم فعل الخير. وقد يكون الكلام بالعكس فيتدرج من الكثرة إلى القلة وذلك نحو قوله تعالى (يَا مَرْيَمُ اقْبُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) آل عمران) فبدأ بالقنوت وهو عموم العبادة ثم السجود وهو أخص وأقل ثم الركوع وهو أقل وأخص.

ومنه قوه تعالى (هُوَ الَّذِي حَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَمِيرٌ (٢) التغابن) فبدأ بالكفار لأهُم أكثر قال تعالى (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٧) يوسف). ونحوه قوله تعالى (دُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَعِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ لِبِالْحَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَصْلُ الْكَبِيرُ (٣٦) فاطر) فقدم الظالم لكثرته ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت الإيذان بكثر الناسقين وغلبتهم وإن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل.ألا ترى كيف قال الله تعالى في المسابقين (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوْلِينَ (٣١) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤١) الواقعة) إشارة إلى ندرة وقلة وجودهم؟ السابقين (ثُلَّةٌ مِنَ النَّوع من القديم قوله تعالى (وَ السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْنِيَهُمَا (٣٨) المائلة) قدم السارق على السارقة في الذكور أكثر. وقدم الزانية على الزاني في قوله تعالى (الزَّانِيةُ وَالزَّانِي فَاجُلِدُوا كُلُّ واحِد السارقة أي الكشاف قوله: وقدم الزانية على الزاني والسب فيه أن الكلام الأول في حكم الزني في حاشية ابن المنير على الكشاف قوله: وقدم الزانية على الزاني والسب فيه أن الكلام الأول في حكم الزني وقد ما ليدو من الإيماض والإطماع والكلام، ولأن مفسدته تتحقق بالإضافة إليها". وقد يكون التقديم لملاحظ أخرى تتناسب مع السياق فنراه يقدم لفظة في موضع ويؤخرها في موضع آخر بحسب ما يقتضي السياق.

**فمن ذلك تقديم لفظ الضرر على النفع وبالعكس قاولا: إنه حيث تقدم لنفع على الضر فلتقدم ما يتضمن النفع. قال تعالى (قُلُ لَا أَمْلِكُ لِقَسْي نَفْعًا وَلَا صَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ (١٨٨) الأعراف) فقدم النفع على الضرر وذلك لأنه تقدمه في قوله (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨) الأعراف) فقدم الهداية على الضلال وبعد ذلك قال (وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا تَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ الضلال وبعد ذلك قال (وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكُثُرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا تَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ الضلال وبعد ذلك قال (وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكُثُورْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا تَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ الضلال وبعد ذلك قال (وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ السِّعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَهُضِي إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ الْآيَةِ وَلَا اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ السِّعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِي إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ لَا يَعْمَلُونَ (١٩) يونس) وقال (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَبِّبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَعْدَلُ إِلَى صُرًّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِ فِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣) يونس). فقدم الضرعلى النفع في الآيتين . ويأتى على النفع في الآيتين . ويأتى الضرر على النفع هها.

وقال: (قُلْ أَفَاتَّحَذْتُهُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَقْسُهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا (١٦) الرعد) فقدّم النفع على الضرر، قالوا: وذلك لتقدم قوله تعالى (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ قالوا: وذلك لتقدم الطوع على الكره. وقال: (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا (٢٤) سبأ) فقدم النفع على الضر قالوا: وذلك لتقدم قوله (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ النفع على الضر قالوا: وذلك لتقدم قوله (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءَ فَهُو يَجْلِفُهُ وَهُو خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) سبأ) فقد البسط. وغير ذلك من مواضع هاتين اللفظتين. **ومن ذلك تقديم الرحمة والعذاب فقد قيل إنه حيث ذكر الرحمة والعذاب بدأ بذكر الرحمة كقوله تعالى (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعِدِّبُ مَنْ يَشَاءُ (١٨) المائدة) وقوله (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابِ أَلِيمٍ (٣٤) فصلت) وقوله (غَافِرِ لَكُ اللَّهُ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) عافى) الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهُ إِلَا هُو إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) عافى)

وقد خرج عن هذه القاعدة مواضع اقتضت الحكمة فيها تقديم ذكر العذاب ترهيباً وزجراً. من ذلك قوله تعالى في سورة المائدة (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْبِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء قديرٌ (٤٠)) لأهما وردت في سياق ذكر قطاع الطرق والمحاربين والسرّاق كان المناسب تقديم ذكر العذاب وذلك ألها وردت بعد قوله تعالى (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ تَفْسِ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتُهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِبْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسُوفُونَ (٣٣) المائدة) فقدم القتل على الإحياء ثم قال بعدها (إلَّمَا جَزَاءُ الذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعُونَ فِي اللَّرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْهُوا مِنَ النَّارُضِ فَيها النَّمَ وَلَى اللَّهُ عَلَى كُلُّ شَيْء قَلِيرٌ (٤٤)) فأنت ترى أن المناسب ههنا السَّمَوَاتِ وَاللَّوْضُ وَعَلَمْ أَنَّ اللَهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى كُلُّ شَيْء وَلَهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى كُلَ شَيْء وَلَه اللَّهُ عَلَى اللَهُ عَلَى اللَّهُ عَلُهُ عَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَهُ عَلَى اللَّهُ

يَشَاءُ) "فإن قلت لم قدم التعذيب على المغفرة؟ قلت لأنه قوبل بذلك تقديم السرقة على التوبة".
ومن ذلك قوله تعالى في سورة العنكبوت (يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١)) وذلك لأنها في سياق إنذار ابراهيم لقومه ومخاطبة نمرود وأصحابه وأن العذاب وقع بهم في الدنيا. فقد أنذر ابراهيم قومه قائلاً: (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُو جَعُونَ (١٧) العنكبوت) ثم قال: (وَإِنْ تُكذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أَمُم مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨)) وهددهم بعد بقوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَبْسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)) فأنت ترى أن السياق يقتضي تقديم العذاب هنا.

وقد يكون التقديم والتأخير على نمط غير الذي ذكرت من تقديم الضرر والنفع والعذاب والمغفرة وغيرها من الخطوط العامة. فقد يقدم لفظة في مكان ويؤخرها في مكان آخر حسبما يقتضيه السياق.

**فمن ذلك قوله تعالى (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) الْأَنبياء) وقوله (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (٩١) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) نوح) فقدم الفجاج على

السبل في الآية الأولى وأخرها عنها في آية نوح وذلك أن الفجّ في الأصل هو الطريق في الجبل أو بين الجبلين، فلما تقدم في آية الأنبياء ذكر الرواسي وهي الجبال قدم الفجاج لذلك بخلاف آية نوح فإنه لم يرد فيها ذكر للجبال فأخرها. فوضع كل لفظة في الموضع الذي تقتضيه.

**ومثل ذلك قوله تعالى (وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَيبِلِ اللَّهِ أَوْ مُتُمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٨) وَلَئِنْ مُتَّالُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) آل عمران) فقدم القتل على الموت في الآية الأولى وقدم الموت في الآية الله التي تليها وسبب ذلك والله أعلم أنه لما ذكر في الآية الأولى (في سبيل الله) وهو الجهاد قدم القتل إذ هو المناسب لأن الجهاد مظنّة القتل، ثم هو الأفضل أيضاً ولذا ختمها بقوله (لمغفرة من الله ورحمة) فهذا جزاء الشهيد ومن مات في سيبل الله. ولما لم يقل في الثانية (في سيبل الله) قدم الموت على القتل لأنه الحالة الطبيعية في غير الجهاد ثم ختمها بقوله (لإلى الله تحشرون) إذا الميت والمقتول كلاهما يحشره الله إليه. فشتان ما بين الحاتمتين. فلم يزد في غير الشهيد ومن مات في سيبل الله على أن يقول (لإلى الله تحشرون) وقال في خاتمة الشهيد (لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) فوضع كل لفظة الموضع الذي يقتضيه السياق.

** وقال تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَتَخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) السجدة) فقدم الأنعام على الناس. وقال في مكان آخر (وَفَاكِهَةً وَأَبَّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) عبس) فقدم الناس على الأنعام وذلك لأنه لما تقدم ذكر الزرع في آية السجدة ناسب تقديم الأنعام بخلاف آية عبس فإنما في طعام الإنسان قال تعالى (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَّا (٥٦) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًا (٢٦) فَأَنْبُتْنَا فِيهَا حَبًّا (٧٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٨٨) وزَيْتُونًا ونَخْلًا (٩٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً الْأَرْضَ شَقًا لَكُمْ وَلَأَنْعَامِكُمْ (٣٢) عبس) ألا ترى كيف ذكر طعام الإنسان من الحب والفواكه أولاً ثم ذكر طعام الإنسان من الحب والفواكه أولاً ثم ذكر طعام الأنعام بعده وهو الأبّ أي التبن، فناسب تقديم الإنسان على الأنعام ههنا كما ناسب تقديم الأنعام على الناس ثمّ. فسبحان الله رب العالمين.

** ومن ذلك قوله تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاق نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَلِيَّاهُمْ (١٥١) الأنعام) وقوله (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاق نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَأَنَ خِطْنًا كَيرًا (٣١) الإسراء) فقدم رزق الآباء في الآية الأولى موجه إلى الفقراء دون الأولى على الأبناء، وفي الثانية قدم رزق الأبناء على الآباء وذلك لأن الكلام في الآية الأولى موجه إلى الفقراء دون الأغنياء فهم يقتلون أولادهم من الفقر الواقع بهم لا ألهم يخشونه فأو جبت البلاغة تقديم عِدهم بالرزق تكميل العدة برزق الأولاد. وفي الآية الثانية الخطاب لغير الفقراء وهم الذين يقتلون أولادهم خشية الفقر لا ألهم مفتقرون في الحال وذلك ألهم يخافون أن تسلبهم كلف الأولاد ما بأيديهم من الغني فوجب تقديم العدة برزق الأولاد فيأمنوا ما خافوا من الفقر. فقل: لا تقتلوهم فإنا نرزقهم وإياكم أي أن الله جعل معهم رزقهم فهم لا يشاركونكم في رزقكم فلا تخشوا الفقر.

** ومن ذلك قوله تعالى (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) المبقرة) وقوله (وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً (٣٣) الجاثية) فقدم القلوب على السمع في البقرة وقدم السمع على القلب في الجاثية وذلك لأنه في البقرة ذكر القلوب المريضة فقال (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَاتَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا (١٠)) فقدم القلوب لذلك. وفي الجاثية ذكر الأسماع المعطلة فقال (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثَيْم (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ

اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) الجاثية) فقدم السمع. فوضع كل لفظة في المكان الذي يناسبها.

ثم إن آية البقرة ذكرت صنفين من أصناف الكافرين من هم أشد ضلالاً وكفراً ثمن ذكرهم آية الجاثية فقد جاء فيها قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى عَلَى عَطِيمٌ (٧) البقرة) وجاء في الجاثية قوله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَلْم وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٣)) فقد ذكر في البقرة أن الإنذار وعدمه عليهم سواء وألهم ميؤوس من إيمالهم ولم يقل مثل ذلك في الجاثية. ثم كرر حرف الجر (على) مع القلوب والأسماع في آية البقرة ثما يفيد توكيد الختم فقال (عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ)

ثم قال في البقرة (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) بالجملة الإسمية والجملة الإسمية كما هو معلوم تفيد الدوام والثبات ومعنى ذلك أن هؤلاء لم يسبق لهم أن أبصروا وإنما هذا شألهم وخلقتهم فلا أمل في إبصارهم في يوم من الأيام. في حين قال في الجاثية (وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) بالجملة الفعلية التي تفيد الحلوث ومعلوم أن (جعل) فعل ماض ومعنى ذلك أن الغشاوة لم تكن قبل الجعل يدلك على ذلك قوله تعالى (وأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) مما يدل على أنه كان مبصراً قبل ترديه. ثم ختم آية البقرة بقوله (وله عذاب عظيم) ولم يقل مثل ذلك في آية الجاثية. فدل على أن صفات الكفر في البقرة أشد تمكناً فيهم. ولذا قدم ختم القلب على ما سواه لأنه هو الأهم فإن القلب هو محل الهدى والضلال وإذا ختم عليه فلا يفع سمع ولا بصر قال تعالى (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)

وقال - صلى الله عليه وسلم -: " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"؟

فكان تقديم القلب في البقرة أولى وأنسب كما أن تقديم السمع في الجاثية أنسب.

** ومنه قوله تعالى (لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْلَوَّلِينَ (٢٨) المؤمنون فقدم (هذا) في الآية الأولى وأخرها في آية المؤمنون وذلك أن ما قبل الثانية (قَالُوا أَبْدَا وَآبَاؤُنَا أَبْنًا لَمُحْرَجُونَ (٢٧) النمل) وما قبل الثانية (قَالُوا أَبْذَا مِتْنَا المؤمنون وذلك أن ما قبل الثانية (قَالُوا أَبْذَا مِتْنَا لَمُحْرَجُونَ (٢٧) النمل) وما قبل الثانية (قَالُوا أَبْذَا مِتْنَا لَوَمْعُونُونَ (٨٢) المؤمنون) فالجهة المنظور فيها هناك كولهم أنفسهم وآباؤهم تراباً. والجهة المنظور فيها هنا كولهم تراباً وعظاماً. ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم في تبعيد البعث ذلك أن البلى في الحالة الأولى أكثر وأشد وذلك ألهم أصبحوا تراباً مع أبائهم. وأما في الآية الثانية فالبلى أقل وذلك ألهم تراب وعظام فلم يصبهم ما أصاب الأولين من البلى، ولذا قدّم (هذا) في الآية الأولى لأنه أدعى إلى العجب والتبعيد.

** ومن ذلك قوله تعالى (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهُ إِلَّا هُو خَالِقُ كُلِّ شَيْء فَاعْبُدُوهُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيْء وَكِيلُ (٢٠١) الأنعام) وقوله (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْء لَا إِلَهُ إِلَّا هُو فَاَنَى تُوْفَكُونَ (٢٢) غافر)

فأنت ترى أنه قدم في آية الأنعام (لَا إِلَهَ إِلَّا هُو) وأخّر (خَالِقُ كُلِّ شَيْء) و في غافر جاء بالعكس. وذلك أنه في سياق الإنكار على الشرك والدعوة إلى التوحيد الخالص و نهى الصاحبة والولّد قال: (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجنَّ وَخَلَقَهُمْ

وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُو بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَكُيلٌ (٢٠١) الأنعام). فأنت ترى أن الكلام على التوحيد ونفي الشرك والشركاء فأعبُدُوهُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٢٠١) الأنعام) فأنت ترى أن الكلام على التوحيد ونفي الشرك والشركاء والصاحبة والولد ولذا قدّم كلمة التوحيد (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) على (خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) وهو المناسب للمقام. ثمّ انظر كيف قال (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) بعد قوله (أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ) فأخّر الخلق بعد التوحيد وهو نظير تأخيره بعد قوله (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) فقال (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) وهو تناظر جميل.

أما في غافر فليس السياق كذلك وإنما هو في سياق الخلق وتعداد النعم قال تعالى (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)) إلى أن يقول (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٠٦) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ يَسْتُكْبُرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٠٦) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُو فَالَّى اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٦) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُو فَالَّهُ تَوْفُونَ (٢٦)) فالكلام كما ترى على الخلق وعلى نعم الله وفضله على الناس لا على التوحيد فقدم الخلق لذلك فوضع كل تعبير في موطنه اللائق حسب السياق.

جاء في البرهان للكرماني قوله (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْء) في هذا السورة وفي المؤمن (خَالِقُ كُلِّ شَيْء) في هذا السورة وفي المؤمن (خَالِقُ كُلِّ شَيْء لَا إِلَهَ إِلَّا هُو) ثم قال شَيْء لَا إِلَهَ إِلَّا هُو) ثم قال (خَالِقُ كُلِّ شَيْء). وفي المؤمن قبله ذكر الحلق وهو (لَحَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) فخرج الكلام على إثبات خلق الناس لا على نفي الشريك فقدم في كل سورة ما يقتضيه قبله من الآيات.

** ومن ذلك قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَهْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٧٢) الأنفال) وقوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَهْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ ذَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْهَائِزُونَ (٧٠) التوبة) التوبة)

فقدم الأموال والأنفس على (في سبيل الله) في سورة الأنفال وقدم (في سبيل الله) على الأموال والأنفس في سورة التوبة، وذلك لأنه في سورة الأنفال تقدم ذكر المال والقداء والغنيمة من مثل قوله تعالى (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيَا (٦٧) الأنفال) وهو المال الذي فدى به الأسرى أنفسهم وقوله (لَوْلًا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) الأنفال) أي من الفداء وقوله (فَكُلُوا مِمَّا غَيْمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا (٦٩) الأنفال) وغير ذلك فقدم الله ههنا، لأن المال كان مطلوباً لهم حتى عاتبهم الله في ذلك فطلب أن يبدأوا بالتضحية به.

وأما في سورة التوبة فقد تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله من مثل قوله تعالى (قَاتِلُوهُمْ يُعَذَّبْهُمُ اللَّهُ بَأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤)) وقوله (أَمْ حَسبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)) وقوله (أَجَعَلْتُمْ مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)) وقوله (أَجَعَلْتُمْ مِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَيِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)) فقدم ذكر (في سييل الله) على الأموال والأنفس وهو المناسب ههنا للجهاد كما قدم الأموال والأنفس هناك لأنه المناسب للأموال.

**ومنه قو له تعالى (وَ تَوَى الْفُلْكَ مَوَ اخِرَ فِيهِ (١٤) النحل) وقو له (وَتَوَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَ اخِرَ (١٢) فاطر):

قدم المواخر على الجار والمجرور في النحل وقدم (فيه) على مواخر في فاطر. وذلك أنه تقدم الكلام في النحل على وسائط النقل فذكر الفلك وهي وسائط النقل فذكر الفلك وهي واسطة نقل أيضاً فقال (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبُحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةٌ تُلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلك وهذا التقديم مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤١) النحل) قدّم المواخر لأنه من صفات الفلك وهذا التقديم مناسب في سياق وسائط النقل. وليس السياق كذلك في سورة فاطر وإنما قال الله تعالى (وَاللَّهُ حَلَقَكُمْ مِنْ تُرَاب ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْنَى وَلَا تَصَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّر وَلَا يُنقصُ مِنْ عُمُرهِ إلَّا فِي كِتَابِ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسيرٌ (١١) فاطر) ثم قال (وَمَا يَسْتَوَي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ كَتَابِ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسيرٌ (١١) فاطر) ثم قال (وَمَا يَسْتَوَي الْبُحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحُ أَوْمَى كُلُّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسَتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَصْلُهِ وَلَعَلَكُمْ ضَيْرُ الله فيه من نعم. فلما كان الكلام على البحر قدم ضمير البحر على المواخر فقال (وترى الفلك فيه مواخر). فانظر كيف أنه لما كان الكلام على وسائط النقل والفلك قدم حالة الفلك ولما كان الكلام على البحر ذكر ما يتعلق به.

** ومن ذلك قوله تعالى (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلِ فَأَبَى أَكْثُرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩) الإسراء) وقوله (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْء جَدَلًا (٤٥) الكهف الإسراء على الإنسان على (في هذا القرآن) في الإسراء وأخرها في الكهف وذلك لأنه تقدم الكلام في الإسراء على الإنسان ونعم الله عليه ورحمته به فقال (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّةُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسًا (٨٣)) إلى أن يقول (وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْ حَيْنًا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦) إلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَصْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧) قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٨)) فناسب تقديم الناس في سورة الإسراء.

ولم يتقدم مثل ذلك في سورة الكهف. ثم انظر في افتتاح كل من السورتين فقد بدأ سورة الكهف بقوله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُسَثِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ الَّذِينَ الَّذِينَ الْفَوْمَ الْحَالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢)) فقد بدأ السورة بالكلام على الكتاب وهو القرآن ثم ذكر بعده أصحاب الكهف وذكر موسى والرجل الصالح وذكر ذا القرنين وغيرهم من الناس، فبدأ بذكر القرآن ثم ذكر الناس فكان المناسب أن يتقدم ذكر القرآن على الناس في هذه الآية كما في البدء.

وأما في سورة الإسراء فقد بدأت بالكلام على الناس ثم القرآن فقد بدأت بقوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ (١)) ثم تكلم على بني إسرائيل ثم قال بعد ذلك: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩)) فكان الناسب أن ينقدم ذكر الناس فيها على ذكر القرآن في هذه الآية وهذا تناسب عجيب بين الآية ومفتتح السورة في الموضعين.

ثم انظر خاتمة الآيتين فقد ختم آية الإسراء بقوله (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩)) والكفور هو جحد النعم فناسب ذلك تقدم ذكر النعمة والرحمة والفضل ألا ترى مقابل الشكر الكفران ومقابل الشاكر الكفور قال تعالى (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّيِلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) الإنسان) فكان ختام الآية مناسب لما تقدم من السياق. أما آية الكهف فقد ختمها بقوله (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْء جَدَلًا (٤٥)) لما ذكر قبلها و بعدها من المحاورات و الجدل

والمراء من مثل قوله تعالى (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ (٣٤)) وقوله (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ (٣٧)) وبعدها (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ (٥٦)) وذكر محاورة موسى الرجل الصالح ومجادلته فيما كان يفعل. وقال (فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا (٢٢)) ولم يرد لفظ الجدل ولا المحاورة في سورة الإسراء كلها. فما ألطف هذا التناسق وما أجمل هذا الكلام!.

** ومن ذلك قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْآذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْء مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) البقرة) وقوله (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِّهِ الرِّيحُ فِي يَوْم عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْء ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٨) ابراهيم

فقاُل في آية البقرة (لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْء مِمَّا كَسَبُوا) فقدم الشيء وأخّر الكسب. وقال في سورة ابراهيم (لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْء) فقدم الكسب وأخر الشيء وذلك أن آية البقرة قي سياق الإنفاق والصدقة والمنفق معطٍ وليس كاسباً ولذلك أخّر الكسب فقال (لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا) وأما الآية الثانية فهي في سياق العمل والعامل كاسب فقدّم الكسب.

** ومن ذلك قوله تعالى (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) آل عمران) وقوله (إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَّكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْقُقْدَامَ (١١) الأنفال)

فقدّم القلب على الجار والجرور في آل عمران فقال: (ولتطمئن قلوبكم به) وأخّرها عنه في الأنفال فقال (ولتطمئن به قلوبكم) علماً بأن الكلام على معركة بدر في الموطنين غير أن الموقف مختلف.

ففي آل عمران ذكر معركة بدر تمهيداً لذكر موقعة أحد وما أصابهم فيها من قرح وحزن والمقام مقام مسح على القلوب وطمأنة لها من مثل قوله تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قُورْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقُوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) آل عمران) إلى غير ذلك من آيات المواساة والتصبير فقال في هذا الموطن (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَا يُحبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) آل عمران) إلى غير ذلك من آيات المواساة والتصبير فقال في هذا الموطن (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ) فذكر أن البشرى (هم) وقدم (قلوبهم) على الإمداد بلللائكة فقال (إلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ) كل ذلك من قبيل المواساة والتبشير والطمأنة.

ولما لم يكن المقام في الأنفال كذلك وإنما المقام ذكر موقعة بدر وانتصارهم فيها ودور الإمداد السماوي في هذا النصر وقد فصل في ذلك أكثر مما ذكر في آل عمران فقال (إِذْ تَسْتَغِيتُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُعَرِيزُ لَ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاء مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بَهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَقَبُّوا اللَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْقِي فِي وَلِيَرْبُطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَقَبُّوا اللَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْقِي فِي قُلُوبِ اللَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاصْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)) أقول لما كان المقام في الأنفال مقام الإنتصار وإبراز دور الإمداد الرباني قدم (به) على القلوب والضمير في التعبير. أنه لما كان المقام في آل عمران هو الطمأنينة وتسكين القلوب قلمها على الإمداد فقال (وَلِتَطْمَئِنَّ يعود على الإمداد. ولما كان المقام في آل عمران هو الطمأنينة وتسكين القلوب قلمها على الإمداد فقال (وَلِتَطْمَئِنَّ

قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾ وزاد كلمة (لكم) فقال (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ ﴾ زيادة في المواساة والمسح على القلوب فجعل كلاً في مقامه.

** ومن ذلك قوله تعالى (إنَّمَا حَرََّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اصْطُرَّ غَيْرَ بَاغِ وَلَا عِنْ اللَّهِ فَلَا إِنَّمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣) البقرة) وقوله (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلًّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُو ذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُب (٣) لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُونُونَ مَنْ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ المائدة) وقوله (قُلْ لَا أَجَدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَرْرِي فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسَقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اصْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤٥) الأنعام)

فقد قال في آية البقرة: (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) فقدم (به) على (لغير الله) ومعنى (ما أُهل به): ما رفع الصوت بذبحه وهو البهيمة. وقال في آيتي المائدة والأنعام: (وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) فقدّم (لغير الله) على (به) وذلك أن المقام في آية الإنعام هو في الكلام على المفترين على الله ممن كانوا يشرعون للناس بإسم الله وهم يفترون عليه فقال (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحُرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِللهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُركَائِهِمْ مَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦) وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَثَلَ أَوْلَاهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا شَركَائِهُمْ وَلَيْ شَاءَ اللّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ (١٣٧) وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا افْيَرَاءً عَلَيْهِ مَوَا يَعْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ مَن الآيات التي تبين أن ثمّة ذوات غير الله تحلل وتحرم من الآيات التي تبين أن ثمّة ذوات غير الله تحلل وتحرم مفترية على الله، وذوات يزعمون ألها شركاء لله تعبد معه ونصيبها أكبر من نصيب الله في العبادة، ولذا قدم إبطال هذه المعبودات من غير الله على (ربه) فقال: (أَوْ فِسْقًا أَهُلِّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) لأنه هو مدار الإهتمام والكلام.

عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤) المائدة) فهو يجعل التحليل والتحريم بيده ويرفض أية جهة أخرى تقوم بذلك، لأن ذلك من الشرك الذي أبطله الإسلام ولذا قدمه في البطلان فقال (وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ). ثم إنه جاء في الموطنين بذكر اسم الله على الذبائح فذكر في آية الأنعام أن المشركين لا يذكرون اسم الله على الله على بعض ذبائحهم تعمداً فقال: (وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا). وأمر في آية المائدة بذكر اسم الله فقال:

(وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ) فناسب ذلك تقديم بطلان ذكر غير الله.

وأما في البقرة فليس المقام كذلك فلم يذكر أن جهة أخرى تقوم بالتحليل والتحريم وإنما الكلام على ما رزق الله عباده من الطبيات فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا (١٦٨) البقرة). وقال بعدها: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا (١٧٨) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٧) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهِلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣) البقرة) فلما الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣) البقرة) فلما كان المقام مقام الرزق والطعام بأكل الطيبات قدم (به) والضمير يعود على ما يذبح وهو طعام مناسبة للمقام والله أعلم.

**ومن ذلك قوله تعالى: (أَمْ أَمِثْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) الملك) وقوله (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شَيِعًا ويُلِيقَ بَعْضَكُمْ وقوله (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شَيِعًا ويُلِيقِ بَعْضَكُمْ بَالْسَمَاء فِي آية الأنعام. وذلك أن آية الملك تقدّمها قوله تعالى (هُو اللّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ التُشُورُ (١٥٥) الملك) فكأن أنسب شيء في الموعظة تذكيره بخسفها من تحتهم. أما آية الأنعام فتقلمها قوله تعالى (وَهُو الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتُهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٢٦) الأنعام) فصرف هذا الخطاب تفكر النفس في عين الجهة التي ذكر منها القهر، وكان أنسب شيء ذكر التخويف من تلك الجهة بخلاف التي ذكر منها القهر، وكان أنسب شيء ذكر التخويف من تلك الجهة بخلاف آنة الملك.

ومما زاد حسناً قوله تعالى (ويرسل عليكم حفظة) والحفظة: هم الملائكة، والملائكة مسكنهم في السماء، وربنا يرسلهم من فوق فناسب تقديم هذه الجهة على غيرها.

ونكنفي بهذا القدر من الأمثلة فإن فيها كفاية فيما أحسب فهي تدل دلالة واضحة على أن التعبير القرآني تعبير مقصود كل لفظ فيه وضع وضعاً فنياً مقصوداً وأنه لم يقدم لفظة على لفظة إلا لغرض يقتضيه السياق. وقد روعي في ذلك التعبير القرآني كله ونظر إليه نظرة واحدة شاملة. وأظن أن ما مر من الأمثلة تريك شيئاً من فخامة التعبير القرآني وعلوه وأن مثل هذا النظم لا يمكن أن يكون في طوق بشر فسبحان الله رب العالمين. (١)

أمثلة أخرى على النقديم والتأخير

تقديم وتأخير اللهو على اللعب في آية سورة العنكبوت

كل الآيات في القرآن جاء اللعب مقدّماً على اللهو إلا في هذه الآية من سورة العنكبوت (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ { ٢٤ }). ولو لاحظنا الآية التي سبقت هذه الآية في نفس السورة (اللَّهُ يَيْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَهْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْء عَلِيمٌ {٢٦ }) والرزق ليس من مدعاة اللعب وإنما اللهو كما في قوله تعالى في سورة المنافقون (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواً لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {٩ }).

تقديم وتأخير كلمة (شهيداً) في آية سورة العنكبوت وآية سورة الإسراء

قال تعالى في سورة العنكبوت (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَيَنْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {٢٥}) وقال في سورة الإسراء (قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً يَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بَعِبَادِهِ خَبيراً بَصِيراً {٩٦})

(١) من كتاب التعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي. من صفحة ٩ ٤ - ٧٤)

في آية سورة الإسراء ختم تعالى الآية بذكر صفاته (خيراً بصيرا) لذا اقتضى أن يُقدّم صفته (شهيداً) على (بيني وبينكم)، أما في آية سورة العنكبوت فقد ختمت الآية بصفات البشر (أولئك هم الخاسرون) لذا اقتضى تقديم ما يتعلّق بالبشر (بيني وبينكم) على (شهيدا).

تقديم شبه الجملة (عليها زكريا) في قوله تعالى في سورة آل عمران (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيًّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيًّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنلَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَّمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْر حِسَابِ {٣٧}})

قاعدة نحوية: يقول سيبويه في النقديم والتأخير: يقدمون الذي هو أهمّ لهم وهم أعنى به.

والنقديم والتأخير في القرآن الكريم يقرره سياق الآيات فقد ينقدم المفضول وقد ينقدم الفاضل. والكلام في الآية في سورة آل عمران والآيات التي سبقتها في مريم عليها السلام وليس في زكريا ولا في المحراب لذا قدّم عليها لأن الكلام كله عن مريم عليها السلام.

تقديم وتأخير فوقكم والطور

وكذلك قوله تعالى في الكلام عن بني إسرائيل والطور فقد قال تعالى في سورة البقرة (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَقُونَ {٦٣} }) وقال في سورة النساء (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا {١٥٤}) الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَقُونَ {١٧١}).

من حيث النقديم والتأخير هو قائم على الإهتمام الذي يقتضيه سياق الآيات سواء كان فضل أو مفضول وإنما للأهمية. في سورة البقرة (ورفعنا فوقكم الطور) فوقكم أهم من الطور نفسه وكذلك في آية سورة النساء أما آية سورة الأعراف فالجبل أهم من فوقهم.

في آية سورة الأعراف وصف تعالى الجبل كأنه ظُلّة وذكر (وظنوا أنه واقع بهم) ومعنى واقع بهم أي أوقع بهم أو أهلكهم وهذا كله له علاقة بالجبل فالجبل في الأعراف أهمّ. ولم يذكر عن الطور شيئاً آخر في سورة البقرة أو النساء.

آية البقرة والنساء يستمر الكلام بعد الآيات على بني إسرائيل حوالي أربعين آية بعد الآية التي جاء فيها ذكر الطور لذا قدّم فوقهم في النساء وفوقهم في البقرة على الطور للأهمية. أما في سورة الأعراف فبعد الآية التي تحدث فيها عن الجبل انتهى الكلام عن بني إسرائيل ولم يذكر أي شيء عنهم بعد هذه الآية لذا قدّم الجبل.

والجبل: هو إسم لما طال وعظُم من أوتاد الأرض والجبل أكبر وأهم من الطور من حيث التكوين. أما النتق فهو أشد وأقوى من الرفع الذي هو ضد الوضع. ومن الرفع أيضاً الجذب والإقتلاع وحمل الشيء والتهديد للرمي به وفيه إخافة وتهديد كبيرين ولذلك ذكر الجبل في آية سورة الأعراف لأن الجبل أعظم ويحتاج للزعزعة والإقتلاع وعادة ما تُذكر الجبال في القرآن في موقع التهويل والتعظيم ولذا جاء في قوله تعالى (وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُوْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُوْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى وَكَلِّ انظُوْ إِلَيْكَ وَبَانِي فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ {١٤٣}) ولم يقل الطور. إذن النتق والجبل أشد تهديداً وتهويلاً.

تقديم وتأخير الأرض والسماء في قوله تعالى (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء) وقوله (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ)

التقديم والتأخير في السماء والأرض: الكلام في سورة يونس عن أهل الأرض فناسب أن يقدم الأرض على السماء في قوله تعالى (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) أما في سورة سبأ فالكلام عن الساعة والساعة يأتي أمرها من السماء وتبدأ بأهل السماء (فصعق من في السموات والأرض) و (ففزع من في السموات والأرض) و لذلك قدّم السماء على الأرض في قوله تعالى (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات و لا في الأرض).

واستخدمت السماء في سورة يونس لأن السياق في الإستغراق فجاء بأوسع حالة وهي السماء لأنها أوسع بكثير من السموات في بعض الأحيان. فالسماء واحدة وهي تعني السموات أو كل ما علاوفي سورة سبأ استخدم السموات حسب ما يقتضيه السياق.

تقديم الأكل على الشرب في سورة مريم (فكلي واشربي وقرّي عينا)

نلاحظ الآية قبلها في سورة مريم (فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً {٢٤} وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجَذْعِ النَّحْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنيّاً {٢٦} فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَينَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي أَيْ يَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَينَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي أَنَى لَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً {٢٦}}). فقد وردت كلمة السري وهي تعني السيّد وجمعها سُراة أي الله السادة (ولا سُراة إذا جُهّالهم سادوا)، وهي بمعني أن الله تعالى قد جعلك تحتك سيّدا. أما التقديم والتأخير في الأكل والشرب فنلاحظ أنه في القرآن كله حيثما اجتمع الأكل والشرب قدّم تعالى الأكل على الشرب حتى في الجنّة (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) وقوله (كلوا واشربوا من رزق الله) وكذلك في آية سورة مريم (فكلي واشربي وقرّي عينا) والسبب في ذلك أن الحصول على الأكل أصعب من الحصول على الشرب. ومثال آخر قوله تعالى سورة هود:

(قَالَ يَا قَوْمٍ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى يَبُنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِ مُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ {٢٨}) وقوله تعالى في سورة هود أيضاً (قَالَ يَا قَوْمٍ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيلُونَنِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ {٦٣}). في الآية الأولى قدّم الرحمة على الجارّ والمجرور، والآية تتكلم عن الرحمة (فعميت، أنلزمكموها، وأنتم لها كارهون) كلها تعود على الرحمة لذا اقتضى السياق تقديم الرحمة على الجارّ والمجرور. أما في الآية الثانية فالآية تتكلم عن الله تعالى (ربي، الله، منه، الضمير في عصيته) كلها تعود على الله تعالى لذا اقتضى السياق تقديم (منه) على الرحمة

تقديم وتأخير الصابئين في آيتي سورة البقرة والمائلة

قال تعالى في سورة البقرة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْمَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٦٢}) وقال في سورة المائدة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالْحَافِ وَالْمَالِمُ وَاللَّهِ وَالْمَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْمَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } الآيتان فيهما تشابه واختلاف وزيادة في إحداها عن الأخرى.

في سورة البقرة قدّم النصارى على الصابئين (النصب جاء مع العطف لتوكيد العطف)، وفي آية سورة المائدة قدّم الصابئون على النصارى ورفعها بدل النصب. فمن حيث التقديم والتأخير ننظر في سياق السورتين الذي يعين على فهم التشابه والإختلاف، ففي آية سورة المائدة جاءت الآيات بعدها تتناول عقيدة النصارى والتثليث وعقيلةم بالمسيح وكأن النصارى لم يؤمنوا بالتوحيد فيما تذكر الآيات في السورة (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسيحُ بالمسيحُ وكأن النصارى لم يؤمنوا بالتوحيد فيما تذكر الآيات في السورة (لَقَدْ كَفَرَ اللَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسيحُ النُن مَريَّمَ وَقَالَ الْمَسيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكُ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهَ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأُواهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصار {٧٦} لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلهَ إِلاَّ إِللهِ وَاحِدٌ وَإِن لَمْ يَستَهُواْ عَمَّ يَقُولُونَ لَيْمَ وَلَى اللهَ عَلَيه اللهُ عَلَيه الرَّاسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيةَ كَانَا عَمَّا يَقُولُونَ لَيْمَ وَلَا للمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا المَعْمَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَتَى يُؤُفَكُونَ {٧٥ }) هذا السياق لم يذكر هذا الأمر في سورة المبقرة وهكذا اقتضى تقديم الصابئين على النصارى في آية سورة المائدة. فلما كان الكلام في ذم معتقدات النصارى القضي تأخيرهم عن الصابئين.

ولا هم يجزنون: بتقديم (هم) الذين يجزن غيرهم وليس هم. في الفعل عن النفس ولكنه إثبات الفعل لشخص آخر كأن نقول (ما أنا ضربته) نفيته عن نفسي وأثبت وجود شخص آخر ضربه (يُسمّى التقديم للقصر) أما عندما نقول (ما ضربته) يعني لا أنا ولا غيري. ففي الحزن عنهم وأثبت أن غيهم يجزن (أهل الضلال في حزن دائم). ولم يقل لا خوف عليهم ولا حزن لهم لأتفا لا تفيد التخصيص (في عنهم الحزن ولم يثبته لغيرهم) ولو قال ولا لهم حزن لانتفى التخصيص على الجنس أصلاً ولا ينفي التجدد وقوله تعالى (لا خوف عليهم ولا هم يجزنون) لا يمكن أن يؤدي إلى حزن فنفى الخوف المتجدد والثابت وفي الحزن المتجدد (لا هم يجزنون بمعنى لا يخافون) والثابت (لا خوف) ولا يمكن لعبارة أخرى أن تؤدي هذا المعنى المطلوب.

تقديم وتأخير اللهو على التجارة في آية سورة الجمعة

هذه الآية (وَإِذَا رَأُوْا تِجَارَةً أَوْ لَهُواً الْهَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهُو وَمِنَ التَّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ {11}}) نزلت بينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخطب بعد صلاة الجمعة فجاءت العير بتجارة وكانت سنة شديدة فانفض الناس بسبب التجارة وليس بسبب اللهو لأنه كان هناك غلاء في الأسعار فعنلما نودي أن القافلة وصلت الفض الناس عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قدّم التجارة في أول الآية (وإذا رأوا تجارة). ثم في نماية الآية قدّم تعالى اللهو على التجارة لأنه ليس كل الناس ينشغلون بالتجارة عن الصلاة فكثير ينشغلون باللهو وما عند الله تعالى خيرٌ من اللهو ومن التجارة لذا قدّم اللهو على التجارة.

وقوله تعالى (والله خير الرازقين) لأن التجارة مظنّة الرزق فوضع التجارة بجانب قوله تعالى (والله خير الرازقين) فليس لائقاً ولا مناسباً أن يقول تعالى (الله خير الرازقين) بجانب اللهو وفي اللغة عادة تترقّى من الأدنى إلى الأعلى فذكر الأدنى (اللهو) ثم الأعلى (التجارة).

وهناك أمر آخر وهو تكرار (من) في قوله تعالى (من اللهو ومن التجارة) لأنه لو قال (من اللهو والتجارة) لأفاد أن الخيرية لا تكون إلا باجتماعهما أي اللهو والتجارة أما قوله تعالى (من اللهو ومن التجارة) فهي تفيد أن الخيرية من اللهو على جهة الإستقلال أيضاً فإن اجتمعا زاد الأمر سوءاً.

تقديم الرحيم على الغفور في سورة سبأ وقد وردت في باقي القرآن الغفور الرحيم

لو قرأنا الآية في سورة سبأ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ {١} يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْحَكَيْمُ الْخَبِيرُ {١} } لم يتقدّم الآية ما يخصّ المكلَّفين أبداً والمغفرة لا تأتي إلا للمكلَّفين والمذنبين الذين يغفر الله تعالى لهم وإنما جاء ذكرهم بعد الآيتين الأولى والثانية لذا اقتضى تأخير الغفور لتأخر المغفور لهم في سياق الآية. أما في باقي سور القرآن الكريم فقد وردت الغفور الرحيم لأنه تقدّم ذكر المكلَّفين فيذنبون فيغفر الله تعالى لهم فتطلّب تقديم المغفرة على الرحمة.

تقديم الإنس على الجان في آية سورة الرحمن (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) قال تعالى في سورة الرحمن (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٍّ {٥٦ }) ، والإنسان عادة تعاف نفسه المرأة إذا طمثها إنسى لذلك تقدّم ذكر الإنس لكن إذا عاشرها جان ليس لها نفس الوقع كالإنسى.

تقديم (ما تسبق من أمة أجلها) على (ما يستأخرون) في آية سورة الحجر والمؤمنون

قال تعالى في سورة الحجر (مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ {٥}) وقال في سورة المؤمنون (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ {٥}) وقال في سورة الأعراف فقد جاءت الآية بقوله أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ {٣٤}) بتقديم (لا يستأخرون) على (لا يستأخرون) لم تأت الا يستقدمون). وإذا لاحظنا الآيات في القرآن نجد أن تقديم (ما تسبق من أمة أجلها) على (وما يستأخرون) لم تأت الا في مقام الإهلاك والعقوبة.

تقديم وتأخير كلمة (تخفوا) في آية سورة البقرة وسورة آل عمران

قال تعالى في سورة البقرة (لِلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْلُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ {٢٨٤}) وقال في آل عمران (قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُلُورِكُمْ أَوْ تُبْلُوهُ يَعْلَمُهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ {٢٩}). المحاسبة في سورة البقرة هي على ما يُبدي الإنسان وليس ما يُخفي ففي سياق المحاسبة قدّم الإبداء أما في سورة آل عمران فالآية في سياق العلم لذا قدّم الإخفاء لأنه سبحانه يعلم السر وأخفى.

تقديم الشتاء على الصيف والجوع على الخوف في سورة قريش

قال تعالى في سورة قريش (لِإِيلَافِ قُرَيْشِ {١} إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ {٢} فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ {٣} الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ {٤}) والمعروف أن حاجة الإنسان للطعام في الشتاء أكثر من الصيف والخوف في الصيف أكثر لأنه فيه يكثر قطَّاع الطرق والزواحف لذا قدّم تعالى الشتاء والخوف على الصيف والجوع

وقال أيضاً أطعمهم ولم يقل أشبعهم لأن الإطعام أفضل من الإشباع. ولقد جاءت سورة قريش بعد سورة الفيل للتركيز على الأمن في البيت الحرام بعد عام الفيل.

تقديم البصر على السمع في آية سورة الكهف وآية سورة السجدة

قال تعالى في سورة الكهف (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِشُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً {٢٦}) وقال في سورة السجدة (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُوُّوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ {١٢}) والمعلوم أن الأكثر في القرآن تقديم السمع على البصر لأن السمع أهم من البصر في التكليف والتبليغ لأن فاقد البصر الذي يسمع يمكن تبليغه أما فاقد السمع فيصعب تبليغه ثم إن مدى السمع أقل من مدى البصر فمن نسمعه يكون عادة أقرب عمن نراه، بالإضافة إلى أن السمع ينشأ في الإنسان قبل البصر في التكوين. أما لماذا قدّم البصر على السمع في الآيتين المذكور تين فالسبب يعود الى أنه في آية سورة الكهف الكلام عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لئلا يراهم أحد ولجأوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يراهم أحد لكن الله تعالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف وكذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حتى لا يراه القوم إذن مسألة البصر هنا أهم من السمع فاقتضى تقديم البصر على السمع في الآية.

وكذلك في آية سورة السجدة، الكلام عن المجرمون الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها و لا يبصرون لكن ما يسمعوه كان يدخل في مجال الشك والظنّ ولو تيقنوا لآمنوا أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه لأفهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر (عين اليقين) والآخرة ميدان الرؤية وليس ميدان السمع وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة. فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعونه ويشكون فيه تغير الحال ولذا اقتضى تقديم البصر على السمع.

تقديم وتأخير الجن والإنس في آيتي الإسراء والرحمن

قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ ظَهيرًا (٨٨) الإسراء) وقال عز وجل : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُنُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُنُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) الرحن

قدم في الأولى الإنس وقدم في الثانية الجن لأن مضمون الآية هو التحدي بالإتيان بمثل القرآن ، ولا شك أن مدار التحدي على لغة القرآن ونظمه وبلاغته وحسن بيانه وفصاحته.

و الإنس في هذا المجال هم المقدمون ، وهم أصحاب البلاغة وأعمدة الفصاحة وأساطين البيان ، فإتيان ذلك من قبلهم أولى ليناسب ما يتلاءم مع طبيعتهم.

أما الآية الثانية فإن الحديث فيها عن النفاذ من أقطار السموات والأرض ، ولا شك أن هذا هو ميدان الجن لتنقلهم وسرعة حركتهم الطيفية وبلوغهم أن يتخذوا مقاعد في في السماء للاستماع ، كما قال تعالى على لسافهم : " وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع " الجن ٩

فقدم الجن على الإنس لأن النفاذ ثما يناسب خواصهم وماهية أجسامهم أكثر من الإنس

موضوع القطع في القرآن الكريم

القطع أكثر ما يكون في أمرين: في النعت والعطف بالواو. والقطع هو تغيير الحركة التي ينبغي أن يكون عليها التابع. الأصل في الصفة (النعت) أن يتبع الموصوف بالإعراب (مرفوع –مرفوع) منصوب –منصوب، أو مجرور –مجرور. أما الأصل في العطف بالواو أن يتبع المعطوف بالواو ما قبله بالحركة الإعرابية.

أحياناً تغيّر العرب الحركة فتأتي بعد المرفوع بمنصوب وبعد المنصوب بمرفوع وبعد المجرور بالرفع أو النصب (في النعت) وعندما تتغير الحركة يتغير الإعراب. مثال على النعت:

أقبل محمدٌ الكريمَ - رأيت محمداً الكريمُ - مررت بمحمدِ الكريمُ أو الكريمَ

وهذا الأمر يجري في العطف أيضاً كما في قوله تعالى (والموفون بعهلهم إذا عاهلوا والصابرين) (لكن الراسخون في العلم والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة) المقيمين (قطع)

لماذا يستخدم أسلوب القطع؟ هو ليس بالأصل أسلوباً قرآنياً ابتدعه القرآن لكنه أسلوب عربي موجود في اللغة ، والقطع له شروط لكن لماذا تقطع العرب؟ تقطع العرب لسببين:

الأول: لتبيه السامع وإيقاظ ذهنه إلى الصفة المقطوعة ، والمفروض في الصفة أن تأتي تابعة لحركة الموصوف فإذا تغيرت الحركة انتبه السامع. وهذا دليل على أن الموصوف قد بلغ حداً في هذه الصفة يثير الإهتمام ويقتضيه. والثاني أن القطع لا يكون إلا إذا كان السامع المخاطب يعلم من اتصاف الصفة بالموصوف التي يذكرها المتكلم أو يقطعها. مثال: إذا قلنا مررت بمحمد الكريم (السامع قد يعلم أو لا يعلم أن محمداً كريم فيُعطى السامع معنى جديداً لم يكن يعلمه). وإذا قلنا: جاء خالد الكريم فلا بد أن يكون السامع على علم أن خالد كريم أي اشتهر بهذه الصفة حتى عُلِمت عنه. والقطع في هذه الحالة يُفيد أن المخاطب يعلم من اتصاف الموصوف ما يعلمه المتكلم فإذا كان مادحاً كان أمدح له وإذا كان ذاماً كان أذم له.

ما قيمة هذا القطع في اللغة؟ في المدح والذمّ عندما يوصف شخص الكرم فهو مشهور بالكرم ولا يخفى كرمه على أحد وقد يكون الشخص كريمًا لكن لا يعرفه أحد. فإذا كان للدح بالقطع يكون أمدح للشخص بمعنى أنه بلغ من الخصال الكريمة ما لا يخفى على أحد فيكون أمدح له. فإذا كان في حالة الذّم فيكون أذمّ له. كما في قوله تعالى في الخصال الكريمة ما لا يخفى على أحد فيكون أمدح له. فإذا كان في حالة الذّم فيكون أذمّ له. كما في قوله تعالى في سورة المسد (وامرأتُهُ حمالة الحطب) ذمّ الله تعالى امرأة أبو لهب مرتين مرة بالقطع لأن الكل يعلم بصفامًا ثم ذمّها بصيغة المبالغة في كلمة (حمّالة) على وزن فعّالة وهكذا جاء الذمّ بالقطع هنا أذمّ لها لما كانت تلحقه من أذى برسول الله – صلى الله عليه وسلم –. وقد أعرب بعض النحاة كلمة (حمّالة) على أنما خبر لمبتدأ (امرأته) ولآخرون أعربوها على أنما صفه وهذا عليه اعتراض ظاهر لأنه لا يمكن أن تكون صفة بحسب القواعد النحوية لأن حمّالة الحطب هي إضافة لفظية يعني إضافة صيغة المبالغة إلى معمولها يعتي نكرة (وامرأته) معرّفة فكيف نصف المعرفة المبالخة إلى معمولهما يعنى نكرة (وامرأته) معرّفة فكيف نصف المعرفة والنا: رأيت الرجل الطويل القامة (الطويل القامة هي صفة لفظية). والإضافة اللفظية هي إضافة اسم الفاعل واسم المفعول إذا كانا داكن على الحال أو الإستقبال إلى معمولهما، إضافة الصفة للشبهة والمبالغة إلى معمولهما دون تحديد الزمن مثال: أقبل رجلٌ مصري الدشأة (موصوف لمعرف المعرف الدشة (موصوف لمعرف المعرف النشأة (موصوف لدكرة وتُعرب نعت) وإذا قلنا: مررت بالرجل المصري النشأة (المصري النشأة مورت بورق مقوف تقديره أذمّها.

ما الحكم النحوي في القطع؟ في المدح والذمّ والترحّم يُحذف وجوباً فعند الإعراب يُعرب خبر لمبتدأ محذوف (إذا كان مرفوع) ونقول محذوف وجوباً وإذا كان في غير حالة يكون جوازاً. وفي النصب يكون مفعول به لفعل محذوف وجوباً في المدح والذمّ والترحّم وفي غير ذلك يكون جوازاً.

في سورة النساء آية ١٦٢ (لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقْمِنَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنَوْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا) القطع هنا في كلمة (المقيمين الصلاة) لأهمية الصلاة فهي أهم من كل الأعمال.

وفي سورة البقرة آية ١٧٧ (لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَآئِكَةِ وَالْكَتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى خُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَاهَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَالنَّبَيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى خُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَاهَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْلِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّوَّاء وَحِينَ الْبُأْسِ أُولِينَ صَدَقُوا وَأُولِيكَ هُمُ الْمُقَّقُونَ) قطع كلمة الصابرين للأهمية وللتركيز على الصابرين. إذن القطع جاء هنا لما هو أهمّ. والمنصوب في القطع يُعرب مفعول به لفعل محذوف.

مقاصد الذكر والحذف في الحروف

في القرآن الكريم

نذكر من حالات ذكر وحذف الخرف في القرآن الكريم حالتين: الأولى عندما يحتمل التعبير ذكر أكثر من حرف ومع ذلك يحذفه وقد يحتمل التعبير ذكر أكثر من حرف، والثانية عندما لا يحتمل التعبير ذكر حرف بعينه.

الحالة الأولى: (وأمرت أن أكون أول المسلمين) يحتمل أن يكون المحنوف (الباء) لأن الأمر عادة يأتي مع حرف الباء (أمرت بأن) كما في قوله تعالى (تأمرون بالمعروف) كما يحتمل التعبير ذكر حرف اللام (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) فلماذا حذف؟ هذا ما يسمى التوسع في المعنى وأراد تعالى أن يجمع بين المعنيين (الباء واللام) فإذا أراد التخصيص ذكر الحرف وإذا أراد كل الإحتمالات للتوسع في المعنى يحذف. مثال: (ألم يؤخذ عليكم ميثاق الكتاب ألا تقولوا على الله إلا الحق) في الآية حرف جر محذوف، يحتمل أن يكون (في) (ألم يؤخذ عليكم ميثاق الكتاب في ألا تقولوا على الله إلا الحق) ويحتمل أن يكون (اللام) (ألم يؤخذ عليكم ميثاق الكتاب لئلا تقولوا على الله إلا الحق) ويحتمل أن يكون بالباء ويحتمل أن يكون (بالباء واللام وفي وعلى الله إلا الحق) والكتاب بألا تقولوا على الله إلا الحق) والكتاب بألا تقولوا على الله إلا الحق الخرف.

الحالة الثانية: يحذف الحرف في موقع لا يقتضي إلا الحذف بالحرف، والذكر يفيد التوكيد بخلاف الحذف (مررت بمحمد و بخالد) أوكد من (مررت بمحمد و خالد). مثال من القرآن الكريم: في سورة آل عمران قال تعالى: (إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّمُنْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ { ١٤٠ } وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرينَ { ١٤١ })

إذا كان التعبير يحتمل تقدير أكثر من حرف يُحذف للتوسع في المعنى وعندما لا يحتمل إلا حرفاً بعينه فيكون في مقام التوكيد أو التوسع وشحوله. (إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّنْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ

الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ { • 1 }) ذكرت اللام في كلمة (ليعلم) وحذفت في كلمة (يتّخذ) الآية الأولى نزلت بعد معركة أحد (ليعلم الله الذين آمنوا) غرض عام يشمل كل مؤمن ويشمل عموم المؤمنين في ثباهم وسلوكهم أي قما يتعلق به الجزاء ولا يختص به مجموعة من الناس فهو غرض عام إلى يوم القيامة والله عليم وهذا علم يتحقق فيه الجزاء. أما في قوله (ويتخذ منكم شهداء) ليست في سعة الغرض الأول فالشهداء أقل من عموم المؤمنين.

وكذلك في قوله تعالى في سورة آل عمران: (وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ { 1 \$ 1 }) ذكرت في (ليمحص) ولم تذكر في (يمحق). غرض عام سواء في المعركة (أحد) أو غيرها لمعرفة مقدار ثباهم وإخلاصهم وهو أكثر اتساعاً وشمولاً من قوله تعالى (ويتخذ منكم شهداء) ويمحق الكافرين ليست بسعة (ليمحص الله) لم تخلو الأرض من الكافرين ولم يمحقهم جميعاً زوال الكافرين ومحقهم على وجه العموم ليست الحال وليست بمقدار الغرض الذي قبله. (ليعلم الله) غرض كبير متسع وكذلك قوله تعالى (ليمحص الله) إنما قوله تعالى (يتخذ منكم) و (يمحق الكافرين) فالغرض أقل اتساعاً لذا كان حذف الحرف (لام).

أما في قوله تعالى في الآية £10 من سورة آل عمران: (وَلِيَنْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) هنا الغرضين بدرجة واحدة من الإتساع ولهذا وردت اللام في الحالتين. هثال آخر:

في آية الوضوء في سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَرْجُلكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُتتُمْ جُبُّا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُتتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَر أَوْ جَاء أَحَدٌ وَامْسَحُواْ بِرُوُوسِكُمْ وَأَرْجُلكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُتتُمْ جُبُّا فَاطَّهَرُواْ وَإِن كُتتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَر أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنَكُم مِّن الْفَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِلُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيْباً فَامْسَحُواْ بِوجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ تَشْكُرُونَ {٢} }) اللام وردت في الله لَه الله الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبكَ وَمَا تَأْخَرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبكَ وَمَا تَأْخَرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبكَ وَمَا تَأْخَر وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبكَ وَمَا تَأْخَر وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُ وَيَهْدِيكَ وَمِ اللهِ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبكَ وَمَا تَأْخَر وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبكَ وَمَا تَأْخَر وَيُتِهمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ اللهُ مِن ذَنبكَ وَمَا تَأْخَر وَيُتِهمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ مُولِيتِهُ فِي وَمِي اللهَ يَعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا لَا لِمُول الدين وتمامه وهذه الله وهذه وهذه والله الله والله على الله عليه والمنعة والسعة وتشمل الكثير. أما الله عنه الفتح (ويتم نعمته) فالخطاب هنا للرسول – صلى الله عليه وسلم – وهي خاصة به وليست عامة للمؤمنين وهي ليست في أصول الدين.

مثال آخر:

في سورة الأحزاب (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَٱبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً {٧٢} لِيُعَدِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْهَوْمِنِينَ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ عَفُوراً رَّحِيماً {٧٣}) ذكرت اللام مع فعل (ليُعذَّب) وحذفت مع فعل (ويتوب) وقد قدّم تعالى عذاب المنافقين وأخّر التوبة للمؤمنين لأن سياق الآيات كان في المنافقين، أما في الآية (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً {٢٣} } لِيجزيَ اللّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً {٢٤}) ذكرت اللام مع الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً {٢٤}) ذكرت اللام مع

فعل (ليجزي) وحذفت مع فعل (يعذّب) وهنا بدأ بالمؤمنين أولاً وذكر معهم اللام ثم ذكر المنافقين بدون لام بمعنى أنه قدّم جزاء المؤمنين وأخّر عذاب المنافقين، ولم يذكر المشيئة في الآية الأولى وذكرها في الآية الثانية وذكر احتمال التوبة في الثانية ولم تذكر في الأولى، وفي آخر السورة ذكر المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات أما في الآية الثانية لم يذكر فيها إلا المؤمنين والمنافقين ولم يلحق معهم المنافقات والمؤمنات. وفي الآية الأولى لم يؤكّد المغفرة (وكان الله غفوراً رحيما) والسبب في ذلك الأصل الأول في سياق الآيات والسياق هو أكبر وأهم القرائن. السياق في الآيات الأولى بدأ بتعذيب المنافقين والمنافقات وأخّر التوبة وهذا أصل السياق في الآيات (وإن لم ينته المنافقين) إلى أن ينتهى بهذه الآية

الأخيرة أي أن أصل السياق في الآيات على المنافقين وليس على المؤمنين لذا قدّم عذابهم وأكده ولم يذكر المؤمنين. أما في الآية الأخرى فنزلت حسب سياق الآيات في المؤمنين الصادقين (وصدقوا الله ورسوله) السياق مختلف تماماً نا وهو في المؤمنين لذا قدّمهم وأكرمهم وأخر المنافقين ونزع اللام تماماً عكس الآية الأولى. وضع احتمال التوبة في الآية الثانية (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) والكلام ليس للمؤمنين وإنما للصادقين منهم وسبب ذكر التعليق بالمشيئة في الآية الثانية ووضع احتمال التوبة لأن الآيات جاءت بعد وقعة الأحزاب لذا فتح مجال التوبة والدخول في الإيمان يفتح للمنافقين باب التوبة لذا جاءت (يعذّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) لأتهم ما زالوا في الدنيا أما الآية الأولى فهي في الآخرة (يوم تُقلّب وجوههم في النار) الكلام هنا في الآخرة ولم يكن هناك مجال للتوبة أو المشيئة ولم يفتح لهم باب الأمل في التوبة ولم يُعلقها بالمشيئة.

في آية الدنيا (إن الله كان غفوراً رحيما) أكّد المغفرة ليفتح للمنافقين باب التوبة والدخول في الإسلام حتى يغفر الله للعبد كل ما تقدّم. أما في آية الآخرة فلم يؤكّد ذلك فقال تعالى (وكان الله غفوراً رحيما) بدون توكيد. وتوكيد المشيئة واحتمال التوبة يقتضى توكيد المغفرة.

أما ذكر المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات والمؤمنين والمؤمنات ولم ترد في الآية الثانية وهذه في وقعة الأحزاب والوقعة هي للرجال لذا لم يرد ذكر النساء. أما العذاب في الآخرة فيطال الجميع ذكراناً وإناثاً فكلهم يطالهم العذاب أما الجزاء فيكون بخلاف ما ذُكر في وقعة الأحزاب عندما ذكر ما يخص الرجال (الصادقين بصدقهم) ولم يقل الصادقات ذلك لأن الموطن يقتضي ذلك.

مثال آخر:

في سورة البقرة (وَبَشِّرِ الَّذِينِ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن قَمْرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيها أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيها خَالِدُونَ {٢٥}} للتبشير هنا يأتي بحرف الباء كما في قوله تعالى: (وبشرناه بإسحق)، فعندما ذكر المؤمنين (بشرهم أن لهم الجنة) ولم التبشير هنا يأتي بحرف الباء كما في قوله تعالى: (وبشرناه بإسحق)، فعندما ذكر المؤمنين (بشرهم أن لهم الجنة) ولم يقل (بأن لهم الجنة) أما في سورة النساء (بَشِّر الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً {١٣٨}). ففي هذه الآية أكّد بالباء في (بأنّ) لأنه أكّد وفصّل العقوبات وعذابات الكافرين والمنافقين في الآيات التي تسبقها فالسياق كله في تأكيد وتفصيل للعذاب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِباللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَوْلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِينَ أَمَنُواْ ثُمَّ كَفُرُواْ فَلَهُ مَن مَلُوالًا بَعِيداً {١٣٦ } إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفُرُواْ فُهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً {١٣٧٧ } بَشِّر الْمُنَافِقِينَ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً {١٣٨ } الَّذِينَ يَتَخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَغُونَ عِندَهُمُ الْغِوَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً عَذَاباً أَلِيماً {١٣٨ } الْفِرَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً عَذَاباً أَلِيماً {١٣٨ } الْفِرَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً عَذَاباً أَلِيماً وَلَا عَلَى عَندَهُمُ الْغِوَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَهِ جَمِيعاً عَذَاباً أَلِيماً وَلَا عَلَيْ عَندَهُمُ الْغِوَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَهِ جَمِيعاً عَذَاباً أَلِيماً وَلَا عَندَهُمُ الْغِرَّةَ فَإِنَّ العِزَونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَعُونَ عِندَهُمُ الْعِرَّةَ فَإِنَّ العِزَّقَ لِلَهُ جَمِيعاً عَن اللهِ اللهِ وَلَا لَكُونُ عَن عَندَهُمُ الْعِرَّةَ فَإِنَّ العِزْوَلَ اللهَ الْعَلَالَةُ عَلَى عَن اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ المُؤْمِنِينَ أَيْنِ اللهُ اللهِ اللهُ المُ المَافِقِينَ اللهُ المَائِولِينَ أَلْولِينَ اللهَ المَافِقِينَ اللهُ المَائِولِينَ اللهُ المَائِلُه

{١٣٩} } وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَّرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُلُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُو ضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِّنْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي

جَهَنَّمَ جَمِيعاً {١٤١} الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُوْمِنِينَ سَييلاً {١٤١} إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُحَادِعُونَ اللّهَ وَهُو حَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَييلاً {١٤٦ } إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُحَادِعُونَ اللّهَ وَهُو حَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسالَى يَرْآؤُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً {٢٤٦} مُّذَبَّذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَوُلاء وَلاَ إِلَى هَوُلاء وَمَن يُصْلِل اللّهُ فَلَى تَجَدَّدُواْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ ا

في القرآن الكريم يتعلق بأمرين:

أولاً: في مقام النفصيل والإيجاز كما في قوله تعالى في سورة البقرة (وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٢٥}}

وفي سورة الأحزاب: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَصْلاً كَبِيراً {٤٧}}). ذكرت الباء مع المؤمنين في حين حذفت في آية سورة البقرة.

آية سورة البقرة هي آية مفردة في المؤمنين لم يسبقها أو يليها ما يتعلّق بالمؤمنين ، أما آية سورة الأحزاب فسياقها في ذكر المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) إلى قوله تعالى (وبشر المؤمنين) فاقتضى السياق والتفضيل ذكر الباء في آية سورة الأحزاب.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة (وَإِذْ أَحَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَشُم مَعْرِضُونَ {٨٣}) ذكرت الباء مع (بالوالدين) وحذفت مع كلمة (ذي القربي) أما في سورة النساء (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَلْرِ الْجَنُبِ وَالْمَالُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَحُوراً {٣٦}) فقد ذكرت والصَّاحِب بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَحُوراً {٣٦٨}) فقد ذكرت الباء مع الوالدين ومع ذي القربي. وذلك لأن السياق في سورة النساء والكلام عن القرابات من أول السورة إلى الباء مع الوالدين ومع ذي القربي بين أيدينا. إذن ذكر الباء مع ذي القربي في هذه الآية من سورة النساء كان لمراعاة النفضيل والتوكيد. أما في آية سورة البقرة فليس السياق في القرابات فحذفت الباء في (ذي القربي) مراعاة للإيجاز. مثال آخر:

في سورة آل عمران (فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنيرِ {١٨٤}) حذف الباء مع كلمة (الزبر) وكلمة (الكتاب) أما في سورة فاطر (وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْزِبُرِ وَبِالْكِيَّابِ الْمُنيرِ {٥٥ }}) ذكر الباء مع كلمتي الزبر والكتاب. المقام في سورة فاطر مقام التوكيد والتفصيل في مقام الإنذار والدعوة والتبليغ (وَلَا تَوْرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ اللَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمُصِيرُ {١٨ }) إلى قوله تعلى (إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ {٢٣ } إِنَّا أَرْسُلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ {٢٣ }) فالسياق إذن في الإنذار والدَّعوة والتبليغ ويستمر السياق في الكلام عن الذين يستجيبون والذين لا يستجيبون وأن هذه الكتب التي ذكرت في الآية هي كتب الإنذار (الزبر، الكتاب المبين، البينات). أما في سورة آل عمران فالآية تعقيب على التي ذكرت في الآية مي كتب الإنذار (الزبر، الكتاب المبين، البينات). أما في سورة آل عمران فالآية تعقيب على محادثة تاريخية معينة (الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَ نُوْمِنَ لِرَسُول حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانِ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ وَسُل مِّن قَبْلِي بِالْيَبِينَ الْمَوْمُ هِن وَكُنتُمْ صَادِقِيَنَ {١٨٣ }) فالمقام هنا مقام حادثة معينة وليس وسياق الآيات فاختلف الأمر هنا ولهذا حذفت الباء لأنه مناسب للإيجاز.

سورة فاطر فيها مقام التوكيد ومقام التفصيل:

مقام التوكيد في سورة فاطر : (وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ {٢٥} }) وجاء بصيغة الفعل المضارع في (يكذبوك) للدلالة على الإستمرارية وفيه التصديق والتكذيب مستمران (هو فعل شرط مضارع) أما في سورة آل عمران فقد جاء الفعل ماضياً (فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنيرِ {١٨٤} }) وهذه قاعدة في القرآن إذا كان فعل الشرط مضارعاً دلّ على استمرارية الحدث وإذا كان فعل الشرط ماضياً فهو يدلّ على الحدوث مرة واحدة.

وذكر تاء التأنيث في سورة فاطر (وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنيرِ {٢٥}) يفيد التوكيد أيضاً أما في سورة آل عمران فجاءت الآية () والتذكير يدل على الكثرة كما في قوله تعالى (وقال نسوة في المدينة) فعل يدل على القلّة بصيغة التذكير. وكذلك قوله تعالى: (قالت الأعراب آمنا) دلالة على الكثرة فجاء الفعل مؤنثاً بتاء التأنيث. وعليه ففي سورة فاطر الآية (جاءقم رسلهم) تدل على كثرة الرسل في سورة فاطر أما في سورة آل عمران فالتذكير يفيد أن الحادثة وقعت مرة واحدة.

مقام التخصيص في سورة فاطر: في سورة آل عمران الفعل مبني للمجهول (كُذّب رسل) في حين في سورة فاطر ذكر الفاعل (كذب الذين من قبلهم) وقال تعالى في سورة فاطر (جاءتهم رسلهم) بذكر الفاعل الظاهر أما في سورة آل عمران فقال تعالى (جاءوا) بدون ذكر الفاعل الظاهر.

إذن ذكر الباء مع كل معطوف في سورة فاطر وحذف الباء مع المعطوف في سورة آل عمران وكل ما سبق ذكره في سورة فاطر وآل عمران يقتضي ذكر الباء في آية سورة فاطر وحذفها في آية سورة آل عمران.

مثال آخر:

قال تعالى في سورة يوسف: (قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ {٨٥}). من الناحية اللغوية معناها تالله لا تفتأ، إذا كان جواب القسم فعل مضارع لا بد أن يكون باللام مع النون (تالله لأكيدن) أو مع اللام إذا اقتضى حذف النون. لا بد في جواب القسم المثبّت أن تُذكر اللام سواء مع النون أو بدولها. وعندما لا تذكر اللام يدل على النفي. إذن لا يكون مثبتاً إلا بذكر اللام مع الفعل المضارع. فإذا قلنا (والله أذهب) معناها والله لا أذهب. إذا جاء جواب القسم فعلاً مضارعاً ولم يقترن باللام فهو نفي قطعاً.

نعود إلى آية سورة يوسف (تالله تفتأ تذكر يوسف) ومعناها لا تفتأ ، هي الآية الوحيدة التي وقعت في جواب القسم منفية ولم يذكر اللام معها، في عموم القرآن عندما يكون القسم منفياً يأتي باللام (وأقسموا بالله جهد أيماهم .. لا يبعث). هناك خياران: ذكر اللام أو حذف اللام. فلماذا حذف اللام في آية سورة يوسف ولم يقل (تالله لا تفتأ) الذكر يفيد التوكيد والحذف في ما عُلم معناه هو أقل توكيداً. وفي الآية استخدم كلمة (حرضاً) ومعناها الذي يمرض مرضاً شديداً ويهلك. ومعنى الآية أن إخوة يوسف أقسموا أن أباهم سيظل يذكر ابنه يوسف حتى يهلك أو تفسد صحته. لكن هل هذا مقام توكيد؟ وهل يمكن أن يقسم أحد على هذا الأمر المستقبل؟ طبعاً هذا ليس عقلورهم و لا يعلمون ماذا سيحدث فيما بعد لذا فالمقام ليس مقام توكيد أصلاً. القسم هنا غير واقع حقيقة وغير متيقن لذلك وجب حذف حرف النفي (لا) مع أنه معلوم بالدلالة.

إذن لماذا اختار (تفتأ)؟ تفتأ من فعل فتأ بمعنى لا تزال ولا تبرح ولا تنفك ولا تفتأ وكلها تفيد الإستمرار والدوام إذن لماذا اختار (تفتأ) مع العلم أن القرآن استخدم لا أبرح في مواقع كثيرة؟ برح من المغادرة ويوال من الإستمرارية أما تفتأ فهي تختلف بدلالة خاصة فهي تأتي بمعنى سكّن وبمعنى نسي وبمعنى أطفأ النار، وقد اختار تعالى كلمة (تفتأ) لأن المعنى المطلوب يحتمل كل معايي كلمة تفتأ: نار الحرقة لا تنطقيء في قلب يعقوب – عليه السلام – ثم معنى لا تنسى مع مرور الزمن كما يحدث لأي مبتلى في مصيبة فالزمن يُنسي المصائب أي لا تنسى ذكر يوسف ولا تزال تذكره، وبمعنى سكّن أي أنت لن تسكن ولن تكف عن ذكره لذا اختار تعالى هذه الكلمة (تفتأ) دون أخواتما لأنما أنسب فعل يجمع المعاني الثلاثة المقصودة وإضافة إلى ذلك حذف حرف النفي الذي لا يدل على التوكيد فالكلام في الآية غير متيقن.

مثال آخر:

(الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزُنُونَ {٢٦٢}}) سورة البقرة، حذف الفاء (لهم)

(الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرَّا وَعَلاَنيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٢٧٤}) سورة البقرة ذكر الفاء في كلمة (فلهم)

الآية الأولى حذفت فيها الفاء (لهم أجرهم) والثانية ذكرت فيها الفاء (فلهم أجرهم) وقد ذكرت في الآية الثانية لأن السياق يقتضي الذكر. وذكر الفاء هنا يسمى تشبيه والتشبيه من أغراضه التوكيد (بالليل والنهار سراً وعلانية) فيها توكيد وتفصيل في الإنفاق ودلالة على الإخلاص فاقتضى السياق زيادة التوكيد لذا جاء بالفاء في مقام التوكيد والنفصيل.

الفاصلة القرآنية من حيث المعنى

لا يراد بالفاصلة القرآنية مراعاة الحروف وإنما يراد المعنى قبل ذلك ويلتقي الحرف بالمشابحة اللفظية مع المعنى. وأحياناً لا يراعي القرآن الكريم الفاصلة بل قد تأتي مغايرة عن غيرها وهذا دليل على أن المقصود بالدرجة الأولى هو المعنى.

في سورة طه مثلا: تأتي الآية (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بجُنُودِهِ فَعَشِيَهُم مِّنَ الْيُمِّ مَا غَشِيَهُمْ {٧٨}) مغايرة للفاصلة القرآنية

في باقي آيات السورة (تزكى، يخشى، هدى) لأن المقصود الأول هو المعنى. وكذلك في سورة الأنبياء الآية (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْنًا وَلَا يَضُرُّكُمْ {٦٦}}) مغايرة لبلقي آيات السورة (يشهدون، ينطقون، تعقلون) وليس لها ارتباط بما قبلها وبعدها.

ومثال آخر في سورة الإنشقاق الآية (إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ {١٤}) فلو قال (يحورا) لنغيّر المعنى وفي هذا دلالة على أن القرآن يراعي المعنى قبل مراعاة الناحية اللفظية.

في أول سورة الأحزاب (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً {٣} مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُل مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاء كُمْ أَبْنَاء كُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفُرَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّيلَ {٤} ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَالُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَيَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً {٥} باجادت كلمة (السبيل) في عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً {٥} باجادت كلمة (السبيل) في آخر الآية ٤ بينما جاء ما قبلها وبعدها بالألف، وفي أواخر سورة الأحزاب (يَوْمُ تُقلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهُ وَأَطَعْنَا اللَّهُ وَاللَّهُ الْعَلْفَ وَاللَّهُ الْعَلْقَالُهُ وَاللَّونَ اللَّهُ اللَّهُ وَالْعَلَامِ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ الْعَلْقَ الْمَالِقُولُونَ عَلَيْ وَلَى السَورة فبليس هناك عذاب فجاءت على حالها (السيل) وليست السيلا، تصور الحالة الطبيعية من اصطراخ فجاءت الألف تعبيراً عن حالهم وهم يصطرخون في النار في كلمة (الرسولا) في أواخر السورة.

(وتظنون بالله الظنونا) تسمى الألف في النحو (ألف الإطلاق) كلمة ظنون إذا انتهت بساكن يسمى مقيّد. الظنونا كثير ومتشعبة واختلفوا وتشابكوا فاختلفت الظنون ولذا جاءت بالإطلاق (الظنونا) وجب استخدام الألف لإطلاق الظنون.

مثال آخر:

في سورة الحاقّة (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهُ {١٩}) من الناحية اللغوية هناك قاعدة التي فيها ياء المتكلم يجوز فيها الفتح والسكون (كتابي وكتابيه) من سكّن الياء يقول (كتابي) ومن فتح الياء يقول (كتابيه).

الفاصلة القرآنية من حيث المعنى (ماليه، حسابيه، كتابيه، سلطانيه) لماذا جاءت الهاء ؟ هذا الكلام يقال في يوم الحشر وهو يوم ثقيل كما أخبرنا سبحانه وتعالى ووصفه بيوم عسير وأنه عبوس قمطرير والناس في ذلك اليوم يبقون خمسين ألف سنة في هذه الشدة حتى يفزعون إلى الأنبياء. والهاء أشبه بالنهاة (المتعبين) تصور المشهد الذي هم فيه جميعاً من تعب وعناء فاختارها سبحانه لمراعاة الموقف الذي هم فيه كما اختار الألف في البكاء سابقاً. إذن استخدام حرف الهاء في فواصل هذه السورة يدل على التعب والعناء والألم والهاء مأخوذة من الآه.

الفاصلة القرآنية من حيث المحور النفسي: قال تعالى (وأضل فرعون قومه وما هدى) سورة طه. قال النحاة ألها جاءت مراعاة للفاصلة، ولكن كان من الممكن قول (وما هداهم) لكن فرعون أضل قومه لأنه غيبهم في البحر إذن هو أضلهم وما هداهم. (وما هداهم) تحتمل أن يكون قد هدى غيره قومه أما (ما هدى) ففيه إطلاق نفي الهداية بمعنى أنه لم يهدي قومه ولا غيرهم ولم يكن أبداً سبباً في هداية أحد. ولذا جاء اختيار الكلمة المناسبة للآية بدون مراعاة الفاصلة في باقي آيات السورة لأن المعنى أهم ويُقدم على الفاصلة.

مثال آخر في سورة الضحي: (ما ودّعك ربك وما قلي): نفي تعالى في هذه الآية شيئين: نفي التوديع وهو لا يكون إلا بين الأحباب والأصحاب، ونفي القلي الذي لا يكون إلا للمتباغضين. وقد يسأل البعض لم لم يقل تعالى (وما قلاك) كما قال (ما ودعك) والحقيقة أنه في الأمر المحبوب نفي الله تعالى بقوله (ما ودعك) باستخدام ضمير المخاطب لأنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفيه تكريم له بذكر حرف المخاطب أما في قوله (وما قلي) فلا يصح استخدام (قلي) بين الحبين وقد كرّم تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - عن أن يكون من المبغوضين فلم يقل (وما قلاك) حتى لا يكون الخطاب مباشرة للرسول - صلى الله عليه وسلم - من ربه الذي يحبه ولا يقليه واستخدام فعل قلى لا يليق أن ينسب للرسول - صلى الله عليه وسلم -. فجاء التكريم في هذه الآية من الله تعالى لرسوله في ذكر المفعول به بـ (ما و دعك) و تكريم بعدم ذكره بـ (ما قلي) فكرّمه بالذكر وبالحذف.

كذلك في سورة المدتّر لا يمكن أن تكون الفاصلة منفصلة عن المعنى فلو اقتضى المعنى ترك الفاصلة تركها فالمعني يأتي أو لا في عموم القرآن وتلتقي الفاصلة مع المعني.

وقد تكون الفاصلة والمعنى غير منتهى. ليست الفواصل هي دائماً تامة المعنى فقد تكون متعلقة بما قبلها أوما بعدها. كما في قوله تعالى في سورة العلق (أرأيت الذي ينهي * عبداً إذا صلّى) وقال تعالى في سورة الرحمن (ملهامّتان) الآيات ليست و حدات مستقلة المعنى قد تكون تامة وقد تكون متعلقة بما قبلها أو بعدها.

في سورة طه الآية (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى {٧٠}) وفي سورة الشعراء الآية (رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ {٤٨} }) لماذا التقديم والتأخير وهل هو للفاصلة القرآنية؟

تكرر ذكر هارون كثيراً في سورة طه (أربع مرات)، والخطاب موجه إلى موسى وهارون دائماً إذن القصة في سورة طه مبنية على الثنائية، وفي سورة طه أيضاً أدرك موسى الضعف البشري كما أدرك أبو البشر آدم -عليه السلام - (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسهِ خِيفَةً مُّوسَى {٦٧}) ولم يذكر الخيفة لهارون أما في سورة الشعراء فقد ورد ذكر هارون مرتين فقط والخطاب في السورة كان موجهاً إلى موسى وحده في كل السورة فهي مبنية على الوحدة في الغالب وقد أورد تعالى في سورة الشعراء عناصر القوة في موسى ولم يذكر عناصر الضعف ولهذا السبب اختلف السياق واقتضى النقديم والتأخير كما جاء في آيات كل من السورتين. وهناك أمر آخر في سورة طه (طه) فيها حرف من حروف هارون وليس فيها حرف من حروف موسى (وكل سورة تبدأ بالطاء تحوي قصة موسى – عليه السلام –) أما سورة الشعراء (طسم) ففيها حرفين من حروف موسى وليس فيها حرف من حروف هارون.

موضوع التشابه والإختلاف

في القرآن الكريم

قد يتغير في الآية كلمة من سياق إلى سياق ومن سورة إلى سورة. وردت قصة سيدنا موسى في سور متعددة في القرآن الكريم وبين قصة موسى – عليه السلام – في سورة البقرة وقصته في سورة الأعراف تشابه و اختلاف في الألفاظ كما هو حاصل في كلمتي (انفجرت) و(انبجست). فقد يحصل اختلاف في التعبير أحياناً في مكان عن مكان أو في قصة عن قصة فلماذا الإختلاف؟

الحقيقة أنه ليس في القرآن الكريم اختلاف في القصة وإنما يختلف التعبير عن مشهد من مشاهد القصة بين سورة وسورة لأن كل سورة تأتي بجزئية من القصة نفسها تتناسب وسياق الآيات في السورة التي تذكر فيها. فالمشاهد ملها وقعت للقصة نفسها ولا تختلف في الفحوى والحقيقة. ولعل من أبرز الأمثلة على هذا التشابه والإختلاف ما جاء في سورتي البقرة والأعراف في قصة موسى – عليه السلام – مع بني إسرائيل.

سورة البقرة: (وَإِذِ اسْتَسْتَقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اصْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانَفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسدِينَ {٢٠})
سورة الأعراف: (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَى عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ الْمَنْ الْمَنَّ عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْفَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلُوى كُلُواْ مِن طَيِّباتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {٢٠٤}).
والسَّلُوى كُلُواْ مِن طَيِّباتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {٢٠٤}).
فقد جاء في سورة البقرة (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اصْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانَهَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رَزِقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْتَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ {٢٠٤}) وجاء في سورة الأعراف (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أَمَما وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اصْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانَسَاقُومَ وَالسَّلُوى كُلُواْ مِن طَيَّبَاتِ مَا الْفَتَا عَشْرَةَ أَنْسَ مَّشُورَهُمُ الْفَى وَالسَّلُوى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا وَلَكِن كَانُواْ أَنْفُسَهُمْ وَطَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلُوى كُلُواْ مِن طَيَبَاتِ مَا وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ وَمَا ظَلَمُونَ وَلَامَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلُوى كُلُواْ مِن طَيْبَاتِ مَا وَلَكُن وَالسَّلُوى كُلُواْ مَن طَيْبَاتِ مَا وَلَكُن وَالْمَامُ وَالْوَلُولُولَ كُوا وَلَوْلُولُولُولُ كَالُوا مِن طَيْبَاتِ مَا وَلَكِن كَانُوا وَالْفَي وَلُولُولُولُولُولُولُتُهُمُ الْمُنَى وَالسَّلُولُ وَلَالْمُولُ وَلَعُولُولُولُ وَلَولُولُهُ مَا مَا مُؤْلُولُولُولُولُ وَالْمَلَامُ وَلَا وَلَكِن كَالُوا مِن طَلَمُ وَلُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُ وَلَالِهُ وَلَا مُعْوَالُولُولُولُولُولُولُو

والسؤال ماذا حدث فعلاً هل انفجرت أو انبجست؟ والجواب كلاهما وحسب ما يقوله المفسرون أن الماء انفجرت أولاً بالماء الكثير ثم قلّ الماء بمعاصيهم وفي سياق الآيات في سورة البقرة الذي يذكر الثناء والمدح والتفضّل على بني إسرائيل جاء بالكلمة التي تدل على الكثير فجاءت كلمة (افهجرت) أما في سورة الأعراف فالسياق في ذمّ بني إسرائيل فذكر معها الإنبجاس وهو أقلّ من الإنفجار وهذا أمرٌ مشاهد فالعيون والآبار لا تبقى على حالة واحدة فقد تجفّ العيون والآبار فذكر الإنهجار في موطن والإنبجاس في موطن آخر وكلا المشهدين حصل بالفعل. وبعضهم قال جاء بالفاء للترتيب والتعقيب في (فانفجرت) و(فانبجست) وهذه الفاء تُسمّى فاء القصيحة وهناك عطف والعطف قد يكون أكثر من معطوف عليه. (فَقُلْنَا اصْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةً عَيْنا) لم يقل سبحانه وتعالى (فضرب) كذلك في قوله تعالى (فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذّبوا) هل ذهبا أم لم يذهبا؟ ولم يفصل في الآيات هل أبلغا أم لم يبلغا؟ وهذه الفاء إذن هي فاء الهصيحة التي تدلّ على أن هناك محذوف ولكن المعنى واضح فهي أوضحت معاني متعددة. وقد تكرر استخدام هذه الفاء في مواطن عديدة في القرآن الكريم منها في قوله واضح فهي أوضحت معاني متعددة. وقد تكرر استخدام هذه الفاء في مواطن عديدة في القرآن الكريم منها في قوله (على في سورة الإسراء (وَإِذَا أَرَدُنَا أَن نُهلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُثْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقُولُ فَلَمُونَاهَا تَدْمِيراً وَفِ قصة سليمان في سورة النمل (اذْهَب بُّكِتَابي هَذَا فَأَلْقِهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ {٢٨} وفي قصة سليمان في سورة النمل (اذْهَب بُّكِتَابي هَذَا فَأَلْقِهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجَعُونَ {٢٦} فالمفروض أن الهدهد أخذ الكتاب وذهب به وألقاه عند بلقيس وانظر لكن بعض هذه المشاهد حذف مع بقاء المعنى واضحاً.

نعود لاستعمال (انفجرت) و(انبجست) في سورتي البقرة والأعراف وإذا لاحظنا سياق الآيات في سورة البقرة (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَقْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسنِينَ {٥٨} فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بما كَانُواْ يَفْسُقُونَ {٥٩} وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسدِينَ {٦٠}) أما سياق الآيات في سورة الأعراف (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ {٦٦١}) يمكن ملاحظة ما يأتي: سورة الأعراف ... سورة البقرة

السياق في ذكر ذنوهم ومعاصيهم والمقام مقام تقريع وتأنيب لبني إسرائيل (وَجَاوَزْنَا بَبَني إِسْرَائِيلَ الْبُحْرَ فَٱتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَها كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {١٣٨ }) والفاء هنا تفيد المباشرة أي بمجرد أن أنجاهم الله تعالى من الغرق أتوا على قوم يعبدون الأصنام فسألوا موسى أن يجعل لهم إلها مثل هؤلاء القوم. ... سياق الآيات والكلام هو في التكريم لبني إسرائيل فذكر أموراً كثيرة في مقام التفضيل والتكرّم والتفضّل (وإذْ نَجَيْنَاكُم مِّنْ آل فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ {٩٤ } وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبُحْرَ فَٱنْخَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَشَمْ تَنظُرُونَ {٠٥ }) و (يَا فَرَائِيلَ اذْكُرُواْ نعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ {٤٧ })

فموسى هو الذي استسقى لقومه (إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) ... قوم موسى استسقوه فأوحى الله ربه بضرب الحجر (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) وفيها تكريم لنبيّ الله موسى – عليه السلام – واستجابة الله لدعائه. والإيحاء أن الضرب المباشر كان من الله تعالى.

(كلوا من طيبات ما رزقناكم) لم يذكر الشرب فجاء باللفظ الذي يدل على الماء الأقلّ (انبجست) ... (كلوا واشربوا) والشرب يحتاج إلى ماء أكثر لذا انفجرت الماء من الحجر في السياق الذي يتطلب الماء الكثير

لم يرد ذكر الأكل بعد دخول القرية مباشرة وإنما أمرهم بالسكن أولاً (اسكنوا هذه القرية وكلوا) ... جعل الأكل عقب الدخول وهذا من مقام النعمة (ادخلوا هذه القرية فكلوا) الفاء تفيد الترتيب والتعقيب.

لم يذكر رغداً لأهم لا يستحقون رغد العيش مع ذكر معاصيهم. ... (رغداً) تذكير بالنعم وهم يستحقون رغد العيش كما يدلّ سياق الآيات.

(وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً) لم يبدأ بالسجود هنا لأن السجود من أقرب ما يكون العبد لربه وهم في السياق هنا مبعدين عن ربحم لمعاصيهم. ... (وادخلوا الباب سجّداً وقولوا حطة) بُديء به في مقام التكريم وتقديم السجود أمر مناسب للأمر بالصلاة الذي جاء في سياق السورة (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ السجود أمر مناسب للأمر بالصلاة الذي جاء في سياق السورة (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ السجود هو من أشرف العبادات.

(نغفر لكم خطيئاتكم) وخطيئات جمع قلّة وجاء هنا في مقام التأنيب وهو يتناسب مع مقام التأنيب والذّم في السورة. ... (نغفر لكم خطاياكم) الخطايا هم جمع كثرة وإذا غفر الخطايا فقد غفر الخطيئات قطعاً وهذا يتناسب مع مقام التكريم الذي جاء في السورة.

(سنزيد المحسنين) لم ترد الواو هنا لأن المقام ليس فيه تكريم ونعم وتفضّل. ... (وسنزيد المحسنين) إضافة الواو هنا تدل على الإهتمام والتنويع ولذلك تأتي الواو في موطن النفضّل وذكر النعم.

(الذين ظلموا منهم) هم بعض ممن جاء ذكرهم في أول الآيات ... (فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم) (فأرسلنا) أرسلنا في العقوبة أشدّ من أنزلنا، وقد تردد الإرسال في السورة ٣٠ مرة أما في البقرة فتكرر ١٧ مرة

... (فأنز لنا على الذين ظلموا) (بما كانوا يظلمون) والظلم أشدّ لأنه يتعلّق بالضير ... (بما كانوا يفسقون)

وقد ورد في القرآن الكريم مواضع أخرى عديدة جاء فيها التشابه بين قصتين مع اختلاف في اختيار الألفاظ بما يتناسب مع السياق والمهم أن نعلم أن كل للشاهد من القصة قد حصلت بالفعل ومثال على ذلك ما جاء في سورة المبقرة (وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذُتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْداً فَلَن يُخلِف اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا المبقرة (وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَة قُلُ النَّخَذُتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخلِف اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ عَلْمُونَ { ٩٠ } }) وسورة آل عمران (ذَلِك بَأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَات وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَنُواْ يَقْتُرُونَ { ٤٠ } }) فنسأل هل قالوا أياماً معدودة أو أياماً معدودات بعدودات (والقاعدة العامة أنه إذا وصفنا الجمع غير العاقل بالمفرد فإنه يفيد معدودة فهي جمع كثرة وهي أكثر من معدودات (والقاعدة العامة أنه إذا وصفنا الجمع غير العاقل بالمفرد فإنه يفيد الكثرة) ومثال ذلك (ألهار جارية) و(ألهار جاريات) الجارية أكثر من حيث العدد من الجاريات وأشجار مثمرة أكثر من مشموات وجبال شاهقة أكثر من شاهقات. فماذا قالوا بالفعل؟ فِيم قالوا الإثنين معاً ففي سورة البقرة لما ذُكروا بما فعلوه من آثام (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مَّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ لِيَشْتُرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ وَقَدْ كَانَ عَلَيقُ لُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتُرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مَمَّا يَكُمْبُونَ الْكِيَابَ بُلْكِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مَوَيْلًا لَهُمْ مَوَيْلًا لَهُمْ مَوَيْلًا لَهُمْ مَوَيْلًا لَهُمْ مَلًا يَكْسُونَ (٩٧٤)) فجاء ردّهم (أياماً معدودة)، أما في سورة آل عمران (أَلَمْ تَرَ الْكَالِي الَّذِينَ أُوثُواْ نَصِياً مَنَ الْكِيتَاب يُدْعَوْنَ

إِلَى كِتَابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣ }) لم يكن هناك تذكير بالأفعال والتوعّد بالحساب فلما ذُكّروا بها قالوا أياماً معدودات لأن الآثام الّتي ذُكروا بها أقلّ . ومنهم من يقول أن قسماً قالوا (أياماً معدودة) والقسم الآخر قال (أياماً معدودات).

(إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ {٧}) سورة النمل.

(فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُنُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرِ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ {٢٩}) سَورة القصص.

ومثال آخر على التشابه والإختلاف في القرآن الكريم ما جاء في سورتي النمل والقصص في قصة موسى – عليه السلام – أيضاً ففي سورة النمل قال تعالى (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطُلُونَ {٧}) وفي سورة القصص قال تعالى (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطُلُونَ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ المُحتلاف الخيافي في السورتين متسع ولكن ندرسه من ناحية التشابه والإختلاف لأن بينهما اختلافات عدة.

أو لا في سورة النمل جاء بالسين في (سآتيكم) والسين تفيد التوكيد، أما في القصص فجاء بـ (لعلّي آتيكم) وهي للترجّي. فماذا قال موسى لأهله هل قال ترجّى أم قطع؟ هل قال أحدهما أم ماذا؟ الحقيقة أن هذا يحصل في حياتنا يقول أحدنا سآتي اليوم لعلي أستطيع بمعنى (أقطع ثم أترجّى) والمشهد نفسه هو الذي يفرض الترجي أو القطع. قد نقطع ثم يأتي أمور تحول دون ذلك فنقول لعلّي للترجي أو العكس لكن يبقى لماذا الإختيار أي اختيار الترجي في

سورة والقطع في سورة أخرى؟

المقام كله في سورة النمل مبني على القطع والقوة والتمكين أما سورة القصص فهي مبنية على الخوف من قبل ولادة موسى. وقد قال تعالى في سورة النمل (أو آتيكم بشهاب قبس) وهذا في مقام القطع لأن الشهاب هو شعلة من النار والشهاب أنفع في الدفء والإستنارة، أما في القصص فقال تعالى (أو جذوة من النار) والجذوة ليس بالضرورة أن يكون فيها نار وهذا أنسب لجو وسياق السورة المبني على الخوف. وهناك اختلافات كثيرة أخرى بين السورتين، لكن المهم القول أن موسى – عليه السلام – قال التعبيرين لكن اختيار كل تعبير في مكانه يناسب المقام والسياق التي ورد فيه التعيرين.

ونسأل هل قال موسى هذا الكلام حقاً أم الآيات هي عن رب العالمين؟ نقول أن القرآن هو ترجمة للأحداث والأقوال لكن مصوغ صياغة فتية عالية وهو أدق ترجمة فنية للأحوال وكلها صحيحة مائة في المائة وبتعبيرات مناسبة للسياق. وقد نقرأ ترجمات من لغات أخرى في نفس الموضوع وكل ترجمة تختلف عن الأخرى بحسب الذي يترجم ولأن الفحوى واحد وهذه الترجمات ليست كلها بنفس النوعية والدقة والبلاغة. فعلى سبيل المثال بدل أن نقول لشخص ما أكبر منا سناً أنه فاجر نقول له مسرف فنختار الصيغة التي تليق بالمقام وبدل أن نقول متهور نقول مسرع وهكذا.

وكذلك نسأل هل قال برهانان أو تسع آيات؟ قال تعالى في سورة القصص (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءِ وَاصْمُمْ إلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ {٣٢}) أما في سورة النمل فقال تعالى (وَأَدْخِلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ يَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوء فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ {١٢}). والجواب أنه قال كلاهما لأن في سورة القصص الأمر لموسى بالذهاب إلى فرعون وملئه أي خاصة مجلسه وهنا ذهب بآيتين هما العصا التي تنقلب حية واليد التي تخرج بيضاء. أما في سورة النمل فالأمر إلى موسى بالذهاب إلى فرعون وقومه وهنا ذكر تسع آيات لأن الحشد أكثر وهو القوم احتاج ذكر أكثر الآيات فجاء ذكر تسع آيات. وأما سبب الإختيار فيعود للقصة ففي سورة القصص قلنا أنها مبنية على القطع والقوّة.

سورة الذاريات: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ {٢٤} إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ {٢٥} فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلِ سَمِينِ {٢٦}).

سورة الحجر: (وَنَبِّنْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْراَهِيمَ {ً٥١\$ } إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ {٥٢} قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلام عَلِيم {٣٥}).

فلماذا لم يرد السلام في الحَجر ولم يستكمل القصة كما في سورة الذاريات؟ هذا ليس اختلافاً في القصة ولكن اختلاف في ذكر المشاهد للقصة.

في سورة الذاريات قال تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) ذكر المكرمين فذكر ما يقتضي الإكرام وردّ التحية والإكرام، أما في سورة الحجر لم يذكر التكريم فلم يحتاج المقام ذكر ردّ إبراهيم.

فقد نقول ذهبنا إلى آل فلان وسلّمنا عليهم وبتنا عندهم ليلة ورجعنا ولم نقل ردّوا علينا السلام وطلبوا منا أن نبقى عندهم فوافقنا ونذكر كل النفاصيل التي حصلت. وقد نذكر في مقام آخر ذهبنا ورحّبوا بنا وأقسموا أن نبات عندهم وأصروا أن نُفطر عندهم (و في هذا وصف دقيق حسب المقام ولم نقل سلّمنا عليهم لكن لم يؤثر على المعني) وإلا كيف رحبوا بنا إذا لم نسلم عليهم لكن المقام يُحدد ماذا نقول: هل نتحدث عن ضيافتهم أو عن سفرنا نحن؟ نعود إلى الآيات في سورة الذاريات فقد ذكر تعالى المكرمين وكل الأمور المتعلقة بالإكرام ومنها ردّ السلام والجيء بالعجل وتقديمه لهم. وقد وصف الله تعالى نبيه إبراهيم أنه أو جس منهم خيفة (وهذا شعور في نفسه) أما في سورة الحجر فقال تعالى على لسان إبراهيم – عليه السلام – (إنا منكم وجلون) أي خاطبهم مباشرة ولا نقول في مقام التكريم إني خائف منكم. فكل الأمور حصلت في القصة لكن الله تعالى اختار لكل سورة مشهداً وألفاظ وتعبيرات تناسب سياق الآيات والحالة التي ذكرت فيها فكل قصة في السورتين جاءت بالتعبير المناسب والحالة المناسبة. ونسأل لماذا يكون هذا في اللغة؟ البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو السياق. فلا يمكن مثلاً في مقام الفرح أن نأتي بقصيدة حزن كما قال الشاعر في وصف دار دخلها الخليفة لأول مرة (يا دار ما فعلت بك الأيام) وقد عابوا على هذا الشاعر مقولته هذه. فيجب أن نحدد أين المقصود توجيه الكلام؟ فهناك عدة أمور نريد التركيز عليها والقصة الواحدة لها عدة جوانب فأي الجوانب نريد أن نركز عليها فنأتي بجزئياتها المناسبة لهذا الجانب أو غيره.

وقد حاول المستشرقون أن ينتقدوا القصة في القرآن الكريم فقالوا إنه في قصة موسى – عليه السلام – وردت ١٦ آية (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا) فقالوا أنه لو اجتمعت الإنس والجنّ فهم قادرون على أن يأتوا بمثل القرآن ولكنهم جهلوا أن القصة الواحدة في القرآن قد يُعبّر عنها بصور مختلفة لكن اختيار الصورة المعجزة هو اختيار القرآن الكريم وهناك شاعر أمثل من شاعر وقد يعبّرون جميعاً عن نفس المعنى ونفس المشهد. وقد يُصاغ المشهد الواحد بعدة تعييرات ولكنها ليست كلها بنفس درجة البلاغة والفنّ. ففي قصة موسى – عليه السلام – قد يكتب فيها الكثيرون ولكن ليست كل هذه الكتابات متماثلة من حيث البلاغة والفنّ. فالقرآن لا يمكن أن يدانيه أحد من ناحية البلاغة واللغة والفن وكل تعبير يمكن أن يؤدّى بتعبير آخر فالقرآن فيه معجز وكذلك تحدّى القرآن المشركين أن يأتوا بسورة واحدة ولو كانت قصيرة مثل الكوثر. فلا يمكن صياغة سورة مثل سور القرآن الكريم حتى لو كان المحتوى فالقرآن معجز في هذا وسورة الكوثر وهي من ثلاث آيات فقط فيها من البلاغة والإختيارات العجيبة في التعبير (كما في اللمسات البيانية في سورة الكوثر.

فالمسألة إذن ليست مسألة قال هذا أو ذاك ولكنها ترجمة لما قال موسى – عليه السلام – فهو لمّا دعا ربّه دعاه بكلمات عرفها الله تعالى لأن موسى كان في لسانه عجمة (و لا يكاد يُين) كما جاء على لسان فرعون والدليل قول موسى (هو أفصح مني لساناً) لما دعا ربه بأن يرسل معه هارون أخوه ولو قال هذا الدعاء شخص آخر لقاله بصيغة مختلفة، وهكذا صيغت العبارات في القرآن الكريم بكلام معجز وهي ترجمة دقيقة لما قاله موسى وإبراهيم – عليه السلام – وغيره من الأنبياء، حتى النقاش بين الرسل وقومهم كما حصل بين موسى وفرعون هي ترجمات دقيقة فنية لما حصل.

التوسّع في المعنى في القرآن الكريم

ما هو مفهوم التوسع في القرآن الكريم؟ التوسّع في المعنى هو أن يؤتى بتعبير يحتمل أكثر من معنى وتكون كل هذه المعاني مُرادة وهناك مواطن للتوسع في القرآن الكريم كما سبق شرحه في سورة البلد في معنى كلمة (حِلّ) وقلنا ألها تعني مستحل وحلال ومقيم أو حال وهذه المعاني كلها مرادة في الآية. وكذلك في قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) وقلنا أنّ (لا) محتمل أن تكون داخلة على المستقبل أو يراد بها الدعاء أو حرف الإستفهام محذوف أو غيرها.

و للتوسع في القرآن الكريم أسباب ومواطن. مواطن التوسّع:

* الألفاظ للشتركة: يوجد في القرآن الكريم ألفاظ تشترك في المعنى مثل كلمة (جائر) على سبيل المثال هل هي اسم فاعل من (جأر أو جار)؟ وكذلك كلمة (سائل) هل هي من سأل أو سال؟ هناك كلمات إذن تحتمل أكثر من معنى كما في كلمة العين يذكر لها أكثر من معنى فهي تحتمل أن تكون الجاسوسة أو عين الماء أو أداة الإبصار. وكذلك تكثر في الحروف مثلاً (ما) هل هي استفهامية أو تعجبية أم ماذا؟ هل هي نافية؟ يمكن أن تقع في تعبيرات تحتمل عدة معانى في آن واحد فإذا أريدت كل هذه المعانى يدخل في باب التوسّع.

نقول مثلاً: ما أغفلك عنّا؟ (ما) تحتمل أن تكون استفهامية أو تعجبية فإذا أردنا المعنيين صار توسّعاً. كذلك (إنّ) تكون نافية أو مشبّهة بليس أو ليست مشبّهة بليس كما في قوله تعالى (إن هو إلا رحمة للعالمين) وقوله تعالى (إن أنا إلا نذير) وقوله تعالى (وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون) وقد تكون (إنّ) شرطية كما في قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) وقد تكون (إنّ) مخففة من الثقيلة.

وإذا قلنا: هو لا يكذب وإن أُكره على ذلك. قد نفهم أنها شرطية بمعنى لا يكذب حتى لو أُكره، وقد تكون نافية أي لا يكذب ولم يُكره على ذلك فلماذا يكذب؟ هذا هو التوسّع في المعنى بصورة مبسّطة.

وإذا أرنا التوسع في المعنى لا ضرورة عندها لوجود قرينة لأن القرينة هي التي تساعد على تحيد معنى واحد من المعاني المنافي المعاني المنافي المعاني المنافي المنافي

ونأخذ أمثلة من القرآن الكريم:

قال تعالى في سورة القمر (إِنَّ الْمُتَقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ {٤٥}} كلمة (نَهَر) لها دلالات مختلفة منها السَعة في الرزق والمعيشة وفي كل ما تقتضيه السعادة سعة فيه. ومن دلالاتها أيضاً الضياء لأتمم يقولون أن الجنة ليس فيها ليل ومن معاني النَهَر في اللغة أيضاً مجرى الماء. الآية في سورة القمر تحتمل كل هذه المعاني وهي كلها مرادة. ومن الملاحظ في القرآن كلّه أنه حيثما جمع الجنّات جمع الأنهار إلا في هذه الآية، فقد ورد في القرآن قوله تعالى (جنات تجري من تحتها الأنهار) وجود كلمة تجري هنا تدل على أن المعنى المطلوب هو مجرى الماء. وفي آية أخرى قال تعالى (فيها أنهار من ماء غير آسن) وجود (غير آسن) في الآية تفيد جريان الماء لأن الماء لا يأسن إلا إذا في حالة الركود وغير آسن قرينة الجريان. أما في آية سورة القمر جاءت كلمة (نهر) بدون قرينة (في جنات ونهر) وهي وردت في المتقين وهم المؤمنون وزيادة لذا جاء بالنهر وزيادة كما قال الهسرون. والمعنى المراد في الآية أن المتقين في جنات ونهر بمعنى في المؤمنون وزيادة لذا جاء بالنهر وزيادة السعة فيه وهذا من التوسّع في المعنى ولم يؤتى بأي قرينة تدل على معنى واحد والمزق والمنازل وما تقتضيه السعادة السعة فيه وهذا من التوسّع في المعنى ولم يؤتى بأي قرينة تدل على معنى واحد فلم يذكر تجري أو غير آسن أو أي قرينة أخرى تحدد معنى واحد للنَهر وإنماكل المعاني مُرادة.

في سورة يوسف قال تعالى على لسان إخوة يوسف مخاطبين أباهم يعقوب رَقَالُواْ تَاللهُ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ {٨٥}). استخدمت كلمة (تفتأ) هنا بمعنى لا يزال وهي من أخوات كان (ما انفك، ما برح، ما زال، ما فتيء) ما زال تدل على الإستمرار والدوام (نقول ما زال المطر نازلاً) لكن يبقى السؤال لماذا اختار تعالى كلمة (تفت) ٩ دون غيرها من أخواتها التي قد تعطي نفس المعنى من الإستمرار والدوام؟ ونستعرض معنى كلمة فتيء في اللغة: من معانيها (سكّن) بمعنى مستمر لأنه عندما لا يسكن فهو مستمر، ومعاها أطفأ النار (يقال فتيء النار) ومن معانيها أيضاً نسي (فتئت الأمر أي نسيته). إذن كلمة (فتأ) لها ثلاثة معاني سكّن وأطفأ النار ونسي. وفاقد العزيز سكن بمجرد مرور الزمن فمن مات له ميت يسكن بعد فترة لكن الله تعالى أراد أن يعقوب لا ينسى و لا يكفّ بدليل قوله تعالى (وَايُيضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزُنِ فَهُو كَظِيمٌ ﴿٨٤})، وفاقد العزيز كأنما هناك ناراً تحرق جنبيه ويقال (حرق قلبي) والنار التي بين جنبي يعقوب – عليه السلام – لم تنطفئ مع مرور الأيام ولم تزل النار ملتهبة مستعرة في قلب يعقوب – عليه السلام –، وهو لم ينسى وفاقد العزيز ينسى بعد فترة ولذا يدعو له المعزّون بالصبر والسلوان. إذن تفتأ جمعت كل هذه المعاني المرادة هنا في الآية و لا يؤدي أي لفظ آخر هذه المعاني مجتمعة غير بالصبر والسلوان. إذن تفتأ جمعت كل هذه المحلمة إلا في هذا الموضع في سورة يوسف واستعمل (يزال و لا يوال) كثيراً في آيات عديدة (و لا تزال تطّلع على خائنة منهم). ومن الغريب أن القياس أن يُقال (لا تفتأ) لأن استعمالها نفي أو شبه نفي. إذا لم تأتي بسـ (لا) فهو نفي قطعاً كقول الشاعر (فلا والله أشربها حياتي) بمعنى لا أشربها قطعاً. نفي أو شبه نفي. إذا لم تأتي بـ (لا) فهو نفي قطعاً كقول الشاعر (فلا والله أشربها حياتي) بمعنى لا أشربها قطعاً.

القسم إلا في هذا الموطن في القرآن الكريم. فقد ورد قوله تعالى (فلا وربّك لا يؤمنون) لم تحذف الــ(لا) هنا ونسأل عن السبب؟ لماذا حذف الــ(لا) في الآية؟ لأن هذا القول قاله إخوة يوسف لكن هل هم أقسموا على أمر يعلمونه حق العلم ؟ كلا هم أقسموا على أمر يتصورونه فالأمر إذن ليس مؤكداً ولم يحصل أصلاً فالذكر آكد من الحذف ولذا لم تذكر (لا) في جواب القسم ولقد جاء في الآية ما يفهم المعنى بدون الحاجة لذكر (لا) ولأن الذكر آكد من الحذف ولأن الأمر ليس مؤكداً عند إخوة يوسف.

مثال آخر قوله تعالى في سورة التين (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ {٨}) ما المقصود بأحكم الحاكمين؟ تحتمل أن تكون من الحُكم أو من القضاء. وقد ورد في القرآن الكريم (ان احكم بينهم بما أنزل الله) تعني القضاء، وقوله تعالى (يقص ّ الحق ّ وهو خير الفاصلين) بمعنى الحُكم. فهي تحتمل أن تكون من القضاء أو من الحكمة وهي تحتمل أن تكون أقضى القضاة وتحتمل أن تكون أقضى الحكماء، وأحكم القضاة وأحكم الحكماء، فهي إذن جمعت أربع معاني في كل كلمة احتمالين في الحكمة والقضاء. وهذا كله محتمل وجائز وليس هناك قرينة تحدد معنى واحداً من هذه المعاني دون غيره إذن المراد كل هذه المعاني وهذا توسّع في المعنى في باب الألفاظ المشتركة.

* التوسّع في المعنى في الصيغ المشتركة:

في العربية أحياناً الصيغة الواحدة يجتمع بها أكثر من معنى مثل صيغة فعيل على سيبل المثال فهي قد تكون للمبالغة مثل (سميع) أو صفة مشبهة مثل (طويل أو قصير) أو اسم مفعول مثل (قتيل أو أسير) إذن هذه الصيغة تحتمل عدة معاني. ومعروف في اللغة أن اسم المفعول من غير الثلاثي يشترك فيه المصدر واسم المكان واسم الزمان واسم المفعول وأحياناً يشترك فيه اسم الفاعل. مثال كلمة مختار، هل هي اسم اعل؟ لا نعلم ما هي فقد تحتمل أن تكون مصدر بمعنى اختيار أو مكان الإختيار أو زمانه أو اسم فاعل أو اسم مفعول. فإذا قلنا (هذا مختارنا) يحتمل أن يكون هو الذي اخترناه أو اختيارنا أو زمان اختيارنا أو مكان اختيارنا. فالصيغة إذن تكون أحياناً مشتركة فإذا أردنا معاني الصيغ يكون توسع في المعنى وليس هناك قرينة.

مثال من القرآن الكريم في سورة القيامة قوله تعالى (إلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذِ الْمُسْتَقَرُّ (١٢)). ما المقصود بللستقر؟ هل هو بمعنى إلى ربك الإستقرار أو إلى مشيئته الإستقرار أي لا يستقرون إلى غيره أو هو موضع الإستقرار وهو الجنة أو النار فالله وحده هو الذي يحكم بين العباد، أو هو زمان الإستقرار بمعنى يبقون ما يشاء الله في المحشر ثم يأمر الله تعالى بالقضاء بينهم؟ والمقصود من هذه الآية كل المعاني المحتملة فالإستقرار إليه ومكان وزمان الإستقرار إليه فإليه المستقر إذن هي جمعت ثلاثة معاني : المصدر واسم المكان واسم الزمان وهي كلها مرادة مطلوبة وليس هناك قرينة تصرف إلى أحد هذه المعاني فأصبحت إذن من باب التوسّع في المعنى.

مثال آخر: ما المقصود بكلمة (حكيم) في قوله تعالى في سورة يس (يس والقرآن الحكيم) وقوله تعالى (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم)؟ يحتمل أن تكون بمعني محكم (اسم مفعول) كما في قوله تعالى (كتاب أحكمت آياته) (ومنه آيات محكمات) فهو محكم ، وقد يكون مبالغة في الحكم لأنه حاكم على غيره ومهيمن على غيره من الكتب والأحكام (مصدقاً لل بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) أو هو صفة مشبّهة من الحكمة فهو ينطق بالحكم ويأتي بها. كل هذه المعايي مُرادة ولم يأتي بقرينة تصرف إلى معنى من هذه المعايي وهذا ما يُسمى التوسع في المعنى. مثال آخر قوله تعالى (إن إبراهيم كان أمّة). ما المقصود بكلمة (أمّة)؟ في اللغة لها احتمالان والمشهور هو ألها الجيل من الناس ولها عنى آخر فهي على وزن فعلة من أمّ يؤمّ. والفُعلة هكذا هي اسم مفعول له أوزان كثيرة نقول هو سُبّة إذا كان يُسبّ كثيراً أو صُرعة إذا كان يُصرع كثيراً ولُعنة الذي يُلعن كثيراً وصُحكة هو الذي يضحك منه الناس ويُهزأ به. وكذلك لدينا فَعَلَة وهي صيغة مبالغة مثل حُطمة وهي السم فاعل فنقول هو صُرَعة أي الذي يَصح كثيراً ، وهُمَزة الذي يسخر من الناس وضُحكة هو الذي يضحك من الناس، فما المقصود بأمة في هذه الآية؟ والمقصود أن إبراهيم حاليه السلام – كان عنده من الخير ما عند أمّة أو جيل من الناس وهو أيضاً إمامهم وأمّة من معانيها إمام ومأموم وقد قال تعالى في آية أخرى (إني جاعلك للناس إماما) إذن أمّة في هذه الآية فيها احتمالين أن عنده من الخير ما عند جيل من الناس وهو يؤمّ الناس وإمام لهم ولو قال إمام لنصّ على معنى واحد دون الآخر لكن اختيار كلمة (أمّة) تدل أن المقصود والمُراد هو المعنين لهذه الكلمة فصار هذا اتساعاً في المعنى.

مثال آخر قوله تعالى في سورة البقرة (ولا يُضارّ كاتب ولا شهيد) ونسأل كلمة (ضارّ) هل هي مبني للفاعل او المفعول؟ نقول هي تحتمل الإثنين ولو أراد التصيص لفك الإدغام كما في قوله تعالى (ومن يشاقق الله ورسوله) وقوله (ومن يرتدد منكم عن دينه) بمعنى أنه لو أراد إسم الفاعل لقال (يُضارِر) ولو أراد إسم المفعول لقال (يُضارَر). والله تعالى أراد الإثنين معاً ومعنى الآية أنه لهى الكاتب والشهيد أن يضرّا غير هما إما بكتم الشهادة أو الإمتناع عن الحضور لها أو تحريفها وأراد المعنى الآخر وهو لهى أن يقع الضرر على الكاتب والشهيد ممن يضغطون عليهم لتغيير الشهادة أو تبديلها أو الإمتناع عنها. إذن المطلوب منع الضرر من الكاتب والشهيد ومنعه عنهما أيضاً في نفس الآية وبدل أن يقول و لا يُضارَر و لا يُضارِر كاتب و لا شهيد جاء بالصيغة التي تحتمل المعنيين وهي كلمة (يُضارّ).

ومثل المثل السابق قوله تعالى روالْوالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِولَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِولَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدَتُمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {٢٣٣}}). هل هي مبنية للفاعل أو المفعول؟ من المحتمل أن تضر الزوجة زوجها بزلدها ومن المحتمل أن يضر الزوج زوجته بولده فأراد تعالى المعنيين لكيلا يقع الضرر من أحدهما على الآخر فجاء بصيغة تدل على المعنيين وهذا من باب التوسع في المعنى. ولقد تفرّد القرآن الكريم باختيار التعبير الأعلى في المعنى المُراد وفي المكان الذي يقتضيه هذا المعنى ومن هنا إعجازه الذي تحدّى به العرب أهل اللغة والفصاحة فعجزوا عن الإتيان ولو بسورة واحدة من مثله.

* التوسّع في المعنى في الجمع بين الألفاظ والصيغ المشتركة ذات الدلالات المختلفة:

من مواطن التوسّع في القرآن الكريم الجمع بين الألفاظ والصيغ ذات الدلالات المختلفة. ونأخذ مثال من غير القرآن أولاً لو قلنا أعطيته عطاءً حسناً. فعل أعطى مصدره الإعطاء وليس العطاء كصيغة أفعل افعال مثل أكرم إكرام لو قلنا أعطيته إعطاءً لكان واضحاً لأن مصدر الفعل أعطى إعطاء أما العطاء فهو اسم المصدر بمعنى الإعطاء أو المال والعطاء يحتمل معنيين إعطاء حسن ومال حسن أما قولنا أعطيته إعطاء لدل المعنى على المصدر فقط أي الإعطاء الحسن فقط.

وناخذ مثالاً من القرآن قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) الفعل أقرض مصدره إقراضاً والفعل الثلاثي قرض مصدره قرضاً. فجاء بالفعل الرباعي (يقرض) ولم يأت بمصدره إنما جاء بمصدر الفعل الثلاثي (قرضاً). ولو رجعنا إلى معنى القرض في اللغة فهو يعني المال والإقراض إذن القرض في الآية تحتمل المعنين، فلو كان القصد الإقراض لكان إعرابجا مفعول به. والمعنى المراد من الآية الكريمة (من ذا الذي يقرض الله إقراضاً حسناً أي خالص النية الله محتسباً الأجر من الله، ومالاً حسناً أي طيباً حلالاً) فهناك إذن إقراض حسن ومال حسن ولما قال تعالى قرضاً حسناً جمع بين الأمرين معاً إقراضاً حسناً ومالاً حلالاً طيباً. مثال آخر في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة النساء (يريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدا)، وقد جاء بالفعل من بناء الإضلال والضلال مصدره وإنما جاء بمصدر الفعل الثلاثي (ضل) نسأل لماذا؟ لأن الشيطان يريد أن يبدأ موحلة أن يضل الإنسان ولكن لا يريد أن يتابع وإنما يريد الإنسان أن يتم ويكمل المرحلة فيبتدع من وسائل الضلال ما لا يعلمه المنسطان. لو جاء في الآية إضلال لكان هذا كله من الشيطان وحده ولا يتابع فالشيطان يضع الإنسان على طريق الضلال ويذهب إلى مكان آخر أما إذا جاء بكلمة ضلال فهي تعني أن الشيطان فهو يبدأه ويكمله الإنسان فأراد المسجانه المعيين أن الشيطان يبدأ بالضلال والإنسان يُكمل ما بدأه الشيطان ويتدع من طرق الضلال ما يبتدع. المناد معنى الإضلال هو من الشيطان وحده أما الضلال فالشيطان يبدأ والإنسان يُكمل ما بدأه الشيطان يبتاء عمن طرق الضيال ما يبتدع. مشتركين في عملية الضلال.

ومثال آخر في قوله تعالى (وتبتّل إليه تبتيلا) القياس أن يقال تبتّل تبتّلاً أنما في الآية جاء بالفعل ولم يأت بمصدره وإنما جاء بمصدر فعل آخر ليجمع بين أمرين. (صيغة تفعّل تفيد التدرج مثل تجرّع الماء أي جرعة جرعة وتحسّر فيها التدرج والتكلف) ومثلها تجسّس وتحسّس وكسر وكسّر أي جعله كسرة كسرة وقطع وقطّع تفيد التكثير لأن صيغة فعّل تفيد التكثير. فهو الآن في قوله تعالى (وتبتّل إليه تبتيلا) جمع بين المعنيين التدرج والتكلف والمبالغة والتكثير ووضعهما وضعاً تربوياً عجيباً يبدأ بالتدرج ثم ينتهي بالتكثير فالتبتّل هو الإنقطاع إلى الله في العبادة وقد علّمنا تعالى أن نبدأ بالتدرج في العبادة شيئاً فشيئاً ثم ندخل في التكثير ولا ندخل في العبادة الكثيرة مباشرة لأن

التدرج في العبادة يؤدي إلى الكثرة فيها فيما بعد وهذه هي الطريقة التربوية للعبادة تبدأ بالتدرج وتحمل نفسك على العبادة شيئاً فشيئاً ثم تنتهي بالتكثير والكثرة في العبادة. والتدرج والتكلف جاء بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد (تبتّل)ثم جاء بالصيغة الإسمية الدالة على الثبوت (تبتيلا) فبدل أن يقول تبتّل إليه تبتّلاً وبتّل نفسك إليه تبتيلا وهذه صياغة فنية تربوية عجيبة وقد جمع في الآية عدة أمور بيانية في التعبير. والعرب قديماً كانوا يفهمون هذه البلاغة بالفطرة لكنهم عجزوا عن الإتيان بالصيغة التي جاء بها القرآن الكريم وهذا هو التحدي والإعجاز في القرآن.

مثال آخر قوله تعالى (مالك الملك) هو مالك من التملّك ومن الملك (الملكية) والمُلك من الحكم. مع فرعون قال تعالى (أليس لي ملك مصر) بمعنى له الحكم وليس له المِلك. أما لله تعالى مالك الملك تعني أن الملك ملكه وهو يملكه ملكاً كما يملك المالك، فالمُلك هو مملك الله تعالى يتصرف به تصرّف المالك لأنه ملكه وحده سبحانه فإذن جمع تعالى بين الملكية وبين الحكم. والمالك يتصرف في ملكه ما لا يتصرف فيه الملك لأن الملك له تصرف عام آخر أما المالك فله تصرف خاص. وقوله تعالى (مالك الملك) جمع الأمرين الملكية والتحكم كما نقرأ في سورة الفاتحة (ملك يوم الدين) في قراءة أخرى.

(وأنبتها نباتاً حسناً) في الثناء على مريم قال تعالى وأنبتها نباتاً حسناً ولم يقل إنباتاً حسناً لأنه تعالى أراد أن يُثني عليها وعلى معدلها الكريم. يقال أنبت إنباتاً ومريم عليها السلام أنبتها تعالى فنبتت نباتاً حسناً فطاوعت وقبلت أي أن لها فضل في هذا ولو قال تعالى إنباتاً لكان كله عملية لله وحده وليس لمريم أي فضل بمعنى أنه تعالى أنبتها كما يشاء هو لكن الله تعالى أراد أن يثني على مريم ويجعل لها فضلاً في هذا الإنبات فقال تعالى (وأنبتها نباتاً حسناً) أي أنه تعالى أنبتها فنبتت نباتاً حسناً وطاوعت أمر ربها وقبلت وكان من معدلها ما جعلها تنبت نباتاً حسناً. وقد أراد تعالى أن يجمع بين الأمرين أنه تعالى أنبتها كما يشاء وأراد من باب الثناء أن يجعل لها فضلاً في هذا من طيب معللها وطواعيتها فقال (وأنبتها نباتاً حسناً).

* من مواطن التوسع في المعنى: العدول من تعبير إلى تعبير:

هذا في القرآن الكريم كثير وهو ترك تعبير إلى تعبير آخر ويحتمل أكثر من وجه إعرابي وأكثر من معنى. كما في قوله تعالى (ولا تشركوا به شيئا) فما المقصود بـــ(شيئا)؟ هل هو شيء من الأشياء ثما يُشرك الناس به من أوثان وغيرها وعنده يُعرب مفعول به أو لا تشركوا به شيئاً من الشرك لأن الشرك أنواع الشرك الأصغر والشرك الأكبر وتعرب حينها مفعول مطلق، فما المقصود؟ كلمة (شيئا) تحتمل المعنيين أي لا تشركوا بالله شيئاً من الأشياء ولا شيئاً من الأشياء أو شيئاً من الشرك لأن هناك من أنواع الشرك ما هو أخفى من دبيب النمل. والمفعول المطلق المصدر ينوب عنه أشياء كثيرة فقد تنوب عنه صفته والضمير والمصدر. (شيئاً) أحياناً الإسم العادي المادي نفسه مثال لما نقول طعنه سكيناً عند النحاة هو مفعول مطلق بمعنى طعنه بسكين فالمفعول المطلق (سكينا) ينوب عن المصدر وهو الآلة.

وكذلك قوله تعالى (ولا تظلمون فتيلا) الفتيل هو الخيط في شق النواة فهل المقصود شيئاً ماديا (مفعول به) أو شيئاً من الظلم وإن كان فتيلا؟ إذا أردنا المصدر تعرب مفعول مطلق بمعنى (ولا تظلمون شيئاً من الظلم وإن كان قليلاً) وهنا أراد تعالى الأمرين والمعنيين معاً بمعنى أنه لا يظلمنا لا قليلاً من الأشياء ولا شيئاً من الظلم وإن كان قليلا. ولو أراد تعالى التحديد والتخصيص بمعنى واحد لفعل كما في قوله تعالى (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) هنا حدد معنى

و احداً أما عندما يريد أكثر من معنى ويريد التعميم يأتي بصيغة تحتمل عدة معاني وهذا ما يُسمى التوسع في المعنى في القرآن الكريم.

مثال آخر قوله تعالى (فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيرا): ما المقصود ضحكاً قليلاً أو وقتاً قليلاً؟ أو بكاء كثيراً أو وقتاً كثيراً؟ الآية تحتمل كل هذه المعاني أراد تعالى معنى المصدر والظرف في آن معاً هو أراد فليضحكوا ضحكاً قليلاً وقتاً قليلاً وليبكوا بكاء كثيراً وقتاً كثيراً ولو أراد معنى واحداً لحدد الظرف أو المصدر لكنه جمع بين الظرف والمصدرية في الآية الواحدة. والإعراب يختلف هنا لو أراد ضحكاً قليلاً تكون قليلاً مفعول مطلق ولو أراد وقتاً قليلاً لكانت ظرفاً وكذلك لو أراد بكاء كثيراً لكانت كثيراً مفعول مطلق ولو أراد وقتاً كثيراً لكانت ظرفاً إذن أراد تعالى أن يجمع بين الحدث القليل والزمن القليل (فليضحكوا قليلاً) والحدث الكثير والزمن الكثير (وليبكوا كثيراً). ونلاحظ أنه في التقييد حكمة و في التكثير حكمة أيضاً.

ومثال آخر قوله تعالى (بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا) هل المقصود قليل من الفقه أو قليل من المسائل والأمور. الآية تحتمل المعنيين قليل من الفقه وقليل من المسائل ومثل هذه الآية قوله تعالى (وبصدّهم عن سبيل الله كثيرا) هل المقصود كثير من الصدّ أو كثير من الخلق أو كثير من الوقت؟ الآية تحتمل كل هذه المعاني والسياق هو الذي يحدد كيف نتناول هذه الآيات وهو الذي يحدد المراد من الآية.

ومثال آخر قوله تعالى (وادعوه خوفاً وطمعا) يحتمل أن يكون مفعول لأجله أو حال بمعنى خائفين طامعين ويمكن أن يكون مفعول مطلق لفعل محلوف تقديره ندعوه خائفين وندعوه ونحن نخاف خوفاً وندعوه من أجل الطمع أي ينبغي أن يكون الطمع دافع لنا، وفي حالة طمع (حال) ونحن نظمع طمعاً (مفعول مطلق) للطمع وطامعين وحال طمع فجمعها سبحانه في الآية (وادعوه خوفاً وطمعا) والتعابير كلها مرادة.

وقوله تعالى (إليه يصعد الكلِم الطيب والعمل الصالح يرفعه): ما المقصود؟ تحتمل خياران الأول: العملَ الصالح والثاني العملُ الصالح. فلماذا اختار العملُ الصالح يرفعه؟ ولم يقل العملَ الصالح؟ نفهم الآية أولاً قوله تعالى (والعملُ الصالح يرفعه) جملة إسمية من الذي يرفع؟ هو مرفوع يرفعه الله تعالى؟ هل هو يرفع الكلم الطيب إلى الله تعالى؟ يحتمل المعنيين في هذا التعبير ويكون لدينا معنيين مقبولين: العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب عند الله صاعداً إليه والله تعالى هو الذي يرفعه) لا يمكن إلا أن يكون لها معنى واحداً هو أن الله تعالى يرفع العمل الصالح) ولتحدد المعنى وهذا هو العلول من النصب إلى الرفع وهو عدول بياني لكسب معنيين وليس مصادفة أو اعتباطاً.

* من مواطن التوسع في المعنى أيضاً الحذف:

الحذف يؤدي إلى إطلاق معنى المعنى و توسعه وهو قسمان: قسم لا يؤدي إلى توسع في المعنى و لا إلى إطلاق لأن المحذوف يتعين فينقد رذلك المحذوف (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) المحذوف أنزل وكذلك قوله تعالى (والحافظين فروجهم والحافظات) المحذوف كلمة فروجهن، وقوله تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) وقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) هذا الحذف هنا ليس فيه توسع و لا إطلاق في المعنى لأن المحذوف محدد ومعين.

وهناك قسم آخر من الحذف يؤدي إلى التوسع في المعنى وهذا يحتمل عدة تقديرات ٢ أو ٣ أو ٤ أو ٥ تقديرات قد يكون بعضها مراد وقد تكون كلها مرادة بقدر ما يحتمل السياق. وعلى سبيل المثال قوله تعالى (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًا فَهَلْ وَجَدَتُم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن الْجَنَّةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {٤٤} }) قال تعالى على لسان أصحاب الجنة (ما وعدنا ربنا) بالتخصيص لهم ولم يقل (ما وعدكم ربكم) مع أصحاب النار وذلك لأن الكافرين لا ينكرون فقط ما وعدهم رجم لكنهم ينكرون ما وعدهم وما وعد غيرهم وكل ما يتعلق بالبعث والحساب والقيامة فهم ينكرون ما يتعلق بهم وبغيرهم فالسؤال لم يكن عن ما وعدهم رجم فقط ولكن السؤال عن الوعد بصورته العامة لذا قال تعالى (ما وعد ربكم) ولو قال ما وعدكم لكان جزءاً من المعنى المراد وليس كله فأهل قريش كانوا يؤمنون بالله لكنهم ينكرون الساعة والبعث. إذن الحذف هنا أدى إلى توسع في المعنى لأنه شمل ما وعدهم ووعد غيرهم والوعد العام بالحساب والبعث.

مثال آخر قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) (ما) تحتمل أمرين تحتمل أن تكون مصدرية بمعنى فاصدع بأمرنا وتحتمل أن تكون اسم موصول فلو قال تعالى (فاصدع بما تؤمر به) لكان اسماً موصولاً قطعاً. فما المقصود؟ تحتمل أن تكون فاصدع بالذي تؤمر به والأمران مرادان في الآية أن يصدع بأمره ويصدع بما أمره به ولو ذكر أحد الأمرين لتحدد المعنى بشيء واحد أو بقسم من المعنى، وهذا الحذف هنا يدل على التوسع في المعنى.

ونظير ذلك قوله تعالى (أنسجد لما تأمرنا) تحتمل معنى أنسجد لما تأمرنا به وأنسجد لكل ما تأمرنا به ولأمرك ، فالحذف هنا أطلق المعنى ووسّعه. ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة الضحى (ألم يجدك يتيماً فآوى) احتملت المعاني آواك وآوى بك خلقاً كثيراً وآوى لك ولأجلك من آوى.

مثال آخر من الحذف وقد يكون الحذف للتوسع في المعنى يعطي أكثر من احتمالين كما في قوله تعالى (ألم في خذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق) هذه الآية غريبة في التوسع فيها لأن احتمالات الحذف فيه متعددة، محتمل أن يكون المحذوف حرف الباء (بأن يقولوا على الله) بمعنى ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب بهذا الأمر وهذا حذف قياسي. ومحتمل أن يكون المحذوف حرف على (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب في أن يقولوا على الله) ومحتمل أن يكون المحذوف حرف على (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب على أن لا يقولوا على الله) وهذا من باب التوافق والمتعاهد سيكون أشد تو افقنا وتعاهدنا على هذا فاصبح اشتراطاً عليه، ومحتمل أن يكون المحذوف حرف المعنى منها لذكر أي حرف وحدد المعنى. والتوسع في هذه الآية ليس بحذف حرف الجر فقط ولكن هناك توسع آخر معنى منها لذكر أي حرف وحدد المعنى. والتوسع في هذه الآية ليس بحذف حرف الجر فقط ولكن هناك توسع آخر سألنا ما هو ميثاق الكتاب؟ الجواب: (أن لا يقولوا على الله إلا الحق)وهذه الجملة قد تكون عطف بيان أو بدل وهناك احتمالان آخران (أن) يحتمل أن تكون مصدرية أو تفسيرية وكذلك هناك إحتمالان ل (لا) تحتمل أن تكون نافية، فهذه واحتمال عدم الحذف (عطف بيان أو بدل) واحتمال أن رتفسيرية أو مصدرية) واحتمال لا ناهية أو نافية، فهذه المحتمالات لمعانية المها عدم الحذف (عطف بيان أو بدل) واحتمال أن رتفسيرية أو مصدرية) واحتمال لا ناهية أو نافية، فهذه المحتمالات لمعاني

في آن واحد وهذا توسع عجيب في هذه الآية الكريمة وقد تكون كل هذه المعاني مُرادة ولو أراد معنى محدداً لجاء بما يدل عليه.

مثال آخر قوله تعالى (قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم) هل المقصود (بأن أكون أول من أسلم) بحذف الباء أو (لأن أكون أول من أسلم) بحذف اللام تخصيصاً ولأن أكون أول من أسلم) بحذف اللام تخصيصاً ونصاً لقالها لكنه تعالى أراد المعنيين وهما مرادان والحذف في هذه الآية يدل على المعنيين معاً.

وكذلك قوله تعالى (ويَسْتَقْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّهِي لاَ تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغُبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً {٢٧٧ }). نذكر أن القاعدة في كتب النحو أنه إذا أدى الحذف إلى التباس في المعنى فإما أن يقال في المعنى فلا يصح الحذف، لا يجوز الحذف مع فعل رغب أبداً لأن الحذف يؤدي إلى التباس في المعنى فإما أن يقال رغب فيه بمعنى أحبّه أو يرغب عنه بمعنى تركه وانصرف عنه هذا في اللغة أما في هذا الآية فالله تعالى أراد المعنين معا أراد معنى ترغبون في أن تنكحوهن لجماهن وغناهن وترغبون عن أن تنكحوهن لدمامتهن وفقرهن وهكذا حذف الحرف ليدل على المعنين ولو ذكر حرفاً لخصص المعنى وحدده، لكن المعنين مرادين والحكم يتعلق بالأمرين معا الذي يرغب في أن ينكحهن والذي يرغب عن أن ينكحهن.

* التضمين هو نوع آخر من مواطن التوسع في المعنى في القرآن الكريم:

التضمين في النحو هو إشراب لفظ معنى لفظ آخر فيأخذ حكمه. أو كلمة تؤدي مؤدّى كلمتين مثال: فعل يتعدّى بحرف وفعل يتعدّى بآخر والتضمين هو تعدية الفعل بحرف الفعل الثاني. مثال على ذلك قوله تعالى فعل سمع يتعدّى بنفسه في الأصل فنقول سمع الصوت وقوله تعالى (يومئذ يسمعون الصيحة بالحق)، لكننا في الصلاة وبعد الرفع من المركوع نقول: سمع الله لمن حمد فعل سمع هنا عُدّي باللام لأن المقصود هو فعل استجاب فكأنما أخذنا اللام من فعل الإستجابة وعدّينا فعل سمع بهذه اللام لتعطي معنى الإستجابة وليس الإستماع فليس كل سماع إستجابة. الإستجابة ومثل ذلك استخدام فعل نصر مع الحرف من كما في قوله تعالى (ونصرناه من القوم) في الأصل يقال (نصر على) لأن فعل نصر يتعدّى بـ (من)، وقد استخدم القرآن هاتين الحالتين في مواطن كثيرة وفي آيات كثيرة (فانصرنا على القوم الكافرين) وقوله تعالى (فأنجاه الله من النار). لكن في هذه الآية قال تعالى (ونصرناه من القوم) عدّى الفعل نصر بما يتعدّى به فعل نجّى أي بحرف (من) وذلك للدلالة على أن المعنى المطلوب هو معنى النصر والنجاة في آن معاً لأن الله تعالى نصره ونجّاه وعاقب القوم وحاسبهم وعذبهم فجاء فعل نصر بمعنى نجى فكسب معنى النصر والنجاة أما في حالة (فأنجاه الله من النار) جاء الفعل نجّى متعد بـ (من) لأن المعنى هو النجاة فقط و لا يمكن أن تعاقب النار و لا يُنتصر منها. إذن لقد عدّى فعل نصر بالحرف الذي عدّى فيه فعل نجّى وهذا يسمى التضمين وهو من مواطن التوسع في المعنى في القرآن الكريم.

مثال آخر قوله تعالى (عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً {٦}) الأصل أن يقال يشرب منها. وهذه الآية فيها احتمالان: تحتمل أن يكون هناك تضمين بمعنى يرتوي بها (يشرب بمعنى يروى أو يشرب إلى أن يروى) وهذا هو الإحتمال الشائع عند المفسرين وقالوا هذا جزاء المقرّين. لأنه لو أراد غير هذا المعنى لحدده كما قال في آية أخرى (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسِ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {٥}). في هذه الآية عدّى فعل يشرب بالباء ليحتمل معنى يرتوي وهناك إحتمال آخر أُهُم نازلون بها كما يقال نزلنا في المكان وشربنا به فتصير إذن ظرفية. إذن تحتمل التعدية يرتوي وهناك إحتمال آخر أُهُم نازلون بها كما يقال نزلنا في المكان وشربنا به فتصير إذن ظرفية.

بالباء لفعل يشربون أن تكون بمعنى الشرب حتى الإرتواء ومعنى التمتع بلذّة النظر إلى العين والإستقرار عندها وهذه متعة أخرى.

كذلك قوله تعالى في سورة المطففين (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون). في الأصل يقال اكتال من ولا يقال اكتال على. وقد عدّى فعل اكتال في هذه الآية بحرف على للدلالة على التسلط لأن هؤلاء المطففين لم يكتالوا من الناس بل تسلطوا عليهم بالإكتيال ولو كان الإكتيال طبيعياً لقال اكتالوا من الناس. (يقال كالوا الناس) كما في قوله تعالى (وإذا كالوهم أو وزنوهم) فعل كال وفعل وزن الأصل أن يتعدى بنفسه أو باللام وممكن الحذف يقال: كال له أو وزن له. فلماذا لم يقل كالوا هم؟ اللام هنا تفيد الإستحقاق في أصل معناها في اللغة ثم تتشعب إلى معاني متعددة أخرى لكن هؤلاء المطففين لم يعطوا الناس حقوقهم فكيف يقول (كالوا لهم) فحذف لام الإستحقاق فقال كالوهم لأتمم ظلموا الناس ولو يعطوهم حقوقهم وعدّى الفعل اكتال بالحرف على للدلالة على الظلم والتسلط.

وكذلك قوله تعالى (فليحذر الذين يخافون عن أمره) لا يقال في الأصل خالف عن الأمر وإنما يقال خالف الأمر. فعل خالف يتعدّى بنفسه. لكن يخالفون عن جاءت بمعنى الإبتعاد عن الأمر أو العلول عن الأمر ولو كان قليلاً. والمعنى من الآية أنه ينبغي على الإنسان أن يحذر من مجرد الإبتعاد ولو في أمر واحد أو قليل فكيف بللخالفة للأمر فهذا من باب أولى وهو أمر كبير عظيم هذا تحذير عظيم. فالله تعالى يحذرنا من الفتنة بمجرد الإبتعاد عن أمره ولو كان قليلاً فكيف المخالفة لأمره تعالى إذن صار المعنى يحتمل للخالفة والإبتعاد.

وكذلك قوله تعالى (من بعد أن أظفركم عليهم) يقال في الأصل ظفر به وليس ظفر على لكن تعدية الفعل أظفر بحرف على للدلالة على الإستعلاء. وكذلك قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) عدّى فعل تأكلوا بالحرف إلى ليدلّ على معنى لا تجمعوها وتضموها إلى أموالكم آكلين لها بمعنى الإستحواذ والجمع.

* الإخبار بالعام عن الخاصّ:

هذا موطن آخر من مواطن التوسع في المعنى في القرآن الكريم. مثال على ذلك من القرآن قوله تعالى في سورة الأعراف (وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ {١٧٩} }) القياس أن يقول إنا لا نضيع أجرهم لأن المبتدأ يحتاج إلى رابط قد يكون اسماً أو إشارة أو ضمير وقد يكون الخبر عاماً يدخل في ضمنه مبتدأ، لكنه قال أجر المصلحين وهذا للدلالة على أن هؤلاء المذكورين في الآية هم من المصلحين وأن الأجر لا يختص بهم وحدهم وإنما هو لكل مصلح فالأجر يشمل كل مصلح هؤلاء المذكورين في الآية وغيرهم من المصلحين فهذا أوسع وأعمّ. وكذلك قوله تعالى في سورة الكهف (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً غيرهم والله تعالى لا يضيع أجرهم جيعاً. وكذلك قوله تعالى في سورة البقرة (مَن كَانَ عَدُواً لللهِ عَدُواً عَنهُمْ فَإِن اللهَ عَلُواً اللهَ عَدُواً للهَ عَدُواً لللهَ عَدُواً لللهَ عَدُواً لللهَ عَدُواً المَافِرين لكن الكافرين لكن الكافرين لا يختصون بحؤلاء فقط وقوله تعالى الكافرين دلالة على أمرين أنه من كان عدواً لله فهو من الكافرين لكن الكافرين لا يختصون بحؤلاء فقط وقوله تعالى الكافرين دلالة على أن هؤلاء من الكافرين وهو يشملهم ويشمل غيرهم أيضاً. وكذلك قوله تعالى في سورة التوبة ريَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتُوضُواْ عَنهُمْ فَإِن اللّهَ لا يُرضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسقين سواء كانوا من هؤلاء أو من غيرهم وهذا من باب التوسع بالمعنى الذين هم من الفاسقين وليشمل جميع الفاسقين سواء كانوا من هؤلاء أو من غيرهم وهذا من باب التوسع بالمعنى وهو من إخبار بالعام عن الخاص.

وهذا الموطن له مواطن عديدة منها وليست موطناً واحداً:

العطف على مقدّر غير مذكور في الكلام أو العطف على المعنى: حرف العطف و المعطوف موجود لكن المعطوف عليه غير مذكور وهو في القرآن كثير مثال قوله تعالى في سورة البقرة (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِي خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَى يُحْيي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِنَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبثْتَ قَالَ لَبثْتَ قَالَ لَبثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ عُلُوشِهَا قَالَ أَنِي يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَمَاتَهُ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْعَ فَانظُرْ إِلَى طَعَلَمِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهُ وَأَنظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِيَجْعَلَكَ آيَةً لَلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العَظامِ كَيْفَ نُشِرْهَا ثُمَّ نَكُسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَلْمِي لَا إلا يَه فيها العظام كَيْفَ نُشِرْهَا ثُمَّ نَكُسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَلْمِي إلَّ اللّه فيها العظام أمر (انظر إلى طعلمك) و (انظر إلى هارك) و (انظر إلى العظام) أما قوله تعالى (ولنجعلك آية للناس) فهي الميت معطوفة على ما قبلها وإغا هي عِلّة واللام للتعليل. هي معطوفة لكن على ماذا؟ لو فتشنا في الآية كلها لا نجد المعطوف عليه وهذا إشارة إلى أن في هذا الموضع مطلوب هذا الأمر (لنجعلك آية للناس) لكن هناك على وأسباب أخرى غير مذكورة في هذه الآية وإنما اقضى المقام هنا في الآية فقط ذكر هذه العِلّة إذن قوله تعلى (ولنجعلك آية للناس) فالله تعالى لم يُحيي عُرير ليجعله آية للناس) بدون لام العلى الأخرى لم تذكر في الآية لدلالة الوسع في المعنى ولو أراد معنى واحداً لقال (ونجعلك آية للناس) بدون لام التعليل.

٢. وكذلك قوله تعالى الأنعام (وكذلك ثري إبْرَاهِيم مَلكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيكُونَ مِنَ الْمُوقِينَ {٧٥})
 فالآية تفيد أن الله تعالى يُري إبراهيم – عليه السلام – آيات أخرى إحداها أن يكون من الموقنين فالله تعالى يُعد إبراهيم – عليه السلام – لأمور أخرى منها ليكون من الموقنين فجاء بو او العطف و جاء بالعِلة (ليكون من الموقنين)
 في هذه الآية بحسب ما يقتضيه السياق.

٣. وكذلك قوله تعالى في سورة آل عمران (إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ { ١٤٠ }) فالمداولة بين الناس كثيرة و في هذه الآية ذكر جزءاً من عِلل المداولة وهي ليست الجانب الوحيد القصود ولذلك جاء قوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا). ويمكن أن يذكر عللاً متعددة لكنه ذكر عِلّة واحدة حسب ما يقتضيه سياق الآيات في السورة. ومثل هذا قوله تعالى في سورة الزخرف (وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جُنْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأَبِيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهُ وَأَطِيعُونِ {٦٣}).

٤. وكذلك قوله تعالى في سورة المؤمنون (فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلِ وَأَعْنَابِ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ {١٩}) وهو يختلف عن قوله تعالى في سورة الزخرف (لَكُمْ فِيهَا فَأَكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ {٧٣}) لأنه في الدنيا نزرع الفاكهة ليس للأكل فقط وإنما نصنع منها العصير ونجففها ونتداول بها ونتداوى بها وغيرها من الأمور والأغراض وإحداها هو الأكل أما في فاكهة الجنة فليس في الجنة تجارة والفاكهة لا تكون إلا للأكل فقط فلم يأتي بالواو مع كلمة تأكلون في فاكهة الجنة وجاء بالواو في فاكهة الدنيا.

^{*} العطف على مغاير في الإعراب:

العطف على مغاير في الإعراب هو موطن آخر من مواطن التوسع في القرآن الكريم مثل أن يضاف منصوب يعطف عليه مرفوع أو فعل منصوب يضاف إليه مجزوم ولكل منهم حكمه وهذا لغرض التوسع في المعنى. وفي القرآن الكريم أمثلة عديدة على هذا النوع من التوسع في المعنى منها قوله تعالى في سورة المنافقون (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقُناكُم مِن فَبْلُول رَبِّ لَوْلاً أَحُرْتُنِي إِلَى أَجَل قَرِيب فَاصَدَّق وَأَكُن مِّن الصَّالِحِينَ {١٩ } } مَن فَا الله مجزوم على منصوب (فأصدق) هذا يسمى في النحو عطف على المعنى والفاء في كلمة (فأصدق) تُسمى فاء السبية في النحو التي تقع بعد الطلب (لأن لو لا حرف تحضيض) فلو أسقطنا الفاء وأردنا الطلب نجزم على جواب الطلب (لولا أخرتني أصدق) كما في قوله تعالى : (وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا) أما لما نجيء بالفاء معنيين ولم يُرد السبب في المعطوف والمعطوف عليه وأراد تعالى أن يجمع بين السبب وبين الشرط. لو قال تعالى (فأصدق وأكون) لكان عطف سبب على سبب لكنه أراد أن يجمع المعنيين السبب والشرط أي الإشتراط على الفسورة وأكون) لكان عطف سبب على منصوب لإرادة معنين. لكن يقى السؤال لماذا أراد المعيين؟ لو نظرنا إلى الآية فقد جاء فيها أمرين الصدقة أن يكون من الصالحين وهما ليسا بدرجة واحدة فكون الإنسان من نظرنا إلى الآية فقد جاء فيها أمرين الصدقة أن يكون من الصالحين وهما ليسا بدرجة واحدة فكون الإنسان من الصالحين أكبر وأعظم من الصدقة وهو الأعي يدخل الجنة ولأفهما ليسا بدرجة واحدة فكون الإنسان من الصالحين أبعطف المجزوم على المنصوب فقال فأصدق ثم اشترط على نفسه أن يكون من الصالحين. ولماذا قدم الصدقة؟ بينهما؟ بعطف المجزوم على المنصوب فقال فأصدة وثم أنها المناب المنوب في المؤون وكر الله ومَن

يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {٩}) فقدّم الصدقة مراعاة لمقتضى السياق وجزم (أكن) مراعاة للأهمية. ومن ذلك قوله تعالى في سورة التوبة (وأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابِ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَتْكُمْ غَيْرُ مُعْجزِي اللّهِ وَبَشِّرِ اللّهِ يَعَلَى كَفَرُواْ بِعَذَابِ اللّهُ عَلَيْهُ وَرَسُولُهُ جَاءت على غير إرادة إِنَّ أي مرفوعة وليست منصوبة وهي ليست معطوفة على ما قبلها (اللهُ) فجاءت كلمة (ورسوله) مرفوعة لأن براءة الله تعالى وبراءة الله عليه وسلم – ليست كبراءة الله تعالى وإنما هي تابعة لها فبراءة الله تعالى أولاً فلم يجعل براءة الله تعالى وبراءة الرسول – صلى الله عليه وسلم – بمرتبة واحدة فجعل براءة الرسول أقل توكيداً من براءة الله تعالى ودونها وتبعاً لها.

وكذلك ما جاء في قوله تعالى في سورة المائدة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ وَالتَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٦٩}) برفع الصابئون لأنهم أبعد المذكورين عن الله وهم ليسوا من أهل الكتاب فجاءت مرفوعة على غير لإرادة إنّ وأقل توكيداً ويمكن الرجوع إلى صفحة لمسات بيانية في آي القرآن الكريم لقراءة ما جاء في هذه الآية مفصّلاً.

وكذلك قوله تعالى (لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَثِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّيْنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى خُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبيلِ وَالسَّآتِلِينَ وَفِي الْمُلَاثِكَةِ وَالْمُوفُونَ بِعَهْلِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبُأْسَاء والطَّرَّاء وَحِينَ الْبُأْسِ الرَّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاة وَآتَى الرَّكَاة وَالمُوفُونَ بِعَهْلِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبُأْسَاء والطَّرَّاء وَحِينَ الْبُأْسِ الرَّقَابِ وَأَقَامَ الصَّابِرِينَ وهذه كلها تخص أُولِئِكَ اللّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ {١٧٧ }) وهذا يسمى القطع بمعنى أخص الصابرين وهذه كلها تخص التوسع في المعنى في العطف على مغاير حتى يفهمنا تعالى أن هذا ليس بمنز لة الأولى وقد يكون أقل منه أو أعلى منه. * العطف على مغاير في المعنى:

موطن آخر من مواطن التوسع في المعنى هو العطف على مغاير في المعنى مثل قوله تعالى في سورة يونس (وَاثُلُ عَلَيْهِمْ

نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ

وَشُرَكَاء كُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ الْفُضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ {٧١}) لا يقال في اللغة أجمع للشركاء وإنما يستخدم فعل أجمع للأمور المعنوية المعنوية فالمقصود في الآية أجمعوا أمرهم وجمعوا شركاءهم لأن كما أسلفنا لا يكون فعل أجمع مع الشركاء أو الأمور المادية أما جمع فتأتي مع الأمرين. ومثل ذلك ما جاء في قوله تعالى (والذين تبوؤا الدار والإيمان) الإيمان لا يتبؤأ إنما يتبوأ الدار فهنا عطف على الدار لكن ليس بنفس المعنى فالمقدر له عامل آخر. وتقول العرب: "شراب ألبان وتمر" والمقصود أن التمر للأكل واللبن للشراب، إذن يذكر أمر ويُعطف عليه أمر ويُفهم بأن هناك محذوفاً يقتضيه المعنى وهذا من مواطن التوسع في المعنى في المعنى في المعنى على الكريم.

* موطن آخر من مواطن التوسع في المعنى هو أن يكون هناك جُمل تحتمل في بنائها أكثر من دلالة وكلها مُرادة: مثال قوله تعالى في سورة الملك (وأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {١٣} } أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّهِيفُ الْخَبِيرُ {١٤} }). ما المقصود بقوله تعالى (ألا يعلم من خلق)؟ هل يقصد الخالق أم المخلوق؟ بمعنى ألا يعلم الخالق بعباده ويعلم ما يُسرّون وما يجهرون به (هنا تكون فاعل)؟ ويحتمل أن يكون المعنى ألا يعلم الذين خلقهم؟ (وهنا تكون مفعول به) إذن (من خلق) تحتمل المعنيين الخالق والمخلوق.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الرعد (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ {٢٧}) من فاعل المشيئة؟ الله تعالى أم للخلوق؟ تحتمل أن يكون المعنى يضل من يشاء فيبقيه على ضلاله ويهدي من يشاء الله أن يضله ويهدي إليه من أناب تحتمل (من يشاء) المعنيين والله تعالى يقول للشيء إذا أراده كن فيكون.

وكذلك قوله تعالى في سورة غافر (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبُعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ {٣٥}) ما المقصود بقوله تعالى (على كل قلب) هل المقصود على قلب كل متكبر جبار (اي قلوب المتكبرين جميعا) أو على كل قلب المتكبر الجبار؟ لو أراد أحد هذين المعنيين لقال تعالى "على قلب كل متكبر جبار" وإنما قال (على كل قلب متكبر جبار) والمراد هنا معنيين أحدهما يطبع الله تعالى على كل القلب فلا يترك من القلب شيئاً ويطبع على قلوب كل المتكبرين الجبارين.

كذلك قوله تعالى في سورة فصلت (و لَا تَسْتَوِي الْحَسْنَةُ و لَا السَّيِّنَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِي أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنُكَ و يَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ و لِي صورة فصلت (و لا يستوي فلان وفلان. و يمكن القول لا تستوي الحسنة والسيئة بحذف (لا) كما قال تعالى (وما يستوي الأعمى و البصير) فلماذا جاء بـ (لا) هنا؟ النحاة يقولون أن (لا) مزيدة للتوكيد لكن لها دلالة أخرى غير الزيادة في التوكيد فلو قال لا تستوي الحسنة والسيئة فالمعنى و احد واضح لكن زيادة (لا) تفيد أن الحسنات لا تستوي بين بعضها لأن بعض الحسنات أفضل وأعظم من فالمعنى و احد واضح لكن زيادة (لا) تفيد أن الحسنات لا تستوي بين بعضها لأن بعض الحسنات لا تستوي مع بعض، وكذلك الحسنات لا تستوي مع السيئات وهكذا باستخدام (لا) في الآية أفادت هذه المعاني الثلاثة. وكذلك قوله تعالى (وما يستوي الأحياء و لا السيئات وهكذا باستون أيضاً وهذه المعانى كلها مُرادة وكذلك قوله تعالى (ولا الظلمات و لا النور).

	الفهرس
١	أسرار البيان في التعبير القرآني
۹	تذكير الفعل أو تأنيثه مع الفاعل المؤنّث
	النقديم والتأخير في القرآن الكريم
* £	أمثلة أخرى على التقديم والتأخير
٤١	موضوع القطع في القرآن الكريم
٤٣	مقاصد الذكر والحذف في الحروف في القرآن الكريم
٥١	الفاصلة القرآنية من حيث المعنى
o £	مه ضوع التشايه و الاختلاف في القرآن الكريم

التوسّع في المعنى في القرآن الكريم

الأسئلة والأجوبة المفيدة (١)

في

لطائف بعض الآيات القرآنية للدكتور / فاضل صالح السامرائي أستاذ النحو في جامعة الشارقة

١ - سؤال: ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى (هذا بلاغ للناس) سورة إبراهيم آية ٥٦ و (بلاغ) سورة الأحقاف آية ٣٥؟

كلمة (بلاغ) في سورة الأحقاف هي خبر لمبتدأ محذوف وتقديره : هذا بلاغ. ففي سورة الأحقاف سياق الآيات التي قبلها والمقام هو مقام إيجاز لذا اقتضى حذف المبتدأ فجاءت كلمة بلاغ ولم يخبرنا الله تعالى هنا الغرض من البلاغ ، أما في سورة إبراهيم فإن الآيات التي سبقت الآية (هذا بلاغ للناس) فصّلت البلاغ والغرض منه من الآية (ولا تحسبن الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون) آية ٢٢.

٧ – سؤال: (هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) سورة ثم الآية (فقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض) وقوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في رهم) سورة ، لماذا جاءت الحصم مرة مفردة ومرة مثنى وجمع؟ الخصم تأتي للمفرد والجمع (هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) مثل كلمة بشر والفلك وضيف وطفل، وربما تأتي للتثية (هذان خصمان اختصموا في رهم). يقول المفسرون هما فريقان كل فريق له جماعة فلمّا جاءا يختصمان جاء من كل فريق شخص واحد يمثّل الفريق والمتحدثان هما أصحاب المسألة (خصمان). كما في قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فكل طائفة لها جماعة عند الصلح يأتي من كل طائفة من يفاوض باسمها لكن إذا وقع القتال بينهما يقتتل كل الأفراد، فإذا اختصم الفريقين يقال اختصموا وإذا اختصم أفراد الفريقين يقال اختصموا. وكذلك في كلمة بشر (أبشراً منا واحده نتبعه) وقوله تعالى (بل أنتم بشر مما خلق). وكلمة (طفل) قد

تأتى للمفرد وجمع وقد يكون لها جمع في اللغة (الأطفال) وقد استعمل القرآن هاتين الكلمتين.

٣ - سؤال: ما الفرق بين البأساء والضرّاء من حيث المعنى في القرآن الكريم؟

البأساء هي الشدّة عموماً ولكن أكثر ما تُستعمل في الأموال والأنفس. أما الضرّاء فتكون في الأبدان.

٤ – سؤال: (إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) سورة الأنعام والآية (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) سورة النحل، ما الفرق من الناحية البيانية بين (بمن ضل) و(من يُضل)؟ من استفهامية وهي من باب التعليق ومعلّقة والجملة في محل نصب مفعول به لفعل مقدّر.
بمن: موصولة ومعناها هو أعلم بالذي ضلّ عن سبيله.

٥ - ما الفرق بين كلمتي (عباد) و (عبيد) في القرآن؟

كلمة عباد تضاف إلى لفظ الجلالة فالذين يعبدون الله يضافون للفظ الجلالة فيزدادون تشريفاً فيقال عباد الله كما ورد في سورة الفرقان (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ورد في سورة الفرقان (وَعِبَادُ الرَّعْنِ اللهِ على عبيد الناس والله معاً وعادة تضاف إلى الناس ، والعبيد تشمل الكل محسنهم ومسيئهم كما ورد في سورة ق (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ {٢٩ }). العبد يُجمع على عباد وتاعبد يُجمع على عبيد.

٦ - ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة (الله) و(الربّ) في الآيتين: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) سورة النساء وقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم) سورة النساء?

لفظ الجلالة الله هو اللفظ العام لله تعالى ويُذكر هذا اللفظ دائماً في مقام التخويف الشديد وفي مقام التكليف والتهديد. أما كلمة الربّ فتأتي بصفة المالك والسيّد والمربي والهادي والمرشد والمعلم وتأتي عند ذكر فضل الله على الناس جميعاً مؤمنين وغير مؤمنين فهو سبحانه المتفضّل عليهم والذي أنشأهم وأوجدهم من عدم وأنعم عليهم. والخطاب في الآية الثانية للناس جميعاً وهو سبحانه يذكر النعمة عليهم بأن خلقهم والذين من قبلهم، ولذا جاءت كلمة (ربكم) بمعنى الربوبية . وعادة عندما تذكر الهداية في القرآن الكريم تأتي معها لفظ الربوبية (ربّ).

٧ - ما دلالة كلمة (لنريه) في سورة الإسراء؟

قد يحتمل المعنى أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – أُعطي الرؤية الإلهية وتعطلت الرؤية البشرية وربما يكون سبحانه وتعالى قد أعطاه رؤية قوية أكثر من قدرة البشر بدليل أنه رأى القافلة ورأى موسى وهو يصلي في قبره ورأى جبريل عليه السلام. والله أعلم.

٨ ما إعراب كلمة (الشُّحَ) في قوله تعالى (وأحضرت الأنفسُ الشُّحَ)
 فعل أحضر يأخذ مفعولين وكلمة الشح هي مفعول به ثانى لفعل أحضر، والأنفس نائب فاعل والمعنى أحضرنا

الأنفس الشُّحَّ، فكأنما المعنى أنه أحضر الشح للأنفس أو جيء بالشح وأُحضر للأنفس. (وعليه يكون الأنفس مفعول به أول والشح مفعول به ثاني). وكأن الله تعالى أحضر الأنفس عندما خلقها خلق الشحّ وجعله فيها.

٩ في سورة يوسف الآية (ليسجنن وليكوناً من الصاغرين) جاءت لفظة (ليكوناً) بالتنوين لماذا؟
 في (ليكوناً) هذه ليست تنوين وإنما هي نون التوكيد الخفيفة إذا وُقف عليها يوقف عليها بالألف ويجوز أن تُرسم بالتنوين. وفي كلمة (ليسجنن) هذه نون التوكيد الثقيلة وهي مؤكّدة أكثر من الخفيفة وقد دلّت في المعنى أن دخو له السجن آكد من كونه من الصاغرين.

١ - ما إعراب كلمة (الوصية) في قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَّكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقَّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ {١٨٠}) سورة البقرة? المورة البقرة البقرة البقرة المورة البقرة البقرة المورة البقرة الموصية نائب فاعل

11 - لماذا الإستشاء في قوله تعالى في سورة هود: (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك)؟ قال تعالى في سورة هود (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا رَفِيرٌ وَشَهِيقٌ {١٠٨} خَالِدِينَ فِيهَا مَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ أَقَالٌ لِّمَا يُرِيدُ رَا ١٠٨ } وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِلُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُو ذِ {١٠٨ }) أولاً السموات والأرض في هذه الآية هي غير السموات والأرض في الدنيا بدليل قوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات). أما الإستشاء فلأن الخلود ليس له أمد، والحساب لم ينته بعد ولم يكن أهل الجنة في الجنة ولا أهل النار في النار فاستثنى منهم من في الحساب. وقول آخر أن أهل النار قد يُخرج بمم إلى عذاب آخر أما أهل الجنة فهناك ما هو أكبر من الجنة ونعيمها وهو رضوان الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم والله أعلم. قسم يقولون أن الإستشاء هو في مدة المكث في الحشر (مدته خسين ألف سنة) وقسم من قال هذا حتى يقضي الله تعالى بين الخلائق، وقسم قال هو إستشاء من النار من عصاة المسلمين، وقسم قال الإستشاء من بقائهم في القبر وخروجهم من الدنيا ، وقسم قال هو إستشاء من المقاء في الدنيا وهذه المعاني كلها قد تكون مرادة وتفيد ألهم خالدين فيها إلا المدة التي قضاها الله تعالى قبل أن يدخلوا الجنة أو قد تكون عامة لكن قضى الله تعالى أن يكونوا خالدين.

17 - لماذا ذكر (شعيب) في سورة الشعراء بينما ذكر (أخوهم شعيب) في سورة هود؟ شعيب أُرسل إلى قومين هما قوم مدين وهو منهم فعندما ذهب إليهم قال تعالى (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُلُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ اعْبُلُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ اعْبِيطٍ {٨٤}) وأصحاب الأيكة ولم يكن منهم وليسوا من أهله فلم يذكر معهم أخوهم شعيب لأنه ليس أخوهم ركذّب أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ {١٧٦} إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَقُونَ {١٧٧}). وكذلك في القرآن الكريم لم يذكر في قصة عيسى – عليه السلام – أنه خاطب قومه بـ (يا قوم) وإنما كان يخاطبهم بـ (بني إسرائيل) لأنه ليس له نسب فيهم أما في قصة موسى فالخطاب على لسان موسى جاء بـ (يا قوم) لأنه منهم.
17 – ما اللمسة البيانية في استخدام (لا أقسم) في القسم في القرآن الكريم؟ (لا أقسم بيوم القيامة) (لا أقسم بهذا المدورة) الموردة على المدورة الله المدورة الموردة الها المدورة المدور

لم يرد في القرآن كله كلمة (أقسم) أبداً وإنما استخدم لفظ (لا أقسم) بمعنى أقسم و(لا) لتأكيد القسم. فقد يكون

الشيء من الوضوح بمكان بحيث لا يحتاج لقسم وهذا تعظيم للشيء نفسه. وقد تعني (لا أقسم) أحياناً أكثر من القسم (زيادة في القسم).

١٤ – ما الفرق البياني بين قوله تعالى (ما منعك أن تسجد) سورة ص و(ما منعك ألا تسجد) سورة الأعراف؟ هناك قاعدة(لا) يمكن أن تُراد إذا أُمن اللبس، وسُميّت حرف صلة وغرضها التوكيد وليس النفي. ونلاحظ أن سياق الآيات مختلف في السورتين ففي سورة الأعراف الآيات التي سبقت هذه الآية كانت توييخية لإبليس ومبنية على الشدة والخاصبة الشديدة وجو السورة عموماً فيه سجود كثير.

0 1 - ما دلالة تكرار الآية (فبأي آلآء ربكما تكذبان) في سورة الرحمن؟

تكرار الآيات قد يكون للتوكيد ففي ذكر النار من قوله تعالى (سنفرغ لكم أيها الثقلان) تكررت الآية ٧ مرات على عدد أبواب الجنة (من دونهما جنتان) تكررت الآية ٨ مرات على عدد أبواب الجنة. و في نفس الآية لمن يوجّه الله تعالى خطابه في قوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان)؟

نلاحظ أول آية في سورة الرحمن ابتدأت فيها هذه الآية ويقول المفسرون أن المقصود بهما الفقلان أي الإنس والجنّ. لكن السؤال لماذا جاءت أول مرة ولمن الخطاب هنا؟ يقول عامة المفسرون أنه ليس بالضرورة عندما تخاطب واحداً أو جماعة أن يسبقه كلام فمن الممكن مخاطبة جماعة لأول مرة بدون سابق خطاب (أين أنتم ذاهبون؟) ومع ذلك فقد ورد قبلها ما يدل على المخاطبين فقد قال تعالى (والأرض وضعها للأنام) والأنام من معانيها الفقلان أي الإنس والجنّ (وقسم من المفسرين يحصرونها بهذا المعنى) ومن معانيها : البشر ، وقسم آخر يقول : أنها تعني كل المخلوقات على الأرض ؛ لكن قطعاً من معانيها الثقلين عما يشمل الإنس والجنّ. والأمر الثاني هو أنه قبل الآية الأولى فيها خطاب المكلفين وهما الإنس والجنّ (أن لا تطغوا في الميزان* وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) والمكلفين هما الإنس والجنّ. وإذا أخذنا معنى الأنام المقصور على الثقلين انتهى الأمر وإذا أخذنا المعنى أنه المخلوقات جميعاً فالآيات تفيد التخصيص. ثم قال تعالى (الرحمن * علّم القرآن) والقرآن هو للإنس والجنّ. إذن من المكن أن يسبقه كلام وإنما في هذه الآيات سبقه كلام وأوامر و نواهي للثقلين والكتاب الذي أُنزل للإنس والجنّ إذن هو خطاب عادي للثقلين في قوله تعالى (فبأي آلآء ربكما تكذبان).

يبقى سؤال آخر: جاء الخطاب في الآية للثقلين (بالمثنى) وقال تعالى (وأقيموا الوزن) بالجمع لماذا؟ الخطاب للثقلين بالمثنى هو للفريقين عموماً وهما فريقان اثنان (فريق الإنس وفريق الجنّ) على غرار قوله تعالى (قالوا خصمان) وقوله (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) وصيغة الجمع تدل على أن الخطاب هو لكل فرد من أفراد هذين الفريقين. في بداية السورة قال تعالى (خلق الإنسان * علّمه البيان) الآية تدل على خلق الإنسان مع أن الأنام فيما بعد تدل على المخلوقات عامة وذلك لأن الإنسان هو الذي أنزل عليه الكتاب أو القرآن وبيّنه للثقلين. وعلّمه البيان بمعنى ليبيّن عن نفسه والبيان هو القدرة على التعبير عمّا في النفس، والله أعلم.

١٦ - ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى (ليس البِرَّ أن تولوا وجوهكم) سورة البقرة وقوله تعالى (ليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها) سورة البقرة؟

البرَّ بالفتحة في الآية الأولى هي خبر ليس و" أن تولوا " هو الاسم ، أما في الآية الثانية فكلمة (البرُّ) بالضم هي اسم ليس.

١٧ – ما الفرق بين كلمة (المخلّصين) بفتح اللام وكلمة (المخلِّصين) بكسر اللام؟

المخلَصين بفتح اللام تعني من أخلصه الله لعبادته وطاعته، أما المخلِصين بكسر اللام فتعني من أخلص نفسه لعبادة الله وطاعته.

1 \ - ما معنى قوله تعالى (وأُمرت أن أكون أول المسلمين) عن سيدنا محمد مع العلم أن الأنبياء قبله كانوا مسلمين؟ الإسلام هو دين الله وهو الدين من أول الأنبياء إلى يوم الدين وقد سبق في القرآن الكريم ذكر نوح وإبراهيم ولوط ومن اتبعهم بألهم من المسلمين لكن دين الإسلام كإسلام أُطلق على ديننا وسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - هو أول من أسلم.

١٩ – ما اللمسة البيانية في قوله تعالى في سورة الحجر (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) بتخفيف الباء في كلمة (ربما)؟

هذه الآية فيها قراءتان متواتران صحيحتان نزل بهما الروح الأمين إحداهما مشددة (ربّما) والأخرى مخففة (ربما) فهي من الناحية اللغوية موجودة في اللغة ولا إشكال في هذا. أما من ناحية السر البياني فقد اختلفوا في (رُبّ والله وقسم قالوا ألها تفيد التقليل وهذا معناها على وقسم قالوا ألها تفيد التقليل وهذا معناها على العموم. ويكون التقليل أو التكثير بحسب المعنى. يبقى التخفيف وعدم التخفيف يوجد في اللغة حروف تخفف مثل (إنّ) وتخفف وتصبح (إن) وكذلك نون التوكيد النقيلة تخفف إلى نون التوكيد الخفيفة مثل قوله تعالى (وليسجنن وليكوناً) في سورة يوسف فالنون في (ليسجنن) نون توكيد ثقيلة وفي (ليكوناً) هي نون توكيد مخففة. وقديماً كانت النون المخففة أخف من النون الثقيلة لأن تكرار النون بمثابة تكرار التوكيد مثل السين وسوف ؛ السين مقتطعة من سوف و تفيد زمناً أقل.

(رب) في معناها أقل في التقليل والتكثير من (رُبّ) و (ربّما) أشد في معناها من ربما المخففة. وكلمة (ربما) تحتمل أن تكون قد قيلت في الدنيا عندما رأوا الغنائم في بدر وغيرها فقسم تمنى أن يكون مسلماً ليأخذ الغنائم وهنا جاءت بمعنى التمني . ويحتمل أن تكون قد قيلت في الآخرة عندما يُعطى المسلمون الأجور العظيمة فيتمنى الكافرون لو كانوا مسلمين وهنا تأكيد على تمنيهم لأنهم رأوا أجر المسلمين. وفي الدنيا هناك من يتمنى كثيراً أن يكون مسلماً ومسهم من يتمنى قليلاً أن يكون مسلماً عند رؤية الغنائم فكل منهم يتمنى حسب رغبته في الغنائم وحسب ما يرى من الغنائم ، أما في الآخرة فهم يرغبون قطعاً رغبة قوية أن يكونوا مسلمين وهذان الإحتمالان التمني القليل والتمني الكثير لا يمكن أن يُعبّر عنهما إلا باستخدام القراءتين اللتين وردتا في الآية (ربّما المشددة) و(ربما المخففة) فشمل كل الإحتمالات في جميع المواقف في الدنيا و في الآخرة.

(ربما) بدون شدّة تأتي للتخفيف وهو لغرض التخفيف في الحدث، لم تكن المودة قوية لتحملهم على الإسلام لذا قال تعالى (ربما) مخففة. فإذا أراد تشديد المودة جاء بلفظ (ربما) مشددة، وإذا أراد تخفيف المودة جاء بلفظ (ربما) بدون شدّة.

• ٢ – ما اللمسة البيانية في استعمال صيغة المضارع مرة وصيغة الماضي مرة أخرى في قوله تعالى (من كان يريد الآخرة) و (من أراد الآخرة)؟

استعمال فعل المضارع مع الشرط يكون إذا كان مضمون أن يتكرر. أما استعمال فعل الماضي فالمضمون أن لا يتكرر أو لا ينبغي أن يتكرر. كما نلاحظ أيضاً في قوله تعالى (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد) ينبغي تكرار الشكر لذا جاء بصيغة الفعل المضارع (يشكر) أما الكفر فيكون مرة واحدة وهو لا ينبغي أن

يتكرر فجاء بصيغة الماضي في قوله (كفر). كذلك في قوله تعالى (من قتل مؤمناً خطأ) المفروض أن القتل وقع خطأ والمفروض أن لا يتكرر أما في قوله تعالى (من يقتل مؤمناً متعمداً) هنا تكرار للفعل لأنه قتل عمد. ٢١ – ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) في سورة الإسراء وقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) في سورة الأنعام ؟

في الآية الأولى في سورة الإسراء الأهل ليسوا فقراء أصلاً وعندهم ما يكفيهم ولا يخشون الفقر ولكنهم يخشون الفقر في المستقبل إذا أنجبوا بأن يأخذ المولود جزءاً من رزقهم ويصبح الرزق لا يكفيهم هم وأولادهم ويصبحوا فقراء فخاطبهم الله تعالى بقوله (نحن نرزقهم وإياكم) ليطمئنهم على رزقهم أولاً ثم رزق أولادهم ولهذا قدّم الله تعالى رزقهم على (إياكم) لأنه تعالى يرزق المولود غير رزق الأهل ولا يأخذ أحد من رزق الآخر. أما في الآية الثانية فهم فقراء في الأصل وهمهم أن يبحثوا عن طعامهم أولاً ثم طعام من سيأتيهم من أولاد فالله تعالى يطمئن الأهل أنه سيرزقهم هم أولاً ثم يرزق أولادهم لأن الأهل لهم رزقهم والأولاد لهم رزقهم أيضاً

٢٢ - ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى (من عزم الأمور) سورة لقمان وقوله تعالى (لمن عزم الأمور) في سورة الشورى؟

لو لاحظنا الآيات قبل هذه لوجدنا أن في سورة لقمان جاءت الآية (واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) الأمور) سورة لقمان آية ١٧ ، أما في الآية الأخرى في سورة الشورى (ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) آية ٤٣ وهنا ورد ذكر أمرين الصبر والغفران وهما أشد من الصبر وحده التي وردت في سورة لقمان فكانت الحاجة لتوكيد الأمر باستخدام لام التوكيد والقسم في كلمة (لمن) لأنه أشق على النفس. فالصبر قد يقدر عليه كثير من الناس لكن أن يصبر ويغفر هذا بالطبع لا يقدر عليه الكثيرون ويحتاج إلى مشقة أكبر لذا اقتضى توكيد الأمر بأنه من عزم الأمور مؤكداً بخلاف الصبر وحده الذي ورد في سورة لقمان.

٣٣ - ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى (واصبر نفسك) وقوله تعالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)؟

اصطبر جاءت في الصلاة لأنما مستمرة كل يوم وزيادة المبنى تفيد زيادة المعنى والصلاة كل يوم في أوقاتما و تأديتها حق ، أدائها وإتمامها يحتاج إلى صبر كبير لذا جاءت كلمة (اصطبر) للدلالة على الزيادة في الصبر. ٢٤ حما اللمسة البيانية في استخدام صيغة المذكر مرة والمؤنث مرة أخرى في قوله تعالى (ومن يقنت منكن لله و يعمل صالحا) سورة الأحزاب آية ٣٦؟ ثم لماذا الخطاب مرة لجماعة الإناث ثم لجماعة الذكور؟ القاعدة النحوية هو أن الفعل يؤنّث ويذكر فإذا كان الفعل مؤنثاً ووقع بين الفعل والفاعل فاصلاً ثم إن الخطاب الموجه لنساء النبي – صلى الله عليه وسلم – في قوله (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) هذا خطاب خاص بمن فجاء بصيغة خطاب الإناث أما في الآية (يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) هذا الخطاب يشمل كل أهل بيت النبوة وفيهم الإناث والذكور لذا اقتضى أن يكون الخطاب بصيغة للذكر. وكذلك نلاحظ الفرق بين سورة يوسف (وَقَالَ نسْوةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْغَزِيزِ ثُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن تَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًا الذكر والذكر والذكر والذكور الذا اقتضى الذي ليس له مفرد من نوعه يمكن معاملته معاملة الذكر والونث. والتذكير يدلّ على الكثرة (قالت الأعراب آمنا) وهكذا في الذكر والونث. والتونث. والتأنث. والتأنث يدل على الكثرة (قالت الأعراب آمنا) وهكذا في الذكر والونث. والتونث. والتأنث. والتأنيث يدل على الكثرة (قالت الأعراب آمنا) وهكذا في

القرآن كله كما في قوله تعالى (جاءهم رسلهم) المجتمعات أكثر من (جاءكم رسل منكم).

٢٥ – ما الحكم النحوي في استخدام (من) و(ما)؟

(من) و(ما) يعامل لفظها الإفراد والتذكير ثم يؤتى بما يدلّ على المعنى. (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) نبدأ بالإفراد والتذكير (هذا هو القياس) (ومن يقنت منكن).

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {٧٤}) لما ومنه، لما ويشقق ومنه، لما ويهبط كلها فيها إفراد وتذكير. الأصل والأكثر في القرآن البدء بالإفراد والتذكير ثم يأتي ما يدل على المعنى.

٢٦ - ما اللمسة البيانية في استعمال كلمة (اليم) في قصة سيدنا موسى مع فرعون؟

اليمّ كلمة عبرانية وقد وردت في القرآن الكريم ٨ مرات في قصة موسى وفرعون فقط لأن قوم موسى كانوا عبرانيين وكانوا يستعلون هذه الكلمة في لغتهم ولا يعرفون كلمة البحر ولهذا وردت كلمة اليمّ كما عرفوها في لغتهم آنذاك.

٢٧ – لماذا جاءت كلمة سيّد في القرآن الكريم في سورة يوسف (وألفيا سيدها لدا الباب)؟
أهل مصر كانوا يسمون الزوج سيداً وقد وردت هذه الكلمة مرة واحدة في سورة يوسف وفي القرآن كله لأنها
كانت معروفة في لغتهم آنذاك.

٢٨ - ما الفرق من الناحية البيانية بين كلمتي (واللآئي) و(اللآتي) في القرآن الكريم؟

لفظ اللآئي هي لفظة متخصصة وهي مشتقة من اللآء أو التعب وقد استخدم هذا اللفظ في الآيات التي تفيد التعب للنساء كما في الحيض في قوله تعالى: (واللآئي يئسن من المحيض). أما لفظ (اللآتي) فهو لفظ عام.

٢٩ – ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى في سورة الأنعام (مشتبهاً وغير متشابه) وقوله تعالى (متشابهاً وغير متشابه)؟

قوله تعالى (مشتبهاً وغير متشابه) تفيد لفت النظر إلى قدرة الله تعالى وهذا يفيد اللبس والإلتباس، أما في قوله تعالى (متشابهاً وغير متشابه) فهذا للتشابه وقد وردت الآيات في الإبل عامة و لا داعي للفت النظر إلى القدرة الإلهية هنا. فنفي التشابه ينفي الإشتباه هو الإلتباس لشدة التشابه. ٣- ما الفرق بين هذه الكلمات؟

سِخرياً وسُخرياً: سِخرياً بكسر السين هي من الإستهزاء والسُخرية ، أما سُخرياً بضم السين فهي من باب الإستغلال والتسخير.

يُقبل ويُتقبل: (يقبل) من الرسول – صلى الله عليه وسلم – يقبل الصلاة والزكاة ومن العباد وهم في الدنيا ، أما (يتقبل) فهو من الله تعالى يتقبل الأعمال أو لا وهذا في الآخرة.

كُرهاً وكَرهاً: (كُرهاً) بضم الكاف هو العمل مع المشقة أما (كَرهاً) بفتح الكاف فتفيد العمل بالإجبار من آخر. طوعاً وطائعاً: (طوعاً) تعني تلقائياً من النفس و(طائعاً) تعني طائعاً لإرادة الله سبحانه وتعالى.

ضياء ونور: الضياء هو ضوء وحرارة مثل ضوء الشمس والسراج أما النور فهو ضوء بلون حرارة كنور القمر.

وعد وأوعد: (وعد) تأتى دائماً بالخير (وعد الله الذين آمنوا منكم) وأوعد تأتى بالشرّ.

قِسط وقَسط و قَسَط: (القِسط) بكسر القاف تعني العدل، و (القَسط) بفتح القاف تعني الظلم والقَسَط بفتح القاف والسين تعني الإنحراف.

٣١ – ما الفرق بين قوله تعالى (رب اجعل هذا بلداً آمناً) سورة البقرة وقوله تعالى (رب اجعل هذا البلد آمناً) ؟ الآية الأولى هي دعاء سيدنا إبراهيم قبل أن تكون مكة بلداً فجاء بصيغة التنكير (بلداً) أما الآية الثانية فهي دعاء سيدنا إبراهيم بعد أن أصبحت مكة بلداً معروفاً فجاء بصيغة التعريف في قوله (البلد).

٣٢ - ما اللمسة البيانية في قوله تعالى (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة) وما دلالة سبعين في الآية؟

العدد المراد به حقيقة العدد في الأحكام كما في الكفارات (صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم) وكفارة اليمين (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام) أو الإخبار عن الأمور التي وقعت (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) (اختار موسى لقومه سبعين رجلا) وإما في مقام التكثير. ولقد اختلف المفسرون في حقيقة العدد وييدو من النصوص أنه أراد حقيقة العدد لأنه – صلى الله عليه وسلم – لما نزلت هذه الآية قال : "سمعت ربي رخص لي فلأستغفرن لهم سبعين وسبعين وسبعين " ففهم من الآية أن الله رخص له أن يستغفر أكثر من سبعين لعل الله تعالى يغفر لهم لكن نزلت آية أخرى نسخت هذه الآية (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لن يغفر الله لهم) فنفت هذه الآية ما فهمه الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الآية الأولى والله أعلم.

٣٣ - ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى (وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب) في سورة هود آية ٦٢ وقوله تعالى (وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه) في سورة إبراهيم آية ٩؟

في آية سورة هود الكلام في قصة صالح فجاء بلفظ (تدعونا) أما في سورة إبراهيم فالكلام عن مجموعة من الرسل لذا جاء قوله (تدعوننا).

الذي يبدو أنه عندما يأتي (إننا) هو آكد ، (إنا) تأتي للتوكيد سواء كانت النون مشددة أو مخففة نون التوكيد (ولتكوناً) (ليذهبنّ)

وعندما نقول (إننا) تحتمل معنين: في مقام التفصيل (إننا) وفي مقام التوكيد (إننا) فلو قرأنا القصتين في السورتين لوجدنا أن قصة صالح فصّل تعالى فيها كثيراً فاقتضى التفصيل استخدام (إننا) وكذلك التكذيب في قوم صالح كان أشدّ فجاء التوكيد بلفظ (إننا) إذن القصة في قصة صالح أطول والتكذيب أشدّ في سورة هود ، بينما الكلام في سورة إبراهيم براننا) ولم يقتضى التوكيد في سورة إبراهيم برانا).

٣٤ – ما اللمسة البيانية في إفراد اليمين وجمع الشمائل في سورة النحل في قوله تعالى (ينفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجّداً لله وهم داخرون) آية ٤٨؟

اليمين يُقصد بما جهة المشرق؛ والشمائل يقصد بما جهة المغرب. وقد قال الهسرون أن كل المشرق جهة اليمين أما في جهة الغرب تكثر الظلال خاصة بعد الزوال بخلاف جهة المشرق حتى اتجاهات الظلال تختلف فلذلك أصبحت شمائل، يتحول الظل ويتسع ويمتد. والأمر الآخر أن اليمين جهة مطلع النور أو الشمس والشمال جهة الظلمة والمغرب والله تعالى في القرآن كله أفرد النور وجمع الظلمات (يخرجو لهم من النور إلى الظلمات) (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) وهذا لأن النور له جهة واحدة ومصدر واحد سواء كان نور الهداية أو نور

الشمس وهو يأتي من السماء ، أما الظلمات فمصادرها كثيرة كالشيطان والنفس وأصدقاء السوء والوسوسة من الجِنّة والناس. إذن الظلمات مصادرها كثيرة والنور مصدره واحد، ولمّا كانت اليمين جهة مطلع النور أفردها ولما كانت الشمال الجهة الأخرى والتي تفيد الظلمات جمعها. وذكر المسرون أمراً آخر في الآية (ما خلق الله من شيء) (شيء) مفرد ولما قال (سجّداً) قال (الشمائل) فقالوا أمر لفظي الجمع ناسب الجمع والإفراد ناسب الإفراد ولكني (والكلام للدكتور فاضل) لا أراه مناسباً تماماً.

وكلمة "يتفيأ" هي من الفيء والظلّ والفيء : هو بمعنى العودة (فاء فيء بمعنى عاد).

الظلّ : هو ما نسخته الشمس والفيء هو ما نسخ الشمس.

٣٥ - ما الفرق بين كلمتي (ألفينا) و (وجدنا) في الآيتين: (بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا) سورة البقرة آية ١٧٠ (وحسبنا ما وجدنا عليه آبائنا)؟

(ألقى) في اللغة: تستعمل في الأمور المادية فقط وقسم من النحاة يقولون ألها لا تأتي في أفعال القلوب كما في قوله تعلى (إلهم ألفوا آباءهم صالين) وقوله (ألفيا سيدها لدى الباب). أما كلمة (وجدنا) فهي تأتي مع أفعال القلوب (لوجدوا الله تواباً رحيما) وقد تأتي أحياناً في الأشياء الحسية. وعنلما يذكر القرآن كلمة (ألفينا) يريد أن يذمّهم أكثر وينفي عنهم العقل كما في قوله تعلى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنا أَولَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْناً وَلا يَهْتَدُونَ) سورة المقرة (١٧٧) ولو لاحظنا الآية التي سبقت هذه في سورة المائدة (مَا جَعَلَ الله مِن بَحِيرَةٍ وَلا سَآئِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتُرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَأَكْثُرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣ }) فالذي يُشرّع ليس عنده علم ولكن عنده عقل. وعندما يذكر كلمة (وجدنا) ينفي عنهم العلم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالُواْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدُنَا عَلَيْهِ آبَاءَنا أَوَلُو كَانَ آبَاوُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْعًا وَلَا هُورَة وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَودُنَ فِي اللَّه بَعْمَ وَكَانَ آبَاوُهُمْ إِلَى عَلَيْكُمْ نَعَمَهُ ظَهْورَة وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللّهِ بَعْيْرِ عِلْم وَلَا هُدَى وَلَا هُدَى وَلَا كُمْ اللهِ عَلْه وَلَا هُدَى وَلَا هُدَى وَلَا كُمْ الله عَنْ أَدَلُ اللَّهُ قَالُوا ابَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدَنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولُو كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابٍ وَمَا السَّعِيرِ {٢٠ }) . وقد تفي العلم عن أحلهم ولكنه يقى عاقلاً لكن إذا في عنهم العقل العقل

أصبحوا كالبهائم فكلمة ألفينا تأتى إذن في باب الذمّ.

٣٦ - ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى (خالدين فيها) وقوله (خالدين فيها أبدا)؟

هناك قاعدة في القرآن الكريم سواء في أهل الجنة أو في أهل النار : إذا كان المقام مقام تفصيل الجزاء أو في مقام الإحسان في الثواب أو الشدة في العقاب يذكر (أبداً) وإذا كان في مقام الإيجاز لا يذكرها.

في سورة النساء آية ٥٥ (وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُه ْحِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْيِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً) هذه الآية فيها تفصيل للجزاء فذكر فيها (أبدا) ، أما الآية ١٣ من سورة النساء (تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولُهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ليس فيها تفصيل فلم يذكر فيها (أبدا). كذلك في سورة البيّنة لم يذكر مع الكافرين (أبدا) لأنه لم يفصّل في عقابهم (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شُرُّ الْبُرِيَّةِ) يفصّل في عقابهم (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شُرُّ الْبُرِيَّةِ) آية ٦، وذكرها مع المؤمنين لأنه فصّل الجزاء لهم (جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبِدَاء في الجزاء في قوله فيها أَبدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِي رَبَّهُ) آية ٨، فالتفصيل زيادة في الجزاء ويتسع في قوله

(أبداً) فيضيف إكراماً إلى ما هم فيه من إكرام وكذلك في العذاب. وقد وردت (خالدين فيها أبداً) في أهل الجنة ٨ مرات في القرآن الكريم ووردت في أهل النار ٣ مرات وهذا من رحمته سبحانه و تعالى لأن رحمته سبقت غضبه. والخلود عند العرب تعني المكث الطويل وليس بالضرورة المكث الأبدي.

٣٧ - ماذا تفيد الفاء في آية سورة مريم من الناحية البيانية؟

في سورة مريم الآيات (فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً {٢٦} فَأَجَاءهَا الْمُخَاصُ إِلَى جَذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُ قَبْلَ هَذَا وَكُت نَسْياً مَّنسيّاً {٢٣} فَقَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيّاً {٢٤} وَهُزِّي مِن الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّحْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَيّاً {٢٦ } فَكُلِي وَاشْرِبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرِينَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي لَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أَكَلَمَ الْيَوْمَ إِنسيّاً {٢٦ } فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جَمْتِ شَيْئاً فَرِيّاً {٢٧ } يَلْ أَخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ الْمِرَأَ سَوْء وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَعِيّاً {٢٨ } فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جَمْتِ شَيْئاً فَرِيّاً لَا إِلَى اللّهُ لِكُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ الْمُوا مَوْء وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَعِيّاً {٢٨ } فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَيّاً {٢٩ }) تكور استخدام حرف القاء وهي تفيد تعقيب كل شيء بحسبه أي تفيد تعقيب الأحداث التي وردت في السورة. إذا كان الحمل في موعده تستخدم الفاء وإذا تأخر الحمل نستخدم (ثمّ) للترتيب والتراخي في الزمن. فمريم عليها السلام هملت عندما نفخ فيها ثم لم يكن هناك أي معوقات بعدها فانتبذت مكاناً قصياً وجاء الحمل بللدة المقررة عُرفاً. كقوله تعالى (ثم أماته فأقبره) القبر يأتي عقب الموت مباشرة فاستخدم الفاء أما قوله تعالى (ثم أماته فأقبره) القبر بمدة طويلة لذا استخدم (ثمّ) التي تفيد الترتيب والتراخي.

و نأخذ مثال: إذا قلنا دخلت البصرة فالكوفة والمسافة بينهما تستغرق يومين تفيد أنه لو دخلت الكوفة في اليوم الثاني نستخدم الفاء لأفها هي التي دخلتها بعد البصرة مباشرة أما إذا دخلتها بعد عشر ساعات نستخدم (ثمّ) ، لأنه كما يقول النحاة إذا كانت المدة طبيعية يُو تي بالفاء.

مثال آخر لو قلنا تزوج فلان فولد له بمعنى أنه وُلد له بعد فترة الحمل الطبيعية ؛ تزوج فحملت فولدت ولو تأخر الحمل يقال ثم وُلد له.

أما استخدام الواوكما في قولنا جاء محمد وخالد لا تفيد الترتيب إنما تفيد مطلق الجمع فقد يكون محمد هو الذي أتى أولاً وقد يكون خالد هو الذي أتى أولاً. أما الفاء وثمّ فتفيدان الترتيب والتعقيب أو الترتيب والتراخي. ٣٨ – لماذا في سورة المؤمنون آية ١٥ و ١٦ جاء توكيدان في الموت وتوكيد واحد في البعث مع أن الناس يشككون في البعث أكثر ؟

(ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ { ٥ } } ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ { ١٦ }) جاء التوكيد في الآية ١٥ مع ذكر الموت بـ (إنّ) واللام، أما في الآية ١٦ مع ذكر البعث جاء التوكيد بـ (إنّ) فقط ولم يأتي باللام لأن هناك قاعدة نحوية أن اللام إذا دخلت على الفعل للضارع أخلصته للحال فلا يصح أن يقال لتبعثون لأنما لن تفيد الإستقبال ولكنها تخلص الفعل المضارع للحال وليس هذا هو المقصود في الآية. يوم القيامة استقبال ولا تصح اللام هنا لأن الكلام على يوم القيامة واللام تخلّصه للحال ولو أن عندي رأي آخر كما جاء في قوله تعالى (إن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة) قال النحاة هذا تنزيل المستقبل تنزيل الماضي.

وفي سورة يوسف الآية (ليسجنن وليكوناً من الصاغرين) النون نون التوكيد التي تخلص الفعل للمستقبل واللام هي لام القسم وليست لام التوكيد هنا.

مسألة التوكيد أو لا تعود للسياق ومع أنه أكد الموت بتوكيدين في آية سورة المؤمنون ومرة واحدة في آية سورة النرمر (إنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيَّتُونَ {٣٠}) ولم يذكر اللام هنا والسبب أنه ذكر الموت في سورة المؤمنون 1 مرات بينما ذكر في سورة النرمر مرتين فقط وتكررت صور الموت في سورة المؤمنون أكثر منها في سورة النرمر ففي سورة المؤمنون الكلام أصلاً عن خلق الإنسان وتطويره وأحكامه (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِين {١٢} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَة عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ جَعَلْنَاهُ نُطْفَة فِي قَرَار مَّكِين {١٣} أَتُم خَلَقْنَا النُّطْفَة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَة مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَة عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحُما ثُمَّ أَنشأَنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ {١٤}) وهذا أكبر دليل على أن إعادته ممكنة ولا شك ألها أسهل من الخلق والإبتداء فلهذا جعل سبحانه وتعالى توكيدين في الخلق وتوكيداً واحداً في البعث لأن البعث أهون عليه من الخلق من عدم وكلهما هين على الله تعالى.

الأمر الآخر لو لاحظنا ما ذكره تعالى في خلق الإنسان لتُوهّم أن الإنسان قد يكون مخلّداً في الدنيا لكن الحقيقة أن الإنسان سيموت وكثيراً ما يغفل الإنسان عن الموت وينساق وراء شهواته (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) فيعمل الإنسان عمل الخلود (ألهكم التكاثر) فأراد تعالى أن يُذكّرهم بما غفلوا عنه كما ورد في الحديث الشريف (أكثروا من ذكر هادم اللذات) ثم الآية لم ترد في سياق المنكرين للبعث فليس من الضرورة تأكيد البعث كما أكّد الموت. وقد أكّد لأطماع الناس في الخلود في الدنيا وكل المحاولات للخلود في الدنيا ستبوء بالفشل مهما حاول الناس للخلود لا يمكنهم هذا.

٣٩ - ما اللمسة البيانية في استخدام اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول والعكس في القرآن الكريم؟

TOLO (ISLAMICBOOK.WS) جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

كتاب : لمسات بيانية المؤلف : الدكتور فاضل صالح السامرائي

قسم من المفسرين يرون أحياناً في الإستعمالات القرآنية أن اسم الفاعل يكون بمعنى اسم المفعول كما في قوله تعالى (من ماء دافق) يقولون بمعنى مدفوق ، وقوله (لا عاصم اليوم من أمر الله) بمعنى لا معصوم، و (عيشة راضية) بمعنى مرضية، و (حجاباً مستوراً) بمعنى ساتراً، و (سقفاً محفوظاً) بمعنى حافظ. ومن الممكن تخريجها على صورتما الظاهرة ويبقى المعنى وليس بالضرورة أن نؤوّل كلمة دافق لمعنى مدفوق لكن يمكن ابقاؤها بصيغها ومعانيها. وقد ذكر المفسرون آراء أخرى تؤكد الإقرار على المعاني والصيغ اسم الفاعل واسم المفعول ويستقيم المعنى. المصدر قد يأتي بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول في القرآن مثل كلمة (حلق) فهي تأتي بمعنى مخلوق أحياناً. وفي قوله تعالى في سورة هود (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) تحتمل معنيين: لا عاصم إلا الراحم وهو الله، ولا معصوم إلا الناجي فقد يختلف التأويل لكن المعنى يحتمل هذه التأويلات لأن لا عاصم إلا من رحمه الله تعالى أي ليس هناك من ينجيه إلا الله الراحم وتأتي الآية بعده (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) لا تمنع كلا النفسيرين وهذا ما يُسمى من باب التوسع في المعنى.

هل يوجد اختلافات دلالية بين المشتقات و بعضها؟

أحياناً الصيغة الواحدة يمكن تخريجها على أكثر من دلالة كما في كلمة (حكيم) فقد تكون اسم مفعول مثل قتيل أو حكيم بمعنى ذو حكمة (حكيم عليم). وفي سورة يس (يس* والقرآن الحكيم) هل المقصود أنه مُحكم أو هو ينطق بالحكمة فيكون حكيم؟ يحتمل المعنى كل هذه النفسيرات.

• ٤ - ما الفروق الدلالية بين فعل (سار) و (مشي) ؟

السير غير المشي في اللغة ويقال سار القوم إذا امتد بمم السير من جهة إلى جهة معينة في الخصوص. والسير في القرآن الكريم قد يكون لغرض وفي جهة وهو إما للعظة والإعتبار أو للتجارة أو غير ذلك كما في قوله تعالى (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله) سورة القصص فالسير هنا ممتد من مدين إلى مصر وهو ليس مشياً. وقد يكون معنى السير : السير لفترة طويلة للعبرة والإتعاظ كما في قوله تعالى (قل سيروا في الأرض ثم انظروا) وقد ورد هذا المعنى للسير في الم آية قرآنية (أفلم يسيروا في الأرض) (قل سيروا في الأرض فانظروا) والسير هنا هو الإمتداد وكما قلنا يكون في القرآن الكريم إما لمسافة طويلة بغرض التجارة وإما لغرض العبرة والإتعاظ.

أما المشي فهو مجرد الإنتقال وليس بالضرورة توجّه إلى هدف محدد كما في قوله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا).

١٤ - ما اللمسة البيانية في وصف الله تعالى لإسماعيل - عليه السلام - بالحليم واسحق بالعليم؟
 (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) سورة الصافات آية ١٠١ و (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) سورة الخبر آية ٢٨ و (قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بغُلام عَلِيم) سورة الحجر آية ٥٣.

الحلم هو أن يملك الإنسان نفسه عند الغضب وهذا يظهر في علاقته مع الآخرين إذا غضب. وربنا تعالى لما ذكر اسماعيل و ذكر علاقته مع أبيه والآخرين في سورة الصافات ذكر في الآية بعدها (قال يا أبت افعل ما تؤمر) بعد أن أخبره أبوه بأنه أو حي إليه أن يذبحه وكذلك الحلم في علاقته مع أبيه في بناء البيت (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من

الميت وإسماعيل). وقد ذكر الله تعالى إسماعيل بأنه رسول نبي وأنه كان صادق الوعد كما في سورة مريم (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد في التبليغ للآخرين وفي الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد في التبليغ للآخرين وفي الرسالة. ولم يذكر تعالى مع اسحق علاقته بالآخرين في القرآن كله مطلقاً لكنه تعالى بيّن العلم فقط وهذا لا يتعلق بالعلاقة مع الآخرين إذن صفات إسماعيل التي ذُكرت في القرآن تقتضى الحلم.

والأمر الآخر أن الله تعالى لمّا يذكر صفات الأنبياء يذكر صفة بارزة لكل نبي منهم لكن هذا لا ينفي باقي الصفات عن كل نبي فإذا ذكر الحلم فلا ينفي العلم، وقد وصف تعالى إبراهيم – عليه السلام – بأنه أو اه منيب وحليم ومع هذا لم ينفي صفات الإنابة عن غيره من الأنبياء فهم جميعاً منيبون إلى رجم ويدعونه. والصفة البارزة في إسماعيل – عليه السلام – هي الحلم وقد أخذها عن أبيه إبراهيم أما صفة اسحق فهي ليست كذلك.

والأمر الآخر أنه في تبشير إبراهيم بإسماعيل جاءت البشارة مباشرة من الله تعالى كما ورد في آية سورة الصافات (فبشرناه بغلام حليم) أما في البشارة باسحق فهي جاءت على لسان الملائكة ولم تكن مباشرة من الله تعالى لإبراهيم كما في الآيتين في سورة الذاريات (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) وسورة الحجر (قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلام عَلِيمٍ).

٢ ٢ - مَا اللمسة البيانية في تكرار كلمة إله في قوله تعالى (وهو الذي في السماء إله و في الأرض إله)؟

قد يصح لغوياً القول (وهو الذي في السماء وفي الأرض إله) لكن لو جاءت هكذا في القرآن لدلت على إله في السماء (موجود في السماء)، وفي الأرض إله (إله في الأرض) وهذا الإحتمال غير مراد أصلاً في الآية لأنه سبحانه إله في السماء وإله في الأرض أيضاً. كذلك يمكن القول من ناحية اللغة (وهو الذي في السماء والأرض إله) لكن هذا يؤدي إلى أنه إله مشترك فيهم وقد تعني أنه قد يكون هناك آلهة غيره وهذا لا يكون ولا يصح لأنه سبحانه هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله حصراً لا إله غيره في السماء ولا في الأرض. (إله) في الآية هي خبر عن مبتدأ محذوف تقديره هو ؛ أي بمعنى (هو الذي في السماء هو إله) لذا كان التكرار لمقتضى المعنى المراد.

٤٣ - ما اللمسة البيانية في كلمة (عليهُ) في قوله تعالى (ومن أو فى بما عاهد عليهُ الله) في سورة الفتح؟
 (إنَّ الَّذِينَ يُبَايعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن تَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤَتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً) آية ١٠. هذه الآية في سورة الفتح جاءت في سياق الحديث عن صلح الحديبية. ولم ترد هذه الصيغة بالرفع أو بغيره في القرآن إلا في هذا الموضع.

أو لا (عليهُ) بضم الهاء هي لغة قريش وكذلك يقولون فيهُ أما سائر العرب فيقولون عليهِ وفيهِ وإليهِ وبهِ. وقد ورد هذا الأمر (أي الضم) مرتين في القرآن كله في هذا الموضع وفي سورة الكهف (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبحْرِ عَجَباً {٦٣}}) والقياس أن يقول أنسانيه بالكسر.

قوله تعالى (عليهُ الله) في سورة الفتح ليس للموضوع علاقة بكون (عليه) حرف جر لكن هناك أكثر من سبب لاختيار الضم في عليهُ أولها أن الكلام في صلح الحديبية والعهد الذي كان بينهم وبين الرسول وهو عهد على الموت فكان الضم في عليهُ يؤدي إلى تفخيم لفظ الجلالة لنفخيم العهد فأراد سبحانه أن يتسق ويتناسق تفخيم العهد مع تفخيم لفظ الجلالة بالكسرة. والأمر الثاني أن الضمة هي أثقل الحركات بالإتفاق وهذا

العهد هو أثقل العهود لأنه العهد على الموت فجاء بأثقل الحركات مع أثقل العهود.

٤٤ – لماذا تحديد ذكر ذرية إبراهيم وإسرائيل في سورة مريم مع العلم أن إسرائيل هو من ذرية إبراهيم؟ (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَقْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّنَ مِن ذُرِيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا وَاجَتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِم مِّن النَّبِيِّنَ مِن ذُرِيَّةٍ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِيَّة إِبْراهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ عَرُوا سُجَّداً وَبُكِيًا ﴿٥٨ }) هذه الآية في سورة مريم ذكر فيها الله تعالى ذرية إبراهيم وإسرائيل والصحيح أن إسرائيل هو من ذرية إبراهيم لكن ذرية إبراهيم أعم وفيها إسماعيل وذريته فهي إذن أعم وأشمل من ذرية إسرائيل الذي هو سيدنا يعقوب عليهم جميعاً وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

٥٤ - ما الفرق بين كلمتي (دارهم) و (ديارهم) من الناحية البيانية في القرآن الكريم؟

الصيحة هي أشمل وأهم من الرجفة لذا فإنها تُصيب عدداً أكبر وتبلغ أكثر من الرجفة والمعلوم أن الصوت يمتد أكثر من الرجفة ولهذا فهي تؤثر في ديار عديدة لذا جاء استخدام كلمة (ديارهم) مع الصيحة كما في الآية ٦٧ والآية من الرجفة ولهذا فهي تؤثر في ديار عديدة لذا جاء استخدام كلمة (ديارهم) مع الصيحة كما في الآية ٦٧ والآية و عن و يارهم جَاثِمينَ) (وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَيْنَا شُعْيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَا وَأَحَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) ، أما الرجفة فيكون تأثيرها في مكافحا فقط لذا جاء استخدام كلمة (دارهم) مع الرجفة كما في قوله في سورة الأعراف (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبُحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) وكذلك في قوله تعالى (فَكَذَّبُوهُ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) آية ٧٨ و ٩ ٩ (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) وكذلك في قوله تعالى (فَكَذَّبُوهُ العَذَاب بالرجفة. العنكبوت آية ٣٧ . ولم ترد في القرآن كلمة ديارهم إلا مع العذاب بالرجفة.

٤٦ – ما اللمسة البيانية في التقديم والتأخير في القرآن الكريم؟

قال تعالى في سورة الأنفال (وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَثِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {١٠}}) وفي سورة آل عمران (وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ {١٢٦}}) لماذا جاءت (قلوبكم) مقدّمة على (به) في سورة آل عمران ومتأخرة في سورة الأنفال ؟ يجب أن نرى أولاً سياق الآيات في السورتين، سياق آية آل عمران فيه ذكر لمعركة بدر وتمهيد لمعركة أحد وما أصاب المسلمون من حزن وقرح والمقام مقام مسح على القلوب وطمأنة لها (وَلاَ تَهْوُوا وَلاَ تَحْرُنُوا وَأَشُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّوْمِنِينَ {١٣٩} إِن يَمْسَسُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّنْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ ثُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الْذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {١٤٤ }) وغيرها من آيات التصبير والمواساة وخصص الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {١٤٤ }) وغيرها من آيات التصبير والمواساة وخصص البشرى هِم (بشرى لكم) وبه تعود على الإمداد السماوي لذا قدّم القلوب (قلوبكم) على (به) لأن المقام مقام البشرى هو واساة والكلام مسح على القلوب. أما في آية الأنفال قدّم (به) على (قلوبكم) لأن الكلام على الإمداد السماوي النشرى وجعلها عامة (وما جعله الله إلا بشرى). السماوي الذي هو محور آيات سورة الأنفال وكذلك لم يخصص البشرى وجعلها عامة (وما جعله الله إلا بشرى).

ومثال آخر : قوله تعالى سورة هود: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيتْ عَلَى كَنتُ عَلَى أَنْلُوْمِكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ {٢٨} }) وقوله تعالى في سورة هود أيضاً (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى عَلَى بَيْنَةً مِّن رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَرْيلُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ {٣٣ }). في الآية الأولى قدّم الرحمة على الجارّ والمجرور، والآية تنكلم عن الرحمة (فعمّيت، أنلزمكموها، وأنتم لها كارهون) كلها تعود على

الرحمة لذا اقتضى السياق تقديم الرحمة على الجارّ والمجرور. أما في الآية الثانية فالآية تتكلم عن الله تعالى (ربي، الله، منه، الضمير في عصيته) كلها تعود على الله تعالى لذا اقتضى السياق تقديم (منه) على الرحمة.

وفي القرآن الكريم أمثلة عديدة في التقديم والتأخير كما في قوله تعالى (لهم ما يشاؤون فيها) و(لهم فيها ما يشاؤون) وكذلك في قوله تعالى (ورفعنا فوقكم الطور) و(وإذ نتقنا الجبل فوقكم كأنه ظلّة)، وقوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون) و (وأنفقوا مما رزقكم الله).

ولا ينبغي الإكتفاء بالإهتمام لتفسير التقديم والتأخير في القرآن بل يجب أن يُعرف سياق الآيات ودلالتها على الإهتمام لأن السياق يقتضي هذا التقديم والتأخير يجب توضيح موطن الإهتمام.

٤٧ - ما الفرق بين الخيفة والخفية في القرآن الكريم؟

قال تعالى في سورة الأعراف (وَاذْكُر رَّبَكَ فِي تَفْسكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْل بالْغُدُوِّ وَالآصَال وَلاَ تَكُن مِّنَ الْفَافِلِينَ {٥٠٧}) وقال تعالى في سورة الأعراف أيضاً (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ تَكُن مِّن الْفَافِلِينَ {٥٠٥}). في اللغة الخفية : من الخفاء (إذ نادى ربه نداء خفيا) والخيفة من الخوف. ومعنى قوله تعالى (واذكر ربك في نفسك) أن تعلم ما تقول أي لا تذكر ربك وقلبك غافل، وتضرعاً من التضرع والخيفة وهو بمعنى التذلل والتمسكن والمسكنة والتوسل ، ودون الجهر من القول بمعنى أن تُسمع نفسك و لا ترفع صوتك، فلو ذكرت ربك بصوت غير مسموع ولكن لم تعلم ما تقول فأنت لم تذكر ربك في نفسك.

أما الخيفة : فهي إسم قد تكون مصدر للهيئة كما في الحديث (إذا قتلتم فأحسنوا القِتلة) أو هو المصدر أو الشيء الذي تجده في النفس كما يقال (الجُرح) هو مكان الشق الذي يسيل منه الدم و (الجَرح) هو المصدر، فإذا أردت الحدث تقول (جَرح) وكذلك الحِمل والحَمل، الحَمل هو المصدر والحِمل هو ما يُحمل، وكذلك الدُهن (هو الشيء) والدَهن (عملية الدهان) وكذلك (الوقود) بمعنى الحطب الذي يوضع في النار و (الوُقود) هو الإشتعال. والخيفة يجعلونها إما إسماً مثل الدُهن والجُرح وإما أن تكون الهيئة أي الشي الذي تجده في نفسك. إذن الخفية من الخوف.

44 - ما الفرق من الناحية البيانية بين فعل (حضر) و(جاء) في القرآن الكريم؟ فعل حضر والحضور في اللغة أولاً يعني الوجود وليس معناه بالضرورة الجيء إلى الشيء (يقال كنت حاضراً إذ كلّمه فلان بمعنى شاهد وموجود وهو نقيض الغياب) ويقال كنت حاضراً مجلسهم، وكنت حاضراً في السوق أي كنت مه جوداً فيها.

أما الجميء فهو الإنتقال من مكان إلى مكان، فالحضور إذن غير الجميء ولهذا نقول الله حاضر في كل مكان دليل وجوده في كل مكان يقول تعالى (فإذا جاء وعد ربي جعله دكّاء) سورة الكهف بمعنى لم يكن موجوداً وإنما جاء الأمر. وكذلك قوله تعالى (فإذا جاء أمرنا وفار التنور) سورة هود. إذن الحضور معناه الشهود ، والجميء معناه الإنتقال من مكان إلى مكان.

ما الفرق الآن من الناحية البيانية بين قوله تعالى (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّغَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمُوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً. سورة النساء {١٨}) و في سورة المائدة: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْل مِّنكُمْ أَوْ الْحَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبُتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقَسِمَانِ بِاللّهِ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبُتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقَسِمَانِ بِاللّهِ

إِنِ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ إِنّا إِذَا لَمِنَ الآثِمِينَ {١٠٦}) وقوله تعالى في سورة البقرة (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ سورة البقرة (أَمْ كُنتُمُ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {١٣٣ }) و في سورة المؤمنون (حَتَّى إِذَا جَاء آحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجَعُونِ {٩٩ }) و في سورة الأنعام (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاء آحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَقَّتُهُ رُسُلُنَا وَهُمْ

لاَ يُفَرِّطُونَ {٦١})

القرآن الكريم له خصوصيات في التعبير فهو يستعمل كلمة (بررة) للملائكة وكلمة (أبرار) للمؤمنين. وفي كلمة حضر وجاء لكل منها خصوصية أيضاً. حضور الموت يُستعمل في القرآن الكريم في الأحكام والوصايا كما في آية سورة البقرة وكأن الموت هو من جملة الشهود فالقرآن هنا لا يتحدث عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت فالكلام هو في الأحكام والوصايا (إن ترك خيراً الوصية) (ووصية يعقوب لأبنائه بعبادة الله الواحد). أما مجيء الموت في القرآن فيستعمل في الكلام عن الموت نفسه أو أحوال الناس في الموت كما في آية سورة المؤمنون يريد هذا الذي جاءه الموت أن يرجع ليعمل صالحاً في الدنيا فالكلام إذن يتعلق بالموت نفسه وأحوال الشخص الذي يموت. وكذلك في آية سورة الأنعام. ويستعمل فعل (جاء) مع غير كلمة (الموت) أيضاً كالأجل (فإذا جاء أجلهم) وسكرة الموت (وجاءت سكرة الموت) ولا يستعمل هنا (حضر الموت) لأن كما أسلفنا (حضر الموت) المحالام عن أحكام ووصايا بوجود الموت حاضراً مع الشهود أما جاء فيستعمل مع فعل الموت إذا كان المراد الكلام عن الموت وأحوال الشخص في الموت.

93 – ما إعراب كلمة العلماء في قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماءُ)؟

الله مفعول به والعلماء هم الفاعل وهم الذين يخشون ربحم وجاء بـــ (إنما) للحصر بمعنى إنما الخشية الحقيقية لله تكون من عباده العلماء لأنهم يعرفون قدرته سبحانه ومن علِم خاف (أنا أعلمكم بالله وأتقاكم له) حديث شريف. وخشية العالم ليست كخشية الجاهل.

• ٥ – لماذا جاءت كلمة ((الصابئون)) مرفوعة في الآية في سورة المائدة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٦٩})؟

قاعدة نحوية: العطف على اسم إن يجب أن يكون بالنصب ولكن قد يُعطف بالرفع وليس فيه إشكال. وكلمة الصابئون معطوف بالرفع على منصوب ليس فيها إشكال كما في قوله تعالى في سورة التوبة (وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ الْمَاسِيَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبُرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ فَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {٣}) فهي جائزة من الناحية النحوية والعطف بالرفع على عنص منصوب وارد في النحو لكن يبقى السؤال ما الحكمة في ذلك في القرآن واللغة؟ (إنّ) تفيد التوكيد وأي كلمة على غير إرادة إنّ يكون التوكيد فيها أقل فعندما قال تعالى (أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) (رسولُهُ) تعني أن براءة الرسول من المشركين ليست مستقلة وإنما هي تابعة لإرادة الله تعالى ولبراءته سبحانه منهم، إذن الرسول يبرأ منه الله تعالى فبراءة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إذن لا توازي براءة الله تعالى من المشركين. وكلمة تعالى فبراءة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إذن لا توازي براءة الله تعالى من المشركين. وكلمة

رسولُه بالرفع في الآية تعني ورسولُه كذلك (الواو هنا واو العطف) وبعض النحاة يعتبرها اعتراضية على حمل إسم إنّ قبل أن تدخل عليه إن، و في كل الحالات فهي تفيد أنها أقلّ توكيداً.

وفي آية سورة المائدة (إنّ) تفيد التوكيد عندما تذكر أمر مرفوع بمعنى أنه ليس على إرادة التوكيد (الصابئون) ليست على إرادة التوكيد بإنّ. و(الصابئون) معناها غير مؤكد وعلى غير إرادة إنّ، ولو أراد إنّ لنصب كلمة (الصابئون). إذن لماذا لم ينصب (الصابئون)؟ لأن من بين للذكورين في الآية (الصابئون) هم أبعلهم عن الإيمان. إذن فلماذا قدّمهم على النصارى؟ ليس بالضرورة أن يكون التقديم للأفضل ولكن النقديم هنا لمقتضى السياق. فالسياق في سورة المائدة هو ذمّ عقائد النصارى وألهم كفروا بالله الواحد وجعلوا له شركاء (لقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ هُوَا أَنْ مَنْ يُشْرِكُ باللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ {٧٦} لَقَدْ كَفَرَ اللّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثُةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهَ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَرَا أُولُهُ النَّالُة عَلَى الْجَنَّةُ وَمَا يَشُولُونَ لَيمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {٧٣}) ولهذا قدّم الصابئون على النصارى لكن رفعها للدلالة على ألهم (الصابئون) أبعد المذكورين في الصلال ولألهم أقل منزلة، وكأن النصارى أشد حالاً من الصابئين لكن بما ألهم أهل كتاب عطفهم على إسم إنّ بالنصب. وكلمة (الصابئون) ثعرب على ألها مبتدأ وقد تكون اعتراضية وخبرها محذوف بمعنى (والصابئون كذلك) ، أما كلمة (النصارى) فهي معطوفة على ما قبلها.

لماذا إذن في سورة الحج (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْء شَهِيدٌ {١٧} }) قال (الصابئين) منصوبة وقدمهم على النصارى؟ السياق في سورة الحج موقف قضاء والله تعالى لا يجوز أن يفصل بين المتخاصمين (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ولا يمكن له سبحانه أن يُفرّق بينهم ما داموا في طور الفصل (لذا جاءت الأسماء كلها منصوبة بإنّ) فالمتخاصمين إذن يجب أن يكونوا سواء أمام القاضي.

والعجيب في هذا قوله تعالى (إن الله يفصل بينكم) وفي آية أخرى في سورة السجدة (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) لأنه هنا ربنا سبحانه وتعالى جعل الذين آمنوا من جملة المتخاصمين فلم يقل (ربك) حتى لا ينحاز للمؤمنين وإنما جاء بالاسم الأعمّ وهو (الله). وفي آية سورة السجدة جاء قبلها (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكَتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبني إِسْرَائِيلَ {٢٣} وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَتِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِ نَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بَآيَاتِنَا يُوقِنُونَ {٢٤}) ليس فيهم جماعة من جماعة المؤمنين والإختيار هنا ليس للقضاء فقط وإنما هناك أمر آخر وهو السمة اللفظية، فكلمة (ربك) وردت في سورة الحج ثلاث مرات ووردت في السجدة عشر مرات، وكلمة (الله) وردت لا سورة الحج ومرة واحدة في سورة السجدة لذا اقتضى أن يأتي بكلمة (ربك) في سورة السجدة وكلمة (الله) في سورة الحج.

حتى أنه في آية سورة الحج لم يأت بــ (هو) (إن الله يفصل بينكم) وجاء بها في آية سورة السجدة (إن ربك هو يفصل بينهم) لأن خاتمة آية سورة السجدة (فيما كانوا فيه يختلفون) وخاتمة آية سورة الحج (إن الله على كل سيء شهيد) والإختلاف هو مظنّة الفصل لذا جاء بــ (هو) في آية سورة السجدة ولا يوجد اختلاف في آية سورة الحج. والنقديم في القرآن الكريم وفي اللغة لا يفيد التفضيل دائماً كما في قوله تعالى في سورة الحج (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن

دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقِّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّسَ بَعْضَهُم بَبَعْضِ لَهُدَّمَتْ صَوَاهِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَينصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ { • } }) (مساجد) هي أفضل المذكور في الآية لكن أحياناً يُقدّم ما هو أقل تفضيلاً لأن سياق الآيات يقتضي ذلك، وكذلك نرى في ذكر موسى وهارون في القرآن فأحياناً يُقدّم موسى على هارون وأحياناً هارون على موسى وهذا يكون بحسب سياق الآيات. • • ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة (لله) بدل (الله) في قوله تعالى (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ { ٨٧ }) في الجواب على الآية في سورة المؤمنون(قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ { ٨٨ })؟ وفي آية أخرى في سورة الرعد جاءت الآيات (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ اللّهُ قُلْ الْفَلَّمَاتُ وَالتُورُ أَمْ جَعَلُواْ وَلِي اللهُ قُلْ الْفَلَمَاتُ وَالتُورُ أَمْ جَعَلُواْ لِللهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ { ٢٦ }).

من حيث اللغة لو سألنا من صاحب هذه الدار؟ يكون الجواب لفلان أو فلان. فهي من حيث اللغة جائزة أن نقول الله أو لله. أما لماذا اختار الله تعالى (الله) مرة و (لله) مرة؟ لأن السياق في آية المؤمنون كان في السؤال عن الملكية (قُل لَمْنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {٨٤} سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) وقوله في نفس السورة أيضاً (قُلْ مَن بيّدهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْء وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {٨٨} سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ {٨٩}) بيّدهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْء وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {٨٨} سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ {٨٩}) إذن السؤال عن الملكية فيكون الجواب (لله) ولأن السياق كله في الملكية جاء بلام الملكية.

أما في آية سورة الرعد (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرَّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلَقِهِ نَفْعاً وَلاَ ضَرَّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الظَّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلَقَهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْء وَهُو الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {١٦٦ }). فالسياق في مقام التوحيد وليس في مقام الملكية وإنما عن الذات الواحدة لذا جاء الجواب (الله).

٧٥ – مَا دلالة كلمة (أنرَل) في قوله تعالى (خَلَقَكُم مِّن نَفْسِ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَفْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَى تُصْرَفُونَ { }})؟

(أنزل) في هذه الآية بمعنى خلق.

٣٥ - ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة (إناثاً) منكّرة ومقدمة على كلمة (الذكور) في سورة الشورى؟

قال تعالى في سورة الشورى (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ { ٥ }). سورة الشورى عموماً هي الذُّكُورَ { ٩ } } أَوْ يُزُوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ { ٥ \$ }). سورة الشورى عموماً هي في مستكرهات الأمور أي فيما يشاؤه الله تعالى لا ما يشاؤه الإنسان (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُصِيبةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ { ٣٠ }) وقوله تعالى: (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ { ٣٤ }) وكذلك قوله تعالى: (فَإِنَّ فَيْكُ أَوْنَ الْإِنسَانَ مَنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةً وَاللهُ عَرْضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ { ٨ } }) (فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٌ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى بَمَا قَدَمُ مَن شَيْءٌ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى بَمَا قَدَى رَبِّهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ { ٨ ٤ }) (فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٌ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى بَمَا قَدَل وَعَلَى وَهُ له تعالى (وإذا لللهِ بَالْذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتُوكَكُلُونَ { ٣٦٤ }). وعند العرب الإناث مما يشتهون). إذن تنكير الإناث وتقديمهم على الذكور بشر أحدهم بالأنثى) وقوله تعالى (ويجعلون الله البنات ولهم ما يشتهون). إذن تنكير الإناث وتقديمهم على الذكور جاء للأسباب التالية:

١ - الله سبحانه يهب ما يشاء هو لا ما يشاء الناس

٢ – التقديم فيه أمر آخر وهو أن الإحسان إليهن ستر من النار

٣ - التقديم له دلالة أخرى وهي أن الإناث ألصق بالأبّ من الذكور، فالذكر تنتهي رعايته عند البلوغ إنما البنت
 فلابد من وجود قيّم عليها من الذكور (أبوها أو أخوها هي في بيت أهلها ثم زوجها بعد أن تتزوج)

٤ – تعريف الذكور تنكير الإناث: هناك قاعدة عامة عند العرب سجّلها أهل اللغة مفادها أن العرب لا يذكرون أسماء الإناث وينكّرونها عن التحدث فنسأل (كيف الأهل؟ ولا نقول كيف أختك فلانة أو ابنتك فلانة) أي لا يُصرّح باسم الإناث ، لأن العرب يصونون بناهم وإناثهم عن الذكر بخلاف الذكور حتى في الغرب ينسبون المرأة إلى زوجها.

والذكور من المعارف وإناث من التنكير (جاري بحسب طبيعة العرب صوناً للإناث) وليس من باب الحظوة أو تفضيل الذكور على الإنسان كما يفهمها البعض. وقد قال الشاعر:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب وما التذكير فخرٌ للهلال.

أما استخدام كلمة (ذكرانا) في قوله تعالى (أو يزوجهم ذكراناً وإناثا) كما في قوله تعالى (أتأتون الذكران من العالمين) فهي تفيد التخصيص وكلمة (الذكور) هي أعمّ وأشمل.

20 - ما اللمسة البيانية في استخدام فعل (سُيَّرت) وفعل (نُسفت) في وصف الجبال في القرآن الكريم؟ قال تعالى في سورة التكوير (وَإِذَا الْجَبَالُ سُيِّرَتْ {٣}) وقال في سورة المرسلات (وَإِذَا الْجَبَالُ نُسفَتْ {١٠}) وقال أي سورة المرسلات (وَإِذَا الْجَبَالُ نُسفَتْ {١٠}) والفرق بين النسف والتسيير أن النسف قد يكون له معنيان إما الإقتلاع والإزالة وإما التذرية في الهواء كما جاء في قصة السامري في سورة طه (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنسفنَةُ فِي الْمَ نَسْقاً {٩٧}). والنسف والتسيير هي مشاهد من مشاهد يوم القيامة فتكون الجبال كالعهن المنفوش ثم مشاهد يوم القيامة فتكون الجبال كالعهن المنفوش ثم يأتى النسف والتذرية في النهاية.

٥٥ – ما دلالة كلمة (الأيمن) في قوله تعالى في سورة مريم (وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانب الطُّور الْأَيْمَن وَقَرَّبْنَاهُ نَجيّاً {٥٦}؟

الأيمن في هذه الآية هي صفة للجانب وليس للطور أي معرّفة بالإضافة ويدل على ذلك قوله تعالى (وواعدناه جانب الطور).

٦٥ – ما دلالة (إلا) في قوله تعالى في سورة المؤمنون (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ
 عَمَّا يَصِفُونَ {٢٢})؟

(إلا) هنا بمعنى غير وهي ليست "إلا الإستثنائية" وإنما هي صفة بمعنى غير.

٧٥ – ما دلالة كلمة (أهلك) في قوله تعالى في سورة هود (حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّتُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ {٤٠})؟

(أهلك) هنا اسم أو فعل؟ الحكم القاطع هو اسم بمعنى الأهل وهناك مَر جحات وهناك ما يقطع مبدئياً من الترجيح فالآية تشير أن الهلاك لم يحصل بعد لأنهم لم يركبوا. فالركوب لم يحصل ولم يحصل الهلاك فلا يصح أن تعتبر كلمة (أهلك) بمعنى الإهلاك. والأمر الآخر أنه لو كان (أهلك) فعل بمعنى الهلاك عادة يكون الإستثناء مفرّقاً والإستثناء

المفرّق لا يكون إلا مسبوقاً بنفي أو ما يشبه النفي. (وأهلك إلا من سبق عليه القول) مفرّق وليس مسبوقاً بنفي وهذا ما يُضعّف أن يكون أهلك بمعنى فعل الإهلاك.

أما الآية (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنَا وَوَحْيَنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكُ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّعْرَقُونَ {٢٧}}) في سورة المؤمنون فالضمير يعود على الأهل إذن نستدل من هذه الآية أن القصود هو الأهل وليس فعل الإهلاك وهذه كلها مرجّحات. أما ما يقطع بأن المقصود هم الأهل فهو أنه لو كان (أهلك) فعل ماضي سيكون الناجون قسمين الأول (من سبق عليه القول) والثاني (من آمن) إذن من سبق عليه القول غير من آمن ، إذن فالناجون اثنين : المؤمنون ومن سبق عليه القول وهؤ لاء ليسوا مؤمنين لكن في الواقع أن الناجين هم المؤمنون فقط لذا فلا يمكن ولا يصح أن تكون النجاة لغير المؤمنين.

وهناك سؤال فني آخر: استدللنا بما في سورة المؤمنون (وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم) وفي آية سورة هود لم ترد (منهم). وقد سبق القول عليه بالهلاك والعذاب. المقصود بقوله تعالى (الجيء على) تعني العذاب كما في قوله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا) اللام تفيد الخير. والأهل هم من المؤمنين من آمن منهم ومن آمن من غير الأهل هم الناجون.

ولماذا قال تعالى في آية هود (احمل) (حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّتُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ { • \$ }) و في سورة المؤمنون (فاسلك) (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بَأَعْيُننَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّتُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ الْفُلْكَ بَأَعْيُننَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّتُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي اللَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُعْرَقُونَ { ٢٧ }) فما المقصود بالسلوك؟ سلك هو النفاذ في الطريق كما قال تعالى (فاسلكي سبل ربك) سورة النحل وقد يأتي فيها معنى الدخول (ما سلككم في سقر) أما الحمل فيكون بعد السلوك أولاً يدخل السفينة ثم يحمل بعد دخوله. في سورة هود ذكر ما دلّ على الحمل لأن الحمل جاري في السفينة — حمل السفينة للأشخاص — (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) (وهي تجري بهم) بمعنى تحملهم السفينة – حمل السفينة للأشخاص — (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) (وهي تجري بهم) بمعنى تحملهم أن لي منز لاً مباركاً وأنت خير المنزلين).

والقول (من سبق عليه القول) أعمّ من القول (من سبق عليه القول منهم) فسورة هود مبنية على العموم وليس على الخصوص (إلا من سبق عليه القول ومن آمن) فلم يذكر تعالى من آمن أي هي أعمّ، وكذلك الآيات (قلنا اهمل فيها من كل زوجين اثنين) (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) (يا أرض ابلعي ماءك) (بُعداً للقوم الظالمين) (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم) أما في سورة المؤمنون فالسياق في التخصيص فذكر تعالى السلام والبركات في سورة هود وهذا دليل العموم، وفي سورة المؤمنون لم يذكر السلام والبركات وإنما خصص كما في الآية (أنزلني منزلاً مباركاً)، ولهذا ذكر (منهم) و(اسلك) في سورة المؤمنون ولم يذكر هما في سورة هود.

٨٥ – ما دلالة كلمة (ظنّ) في قوله تعالى في سورة يوسف (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ

الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبثَ فِي السِّجْن بضْعَ سِنينَ {٢ } })؟

الظنّ هو أعلى درجات العلم وهو الشعور في الذهن الذي يصل إلى أعلى درجات العلم ؛ وهذا الظنّ الذي يصل إلى درجة التوكيد كما قال تعالى في سورة الحاقّة (إنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقَ حِسَابِيهْ {٠٧}) وكذلك في قوله تعالى في سورة البقرة (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتُ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ }.

9 - ما دلالة كلمة (نَمَر) بفتح الهاء وكلمة (مقتدر) في قوله تعالى في سورة القمر (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ {£٥}فِي مَقْعَدِ صِدْق عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِر {٥٥})؟

(النهَر) بالفتح : هي من السعة في العيش والرزق وما تقتضيه السعادة وهي من الضياء ومقتطعة من كلمة (هَار) لأن الجنّة ليس فيها ظلمة و لا ليل. و (هُر) بمعنى مجرى الماء (فيها أهار من ماء) و (تجري من تحتها الأهار). وفي قوله تعالى (في جنّات وهُر) بمعنى ألهار وسعة وضياء وهذا ما يسمى التوسع بالمعنى وفي قوله تعالى في سورة محمد (هَ أَن اللهُ ال

و في قوله تعالى في سورة محمد (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنِ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنِ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن حَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفَّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الشَّمَرَاتِ وَمَعْفِرَةٌ مِّن رَّبُهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ {٥١}}) لم ترد كلمة (تجري) للأنهار لأن الماء الآسن لا يكون إلا بركود الماء فلم يتطلب السياق ذكر كلمة (تجري) ، أما في قوله تعالى (تجري من تحتها الأنهار) لم يكن هناك من داع لتحديد (غير آسن) لأنه جاء وصف الأنهار بالجريان الأمر الذي لا يؤدي إلى أن تأسن الماء.

أما قوله تعالى (في مقعد صدق) هذه هي الآية الوحيدة في القرآن الكريم كله التي وردت في وصف الجنة بهذا التعبير (في مقعد صدق). ودلالة (مقعد صدق) أن المقاعد الأخرى كلها كاذبة وهذا هو المقام الوحيد الصدق لأنها : إما أن تزول بزوال القعيد أو الملك وهذا المقعد الوحيد الذي لا يزول ، وقد يأتي الصدق في معنى الجودة فيقال : نسيج صدق بمعنى مقعد الخير و لا أفضل منه.

فما هي دلالة كلمة (مقعد) ولماذا لم يستعمل كلمة (مقام)؟ لأن الأكرم هو القعود وهو يدل على الانتهاء من القيام والراحة ، وقد ورد في القرآن الكريم (مقام آمين) كلها ذكر مقام الربّ يذكر الخوف (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فكلمة (مقام) تعني معه الخوف، فمن خاف المقام يؤمن كما أنهم خافوا مقام رهم في الدنيا أمّنهم في الآخرة (في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر).

واستعمل كلمة (مليك) من الملك وهو الحكم ولم يقل مالك من التملك والملك ليس مالكاً. الله تعالى جمع لنفسه التملك والملك (قل اللهم مالك الملك). الفرق بين مليك وملك: هذه الآية الوحيدة التي وردت فيها كلمة (مليك) ، في القرآن الملك على صيغة فعل ، أما (مليك) على صفة فعيل. وصيغة فعل تختلف عن صيغة فعيل بالدلالة فصيغة فعل تدل على الأعواض وتدل على الأشياء الطارئة مثال: صبرة، رجل غمَش، أما فعيل فتدل على الثبوت مثل جميل وصغير وقصير وهي صفة مشبهة أي صفات ثابتة أو تدل على التحول إلى الثبوت فلا يُسمّى الخطيب خطيباً من أول خطبة بل بعد عدة خطب. كما يقال فَقِه المسألة فهو فقِه ويقال فَقُه الرجل أي صار فقيهاً، وكذلك نقول عَسَر الأمر فهو عسر ؛ وعسر الأمر فهو عسير. وبما أن المقعد في الآية (في مقعد صدق) ورد في مقام الإستمرارية وجب قول مليك مقتدر (عند مليك مقتدر)

واستخدام كلمة مقتدر تفيد المبالغة في القدرة وتماشت مع سياق الآية لأنها تشمل مبالغة في الوصف والجزاء

والطاعة والأجر والسعة ولذا اقتضى المبالغة في القدرة.

ما دلالة كلمة (ميسرة) في قوله تعالى في سورة البقرة (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {٢٨٠})؟

اليسار: هو الغنى المؤقت؛ كالفقير إذا جاءه مال فعليه أن يؤدي دينه وهذا يفسّر أن يُنظر المعسر حتى يزول عذره. وقد يكون الفقير موسراً بين ساعة وساعة ولا يصبح غنياً بين ساعة وساعة وقولنا ذو سعة بمعنى موسّع عليه. • ٦ - ما الفرق من الناحية البيانية بين (جاءهم اليّنات) و (جاءهم البّيّنات) في القرآن الكريم؟

هناك حكم نحوي مفاده أنه يجوز أن يأتي الفعل مذكراً والفاعل مؤنثاً. وكلمة (البيّنات) ليست مؤنث حقيقي لذا يجوز تذكيرها وتأنيثها. والسؤال ليس عن جواز تذكير وتأنيث (البيّنات) لأن هذا جائز كما قلنا لكن السؤال لماذا جاء بالاستعمال فعل المذكر (جاءهم البيّنات) مع العلم أنه استعملت في غير مكان بالمؤنث (جاءهم البيّنات)؟

جاءهم البينات بالتأنيث: يؤنّث الفعل مع البينات إذا كانت الآيات تدلّ على النبوءات فأينما وقعت بهذا المعنى يأتي الفعل مؤنثاً كما في قوله تعالى في سورة البقرة (فَإن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيّناتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ الفعل مؤنثاً كما في قوله تعالى في سورة البقرة (فَإن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيّناتُ بَعْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ النّبينَ بَيْنُ النّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيّناتُ بَعْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣}) و (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ مَّنْهُم مَّن كُلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيّناتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحٍ الْقُدُسِ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ مَّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيّناتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحٍ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿ ٢٥٣ })، وقوله في سورة النساء (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنزِّلُ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿ ٢٥٣ })، وقوله في سورة النساء (يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنزِّلُ وَلَوْ مُن عَذَلُواْ اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذُتُهُمُ السَّمَاء فَقَدُ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبُرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرْنَا اللّهِ جَهْرَةً فَآخَدُتُهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ النَّكِي الْمَانَا مُّسِيناً {١٥٣ اللّهِ عَهْرَةً فَآخَونَهُمُ الْمَيْنَاتُ فَعَفُونَا عَن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرْنَا اللّهِ جَهْرَةً فَاخَدُتُهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ النَّعَادُ مُوسَى أَكُونَ أَلَى اللّهِ عَهْرَةً فَالُوا أَوْلَا لَهُ مُن السَّمَاء فَقَالُوا أَنَّ مُن اللّهَ عَنْ فَلَالُوا عَن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرْنَا اللّهِ جَهْرَةً فَا عَن ذَلِكَ فَقَالُوا أَوْلَ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَنْهُمُ أَلُوا اللّهَ عَنْ فَلَا عَن ذَلِكَ وَلَيْنَا اللّهُ وَلَا اللّهُ الْمَانَا مُّهَا عُنْ الْمَاعِنَا عَلْهُ الْ

أما (جاءهم البيّنات) بالتذكير: فالبيّنات هنا تأتي بمعنى الأمر والنهي وحيثما وردت كلمة (البيّنات) بهذا المعنى من الأمر والنهي يُذكّر الفعل كما في قوله تعالى في سورة آل عمران (كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهلُواْ أَنَ الرَّسُولَ حَقِّ وَجَاءهُمُ الْيَّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {٨٦}) و (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {٨٦}) و (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {٥٠١}) وفي سورة غافر (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لَمَّا جَاءنَى الْبَيِّنَاتُ مِن رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {٦٦}).

٦١ - ما الفرق بين كلمة ريح ورياح في القرآن الكريم؟

كلمة ريح في القرآن الكريم تستعمل للشّر كما في قوله تعالى في سورة آل عمران (مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرُّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَفْسَهُمْ يَظْلِمُونَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابُتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهُمْ كَنْهُ وَمَا ظَلَمَهُمْ اللّهُ وَلَكِنْ أَفْسَهُمْ يَظْلِمُونَ {١٦٨}) وفي سورة القمر (إنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمٍ نَحْسٍ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ {١٦}) وفي سورة القمر (إنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍ {١٩}) وسورة الحَجّ (حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْركِينَ بهِ وَمَن يُشْركُ باللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ

تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ {٣١}) وسورة الإسراء (أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَّكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيح فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِلُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً {٦٩}).

أما كلمة الرياح فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات كما في قوله تعالى في سورة البقرة (إِنَّ فِي خُلقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْيِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّبِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَةٍ وَتَصْرِيفِ الرَّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضَ لآيَاتٍ لِّقَوْم يَعْقِلُونَ { \$17 }) وفي سورة الأعراف (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى وَالأَرْضَ لآيَاتٍ لِقَوْم يَعْقِلُونَ { \$17 }) وفي سورة الأعراف (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الشَّمَاء مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِحَازِنِينَ لَذَكَّرُونَ { \$20 }) وسورة الحجر (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَن رِّرْق فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِحَازِنِينَ لَلْكُونَ { \$20 }) وسورة الحجر (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَن رِّرْق فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْم يَعْقِلُونَ { \$6 }) وسورة النمل (أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبُحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ وَقَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ وَقَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهُ مَّ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ { \$77 }).

و في سورة سبأ (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُلُوُهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ {١٢}) استعملت كلمة (ريح) مع سليمان لكنها لم تُخصص لشيء فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر لأن الله سخّرها لسليمان يتصرف بما كيف يشاء.

٦٢ – ما الفرق بين (ثُمّ) و(ثُمّ) في القرآن الكريم؟

ثُمَّ بضمَّ الثاء هي حرف عطف تفيد الترتيب والتراخي كما في قوله تعالى في سورة البقرة (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْييكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {٢٨}) وسورة الكهف (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابِ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً {٣٧}).

أما (ثُمّ) بفتح الثاء فهي إسم ظرَف بمعنى هناك كما في قوله تعالى في سورة الشعراء (وَأَزْلَفْنَا ثُمَّ الْآخرِينَ {٦٤}). ٦٣ – ما اللمسة البيانية في تذكير كلمة شفاعة مرة وتأنيثها مرة أخرى في سورة البقرة؟

قال تعالى في سورة البقرة (وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ {٤٨}) وقال في نفس السورة (وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي تَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ {١٢٣}) جاءت الآية الأولى بتذكير فعل (يقبل) مع (الشفاعة) بينما جاء الفعل (تنفعها) مؤنثاً مع كلمة " الشفاعة " نفسها. الحقيقة أن الفعل (يقبل) لم يُذكّر مع الشفاعة إلا في الآية (٤٨) من سورة البقرة وهنا المقصود ألها جاءت لمن سيشفع بمعنى أنه لن يُقبل ممن سيشفع أو من ذي الشفاعة. أما في الآية الثانية فالمقصود الشفاعة نفسها لن تنفع وليس الكلام عن الشفيع. وقد وردت كلمة الشفاعة مع الفعل المؤنث في القرآن الكريم في آيات أخرى منها في سورة يس (أَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرِّ لاَّ تُغْنِ عَنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى {٢٣}) وسورة النجم (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى {٢٦}).

و في لغة العرب يجوز تذكير وتأنيث الفعل فإذا كان المعنى مؤنّث يستعمل الفعل مؤنثاً وإذا كان المعنى مذكّراً يُستعمل الفعل مذكّراً، والأمثلة في القرآن كثيرة منها قوله تعالى في سورة الأنعام (قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْض ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ {11}} وسورة يونس (فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا اللَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ {٧٣}) المقصود بالعاقبة هنا محل العذاب فجاء الفعل مذكراً، النافي قوله تعالى في سورة الأنعام (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {١٣٥}) سورة القصص (وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاء بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {٣٧}) فجاء الفعل مؤنثاً لأن المقصود هو الجنّة نفسها.

٢٤ - ما اللمسة البيانية في استخدام (الذي) مرة ومرة (التي) مع عذاب النار؟

في سورة السجدة (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيلُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ {٢٠}) الخطاب في السورة موجّه للفاسقين و(الذي) يشير إلى العذاب نفسه. أما في سورة سبأ (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ نَفْعًا وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُتُم أَما في سورة سبأ (فَالْيُومُ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضِ نَفْعًا وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُتُم بَهَا تُكَذِّبُونَ {٢٤ } فَالحَطاب في هذه السورة موجّه إلى الكافرين و(التي) مقصود بما النار نفسها. فالفاسق يمكن أن يكون مؤمناً ويمكن أن يكون كافراً فهو لا يُكذّب بالنار إنما يُكذّب بالعذاب أما الكافرون فهم يُكذّبون بالنار أصلاً ولا ينكرون العذاب فقط وإنما يُنكرون النار أصلاً.

٥٦ – ما اللمسة البيانية في كلمة (ويتّقهِ) بتسكين القاف؟

في سورة النور (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْقَائِزُونَ {٢٥}) جاءت كلمة (وَيَتَقْهِ) بتسكين القاف والقياس أنه يجب أن تكون بالكسرة (ويتقِهِ) فالتسكين يخفف القاف فلماذا؟ لا نجد في القرآن الكريم فعل بالمواصفات الآتية:

فعل متصل بضمير الغيبة (الهاء) فيه حركة + حرف مكسور + ضمير الغيبة (الهاء) مكسور. وإنما جاء ت الأفعال التالية في القرآن (نحشُرُه) بالضمّ، و(قتلَهُ) بالفتح، و(نُصلِه) بالكسر، و(اقتدِه). وجاءت كلمة (وَيَتَّقُهِ) بالتسكين لتخفيفها وتخفيف النطق بها بدل القول (يتّقِهِ) لأنه لم يرد في القرآن فعل بهذه الحركات مجتمعة.

٦٦ - ما الفرق بين كلمتي (سنبلات) و(سنابل) في القرآن الكريم وكلاهما جمع؟

سنابل جمع كثرة وقد استخدمت هذه الكلمة في سورة البقرة (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَييلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّنَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {٢٦١}}) والحديث في السورة عن مضاعفة ثواب المنفق في سييل الله لذا ناسب السياق أن يُؤتى بجمع الكثرة (سنابل) أما كلمة سنبلات كما وردت في سورة بو سف روقال الْمَلكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَات سَمَان بَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عجَافٌ

أما كلمة سنبلات كما وردت في سورة يوسف (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانِ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلاُّ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّوْيَا تَعْبُرُونَ {٤٣}})، فهي تدلّ على جمع قَلّة والسياق في سورة يوسف في المنام وما رآه الملك فناسب أن يُؤتى بجمع القلة (سنبلات).

٦٧ - ما دلالة القسم بحرف التاء في القرآن الكريم؟

التاء حرف قسم مثل الواو لكن التاء تكون مختصّة بلفظ الجلالة (الله) وتستعمل للتعظيم وقد وردت في القرآن الكريم خمس مرات ثلاثة في سورة يوسف (قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ {٧٣} قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ {٨٥} قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ {٩١}} ومرتين في سورة النحل (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَقْتَرُونَ {٩٦} تَفْتَرُونَ {٣٥} تَقْتَرُونَ {٣٥} تَقْتَرُونَ {٣٦}}. أما الواو فهي عادة تستخدم مع غير لفظ الجلالة مثل الفجر والضحى والليل والشمس وغيرها مما يقسم الله تعالى به في القرآن الكريم. والتاء في أصلها اللغوي مُبدلةٌ من الواو.

٦٨ – ما دلالة كلمة (الحيوان) في التعبير عن الدار الآخرة في سورة العنكبوت؟

قال تعالى في سورة العنكبوت (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوْ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ {٦٤}). الحيوان: مصدر على وزن فعلان مثل غثيان وفيضان ودوران وغليان. والحيوان: صيغة في المصادر تدلّ على الحركة المستمرة والحلوث وهي أعلى أنواع الحياة الأن من أهم صفات الحياة الحركة ، فالحياة الدنيا عبارة عن نوم وسُبات بالنسبة للآخرة وهي ليست حياة إذا ما قورنت بالآخرة من حيث الحركة المستمرة ، والآخرة كلها حركة وفيها سعي وتفكر وانتقال وليس فيها نوم. ولو استعملت كلمة الحياة لدلّت على التقلب فقط ولم تدل على الحركة والحدوث فناسب استعمال كلمة الحيوان مع الحركة والحلوث الذي يكون في الآخرة.

79 – لماذا استعملت (من) مع الجنات في القرآن كله (جنات تجري من تحتها الألهار) إلا في آية سورة التوبة جاءت جنات بدون (من)؟

قال تعالى في سورة التوبة (والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِاحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ { . • • • } }). ومعنى (جنات تجري تحتها الأنهار) دلالة على أن بداية الجريان ليس من تحتها وهي منزلة أقل لأن هذه الآية جاءت في ذكر السابقون الأولون ولم يُذكر معهم الأنبياء أبداً ، وقد جاءت على هذه الصيغة في آية واحدة فقط في القرآن كله وهي هذه الآية في سورة التوبة. أما في باقي الآيات التي وردت فيها (جنات تجري من تحتها الأنهار) فالمؤمنون ذُكروا مع الأنبياء أبياء هذه الجنات وهذه منزلة أكبر لأن بين أهل هذه الجنات أنبياء الله تعالى وهم الأعلى منزلة.

٧٠ ما دلالة كلمة يوم في قوله تعالى في سورة المعارج (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة {٤}
 ؟؟؟

مقدار يوم القيامة كما في الآية هو خمسين ألف سنة حسب ما جاء في كتب التفسير وهذا اليوم يُخفف على المؤمن حتى يكون بمقدار صلاة مكتوبة.

٧١ - ما دلالة كلمة (قلب) في القرآن الكريم؟

القلب عند بعض المفسرين هو العقل وقسم قال ليس العقل بدليل قوله تعالى (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور). وقد استعمل الله تعالى كلمتي العقل والحجر في القرآن الكريم، لكن ليس القصود بالقلب المضغة الموجودة في الصدر إنما المقصود أمر آخر أمر روحي بدليل أن القلب هو أمر روحاني غيبي. العقل يأخذ حُكماً ولا يعمل به فإيمان العقل بارد أحياناً أما القلب فهو الذي يحمل الإنسان على العمل بما يؤمن به والقلب من هذه الناحية أهم .

٧٧ – ما اللمسة البيانية في استخدام المفرد مرة والجمع مرة أخرى في الآية (إِلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً {٢٣ }}؟ آية سورة الجن (إِلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً {٢٣}) (من) لها لفظ ومعنى ويُعبّر عنها بالواحد أو الجمع، يقال جاء من حضر (اللفظ مفرد مذكر وحقيقتها مفرد أو مثنى أو جمع)

هناك قاعدة نحوية تقول: في كلام العرب يراعى المفرد أو لا ثم الجمع كما في قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا ... وما هم بمؤمنين) وقوله (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا) وقوله (ألا في الفتنة سقطوا) وليس غريباً هذا الإستخدام في اللغة.

(من) في اللغة تستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وعادة نبدأ لفظها أولاً على حالة الإفراد والتذكير ثم نحملها على معناها وهذا هو الأفصح عند العرب. كما في قوله تعالى (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً) نأتي بالإفراد والتذكير أولاً ثم يؤتى بما يدل على المعنى من تأنيث أو جمع أو تثنية.

وقد جاء في القرآن الكريم استخدام (خالداً) كما في سورة النساء (وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُلُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيها وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ {١٤} }) وفي سورة التوبة (أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيها ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ {٦٣} }) وجاءت في سورة الجن (خالدين) والسبب أن الله تعالى لم يقل (خالدين فيها ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ {٦٣ }) وجاءت في سورة الجن (خالدين) والسبب أن الله تعالى لم يقل (خالدين فيها) في الجنة فيقول دائماً خالدين فيها. ولأن الله تعالى أراد أن يُعذّب أهل النار وبالوحدة لأن الوحدة هي بحد ذاها عذاب أيضاً بينما في الجنّة هناك اجتماع (خالدين، متكئين، ينظوون، يُسقون).

٧٣ - ما سبب التذكير مرة والتأنيث مرة مع (الملائكة) في القرآن الكريم؟

قال تعالى في سورة ص (فَسَجَدَ الْمَلَاثِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ {٧٣}) وجاءت الملائكة هنا بالتذكير، وفي سورة آل عمر ان (فَنَادَتُهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُنشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبيًا مِّنَ الصَّالِحِينَ {٣٩}) جاءت لللاتكة بالتأنيث.

الحكم النحوي: يمكن أن يؤنّث الفعل أو يُذكّر إذا كان الجمع جمع تكسير كما في قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا) و (قالت نسوة في المدينة) فيجوز التذكير والتأنيث من حيث الحكم النحوي.

اللمسة البيانية: أما لماذا اختار الله تعالى التأنيث في موطن والتذكير في موطن آخر فهو لأن في الآيات خطوط تعييرية هي التي تحدد تأنيث وتذكير الفعل مع لللائكة. وهذه الخطوط هي:

- 1. في القرآن الكريم كله كل فعل أمر يصدر إلى الملائكة يكون بالتذكير (اسجدوا، أنبئوني، فقعوا له ساجدين)
- ٢. كل فعل يقع بعد ذكر الملائكة يأتي بالتذكير أيضاً كما في قوله تعالى (و لللائكة يدخلون عليهم من كل باب)
 و (الملائكة يشهدون) (لللائكة يسبحون بحمد ربهم)
- ٣. كل وصف إسمى للملائكة يأتي بالتذكير (الملائكة المقرّبون) (الملائكة باسطوا أيديهم) (مسوّمين، مردفين، منزلين)
 - كل فعل عبادة يأتي بالتذكير (فسجد الملائكة كلهم أجمعين) (لا يعصون الله ما أمرهم) لأن المذكر في العبادة أكمل من عبادة الأنتى و لذلك جاء الرسل كلهم رجالاً.
- كل أمر فيه شِدّة وقوة حتى لو كان عذابين أحدهما أشدّ من الآخر فالأشدّ يأتي بالتذكير (ولو ترى إذا يتوفى الذين كفروا لللائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق) (يتوفى) جاءت بالتذكير لأن العذاب أشد

(و ذوقوا عذاب الحريق) أما في قوله تعالى (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) (تتوفاهم) جاءت بالتأنيث لأن العذاب أخفّ من الآية السابقة. وكذلك في قوله تعالى (و نزّل الملائكة تنزيلا) بالتذكير وقوله تعالى (تنزّل عليهم الملائكة) بالتأنيث وقوله (تنزل الملائكة والروح فيها من كل أمر) بالتأنيث.

٦. لم تأت بشرى بصيغة التذكير أبداً في القرآن الكريم فكل بشارة في القرآن الكريم تأتي بصيغة التأنيث كما في قو له تعالى (فنادته الملائكة) و (قالت الملائكة).

٧٧ – ما اللمسة البيانية في استخدام فعل (يخرج) مرة والاسم (مخرج) في مرة أخرى في قوله تعالى في سورة الأنعام (إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ {٩٥} })؟ واللّه فَالِقُ اللّه فَاللّه فَا اللّه فَاللّه فَا اللّه فَاللّه اللّه فَاللّه والله والله والله وقد قال تعالى مع الحيّ (يُخرج الحي من الميت) جاء بالصيغة الفعلية الله الله الله الله ومن صفات الميّت هو السكون لذا جاء بالصيغة الإسمية مع ما تقتضيه من السكون. وكذلك في قوله تعالى في سورة الأنعام أيضاً (فَالِقُ الإِصباحِ وَجَعَلَ اللّه لَلْ سَكَناً وَالشّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَلِيمِ {٩٦ }) فالليل فيه السكون والهدوء فجاءت معه الصيغة الفعلية (جعل الليل سكناً) والإصباح يدلّ على الحركة والحياة فجاء بالصيغة الإسمية (فالق)

وكلمة (يُخرج) لا تأتي دائماً مع الحركة وإنما تأتي حسب سياق الآيات كما في سورة آل عمران (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ اللَّيْلَ وَيَخْرِجُ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيَّتِ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيَّتِ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب {۲٧}) لأن سياق الآيات كلها في النخييرات والتبديلات أصلاً (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُوْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {٢٦}) وهذا ما يُعرف بمطابقة الكلام لمقتضى الحال.

٧٥ - ما الفرق من الناحية البيانية بين (أنزلنا إليك) و(أنزلنا عليك)؟

هناك أمران يحددان استعمال إلى أو على:

الحقل (لو أنزلنا هذا القرآن الكريم إلا مع العاقل (وأنزلنا إليك الكتاب) أما (على) فهي استعملت للعاقل وغير
 العقل (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) و(الأرض أنزلنا عليها الماء).

٢. (على) قد تستعمل في العقوبات (فأنزلنا عليهم رجزاً من السماء) وقوله تعالى (إن نشأ ننزل عليهم من السماء
 آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين.

٧٦ - لماذا حذفت الهمزة من (باسم) وتكتب (بسم)؟

حذفت الهمزة في كلمة (باسم) للوصل فأصبحت تكتب وتلفظ (بسم) كما في (بسم الله الرحمن الرحيم).

٧٧ – ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة (زوجك) بدل زوجتك في قوله تعالى : (اسكن أنت وزوجك الجنة)؟ لغوياً الأصل هو كلمة (زوج) وفي اللغة الضعيفة تستعمل (زوجة) . ففي اللغة يقال : المرأة زوج الرجل والرجل زوج المرأة ، أما استخدام كلمة (زوجة) فهي لغة ضعيفة رديئة فالأولى والأصح أن تستخدم كلمة (زوج) ولذا استخدمها القرآن الكريم في الآية.

٧٨ - ما اللمسة البيانية في استعمال كلمة (سلام) و(السلام) في سورة مريم في قصتي يجيى - عليه السلام - وعيسى - عليه السلام - ؟

قال تعالى في سورة مريم في قصة يجيى – عليه السلام – (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمٌ وُلِدَ وَيَوْمٌ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبغَثُ حَيّاً {١٥ })، أما في قصة عيسى – عليه السلام – فقال تعالى (والسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمٌ وُلِدتُّ وَيَوْمٌ أَمُوتُ وَيَوْمٌ أَبُعثُ حَيّاً {٣٣}) (السلام) معرفة و(سلام) نكرة ؛ والنكرة عادة تدل على الشمول والعموم والمعرفة تدل على الإختصاص. فكلمة (سلام) أعم من (السلام) ولذلك تحية أهل الجنة هي (سلام) وهي كلها جاءت بالتنكير وتدل على السلام العام الشامل (سلام عليكم) (تحيتهم يوم يلقونه سلام) وتحية أهل الجنة سلام وتحية الله تعالى لعباده سلام (سلام على موسى وهارون) ولم يحيي الله تعالى عباده المرسلين بالتعريف أبداً وجاء كله بالتنكير سواء في الجنة أو لعباده وتحية سيدنا يجيى – عليه السلام – هي من الله تعالى لذا جاءت بالتنكير (سلام عليه) أما تحية عيسى – عليه السلام – له يحيي نفسه فجاءت بالمعرفة (والسلام عليّ). وهناك أمر آخر هو أن تحية الله تعالى أعمّ وأشمل وعيسى – عليه السلام – لم يحيي نفسه بالنكير تأدباً أمام الله تعالى فحيّى نفسه بالسلام المعرّف.

٧٩ – ما سبب استخدام المفرد والجمع في قوله تعالى في سورة البقرة (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بنُورهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ {١٧} }؟

ا. من الممكن ضرب المثل للجماعة بالمفرد كما في قوله تعالى (لا تكونوا كالتي نقضت غزلها... تتخذون أيمانكم
 دخلاً بينكم)

٢. (الذي) تستعمل للفريق وليس للواحد فالمقصود بالذي في الآية ليس الشخص إنما هي تدل على الفريق ويقال
 عادة : " الفريق الذي فعل كذا " و لا يقال (الفريق الذين).

٣. يمكن الإخبار عن الفريق بالمفرد والجمع (فريقان يختصمون)

٤. (الذي) نفسها يمكن أن تستعمل للمفرد والجمع. كما جاء في الشعر العربي:

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

٠٨- ما اللمسة البيانية في تقديم شبه الجملة (عليها زكريا) في قوله تعالى في سورة آل عمران (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَن وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيًّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْر حِسَابِ {٣٧})؟

قاعدة نحوية: يقول سيبويه في التقديم والتأخير: يقدمون الذي هو أهمّ لهم وهم أعنى به.

والتقديم والتأخير في القرآن الكريم يقرره سياق الآيات فقد ينقدم المفضول وقد ينقدم الفاضل. والكلام في الآية في سورة آل عمران والآيات التي سبقتها في مريم عليها السلام وليس في زكريا ولا في المحراب لذا قدّم عليها لأن الكلام كله عن مريم عليها السلام.

وكذلك قوله تعالى في الكلام عن بني إسرائيل والطور في سورة الأعراف (وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {١٧١}) قدّم الجبل على بني إسرائيل. أما في آنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ آلَقُونَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ آلَقُونَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ آلَقُونَ {٦٣}) أخر الطور لأن سياق الآيات في السورة هو في الكلام عن بني إسرائيل وليس في الطور نفسه.

- 1 اللمسة البيانية في قوله تعالى في سورة البقرة (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)؟

في هذه الآية تقدّم جواب الشرط على فعل الشرط ومعناه أن الله تعالى يجيب دعاء العبد حتى قبل أن يبدأ بالدعاء. وفي الآية لفتة أخرى أنه في سياق القرآن كله عندما تأتي الآية فيها وإذا سألك أو يسألونك يأتي الردّ من الله تعالى لرسوله (قل) إلا في هذه الآية فقد جاء الردّ مباشرة من الله تعالى لعباده في خطاب مباشر ليس بين الله تعالى وعباده أي وسيط حتى لو كان الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم –. فما على العبد إلا الدعاء والله تعالى يجيب دعاء عباده فسبحانه وتعالى.

٨٢ – ما حكم كتابة (إذن) و(إذاً) في القرآن الكريم؟

(إذن) كما قال النحاة : هي حرف جو اب وجزاء أي شرط. و في النحو باب الجزاء يعني باب الشرط ، كأن نقول (سأزورك فيأتى الجواب: إذن أُكرمك) الإكرام يكون مشترطاً بالزيارة.

وأحياناً تكون إذن حرف جواب كأن نقول: قال أحبك، فيردّ: إذن أنت صادق.

وقد جاء في قوله تعالى (مَا اتَّحَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّنَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ { ٩ ٩ }) (إذاً) هنا جواب شرط. وكذلك في قوله تعالى (فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ { ٤ ٢ } قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ { ٤ ٢ }) جاء بـــ (إذاً) هنا شرط الغلبة أي أن الأجر سيكون لهم إذا غلبوا موسى بسحرهم.

و (إذن) و(إذاً) تكتب بأي طريقة وقد كتبت في المصحف:

1. بالألف مطلقاً لأنه يوقف عليها بالألف (إذا) وليس بالتنوين (إذاً)

٢. لم ترسم في المصحف بالنون أبداً

٣. قسم ذهب لأنه إذا نصبت المضارع رسمت بالألف لأنها عند ذلك لا تلتبس بـ (إذا) وإن لم تنصب المضارع رسمت بالنون.

- ٤. تكتب بالنون دائماً فيما عدا المصحف
- ٥. لنا أن نكتبها كما نشاء بالألف أو النون.

٨٣ – ما اللمسة البيانية في حذف نون (تكن) في قوله تعالى (ولا تك في ضيق مما يمكرون)؟

الحكم النحوي: جواز الحذف إذا كان الفعل مجزوماً بالسكون ولم يليه ساكن أو ضمير متصل. متى ما كان الفعل (كان) مجزوماً ويليه حرف متحرك ليس ساكناً على أن لا يكون ضميراً متصلاً يجوز فيه الحذف (يمكن القول لم يكن ولم يك) فتحذف النون تخفيفاً.

إما إذا كان ما بعده ساكناً فلا يجوز الحذف (لم يكن الرجل) لا يمكن القول لم يك الرجل.

ولا يجوز الحذف أيضاً لو كان ضمير متصل (لم يكن هو) لا يجوز قول لم يك هو.

إذن من حيث الحكم النحوي يجوز حذف النون أما السبب البياني: على العموم سواء في (يكن) أو في غيرها من الحذوف (تفرّق وتتفرق) (اسطاعوا واستطاعوا) (تنزّل وتتنزّل) في القرآن الكريم يوجد حذوف كثيرة يجمعها أمرين : هل هي في مقام إيجاز وتفصيل أو هل الفعل مكتمل أو غير مكتمل. عندما يأتي بالصيغة كاملة يكون الحذف أتمّ. إذا كان الشيء مكتملاً لا يُقتطع منه وإذا كان غير مكتمل يُقتطع منه.

والآن نستعرض مثالين وردا في القرآن الكريم الأول في سورة النحل (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ {٢٦٦} وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ {١٢٧}) والثاني في سورة النمل (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ {٦٩} وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقِ مِّمَّا يَمْكُرُونَ {٧٠})

آية سورة النحل نزلت على الرسول – صلى الله عليه وسلم – بعدما مثّل المشركون بحمزة عمّ الرسول في غزوة أحُد فحزن الرسول – صلى الله عليه وسلم – عليه حزناً شديداً وقال: (لأمثّلن بسبعين رجلاً من المشركين) فنزلت الآية تطلب من الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يعاقب بمثل ما عوقب به وأراد أن يُذهب الحزن من قلبه ولا يبقى فيه من الحزن شيء، وقوله تعالى (ولا تك في ضيق) بمعنى احذف الضيق من نفسك ولا تبقى شيئاً منه أبداً ؛ أي أن المطلوب ليس فقط عدم الحزن لكن مسح ونفي أي شيء من الحزن يمكن أن يكون في قلب الرسول المداً ؛ أي أن المطلوب ليس فقط عدم الحزن من الفعل. أما في آية سورة النمل فالآيات في دعوة الناس للسير في الأرض والفكر والمقام ليس مقام تصبير هنا فجاء الفعل مكتملاً (ولا تكن في ضيق).

ومن الأمثلة الأخرى على حذف أو عدم حذف النون في فعل (تكن) قوله تعالى في سورة القيامة (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى {٣٧}) حذفت النون هنا لأن النطفة هي من الذكر وهي غير مكتملة بعد وغير مخصّبة وهي لا تكتمل إلا بعد لقاح البويضة إذن حال النطفة الآن غير مكتمل فحذف ما يدل على أن الفعل أصلاً ليس مكتملاً فلزم الإقتطاع ألها غير كاملة والحدث غير كامل.

وكذلك قوله تعالى (وإن تك حسنة يضاعفها) وقوله في سورة مريم (ولم أك بغيّا) حذف النون لأنه ليس في مريم أدنى شيء من البغي وليس هناك جزء من الحدث مطلقاً أصلاً. أما في قوله تعالى (ولم أكن بدعائك رب شقيا) هذا سياق عام يحكمه المقام. وفي قوله تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) وقوله (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) لم تحذف النون من الفعل هنا لأن الآيات مكتملة والأرض مكتملة فجاء بالفعل تامّاً لأن المعنى تامّ ولا يحتاج إلى حنف. وفي قوله تعالى في سورة لقمان (يًا بُنيّ إنّها إن تَكُ مِثْقَالَ حَبّةٍ مِّنْ خَرْدُل فَتَكُن فِي صَحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي اللّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ {٦٦}) الأولى حذفت منها النون لأنه لم يذكر مكان الحبة أما الثانية فذكر فيها النون لأنه لم يذكر مكان الحبة أما الثانية فذكر فيها النون لأنه ذكر المكان وحدده إما الصخرة أو السموات أو الأرض وهي كلها مكتملة.

٨٤ - ما دلالة كلمة (حين) في القرآن الكريم؟

في اللغة هناك ظروف محددة مثل (شهر، عام، أسبوع، حول) وظروف مبهمة. و(حين) هي من الظروف المبهمة بمعنى أنه ليس لها وقت محدد لكن قد يُعلم وقتها بما تُضاف إليه. كقوله تعالى في سورة الروم (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ {١٧}}) وكذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم (تُؤْثِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينَ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْدَكَ رُونَ {٢٥}) حسب الثمار.

٨٥ – ما اللمُسة البيانية في تقديم (الرحيم) على (الغفور) في سورة سبأ وقد وردت في باقي القرآن (الغفور الرحيم)

لو قرأنا الآية في سورة سبأ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ {١} يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ {١}}) لم يتقدّم الآية ما يخصّ المكلَّفين أبداً والمغفرة لا تأتي إلا للمكلَّفين والمذنبين الذين يغفر الله تعالى لهم وإنما جاء ذكرهم بعد الآيتين الأولى والثانية لذا اقتضى تأخير الغفور لتأخر المغفور لهم في سياق الآية. أما في باقى

سور القرآن الكريم فقد مرت الغفور الرحيم لأنه تقدّم ذكر المكلّفين فيذنبون فيغفر الله تعالى لهم فتطلّب تقديم المغفرة على الرحمة.

٨٦ - ما دلالة (لا) في قوله تعالى (لا نفرّق بين أحد من رسله)؟

(لا) هي النافية لا تجزم ولا تؤثر على الفعل إنما نفي فقط في حاجة للجزم في الفعل الذي يليها.

٨٧ - ما إعراب كلمة (حمَّالةً) في آية سورة المسد؟

قال تعالى (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ {٤} }) وكلمة (حَمَّالةَ) هي مفعول به لفعل محذوف تقديره (أذُمُّ حمالةَ الحطب) وهو ما يعرف في القرآن بالقطع وله دلالة خاصة في القرآن الكريم وهي منصوبة على الذّم أو القطع لغرض الذّم. (انظر موضوع القطع في القرآن الكريم). وفي هذه الآية ذّم الله تعالى امرأة أبي لهب مرتين مرة باستخدام القطع ومرة باستخدام صيغة المبالغة في (حَمَّالة) على وزن فعّالة.

٨٨ - ما دلالة أن في قوله تعالى (وأن ألق عصاك)؟

(أن) هي " أن النفسيرية ".

٨٩ - ما الفرق من الناحية البيانية بين (ولَّا) و (فلمَّا) في سورة يوسف؟

(ولَّمَا) و(فلمَّا) وردت في السورة ١٩ مرة ، ٦ مرَّات (ولَّمَا) والباقي (فلمَّا) فكيف نفرق بينهم؟

هناك سبيلين للتمييز بين (لمّا) و(فلمّا) الطريقة الأولى إحصائية والثانية معنوية:

للحفظ يحفظ أمكنة (لًا) الستة وهي (ولّما بلغ أشدّه، ولّما جهزهم بجهازهم، ولمّا فتحوا متاعهم، ولمّا فصلت العير، ولم دخلوا من حيث أمرهم أبوهم، ولمّا دخلوا على يوسف) والباقي يكون (فلمّا).

أما من الناحية التعييرية فالفاء تدلّ على الترتيب والتعقيب أما الواو فهي لمطلق الجمع. يأتي بالفاء عندما يكون هناك تعقيب (قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَحَاسِرُونَ {١٤} فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ تعقيب (قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَحَاسِرُونَ {١٥}) لا يوجد فاصل زمني بين الأمرين وهذا يدل على التعقيب والترتيب، وكذلك في قصة يوسف مع امرأة العزيز الأحداث تأتي الواحدة تلو الأخرى بترتيب وتعقيب وليس بين الأحداث أي تراخي أو فترة زمنية فاصلة طويلة لذا استخدمت (فلمًا). أما في الآية التي جاء فيها (ولمًا) استغرق سنوات طويلة حتى بلغ أشده (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسنينَ {٢٢}) وكذلك لما ذهب إخوة يوسف إليه في مصر استغرق الأمر زمناً حتى سافروا ووصلوا إلى يوسف بعد أن كلّمهم أبوهم (فَلَمَّا دَحَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنا وَأَهْلَنَا الضُّرُ وَجِئْنَا بِيضَاعَةٍ مُّرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ {٨٨}).

• ٩ – ما الفرق بين كلمة (النعمة) و(النّعمة) في القرآن الكريم؟

نَعمة بالفتح وردت في سورة الدخان (وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ {٢٧}) وفي سورة المزمل (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً {١١}) لم ترد في القرآن كلّه إلا في السوء والشر والعقوبات.

نعمة بالكسر جاءت في مواضع كثيرة في القرآن منها في سورة النحل (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٨}}) دائماً تأتي في الخير في القرآن.

٩١ - ما الفرق بين قوله تعالى (فتحت أبوابما) في النار و (وفتحت أبوابما) في الجنة في سورة الزمر؟
 الفرق بين وصف دخول الكفار إلى النار و دخول المؤمنين إلى الجنة و الفرق بينهما حرف واحد غير معنى الآيتين

وهو حرف (الواو). في وصف دخول الكفار قال تعالى (حتى إذا جاؤوها فتحت أبواكما) وفي دخول المؤمنين الجنة قال: (حتى إذا جاؤوها وفتحت أبواكما) والفارق أن جهنم هي كالسجن أبواكما مقفلة لا تفتح إلا لداخل أو خارج فالأصل أن تكون الأبواب مغلقة ولا تفتح إلا لإدخال العصاة إليها وفي هذا الوصف قويل ومفاجأة للكفار الذين يساقون ثم فجأة وهم لا يدرون أين يذهبون تفتح أبوب النار فيفاجأوا ويصابوا بالهلع. أما في حال المؤمنين فالجنة أبواكما مفتوحة على الدوام كما في قوله (جنّات عدن مفتّحة لهم الأبواب) وأهلها يتنقلون فيها من مكان إلى آخر في يسر وسرور وهم في طريقهم إليها يرولها من بعيد فيسعدون ويسرّون بالجزاء والنعيم الذي ينتظرهم وكأن الله تعالى يريد أن يعجّل لهم شعورهم بالرضا والسعادة بجزائهم وبالنعيم المقيم الذي ينتظرهم. ومن الناحية اليانية أن جواب للشرط في حال جهنم (إذا جاؤوها) مذكور وهو: (فتحت أبواكما)، أما في حال الجنة فلا يوجد جواب للشرط لأنه يضيق ذكر النعمة التي سيجلها المؤمنون في الجنة فكل ما يقال في اللغة يضيق بما في الجنة والجواب يكون في الجنة نفسها. فسبحانه جلّ جلاله.

٩٢ – ما الفرق بين قوله تعالى في سورة البقرة (فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) و (من معروف)؟

أولاً: يجب أن نلاحظ دلالة التعريف والتنكير فالمعرفة في اللغة هي ما دلّ على شيء معين والنكرة ما دلّ على شيء غير معيّن. وفي الآية الأولى (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَلَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بَأَشُهُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُر وَعَشْراً فَإِذَا اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) المعروف يقصد به المؤفّ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) المعروف يقصد به الله الزواج بالذات لأن الآية بعدها (وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَوَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنتُمْ فِي أَنفُسكُمْ عَلَمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ النّهَا وَلَكِن لاَ تُواعِلُوهُنَّ سِراً إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَعْرُوفاً وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدة النّهَاكُمْ مَا فِي أَنفُسكُمْ فَاخَذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ {٢٣٥ }). أما الآية الثانية (وَالَّذِينَ يُتَوفُونَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا يَتَعَلَيْكُمْ فِي أَنفُسهِنَ مِن مَعْرُوف وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٢٤٠٤) فهي عامة ويقصد بـ (معروف) هنا كل ما يُباح لها. ولما فَعَلْنَ فِي أَنفُسهِنَ مِن مَّعُرُوف وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٢٤٤) فهي عامة ويقصد بـ (معروف) هنا كل ما يُباح لها. ولما جاء بالزواج جاء بالباء وهي الدالة على المصاحبة والإلصاق وهذا هو مفهوم الزواج بمعناه المصاحبة والإلصاق. هـ عامة ويقصد بين كلمة (ميت) و(ميّت) في القرآن الكريم؟

كلمة (ميت) بتسكين الياء تقال لمن مات فعلاً مثال ما جاء في سورة الحجرات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجَّنبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِنْ بَعْضَ الظَّنِّ إِنْ بَعْضَ الظَّنِّ إِنْ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِنْ بَعْضَ الظَّنِّ إِنْ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنَ إِنَّ اللَّهَ وَاللَّهَ وَاللَّهُ وَاللَّالُولُولُ الْمُولِقُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّذِي وَاللَّالِ اللَّلَالَ وَاللَّالَّ وَاللَّالَّ وَاللَّالَّ وَاللَّالَ وَاللَّالَّ وَاللَّالِولُولَ اللَّالَّالَ اللَّالَّ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ

٩٤ - ما الفرق بين قوله تعالى في سورة البقرة (أولتك يلعنهم الله) و (أولتك عليهم لعنة الله)?
 يلعن : فعل ؛ والفعل يدل على الحدوث والتجدد أما اللعنة فهي اسم والاسم يدل على النبوت. في الآية الأولى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنهُمُ الله ويَلْعنهُمُ اللّه ويَلْعنهُمُ اللّه ويَعنه الله ويرف الله وهم ما زالوا أحياء، وهؤلاء المذكورين في الآية يكونون ملعونين ما داموا لم يتوبوا وكتموا ما أنزل الله أما إذا تابوا عما فعلوا يغفر الله لهم ولهذا جاء بالصيغة الفعلية (يلعنهم الله). أما الآية الثانية (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفًّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

{١٦١}) فالمذكورين في الآية هم الذين كفروا وماتوا أي هم أموات وقد حلّت عليهم اللعنة فعلاً وانتهى الأمر ولا مجال لأن يتوبوا بعدما ماتوا ولهذا جاء بالصيغة الإسمية في (عليهم اللعنة) لأنها ثابتة ولن تنغير لأنهم ماتوا على الكفر.

9 - لماذا جاء الخطاب في سورة الإسراء ل (بني إسرائيل) وليس لليهود؟

لأن بني إسرائيل هم أبناء يعقوب - عليه السلام - (وهو إسرائيل) وهم المعنيّون بالأمر وليس اليهود عموماً هم المقصودون في الآية.

٩٦ – ما دلالة اللام في قوله تعالى (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال)؟

الآية في سورة إبراهيم (وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجَبَالُ {٢٦}) واللام في سورة إبراهيم (وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرُهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكرهم لتزول منه الجبال) تماماً كما في قوله تعالى (وما كان الله ليعنهم وأنت فيهم) في سورة الأنفال. وقد تكون اللام للتعليل وإن شرطية بمعنى (وإن كان مكرهم معداً لزوال الجبال).

٩٧ - ما دلالة استعمال (إذا) و (إن) في القرآن الكريم؟

(إذا) في كلام العرب تستعمل للمقطوع بحصوله كما في الآية: (إذا حضر أحدكم الموت) ولا بد أن يحضر الموت، (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) ولا بد للأشهر الحرم من أن تنسلخ، وقوله تعالى: (وترى الشمس إذا طلعت) ولابد للشمس من أن تطلع وكقوله: (فإذا قضيت الصلاة) ولابد للصلاة أن تنقضى.

وللكثير الحصول كما في قوله تعالى (فإذا حُييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردوها). ولو جاءت (إذا) و (إن) في الآية الواحدة تستعمل (إذا) للكثير و (إن) للأقل كما في آية الوضوء في سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ برُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلكُمْ إِلَى الْكَفْيَنِ وَإِن كُنتُمْ جُنباً إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسلُواْ وَجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ برُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلكُمْ إِلَى الْكَفْيَنِ وَإِن كُنتُمْ جُنباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَو أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّن الْعَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجلُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّاً فَامْسَحُواْ بو جُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ صَعِيداً طَيِّاً فَامْسَحُواْ بو جُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ وَلِيُتِمَّ عَلَيْكُمْ لَعَلَيْكُمْ لَعَلَيْكُمْ لَعَلَيْكُمْ لَعَلَيْكُمْ وَالْمِنسَان مريضاً أو بغَمَتهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ اللهَ لذا جاء بـ (إن).

وكذلك في سورة النساء (ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مًّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَعْضَ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضَ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بَفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِن الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِي الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبُرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {٥٧ }) (إذا) جاءت مع (أحصن) الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِي الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبُرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {٥٧ }) (إذا) جاءت مع (أحصن) وهذا الأكثر أما (إن) فجاءت مع اللواتي يأتين بفاحشة وهو قطعاً أقل من المحصنات. وكذلك في سورة الرعد (وَإِن تَعْجَبُ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُولِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولِيكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَعْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ النَّارِهُمْ فَيهَا خَالِدونَ {٥٤ }).

وفي سورة الليل (وما يغني عنه ماله إذا تردى) التردّي حاصل والتردي إما أن يكون من الموت أو الهلاك، أو تردى في قبره، أو في نار جهنم فماذا يغني عنه ماله عندها؟وهذه ليست افتراضاً وإنما حصولها مؤكد وهي أمر حاصل في كل لحظة ولهذا السبب جاء بلفظ (إذا) بدل (إن) لأن (إذا) مؤكد حصولها و (إن) مشكوك فيها أو محتمل حلوثها. وهذه إهابة بالشخص أن لا يبخل أو يطغى أو يكذب بالحسنى، إذن لا مفر منه فلماذا يبخل ويعسر على الآخرين ويطغى ويكذب بالحسنى؟

أما (إن) فستعمل لما قد يقع ولما هو محتمل حلوثه أو مشكوك فيه أو نادر أو مستحيل كما في قوله تعالى (أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) هنا احتمال وافتراض، و (وإن يروا كِسفاً من السماء ساقطاً) لم يقع ولكنه احتمال، و(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) الأصل أن لا يقع ولكن هناك احتمال بوقوعه، وكذلك في سورة (انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه) افتراض واحتمال وقوعه.

۹۸ – ما الفرق بين دلالة الجمع في (معدودة) و (معدودات) ؟

القاعدة: جمع غير العاقل إن كان بالإفراد يكون أكثر من حيث العدد من الجمع السالم كأنمار جارية وأنمار جاريات، فالجارية أكثر من حيث العدد من الجاريات، وأشجار مثمرة أكثر من مثمرات وجبال شاهقة أكثر من حيث العدد من شاهقات فالعدد في الأولى أكثر، وجمع السالم قلة. فهذه من المواضع التي يكون فيها المفرد أكثر من الجمع.

معدودات جمع قلّة وهي تفيد القلّة (وهي أقل من ١١) أما معدودة فهي تدل على أكثر من ١١، وقد قال تعالى في سورة يوسف عليه السلام (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْلُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)) أي أكثر من ١١ در هما، ولو قال معدودات لكانت أقل.

مثال: قال تعالى في سورة آل عمران (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْلُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ {٢٤}) اختيار كلمة (معدودات) في هذه الآية لأن الذنوب التي ذُكرت في هذه الآية أقلّ. وقالَ تعالى في سورة البقرة (وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {٨٠}) اختيار كلمة (معدودة) في هذه الآية لأن الذنوب التي ذُكرت في هذه الآية أكثر. 9 - ما اللمسة البيانية في القديم والتأخير في الضر والنفع في القرآن الكريم؟

حيث تقدّم النفع على الضريكون في السياق ما يتضمن النفع وبالعكس.

قال تعالى في سورة الأعراف: (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرَّاً إِلاَّ مَا شَاء اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْشُوْتُ وَمِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {١٨٨ }) قدّم النفع على الضر لأن السياق في الآيات ما قبلها في النفع (مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {١٧٨ }) قدّم الهداية التي الآيات ما النفع على الضلال الذي هو من الضر. وكذلك في الآية نفسها قدّم النفع مع الخير (وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسَتُكُثَوْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) على الضر.

أما في قوله تعالى في سورة يونس (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسي ضَرَّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ {٤٩}) فقد جَاء قبلها الآية (وَلَوْ يُعَجَّلُ اللّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقَاعَنا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {١١} وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {١١} وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ وَقَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ لَكُوا قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَ السَّرِ على النفع. والأمثلة على هذا التقديم والتأخير كثيرة في القرآن منها في سورة سبأ (فَالْيُومُ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضَ تَفْعًا وَلَا ضَرَّا وَنَقُولُ لِللَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّنِي لَنَى اللَّونَ لَي يَشْعُلُ اللَّهُ لِمَا لَوْ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضَ تَفْعًا وَلَا ضَرَّا وَنَقُولُ لِللَّهُم مِنْ عَبَادِهِ وَيَقُدِرُ لَهُ وَمَا كُنتُم مِّن شَيْءَ فَهُو يَخُوفُ وَهُو خَيْرُ الرَّازِقِينَ {٣٩٤}).

٠٠٠ – ما اللمسة البيانية في تقديم وتأخير ضمير (فيه) في آيتي سورة النحل وفاطر؟

قال تعالى في سورة النحل (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِ جُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَصْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {١٤}) وقال في سورة فاطر (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَائِهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِ جُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَائِهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِ جُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِورَ لِتَبْتَغُوا مِن فَصْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {١٢}). ففي سورة النحل قدّم (مواخر) على (فيه) وذكر صفة الفيك قبل ضمير البحر وإذا نظرنا في سياق الآيات قبلها نلاحظ ألها ذُكرت بعد ذكر وسائل النقل لذا قدّم مواخر على ضمير البحر . أما في سورة فاطر فقد ذكر (البحر) أولاً لأن الكلام في السياق كان عن البحر لذا قدّم ضمير البحر على "مواخر" .

١٠١ – ما الفرق من الناحية البيانية بين (انفجرت) في سورة البقرة و(انبجست) في سورة الأعراف في قصة موسى؟

جاء في سورة البقرة (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانَهَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُوا أَوَاشْرَبُهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُهُمْ وَاللَّهِ وَلاَ تَعْنَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسدِينَ {٢٠}) وجاء في سورة الأعراف (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَبَهُمْ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانَبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أَمَما وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانَبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَى عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُوا أَناس مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَ وَالسَّلُوكَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَوْقَنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {١٦٠ }).

والسؤال ماذا حدث فعلاً هل انفجرت أو انبجست؟ والجواب كلاهما وحسب ما يقوله المفسرون أن الماء انفجرت أولاً بالماء الكثير ثم قلّ الماء بمعاصيهم وفي سياق الآيات في سورة البقرة الذي يذكر الثناء والمدح والتفضّل على بني إسرائيل جاء بالكلمة التي تدل على الكثير فجاءت كلمة (انفجرت) أما في سورة الأعراف فالسياق في ذمّ بني إسرائيل فذكر معها الإنبجاس وهو أقلّ من الإنفجار وهذا أمرٌ مشاهد فالعيون والآبار لا تبقى على حالة واحدة فقد تجفّ العيون والآبار فذكر الإنفجار في موطن والإنبجاس في موطن آخر وكلا للشهدين حصل بالفعل.

إذا لاحظنا سياق الآيات في سورة البقرة (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَرِيدُ الْمُحْسنينَ {٥٨} فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَ لَنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ {٥٩ } وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْهَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَناسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثُواْ فِي الأَرْض مُفْسدِينَ {٦٠}}

أما سياًق الآيات في سورة الأعراف (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ {٢٦١}) يمكن ملاحظة اختلافات كثيرة في اختيار ألفاظ معينة في كل من السورتين ونلخّص هذا فيما يأتي:

سورة الأعراف ... سورة البقرة

السياق في ذكر ذنوهِم ومعاصيهم والمقام مقام تقريع وتأنيب لبني إسرائيل (وَجَاوَزْنَا بَبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَآتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَها كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {١٣٨}}) والفاء هنا تفيد المباشرة أي بمجرد أن أنجاهم الله تعالى من الغرق أتوا على قوم يعبدون الأصنام فسألوا موسى أن يجعل لهم إلها مثل هؤلاء القوم. ... سياق الآيات والكلام هو في التكريم لبني إسرائيل فذكر أموراً كثيرة في مقام التفضيل والتكرّم والتفضّل (وَإِذْ نَجَيْنَاكُم مِّنْ آل فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُنبَّجُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ {٤٤} وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبُحْرَ فَآنَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ {٠٠٥}) و (يَا يَسَوَائِيلَ اذْكُرُواْ نَعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ {٤٧})

فَمُوسَى هو الذي استُسقى لقومه (إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) ... قوم موسى استسقوه فأوحى الله ربه بضرب الحجر (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) وفيها تكريم لنبيّ الله موسى – عليه السلام – واستجابة الله لدعائه. والإيحاء أن الضرب المباشر كان من الله تعالى.

(كلوا من طيبات ما رزقناكم) لم يذكر الشرب فجاء باللفظ الذي يدل على الماء الأقلّ (انبجست) ... (كلوا والشرب يحتاج إلى ماء أكثر لذا انفجرت الماء من الحجر في السياق الذي يتطلب الماء الكثير

لم يرد ذكر الأكل بعد دخول القرية مباشرة وإنما أمرهم بالسكن أولاً ثم الأكل (اسكنوا هذه القرية وكلوا) ... جعل الأكل عقب الدخول وهذا من مقام النعمة والتكريم (ادخلوا هذه القرية فكلوا) الفاء تفيد الترتيب والتعقيب. لم يذكر رغداً لأفهم لا يستحقون رغد العيش مع ذكر معاصيهم. ... (رغداً) تذكير بالنعم وهم يستحقون رغد العيش كما يدلّ سياق الآيات.

(وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً) لم يبدأ بالسجود هنا لأن السجود من أقرب ما يكون العبد لربه وهم في السياق هنا مبعدين عن ربهم لمعاصيهم. ... (وادخلوا الباب سجّداً وقولوا حطة) بُديء به في مقام التكريم وتقديم السجود أمر مناسب للأمر بالصلاة الذي جاء في سياق السورة (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ السجود أمر مناسب للأمر بالصلاة الذي جاء في سياق السورة (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ السجود هو من أشرف العبادات.

(نغفر لكم خطيئاتكم) وخطيئات جمع قلّة وجاء هنا في مقام التأنيب وهو يتناسب مع مقام التأنيب والذّم في السورة. ... (نغفر لكم خطاياكم) الخطايا هم جمع كثرة وإذا غفر الخطايا فقد غفر الخطيئات قطعاً وهذا يتناسب مع مقام التكريم الذي جاء في السورة.

(سنزيد المحسنين) لم ترد الواو هنا لأن المقام ليس فيه تكريم ونعم وتفضّل. ... (وسنزيد المحسنين) إضافة الواو هنا

تدل على الإهتمام والتنويع ولذلك تأتي الواو في موطن النفضّل وذكر النعم.

(الذين ظلموا منهم) هم بعض ممن جاء ذكرهم في أول الآيات ... (فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم) (فأرسلنا) " أرسلنا " في العقوبة أشدّ من "أنزلنا" ، وقد تردد الإرسال في السورة ٣٠ مرة أما في البقرة فتكرر ١٧ مرة ... (فأنزلنا على الذين ظلموا)

(بما كانوا يظلمون) والظلم أشدّ لأنه يتعلّق بالضير ... (بما كانوا يفسقون)

(فانبجست) في مقام التقريع قلّ الماء بمعاصيهم فناسب ذكر حالة قلّة الماء مع تقريعهم. ... (فانفجرت) جاءت هنا في مقام التكريم والنفضّل وهي دلالة على أن الماء بدأ بالإنفجار بالماء الشديد فجاء بحالة الكثرة مع التنعيم.

١٠١ – ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله تعالى (فنفخنا فيها) وقوله (فنفخنا فيه) في قصة مريم عليها السلام؟
 قال تعالى في سورة الأنبياء (وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَتَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ {٩١})
 وقال في سورة التحريم (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَقَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا
 وَكُتُبهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانتِينَ {٢٢})

بين هاتين الآيتين أكثر من نقطة يجب الإلتفات إليها وهي كما يلي:

1. في سورة الأنبياء لم يذكر اسم مريم عليها السلام بينما ذكره في سورة التحريم. والسبب في ذلك هو أنه أو لا في سورة الأنبياء كان السياق في ذكر الأنبياء (إبراهيم، لوط، موسى، وزكريا ويجيى) ثم قال (والتي أحصنت فرجها) ولم يُصرّح القرآن باسمها في سورة الأنبياء لأن السياق في ذكر الأنبياء وهي ليست نبيّة أما في سورة التحريم فذكر اسمها لأن السياق كان في ذكر النساء ومنهم (امرأة فرعون، امرأة لوط وامرأة نوح) فناسب ذكر اسمها حيث ذكر النساء. والتصريح بالاسم يكون أمدح إذا كان في المدح وأذمّ إذا كان في الذّم. ونلاحظ في سورة التحريم ألها من أعلى المذكورات في سياق النساء ولهذا ذكر اسمها من باب المدح. أما في سورة الأنبياء فهي أقل المذكورين في السورة منزلة أي الأنبياء فلم يذكر اسمها وهذا من باب المدح أيضاً.

٢. ذكر ابنها في سورة الأنبياء ولم يذكره في سورة التحريم. وهذا لأن سياق سورة الأنبياء في ذكر الأنبياء وابنها (عيسى – عليه السلام –) نبي أيضاً فناسب ذكره في السورة وكذلك لأن سورة الأنبياء ورد فيها ذكر ابني إبراهيم ويجيى بن زكريا فناسب ذكر ابنها أيضاً في الآية ولم يذكره في التحريم لأن السياق في ذكر النساء ولا يناسب أن يذكر اسم ابنها مع ذكر النساء.

٣. لم يذكر ألها من القانتين في الأنبياء وذكرها من القانتين في سورة التحريم. ونسأل لماذا لم تأتي (القانتات) بدل (القانتين) ؟ لأنه في القاعدة العامة عند العرب ألهم يغلبون الذكور على الإناث وكذلك في القرآن الكريم عندما يذكر المؤمنون والمسلمون يغلب الذكور إلا إذا احتاج السياق ذكر النساء ومخاطبتهن. وكذلك عندما يذكر جماعة الذكور يقصد بها العموم. وإضافة إلى التغليب وجماعة الذكور فهناك سبب آخر أنه ذكرها من القانتين وهو أن آباءها كانوا قانتين فهي إذن تنحدر من سلالة قانتين فكان هذا أمدح لها وكذلك أن الذين كملوا من الرجال كثير وأعلى أي هي مع الجماعة الذين هم أعلى فمدحها أيضاً بألها من القانتين ومدحها بآبائها وجماعة الذكور والتغليب أيضاً.

و نعود إلى الآيتين و نقول لماذا جاء لفظ (فيه) مرة و (فيها) مرة أخرى؟ فنقول أن الآية في سورة الأنبياء (فنفخنا فيها من روحنا) أعمّ وأمدح:

دليل ألها أعمّ: ونسأل أيهما أخصّ في التعبير (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها) سورة التحريم أو (والتي أحصنت فرجها) سورة الأنبياء. فنقول أن الأخصّ مريم ابنت عمران وقوله تعالى (ونفخنا فيها من روحنا) أعمّ من (نفخنا فيه) وأمدح. إذن مريم ابنت عمران أخصّ من التي أحصنت فرجها فذكر الأخصّ مع الأخصّ (فنفخنا فيه) وجعل العام مع العام (ونفخنا فيها). وكذلك في قوله تعالى (وجعلناها وابنها) في سورة الأنبياء أعمّ فجاء بــ (فيها) ليجعل الأعمّ مع الأعمّ. وسياق الآيات في سورة الأنبياء تدل على الأعمّ.

عرفنا الآن لماذا هي أعم ويبقى أن نعرف لماذا هي أمدح؟ أيهما أمدح الآية (وجعلناها وابنها آية) أو(صدّقت بكلمات ربما لكن لا يكون أي كان آية، والأمر الثاني أن ذكرها مع الأنبياء في سورة الأنبياء لا شك أنه أمدح من ذكرها مع النساء في سورة التحريم فالآية في سورة الأنبياء لا شك أنه أمدح من ذكرها مع النساء في سورة التحريم فالآية في سورة الأنبياء إذن هي أمدح لها.

ومن الملاحظ في قصة مريم عليها السلام وعيسى – عليه السلام – أن الله تعالى جاء بضمير التعظيم في قوله تعالى (فنفخنا فيها) أي عن طريق جبريل – عليه السلام – وهذا الضمير للتعظيم يأتي دائماً مع ذكر قصة مريم وعيسى عليهما السلام أما في قصة آدم – عليه السلام – يأتي الخطاب (فنفخت فيه من روحي) لأن الله تعالى قد نفخ في آدم الروح بعد خلقه مباشرة أما في مريم فالنفخ عن طريق جبريل – عليه السلام –.

١٠٣ – ما هي الآية التي نزلت داخل الكعبة؟

(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُهم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمًا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً {٥٨}) هي الآية التي نزلت داخل الكعبة عندما دخل الرسول – عليه السلام – يوم فتح مكة طلب من عثمان بن طلحة وكان حاجب الكعبة أن يعطيه مفتاح الكعبة فأبي وصعد إلى سطح الكعبة فأرسل الرسول – صلى الله عليه وسلم – بلالاً ليحضره منه ففتح الكعبة وحطّم الأصنام ثم نزلت هذه الآية يأمر الله تعالى رسوله أن يردّ المفتاح إلى عثمان وما زال في بني شيبة إلى الآن.

١٠٤ - ما إعراب كلمة (الكواكب) في قوله تعالى (بزينة الكواكب)؟
 الكواكب بدل. والبدل والمبدل منه لا يشترط تطابقهما تعريفاً وتنكيراً مثل قوله تعالى (لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة).

• ١٠٥ ما إعراب كلمة (حافظاً) في قوله تعالى (والله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين)؟ هذه الآية والآية (سلامٌ قولاً من رب رحيم) وكذلك (كبرت كلمةً تخرج من أفواههم) فيها وجهين إعرابيين: إما أن تكون تمييز أو تكون حال لأن القاعدة النحوية تنص على أن اسم التفضيل إذا كان ما بعده ليس من جنسه يُنصب ، مثال (أنت أكثرُ مالاً، هو أحسنُ شعراً) وإذا كان ما بعده من جنسه يُضاف. (يقال: أنت أفضلُ رجلٍ، أحسنُ دار).

وفي الآية (والله خيرٌ حافظاً) في سورة يوسف تعني أن حفظة الله تعالى خير منكم بدليل قوله تعالى (ونرسل عليكم حفظة) فكأنه تعالى قارن يينهم (بين إخوة يوسف) وبين حفظة الله (والتمييز أقوى من الحال) لسبب أن الحال قيد

لعاملها كأنه خير فقط في هذه الحال من حالة الحفظ أما في التمييز فهي أقوى. ولو قال "الله خيرُ حافظٍ" فهي تدلّ على أن الله هو الحافظ.

سلامُ قولاً من رب رحيم: قولاً مفعول مطلق.

كبُرت كلمةً: تمييز (الفاعل مفسّر بتمييز بمعنى كبرت الكلمة كلمة)

تبسّم ضاحكاً: حال مؤكدة (إسم فاعل).

١٠٦ – ما دلالة (من) في قوله تعالى (وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ ١٠٦})؟

يقول النحاة أن (نصرناه من) تعني نجّيناه من و(نصرناه على) تفيد الإستعلاء. ونسأل لماذا لم يستخدم سبحانه كلمة (نجّيناه من) بدل (نصرناه من)؟ ونقول أن الفرق بين " نجيناه من " و "ونصرناه من " أن الأولى تتعلق بالناجي نفسه أما الثانية فهي تتعلق بالجانبين بمعنى أنه نجّى نوحاً وعاقب الآخرين فالنصرة هنا نجاة للناجي وعقاب لخصمه. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة هود (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزيلُونَنِي عَيْرَ تَحْسير {٦٣}) و (وَيَا قَوْمٍ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللهِ إِن طَرَدتُهُمْ أَفَلاً تَذَيلُونَنِي عَيْرَ تَحْسير إحمَهُ أَفلاً وَوَله تعالى في سورة التحريم (ونجّني من فرعون وعمله).

١٠٧ - ما إعراب كلمة (القوم) و (مشارق) في الآية (وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَاثُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا) ؟

قال تعالى في سورة الأعراف: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَاثُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّوْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ { ١٣٧}). فعل (أورثنا) ينصب مفعولين وعليه فإن (القوم) مفعول به أوّل و (مشارق) مفعول به ثاني لفعل أورثنا. وهذا ينطبق أيضاً على قوله تعالى في سورة الأحزاب (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَوُّوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيراً {٢٧}) (أرضهم) مفعول به أول و (ديارهم) مفعول به ثاني.

١٠٨ – لماذا جاءت كلمة (المقيمين) منصوبة في قوله تعالى (لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِئُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقْيِمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
 أَجْراً عَظِيماً {١٦٢})؟

الآية جاءت في سورة النساء وهذا ما يُعرف بالقطع في القرآن الكريم. والقطع يكون في النعوت و في المتعاطفات. يُقطع مع المرفوع منصوب أو هذا منصوب فيأتي بصيغة مرفوعة أو منصوبة فنقول: مررت بزيدٍ العالمِ، العالمُ، العالمُ) وهذا يُسمى قطع في النعت.

القطع في العطف يُقطع الأمر المهم في المدح وهي تدلّ على أن الأمر المقطوع هو أمدح أو أخصّ وفي الآية التي بين أيدينا (المقيمين الصلاة) هم أعلى المذكورين والصلاة هي أعلى العبادات. (والمقيمين الصلاة) معطوفة على مرفوع (لكن الراسخون في العلم) هي الأصل و(المقيمين الصلاة) نصب على رفع أما باقي المعطوفات فهي مرفوعة (والمؤتنون الزكاة، والمؤمنون بالله، والمؤمنون).

١٠٩ – ما الفرق من الناحية البيانية بين استخدام (ما) و (من) في القرآن الكريم؟

ما: خاصة بالعقلاء. قال تعالى (لله ما في السموات وما في الأرض) (ما) هنا تدل على العقلاء من الملائكة والمكلّفين من أصحاب العقل.

من: لذوات غير العقل وصفات العقلاء. كما في قوله تعالى (ولله من في السموات ومن في الأرض).

• ١١ - ما الفرق بين الحال المؤكّدة والحال المؤسسة؟

الحال المؤكدة: هي التي يستفاد معناها من غيرها ومما قبلها وهي مؤكدة لصاحبها أو لمعنى الجملة كقوله تعالى (فتبسّم ضاحكاً من قولها) والتبسّم هو الضحك. وكأن نقول مثلاً: قدر مستطيعاً.

الحال المؤسسة: هي التي لا يستفاد معناها من غيرها.

١١ - ما دلالة الفعل المضارع (يسعون) في قوله تعالى في سورة سبأ (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨)؟

الفعل المضارع له أزمنة كثيرة فقد يكون للمضي (فلم تقتلون أنبياء الله) أو للحال أو الإستمرار أو الإستقبال. فهو إذن له زمن متسع اتساعاً كيراً. وهنا في الآية استعمل للمزاولة وليس بالضرورة ما كان في المستقبل فقط ولو قال "سعوا" لاحتمل أن يكون هذا الساعي تاب ولا يقام عليه هذا الأمر لكن الذي هو مستمر هو الذي يُقام عليه الأمر.

وقد ورد هذا الفعل (يسعون) بصيغة المضارع أيضاً في سورة المائدة (إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِرْيٌ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَوْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِرْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآنِهِ مَعْلُولَةٌ خُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا فَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ طُعْيَاناً وَكُفُواً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَة وَالْبَعْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسَدِينَ { \$ ٢٤ }).

١١٢َ – ما اللمسة البيانية في اختيار كلمة (تفتأ) في سورة يوسف (قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ {٨٥}}؟

في سورة يوسف قال تعالى على لسان إخوة يوسف مخاطبين أباهم يعقوب (قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ مَنَ الْهَالِكِينَ {٨٥}). استخدمت كلمة (تفتأ) هنا بمعنى لا يزال وهي من أخوات كان (ما انفك، ما برح، ما زال، ما فتيء) "ما زال" تدل على الإستمرار واللوام (نقول ما زال المطر نازلاً) لكن يبقى السؤال لماذا اختار تعالى كلمة (تفتأ) دون غيرها من أخواتما التي قد تعطي نفس المعنى من الإستمرار والدوام؟ ونستعرض معنى كلمة "فتيء" في اللغة: من معانيها (سكّن) بمعنى مستمر لأنه عندما لا يسكن فهو مستمر، ومعناها أطفأ النار (يقال فتيء النار) ومن معانيها أيضاً: نسي (فتئت الأمر أي نسيته). إذن كلمة (فتأ) لها ثلاثة معاني سكّن وأطفأ النار ونسي. وفاقد العزيز سكن بمجرد مرور الزمن فمن مات له ميت يسكن بعد فترة لكن الله تعالى أراد أن يعقوب لا ينسى ولا يكفّ بدليل قوله تعالى (وَايُيضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُرْنِ فَهُو كَظِيمٌ {٨٤})، وفاقد العزيز كأنما هناك ناراً تحرق جنبيه ويقال (حرق قلبي) والنار التي بين جنبي يعقوب – عليه السلام – لم تنطفئ مع مرور الأيام ولم تزل النار ملتهبة مستعرة في قلب يعقوب – عليه السلام –، وهو لم ينسى وفاقد العزيز ينسى بعد فترة ولذا يدعو له المعزون

بالصبر والسلوان. إذن (تفتأ) جمعت كل هذه المعاني المرادة هنا في الآية ولا يؤدي أي لفظ آخر هذه المعاني مجتمعة غير هذه الكلمة. والقرآن الكريم لم يستعمل هذه الكلمة إلا في هذا الموضع في سورة يوسف واستعمل (يزال ولا يزال) كثيراً في آيات عديدة (ولا تزال تطّلع على خائنة منهم). واستخدام كلمة (حرضاً) في الآية تدل على الذي يمرض مرضاً شديداً ويهلك.

ومن الغريب أن القياس أن يُقال (لا تفتأ) لأن استعمالها نفي أو شبه نفي. وهذه من مواطن الفي ولم تحذف الـ(لا) في جواب القسم بالا في هذا الموطن في القرآن الكريم فهذه هي الآية الوحيدة التي وقعت في جواب القسم منفية ولم يذكر معها اللام ففي عموم القرآن عندما يكون القسم منفياً يأتي باللام (وأقسموا بالله جهد أيمائهم لا يبعث الله من يموت) إذن من الناحية النحوية هناك خياران : إما ذكر اللام أو حذفها. فمن الناحية النحوية إذا كان جواب القسم منفياً بيان من الناحية النحوية إذا كان جواب القسم فعل مضارع لا بد أن يكون باللام مع النون مثل (تالله الأكيدن أصنامكم) وإما مع اللام إذا اقتضى حذف النون. لا بد في جواب القسم المثبت أن تذكر اللام سواء مع النون أو بدونها. وعندما لا تذكر اللام فهذا يدل على النفي ولا يكون مثبتاً إلا بذكر اللام مع الفعل المضارع . إذا لم تأتي بـ (لا) فهو نفي قطعاً كقول الشاعر (فلا والله أشربها حياتي) بمعنى لا أشربها قطعاً. وقولنا (والله أذهب) يعني لا أذهب. فقد ورد قوله تعالى (فلا وربّك لا يؤمنون) لم تحذف الـ(لا) هنا و نسأل عن السبب؟ لماذا حذف الـ(لا) في الآية؟ لأن هذا القول قاله إخوة يوسف لكن هل أحدف الـ(لا) هنا ولذكر آكد من الحذف ولذا لم تذكر (لا) في جواب القسم ولقد جاء في الآية ما يفهم المعنى بدون الحاجة أصلاً فالذكر آكد من الحذف ولأن الأمر ليس مؤكداً عند إخوة يوسف. وهذا ما يُعرف بالتوسّع في الموتن الكريم.

١١٣ - ما اللمسة البيانية في تقديم الأكل على الشرب في سورة مريم (فكلي واشربي وقرّي عينا)؟

نلاحظ الآية قبلها في سورة مريم (فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزُنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً {٢٤} وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً {٢٥} فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي بَنِي بَغِي البَّشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي بَنِي مَنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِي اللَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أَكَلِّمَ الْيُومَ إِنسِيًا {٢٦}). فقد وردت كلمة السري وهي تعني (السيّد) وجمعها سُراة أي السادة (ولا سُراة إذا جُهّالهم سادوا) ، وهي بمعني أن الله تعالى قد جعلك تحتك سيّدا. أما التقديم والتأخير في الأكل والشرب فيلاحظ أنه في القرآن كله حيثما اجتمع الأكل والشرب قدّم تعالى الأكل على الشرب حتى في الجنّة (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) وقوله (كلوا واشربوا من رزق الله) وكذلك في آية سورة مريم (فكلي واشربي وقرّي عينا) والسبب في ذلك أن الحصول على الأكل أصعب من الحصول على الشرب.

لو نظرنا في الآيتين في سورة التوبة هناك تشابه واختلاف ففي الأولى ذكرت (لا) وزادت اللام في (ليعذّبهم) وذكر كلمة الحياة الدنيا في الآية الأولى وذكر الدنيا في الثانية (فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذّبهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَوْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ {٥٥}) و (وَلاَ تُعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذّبهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَوْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ {٥٥}) ونستعرض بالتفصيل الفرق بين الآيتين:

١. بدأ الآية الأولى بالفاء والثانية بالواو. لأن الآية الثانية معطوفة على ما قبلها فسياق الآيات السابقة يقتضي العطف أما الآية الأولى فالفاء للإستثناف وليس هناك عطف (قد تأتى الفاء للإستثناف أو التفريع).

٢. (تعجبك أموالهم ولا أولادهم) في سياق الإنفاق أي إنفاق الأموال. (قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً) (وما منعهم أن تُقبل لهم) (ولا ينفقون إلا وهم كارهون) (فلا تعجبك أموالهم) (إنما الصدقات) فالكلام كله إذن في الإنفاق في الآيات التي قبلها وبعدها في الجهاد وليس الإنفاق. فلمّا كان السياق في الأموال أضاف (لا) وفصل الأولاد والأموال للتوكيد.

٣. . (ليعذّهِم) زيادة اللام في الآية الأولى وهي زيادة التوكيد لأن السياق في الأموال والإنفاق وكما أكّد بــ(لا) أكدّ باللام بمعنى (إنما يريد الله أن يعنهم). فزيادة اللام قياسية للتوكيد (تؤكد معنى الإرادة) واللام تزاد قياساً وتُزاد سمعاً في المفعول به كما في قوله (والذين هم لرهم يرغبون) واللام زائدة في فعل الإرادة أن (أراد) فعل يتعدّى بنفسه فيؤتى باللام الزائدة للتوكيد، أو اللام للتعليل وهي على أي قول فهي للتوكيد (علّل الإرادة في الآية الأولى أو أكدّ الإرادة في الآية الأولى أو أكدّ الإرادة في الآية الأولى). فلمّا كانوا متعلقين بالمال تعلّقاً شديداً أكّد باللام (ليعذهم فيها) فكان التعذيب أشدّ. ذكر (الحياة الدنيا) في الآية الأولى و(الدنيا) في الآية الثانية: الآية الأولى في سياق الأموال والأموال عند الناس هي مبعث الرفاهية والحياة والسعادة والمال هو عصب الحياة، أما الآية الثانية فهي في الجهاد مظنّة مفارقة الحياة في القتال فاقتضى السياق ذكر (الحياة) في الآية الأولى وحذفها في الآية الثانية.

١١٥ – ما الفرق بين (هُمَزة) و(همّاز) ؟

قال تعالى في سورة الهمزة (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لِّمَزَةٍ {١}}) وقال تعالى في سورة القلم (هَمَّازٍ مَّشَّاء بنَمِيمٍ {١١}) الفروق بين الآيتين في الصيغ فصيغة (همَّاز) هي صيغة مبالغة على وزن فعّال تدل على الحرفة والصنعة والمداولة في الأصل مثل نجّار وحدّاد وخيّاط. وعندما نصف شخصاً ما بـ (كذّاب) فكأنما نقول أن صَنعَتُه الكذب. أما صيغة هُمَزة فهي مبالغة بالتاء وهناك أكثر من نوع للمبالغة بالتاء:

ما أصله غير مبالغة وبالغ بالتاء مثل راوي - راوية (للمبالغة) وهي في الأصل صيغة مبالغة ونأتي بالتاء لزيادة المالغة.

ما أصله صيغة مبالغة ثم نأتي بالتاء لتأكيد المبالغة وزيادها ، مثل : (هُمزة) فأصلها (هُمَز) وهي من صيغ المبالغة مثل (حُطَم لله عَلَى النهاية في الحُطَم لله عَلَى النهاية في الوصف أو الغاية في الوصف، فليس كل (نازل) يسمى (نازلة) ، ولا كل (قارع) يسمى (قارعة) حتى يكون مستطيرا عاما قاهرا كالجائحة، ومثلها القيامة والصاخة والطامة. فهذا التأنيث للمبالغة بل الغاية في المبالغة، وهذا ما تدل عليه كلمة (هُمَزة)

إذن نحن أمام صيغتين للمبالغة إحداهما تدل على المزاولة ، والأخرى على النهاية في الوصف ... ها هو الفرق بينهما والسؤال الآن بعد أن عرفنا الفرق بينهما: لماذا اختار وضع هذه هنا وهذه هناك؟

قال تعالى في سورة الهُمزة ("وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لَّمَزَةٍ . الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ . يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ . كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي عَمَدٍ فِي الْحُطَمَةِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ . نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ . الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ . إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّوْصَدَةٌ . فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ") وقال في سورة القلم (ن وَالْقَلَم وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنتَ بنعْمَةِ رَبِّكَ بمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقِ عَظِيمٍ . فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَيِنِّكُمُ الْمَفْتُونُ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ . وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُلهِئِونَ . وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِين . هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ . مَنَّاعٍ لَلْمُهْتَدِينَ . فَلَا تُطِع الْمُكَذِّبِينَ . وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُلهِئِونَ . وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَعْتَدٍ أَثِيمٍ . عُتُلِّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ . أَن كَانَ ذَا مَالَ وَبَنِينَ . إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُوَّلِينَ . سَنَسِمُهُ لَلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . إِنَّا بَلُوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ)

استعمال (هُمزة) في آية سورة الهمزة لأنه ذكر النتيجة وتعرّض للعاقبة، نتيجة وغاية وعاقبة الكفار الويل وجاءت الآية (كَلًا لَيُبَذَنَ فِي الْحُطَمَةِ {٤}) والحُطمة هي بنفس صيغة (همزة) وهي صيغة مبالغة لذلك ناسب أن يذكر بلوغه النهاية في الاتصاف بهذه الصفة بالتاء تدل على النهاية في الحطم، وهي تفيد أن الجزاء من جنس العمل فكما أنه يبالغ في الهمز فسيكون مصيره مماثلا في الشدة فالذي يتعدّى على الناس في قو انين الدنيا في ألها عليهم مؤصدة في عمد ممددة. و نلاحظ أيضا من السورة أن الخارج والمتعدي يجبس في النار وهكذا في قو انين الدنيا أيضا.

أما في سورة القلم استخدام صيغة (همّاز) لأن الكلام في التعامل مع الناس وكل سورة القلم تتكلم عن التعامل مع الناس. "وإنك لعلى خلق عظيم"، فهي تتناول السلوكيات ولا تذكر العاقبة إلا قليلا وهي التي وردت في قوله: "سَنَسمُه على الخرطوم" ولكنه لم يذكر شيئا آخر من عاقبة مرتكب هذا الفعل إنما ذكر صفاتم فقط مثل (حلاف مهين هماز مشاء بنميم) وهذه الصفات لا تستوجب الطاعة ولم يأتي ذكر العاقبة في هذه السورة فهي كلها في التعامل. وجاء في السورة (أن كان ذا مال وبنين) ينبغي أن لا يُطاع ولو كان ذا مال وبنين فهو يمتنع بماله وبنيه والمال والبنون هما سبب الحضوع والإيضاح والإنقياد ولو كان صاحبهما ماكر لذا جاءت الآية (وَلَا تُطعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهين (١٠ } هَمَّازِ مَّشَّاء بنَمِيم (١١ } مَنَّاع لِلْخَيْرِ مُعْتَدِ أَثِيم (١٣ } عُتُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيم (١٣ } أن كان ذا الله والنوة هما سبب الحضوع والانقياد في مال والمنون ألمال والقوة هما سبب الحضوع والانقياد في الله والمنود واثم واعتداء فإن لها القوة لما لها من مال وقوة الأفراد والشعوب مهما كانت حقيقة صاحب المال من أخلاق سوء وإثم واعتداء فإن لها القوة لما لها من مال وقوة وهذا مشاهد في واقعنا وهو سبب استعلاء الدول القوية صاحبة هذا المال وتلك القوة على الشعوب المستضعفة. فالملحوظ هنا أن سورة القلم لم تنظرق إلى نمايتهم بل اكتفت بالأمر بعدم طاعتهم، أما الهمزة فقد ذكرت نمايتهم فالملحوظ هنا أن سورة القلم لم تنظرق إلى نمايتهم بل اكتفت بالأمر بعدم طاعتهم، أما الهمزة فقد ذكرت نمايتهم بتفصيل.

١٦٦ – ما دلالة التكرار في قوله تعالى (أولى لك فأولى) (ثم أولى لك فأولى) في سورة القيامة؟
 التكرار في القرآن الكريم جزء من الإعجاز. والآية فيها عطف على جزء من الآية بالفاء ثم عطف بـــ (ثمّ) في الآية الثانية.

(أولى لك)عبارة تقال على جهة الزجر والتوعد والتهديد، واشتقاقها من (الوكي) وهو القرب فهو اسم تفضيل يفيد قرب وقوع الهلاك ؛ (الويل) كلمة دعاء عليهم بأن يليهم المكروه. واختيار هذا الدعاء أنسب شيء هنا فهو دعاء عليهم وتهديد لهم بالويل القريب والشر الوشيك العاجل فهو مناسب لإيثارهم العاجلة وتقديمهم الفجور والشهوات وتأخيرهم الطاعات فكما عجلوا في المعاصي عجّل الله تعالى لهم الويل والثبور وهو مناسب لجو العجلة في السورة . جو السورة هو في إيثار العاجلة عن الآخرة (كلا بل تحبون العاجلة * وتذرون الآخرة) ومن حُبّ الشخص للعاجلة عجّل له الويل فاستعمل (أولى). وكلمة (أولى) بعد الموت وفي النزع لأن العذاب يكون قريباً منه في هذه المرحلة.

و في قوله تعالى (أولى لك فأولى* ثم أولى لك فأولى) تكرار جزئي في الآية الواحدة وتكرار كلي للآية، فلماذا التكرار الجزئي؟

قال تعالى (فلا صدّق ولا صلّى ولكن كذّب وتولّى) كل واحدة لها أولى لك (أي لكل منها تمديد) لكن هل هذه الأمور كلها متساوية وفي منزلة واحدة؟ (لا صدّق) تعني أنه لم يؤمن بشيء، (لا صلّى) إذا لم يصدّق وفعل ما فعل من مظاهر الطاعة فلا ينفعه، أما إذا كان مؤمناً وتكاسل في الطاعات هذا تُرجى له التوبة والمغفرة و لا يخرج من اللّة. إذن الأساس الأول هو التصديق فالأمران ليسا بمرتبة واحدة فجعل لكل واحد منها تمديداً. فعدم التصديق أكبر جرماً وضلالاً لأن صاحبه لم يؤمن أصلاً أما عدم الصلاة كما أسلفنا فهو أخفّ. فلذلك كانت قوة التهديد بمقابل قوة الوصف فقال مقابل (فلا صدّق) (أولى لك) فذكر (لك) ومقابل (ولا صلّى) قال (فأولى) بحذف (لك) إشارة إلى عظم الإيمان وأهميته وإشارة إلى أن الصفتين المذكورتين ليستا بدرجة واحدة في الضلال. وزيادة (لك) في قوله (أولى لك) للأهمية كما جاء في سورة الكهف (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) وفي الآية الأخرى (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا). أما لماذا خصصت الصلاة بالذكر فلأن الصلاة هي أهم العبادات.

لماذا تكرير الآية (أولى لك فأولى)؟ قال تعالى في الآية (ولكن كذّب وتولّى) و(كذّب) معناها : لا صدّق (وتولى) من معناها عدم الصلاة. فكرر الأمران الأوليان بمعناهما وجاء (كذّب) مقابل (لا صدّق) و (تولّى) مقابل (لا صلّى) لذا كرر التهديد كما في الآية الأولى، وعدم التصديق أو التكذيب هو إنكار للإيمان من أساسه فهو لم يصدّق بالرسالة ولا ببقية أركان الإيمان. وقد ذكر تعالى عدم التصديق وأكده بالتكذيب وذكر عدم الصلاة وأكده بالتولي ولكلٍ هديد ووعيد فكرره أربع مرات كل وعيد مقابل كل صفة.

وجاء بالفاء بين أجزاء الآية (أولى لك فأولى) وجاء بــ (ثمّ) بين الآيتين، و(ثمّ) ليست فقط للتراخي الزمني ولكنها تأتي للتوكيد أيضاً. فلا صدّق ولكن كذّب وكذّب أكثر من لا صدّق وتقتضي الإعلان والإشهار لذا هي أكثر من ولا صدّق. وتولّى هي في عموم الطاعات وهي أكثر من (ولا صلّى) لذا جاءت (ثمّ) للتراخي.

أما استخدام الفاء في (فأولى) الأولى لأن ما بين العذابين الأوليين عذاب الدنيا وعذاب القبر قريب وكذلك في الآية الثانية لأن ما بين العذابين الآخرين قريب وهو بين يوم القيامة ودخول النار، الآية (أولى لك فأولى) قيلت في حالة الإحتضار يبدأ العذاب في النزع ثم في القبر وبينهما مسافة قريبة لذا جاء بالفاء لقربهما أما الثانية (ثم أولى لك فأولى) جاءت في الحشر والنار وجاء بالفاء بينهما لقربهما أي الحشر والنار أما استخدام (ثمّ) بين القبر والحشر دلالة على التراخي والفاصل الزمني البعيد بين كل منهما ولأن بين القبر والحشر آلاف السنين، واستخدام (ثم) يفيد عموم البعد والتباين وليس التراخي في الزمن فقط. فالتكرار للفظ (أولى) أربع مرات دلالة على أن الويل لك حياً والويل لك ميتاً والويل لك عياً والويل

١١٧ – ما اللمسة البيانية في قوله تعالى في سورة الجمعة (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهُواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ النِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ {١١} })؟

هذه الآية نزلت بينما كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يخطب بعد صلاة الجمعة فجاءت العير بتجارة وكانت سنة شديدة فانفض الناس بسبب التجارة وليس بسبب اللهو الأنه كان هناك غلاء في الأسعار فعنلما نودي أن القافلة وصلت انفض الناس عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولهذا قدّم التجارة في أول الآية (وإذا رأوا

تجارة). ثم في نماية الآية قدّم تعالى اللهو على التجارة لأنه ليس كل الناس ينشغلون بالتجارة عن الصلاة فكثير ينشغلون باللهو وما عند الله تعالى خيرٌ من اللهو ومن التجارة لذا قدّم اللهو على التجارة.

وقوله تعالى (والله خير الرازقين) لأن التجارة مظنّة الرزق فوضع التجارة بجانب قوله تعالى (والله خير الرازقين) فليس لائقاً ولا مناسباً أن يقول تعالى (والله خير الرازقين) بجانب اللهو وفي اللغة عادة تترقّى من الأدبى إلى الأعلى فذكر الأدبى (اللهو) ثم الأعلى (التجارة).

وهناك أمر آخر وهو تكرار (من) في قوله تعالى (من اللهو ومن التجارة) لأنه لو قال (من اللهو والتجارة) لأفاد أن الخيرية لا تكون إلا باجتماعهما أي اللهو والتجارة أما قوله تعالى (من اللهو ومن التجارة) فهي تفيد أن الخيرية من اللهو على جهة الإستقلال أيضاً فإن اجتمعا زاد الأمر سوءاً.

١١٨ – ما دلالة قوله تعالى (وعَبَدَ الطاغوت) في سورة المائدة؟

قال تعالى في سورة المائدة: (قُلْ هَلْ أَنَبُنُكُم بِشَرِّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرُّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّييلِ {٢٠}}) (عبد الطاغوت) ليست معطوفة على القردة والخنازير وإنما هي فعل ماضي معطوفة على (وجعل منهم) فهي جملة معطوفة على جملة.

١٩ - ما الفرق بين (سنة) و (عام) في قوله تعالى في قصة نوح – عليه السلام – (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما)؟

كلمة (سنة) في القرآن تدلّ عادة على الجدب والقحط ويقال: "أسنت الناس" إذا أصابهم قحط ويقال: "أصابتنا سَنَة " بمعنى جدب وقحط. أما كلمة (عام) فهي عادة تستعمل في الخير في الغالب. وفي قصة نوح – عليه السلام – يقول المفسرون: أنه لبث في الدعوة ٩٥٠ سنة مع قومه بشدة وصعوبة وتكذيب له واستهزاء به أما الخمسين عاماً فهي ما كان بعد الطوفان حيث قضاها مع المؤمنين في راحة وطمأنينة وهدوء بعيداً عن الكافرين من قومه الله بالطوفان.

• ١٢ – وردت كلمة (إبراهيم) في القرآن كله بالياء إلا في سورة البقرة جاءت بدون الياء (إبراهم) فما دلالة ذلك؟

إبراهيم في القرآن الكريم وردت منقوطة بالياء في كل القرآن إلا في سورة البقرة وهذا من خط المصحف لأن كتبة المصحف كانوا كُثُو ولا يُقاس على خط المصحف.

قاعدة: "خط المصحف لا يقاس عليه". وعلينا أن نعلم أنه حصل تطور في تاريخ الكتابة منذ زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم – فبدأت الكتابة العربية تستقر وتأخذ أشكالاً أخرى ولذلك نرى أكثر من رسم للكلمة مثال كلمة (لكيلا) يمكن كتابتها موصولة ويمكن كتابتها (لكي لا) ، كذلك كلمة (إذن) تكتب بالنون أو بالتنوين (إذاً) وكلمة (مئة) و(مائة) وغيرها وكلا الكتابات جائز عند العرب. والمصحف كتبه عدد كبير من الكتبة ؛ والرسم الذي كتبوا به هو كتابتهم في أزمانهم فمرة يرسم حرف العلة ومرة لا يرسم وأحياناً يكون الرسم لاختلاف القراءات فيوضع الرسم الذي يجمع القراءات المتواترة كما في سورة الفاتحة تكتب (ملك يوم الدين) بدون ألف لأنه ورد قراءة متواترة أخرى (مالك يوم الدين) وشروط القراءة الصحيحة أن تكون موافقة لرسم المصحف.

وكلمة (إبراهيم) في سورة البقرة ورد فيها قرائتين متواترين إحداهما (إبراهم) بدون ياء والثانية (إبراهيم) بالياء فكتبت بالشكل الذي يحتمل القراءتين.

١٢١ - ما دلالة كلمة (مودة) في آية سورة النساء؟ ولماذا لم يقل عداوة؟

في سورة النساء آية ٧٣ قال تعالى: (و َلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ الله لَيَقُولَنَّ كَأَن لَمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً {٧٣}) ولو قرأنا الآية التي تسبق هذه الآية (وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً {٧٧}) لانتفى السؤال أصلاً فالآية فيها (وإنَّ مَنكم لمن مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً {٧٧ }) لانتفى السؤال أصلاً فالآية فيها (وإنَّ مَنكم لمن ليبطئن) "إن منكم" تعني من بين المؤمنين سواء من كان ضعيف الإيمان أو غيره فهو إما يبطيء نفسه أو يبطيء غيره فهؤ لاء المخاطبين هم من صفوف المؤمنين فلا يصح أن يكون بينهم عداوة وإنما مودة كما ذكرت الآية الكريمة. فهؤ لاء المخاطبين هم أوجه البلاغة في قول النملة في سورة النمل مخاطبة قومها؟

قال تعالى في سورة النمل (حَتَى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَشْغُرُونَ {١٨} } فالنملة حذّرت ونادت ونصحت قومها وأنذرت وعممت وأكدّت وقصّرت وبالغت وغيره وكل هذا ليس مهماً فكل كلام يقال فيه أو جه بلاغية لكن المهم كيف عبّر عن ذلك. فالنملة بدأت مخاطبة قومها مخاطبة العقلاء وجاءت بلفظ (مساكنكم) ولم تقل بيوتكم أو جحوركم لأهم في حالة حركة والحركة عكسها السكون فاختارت لفظ المساكن من السكون حتى يسكنوا فيها ولم تقل المساكن والجحور وإنما قالت (مساكنكم) أي أن لكل نملة مسكنها الخاص الذي تعلم مكانه ولم تقل ادخلن وإنما قالت ادخلوا، ثم أكدّت بالنداء بقولها (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) حرف النداء الدال على البعد حتى يسمعوا نداءها، وقالت (سليمان وجنوده) ولم تقل "جنود سليمان" حتى ترفع العذر عن سليمان ، أيضاً فلو قالت "جنود سليمان" لكان سليمان غير عالم إذا كان قاصداً أو غير قاصد وجاءت بلفظ (سليمان) بدون أي لقب له كالنبي سليمان للدلالة على أنه مشهور بدون أن يوصف، ثم حشهم على الإسراع في التنفيذ قبل أن تناظم المصيبة، ونسبت الفعل لسليمان (لا يحطمنكم) وفعل يحطمنكم مقصود في الآية لأنه ثبت علمياً أن جسم النمل يتركب معظمه من كمية كبيرة من السليكون الذي يدخل في صناعة الرجاج والتحطيم هو أنسب الأوصاف للفعل الدال على التكسير والتهشيم والشدة. إذن ليس الهم جمع أوجه بلاغية في التعبير لكن المهم كيف التعبير عن هذه الأوجه وهذا ما يتفرد به القرآن الكريم.

١٢٣ – ما الفرق من الناحية البيانية في استخدام لفظة (رسول، رسولا) في قصة موسى وهارون؟

قال تعالى في سورة طه (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعْتَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبُهُمْ قَدْ جَنْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى {٤٧}}) وفي سورة الشعراء (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {٢٦}) وفي سورة الزحرف قال تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {٢٦}) المسألة تتعلق بالسياق ففي سورة طه السياق كله مبني على التنية من قوله تعالى (اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنيَا فِي ذِكْرِي {٢٤}) إلى قوله (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسحْرِهِمَا وَيَلْهَبَا فِي ذِكْرِي {٢٤}) الشعراء ؛ السياق كله مبني على الإفراد من قوله تعالى (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى {٣٦}) الشعراء ؛ السياق كله مبني على الإفراد من قوله تعالى (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى {٣٦}) الشعراء ؛ السياق كله مبني على الإفراد من قوله تعالى (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ {١٨٤}) إلى قوله (قَالَ لِلْمَلَا حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ {٣٤}) مع العلم أن أوائل السورة فيها تغينة من قوله تعالى (قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ {١٥ }) إلى قوله (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ

الْعَالَمِينَ {١٦}}).

وكلمة (رسول) في اللغة تأتي مفرد وتأتي جمع مثل كلمة "بشر" (أبشراً منا واحداً نتّبعه) وقوله تعالى (بل أنتم بشر ممن خلق) وكلمة طفل (ثم يخرجكم طفلاً) وكلمة (ضيف) .

يقال في اللغة نحن رسول وإنا رسول فقوله تعالى (إنا رسول ربك) تأتي مع البيان ومع سنن العربية وليس فيها مخالفة للغة. وفي سورة الزخرف لم يأتي ذكر (هارون) في سياق السورة كلها أصلاً فقال تعالى (إني رسول رب العالمين). وهذه الآيات الثلاثة لا تعارض فيها وإنما هي لقصة واحدة ذهب موسى وأخاه هارون إلى فرعون وفي كل سورة جاء بجزء من القصة بما يقتضيه السياق في السورة وهذه اللقطات إنما هي مشاهد متعددة يُعبّر عن كل مشهد حسب السياق وليس في الآيات الثلاثة ما يخالف العربية لأن كلمة (رسول) تأتي كما قلنا سابقاً مفرد وجمع. كذلك يستعمل القرآن الكريم كلمة (طفل) مرة و(أطفال) مرة حسب ما يقتضيه السياق ولا يخرج عن اللسان العربي وسنن العربية.

٢٢٤ - ما العلاقة بين الخوف من عدم القسط باليتامي والنكاح في آية سورة النساء؟

قال تعالى في سورة النساء (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاً تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانَكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاً تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَ تَعُولُواْ {٣}) نزل الحكم في ولّي اليتيم الذي تعجبه المرأة مالها وجمالها فيبخسها حقها طمعاً بمالها فلا يعطيها مهرها الكافي، لذا جاءت الآية : إذا خفتم ألا تعولوا في إعطاء النساء اليتيمات حقهن فانكحوا غيرهن من النساء غير اليتيمات. وكان العرب يرغبون برعاية اليتيم واليتيمة فلما حذّرهم الله من عدم العدل في مال اليتيم خافوا من رعاية اليتيم فوردت الآية أن يقيموا العدل بين النساء ويخافوه كما يخافوا عدم العدل في اليتيم.

١٢٥ – ما الفرق في ترتيب الأهل بين سورتي عبس وسورة المعارج؟

كلمة (كلاّ) وردت في الجزء الثاني من القرآن الكريم ٣٣ مرة ولم ترد أبداً في الجزء الأول، وهي كلمة ردع وزجر وقد تكون جواباً من حيث الدلالة. وإذا نظرنا إلى سياق الآيات الأولى في القرآن الكريم نجد أن معظمها مدين ونزلت في الأحكام أما الجزء الثاني فمعظم سوره مكيّة وهي نزلت في أمور العقيدة والحساب والبعث لذا فسياق الجزء الأول لا يقتضى الزجر والردع والأسئلة. وفي قوله تعالى (كلا إن

الإنسان ليطغى) جاءت كلمة (كلا) هنا بمعنى حقاً . ١٢٧ – ما دلالة كلمة (يهدي) في سورة يونس؟

قال تعالى في سورة يونس (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَلَى الْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَن يُهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَن يُتْبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ {٣٥}) من حيث التكوين اللغوي لكلمة (يهدّي) تعني يهتدي وحصل فيها إبدال معلوم التاء انقلبت دال مثل قوله (يخصّمون) في سورة يس وهي (يختصمون) وكلمة (ازّينت) وهي ترينت.

يبقى السؤال لماذا جاءت (يهدي)هي فيها تضعيف الدال بينما (يهتدي) ليس فيها تضعيف الدال والتضعيف يفيد المبالغة أي بالغ في عدم اهتداء هؤلاء. فلماذا بالغ هنا في الآية؟ هنا يتكلم عن الأصنام والأصنام ليست كالبشر لألها غير قادرة على فعل شيء ولم يرد في القرآن نفي الهداية عن الأصنام إلا في هذه الآية. في كل القرآن ورد نفي الهداية عن البشر فجاء بلفظ يهتدي وتحتدي. وإذا فقد السمع والبصر مبالغة في عدم الهداية لذا المبالغة في عدم الهداية جاءت كلمة (يهدي) فكيف تحتدي الأصنام؟ لذا اقتضى المبالغة. وتوجد قراءة متواترة (يهدي).

١٢٨ – ما دلالة استخدام (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) في آية سورة المائدة؟

قال تعالى في سورة المائدة (والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {٣٨}) ولم يقل والله غفور رحيم لأنه تعالى لو قال "غفور رحيم" تدلَّ على أنه لو غفر ورحِم ما قطع ولكنه تعالى عز فحكَمَ فَقَطَع.

١٢٩ – ما حكمة تكرار قوله تعالى (ولا أنتم عابدون ما أعبد) في سورة الكافرون؟

قال تعالى في سورة الكافرون (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ { 1 } لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ { 7 } وَلَا أَتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ { 0 } لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ { 7 }). النفي في حقّ الرسول عليه الصلاة والسلام ورد مرتين ونُقي في حالتين: الأولى نفى عن نفسه عبادة ما يعبد الكافرون بالجملة الإسمية والفعلية والفعل جاء بصيغة الماضي (و لا أنا عابد ما عبدتم) مرة والمضارع مرة أخرى (لا أعبد ما تعبدون) أما في حقّ الكافرين فجاء النفي في الجملة الإسمية فقط في قوله (و لا أنتم عابدون ما أعبد) وهذا يدل على إصرار الرسول عليه الكافرين فجاء النفي في الجملة الإسمية فقط في قوله (و لا أنتم عابدون ما أعبد) وهذا يدل على إصرار الرسول عليه الصلاة والسلام وإيمانه بعقيدته أكبر وأثبت من إصرار الكافرين. وقد نفى الله تعالى عن الكافرين العبادة بالجملة الإسمية للدلالة على الثبوت و نفاها عن الرسول بالجملة الفعلية والإسمية دليل على إصراره على عبادة ربه على وجه الدوام وبالحدوث والثبوت و في الحال والماضي. وجاءت الجملة الإسمية لأنه جاء إسمهم (قل يا أيها الكافرون) فجاء النفى بالجملة الإسمية لأنه جاء إسمهم (قل يا أيها الكافرون) فجاء النفى بالجملة الإسمية لأنه جاء إسمهم (قل يا أيها الكافرون) فجاء النفى بالجملة الإسمية لأنه جاء إسمهم (قل يا أيها الكافرون).

• ١٣٠ – لماذا وردت كلمة (يهتدي) بالياء في سورة النمل وبدون ياء في سورة الروم؟

قال تعالى في سورة النمل (وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْي عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآياتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ {٨١}) بذكر الياء وقال في سورة الروم (وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْي عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ بِذكر الياء وقال في سورة الروم (وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْي عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ إِن اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

كلمة (الهداية) في سورة النمل زاد في مبنى الكلمة للدلالة على زيادة السمة التعبيرية والتكرار، وهناك أمر آخر أنه في سورة النمل ذكر قسماً من المهتدين (وَإِنَّهُ لَهُدَّى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ {٧٧}}) ثم حث تعالى الرسول – صلى الله عليه وسلم – على المضي في سبيله (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ {٧٩}) أما في سورة الروم فالسياق ليس في الهداية أصلاً ولم يذكر قسماً من المهتدين بل الكلام عن المطر والأرض والرياح وغيرها، فعندما ذكر قسما من المهتدين زاد الياء وعندما لم يكن هناك شيء في السياق يدل على الهداية حذف الياء. ونظير هذا قوله تعالى في سورة الأعراف (مَن يَهْدِ الله فَهُو الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {١٧٨}) بالياء وقوله في سورة الإسراء (وَمَن يَهْدِ الله فَهُو الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِمْ عُمْياً وَبُكُماً وَصُمّاً مَّا وَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما حَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً {٩٧}) وفي سورة الكهف (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تُورُونَ وَمُن كَمُفِهِمْ ذَاتَ الْشَمْسُ وَهُمْ فِي فَجُوةٍ مِنَهُ في فَجُوةٍ مِنَهُ

ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيَّا مُرْشِداً {١٧}}) بدون ذكر الياء ولو لاحظنا آيات السور لوجدنا أن لفظ (الهداية) تكرر في سورة الأعراف ١٧ مرة وفي سورة الإسراء ٨ مرات و في سورة الكهف ٦ مرات.

١٣١ - ما دلالة استعمال صيغة الفعل الماضي في أول سورة النحل؟

قال تعالى في بداية سورة النحل (أتى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجُلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ { 1 }). الفعل الماضي في اللغة العربية ليس بالضرورة أن يكون لما قد حصل فقد يكون لما شارف الوقوع وقد يكون للمستقبل الذي سيقع بعد قرون كذكر أحداث يوم القيامة في القرآن (ونفخ في الصور فصعق من في السموات والأرض)، وأحياناً يُستعمل الفعل المضارع للماضي البعيد كقوله تعالى (فلم تقتلون أنبياء الله). الزمن في اللغة العربية ليس بالبساطة التي نتصورها فالفعل الماضي له ١٦ زمناً في اللغة. فما المقصود بقوله تعالى (أتى أمر الله)؟ هو ليس بالضرورة يوم القيامة فقد يكون النصر الذي أشرف على الجيء فلا تستعجلوه ولكنه تأكيد بأنه سيقع. يذكر الماضي للدلالة على التيقن من وقوعها كما يصف أحداث يوم القيامة (وحمّلت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) فالأحداث المستقبلية هي بدرجة تحققها مثل الأحداث التي حصلت هي بمنزلة ما مضى ليس في الفعل الماضي شك فهي بمنزلة ما مضى من الأحداث وهو حاصل وآت آت قد يكون اقترب أو شارف على الوقوع وقد يحتمل أن يكون النصر وقد يحتمل القيامة. كما نقول قد قامت الصلاة في أذان الإقامة.

١٣٢ - ما دلالة استعمال صيغة (مأتيا) في قوله تعالى في سورة مريم (إنه كان وعده مأتيا)؟

قال تعالى في سورة مريم (جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا {٦٦}). يُقصد بالوعد : جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بها ؛ والجنّات تُؤتى ولا تأتي فالجنات يذهبون إليها فهي مأتية وليست آتية فالوعد هو الجنة والآية في السورة في سياق الجنة.

١٣٣ –ما دلالة تقديم الشتاء على الصيف والجوع على الخوف في سورة قريش؟ قال تعالى في سورة قريش (لإيلَافِ قُريْش (1 } إيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ (٢ } فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣ } الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ جَوْفٍ (٤ }) والمعروف أن حاجة الإنسان للطعام في الشتاء أكثر من الصيف والخوف في الضيف أكثر لأنه فيه يكثر قطّاع الطرق والزواحف لذا قدّم تعالى الشتاء على الصيف والجوع على الخوف وقال أيضاً (أطعمهم) ولم يقل أشبعهم لأن الإطعام أفضل من الإشباع. ولقد جاءت سورة قريش بعد سورة

الفيل للتركيز على الأمن في البيت الحرام بعد عام الفيل.

١٣٤ - ما دلالة استخدام كلمة (يشعرون) في سورة يوسف؟

قال تعالى في سورة يوسف (فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّنَيَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ {١٥}) باستخدام كلمة (يشعرون) وليس "يعلمون" لأنه أحياناً يعتري الإنسان شعور بشيء لكن ليس له علم به. وبالنسبة لإخوة يوسف لم ينتابهم الشعور بالقرابة أو المعرفة لذا نفى الله تعالى عنهم الشعور لأن نفي العلم لا ينفي الشعور أما نفي الشعور فينفي العلم وهم لم ينتابهم شعور مطلقاً.

١٣٥ - ما دلالة كلمة (حُكماً) في سورة يوسف؟

قال تعالى في سورة يوسف (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسنِينَ {٢٢}) الحكم يأتي بمعنى الحكمة و بمعنى القضاء وليس بالضرورة لمن أوتي العلم أن يكون حكيماً أو قاضياً وقد يكون العكس لكن الله تعالى جمع ليوسف – عليه السلام – الحكمة و العلم والقضاء.

١٣٦ – ما الفرق بين استغفار يوسف لإخوته واستغفار يعقوب لأبنائه في سورة يوسف؟

قال الله تعالى على لسان يوسف – عليه السلام – (قَالَ لاَ تَشْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيُومَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُو َ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ {٩٢}) وقال على لسان يعقوب – عليه السلام – (قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {٩٨}) ولو نظرنا في سياق الآيات وموقف إخوة يوسف معه لوجدنا ألهم قالوا (قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرُكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنًا لَخَاطِئِينَ {٩٩}) هم لم يسألوه المغفرة وإنما هو الذي دعا لهم بالمغفرة دون أن يسألوه حتى ألهم لم يذكروا الخطيئة التي ارتكبوها بحق يوسف كما فعلوا مع أبيهم (وَإِن كُنًا لَخَاطِئِينَ) وإنما جاءت (إن) مخففة. أما مع أبيهم قالوا (قَالُواْ يَا اللّهُ عَلَيْهُ وَلَا خُطِئِينَ {٩٧}) وجاءت (إنّا) مشددة ويعقوب – عليه السلام – لم يستغفر لهم ولكن وعدهم بالإستغفار لأن فعلتهم مع يوسف لم تكن عاقبتها على يوسف كما كانت على أبيهم فيوسف – عليه السلام – أصبح عزيز مصر وييده الأمر والنهي أما تأثير فعلة إخوة يوسف على أبيهم فكان أعظم لأنه أصيب المعمى والأسى والحسرة على ولده ولا يزال قلب يعقوب – عليه السلام – فيه أسى وفي نفسه شيء كثير من الحزن والأسى لذا أجّل الإستغفار في قوله (قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {٩٨}) أما يوسف – عليه السلام – فيه أسى وفي نفسه شيء كثير من الخزن والأسى لذا أجّل الإستغفار في قوله (قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {٩٨}) أما يوسف – عليه السلام – فقال لهم (قَالَ لاَ تَشْرَيبَ

عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ {٩٢}) لأنه استفاد من فعلة إخوته معه.

١٣٧ - ما دلالة التذكير والتأنيث في كلمة (صواع) في سورة يوسف؟

قال تعالى في سورة يوسف (قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ {٧٢}) و (فَبَدَأَ بَأُوعِيتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِذَنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ {٧٦}) فاستخدمت كلمة (صواع) مرة مذكرة ومرة مؤنثة. وبعض الكلمات تأتي مؤنثة ومذكّرة فكلمة (العاقبة) مثلاً تُذكّر إذا استعملت للعذاب وتُؤنّث إذا استعملت للعذاب وتُؤنّث إذا استعملت للعذاب وتُؤنّث إذا استعملت للعيام في الله النافية التأنيث هو للمجاز ويُسمى (مؤنث مجازي).

١٣٨ – ما دلالة كلمة (كريم) في قوله تعالى (وله أجر كريم) في سورة الحديد؟

قال تعالى في سورة الحديد (مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ {١١}) الكلام في السياق عن القرض والأجر الكريم هو الأجر الحسن البالغ الحسن. وقد جاء في آية سابقة في السورة نفسها قوله

تعالى (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ {٧}) و في الآية طلبين هما: آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا وبما أن الدائرة اتسعت وكبُرت كبُر الأجر أيضاً.

أما في آية سورة البقرة (مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَيْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {٢٤٥}) هنا لم يرد (أجر كريم) أو (كبير) لذا جاءت أضعافاً مضاعفة ففي آية سورة الحديد عوّض عن الأضعاف الكثيرة بـــ (له أجر كريم).

1٣٩ – ما دلالة استخدام صيغة اسم الفاعل في كلمة (الكاذبين) و (المنافقين) في سورة العنكبوت؟ قال تعالى في سورة العنكبوت (وَلَقَدْ فَتَتَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ {٣}) و قال تعالى في سورة العنكبوت (وَلَقَدْ فَتَتَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ {١١}) فجاءت (الذين صدقوا) و (الذين آمنوا) بصيغة الفعل وجاءت كلمة (الكاذبين) و (المنافقين) بصيغة السم الفاعل. علمة (الكاذبين) و المنافقين الذين صدقوا والكاذبين هم الأصل أي الكفرة فهل صدقوا إيمانية أم بقوا على حالهم؟ الكلام في عموم المنافقين الذي أحدث إيماناً.

• ١٤ - ما دلالة استخدام كلمة (الكذب) معرّفة في سورة الصف وقد وردت نكرة في مواضع أخرى؟

قال تعالى في سورة الصف (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {٧}). التعريف في النحو هو ما دل على شيء معين (إزالة الإشتراك عن الشيء) أما التنكير فهو عام. في الآيات القرآنية التي وردت كلمة (الكذب) فيها بالتعريف هي آيات خاصة بأمر معين أما التي وردت فيها كلمة (كذب) بالتنكير فهي تتعلق بأمر عام. مثال في استخدام كلمة (الكذب) بالتعريف في القرآن قوله تعالى في سورة آل عمران (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُتَوَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بالتَّوْرَاةِ فَاتُلُوهَا إِن كُتُمُ صَادِقِينَ {٩٣} } فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولُكِ هُمُ الظَّالِمُونَ {٩٤}) بالتَّوْرَاةِ فَاتُلُوهَا إِن كُتُمُ صَادِقِينَ {٩٣ } فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولُكِ هُمُ الظَّالِمُونَ {٩٤}) الكذب هنا متعلق بالمسألة في الآية أما في قوله تعالى في سورة الكهف (هُولُكاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لُولًا يَأْتُونَ عَلَى اللّهِ كَذِبًا ﴿١٥٤ }) ليس هناك أمر خاص وإنما هو أمر عام لذا جاءت كلمة (كذب) بالتنكير.

١٤١ - لماذا قدّم البصر على السمع في آية سورة الكهف وآية سورة سورة السجدة؟

قال تعالى في سورة الكهف (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِهُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً {٢٦}) وقال في سورة السجدة (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُوُّوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ {١٢}) والمعلوم أن الأكثر في القرآن تقديم السمع على البصر لأن السمع أهم من البصر في التكليف والتبليغ لأن فاقد البصر الذي يسمع يمكن تبليغه أما فاقد السمع فيصعب تبليغه ، ثم إن مدى السمع أقل من مدى البصر فمن نسمعه يكون عادة أقرب ممن نراه، بالإضافة إلى أن السمع ينشأ في الإنسان قبل البصر في التكوين. أما لماذا قدّم البصر على السمع في الآيتين المذكورتين فالسبب يعود الى أنه في آية سورة الكهف الكلام عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لئلا يراهم أحد ولجأوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يراهم أحد لكن الله تعالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف وكذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حتى لا يراه القوم إذن مسألة البصر هنا أهم من السمع فاقتضى تقديم البصر على السمع في الآية.

وكذلك في آية سورة السجدة، الكلام عن المجرمين الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصرون لكن ما يسمعوه كان يدخل في مجال الشك والظنّ ولو تيقنوا لآمنوا أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه لأنهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر (عين اليقين) والآخرة ميدان الرؤية وليس ميدان السمع وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة. فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعونه ويشكون فيه تغير الحال ولذا اقتضى تقديم البصر على السمع.

١٤٢ – ما الفرق بين استخدام كلمة (يُنصرون) في سورة البقرة وكلمة (يُنظرون) في سورة البقرة وآل عمران؟

قال تعالى في سورة البقرة (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنطَرُونَ {٨٦}}) وفي سورة آل {٨٦}) وقال في سورة البقرة أيضاً (حَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ {٨٨}) عمران (حَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ {٨٨})

لو نظرنا في سياق الآيات في سورة البقرة التي سبقت آية ٨٦ لوجدنا الآية (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظْاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَاتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ بَعْضُ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ جِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيَّا وَيَوْمَ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُوْمِتُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكَفُّرُونَ بِبَعْضُ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ جِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيَّا وَيَوْمَ الْقِيمَامِ فَي الْحَيَاقِ الدُّنيَّا وَيَوْمَ الْقِيمَةُ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَلَقِ الدُّيْقِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلَ عَمَّا تَعْمَلُونَ {٨٥}) فالآيات تتكلم عن القتال والحرب والمحارب القيام القيل والحرب والمحارب يريد النصر لذا ناسب أن تختم الآية ٨٦ بكلمة (ينصرون) أما في الآية الثانية في سورة البقرة وآية سورة آل عمران في الآيتين وردت نفس اللعنة واللعنة معناها الطرد من رحمة الله والإبعاد والمطرود كيف تنظر إليه؟ كلمة (يُنظرون) تحتمل معنيين : لا يُمهلون في الوقت ولا يُنظر إليهم نظر رحمة ؛ فإذا أُبعد الإنسان عن ربه وطُرد من رحمة الله فكيف يُنظر إليه فهو خارج النظر فلما ذكر الآيتين في سورة البقرة وسورة آل عمران استوجب ذكر (يُنظرون).

1٤٣ – ما دلالة استخدام الضمير (هو) في آية سورة الحج (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ {٢٢}) وعدم استخدامه في آية سورة لقمان؟ قال تعالى في سورة الحج (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ {٣٢}) وفي سورة لقمان (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ {٣٠})

لو نظرنا في سياق سورة الحج نرى ألها تتكلم عن الصراع مع أهل الباطل من قوله تعالى (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ {٥٩}) إلى قوله (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُبِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ مُعَاجِزِينَ أُولِئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ {٥٩}) إلى قوله (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُبِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ لِهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ {٥٨}) ونتاج الصراع بين الحق والباطل الهجرة من الديار والقتل والموت وأنصار الباطل يسعون إلى إطفاء نور الله ، أما السياق في سورة لقمان فهو غير ذلك أصلاً ليس فيه قتال أو إخراج من الأرض وإنما هو في معرض النقاش فقط. أهل الباطل في سورة الحج محاربون معاندون متكتمون لذا وجب التأكيد على الباطل حتى يبعلهم عنه فقال تعالى (هو الباطل) باستخدام ضمير الفصل لأنه آكد من عدمه وضمير القصار من جملة معانيه التوكيد.

كما أنه ذكر تعالى في سورة الحج من يدعون من دون الله من المعبودات الباطلة (يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ { ٢ } } يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن تَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ { ١٣ }) (حُنفَاء لِلّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقِ لِلّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقِ لِلّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِلِهِ سُلْطَاناً وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن تَصِيرٍ { ٢٦ }) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَشَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبُهُمُ النَّبَابُ اللّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَو اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبُهُمُ اللنَّبَابُ شَيْعَالَ مَن دُونِ الله فأراد تعالى أن شَيْعَالًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ صَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ { ٢٣٧ }) فالكلام مستمر على ما يدعون من دون الله فأراد تعالى أن يؤكد أن هذا هو الباطل.

والأمر الآخر أن الضمير (هو) من الناحية اللفظية في سمة التعبير ورد في سورة الحج ١٣ مرة وفي لقمان ورد ٧ مرات فقط لأن السمة التعبيرية في السياق لها أثرها أيضاً فكأنما ورد في سورة الحج ضعف ما ورد في سورة لقمان. وضمير الفصل أصلاً ذكر في الحج ٨ مرات وفي لقمان ٣ مرات. إذن فمن كل النواحي السمة التعبيرية أو البلاغية أو غيرها ذكر (هو) في آية سورة الحج أكثر مما يقتضيه في سورة لقمان.

££1 – ما وجه الإختلاف من الناحية البيانية بين قوله (فسوف تعلمون) في سورة الأنعام و(سوف تعلمون) في سورة هود؟

قال تعالى في سورة الأنعام (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَاتَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {١٣٥}) وسورة الزمر (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا عَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْرِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَالله في سورة هود (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْرِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ {٩٩ }) وعلينا أن نلاحظ القاتل في كلا الآيتين ففي آية سورة الأنعام الله تعالى هو الذي أمر رسوله بالتبليغ ؛ أمره أن يبلغ الناس كلام ربه وهذا تقديد لهم ؛ فأصل التأديب من الله تعالى أما في آية سورة هود ولهذا فقد جاء هود فهي جاءت في شعيب وليس فيها أمر تبليغ من الله تعالى فالتهديد إذن أقل في آية سورة هود ولهذا فقد جاء بالفاء في (فسوف تعلمون) في الآية التي فيها التهديد من الله للتوكيد ولما كان التهديد من شعيب حذف الفاء (سوف تعلمون) لأن التهديد أقل.

وفي القرآن الكريم أمثلة أخرى على استخدام وحذف الفاء الدالة على التوكيد كما في قوله تعالى في سورة البقرة (اللّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْواَلَهُمْ فِي سَييلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٢٦٢}) وفي آية أخرى (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٢٧٤}) فالآية الثانية جاء فيها بالفاء لأن الذين ينفقون هم ينفقون ليلاً وهاراً وسراً وعلانية فهي تحتاج لتوكيد أكبر من الأولى الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله.

وكذلك قوله تعالى في سورة آل عمران (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَلِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ {٩١}) وقوله في سورة آل عمران أيضاً (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفُراً لَّن تُقْبُلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُونَ {٩٩}) فالآية الأولى تتحدث عن قوم كفروا ولم يموتوا ومجال التوبة ما ماتوا وانتهوا ولن يقبل منهم توبة بعد الموت أما الآية الثانية فهي تتحدث عن قوم كفروا ولم يموتوا ومجال التوبة ما زال مفتوحاً أمامهم. الفاء هنا تقع في جواب اسم الموصول لشبهه بالشرط فجاءت الفاء زيادة للتوكيد. وكذلك قوله تعالى في سورة البروج (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ

عَذَابُ الْحَرِيقِ { ١٠ }) وقوله في سورة البقرة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجُرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٢٧٧ }). أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٢٧٧ }). ١٤٥ – لماذا قدّم تعالى الخبيثات على الخبيثين في سورة النور؟

قال تعالى في سورة النور (الْخَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثُونَ لِلْحَبِيثُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَهُم مَعْفِرَةٌ وَرَزْقٌ كَرِيمٌ {٢٦}}) وإذا نظرنا إلى السياق في السورة وجدنا أن الكلام في السورة عن النساء ورهيهن بالإثم والقذف ورمي الأزواج لأزواجهم (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ فَاجُلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبُلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {٤}) (إِنَّ الَّذِينَ جَاوُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةً مَنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرَّا لَكُم بَلُ هُو خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ الْمُرِئَ مِّنَهُم مَّا اكْتُسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِينَ وَلَا بَالْإِفْكِ عُصْبَةً عَلَى عَظِيمٌ {١٩٤}) وقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفُؤلِياتِ الْمُؤْمِنِاتِ لَعِنُوا فِي اللَّذِينَ وَالَّوْ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {٢٣}}) وقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفُؤلِياتِ الْمُؤْمِنِاتِ لَعِنُوا فِي اللَّذِينَ وَالْمُومِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُعْوَلًا فَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ لَالَّهِ إِن كُنتُمْ تُوثُولُوا كُلُ وقد جاء في بداية السورة (الزَّانِيةُ وَالرَّانِي فَاجْلِمُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِثَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذُكُم بِهِمَا رَأَفَةٌ مِن اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِونَ بِاللَّهِ وَالْيُومُ الْآخِرِ وَلُوالِي عَلَى الْفَعَلَة مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ {٢}) بقديم الزانية على الزاين لأن الفِعلة تأتي من النساء أولاً ثم إن بعض النساء تحترف هذه المهنة ولا يحترفها رجل. الله اللام في قوله (لجعلناه حطاماً) في سورة الواقعة وحذفها في (جعلناه أجاجاً) وفي النار (جعلناها تذكرة)؟

قال تعالى في سورة الواقعة (أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُتُونَ {٣٣} أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الرَّارِعُونَ {٢٨} أَأَنتُمْ وَخُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمَاءِ الَّذِي تَشْرَبُونَ {٣٨} أَأَنتُمْ وَخُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ {٣٦ } لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَ لَ تَشْكُرُونَ {٧٠}) فهي تتحدث عن الماء أَنزَلتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ {٣٩ } لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَ تَشْكُرُونَ {٧٠}) فهي تتحدث عن الماء والآيتان فيهما تقديد الأولى : أنه تعالى لو شاء يجعل الزرع حطاماً فلا يمكن أن يكون طعاماً أو يستفاد منه وهذه عقوبة أشد من جعل الماء أجاج لأن الماء الأجاج يمكن أن يُحوّل إلى ماء عذب والتهديد لم يأت في الآية بغور الماء كلياً كما في تقديد جعل الزرع حطاماً فكانت العقوبة في الزرع أشد من العقوبة في الماء فجاء باللام لتأكيد التهديد لي آية الزرع وحذفها من آية التهديد بالماء وهذه اللام تُسمى (لام المؤكدة) . أما في النار فلم يذكر تحذيراً أو قي آية الزرع وحذفها من آية التهديد بالماء وهذه اللام تُسمى (لام المؤكدة) . أما في النار فلم يذكر تحذيراً أو تقديداً وإنما ذكر حالتها فقط (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ النِّنِي تُورُونَ {٧١ } أأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ {٧٧} نَعْنُ لكن الماس يمكن أن يعيشوا بلا نار لكن لا يعيشوا بلا طعام أو ماء.

١٤٧ – ما دلالة قوله تعالى في سورة يس (فعززنا بثالث) ولماذا لم يشير إلى إرسال ثلاثة رسل معاً؟

قال تعالى في سورة يس (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ {١٤} }) والآية تشير أن الله تعالى أرسل رسولين أول مرة فكذبهما القوم فقوّاهما تعالى برسول ثالث ولم يرسل الثلاثة معاً من أول مرة. أما دلالة استخدام (عزّزنا) بدل (عزّزناهما) تفيد أن التعزيز ليس للرسل أنفسهم وإنما التعزيز يكون للدعوة التي يدعو الرسل لها وليس للرسولين بنفسيهما.

١٤٨ – ما الفرق بين قوله تعالى (وو اعدنا موسى أربعين ليلة) وقوله (وو اعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر)؟

١٤٩ – ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

القدماء انتبهوا أن السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة بُنيت على ذلك الحرف فمثلاً سورة ق تتكرر فيها الكلمات التي فيها حرف القاف مثل (قول، رقيب، القرآن، تنقص، ألقينا، باسقات، الخلق) وكذلك سورة ص تكثر فيها الكلمات التي فيها حرف الصاد مثل (مناص، اصبروا، أصحاب، صيحة، فصل، الخصم) حتى ألهم جعلوا إحصائية في رألر) وقالوا ألها تكررت فيها الكلمات التي فيها رألر) ٢٢٠ كلمة هذا قول القدامي. وقال الزمخشري: لو نظرنا في عدد الحروف (١٤) حرفاً تمثل نصف حروف المعجم وجاءت في ٢٩ سورة وهي عدد حروف المعجم وأخذت من المهموسة نصفها ومن الشديدة نصفها ومن المطبقة نصفها ومن المستقرة نصفها ومن المتقلة نصفها ومن المنتقرة بمن المنتقرة بمنتقرة بمناسبة نصفها ومن المنتقرة بمنتقرة بمن المنتقرة بمنتقرة بمنتقرقرق بمنتقرق بمنتقرق بمنتقرق بمنتقرة بمنتقرق بمنتقرق بمنتقرق بمنتق

وقسم قال أنه تشتمل على أنصاف الأحرف مثلاً كل سورة بدأت بر (ألم) تذكر بدء الخلق (حرف الألف) ووسط الخلق (حرف اللام) وهاية الخلق (حرف الميم). وقسم قالوا أن كل السور التي تبدأ بحرف (ط) تبدأ بقصة موسى أولاً. وهناك من جعل منها معادلة رياضية فقال أن كل سورة فيها (ألم) نسبة الحروف ألف إلى لام تساوي نسبة الحروف لام إلى ميم.

وقسم يجمع الحروف في جمل وقسم أجروها على الطوائف فجعلوا من الأحرف الأربعة عشر جملاً متعددة وقسم جعلها رموزاً لأمور ستقع مثلما قالوا في (حم عسق) في تفسير ابن كثير إشارة إلى أمور في أحد من آل بيت الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقسم كانوا يجمعون على حساب الجمل فيجعلون الألف واحد.

والذي عليه الكثيرين أن القرآن مؤلف من أجناس هذه الأحرف التي تتحدثون بما وجاء بكلام معجز من جنس كلامهم فأتوا بمثله إن استطعتم. والسلف كانوا يوكلون معايي هذه الأحرف لله تعالى.

• • ١ – ما دلالة كلمة (لنعلم) في آية سورة الكهف (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً {١٢})؟

يتساءل السائل لماذا جاءت كلمة (لنعلم) مع أن الله تعالى يعلم كل شيئاً مسبقاً؟ قال تعالى في سورة الكهف (ثُمَّ بَعْثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً {٢٢}) والعلم قسمان : قسم يتعلق به الجزاء وقسم يعلمه الله ابتداء لا يتعلق بالجزاء. ما يفعله الإنسان هو من علم الله لكن حتى ما فعله الإنسان يتعلق به الجزاء وهناك علم آخر سابق والله يعلم في القدر كل شيء وهو العلم الذي قضاه الله تعالى وما يفعله الإنسان وما يعلمه هو تصديق لعلم الله هذا. وقوله تعالى (لنعلم أي الحزبين) يعني لنعلم أي منهم يعلم الحقيقة لأن هناك ثلاثة أقوال كل قسم قال شيئاً فمن الذي يعلم الحقيقة؟ الله تعالى ؛ هذا العلم الذي يقوله بعد الوقوع لأنه علم ذلك قبل الوقوع. إذن هناك علمان

١ - علم سابق قديم الذي سجّل فيه الله تعالى القدر

٢ – وعلم لاحق يحقق هذا العلم وهو الذي يتعلق به الجزاء.

١٥١ – ما المقصود بكلمة (أهل) في قوله تعالى (إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجز أهل البيت)؟

قال تعالى في سورة الأحزاب (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْلُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُنْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً {٣٣}}) يستعمل القرآن الكريم الله وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُنْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّراً كُمْ تَطْهِيراً {٣٣}}) يستعمل القرآن الكريم كلمة (أهل) للأزواج وهذه الآية ليست الوحيدة في القرآن التي وردت فيها كلمة (أهل) . فقد جاء في قوله تعالى (رحمة الله وبركاته عليكم أهل اليت) في قصة إبراهيم – عليه السلام –، وفي قصة امرأة العزيز (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) وفي قصة موسى – عليه السلام – (وسار بأهله). إذن (أهل) هي الأزواج كما وصفها القرآن وفي اللغة أيضاً.

٢٥١ – لماذا جاء ذكر إبليس مع لللائكة عندما أمرهم الله تعالى بالسجود لآدم مع العلم أن إبليس ليس من جنس الملائكة؟

الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم في آية سورة البقرة (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُلُواْ لآدَمَ فَسَجَلُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتُكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ {٣٤}) وأمر إبليس على وجه الخصوص في آية سورة الأعراف (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِن طِين {١٢} }) فليس بالضرورة أن الله تعالى أمر إبليس بالسجود مع الملائكة لكنه تعالى أمر الملائكة بالسجود كما في آية سورة البقرة وأمر إبليس وحده بالسجود لآدم أمراً خاصاً به في آية أخرى (آية سورة الأعراف).

١٥٣ – ما دلالة استخدام صفة المذكر في قوله تعالى في سورة يوسف (وقال نسوة في المدينة)؟

تذكير الفعل يستعمل مع جمع التكسير ليفيد القِلّة كما جاء في الآية في سورة يوسف (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ الْمُرَأَةُ الْعَرِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَل مُّبِين {٣٠}) لأن النسوة كانوا قِلّة وهذا بخلاف تأنيث الفعل فإنه يفيد الكثرة كما قال تعالى في آية أخرى في سورة الحجرات (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنًا) (قالت) تفيد الكثرة هنا لأن الأعراب كثرة وفيهم قبائل متعددة فتاء التأنيث في الفعل تفيد التكثير، وفي القرآن الكريم أمثلة متعددة على التذكير والتأنيث في الأفعال بما يفيد القلة والكثرة .

٤ ٥٠ – ما الفرق بين قوله تعالى في سورة يوسف (ذلك من أنباء الغيب) وفي سورة هود (تلك من أنباء الغيب)؟

كلمة (القَصص) مذكر مثل كلمة (عدد) وكلمة (قَصص) مذكر وهي ليست جمع قصة وإنما (القَصص) هنا بمعنى السرد أي بمعنى اسم المفعول أي المقصوص. وقد جاء في سورة يوسف قوله تعالى في أول السورة (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ {٣}) وهي قصة واحدة هي قصة يوسف – عليه السلام – فجاءت الآية باستخدام (ذلك) (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ {٢٠ })، أما في سورة هود فقد جاء فيها مجموعة من قصص الأنبياء فاقتضى أن تأتي

الآية باستخدام (تلك) (تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ {٤٩ }}.

١٥٥ – ما دلالة تركيبة (ألم تر) في قوله تعالى في سورة الفيل (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)؟
 (ألم تر) فيها دلالتان لغويتان: فقد تكون استفهام عن الرؤية القلبية أو البصرية بمعنى: ألم تر فلان؟ رؤية بصرية أو قلبية لكن عندما نقول: "ألم تر إلى " أو " ألم تر كيف " تكون بمعنى التعجيب كما جاء في قوله تعالى في سورة الفرقان (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً {٥٤ }) بمعنى ألم ينته علمك إلى ذلك؟ ألم تعلم؟ لأن (ألم تر كيف) و (ألم تر إلى) لها دلالة أخرى غير الدلالة التي نسأل فيها ألم تر فلان؟.

١٥٦ – ما دلالة الواو في قوله تعالى (وويل للكافرين من عذاب شديد)؟
 قال تعالى في سورة إبراهيم (اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ {٢})
 الواو هنا ليست للعطف وإنما هي إستئنافية.

١٥٧ – ما دلالة استخدام صيغة المبالغة في قوله تعالى (وما ربك بظلاّم للعبيد) علماً أن صيغ المبالغة لا تنفي الحدث؟

يتساءل السائل عن أن الآية تنفي أن يكون الله تعالى ظلاماً فهل هذا النفي يشمل أن يكون ظالماً حاشاه سبحانه؟. الحقيقة أنه لو أن أي شخص ظلم مجموعة من الناس حتى لو كان الظلم بسيطاً يكون ظلاماً وليس ظالماً فإذا كثر المظلومون أصبح ظلاماً أما إذا ظلم شخصاً واحداً مرة فيكون ظالماً والملاحظ في الآية أن الله تعالى قال (وما ربك بظلام للعييد) أي جاء بصيغة الجمع في كلمة (العييد) والعبيد جمع كثرة أصلاً كما قال في آية أخرى (علام الغيوب) باستخدام (الغيوب) وهي جمع كثرة. إذن عندما يجمع الصفة ويبالغ بها أي يستخدم صيغة المبالغة كما في الآيتين وإذا أفرد يفرد الصيغة كما قال تعالى (عالم الغيب) ولم يقل عالم الغيوب. وهناك رأي آخر أن هذا هو النسب أي أنه ليس بذي ظلم كما يقال في اللغة (لبان) للنسب لأن صيغة فعّال تأتي للنسب. وإذا أخذنا الرأيين نجد ألهما يقتضيان استخدام صيغة المبالغة في ظلام.

وقد قلت سابقاً حول استخدام صيغة المبالغة (علاَّم الغيوب): أن (علاَّم) تأتي لنفيد الكثرة مع كلمة (الغيوب) التي هي جمع ولم يقل تعالى (خالق بشراً) خالق لبشر واحد (تفيد الحدوث بللخلوق) ولم يقل (خلاَّق) إلا عندما اقتضى المبالغة في السموات والأرض (بلى وهو الخلاّق العليم). فصفاته سبحانه كلها مطلقة وتدل على الثبوت مثل غافر الذنب، قابل التوب.

١٥٨ – لماذا حُدد المكان ولم يُحدد الزمان في الآية الأخيرة من سورة لقمان؟

قال تعالى في آخر سورة لقمان (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضِ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ {٣٤}) وإذا نظرنا إلى سياق الآيات نجد أن الإنتقال من أرض إلى أرض والإنتقال في الفلك هو السياق ثم بعدها قال تعالى ماذا غشيهم (موج) في قوله (وَإِذَا غَشِيهُم مَّوْجٌ كَالظُّلُلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ {٣٢}) فلما نجاهم إلى البر أي أن كل سياق الآيات تفيد الإنتقال من مكان إلى مكان لذا ناسب ذكر المكان في الآية وجاءت بأي أرض تموت هل في البحر أم في الأرض.

٩٥١ – ما دلالة (لا) في آية سورة النمل (لا يحطمنكم سليمان وجنوده)؟

(لا) هنا من باب النهي وليس النفي مثل قوله تعالى (لا تغرنّكم الحياة الدنيا) على رأي أكثر المفسرين بمعنى لا تتعرضوا لأن يحطمكم سليمان وجنوده. وهذا على خلاف ما جاء في قوله تعالى (لا تخاف دركاً ولا تخشى) حيث أن (لا) هنا للنفي. حتى في آية سورة النمل يمكن أن تكون (لا) للنفي أيضاً والله أعلم.

• ١٦٠ – ما الفرق بين النصيب والكفل من حيث المعنى ودلالة استخدامهما في القرآن؟

قال تعالى في سورة النساء (مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كَفْلٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كَفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً {٨٥}) من معاني الكفل في اللغة النصيب المساوي ومنها الجل. أما النصيب فهو مطلق وليس له شيء محدد. وفي القرآن الكريم استخدمت كلمة (كفل) عند ذكر السيئة (له كفل منها) لأن السيئات تُجزى بقدرها بدليل قوله تعالى (ومن عمل سيئة فلا يُجزى إلا مثلها) ، أما الحسنة فتضاعف لذا جاءت كلمة (نصيب) مع الحسنات لأن الحسنة لها نصيب أكثر من السيئات.

171 - ما دلالة استخدام (ما) أو حذفها في قوله تعالى (حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم) وقوله (حتى إذا جاءوها فتحت أبو ابكا)؟

قال تعالى في سورة فصلت (حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٢٠}) وهذا من غرائب الأمور أن يشهد السمع والبصر والجلود على الناس ولذا اقتضى استخدام (ما) للتوكيد ، أما في سورة الزمر فقد جاءت الآية (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُتَذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ {٧١}) وهنا الأمر عادي إذا جاءوا فُتحت الأبواب. د

 $177 - 1161 - 1161 - 1160 - 1160 (ينفعونكم) مقيدة و(يضرون) مطلقة في قوله تعالى (أو ينفعونكم أو يضرون)؟ قال تعالى في سورة الشعراء (أوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ <math>\{77\}$) النفع يريده الإنسان لنفسه أما الضرّ فلا يريده الإنسان لنفسه إنما يُريده لعلوّه أو أنه يخشى أن يُلحق به الضرر وعلى هذا فالنفع موقع تقييد والضر موضع اطلاق.

١٦٣ - الذا جمعت كلمة (المرافق) في آية الوضوء وجاءت (الكعبين) بالتثنية؟

قال تعالى في سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُتُمْ جُبُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَر أَوْ جَاء أَحَدٌ وَامْسَحُواْ بِرُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ مَّنَكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسَتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجَلُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ تَشْكُرُونَ {٦}})، المرافق : جمع وهما الله لِيجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرِكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {٦}})، المرافق : جمع وهما مرفقان ولا إشكال فيها فكل يد لها مرفق واحد أما كل رجل فلها كعبين ولو قال تعالى (الكعوب) لما دلّ ذلك على وجوب غسل الكعبين فلو غسلوا كعباً واحداً لكفاهم لكن الله تعالى أراد أن يغسل كل واحد من المخاطبين إلى الكعبين.

175 – ما دلالة استخدام صيغة الماضي في قوله تعالى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا)؟ (كان) في اللغة قد تكون للماضي أو للماضي المستمر وقد تأتى للإستقبال وفي كل صيغة تفيد معنى خاصاً:.

* (كان) لها أزمنة مؤكدة بمعنى (ما يزال) . وهذه تكون في صفات الله تعالى كقوله تعالى (كان الله غفوراً رحيما) بمعنى أن كونه هو غفور رحيم. وكذلك في صفات الشيطان (إن كيد الشيطان كان ضعيفا).

* و تأتي بمعنى (الحالة) كقوله تعالى (كنتم خير أمة أُخرجت للناس) وقوله كما في الآية موضع السؤال (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا).

* وقد تكون للمستقبل كقوله تعالى (وكتتم أزواجاً ثلاثة) وقوله (فكانت هباء منثورا) هذا في المستقبل يوم القيامة.

* وقد تكون بمعنى (صارت في المستقبل) كقوله تعالى (وسُيّرت الجبال فكانت سر ابا)

* وقد تكون بمعنى ينبغي.

١٦٥ – كيف يُحدد تذكير الأعداد أو تأنيثها؟

تذكير الأعداد وتأنيثها أقدم من اللغة العربية وهي من اللغة الساميّة. وبشكل عام إذا كانت الأعداد بين ١ و ٢ يطابق (واحد، إثنان) وإذا كان العدد بين ٣ إلى ١٠ يُخالف (ثلاثة، أربعة ، خمسة ، عشرة) وهذه في الأصل أسماء بلا معدو د.

في العربية الأصل التذكير والتأنيث هو الذي له علاقة وليس للتذكير علاقة. (واحد – إثنان) مذكر ويقال رجل واحد ورجلان اثنان، أما (ثلاثة –أربعة ..) هي الأصل فتأتي مع الأصل وهو المذكر فنقول ثلاثة رجال وأربعة رجال.

177 – ما الفرق من الناحية البيانية بين فعل (أنزل) و(نزّل) وبين (أُنزل إليك) و(أُنزل عليك)؟ (أنزل) على صيغة أفعل و(نزّل) على صيغة فعّل وهي تفيد التكثير كقوله تعالى (تفجُر لنا من الأرض ينبوعا) وقوله

(فتفجّر الأنهار) استعمل صيغة (تفجر) للينبوع والصيغة التي تفيد التكثير (تُفجِّر) للأنهار لأنها أكثر. كما أن فعّل تفيد التدرج كما جاء في سورة آل عمران (نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل، آية ٢) وقوله تعالى (وأنزل التوراة والإنجيل) وقوله تعالى (والكتاب الذي نزّل على رسوله) هنا التنزيل كان منجمّاً وصيغة (نزّل) تفيد الإهتمام، أما في قوله تعالى (وأنزل التوراة والإنجيل) جاء الفعل (أنزل) لأنه نزل جملة واحدة.

ثم إن استخدام (أنزل إليك) أو (أنزل عليك) لها دلالتها أيضاً. (نزله إليك) لم تستعمل إلا للعاقل كما جاءت في القرآن للتعبير عن الرسول (نُزّل إليكم) ، أما (عليك) فتستعمل للعاقل وغير العاقل كما في قوله تعالى (لو أنزلنا

وعلى هذا النحو الفرق بين فعل (وصّى) الذي يستخدم للأمور المعنوية وفعل (أوصى) للأمور المادية.

هذا القرآن على جبل) وقوله تعالى (نزّله على قلبك).

و في العقوبات لم يستعمل إلا (على) ولم تأتي (إلى) مع العقوبات.

١٦٧ – لماذا استخدمت كلمة (إبليس) مع آدم ولم تستخدم كلمة الشيطان؟

قال تعالى في سورة البقرة (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَثِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَلُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ {٣٤}) وفي سورة الأعراف (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُلُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ {١١}) إبليس هو أبو الشياطين كما إن آدم أبو البشر وبداية الصراع كان بين أبو البشر وأبو الشياطين ، والشيطان يُطلق على كل من كان كافراً من الجن أي على الفرد الكافر من الجنّ. ١٦٨ – على ماذا تعود الضمائر في آية رقم ٩ من سورة الفتح؟

قال تعالى في سورة الفتح (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً { \ } لِتُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُوقَرُوهُ وَتُعزروه وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً { ٩ }) الإيمان جاء مستغرقاً بالله ورسوله (لتؤمنوا بالله ورسوله) ثم جاء العطف (وتعزروه وتوقّروه) وهذا للرسول ثم (تسبحوه بكرة وأصيلا) يعود الضمير على الله فلماذا هذه الصيغة؟ والجواب أن المفسرين رجّحوا أن "تعزّروه وتوقّروه " تأتي بمعنى التعظيم والضمير فيهما يعود على الله تعالى والضمائر في الآية كلها عائدة على الله تعالى. وهناك قسم من المفسرين قالوا أن الضمير في (تعزّروه وتوقّروه) تعود على الرسول وباقى الضمائر كل منها عائد على ما يخصّها.

١٦٩ - ما دلالة كلمة (ويكأنه) في سورة القصص؟

قال تعالى في خواتيم سورة القصص (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ {٨٢}). وي: اسم فعل مضارع بمعنى مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ {٨٢}). وي: اسم فعل مضارع بمعنى (أعجب) ، كأن: للتشبيه. وقد وردت في سورة القصص مرتين في قصة قارون عندما حسف به الله تعالى الأرض فقال القوم هذه الكلمة وكأهم لا يتصورون هذه الخاتمة فتعجبوا لمصير قارون فجاءت كلمة (وي) التي تدل على المبالغة في التعجب وهي من أسماء الأفعال التي فيها مبالغة وتعجّب إضافة إلى المبالغة ، فالأمر الذي كان غائباً عن ذهنهم وجدوه أمامهم فقالوا عجباً لهذا الأمر.

• ١٧ - طاذا استعمل القرآن كلمة (سيق) للكافرين وللمؤمنين في سورة الزمر؟

قال تعالى في سورة الزمر (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فَتِحَتْ أَبُوا بُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعُذَابِ عَلَى يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعُذَابِ عَلَى الْحَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبُوا بُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا الْكَافِرِينَ {٧٦}}) و (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبُوا بُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا الْكَاهِمَ عَلَى اللّهُمْ خَوَنَتُهُا الْكَاهُمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَاذْخُلُوهَا خَالِدِينَ {٧٣}}) ليس غريباً أن يُؤتى بفعل يشمل الجميع فكل النفوس تُساق بدون استثناء كما في قوله تعالى (وَجَاءت كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ { ٢١ } سورة قى) لكن المهم أين يُساق كل مجموعة والجهة التي تساق إليها. إذن كلهم يساقون لكن المهم جهة السوق فهؤ لاء يُساق بهم إلى الجنة وهؤ لاء يُساق بهم إلى الجنة أو النار، وكلمة النار تماماً كما يستعمل القرآن كلمة (الخشو) فهي تقال للجميع لكن المهم أين سيدخلوا الجنة أو النار، وكلمة (خلق) أيضاً عامة للجميع وكذلك كلمة (الحشر). فليس المهم لفعل وإنما متعلّق الفعل.

١٧١ – ما دلالة الواو في قوله تعالى (والنجوم مسخّرات بأمره) في سورة النحل؟ قال تعالى (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {١٢}) الواو إما عطف جملة على جملة وإما إستئنافية.

١٧٢ - ما دلالة كلمة (منسأته) في آية سورة سبأ؟

قال تعالى في سورة سبأ (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ {١٤ })، والمنسأة : هي العصى ، (نسأ) في اللغة لها دلالتين : نسأ البعير إذا جرّه وساقه ، والمنسأة : هي عصى عظيمة تُرْجر بها الإبل لتسوقها و(نسأ) بمعنى أخر الشيء

(النسيء). فلماذا إذن استعمل كلمة (منسأة) ولم يستعمل كلمة (عصى)؟ قلنا أن (المنسأة) لها معنيين وهما: سوق الإبل والتأخير ؛ وفي قصة سليمان هذه العصى كانت تسوق الجنّ إلى العمل مع أن سليمان كان ميتاً إلى أن سقطت العصى وسقط سليمان (فَلَمَّا حَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) فكما أن الراعي يسوق الإبل لتسير فهذه المنسأة كانت تسوق الجنّ. والمنسأة كألها مدّت حكم سليمان فهي أخّرت حكمه إلى أن سقط. فاستعمالها في قصة سليمان أفاد المعنيين واستعمالها من الجهتين اللغويتين في غاية البيان من جهة السوق ومن جهة التأخير.

أما في قصة موسى فاستعمل كلمة العصى (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى {١٨}}) ليهشّ بها على غنمه وبها رحمة بالحيوان وعكس الأولى و لا يناسب استخدام كلمة منسأة. ١٧٣ – ما دلالة ذكر (الجبال) مع السموات والأرض في آية الأمانة في سورة الأحزاب مع أن الجبال من الأرض؟

قال تعالى في أواخر سورة الأحزاب (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً {٧٢})، من حيث الحكم النحوي هذا ما يُسمّى عطف الخاص على العام كما في قوله تعالى (حَافِظُواْ عَلَى الصَّلُوَاتِ والصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ {٣٨٨} سورة البقرة) والصلاة الوسطى مشمولة في الصلوات لكن لأهميتها وعظمة شألها ذكرت وحدها، وقوله تعالى (مَن كَانَ عَدُواً لِللهِ وَمَلاَيكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ مِن الملائكة وذكره يفيد وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ مِن الملائكة وذكره يفيد رفعة منزلته عند الله، وكذلك قوله تعالى (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَحْلٌ وَرُمَّانٌ {٨٨} سورة الرحمن) والنخل والرمان من الفاكهة وهي فاكهة أهل الجنة. فمن حيث التكييف اللغوي جائز لكن لماذا يؤتى بها؟

ذكر تعالى (الجبال) لأنه أعظم مخلوقات الأرض هذا أمر.

والأمر الآخر : أن الأمانة ثقيلة وذكر الجبال مناسب للأمانة. ثم من قال أن الأرض خاصة بالجبال فقط فكل الأجرام فيها جبال والأمر الآخر أن الجبال هي رواسي الأرض (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَن تَهِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتُنا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ { ١٠ } سورة لقمان) فوظيفة الجبال أن تثبّت الأرض كيلا تميد وكذلك المؤمنون (يُثبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ النَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ {٢٧ } سورة إبراهيم) تزول الجبال ولا تزول الأمانة لأنه في الآخرة تثبت المؤمنين على الصراط فهي أرسى من الجبال.

١٧٤ – أين جواب الشرط في الآية (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٣٨} سورة البقرة﴾؟

فإما يأتينكم : هي (إنّ وما جمعتا معاً) (إنّ) شرطية وما الزائدة بين أداة الشرط وفعل الشرط ؛ وجملة (فمن تبع هداي) هي جواب إنّ والفاء رابطة لجواب إنّ وجملة (فلا خوف عليهم) فهي جواب لــــ(من تبع هداي).

١٧٥ - ما الفرق بين استعمال (يشاق)و (يشاقق) ؟

حيث ورد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم يُفك الإدغام (يشاقق) كما في قوله تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُواْ اللهَ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {١٣} } الأنفال) وقوله تعالى (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَرَسُولُهُ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُوْمِنِينَ نُولُهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءت مصيراً {١٩٥ } النساء) وحيث أَفود الله تعالى تستخدم (يشاق) كما في قوله تعالى (ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ { } } الحشر).

١٧٦ - ما الفرق بين قصة ضيف إبراهيم في سورتي الذاريات والحجر؟

قال تعالى في سورة الذاريات (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ {٢٤} إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ {٢٥} فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِين {٢٦} فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ {٢٧} فَأَوْجَسَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ {٢٦} فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِين {٢٦ } فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ {٢٧} فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِعُلَامٍ عَلِيمٍ {٢٨ } فَأَقْبُلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ {٢٩ } قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ {٣٠ }) وقال تعالى في سورة الحجر (وَنَبِّنُهُمْ عَن صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ {٢٥ } إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ {٢٥ } قَالُواْ لاَ تَوْجَلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ {٣٥ } قَالُواْ بَشَّرُنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ {٥٥ } قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ {٥٥ } قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ {٥٥ } قَالُ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الصَّآلُونَ {٣٥ }).

في سورة الذاريات جاء وصف ضيف إبراهيم –عليه السلام – بالمكرمين وهذا له معنى في سياق الآيات في السورة وعدم ذكر صفة الضيف في آية الحجر يُبنى عليه المعنى. وإذا استعرضنا سياق الآيات في السورتين يتبيّن لنا لماذا وردت الصفة في سورة ولم ترد في الأخرى

سورة الحجر

سورة الذاريات

لم يذكر ردّ التحية ولم يرد الإكرام هنا (فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ) سَلام ورد التحية وردّ التحية من الإكرام (فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ)

لم يرد في سورة الحجر أي مظهر من مظاهر الإكرام كما ورد في سورة الذاريات إن من حيث عدم ردّ التحية أو تحضير الطعام أو دعوقهم إليه وغيرها.

ثم إن ضيف إبراهيم قالوا (سلاماً) أي حيّوه بجملة فعلية وهو حيّاهم بجملة إسمية والجملة الإسمية أقوى لغوياً وأثبت للمعنى وأبلغ إذن فسيدنا إبراهيم ردّ التحية بخير منها وهذا من مظاهر الإكرام أيضاً.

قال (قوم منكرون) ولم يقل إنكم قوم منكرون لكن عندما رآهم قال قوم غرباء بشكل عام ولم يوجّه الخطاب لهم مباشرة وهذا من باب التكريم، وهذا يختلف عما جاء في قصة لوط عندما قال (إنكم قوم منكرون) لمّا جاءه الرسل لأنه كان في حالة أزمة.

(فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِين) والعجل السمين من مظاهر الإكرام وراغ معناها أنه ذهب بخفية ولم يرد أن يظهر أنه ذهب وهذا من إكرام الصيف.

(فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ) وهذا أيضاً من باب الإكرام أن قرّب لهم الطعام وقال ألا تأكلون.

(قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجلُونَ) ظهر عليه الخوف هنا وعمّ الخوف أهل البيت جميعاً.

(فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيَفَةً) لم يرد إبراهيم أن يطلعهم على خوفه وهذا من مظاهر التكريم ولم يقل هنا أوجس في نفسه كما جاء في قصة موسى لأن الخوف قد يظهر وقد لا يظهر وفي قصة موسى لم يُرد أن يُظهر خوفه لأنه في مواجهة فرعون وقومه.

(قَالُواْ لاَ تَوْجَلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِعُلامٍ عَلِيمٍ) واجههم بالخوف وأجهروا بالبشرى فكما قال لهم إنا منكم وجلون قالوا له إنا نبشرك بغلام عليم، واعترف إبراهيم أنه يشك فيهم مما بلغه من الخوف فقال (قَالَ أَبشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ)

(وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) لم يعترض إبراهيم هنا لأن الإعتراض ليس من مقام الإكرام فلم يشك في قولهم ولا اعترض عليهم

لم يذكر امرأة إبراهيم لأن الخوف هنا كان طاغياً على البيت كله وأهله ولهذا لم تظهر امرأته لمواجهتهم.

(فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) لم تكن خائفة أو وجلة إنما خرجت لمواجهتهم.

١٧٧ – ما دلالة تقديم وتأخير (في سيبل الله) في آية سورة التوبة وسورة الأنفال؟

قال تعالى في سورة التوبة (الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَلُواْ فِي سَييلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ ذَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ {٢٠}) وقال تعالى في سورة الأنفال (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَلُواْ بَأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَي سَيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَنَصَرُواْ أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن فَلاَيتِهِم مِّن وَلاَيتِهِم مِّن وَلَاهُ بِمَا تَعْمَلُونَ وَيَنْ اسْتَصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصُرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {٢٧})

الخط العام : إذا كان المقام في جمع وحفظ الأموال يبدأ بالتضحية به وإذا كان السياق في القتال وليس في الأموال يقدّم (في سييل الله) على الأموال .

سورة التوبة كلها في الجهاد وليست في الأموال فسياق الآيات كلها عن الجهاد والقتال وليس المال لذا اقتضى تقديم (في سبيل الله) على الأموال والأنفس.

أما في سورة الأنفال قدّم الأموال على (في سبيل الله) لأنه تقدّم ذكر المال والقداء في الأسرى وعاتبهم الله تعالى على أخذ المال إذن السياق كله في المعاتبة على أخذ المال من الأسرى.

١٧٨ - ما دلالة تقديم وتأخير (اللهو) على (اللعب) في آية سورة العنكبوت؟

كل الآيات في القرآن جاء اللعب مقدّماً على اللهو إلا في هذه الآية من سورة العنكبوت (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ {٢٤}). ولو لاحظنا الآية التي سبقت هذه الآية في نفس السورة (اللَّهُ يَسْطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بَكُلِّ شَيْء عَلِيمٌ {٢٦}) فالرزق ليس مدعاة اللعب وإنما مدعاة اللهو كما في قوله تعالى في سورة المنافقون (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {٩}) ففي الآية لهي من الله تعالى للمؤمنين عن الالتهاء بجمع

الأموال. والعباد عموماً يلتهون بالمال سواء كانوا ممن بسط الله تعالى لهم الرزق أو ممن قُدر عليهم رزقهم، وعليه تقدّم ذكر اللهو على اللعب في آية سورة العنكبوت دون باقي السور.

١٧٩ – ما دلالة تقديم وتأخير كلمة (شهيداً) في آية سورة العنكبوت وآية سورة الإسراء؟

قال تعالى في سورة العنكبوت (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْبِي وَيَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {٢٥}) وقال في سورة الإسراء (قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً يَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبيراً بَصِيراً {٩٦} })

في آية سورة الإسراء ختم تعالى الآية بذكر صفاته (خيراً بصيرا) لذا اقتضى أن يُقدّم صفته (شهيداً) على (بيني وبينكم)، أما في آية سورة العنكبوت فقد ختمت الآية بصفات البشر (أولئك هم الخاسرون) لذا اقتضى تقديم ما يتعلّق بالبشر (بيني وبينكم) على (شهيدا).

١٨٠ – ما الفرق بين قوله تعالى (من بعد موها) في سورة العنكبوت مع أنه ورد في القرآن كله (بعد موها)؟
 قال تعالى في سورة العنكبوت (وَلَئِن سَأَلْتُهُم مَّن نَرَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ {٦٣}) وفي القرآن كله وردت (بعد موها) بدون (من) كما في سورة البقرة (إنَّ في خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَتَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {٦٦٤}) وسورة النحل (وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَتَ فيها مِن كُلِّ دَآبَةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحَ فَتُغِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلْدِ السَّمَاء وَالأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ {٦٥٤}) وسورة فاطر (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُغِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدِ مَنْ يَاللَّهُ اللَّرُسَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَة لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ {٦٥٤}) وسورة فاطر (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُغِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدِ مَيْتَا لَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيُونُ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النَّشُورُ {٩٤}).

وآية سورة العنكبوت هي الموطن الوحيد الذي وردت فيه (من بعد مولمًا) ، واستعمال (بعد مولمًا) فقط يحتمل البعدية القريبة والبعيدة ، أما (من بعد مولمًا) فهي تدلّ على ألها بعد الموت مباشرة أي تحتمل البعدية القريبة فقط دون البعيدة. وإذا استعرضنا الآيات في سورة العنكبوت قبل الآية نجد أن الإحياء كله مباشرة بعد مولمًا وبدون مهلة ومجرّد العقل كان سيهديهم إلى أن الله تعالى هو القادر على إحياء الأرض من بعد مولمًا.

١٨١ - ما دلالة كلمة (مثلهن) في قوله تعالى (ومن الأرض مثلهن) في سورة الطلاق؟

قال تعالى في سورة الطلاق (اللَّهُ الَّذِي حَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَوَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْماً {٢٢}) والمثلية هنا ليس بالعدد إنما لها أمور كثيرة لا نعرفها نحن. كُما قال تعالى (وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنّة حيث نشاء) وقوله تعالى (يوم تُبدّل الأرض غير الأرض والسموات).

١٨٢ – ما دلالة تقديم السجود على الركوع في الخطاب لمريم؟

الأحكام تُذكر عموماً للإناث والذكور إلا إذا كان الحكم خاصاً بالنساء مثل قوله تعالى مخاطباً مريم في سورة آل عمران (يَا مَرْيَمُ اقْتُنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ {٤٣}) وفي تأخير الركوع هنا دلالة مع أنه يأتي قبل السجود في الصلاة وهذا لأنه تعالى جاء بالكثرة قبل القِلّة لأن في كل ركعة سجدتين وركوع واحد لذا قدّم السجود على الركوع في الآية ، وفي الأحكام على المرأة الإقتداء بالرجال مع التخفي. 1٨٣ – ما دلالة كلمة (يرضوه) في قوله تعالى (الله ورسوله أحق أن يرضوه) في سورة التوبة؟

قال تعالى في سورة التوبة (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ {٦٢} إرضاء الله تعالى ورسوله أمر واحد لا اختلاف بينهما ومثل ذلك قوله تعالى (من أطاع الرسول فقد أطاع الله) لذا جاءت كلمة (يرضوه) بضمير الغائب المفرد وليس يرضوهما.

١٨٤ - ما دلالة آيات متشابحات في القرآن الكريم؟

قال تعالى في سورة آل عمران (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَا بِهِ كُلِّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكُرُ إِلاَّ أُونُلُواْ الأَلْبَابِ {٧}. هذه الآيات لا يعلمها إلا الله تعالى وقد تكون متعلقة بالله تعالى أو القدر أو أمور أخرى لسنا مكلّفين بها ولا نعلمها. أما الآيات المحكمات فهي التي تكون متعلقة بالله تعالى أو المحدر أو أمور أخرى لسنا مكلّفين بها ولا نعلمها. أما الآيات المحكمات فهي التي تكون متعلقة بالله شو فعلينا إنّباع المحكمات والإيمان بالمتشابجات.

١٨٥ - قال تعالى (وخُضتم كالذي خاضوا) فلماذا استخدمت صيغة المفرد والجمع؟

قال تعالى في سورة التوبة (كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ فَي فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِهِمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاصُواْ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكِمْ بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاصُواْ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الله فَي وَلا استخدمت صيغة الجمع (خضتم) الدُنْيَا وَالآخِوَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {٢٩})، ومعناها خضتم كخوضهم. وقد استخدمت صيغة الجمع (خضتم) والمفرد (كالذي) والجمع ثانية (خاضوا) والرأي السائد أن المعنى : خضتم كالذي خاضوه أي بالشيء الذي خاضوا فيه ، و(الذي) عادت على الأمر المفرد وليس على خاضوا.

١٨٦ – ما الفرق بين قوله تعالى (و لا يُنزفون) في سورة الواقعة وقوله (و لا هم عنها ينزفون) في سورة الصافات؟

قال تعالى في سورة الواقعة (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ {١٩}) وفي سورة الصافات (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزِفُونَ {١٩ }) وفي سورة الصافات (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزِفُونَ {٤٧ }). وكلمة (يُنزفون) من أنزف لها معنيين: أنزف يُنزف بمعنى سكِر وبمعنى نفذ شرابه وانقطع، ويقال أنزف القوم إذا نفذ شرابهم وهو فعل لازم غير متعدي. ويُنزف فعل متعدي معناه سكِر وذهب عقله من السكر. إذا استعرضنا الآيات في السورتين لوجدنا ما يلي:

سورة الصافات ... سورة الواقعة

وردت في عباد الله الآخِرين وهم أقلّ درجة من السابقين. ... وردت يُنزفون في السابقين وشرح أحوال السابقين و ودت يُنزفون في السابقين وشرح أحوال السابقين وجزاؤهم ونعيمهم في الجنّة. وفي الجنة صنفين من أصناف المؤمنين السابقون وهم قِلّة وفي درجات عليا (أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون) لا يوجد تخيير هنا ... ذكر (وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون) في الآية تخيير وزيادة لحم طير

(وهم مكرمون في جنات النعيم) ... (أو لئك المقربون في جنات النعيم) التقريب هو الإكرام وزيادة (على سرر متقابلين) لم يذكر إلا التقابل فقط ... (على سرر موضونة متكنين عليها متقابلين) التنعّم هنا أكثر : موضونة، إتّكاء، تقابل

(يُطاف عليهم) الفاعل مبني للمجهول ولم يُحدد ... (يطوف عليهم ولدان مخلدون) تحديد الولدان المخلدون (كأس من معين) كأس واحد فقط ... (بأكواب وأباريق وكأس من معين) زيادة وتنويع في الأواني لتنوع الأشربة (لا فيها غول ولا هم يُنزفون) الغول إما للإفساد والإهلاك وإما اغتيال العقول، لا تملك الجسم ولا تفسده ولا تسكره. و فهي الغول لا ينفي الصداع. وإذا كان المقصود بالغول إفساد العقول فالغول وينزفون بمعني واحد لكن

الأول يكون صفة المشروب والثانية صفة الشارب ... (لا يصدّعون عنها ولا يُنزفون) لا يصيبهم صداع ونفي الصداع نفي لما هو أكبر وهو الغول. والآية تدل على أن خمر الجنة لا تُسكر ولا ينقطع الشراب فالتكريم هنا أعلى من سورة الصافات.

(وعندهم قاصرات الطرف عين) صفة واحدة من صفات حور الجنة (بيض مكنون). ... (حور عين كألهم لؤلؤ مكنون) ذكر صنفين والوصف هنا جاء أعلى

لم يرد شيء عن نفي سماع اللغو ... (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما إلا قيلاً سلاماً سلاما) نفي لسماع أي لغو ولم ترد في الصافات

(ينزفون) مبنية للمجهول فناسب أن يقال (يُطاف عليهم) مبنية للمجهول. ... (يطوف عليهم) بما أن يُنزفون مبنية للمعلوم ناسب أن يقال (يطوف عليهم) مبنية للمعلوم أيضاً

ففي سورة الواقعة إذن دلّ السياق على الإكرام وزيادة والسُرر وزيادة والكأس وزيادة والعين وزيادة و نفى السُكر وزيادة ونفى اللغو وزيادة.

١٨٧ – ما دلالة تكرار كلمة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) في سورة النساء وعدم ذكرها مع (أولي الأمر) ؟ قال تعالى في سورة النساء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَوَرُدُوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُتُمُ تُوْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٩٥}) لَم يقل تعالى (وأطيعوا أولي الأمر منكم) لأن طاعة أولي الأمر تبعية وليست مستقلة وإنما هي تابعة لطاعة الله وطاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فأولي الأمر ليس لهم طاعة مستقلة ولكن طاعتهم تبعية بحسب طاعتهم لله ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – . كما أن طاعة أولي الأمر ليست بنفس منزلة طاعة الله ورسوله ومن المحتمل التنازع بين أولي الأم.

وهناك سؤال آخر في هذه الآية وهو لماذا يرد في القرآن أحياناً (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وأحياناً أخرى يرد (وأطيعوا الله والرسول) ؟

في القرآن قاعدة عامة : وهي أنه إذا لم يتكرر لفظ الطاعة فالسياق يكون لله وحده في آيات السورة ولم يجري ذكر الرسول – صلى الله عليه وسلم – في السياق أو أي إشارة إليه كما جاء في سورة آل عمران (وَأَطِيعُواْ الله وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُوْحَمُونَ {١٣٢}}). والأمر الآخر أنه إذا لم تكرر لفظ الطاعة فيكون قطعياً قد ذُكر فيه الرسول في السياق كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْء فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولَ إِن كُنتُم تُومْنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأُويلاً {٩٥} النساء) و(وَأَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ إِللهِ وَالْيَوْمُ اللهَ وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم فَعَلَى رَسُولِنَا الْبلاَ غُ الْمُبينُ {٩٦} المائدة) وريسَالُونَكَ عَنِ الأَيْهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوا وَاعْدُواْ فَإِن تَوَلَّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلُواْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٦} الأَنفالِ و (قُل أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تُولُولُ أَللهَ وَرَسُولُهُ وَلاَ تَوَلُوا عَنْهُ وَأَنتُم تَسْمَعُونَ ﴿٢٦} الأَنفالِ و (قُل أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تُولِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُرْعِلُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولَ إِلّا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُنْعُولُ وَلَا تُرْعِلُوا أَعْمَالَكُمْ {٣٣٤} محمد) الْبَلاَعُ الْمُبينُ ﴿٤٥ } النُور) و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُرْعِلُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولَ إِلَا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولُ وَلَا تُرْعِلُوا أَعْمَالكُمْ وَاللهُ وَالْمَاسُولُ وَلَا تُرْعِلُوا وَلَا تُمْولُوا الْمُعَالِولَ إِلَا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُرْعُلُوا أَعْمَالكُمْ {٣٣٤ } محمد)

و(أَأَشْفَقَثُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجُواكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآثُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ {١٣} المجادلة) و(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {١٢} التغابن) وهذا ما جرى عليه القرآن كله كقاعدة عامة.

١٨٨ – ما دلالة الهاء في كلمة (اقتده) في آية سورة الأنعام؟

قال تعالى في سورة الأنعام (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهُ قُل لاَّ أَشَّأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ {٩٠ }) والهاء في (اقتده) تسمى "هاء السكتة" وهي جائزة وكان يمكن القول اقتدي لكن جاء بهاء السكتة وهي علامة الوقف وهذا يدل على أنه أمر يجب أن يقف عند هداهم فلا يتعدّاه ولا يسأل عن هدى غيره ولذا قدّم تعالى (فبهداهم) لتفيد الحصر ؛ وقد ذكر تعالى عن الأنبياء كإبراهيم ونوح وغيرهم كما في الآيات (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {٨٣ } وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاَّ مَن لَسُعَا وَنُوحاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا وَكُلاً فَصَلْنَا وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسنِينَ هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا وَنُوطاً وَكُلاً فَصَلْنا هَا اللهُ عَلَيْهُ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسنِينَ هَلَى الْمَالِحِينَ {٩٨ } وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاً فَصَلْنا عَلَى الْمُعْمَلِيمَ وَيُولُومَ وَسُلَقَالًا عَن هدى غيرهم واقتد بمداهم فقط وكف عَلَى الْعَالَمِينَ {٨٦ }) ثم قال (فبهداهم اقتده) أي اسكت هنا ولا تسأل عن هدى غيرهم واقتد بمداهم فقط وكف عند هذا الحد بمعنى قف هنا.

۱۸۹ – ما دلالة كلمة (ملتهم) في سورة البقرة (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) ولماذا لم ترد كلمة "ملتيهما" مثلاً؟

قال تعالى في سورة البقرة (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَيْنِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ { ١٢٠}) ولو قال تعالى "ملتيهم" اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ {١٢٠}) ولو قال تعالى "ملتيهم" لكان المعنى لن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتيهما وهذا لا يصح لأن الميهود يريدون أن يتبع ملتهم فقط وكذلك النصارى.

وهناك سؤال آخر أنه لماذا جاء بــ (لا) في قوله (اليهود ولا النصارى)؟ لأنه لو لم يأت بما لدلّ المعنى على أنه لن يرضى عنك الجميع حتى تتبع ملّتهم وهذا لا يصح.

• ١٩ - ما دلالة (قوامين بالقسط) في آية سورة النساء و (قوّامين الله) في آية سورة المائدة؟

قال تعالى في سورة النساء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَهُسكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيَّا أَوْ فَقَيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً {١٣٥ }) وقال تعالى في سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَعْمَلُونَ خَبِيراً وَقَال تعالى في سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَعْمِلُونَ ﴿ هَمَ أَقْرَبُ لِلتَّقُوى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ هَ}) ولو أخذنا يعرف الآيات في سورة النساء نلاحظ أن السورة كلها في الأمر بالعدل والقسط وايتاء كل ذي حق حقه (وآتُواْ الْيَتَامَى أَمُوالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمُوالَهُمْ إِلَى أَمُوالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيراً {٢}) (وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً \$ }) فلذلك اقتضى السياق تقديم (قَوَّامِن بالقسط) .

أما في سورة المائدة فسياق الآيات في حقوق الله تعالى وفي الولاء والبراء (يَا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَلائِدَ وَلاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَصْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضُواناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمَ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقُوَى وَلاَ تَعَقَدُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمَ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمُسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقُوكَى وَلاَ تَعَوَّدُواْ وَلاَ يَجْرِمِنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمَ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمُسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقُوكَى وَلاَ تَعَلَى الْبِرِّ وَالنَّقُواَ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {٢}) (وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاقَقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصَّدُورِ {٧}) لذا اقتضى قول (قوّامين لله) لأن السياق في القيام لله تعالى وفي حقوق الله تعالى.

191 – ما دلالة استخدام الفعل الماضي وللضارع في آية سورة فاطر (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرَّاً وَعَلَانيَةً يَوْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ {٢٩}}) ؟

قال تعالى في سورة فاطر (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَرَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً وَللَّاتِينَ عَلَى الْحَالِ والتَجَدد والإستقبال والمنافي مضى ؛ وفي الآية ذكر تعالى أكثر ما يتجدد أولاً لأن تلاوة القرآن أكثر من الصلاة وإقامة الصلاة لا تكون إلا بقراءة القرآن وقراءة القرآن تكون في كل وقت وإقامة الصلاة هي أكثر من الإنفاق إذن فالأفعال مرتبة في الآية بحسب الكثرة وبحسب الإستمرار فبدأ بالأكثر والأكثر استمراراً ثم بما دونها كثرة (الصلاة) ثم الاقفال المرتبة في الآية وفعل (أقاموا) هو فعل ماضي لكن بعد إسم الموصول يكون له زمنان فقد يكون له زمن ماضي مثل قوله تعالى وفعل (أقاموا) هو فعل ماضي لكن بعد إسم الموصول يكون له زمنان فقد يكون له زمن ماضي مثل قوله تعالى (إِنَّ الّذِينَ يَكُثُمُونَ مَا أَزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَاللَّهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابُ أُولَئِكَ يَلعُنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِينُونَ الْفَعال الماضية في الآية (تابوا وأصلحوا ويينوا) تدل على احتمال الإستقبال الألها جاءت بعد الكتمان (إن الذين الأفعال الماضية في الآية (تابوا وأصلحوا ويينوا) تدل على احتمال الإستقبال الألها جاءت بعد الكتمان (إن الذين يكتمون). أصلاً زمن الفعل الماضي بعد الإسم الموصول يحتمل الميضي ويحتمل الإستقبال. وهناك أمور قطعية وصف الآيات للآخرة (وفتحت السماء فكانت أبوابا) وفي الحديث عن الله تعالى (وكان الله غفوراً رحيما) فهي تدلل على كونه غفور رحيم وهذا كونه سبحانه.

۱۹۲ – ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله (ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) سورة المائدة آية ۲ وقوله (ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا) سورة المائدة آية ۸؟ لماذا جاءت مرة (على أن) ومرة (أن) ؟

قال تعالى في سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُتحِلُّواْ شَعَائِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلائِدَ وَلا آمَيْنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقُوى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقُوى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْغُدُوانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقُوى وَالتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَهِدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمُنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاً الْعِقَابِ {٢} } الْعَقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ حَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ {٨}) المحذوف في الآية الأولى (على) وهو من الحذف الحرف الحذف الجائز ويسموه نزع الخافض بوجود أن ومعلوم الحرف وهذا جائز نحوياً. والسؤال هو لماذا حُذف الحرف (على) في الآية الأولى وذُكر في الثانية؟ إذا كان الحرف متعيّن يكون الذكر آكد من الحذف وإذا لم يكن متعيّناً (أي أي

له عدة معاني) يكون من باب التوسع في المعنى. وإذا نظرنا إلى الآيتين السابقتين نجد أن الثانية آكد من الأولى لأن الحرف ذُكر والآية الأولى نزلت في حادثة واحدة حصلت وانتهت وهي تخص قريش عندما صلوا المسلمين عن المسجد الحرام أما الآية الثانية فهي عامة وهي محكمة إلى يوم القيامة وهي الأمر بالعدل إلى يوم القيامة ثم إن الآية الأولى تدخل في الثانية لأن العدوان هو الظلم

وليس من العدل فالثانية آكد من الأولى ؛ والأمر بالعدل أمر عام والأولى أمر خاص جداً لذا اقتضى حذف الحرف (على) في الأولى وذكره في الثانية.

١٩٣ – ما الفرق من الناحية البيانية بين الآيتين في سورة الأعراف (قَالَ نَعَمْ وَإَنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ {١١٤}) وسورة الشعراء(قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ {٢٢})؟

الآيتين في سياق قصة موسى – عليه السلام – وهناك جملة اختلافات في التعبير في القصة. في سورة الأعراف تبدأ القصة بأحداث طويلة ممتدة من مجيء موسى – عليه السلام – إلى فرعون وحتى نهاية فرعون وفيها كلام طويل عن بني إسرائيل. أما في سورة الشعراء فالقصة تأخذ جانب من مقابلة موسى وفرعون وينتهي بنهاية فرعون. وفي كل قصة اختار التعييرات المناسبة لكل منها. ونلاحظ أنه في سورة التفصيل في سرد الأحداث في سورة الشعراء أكثر وعليه فقد انطبعت كل التعبيرات بناء على هذين الأمرين.

في سورة الأعراف إذا استعرضنا الآيات (ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ {١٠٩} وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبٌ الْعَالَمِينَ {١٠٩ } قَالَ إِن كُنتَ جَمْتَ بَيْتَةٍ مِّن رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْوَائِيلَ {١٠٩ } قَالَ إِن كُنتَ جَمْتَ بَآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {١٠٩ } فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تُعْبَانٌ مُّبِينٌ {١٠٩ } وَتَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِي يَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ كُنتَ مِن الصَّادِقِينَ {١٠٩ } قَالُواْ أَوْحُهُ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ {١٠٩ } يُربِدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ كُنَّ الْمُلَوِّينَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرِ عَلِيمٍ {١٩٠ } يُربِدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرِ عَلِيمٍ {١٩٠ } يُربِدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَحَرَةُ الْمَالِينَ وَالْمَالُونِ عَلَيْهُ إِنَّ لَكُونَ اللَّاسِ وَاسْتَرْهُبُوهُمْ وَجَاء السَّحَرَةُ أَن تُلْفِقُ وَإِمَّا أَن تُكُونَ لَعَنْ النَّاسِ وَاسْتَرْهُبُوهُمْ وَجَاءوا بسَحْرٍ عَلِيمٍ {١٩١ } وَالْمَالَمُونَ وَالِمَّا أَن تَكُونَ لَكُونَ لَكُونَ النَّاسِ وَاسْتَرْهُبُوهُمْ وَجَاءوا بسَحْرٍ عَلِيمٍ إِلَّا كُونَ اللَّهُ وَالَى مَا يَأْفِكُونَ إِلَى اللَّعَلَى الْكَولُ وَلَالَالِقَ عَصَاكَ فَإِذَا هِي تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ {١١٨ } فَوقَعَ الْحَقُ وَبَطَلَ مَا كَانُوا أَن تُكُمُ إِنَّ هَذَا اللَّهُ وَلَعَلَى اللَّهُ وَلَوَى الْكَالُونَ إِلَى الْكُولُونَ إِلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَا السَّحْرَةُ سَاجِدِينَ {١٩٤ } قَالُواْ آمَنَا بِرِبِ عَمْلُونَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَكُمْ إِنَّ هَذَا الْمُونَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا الْمُونَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا الْمُؤْمِنَ وَالْمَالِكُ وَلَونَ وَالْمَالُونَ لَلُكُونَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَكُمْ إِنَّ هَلَالًى اللَّوْلُونَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا اللَّهُ وَلَوْلَ الْمُؤْمِقُونَ لَكُمْ إِنَّ هَالَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَا لَا الْمَالَونَ لَكُمْ إِنَّ هَا لَا الْمَالَوْلُونَ لَكُمُ إِنَّ هَا أَلُولُونَ الْمُؤَلِقُولُ الْمَالِقُولُ الْمُؤْلُولُ الْمَالِقُولُ الْ

لَمَكُرٌ مَّكَرِ ثُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ {١٢٣} لِأَقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لَا مُنْفَلِبُونَ وَمَا تَقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا لَمُ اللَّهِ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ {١٢٦}} قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ {١٢٥} وَمَا تَقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَوْ غَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ {٢٦٦}}

و إِذَا استعرضنا الآيات في سورة الشعراء (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ انْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ { ١٠ } قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَقُونَ { ١١ } قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ { ١٢ } وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ { ١٣ } يَتَّقُونَ { ١١ } قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ { ١٤ } قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿ ١٤ } فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولًا إِنَّا

رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {١٦} أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ {١٧} قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَيْثَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ {١٨} وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ {١٩ } قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ {٢٠ } فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ {٢١ } وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتً بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ {٢١ } وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتً بَنِي إِسْرَائِيلَ {٢٢ } قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ {٣٣ } قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُتُم مُّوقِينَ {٢٢ } قَالَ لَكُمْ لَمَجْنُونٌ لَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلِيْكُمْ لَمَجْنُونٌ لِمَا لَا يَسْتَمِعُونَ {٢٦ } قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ {٢٦ } قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلِيْكُمْ لَمَجْنُونٌ {٢٧ } قَالَ اللَّالَةُ لَلْ تَسْتَمِعُونَ {٢٥ } قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ {٢٦ } قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلِيْكُمْ لَمَجْنُونٌ لَعَلْتَ الْتَسْتَمِعُونَ لَا عَلْتَ مُولِكُمُ الْأَوَّلِينَ {٢٦ } قَالَ اللَّهُ لَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمُجْنُونً لِكُمْ لَكُمْ لَمَجْنُونً لَيْ عَالًى اللَّهُ الْعَلَى اللَّهُ الْعَلَى اللَّهُ اللَّهُ الْعَلَى الْعَلْمَ لَلْهُ أَلُهُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ اللَّهُ الْعَلْمُ لَكُمْ لَلْعَلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ لِلْعُلْمُ اللَّهُ الْعَلْمُ الْعَلْمُ اللَّهُ الْعَلْمُ اللَّهِ الْعَلْمُ اللْعَلَى الْعَلْمُ اللْعُلْمُ اللَّهُ الْعَلْمُ اللْعَلْمُ اللْعَلْمُ اللْعَلْمُ اللَّهُ الْعُولُولُ الْعُلْمُ اللَّهُ اللْعُولُ الْعَلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ اللْعَلْمُ اللْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ اللْعُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ اللْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَعْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُتُمْ تَعْقِلُونَ {٢٨} قَالَ لَئِنِ اتَّحَدُّتَ إِلَها عَيْرِي لَأَجْعَلَنَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ {٢٩ } قَالَ أَولَوْ جِنْتُكَ بِشَيْء مُّبِينَ {٣٨ } قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {٣٨ } فَإَلَّهَى عَصَاهُ فَإِذَا هِي تُعْبَانٌ مُّبِينٌ {٣٣ } وَلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ {٣٤ } يُرِيدُ أَن مُبِينٌ {٣٣ } وَنَوَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِي بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ {٣٣ } قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَلَائِنِ حَاشِرِينَ {٣٨ } يَأْتُوكَ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسَحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ {٣٥ } قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَلَائِنِ حَاشِرِينَ {٣٨ } يَأْتُوكَ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسَحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ {٣٥ } قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَلَائِنِ حَاشِرِينَ {٣٨ } يَأْتُوكَ يَخْرُجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم مِّسَحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ {٣٨ } قَالُوا قِرْعَوْنَ أَنِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُتَا نَحْنُ الْقَالِينَ وَعَالَينَ عَلَيْكُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةٍ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَيْنَ إِن كُنُوا هُمُ الْفَالِينَ {٣٠٤ } قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ {٣٤ } فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَرْقُ أَنِنَ لَكَ بَيْ يَكُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةٍ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَيْحَنُ الْفَالِينَ {٢٤ } فَالَقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِي تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ {٤٤ } فَأَلْقِي وَعِرْيَةُ أَيْفِي وَالْمَالِينَ لَكَبَرَكُمْ وَقَالُوا بِعِزَةٍ فِرْعَوْنَ إِنَّا لِلْكَوْنَ إِنَّ الْعَلَيْنَ {٢٤ } وَلَا لَعْمَونَ أَلْقُولُوا وَلَا لَاعَيْمُ لَلْ فَلَالَوا وَلَوْلَ الْعَلَمُونَ أَنْ وَلَا لَكَبِيرَكُمُ مَّ خَلَافٍ وَلَا كَالْمَاعُ قَالُوا لَا عَلْمَ وَلَا لَا لَكِيرَاكُمُ مَّ خَلَافٍ وَلَا الْمَامِينَ {٢٠٤ } فَالْقَلَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّ خَلَافٍ وَلَأُولُوا آلَا لَكَ مَرَا لِلْ اللَّي وَلَا الْمَالَمُ فَلَا لَعْمَعِنَ الْفَالْعَلَى الْمُؤْلُولُ الْمَاعُ الْمَالُولُ أَلْ الْمُعَلِي وَلَا اللَّهُ الْمَالُولُ الْمَالُولُولُ أَلَالَوا لَلْمَاعُولُوا اللَّولُولُ أَنْ الْفَالِي الْمَالُولُولُ الْمَالُولُولُ أَلُولُولُ أَلْفُولُ الْمَالِسُولُولُولُ الْمُنْ الْمُعَلِي وَلَاللَّالِمُ فَالُولُ ا

يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنينَ {٥١})

نلاحظ أن التفصيل في سورة الشعراء أكثر وحصلت محاورة بين موسى – عليه السلام – وفرعون أما في الأعراف فلم يرد ذلك. وفي الشعراء هدد فرعون موسى – عليه السلام – بالسجن.ونلخص الفرق بين الآيتين من الناحية التعبيرية:

سوة الشعراء ... سورة الأعراف

قال للملأ من قومه (قول فرعون) ... قال الملأ من قوم فرعون (قول الملأ)

يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ... يريد أن يخرجكم من أرضكم

وابعث في المدائن حاشرين ... وأرسل في للدائن حاشرين

يأتوك بكل سحّار عليم ... يأتوك بكل ساحر عليم

قالوا لفرعون ... قالوا

وإنكم إذاً لمن المقربين ... وإنكم لمن المقربين

فألقى السحرة ساجدين ... وألقي السحرة ساجدين

فلسوف تعلمون ... فسوف تعلمون

و لأصلبنكم ... ثم لأصلبنكم

لا ضير إنا إلى ربنا لمنقلبون ... إنا إلى ربنا منقلبون

و نأخذ كل فرق على حدة ونبدأ بقول الملأ في الأعراف ؛ فالقائلون في الأعراف هم الملأ والقائل في الشعراء هو فرعون وعندما كانت المحاجة عند فرعون وانقطعت الحجة بقول (بسحره). والفرق بين (أرسل) و (ابعث) في اللغة كبير: أرسل وفعل الإرسال تردد في سورة الأعراف أكثر مما تردد في سورة الشعراء (ورد ٣٠ مرة في سورة الأعراف و١٧ مرة في سورة الشعراء) هذا من الناحية اللفظية . وفعل (بعث) هو بمعنى أرسل أو هيّج ويقال في اللغة بعث البعير أي هيّجه و في البعث إنهاض كما في قوله تعالى (ويوم يبعث من كل أمة شهيداً) (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) أي أقامه لكم وليست بنفس معنى أرسله. فلما كانت المواجهة والتحدّي في سورة الشعراء أكثر جاء بلفظ (بعث) ولم يكتفي بالإرسال إنما المقصود أن ينهض من المدن من يواجه موسى ويهيجهم وهذا يناسب موقف المواجهة والتحدي والشدة. وكذلك في اختيار كلمة (ساحر) في سورة الأعراف و(سحّار) في سورة الشعراء لأنه عندما اشتد التحدي تطلّب المبالغة لذا يحتاج لكلّ سحّار وليس لساحر عادي فقط ونلاحظ في القرآن كله حيثما جاء فعل (أرسل) جاء معه ساحر وحيثما جاء فعل (بعث) جاء معه سحّار. وفي سورة الأعراف وردت كلمة السحر ٧ مرات بينما وردت ١٠ مرات في سورة الشعراء مع العلم أن سورة الأعراف أطول من سورة الشعراء. وكذلك قوله تعالى في سورة الأعراف (وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) أما في سورة الشعراء فقال تعالى (قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) ففي سورة الأعراف لم يقل (قالوا لفرعون) أما في سورة الشعراء فقال (قالوا لفرعون) أي أصبح القول موجهاً إلى فرعون لأن التحدي أكبر في سورة الشعراء وفيها تأكيد أيضاً بقوله (أئن لنا لأجراً)، أما في سورة الأعراف (إن لنا لأجراً) المقام يقتضي الحذف لأن التفصيل أقلّ.

وفي سورة الأعراف قال تعالى (قال نعم إنكم إذاً لمن المقربين) فجاء بـــ (إذاً) حرف جواب وجزاء وتأتي في مقام النفصيل لأن سياق القصة كلها في سورة الشعراء فيها كثر من النفصيل بخلاف سورة الأعراف.

وفي سورة الشعراء أقسموا بعزّة فرعون ولم يرد ذلك في سورة الأعراف.

وفي سورة الشعراء قال (فألقوا حبالهم وعصيهم) ولم يرد ذلك في سورة الأعراف.

و في سورة الشعراء ولأن التحدي كبير ألقي السحرة ساجدين فوراً ولم يرد ذلك في سورة الأعراف.

في سورة الأعراف ورد (آمنتم به قبل أن آذن لكم) و (فسوف تعلمون) الضمير يعود إلى الله تعالى هنا. أما في سورة الشعراء (آمنتم به قبل أن آذن لكم) (فلسوف تعلمون) أي أنقدتم لموسى فالهاء تعود على موسى ولهذا قال تعالى هنا (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) واللام في (فلسوف) هي في مقام التوكيد.

وفي سورة الأعراف قال (ثم لأصلبتكم) وفي سورة الشعراء (ولأصلبنكم) وهذا يدل على أنه أعطاهم مهلة في سورة الأعراف ولم يعطهم مهلة في سورة الشعراء.

و في سورة الأعراف قال (إنا إلى ربنا منقلبون) أما في سورة الشعراء (لا ضير إنا إلى ربنا لمنقلبون) دلالة عدم الإكتراث بتهديد فرعون مع شدة التوعد والوعيد ثم مناسبة لمقام التفصيل.

194 – ما الفرق من الناحية البيانية في ذكر الهاء (فلَّهُمْ أَجْرُهُمْ) وحذفها (لَّهُمْ أَجْرُهُمْ) في آيتي سورة البقرة؟ (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَيِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَننَّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٢٧٤})

ذكر الفاء في الآية الثانية جاء حسب ما يقتضيه السياق. والذكر هنا يسمّى تشبيه من أغراضه التوكيد وقوله تعالى (بالليل والنهار سراً وعلانية) فيها توكيد وتفصيل في الإنفاق ودلالة على الإخلاص فاقتضى السياق زيادة التوكيد لذا جاء الفاء في مقام التوكيد والنفصيل. أما الآية الأولى فذكر فيها الإنفاق في سبيل الله ولم يفصل (بالليل والنهار أو سراً وعلانية) فاقتضى الحذف.

٩٠ - ما اللمسة البيانية في استخدام (ما) في قوله تعالى في سورة المائدة (لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ {١٢٠})؟

استخدام (ما) في هذه الآية بدل (من) لأنها جاءت لغير العاقل لأن في الآخرة الناس يتساوون مع الجماد والنبات والحيوان في كونهم مأمورين ولا مُراد للناس في أي أمر لذا جاء استخدام (ما) وليس (من) لأن كل للخلوقات تساوت عند الله ولا اختيار للناس في الآخرة كما كان لهم في الدنيا.

١٩٦ – ما الفرق بين قوله تعالى (جعلكم خلائف الأرض) و(جعلكم خلائف في الأرض)؟

قال تعالى في سورة الأنعام (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمُ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٦٥ }) بدون ذكر (في) وقال تعالى في سورة فاطر (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا حَسَاراً {٣٩ }) وفي سورة يونس (ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْلِهِم لِنَظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ كُفْرُهُمْ إلَّا خَسَاراً {٣٩ }) وفي سورة يونس (ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْلِهِم لِنَظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ كُفْرُهُمْ إلَّا خَسَاراً وَهِي اللهِ أَن اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ أَمَا (خلائف في الأَرْض) فهي ظرفية ومحددة. ونستعرض سياق الآيات في السور فنلاحظ أن سياق سورة فاطر هو في الكافرين البتداء وانتهاء وكذلك في سورة يونس السياق فيمن أهلكهم الله تعالى من الكافرين. أما في سورة الأنعام فالسياق في مخاطبة المؤمنين إلى النهاية فكانوا أعمّ وأشمل وفيها ورد قوله تعالى (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٦٥ }) ، فالمؤمنون خلائفهم أطول وأكثر من الكافرين فجاء بالمعنى الأعمّ والأشمل في سورة الأنعام بحذف (في).

الإثنين تفسد الجمع حسب كلام العرب ولكنهم في قصة يوسف وإخوته كانوا ثلاثة هم يوسف وأخوه الذي آواه إليه يوسف - عليه السلام - وأخوهم الكبير الذي قال (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ { ٨٠ }) فهم بالأصل ليسوا اثنين ولكن ثلاثة.

19۸ – ما دلالة استخدام كلمة (حياة) نكرة في قوله تعالى (ولتجدفهم أحرص الناس على حياة)؟ قال تعالى في سورة البقرة (وَلَتَجدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ {٩٦}) وجاءت كلمة (حياة) نكرة وهي تعني أي حياة سواء كانت حياة حيوانات أو حشرات وهذه إشارة إلى ألهم يريدون أي حياة كانت وإن كانت ذليلة أو مُهينة أو تافهة ودنيا وليست الحياة الكريمة وإنما أي حياة مهما كانت دنيئة، لذا هم حرصوا على حياة تافهة ولا يتمنون الموت كما تحدّاهم به القرآن.

٩٩ - ما الفرق بين قوله تعالى (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء) وقوله (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ؟ قال تعالى في سورة يونس (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنِ وَمَا تَغْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنِ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلِ إِلاَّ كُمَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ يُغِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعُرُّبُ عَن رَّبُكَ مِن مُنْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصُغْرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَصُغْرَ مِن فَلْ اللَّهِ يَعْدُبُ عَنْهُ مِنْقَالُ ذَرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلاَ أَصْغُرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبُر إِلّا فِي كِتَابٍ مُّمِين {٣} }). بداية يغزُبُ عَنْهُ مِنْقَالُ ذَرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلاَ أَصْغُرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبُر إِلّا فِي كِتَابٍ مُمْين {٣} }). بداية الآية مختلفة ، التذييل متشابه، آية سبأ جاءت تذييلا وتعقيبا للحديث عن الساعة، آية يونس جَاءت لبيان مقدار إحاطة علم الله بكل شيء، وسعة ذلك العلم، ترتب على هذا اختلاف التعبير بين الآيتين كما سنوضح فيما يلي: إحاطة علم الله بكل شيء، وسعة ذلك العلم، ترتب على هذا اختلاف التعبير بين الآيتين كما سنوضح فيما يلي: في آية سورة بيا الله إلى بكل شيء كما جاء في أول الآية (وما تكون في شأن). أما في الآية الثانية في سورة سبأ فالسياق في التذييل والتعقيب على الساعة. و(لا) هذه قد تكون لا النافية (لا يعزب) وتكون للإستقبال مثل (لا تجزي نفس عن نفس شيئاً) وقد تكون للحال (مالي لا أرى الهدهد). إذن (لا) مطلقة تكون للحال أو للمستقبل وهي أقدم حرف نفي في العربية وأوسعها استعمالاً. وهي مع المضارع تفيد الإستقبال وهو مطلق كما في قوله تعالى وهاء استخدام الضمير (عنه) في آية سورة سبأ لأنه تقدّم ذكر الله تعالى قبله، أما في سورة يونس فلم ينقدم ذكر الله تعالى فجاءت الآية (وما يعزب عن ربك).

عالم الغيب في سورة سبأ وكلمة (عالم) لا تأتي إلا مع المفرد (عالم الغيب والشهادة) وعالم : إسم فاعل كقوله تعالى (غافر الذنب) أما علام فهي تقتضي المبالغة مثل (غفّار).

من مثقال ذرة: من الزائدة الإستغراقية وهي تفيد الإستغراق والتوكيد. نقول في اللغة (ما حضر رجل) وتعني أنه يحتمل أنه لم يحضر أي رجل من الجنس كله أو رجل واحد فقط. وإذا قلنا: ما حضر من رجل: فهي تعني من جنس الرجل وهي نفي قطعي. وقوله تعالى في سورة يونس (من مثقال ذرة) للتوكيد لأن الآية في سياق إحاطة علم الله بكل شيء لذا اقتضى السياق استخدام (من) الإستغراقية التوكيدية.

النقديم والتأخير في السماء والأرض: الكلام في سورة يونس عن أهل الأرض فناسب أن يقدم الأرض على السماء في قوله تعالى (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) أما في سورة سبأ فالكلام عن الساعة والساعة يأتي أمرها من السماء وتبدأ بأهل السماء (فصعق من في السموات والأرض) و (ففزع من في السموات ولا في ومن في الأرض) ولذلك قدّم السماء على الأرض في قوله تعالى (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض).

واستخدمت (السماء) في سورة يونس لأن السياق في الإستغراق فجاء بأوسع حالة وهي السماء لأنها أوسع بكثير من السموات في بعض الأحيان. فالسماء واحدة وهي تعني السموات أو كل ما علا وفي سورة سبأ استخدم (السموات) حسب ما يقتضيه السياق.

الفرق بين (ولا أصغر) في سورة سبأ و(ولا أصغر) في سورة يونس: في سورة يونس (أصغر) اسم مبني على القتح و(لا) هي النافية للجنس و تعمل عمل إنّ وهي تنفي الجنس على العموم. و نقول في اللغة: لا رجل حاضرٌ بمعنى نفي قطعي. (هل من رجل؟ لا رجل) وهي شبيهة بحكم (من) السابقة. إذن جاء باستغراق نفي الجنس مع سياق الآيات في السورة. أما في سورة سبأ فالسياق ليس في الإستغراق و نقول في اللغة : لا رجل حاضرٌ. (هل رجلٌ؟ لا رجلٌ) فهي إذن ليست للإستغراق هنا.

٢٠٠ ما دلالة كلمة (ذرعاً) في قوله تعالى (ولمّا أن جاءت رسلنا سيء بهم وضاق بهم ذرعا) في سورتي هود
 و العنكيوت؟

قال تعالى في سورة هو د (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ {٧٧}}) وقال في سورة العنكبوت (وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ فِي سورة العنكبوت (وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتُكَ كَانَتْ مِنَ الْعَابِرِينَ {٣٣}}). الذرع في اللغة : هو الوسع والطاقة والخلق أي الإمكانية من حيث المعنى العاقم. (وضاق بحم ذرعاً) بمعنى لا طاقة له بحم. وأصل التعبير ضاق ذرعاً أي مدّ ذراعه ليصل إلى شيء فلم يستطع ؛ إذن ضاق ذرعاً بمعنى لم يتمكن.

٢٠١ – ما دلالة تقديم وتأخير كلمة رجل في قوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) في سورة يس و(جاء رجل من أقصى للدينة يسعى) في سورة القصص؟

قال تعالى في سورة يس (وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلِّ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ { ٢٠ }}) وقال في سورة القصص (وَجَاء رَجُلِّ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجُ إِنِّي لَكَ مِنَ القصص (وَجَاء رَجُلِّ مِنْ أَقْصَى المَدينة رجل النَّاصِحِينَ { ٢٠ }}). هل قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى)؟ من حيث الدلالة اللغوية أصل المجيء مختلف بين الآيتين نقول مثلاً : جاء من القرية رجل بمعنى أن مجيئه كان قطعياً من القرية وهذا تعبير قطعي أما إذا قلنا : "جاء رجل من القرية" فهذا تعبير احتمالي قد يكون جاء من القرية أو يكون رجلاً قروياً ولم يجيء من القرية كأن نقول : "جاء رجل من سوريا" فهذا لا يعني بالضرورة أنه جاء من سوريا ولكن قد تعني أنه سوري. وإذا قلنا : "جاء رجل من أقصى المدينة يسعى" تحتمل أن يكون من سكان أقصى المدينة وتحتمل أن مجيء صاحب يس كان لإبلاغ الدعوة لأن الرسل في السورة قالوا (وَمَا عَلَيْنَا إِلاَ جاء قطعياً من أقصى المدينة لأن مجيء صاحب يس كان لإبلاغ الدعوة لأن الرسل في السورة قالوا (وَمَا عَلَيْنَا إِلاَ أَلُهُ عُلَى الْمُعِينُ الله على المدينة المحتمى المدينة تفيد على المدينة المحتمى المدينة المحتمى المدينة المحتمى المدينة المحتمى المدينة المحتمى المدينة المحتمى المدينة المتحتمى المدينة المحتمى المدينة الإسرار لموسى – عليه السلام – (التعبير احتمالي) فالرجل جاء من أقصى المدينة للإسرار لموسى – عليه السلام – (التعبير احتمالي) فالرجل جاء من أقصى المدينة للإسرار لموسى – عليه السلام – (التعبير احتمالي) فالرجل جاء من أقصى المدينة للإسرار لموسى – عليه السلام – (التعبير احتمالي) فالرجل جاء من أقصى المدينة للإسرار الموسى – عليه السلام – التعبير احتمالي) فالرجل جاء من أقصى المدينة للإسرار الموسى – عليه السلام – .

٢٠٢ – ما دلالة تقديم الإنس على الجان في آية سورة الرحمن (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان)؟

قال تعالى في سورة الرحمن (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ {٥٦ }) ، والإنسان عادة تعاف نفسه الرأة إذا طمثها إنسي لذلك تقدّم ذكر الإنس لكن إذا عاشرها جان ليس لها نفس الوقع كالإنسي.

٢٠٣ - ما الفرق من الناحية البيانية بين قصة غرق فرعون في آيات سورة يونس وطه؟

قال تعالى في سورة يونس (وَجَاوَزْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبُحْرَ فَأَثْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدُواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ تَعَالَى في سورة يونس (وَجَاوَزْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٩٠}) وقال في سورة طه (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنتُ بَهُ بِنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٩٠ }) وقال في سورة طه (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى {٧٧} فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَعُشِيَهُمْ مَنَ الْيَمَ مَا غَشِيَهُمْ ﴿ ٤٧٨}). إذا لاحظنا الآيات في السورتين نرى ما يلي:

استخدام واو العطف في قوله (فرعون وجنوده) وهذا نص بالعطف فرعون أتبع موسى وهو معه وهذا تعبير قطعي أن فرعون خرج مع جنوده وأتبع موسى. أما في سورة طه استخدم الباء في قوله (فأتبعهم فرعون بجنوده)

والباء في اللغة تفيد المصاحبة والإستعانة، وفي الآية الباء تحتمل المصاحبة وتحتمل الإستعانة بمعنى أمدهم بجنوده ولا يشترط ذهاب فرعون معهم.

٧. والتعبير في سورة يونس يوحي أن فرعون عازم على البطش والتنكيل هو بنفسه لذا خرج مع جنوده وأراد استئصال موسى بنفسه للتنكيل والبطش به لآن سياق الآيات تفرض هذا التعبير، ذكر استكبار فرعون وملئه (ثُمَّ بَعْشَا مِن بَعْلِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بَآيَاتِنَا فَاسْتَكْبُرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ {٧٥}) فذكر أهم مستكبرون ومجرمون وذكر أنه ما آمن لموسى إلا قليل من قومه على خوف من فرعون وملئه وذكر أيضاً أن فرعون عال في الأرض ومسرف كما ذكر أنه يفتن قومه ومآل الأمر في سورة يونس أن موسى – عليه السلام – دعا على فرعون وقومه (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) فذكر (بغياً وعدواً) مناسب لسياق الآيات التي ذكرت عذاب فرعون وتنكيله بموسى وقومه. ولم يذكر في سورة طه أن فرعون آذى موسى وقومه ولم يتعرض لهذا الأمر مطلقاً في سورة طه لذا فالسياق هنا مختلف لذا اختلف التعبير ولم يذكر _ بغياً وعدواً) ليناسب سياق الآيات في التعبير.

٣. بعد أن ضاق قوم موسى ذرعاً بفرعون وبطشه تدخل الله تعالى فتولّى أمر النجاة بنفسه فقال تعالى (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبُحْرَ فَأَتَبْعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدُواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنت بَهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٩٠}) وكان الغرق لفرعون وإيمان فرعون عند الهلاك هو استجابة لدعوة موسى – صلى الله عليه وسلم – (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم)، أما في سورة طه فقد جاء الأمر وحياً من الله تعالى لموسى – صلى الله عليه وسلم – ولن يتولى تعالى أمر النجاة بنفسه وإنما خاطب موسى بقوله (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبْساً لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى) ثم قال تعالى (فَعَشِيَهُم مِّنَ الْيَمْ مَا غَشِيَهُمْ) ذكر غرق قوم فرعون.

كل هذه الإختلافات بين المشهدين في القصة هو ما يقتضيه سياق الآيات في كل سورة.

٢٠٤ – ما دلالة كلمة (لآت) في قوله تعالى في سورة العنكبوت (من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت) وهل هي جواب الشرط؟

قال تعالى في سورة العنكبوت (مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {٥}) وقال في سورة الكهف (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُّفَلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشرُكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً {١١٠}). كلمة (ليعمل) في آية سورة الكهف هي جواب الشرط أما في آية سورة العكبوت فكلمة (لآت) هي إجابة عامة وليست للشرط فقط والمقصود بها إرادة العموم وهناك في القرآن أمثلة كثيرة على هذا النمط مثل قوله تعالى (مَن كَانَ عَدُواً للّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجُرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُولٌ لِلْكَافِرِينَ كثيرة على هذا النمط مثل قوله تعالى (مَن كَانَ عَدُواً لللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجُرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُولٌ للكَافِرِينَ على اللهَ عَدُولُ للكَافِرِينَ المُعموم وهي أشمل كما جاء في قوله تعالى في سورة الأعراف (وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ {١٧٠}) جاءت للعموم ولم يقل تعالى (لا نضيع أجرهم) للأفراد وكلمة (أجرهم) تفيد أن المذكورين دخلوا في المصلحين. إذن كلمة (لآت) في آية سورة العنكبوت تجمع بين من كان يرجو لقاء الله ومن لم يكن يرجو لقاء الله جميعهم على وجه العموم. في آية سورة العنكبوت تجمع بين من كان يرجو لقاء الله ومن لم يكن يرجو لقاء الله جميعهم على وجه العموم. في آية سورة العنكبوت آيمه في الآيات القرآنية؟

(بما) للسبب وتقال للقسم أيضاً والسبب أظهر كما قال تعالى (رب بما أغويتني) أي بسبب ما أغويتني. (لوما) إما أن تكون حرف المتناع لوجوب عندما تدخل على الأسماء أو تكون من حروف التخصيص عندما تدخل على الأفعال (لوما يأتينا بآية).

٢٠٦ – ما دلالة تقديم (ما تسبق من أمة أجلها) على (ما يستأخرون) في آية سورة الحجر والمؤمنون؟

TODO ISLAMICBOOK.WS (جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

كتاب : لمسات بيانية المؤلف : الدكتور فاضل صالح السامرائي

قال تعالى في سورة الحجر (مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ {٥}) وقال في سورة المؤمنون (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ {٥}) وقال في سورة الأعراف فقد جاءت الآية بقوله أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٢٤) بتقديم (لا يستأخرون) على (لا (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ {٣٤}) بتقديم (لا يستأخرون) على (لا يستقدمون). وإذا لاحظنا الآيات في القرآن نجد أن تقديم (ما تسبق من أمة أجلها) على (وما يستأخرون) لم تأت إلا في مقام الإهلاك والعقوبة.

٢٠٧ – ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله (يقتلون النبيين بغير الحق) سورة البقرة وقوله (ويقتلون الأنبياء بغير حق) سورة آل عمران؟ الإختلاف بين (النبيين) و (الأنبياء) و (بغير حق) و (بغير الحق)؟

قال تعالى في سورة البقرة (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن تَصْبُرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْ عُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِشَّائِهَا وَقُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآوُواْ بِعَضَب مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَاثُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَاثُواْ يَعْتَدُونَ {٦٦}) وقال في سورة آل عمران (إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ اللّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرُهُم بِعَذَابِ أَلِيمٍ {٢١ }) وَرضُربَتْ عَلَيْهِمُ الذَّيْقَ مُلُونَ اللّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرُهُم بِعَذَابِ أَلِيمٍ {٢١ }) وَرضُربَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَلَهُمْ وَيَقْتُلُونَ اللّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرُهُم بِعَذَابِ أَلِيمٍ إلَا يَعْقَدُونَ اللّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَب مِّنَ اللّهِ وَصُربَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنْهُمْ كَانُواْ يَعْشَدُونَ إِلاَ بِحَبْلِ مِّنْ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْسِاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَاثُواْ يَعْشَدُونَ {٢١٨ }). جمع المذكر السالم إذا كان معه جمع كثرة فإنه يفيد القلّة وإذا لم يكن معه جمع تكسير يفيد القلة والكثرة. (النبيين) أما (الأنبياء) فتفيد جمع الكثرة.

وهناك أمر آخر هو عندما يذكر معاصي بني إسرائيل يذكر الأنبياء.

ثم أن الإختلاف بين ذكر كلمة (بغير حق) و(بغير الحق) تدل على أن استعمال كلمة (الحق) معرّفة تعني الحق الذي يدعو للقتل فهناك أمور يستحق بما القتل. أما استعمال (بغير حق) نكرة فهي تعني لا حق يدعو إلى القتل و لا إلى غيره. فإذا أراد تعالى أن يبيّن لنا العلوان يذكر (بغير حق).

ويقول الدكتور أهمد الكييسي عن معنى كلمة النبيين والأنبياء: " أن النبيين هي كصفة ساعة يُنبأ أما الأنبياء فهي جمع نبي أي بعد أن أصبح نبياً " هذا والله أعلم.)

٢٠٨ - ما الفرق بين " أنزل " و" أُوتي " في آية سورة البقرة؟

قال تعالى في سورة البقرة (قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {١٣٦}}) الإنزال يأتي من السماء ويستعمل للكتب. أما الإيتاء فهو يستعمل للكتب وغير الكتب مثل المعجزات والإيتاء أوسع من الإنزال لأن الإنزال كما قلنا يشمل الكتب فقط. وبالعودة إلى آية سورة البقرة نجد أن حجج موسى – عليه السلام – لم تكن في الكتاب وإنما جاءه الكتاب بعدما أوتي المعجزات وللعلم فإنه لم يرد في القرآن كلمة (أزن) مطلقاً لموسى في القرآن كله وإنما استعملت كلمة (أوتي) لموسى. أما بالنسبة للرسول – صلى الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه السلام – الله والمحالفة المؤلفة ا

وسلم – فقد جاء في القرآن (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) وجاء أيضاً (وما أُنزل إليك). ٢٠٩ – ما الفرق بين كلمة (ثقفتموهم) وكلمة (وجدتموهم) في القرآن؟

قال تعالى في سورة البقرة (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ { ١٩١}} تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ { ١٩١}} ثقف: ظفر به وأخذه . ولا تستعمل (ثقفتموهم) إلا في القتال والخصومة ومعناها أشمل من الإيجاد. وعندما لا يكون السياق في مقام الحرب يستعمل (وجدتموهم).

٠ ٢١ - ما الفرق بين (يعملون) و (يفعلون) و (يصنعون) وما دلالتها في القرآن الكريم؟

يفعلون : الفعل قد يكون بغير قصد ويصلح أن يقع من الحيوان أو الجماد. (ولو ألهم فعلوا ما يوعظون به) (يا أبت افعل ما تؤمر)

يعملون: في الأكثر فيه قصد وهذا مختص بالإنسان. (فأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر)

يصنعون : الصنع هو أخص ويحتاج إلى دقة. (صنع الله الذي أتقن كل شيء)

لأن الفعل عام والعمل أخص منه والصنع أخص ويحتاج إلى دقة.

لماذا جاءت كلمة (قريب) في وصف الرحمة في قوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) ولم تأت قريبة؟ المضاف يكتسب من المضاف إليه في مواطن معينة في التذكير والتأنيث. وكلمة (قريب) فيها قولان: إذا كان قريب النسب يصح التذكير والتأنيث. (رحمت الله قريب) هو جائز في اللغة ؛ إذا كان القرب مختصاً بالرحمة يقال (قريبة) ولكن الله تعالى أراد أن يشعرنا بقربه هو جل جلاله فجاءت الآية (قريب من المحسنين) وهذا القرب مختص بالله تعالى.

٢١١ – ما دلالة (فهو) في قوله تعالى في سورة يوسف (من وجد في رحله فهو جزاؤه)؟
 الجزاء هو: سيؤخذ بالجريرة إذن (هو) هي الجزاء.

٢١٢ – ما دلالة ذكر الواو وحذفها في قوله تعالى في سورة الشورى (يعف) و(يعفو)؟

ورود الواو وعدم ورودها: الواو في (يعفو) ليست واو الجماعة حتى لو شاهدناها في القرآن ومعها ألف بعدها لا تدل على الجماعة. هي واو الفعل وليست للجماعة (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّنَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ {٢٥} الشورى) (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ {٣٠} الشورى). أما الأولى (يعف) فهي معطوفة على الشرط لذا جاءت مجزومة بحذف الواو (أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ {٣٤} الشورى)

٣١٣ - ما الفرق بين دلالة كلمة " الكتاب " و " القرآن " ؟

كلمة " قرآن " هي في الأصل في اللغة مصدر الفعل "قرأ" مثل غفران وعدوان. (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ {١٨} القيامة) ثم استعملت علماً للكتاب الذي أُنزل على الرسول – صلى الله عليه وسلم – (القرآن).

أما الكتاب فهي من الكتابة وأحياناً يسمى كتاباً لأن الكتاب متعلق بالخط، وأحياناً يطلق عليه الكتاب وإن لم يُخطّ (أنزل الكتاب) لم يُنزّل مكتوباً وإنما أُنزل مقروءاً ولكنه كان مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل أن ينزّل على رسول الله – صلى الله عليه و سلم –.

هذا من ناحية اللغة أما من ناحية الإستعمال فيلاحظ أنه يستعمل عندما يبدأ بالكتاب يكون يتردد في السورة ذكر

الكتاب أكثر بكثير مما يتردد ذكر القرآن أو قد لا تذكر كلمة (القرآن) مطلقاً في السورة. أما عندما يبدأ بالقرآن يتردد في السورة ذكر كلمة (القرآن) أكثر من (الكتاب أو قد لا يرد ذكر (الكتاب) مطلقاً في السورة وإذا اجتمع القرآن والكتاب فيكونان يترددان في السورة بشكل متساو تقريباً ونأخذ بعض الأمثلة:

في سورة البقرة بدأ بالكتاب (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ {٢}) وذكر (الكتاب) في السورة ٤٧ مرة و(القرآن) مرة واحدة في آية الصيام (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ.

في سورة آل عمران بدأ السورة بالكتاب (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ {٣}}) وورد (الكتاب) ٣٣ مرة في السورة ولم ترد كلمة (القرآن) ولا مرة في السورة كلها.

في سورة طه : بدأ السورة بالقرآن (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى {٢}) وورد (القرآن) فيها ٣ مرات والكتاب مرة و احدة.

في سورة ق بدأ بالقرآن (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ {١} }) وورد ٣ مرات في السورة بينما ورد (الكتاب) مرة واحدة. في سورة ص تساوى ذكر القرآن والكتاب.

في سورة الحجر بدأ (الَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنِ مُّبِين {١}) ورد ذكر القرآن ٣ مرات والكتاب مرتين. في سورة النمل بدأ (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ {١}) ورد ذكر (القرآن) ٣ مرات و(الكتاب) أربع مرات.

و في هاتين السورتين أي الحجر والنمل : قدم (الكتاب) على (القرآن) في سورة الحجر وأخره في سورة النمل وذلك لأن تقديم (الكتاب) في سورة الحجر يأتي بعد الآية ذكر أهل الكتاب مباشرة (وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ {٤}) فهي مرتبة ترتيباً في غاية الدقة أما في سورة النمل فيأتي بعد الآية ذكر أهل القرآن (هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ {٢} الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ {٣}).

٢١٤ - ما الفرق بين استعمال (جاء) و(أتي) في القرآن الكريم؟

قال تعالى (فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ { ٦٦ الحجر }) وقال تعالى (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيّاً {٤٣ }مريم) وقال تعالى (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً { 1 } الإنسان).

إذا نظرنا في القرآن كله نجد أنه لم تستعمل صيغة المضارع للفعل (جاء) مطلقاً في القرآن كله و لا صيغة فعل أمر و لا إسم فاعل و لا إسم مفعول وإنما استعمل دائماً بصيغة الماضي ، أما فعل " أتى " فقد استخدم بصيغة المضارع. من الناحية اللغوية: " جاء " تستعمل لما فيه مشقة أما " أتى " فتستعمل للمجيء بسهولة ويسر ومنه الالمتياء وهي الطريق المسلوكة.

قال تعالى في سورة النحل (أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَغْجُلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ {1}} وقال تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولِ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللّهِ قُضِيَ بالْحَقِّ وَحَسرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨)) هنا أشق لأن فيه قضاء وحُسران وعقاب. وكذلك في قوله تعالى (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنَجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)) وقوله (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلُ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)) تكذيب الرسل شيء معهود لكن الإستيئاس هذا شيء عظيم أن يصل الرسول إلى هذه الدرجة فهذا أمر شاق لذا وردت كلمة (جاءهم) في الآية الأولى أما في الثانية فالتكذيب هو أمر طبيعي أن يُكذّب الرسل لذا وردت (أتاهم) وليس (جاءهم).

٢١٥ ما الفرق بين كلمة (عبادي) في سورة العنكبوت وكلمة (عباد) في سورة الزمر؟
 قال تعالى في سورة العنكبوت (يَوْمَ يَعْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُتُمُ تَعْمَلُونَ إِهِ ٥ } يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ {٣٥ } كُلُّ تَهْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا ثُرْجَعُونَ إِهِ ٥ } يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ {٣٥ } كُلُّ تَهْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا ثُرْجَعُونَ إِنَّا يَعْلَمُونَ إِنَّا يَعْلَمُونَ إِنَّا اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَتَخذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتُوا فِي هَذِهِ الدِّنِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ {٩ } قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ السَّعِرِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ {٩ } قُلْ يَا عِبَادِ اللَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَصْرَقُوا فِي هَذِهِ الدُّنِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ السَّعِرَ عِسَابٍ {١٠٤ لَيْمَا اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ {١٠٤) وإذا لاحظنا السورتين نجد أن بينهما فروقات كثيرة ليس فقط في ذكر وحذف الياء من كلمة (عبادي). والتعبير القرآني مقصود وكل حذف وإضافة مقصود أن يوضع في مكانه.

إ. في سورة العنكبوت ذكر ياء المتكلم في قوله تعالى (يا عبادي الذين آمنوا) أما في آية سورة الزمر أشير إلى ياء المتكلم بالكسرة فجاءت "عباد" (قل ياعباد الذين آمنوا) وفي الحالتين أضيفت ياء المتكلم ففي الأولى هي موجودة وفي الثانية محذوفة ومشار إليها بالكسرة. وكلمة (عبادي) تدل على أن مجموعة العباد الذين يناديهم الله تعالى ويخاطبهم أوسع والإقتطاع من الكلمة (عباد) يقتطع جزء من العباد المخاطبين. وأحياناً يقتطع من الفعل أو يكون مكتلاً ولهما حالة إعرابية واحدة والإقتطاع جائز في اللغة ولكن له سبب يتعلق بطول الحدث أو اتساعه. وكلمة (عباد) هي تدل على عدد أقل من (عبادي). ومن أشهر أحوال إقتطاع ياء المتكلم هي حذف للياء واستبدالها بالكسرة مثل قوله تعالى (قل يا عباد) وقوله تعالى (قُلْ يَا عِبَادِيَ النّدِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْهُسِهِمْ لَا تَقْتَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللّه يغفِرُ الذَّبُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {٣٥} الزمر) بذكر الياء لأن المسرفون هم كثر لذا جاءت عبادي بياء المتكلم. وقوله تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) جاءت (عبادي) بذكر ياء المتكلم لأفما تشمل كل العباد. أما قوله تعالى (فبشر عباد) حذفت الياء لأفم طائفة أقل فالذين يستمعون بذكر ياء المتكلم لأفما تشمل كل العباد. أما قوله تعالى (فبشر عباد) حذفت الياء لأخم طائفة أقل فالذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه هم قليل حتى أنه لم يقل : "فيتبعون الحسن" وإنما قال الأحسن فكان المخاطبين قلة. وفي قوله تعالى في آية سورة العنكبوت (يَا عِبَادِيَ الذينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ { ٦٥ } العنكبوت) تدل على أن العبادة أوسع من التقوى فالكثير من الناس يقوم بالعبادة لكن القليل منهم هم المتقون.

٢. قال تعالى في سورة العنكبوت (إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) العباد عباده والأرض أرضه ولإضافة الياء إلى
 كلمة "عبادي " و " الأرض " ناسب سعة العباد سعة الأرض فأكدها بـــ (إن) أما في آية سورة الزمر (وأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) لم يقتضي التأكيد للأرض بأنها واسعة وإنما جاءت فقط (وأرض الله واسعة).

٣. وجاء في سورة العنكبوت (كُلُّ نَفْسِ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ {٥٧}) وهي تشمل جميع العباد ثم قو له
 تعالى (ثم إلينا ترجعون) جعلها مع الطبقة الواسعة (عبادي). أما في سورة الزمر (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابِ {١٠}) الصابرون هم قلة فناسب سياق الآية كلها الطبقة القليلة مع عباد.

٤. وإذا استعرضنا الآيات في السورتين لوجدنا أن ضمير المتكلم تكرر ٥ مرات في سورة العنكبوت (عبادي، إياي، اعبدون، إلينا، أرضى) بينما جاء في سورة الزمر ضمير محذوف (قل يا عباد).

٥. آية سورة العنكبوت مبنية على التكلّم بينما آية سورة الزمر مبنية على الغيبة أي خطاب غير مباشر وتبليغ في استخدام (قل). وسياق الآيات في سورة العنكبوت مبني على ضمير ذكر النفس (ولقد فتنا الذين من قبلكم) (لنكفّرن عنهم) فالله تعالى يُظهر ذاته العليّة (وإن جاهداك لتشرك بي) (إلي مرجعكم فأنبئكم) (ووهبنا له اسحق) (يا عبادي الذين آمنوا) (لبؤهم في الجنة غرفا) (لنهدينهم سبلنا). أما سورة الزمر فمبنية على ضمير الغيبة كلها (قل يا عباد) (فاعبد الله مخلصاً له الدين) (والذين اتخلوا من دونه أولياء) (ثم إلى ربكم مرجعكم) (دعا ربه منيباً إليه) (لا تقنطوا من رحمة الله) إلى آخر السورة (وسيق الذين كفروا) (وسيق الذين اتقوا رهم).

٣. وهنا يأتي سؤال آخر وهو لماذا جاءت (قل) في آية سورة الزمر ولم ترد في آية سورة العنكبوت؟ نقول أن سياق الآيات مبني على التبليغ في سورة الزمر بينما في العنكبوت السياق مبني على ذكر النفس وليس التبليغ. وفي سورة الزمر أمر بالتبليغ فتكرر ١٤ مرة (قل هل يستوي) (قل إني أمرت) (قل الله أعبد) (قل إن الخاسرين) (قل أفرأيتم) (قل لله الشفاعة) (قل اللهم فاطر السموات) (قل أفغير الله). أما في سورة العنكبوت فقد وردت ثلاث مرات فقط. لذا اقتضى السياق ذكرها في آية الزمر وعدم ذكرها في آية العنكبوت.

٢١٦ - لماذا جاء قوله تعالى (دعانا لجنبه) في سورة يونس ولم تأت (على جنبه)؟

قال تعالى في سورة يونس (وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ {٢٢}}. بدأ بالجنب وقد وردت في آية أخرى (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) أخر الجنب والإنسان عندما يصيبه الضر والمرض يكون ملازماً لجنبه ثم يقعد ثم يقوم لذا بدأ بالجنب ثم القعود ثم القيام في آية سورة يونس، أما في حالة الصحة فهي بالعكس القيام أولاً ثم القعود ثم على الجنب لذا أخر الجنب في الآية الثانية. وجاءت في آية سورة يونس باستخدام اللام بمعنى ملازم لجنبه وبمعنى دعانا وهو ملازم لجنبه.

٢١٧ – ما دلالة ذكر وحذف (يا) في قوله تعالى (ابن أوم) في سورة الأعراف و(يبنؤم) في سورة طه؟

قال تعالى في سورة الأعراف (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِنْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعْجِلْتُمْ أَمْرَ وَبِّكُمْ وَأَلْقَى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُومَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِي الأَعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ { ٥٠ ١ }) وقال في سورة طه (قَالَ يَبْنَوَمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي اللَّعْدَة العَامَة فيه أنه عندما يكون السياق في مقام البسط والتفصيل يذكر الحرف سواء كان ياء أو غيرها من الأحرف كما العامة فيه أنه عندما يكون السياق في مقام البسط والتفصيل يذكر الحرف سواء كان ياء أو غيرها من الأحرف كما في سورة طه ، وإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز ويحذف الحرف إذا لم يؤدي ذلك إلى التباس في المعنى كما جاء في سورة الأعراف . وكذلك في قوله (أئن لنا لأجراً) وقد يكون مقام التوكيد بالحرف. ففي سورة الأعراف حذف سورة الأعراف حذف الحرف لأن الموقف جاء ذكره باختصار (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِنْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي الحرف لأن الموقف جاء ذكره باختصار (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِنْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي الحرف لأن الموقف جاء ذكره باختصار (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِنْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ { ٥٠ الْ) أما في سورة طه فالآيات جاءت مفصلة ومبسطة فلا تُشْمَعْ بِي وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ { ٥٠ المَا في سورة طه فالآيات جاءت مفصلة ومبسطة

وذُكرت فيها كل الجزئيات لذا اقتضى ذكر (يا) (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدَتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَبِّكُمْ فَأَخْلَفُتُم

مَّوْعِدِي {٨٦} قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ {٨٧} فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ {٨٨} أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرَّا وَلَا نَفْعاً {٨٩} وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمٍ إِنَّمَا فُيَتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَوَلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرَّا وَلَا نَفْعاً {٩٨} وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمٍ إِنَّمَا فُيتُتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَا قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمٍ إِنَّمَا فُيتُتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَا فَيَتُم وَلَا مَا مَنَعَكَ وَلَا يَعْمُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي {٩٠ } قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِلَيْنَا مُوسَى {٩٢ } قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِلَيْنَا مُوسَى {٩٢ } قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِلَيْنَا مُوسَى {٩٢ } قَالًى يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِلَيْنَا مُوسَى {٩٢ } قَالًى يَا هَارُونُ مَا مَنَعَلَ إِلَيْنَا مُوسَى إِنَّهُ مُ ضَلُوا {٩٢ } قَالًى يَا هَارُونُ مَا مَنَعَلَى الْفَالَالَ لَهُمْ ضَلُوا {٩٢ } قَالًى يَا هَارُونُ مَا مَنَعَلَى الْهُمُ مُ ضَلُوا {٩٢ } أَلًا تَتَبْعَن أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي {٩٣ }).

٢١٨ – ما الفرق بين استعمال كلمة " الجبل " و " الطور " في سورة البقرة والنساء والأعراف؟ قال تعالى في سورة البقرة (وَإِذْ أَحَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُنُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ قَالُتَ فَي سورة البقرة (وَإِذْ أَحَذْنَا مِيثَاقَكُمْ الطُّررَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ الْأَكُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَتَّقُونَ {٦٣}) وقال في سورة النساء (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّررَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ الْأَكُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً {١٥٤}) وقال في سورة الأعراف (وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَقُونَ {١٧١}).

أما من حيث التقديم والتأخير هو قائم على الإهتمام الذي يقتضيه سياق الآيات سواء كان فاضل أو مفضول وإنما للأهمية. في سورة البقرة (ورفعنا فوقكم الطور) فوقكم أهم من الطور نفسه وكذلك في آية سورة النساء أما آية سورة الأعراف فالجبل أهم من فوقهم.

في آية سورة الأعراف وصف تعالى الجبل كأنه ظُلّة وذكر (وظنوا أنه واقع بهم) ومعنى (واقع بهم) أي أوقع بهم أو أهلكهم وهذا كله له علاقة بالجبل فالجبل في الأعراف أهمّ. ولم يذكر عن الطور شيئاً آخر في سورة البقرة أو النساء.

آية البقرة والنساء يستمر الكلام بعد الآيات على بني إسرائيل حوالي أربعين آية بعد الآية التي جاء فيها ذكر الطور لذا قدّم (فوقهم) في سورة النساء و(فوقهم) في سورة البقرة على سورة الطور للأهمية. أما في سورة الأعراف فبعد الآية التي تحدث فيها عن الجبل انتهى الكلام عن بني إسرائيل ولم يذكر أي شيء عنهم بعد هذه الآية لذا قدّم الجبل.

والجبل: هو إسم لما طال وعظُم من أوتاد الأرض والجبل أكبر وأهم من الطور من حيث التكوين. أما النتق فهو أشد وأقوى من الرفع الذي هو ضد الوضع. ومن الرفع أيضاً: الجذب والإقتلاع وحمل الشيء والتهديد للرمي به وفيه إخافة وتهديد كبيرين ولذلك ذكر (الجبل) في آية سورة الأعراف لأن الجبل أعظم ويحتاج للزعزعة والإقتلاع وعادة ما تُذكر الجبال في القرآن في موقع التهويل والتعظيم ولذا جاء في قوله تعالى (وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ ذَكًا وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ {١٤٣}) ولم يقل ربَّةُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ ذَكًا وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ {١٤٣}) ولم يقل (الطور). إذن النتق و الجبل أشد تهديداً وقو يلاً.

9 ٢ ١٩ - كيف يأتي البأس بعد الإهلاك في قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا) في سورة الأعراف ؟ قال تعالى في سورة الأعراف (وكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلكْناهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْهُمْ قَائِلُونَ {٤}) الفاء تأتي للترتيب الذكري ولا تنحصر بالترتيب والتعقيب. وهي تعني التفصيل بعد الإجمال. أولاً يأتي بالموت بشكل إجمالي ثم يفصل الإهلاك. ومثال آخر ما جاء في قوله تعالى (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة) "سألوا موسى" مجملة و"أرنا الله جهرة" مفصلة. وكذلك ما جاء في قوله تعالى (وَنادَى نُوحٌ رَّبَهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ {٤٥} هود) تفصيل بعد الإجمال.

• ٢٢ - ما الفرق بين " الغُرور " و" الغَرور " في القرآن؟

الغُرور : هو مصدر بمعنى الإطماع والخداع ، أما الغَرور : فهو صيغة مبالغة (الخدّاع والمُطمع) وتأتي للشيطان لأن الشيطان أكثر ما يغرّ الإنسان.

٢٢١ – ما دلالة ذكر وحذف (من) في قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً) وقوله (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً)?

قال تعالى في سورة يوسف (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً تُوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لَلَّذِينَ اتَّقُواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ {١٠٩}) وذكر (من) تفيد الإبتداء أي ابتداء الغاية وهو امتداد من الزمن الذي قبلك مباشرة أي من زمان الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى زمن آدم. وليس هناك فاصل كما جاء في قوله تعالى (يُصب من فوق رؤوسهم الحميم) أي ليس هناك فاصل بين الرأس والصب حتى لا تضيع أية حرارة لأن العاقبة لهذا الصب أن يُصهر به ما في بطولهم. وكذلك قوله تعالى (والملائكة حافين من حول العرش) أي ليس بينهم وبين العرش فراغ. أما في سورة الأنبياء (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رَجَالاً تُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ {٧}) وهي تحتمل البعيد والقريب وكذلك في قوله (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ {٨٤} ذُقُ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ {٩٤} الدخان) وهذا العذاب أخف من الأول (من فوق رؤوسهم).

وهذا الذكر أو الحذف يعتمد على سياق الآيات فإذا كان السياق ممتد يأتي بـ (من) وإذا كان السياق لفترة محددة لا يأتي كما. في سورة النحل قال تعالى (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ {٢٦}) كل الآيات فيها (من) لأن الحديث كله عن سلسلة الأنبياء (مستمرة) أما في سورة الأنبياء (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكُنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ {٦}) فهي قائمة على التبليغ فناسب حذف (من).

٢٢٢ - ما هو إعراب كلمة (نفسك في) قوله تعالى (لا تُكلّف إلا نفسك)؟

كلّف : فعل يأخذ مفعولين ؛ المفعول الأول : هو مستتر نائب فاعل تقديره أنت ؛ والمفعول الثاني هو (نفسك). ٢٢٣ – متى يستعمل جمع القلة وجمع الكثرة في القرآن الكريم؟

القاعدة النحوية: أن يكون جمع القلّة للقلة وجمع الكثرة للكثرة. مثل (دراهم معدودة) جمع قلة و(دراهم معدودات) جمع كثرة، و(أربعة أشهر) جمع قلة و(عدة الشهور) جمع كثرة، (سبعة أبحر) جمع قلة و(وإذا البحار سُجّرت) جمع كثرة، (ثلاثة آلاف) جمع قلة و(ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت) أكثر من عشرة جمع كثرة.

ويجوز أن يستعمل القلة للكثرة والكثرة للقلة أما في القرآن قد يُعطى وزن القلة للكثرة والعكس لأمر بليغ. وقد جاء في سورة البقرة (مَّشَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَبْتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّغَةً حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ { ٢٦١ }) "سبع" جمع قلة استعملت مع جمع كثرة لأنما في مقام مضاعفة الأجور والتكثير. وفي سورة يوسف (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانِ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُصْرُ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَقْتُونِي فِي رُوْيًا يَ إِن كُنتُمْ لِلرُّوْيًا تَعْبُرُونَ { ٣٤ }) "سبع" استعملت مع جمع القلة (سنبلات) لأن الآية تتحدث عن حلم ولا مجال للتكثير فيه إنما هو مجرد حلم لذا استعملت بمعنى القلة. وتستعمل للمقارنة بين معنيين مثل: (قيام) جمع كثرة و(قائمون) جمع قلة وكذلك (أعين) للبصر و(عيون) للماء ، و(الأبرار) جمع قلة وهي تستعمل للمؤمنين فقط (إن الأبرار لفي عليين) و(البررة) جمع كثرة وهي تستعمل للملائكة فقط لأنهم أكثر (كرام بررة).

وقوله تعالى (دراهم معدودة) مناسبة مع كلمة (بخس) في قوله (وشروه بثمن بخس) في سورة يوسف "أكثر من عشرة فهي كثرة" لكن حتى لو دفعوا أكثر من عشرة دراهم يبقى ثمناً بخساً. وقوله (أياماً معدودات) في آية الصيام في سورة البقرة، قللها فهي أيام معدودات ليست كثيرة وهنا تنزيل الكثير على القليل، وقد قلل أيام الصيام لكن أجرها كبير.

٢٢٤ – ما وجه الإختلاف من الناحية البيانية بين آية ٦٦ في سورة البقرة وآية ٦٩ في سورة المائدة؟
 قال تعالى في سورة البقرة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالتَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْمَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٢٦}) وقال في سورة المائدة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيُومِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيُومِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }
 (٢٩٤) الآيتان فيهما تشابه و اختلاف و زيادة في إحداها عن الأخرى.

أولاً: في سورة البقرة قدّم النصارى على الصابئين (النصب جاء مع العطف لتوكيد العطف)، وفي آية سورة المائدة قدّم الصابئون على النصارى ورفعها بدل النصب. فمن حيث التقديم والتأخير ننظر في سياق السورتين الذي يعين على فهم التشابه والإختلاف، ففي آية سورة المائدة جاءت الآيات بعدها تتناول عقيدة النصارى والتثليث وعقيد قمم بللسيح وكأن النصارى لم يؤمنوا بالتوحيد فيما تذكر الآيات في السورة (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسيحُ ابْنُ مَرِيْمَ وَقَالَ الْمَسيحُ يَا بَني إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ باللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْمَسيحُ ابْنُ مَرِيْمَ وَقَالَ الْمَسيحُ يَا بَني إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ باللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَقَالَ الْمَسيحُ اللّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلّهِ إِلاَّ إِلَّهُ وَاحِدٌ الْجَنَّةَ وَمَا وَنُ اللّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلاَّ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَمْ مُنْ اللّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَمْ مُنْ اللّهِ اللّهُ عَلَيهِ وَاحِدٌ لَهُ وَاحِدٌ لَمْ يَقُولُونَ لَيْمَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣}) مُ جاء التهديد (وَإِن لَمْ يَتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيْمَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣}) ومَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَاحِدُ اللّهُ مِنْ اللّهُ عَلَى النصارى في آية سورة المائدة. فلما كان الكلام في ذم معتقدات النصارى اقتضى تأخيرهم عن الصابئين على النصارى في آية سورة المائدة. فلما كان الكلام في ذم معتقدات النصارى اقتضى تأخيرهم عن الصابئين على النصارى في آية سورة المائدة. فلما كان الكلام في ذم معتقدات النصارى اقتضى تأخيرهم عن الصابئين على النصارى في آية سورة المائدة.

أما من حيث رفع الصابئون في آية سورة المائدة ونصبها في آية سورة البقرة فالنحاة يحددون أنه من حيث الإعراب العطف على محل إسم إن (محل إسم إن في الأصل رفع) أو يجعل منه جملة مبتدأ أو جملة إعتراضية و لا يهم الوجه

الإعرابي. ونسأل لماذا رفع الصابئون؟ بغض النظر عن الناحية الإعرابية (إنّ) تفيد التوكيد فإذا عطفنا عليها بالرفع يعني أننا عطفنا على غير إرادة إنّ فالرفع إذن جاء في آية سورة المائدة على غير إرادة إنّ يعني لأن المعطوف غير مؤكد (الصابئون جاءت مبتدأ وليست عطف على ما سبق وهي على غير إرادة إنّ) لكن لماذا؟ معنى ذلك أن (الصابئون) أقل توكيداً لأن الصابئين أبعد المذكورين عن الحق فهم ليسوا من أهل الكتاب ولذلك لم يلحقوا بهم في العطف. مثال: عندما نقول: "إن محمد حضر" تكون أوكد من "حضر محمد". ففي سورة المائدة جعل تعالى موازنة فقد قدّم الصابئين ولم يؤكدهم ولم يعطهم الأولوية ليكون مقامهم كما جاء في آية سورة البقرة مؤخرين على من ذُكر معهم في الآية وأخّر النصارى وأكدهم وأخّر الصابئين لكن جعلهم ملحوقين بالنصارى.

ثانياً: هناك فرق بين الآيتين (فلهم أجرهم عند ربحم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) في آية سورة المبقرة أما في سورة المائدة (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) المذكورين في الآيتين هم نفسهم (الذين آمنوا، الذين هادوا، النصارى، الصابئين) فلماذا جاء في سورة المبقرة (فلهم أجرهم عند ربحم) ولم تأتي في سورة المائدة؟ في سورة المائدة السياق كما قلنا في ذمّ عقائد اليهود والنصارى ذمّاً كثيراً مسهباً. أما في سورة البقرة فالكلام عن اليهود فقط وليس النصارى ونستعرض آيات السورتين ونظر كيف تكلم عن اليهود في الآيتين: في سورة المائدة الكلام على اليهود أشدّ مما جاء في المبقرة حتى لما يذكر العقوبات يذكرها في المائدة (قُلْ هَلْ أَنبُّكُم بِشَرِّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَعْنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَجَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكُ مُولًا قِرَدَةً خَاسِئِينَ {٢٥}) مَن لَعْنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الَّذِينَ اعْتَلُواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ {٦٥}) من البقرة (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَلُواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ {٦٥}) وسياق الخضب في المائدة على معتقدات النصارى واليهود أشدّ وما ذكرهم في المائدة إلا بمعاصيهم فاقتضى السياق أن يكون زيادة الخير والرحمة في المكان الذي يكون الغضب فيه أقل (في سورة البقرة) وجو الرحمة ومفردات الرحمة أن يكون زيادة الخير والرحمة في المائدة ولم تُجمع القردة والخازير إلا في سورة المائدة.

مبدئياً بما أن سورة البقرة جاءت أقل غضباً وذكراً لمعاصي اليهود لذا جاءت الرحمة فقد وردت الرحمة ومشتقاتها في سورة البقرة المرحمة بينما وردت في المائدة ٥ مرات لذا اقتضى النفضيل بزيادة الرحمة في البقرة والأجر يكون على قدر العمل فالنسبة للذين آمنوا من أهل الكتاب قبل تحريفه وهم مؤمنون بالله تعالى عليهم أن يؤمنوا إيماناً آخر بالموم الآخر المقصود الذين آمنوا إيماناً حقيقياً.

أنواع العمل الصالح في السورتين: في سورة المائدة ورد ذكر ١٠ أنواع من العمل الصالح (الوفاء بالعقود، الوضوء، الزكاة، الأمر بإطاعة الله ورسوله، والإحسان، التعاون على البر والتقوى، إقام الصلاة، الجهاد في سبيل الله والأمر باستباق الخيرات) وفي سورة البقرة ورد ذكر ٣٠ أو ٣٣ نوع من أعمال الخير وتشمل كل ما جاء في سورة المائدة ما عدا الوضوء وفيها بالإضافة إلى ذلك الحج والعمرة والصيام والإنفاق والعكوف في المساجد وبر الوالدين والهجرة في سبيل الله والإصلاح بين الناس وغيرها كثير، لذا اقتضى كل هذا العمل الصالح في المبقرة أن يكون الأجر أكبر (فلهم أجرهم عند رهم).

من ناحية أخرى (فلهم أجرهم عند رهم) تتردد مفرداتها في كل سورة كما يلي:

١. (الفاء) وردت في البقرة ٢٦٠ مرة ووردت في المائدة ١٨٠ مرة

٢. (لهم) وردت في البقرة ٢٩ مرة وفي المائدة ١٥ مرة

- ٣. (أجرهم) وردت في البقرة ٥ مرات وفي المائدة مرة واحدة فقط
 - ٤. (عند) وردت في البقرة ١٩ مرة وفي المائدة مرة واحدة
 - وردت في البقرة ١٠ مرات ومرتين في المائدة.

وهذه العبارة (فلهم أجرهم عند ربمم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لم ترد إلا في سورة البقرة بمذا الشكل وقد وردت في البقرة ٥ مرات.

وتردد الكلمات في القرآن تأتي حسب سياق الآيات وفي الآيات المتشابحة يجب أن نرى الكلمات المختلفة فيها وعلى سبيل المثال:

(فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) القاء في موضعها وهي ليست حرف عطف ولكنها جواب للذين (هي جواب شرط) ولا يُجاب عليه بغير الفاء أن جواب الشرط أو جواب اسم الشرط الذين يؤتى بالفاء ولا حرف غيرها ينوب مكانها.

(لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تعبير في غاية العجب والدقة من الناحية التعييرية والدقة ولا تعبير آخر يؤدي مؤدّاه. نفى الخوف بالصورة الإسمية ونفى الحزن بالصورة الفعلية كما خصص الحزن (ولا هم) ولم يقل (لا عليهم خوف):

١. (لا خوف عليهم) ولم يقل لا يخافون كما قال " ولا هم يحزنون " لأتهم يخافون ولا يصح أن يقال لا يخافون لأنهم يخافون قبل ذلك اليوم (يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) (إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا) وهذا مدح لهم قبل يوم القيامة ؟ أما يوم القيامة يخافون إلا مَن أمّنه الله تعالى. كل الخلق خائفون (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت) لذا لا يصح أن يقال لا يخافون فالخوف شيء طبيعي موجود في الإنسان.

7. (لا خوف عليهم) معناها : لا يُخشى عليهم خطر ؛ ليس عليهم خطر فقد يكونوا خائفين أو غير خائفين كما يخاف الأهل على الطفل مع أنه هو لا يشعر بالخوف و لا يُقدر الخوف فالطفل لا يخاف من الحية ولكنا نخاف عليه منها لأنه لا يُقدر الخوف. الخوف موجود ولكن الأمان من الله تعالى أمّنهم بأنه لا خوف عليهم ، ليس المهم أن يكون الإنسان خائفاً أو غير خائف المهم هل يكون عليه خطر أم لا (لا خوف عليهم) وقد يخاف الإنسان من شيء ولكن ليس خوف كالطفل يخاف من لعبة لا تشكل عليه خطراً.

^{* (}فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (الأنعام) الإيمان ومشتقاته ورد ٢٤ مرة والتقوى وردت ٧ مرات. بينما في سورة الأعراف (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ورد الإيمان ومشتقاته ٢١ مرة والتقوى ١١ مرة.

^{* (}فأصابهم سيئات ما عملوا) في سورة النحل تكرر العمل ١٠ مرات والكسب لم يرد أبداً. أما في سورة الزمر (فأصابهم سيئات ما كسبوا) تكرر الكسب ٥ مرات والعمل ٦ مرات.

^{* (}فلما أتاها نودي يا موسى) (طه) تكرر لفظ الإتيان أكثر من ١٥ مرة والمجيء ٤ مرات بينما في سورة النمل (فلما جاءها نودي يا موسى) تكررت ألفاظ المجيء ٨ مرات وألفاظ الإتيان ١٣ مرة.

^{* (}إن الله غفور رحيم) (البقرة) تكرر لفظ الجلالة (الله) ٢٨٢ مرة و(الرب) ٤٧ مرة ولم ترد (إن الله غفور رحيم) أبداً في سورة الأنعام، بينما في سورة الأنعام (إن ربك غفور رحيم) تكررت كلمة (الرب) ٥٣ مرة ولفظ الجلالة (الله) ٨٧ مرة ولم ترد في سورة البقرة أبداً (إن ربك غفور رحيم).

٣. (ولا هم يحزنون): جعل الحزن بالفعل فأسنده إليهم لماذا لم يقل (ولا حزن)؟ لأنه لا يصح المعنى لأنه لو قالها تعني ولا حزن عليهم أي لا يحزن عليهم أحد المهم أن لا يكون الإنسان حزيناً لكن لا أن يُحزن عليه أحد (إما لأنه لا يستحق الحزن عليه أو لا يشعر).

٤. ولا هم يحزنون: بتقديم (هم) الذين يحزن غيرهم وليس هم. نفي الفعل عن النفس ولكنه إثبات الفعل لشخص آخر كأن نقول (ما أنا ضربته) نفيته عن نفسي وأثبت وجود شخص آخر ضربه (يُسمّى التقديم للقصر) أما عندما نقول (ما ضربته) يعني لا أنا ولا غيري. نفى الحزن عنهم وأثبت أن غيرهم يحزن (أهل الضلال في حزن دائم). ولم يقل " لا خوف عليهم ولا حزن لهم " لأتما لا تفيد التخصيص (نفى عنهم الحزن ولم يثبته لغيرهم) ولو قال ولا لهم حزن لانتفى التخصيص على الجنس أصلاً ولا ينفي التجدد وقوله تعالى (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لا يمكن أن يؤدي إلى حزن فنفى الخوف المتجدد والثابت ونفى الحزن المتجدد (ولا هم يحزنون) بمعنى لا يخافون ؛ والثابت (لا خوف) ولا يمكن لهبارة أخرى أن تؤدي هذا المعنى المطلوب.

ه. لماذا إذن لم يقل (لا عليهم خوف) ولماذا لم يقدم هنا؟ لأنه لا يصح المعنى ولو قالها لكان معناها أنه نفى الخوف عنهم وأثبت أن الخوف على غيرهم ؛ يعني يخاف على الكفار لكن من الذي يخاف على الكفار . لذا لا يصح أن يقال "لا عليهم خوف "كما قال (ولا هم يحزنون).

7. لماذا قال (لا خوف) ولم يقل " لا خوف عليهم " (مبنية على الفتح)؟ لا خوف: لا النافية للجنس تفيد التنصيص في نفي الجنس (لا رجل هنا معناها نفينا الجنس كله) أما (لا خوف) عندما تأتي بالرفع يحتمل نفي الجنس ونفي الواحد. والسياق عين أنه لا خوف عليهم ولا هم يجزنون من باب المدح على سبيل الإستغراق وفي مقام المدح. وفي قراءة أخرى (خوف) – قراءة يعقوب –. الرفع أفاد معنيين لا يمكن أن يفيدها البناء على الفتح، (لا خوف عليهم) يفيد دلالتين:

أو لا : إما أن يكون حرف الجر متعلق بالخوف "خوف عليهم "والخبر محلوف بمعنى : لا خوف عليهم من أي خطر (لا خوف) من باب الحذف الشائع ويحتمل أن يكون الجار والمجرور هو الخبر (عليهم) قد يكون هو الخبر. مثال قولنا: الجلوس في الصف نافع وجيّد، وقد تحتمل معنى أن الجلوس (مبتدأ) "في الصف" خبر بمعنى الجلوس كائن في الصفّ.

في الرفع (لا خوفٌ عليهم) تدل على معنيين:

لا خوف عليهم من أي شيء ، وتحتمل لا خوف عليهم وهذا متعلق بالخوف ومتعلق بالخبر المحذوف (من أي خطر). أما في النصب (لا خوف عليهم) لا يمكن أن يكون هذا الأمر ولابد أن يكون الجار والمجرور هو الخبر (لا خوف عليهم) عليهم لا يحتمل أن يكون متعلقاً وهذا يؤدي إلى معنى واحدوليس معنيين أي يأخذ شق من المعنيين ويكون متعلقاً بالخبر المحذوف وليس بالخبر. فلماذا لا يصح؟ لأنه إذا تعلق بالمضاف يجب القول لا خوفاً عليهم (لأنه يصبح شبيه بالمضاف) ولا يعد مبنياً على الفتح إنما منصوباً.

٢٢٥ - ما الفرق بين صم بكم عمى كما جاءت في سورة البقرة و (صم وبكم) في سورة الأنعام؟

قال تعالى في سورة البقرة: (صُمُّ بُكُمْ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ {١٨}) وفي سورة الأنعام: (وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكُمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَا اللَّهُ يُصْلِلْهُ وَمَن يَشَا يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {٣٩}) فما الفرق بين (صم بكم) ورصم وبكم)? صم بكم يحتمل أن يكون بعضهم صم وبعضهم بكم ويحتمل أن يكونوا في مجموعهم صم بكم، أما (صم وبكم) فلا تحتمل إلا معنى واحداً وهو ألهم جميعاً صم بكم. ولو لاحظنا سياق الآيات في السورتين نجد أن في سورة الأنعام لم يقل "عمي" وإنما قال (صم وبكم) فقط أما في البقرة فالكلام على المنافقين طويل وذكر فيه أشياء كثيرة كالإستهزاء وغيره. الأعمى أشد من الذي في الظلام لأن الأعمى سواء كان في الظلمات أو في النور فهو لا يرى. والمعروف أن الأصم هو أبكم لكن ليس كل أصم لا يتكلم فهناك أنواع من الصمم ؛ قسم من الصم يتكلم وقد قال بعضهم أن آية سورة الأنعام هي في الآخرة (رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) فهو أعمى ويتكلم و بسمع.

٢٢٦ - ما دلالة تقديم وتأخير كلمة (تخفوا)في آية سورة البقرة وسورة آل عمران؟

قال تعالى في سورة البقرة (لِّلَهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْلُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُتُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيَعَذَّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ {٢٨٤}) وقال في آل عمران (قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُلُورِكُمْ أَوْ تُبْلُوهُ يَعْلَمُهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ {٢٩}). الخاسبة في سورة البقرة هي على ما يُبدي الإنسان وليس ما يُخفي ففي سياق المحاسبة قدّم الإبداء أما في سورة آل عمران فالآية في سياق العلم لذا قدّم الإخفاء لأنه سبحانه يعلم السر وأخفى.

٢٢٧ – ما دلالة الظنّ في قوله تعالى : (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ {٩٤٢}) في سورة البقرة؟

قال تعالى (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِيَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِيَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ { لَكُ عَلَم مَا لِهُ يَعَايِن (أي علم ما لا تبصره) { ٢٤٩}) الظن عند أهل اللغة درجات ويترفع إلى درجة اليقين. والظن هو علم ما لم يُعاين (أي علم ما لا تبصره) لا يمكن أن نقول مثلاً: ظننت أن الحائط... فهما كان متيقناً لا يضن مكر الله فالظنّ أبلغ من اليقين هنا يوقن باليوم الآخر لكن هل يمكن أن يوقن أنه يلقى ربه على ما هو عليه من إيمان. بالطبع لا يمكن.

٢٢٨ – ما إعراب (أعلم) في قوله تعالى : (أليس الله أعلم بالشاكرين) و (أحكم) في قوله : (أليس الله بأحكم الحاكمين)؟

(أعلم) ممنوع من الصرف وليس مضافاً ، أما (أحكم) فهو مضاف.

٣٢٩ - ما الفرق بين " هونا "و" هُون " في القرآن؟

قال تعالى في سورة الفرقان (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً {٣٣}) وقال في سورة النحل (يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَّ سَاء مَا يَحْكُمُونَ {٣٥}) الهَون هو الوقار والتؤدة أما الهُون فهو الذلّ والعار.

• ٣٣ – لماذا اختلاف صيغة الفعل في قوله تعالى (ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون)؟

(كذبتم) : فعل ماضي و(تقتلون) : فعل مضارع ؛ زمن الأفعال ، نعبّر أحياناً عن الأحداث المستقبلية بأفعال ماضية (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُيحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ {٧٣} الزمر) والأحداث الماضية بأفعال مضارعة ؛ حكاية الحال تُعبّر عن حدث ماضي بفعل مضارع كأنما نريد أن نستحضر الحدث أمامنا مثل قوله تعالى في سورة الأعراف (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَٱنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الشَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {٥٧}}

٢٣١ – ما الفرق التعبيري والبياني بين قصة زكريا – عليه السلام – في سورتي مريم وآل عمران ولماذا جاء في
 إحداها ثلاث ليال و في الأخرى ثلاثة أيام؟

إذا استعرضنا الآيات في كلتا السورتين نجد فروقات منها: (ثلاث ليال) و(ثلاثة أيام) ، و (سبحوا بكرة وعشيا) نكرة (واذكر اسم ربك وسبح بالعشي والإبكار) معرفة ، وتقديم مانع الذرية من جهة زكريا على جهة زوجته في آية وتأخيرها في الثانية، وذكر الكبر مرة أنه بلغه ومرة أن زكريا بلغه، وتقديم العشي على الإبكار مرة وتأخيرها مرة، وطلب الله تعالى من زكريا التسبيح له مرة وطلب زكريا من قومه التسبيح للله، وسياق الآيات في السورتين يدل على أمور أخرى، وهنالك أكثر من مسألة تجعل المشهدين متقابلين تقابل الليل والنهار وسنستعرض كل منها على حدة فيما سيتقدم:

قال تعالى في سورة مريم (ذِكُوُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَوِيًا {٢} إِذْ نَادَى رَبَّهُ نَدَاء خَفِيًا {٣} قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَاتِكَ رَبِّ شَقِيًا {٤} وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًا {٥} لَم شَعْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَاتِكَ رَبِّ شَقِياً {٤} وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن لَدُنكَ وَلِيًا إِنَّا نُبَشِرُكَ بِعُلَم اسْمُهُ يَحْمَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً {٧} قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَم وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكَبَرِ عِيتِناً لَمْ يَكُونُ لِي غُلَمْ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكَبَرِ عِيتِناً لَمْ يَكُونُ لِي غُلَمْ وَكَانَتِ الْمَرْأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكَبَرِ عِيتِناً أَلَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالِ سَوِيّاً {١٠ } فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأُوحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكُرَةً وَعَشِيّاً أَلَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالِ سَوِيّاً {١٠ } فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأُوحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكُرَةً وَعَشِيّاً أَلَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيْكَ مَومَا لَيْ اللَّهُ يَشَعُ اللَّهُ يَعْفَلُ مَا وقال فِي سورة آل عَمران (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيًا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَكُومَ اللَّهُ يَشَعُلُ لَا اللَّه يُشَعِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَيْ اللَّه وَسَقِدْ قَالَ رَبِّ الْحَعْلَ عَلَى الْمُعْلَى مَا السَّلَ اللَّهُ يَعْمَى مُلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَ رَمْزًا وَاذْكُو رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعُشِي وَالْمِنْكِكُور أَوْلَ اللَّهُ يَشَعْلُ مَا وَلَاكَ اللَّهُ عَلَى الْكَالَةُ الْعَلَى الْكَالَةُ اللَّهُ يَعْلَى اللَّهُ وَلَوْ الْعَلْمَ النَّاسُ ثَلَاكُ اللَّهُ يَعْلَى اللَّهُ عَلَى مَا الْمَالِمُ لِكُولُ وَالْمَالِكَ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْلَهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَى الْمُعْرَالُ وَالْمَالِكُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى الْعَلَى اللَّهُ الْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

الفرق بين ليال وأيام: اليوم هو من طلوع الشمس إلى غروبها (باختلاف المفهوم المستحدث السائد أن اليوم يشكل الليل والنهار)، أما الليل: هو من غروب الشمس إلى بزوغ الفجر. وقد فرّق بينها القرآن في قوله تعالى في سورة الحاقة: (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَال وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَحْلِ خَاوِيَةٍ {٧}) وهذا هو التعبير الأصلي للغة. وفي آية سورة آل عمران لا يستطيع زكريا – عليه السلام – أن يكلم الناس ثلاثة أيام بلياليهن لكن جعل قسم منها في سورة آل عمران وقسم في سورة مريم.

و اختيار الليل في سورة مريم إضافة إلى أمر آخر في صلب المسألة لكن هناك ممهدات للقصة جعله يختار الليل في سورة مريم وهي: النداء الحفي (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًا ﴿٣﴾) هذا النداء الحفي يذكّر بالليل لأن خفاء النداء يوحي بخفاء الليل فهناك تناسب بين الحفاء والليل.

ذكر ضعفه وبلوغ الضعف الشديد مع الليل (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً) وكلمة (عتيّا) تعنى التعب الشديد ؛ وقد ذكر في آيات سورة مريم مظاهر الشيخوخة كلها مع الليل ما لم يذكره في سورة آل عمر ان لأن الشيخوخة تقابل الليل وما فيه من فضاء وسكون والتعب الشديد يظهر على الإنسان عندما يخلد للراحة في الليل، أما الشباب فيقابل النهار بما فيه من حركة.

ويذكر في سورة مريم (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) يعني بعد الموت ؛ والموت هو عبارة عن ليل طويل ولم يذكر هذا الأمر في سورة آل عمران.

هذه كلها هي المقلمات والآن نأتي إلى صلب الموضوع:

- * هناك أمر أساسي لو نظرنا في ورود الآيتين في السورتين نجد أن البشارة بيحيى في سورة آل عمران (أَنَّ اللهَ يُبشِّرُكَ بِيحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيًا مِّنَ الصَّالِحِينَ) أكبر وأعظم مما جاء في سورة مريم (يَا زَكَرِيًّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا {٧}}) كان التفصيل بالصفات الكاملة في سورة آل عمران ليحيى أكثر منها في سورة مريم وهذه البشارة لها أثرها بكل ما يتعلق بباقى النقاط في الآيتين.
- * ومما لا شك فيه أن عِظم البشارة يقتضي عظم الشكر لذا قال في سورة آل عمران (آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً) وفي سورة مريم (قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَال سَوِيّاً) فاليوم أبين من الليل لإظهار هذه الآية والذّكر في الليل أقل منه في النهار والآية أظهر وأبين في النهار من الليل.
- * طلب الله تعالى من زكريا عليه السلام ذكر ربه والتسييح في سورة آل عمران (وَاذْكُر رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ)، وفي سورة مريم زكريا عليه السلام هو الذي طلب من قومه أن يسبحوا الله بكرة وعشيا (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً) وتسييح زكريا أدل على شكره لله تعالى من تسييح قوم زكريا.
- * طلب الله تعالى من زكريا عليه السلام أن يذكره كثيرا (وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً) وهذا مناسب لعِظم البشارة وطلب منه الجمع بين الذكر الكثير والتسبيح (وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَار) أما في سورة مريم فقال تعالى على لسان زكريا مخاطباً قومه (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيِّاً). إذن في آية سورة آل عمران ذكر وتسبيح كثير ويوقن به زكريا نفسه وهو أدل على عِظم الشكر الله تعالى.
- * زكريا عليه السلام قدّم مانع النرية في سورة آل عمران من جهته على جهة زوجته (قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ { • } }) وهذا ناسب أمره هو بالذكر والتسبيح، أما في سورة مريم فقدّم مانع الذرية من زوجته على الموانع فيه (قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَر عِتِيًا ً { ٨ }) وهذا ناسب الأمر لغيره بالتسبيح .
- * وفي سورة آل عمران قال (وَامْرَأَتِي عَاقِر) أما في سورة مريم فقال (وكانتِ امْرَأَتِي عَاقِراً) ونسأل ما الداعي لتقديم المانع في كل سورة على الشكل الذي ورد في السورتين؟ نقول أن العقر إما أن يكون في حال الشباب أو أنه حدث عند الكبر أي انقطع حملها وفي سورة آل عمران (وامرأتي عاقر) يحتمل ألها لم تكن عاقراً قبل ذلك هذا من حيث اللغة أما في سورة مريم (وكانت امرأتي عاقرا) تفيد ألها كانت عاقراً منذ شبائها فقدم ما هو أغرب. والعقيم في اللغة : هي التي لا تلد مطلقاً.

* البشارة جاءت في آية سورة آل عمران لزكريا وهو قائم يصلي في المحراب (فَنَادَتْهُ الْمَلآثِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمُحرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ يَبِحْيَى) ولم ترد في آية سورة مريم فلم يذكر فيها أنه كان قائماً يصلي في المحراب وإنما وردت أنه خرج من المحراب (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) فذكر في سورة آل عمران الوضعية التي تناسب عِظم البشارة.

* قدّم (العشي) على (الإبكار) في آية سورة آل عمران (وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَار) على خلاف آية سورة مريم (بُكْرةً وَعَشِيّاً). لمّا ذكر الليل في سورة مريم (ثلاث ليال) قدّم (بكرة) على (عشيا) (أن سبحوا بكرة وعشيا) لأن البكرة وقتها من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، والعشي وقتها من صلاة الظهر إلى المغرب فعندما ذكر الليل ناسب ذكر البكرة لأنها تأتي مباشرة بعد الليل ثم تأتي العشية ولو قال (عشياً) أو لا لكانت ذهبت فترة بكرة بدون تسييح. أما في سورة آل عمران (ثلاثة أيام) وجب تقديم العشي على الإبكار ولو قال (بكرة وعشيا) لذهبت البكرة والعشي بدون تسييح فقدّم ما هو أدلّ على الشكر في الآيتين.

* لماذا جاءت (بكرة وعشيا) نكرة في سورة مريم ومعرفة في سورة آل عمران (بالعشي والإبكار)؟ أل تفيد العموم لا الخصوص والمقصود بـ (العشي والإبكار) على اللوام وهي أدلّ على الدوام عظم الشكر لذا ناسب مجيئها في آية آل عمران لتناسب عظم البشارة وما تستوجبه من عظم الشكر. ونسأل لماذا لم يقل صباحاً ومساء؟ لأن الصباح والمساء يكون في يوم بعينه.

* وذكر في سورة آل عمران أن الكِبر بلغه (وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ) فكأن الكبر يسير وراءه حثيثاً حتى بلغه فالكِبر هنا هو الفاعل، أما في سورة مريم (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً) فكأنه هو الذي بلغ الكِبر وهذا يدل على اختلاف التعبير بين السورتين.

٣٣٢ – لماذا اقترن لفظ (أبداً) في خلود الكافرين في النار وأحياناً لا ترد؟

(أبداً) ترد أحياناً مع أهل النار وأحياناً مع أهل الجنة وأحياناً يذكر الخلود من دون (أبداً). والقاعدة هو أنه إذا كان المقام مقام تفصيل وبسط للموضوع يذكر (أبداً) أو إذا كان المقام مقام قديد كثير أو وعيد كثير أو وعد كثير كما جاء في الوعد الكثير للمؤمنين في سورة البينة وتفصيل جزائهم (جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنِ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَصُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِي رَبَّهُ {٨}) وكذلك في سورة الجنّ الآيات فيها قديد ووعيد شديد للكافرين فجاءت (أبداً) (إلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ فيها قديد ووعيد شديد للكافرين فجاءت (أبداً) (إلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ فيها قديد ووعيد شديد للكافرين فجاءت (أبداً) (إلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ اللَّهَ عَلَيْدِينَ فِيهَا أَبداً {٢٣}) وكذلك في سورة الأحزاب في مقام التفصيل والتوعد الشديد ذكر أبداً (إنَّ اللَّهَ لَكُن الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً {٢٤}) وكذلك في سورة البينة (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ كَان مقام إيجاز لا يذكر (أبداً) مثل قوله تعالى في سورة البينة (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ كَالدِينَ فِيهَا أُولُئِكَ هُمْ شُرُّ الْبُريَّة {٦}).

٣٣٣ - هل الإنذار خاص بالكافرين في القرآن؟

الإنذار في القرآن الكريم لا يكون خاصاً للكفار والمنافقين وقد يأتي الإنذار للمؤمنين والكافرين. والإنذار للمؤمن ليس فيه توعد فهو للمؤمنين تخويف حتى يقوم المؤمن بما ينبغي أن يقوم به كما في قوله تعالى (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ {١١} } يس) وهذا ليس فيه تخصيص لمؤمن أو كافر. وقد يأتي الإنذار للمؤمنين (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْمَافَّرَبِينَ {٢١٤} الشعراء) (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى

حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشُوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ { ١٨ } فاطر) وقد يكون للناس جميعاً (وَأَنذِر النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِرْنَا إِلَى أَجَلِ قَرِيب تُجب دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَال { ٤٤ } الراهيم) (وَأَنذِرْ بِهِ اللَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَ يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ يَشْ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ { ١٥ }) الراهيم) (وَأَنذِرْ بِهِ اللَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَ يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهُمْ يَشْ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ { ١٥ }) الراهيم) (وَأَنذِرْ بِهِ اللَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَ يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهُمْ يَئْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ { ١٥ }) الراهيم) (وَأَنذِرْ بِهِ اللَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَ يُحْشَرُواْ إلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء) لماذا جاء (الطفل) مفرد و(الذين) جمع؟

وردت كلمة "طفل " في سورة النور و في سورة غافر والحج. ووردت كلمة "الطفل" و"الأطفال" في القرآن والطفل تأتي للمفرد والمثنى والجمع فنقول : جارية طفل وجاريتان طفل وجواري طفل. فمن حيث اللغة ليست كلمة "الطفل" منحصرة بالمفرد. لكن وردت في سورة النور أيضاً كلمة "الأطفال" (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبِيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٥ ﴾) ولو لاحظنا في سورة الحريا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُتُمْ فِي رَيْب مِن الْبُعْثِ فَإِنَّا حَلَقْنَاكُم مِّن تُورَاب ثُمَّ مِن تُطفَقَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُعْقَةٍ مُ مَّ يَتُولُّ فِي الْمُرْحَام مَا نَشَاء إِلَى أَجَل مُسَمَّى ثُمَّ مُن يُحْرجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ المُنتَلُقُوا أَشُدُكُمْ وَمُنتَى لَكُمْ وَنُقِرُ فِي الْمُرْحَام مَا نَشَاء إِلَى أَجَل مُسَمَّى ثُمَّ مُن يُحْرجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ الْبُغُوا الشَّدَّتُ مِن يُعلِي وَمَنكُم مَّن يُورَدُ إِلَى أَرْذَل الْعُمُر لِكَيْلًا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْنًا وَتَوَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمُعال وَمَنكُم مَّن يُورِدُ إِلَى الْمُورد فَي اللهِ الله وروا والمنافر الفواد فكل المُناء المُترَّت ورَبَت وأَنبَتت مِن كُل رَوْجٍ بَهِيجٍ {ه}) الآيات تنكلم عن خلق الجنس وليس عن خلق الأفراد فكل المناء المُترَّت ورَبَت في المُورد (وإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمُ فَلْيَسْتَأَذِنُوا) بكلمة "الأطفال" فهنا السياق مبني على علاقات الأفراد وليس على الجنس لأن الأطفال منكم ألْحُلُوا ينظرون إلى النساء كل واحد نظرة محتلفة فلا يعود النعاطي معهم كجنس يصلح في الحكم فقال (ليستأذنكم الذين لم يبلغوا الحلم منكم) فاقتضى الجمع هنا.

لكن لماذا قال (الطفل) في سورة النور في الآية موضع السؤال؟ (الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) كل المذكورين في الآية موقفهم مختلف بالنسبة لعورات النساء أما الطفل فموقفه واحد بالنسبة لعورات النساء في جميع الحالات لأفهم لا يعلموا بعد عن عورات النساء فهي تعني لهم نفس الشيء فجعلهم كجنس واحد لذا أفرده مع أنه جمع لكن اختيار اللفظ ناسب سياق الآيات.

٢٣٥ – ما دلالة استخدام الصيغة الإسمية مرة والفعلية مرة أخرى في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسنُونَ {١٢٨} النحل)؟

هذه الآية فيها احتمالات ونسأل لماذا لم يقل: (ومع الذين هم محسنون) أو (مع الذين اتقوا الذين هم محسنون)؟ لم يقل (ومع الذين هم محسنون) لأن هذا يدلّ على أنهما صفتان مختلفتان.

ولم يقل (مع الذين اتقوا الذين هم محسنون) فهذا يدل على ألهما صنف واحد.

لكن جاءت (إن الله مع) وإذا نظرنا في الآية التي سبقتها (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلْصَّابِرِينَ {١٢٦}}) فقوله تعالى (بمثل ما عوقبتم) بمعنى من عاقب يمثل ما عوقب به فقد اتقى، وقوله (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) هذه أفضل من (وإن عاقبتم) والصبر هو من الإحسان. والتقوى هي أن لا يراك الله حيث لهاك ولا يفتقدك حيث أمرك. فالذين هم محسنون هم حالة أعلى من الذين اتقوا فجاء بالجملة الإسمية الدالة على

الثبوت في صفة المحسنين.

٢٣٦ – أين جواب القسم في سورة الشمس (والشمس وضحاها)؟

جواب القسم ليس بالضرورة أن يُذكر بحسب الغرض منه فإذا اقتضى أن يُجاب القسم يُجاب (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنَحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا {٢٨} مريم) (وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ {٣٨} النحل) وقد يُحذف إما للدلالة عليه أو للتوسع في المعنى في عضتمل المعنى كل ما يرد على الذهن وهذا في القرآن كثير (ق وَالْقُرْآنِ الْمُجِيدِ {١}) لا يوجد جواب للقسم في سورة ق وكذلك في سورة ص (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ {١}) لا نجد جواباً للقسم حُذف لاحتمال كل ما يرد في سياق الآيات فلا يريد تعالى جواباً بعينه لكنه يريد أن يوسع المعنى. وقسم من المفسرين قال في سورة الشمس أن جواب القسم هو (قد أفلح من زكّاها)

٢٣٧ - ما دلالة كلمة (نعمة) في قوله تعالى : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)؟

النعمة هنا ليست مفردة وإنما هي جنس النعمة وليست مفردة واحدة وإنما هي عامة تشمل كل النعم.

٢٣٨ - هل كان إبليس مأموراً بالسجود لآدم؟

نعم أمر الله تعالى لللائكة بالسجود لآدم أمراً عامّاً (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ {٣٤} البقرة) وأمر إبليس بالسجود أمراً خاصاً (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنَٰهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِين {١٢} الأعراف).

٢٣٩ – ما وجه الإختلاف في قصة آدم – عليه السلام – بين سورتي البقرة والأعراف؟

قصة آدم – عليه السلام – في سورة البقرة تبدأ من أقدم نقطة في القصة (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَثِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌّ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٠}) لم تُذكر هذه النقطة في أي مكان آخر في القرآن وهي أول نقطة نبدأ

فيها القصص القرآني:

القصة في سورة البقرة واردة في تكريم آدم – عليه السلام – وما يحمله من العلم والقصة كلها في عباراتها ونسجها تدور حول هذه المسألة فهل كان التكريم لآدم أو لما يحمله من العلم؟

وقوله تعالى (علّم آدم) ينسحب على ذريته في الخلافة في الأرض. والخلافة تقتضي أمرين:

الأول : حق التصرف (خلق لكم ما في الأرض جميعا) .

والثاني: القدرة على التصرف وهل هو قادر على القيام بالمهمة أو لا (أثبت القدرة بالعلم). وهل الإنسان أكرم من الملائكة؟ الإنسان الصالح النقي المؤمن أكرم عند الله تعالى من الملائكة (ولقد كرّمنا بني آدم) فالله تعالى كرّم الإنسان بالعلم والعقل.

أما في سورة الأعراف فورود قصة آدم ليست من باب التكريم (قليلاً ما تشكرون) عتاب من الله تعالى على قلة شكرهم.

إفتتاح كل قصة:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ {١٠}} سورة الأعراف ثم قوله تعالى (قليلاً

ما تشكرون) فيها عتاب وهذا لم يرد في البقرة.

التكريم في سورة البقرة أكبر وأكثر مما هو عليه في سورة الأعراف (قليلاً ما تذكرون).

سياق القصة في سورة الأعراف ورد في العقوبات وإهلاك الأمم الظالمة من بني آدم وفي سياق غضب الله تعالى على الذين ظلموا (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ {٥}) القائلون في الآية بمعنى القيلولة، وفي سياق العتب عليهم (قليلاً ما تذكرون، قليلاً ما تشكرون).

في سورة البقرة جمع تعالى لإبليس ثلاث صفات (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُلُواْ لآدَمَ فَسَجَلُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وهذه الصفات لم تأت مجتمعة إلا في سورة البقرة لبيان شناعة معصية إبليس، أما في الأعراف فقال (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ { 1 1 }) فذكر صفة "لم يكن من الساجدين" فقط.

في سورة البقرة جاء الخطاب بإسناد القول إلى الله تعالى (وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً خَيْثُ شَيْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ {٣٥}) ولللاحظ في القرآن أنه لما ينسب الله تعالى القول إلى ذاته يكون في مقام التكريم، أما في الأعراف عندما طرد إبليس جمعهما في الكلام (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْوُوماً مَدْحُوراً لَمَن تَبَعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلاَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ {١٨} وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شَيْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّلْمِينَ {١٨} كاللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ ا

ذكر في سورة البقرة (رغداً) (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ السَّجْرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّلِمِينَ {٣٥}) المناسب للتكريم في السورة بينما لم ترد في سورة الأعراف (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ النَّ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّلِمِينَ {١٩ }). كما أن الواو في التورَّوجُك الْجَنَّة فَكُلاً مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِن الظَّلِمِينَ {١٩ }). كما أن الواو في الأزمنة بمعنى "اسكن وكُل" غير محددة بزمان. أما في سورة الأعراف فاستخدام الفاء في قوله (فكُلا من حيث الأزمنة بمعنى "اسكن وكُل" غير محددة بزمان. أما في سورة الأعراف فاستخدام الفاء في قوله (فكُلا من حيث شئتما) تدل على التعقيب والترتيب، بمعنى "اسكن فكُل" أي أن الأكل يأتي مباشرة بعد السكن مباشرة. فالفاء إذن هي جزء من زمن الواو أما الواو فتشمل زمن القاء وغيرها والجمع وغير الجمع فهي إذن أعمّ وأشمل ومجيئها في سورة البقرة في مجال التكريم أيضاً فلم يقيد الله تعالى آدم بزمن للأكل. ونسأل هل الواو تفيد الترتيب؟ الواو لا تفيد الترتيب بدليل قوله تعالى (وما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونجيا وما يهلكنا إلا الدهر) فلو كانت الواو تفيد الترتيب لكان الكافرون أقروا بالحياة بعد الموت، وكذلك في قوله تعالى (كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك) لا تفيد الترتيب لكان الكافرون أقروا بالحياة بعد الموت، وكذلك في قوله تعالى (كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك) لا تفيد الترتيب. والعلماء الذين يستندون إلى أن الواو تفيد الترتيب يعتمدون على آية الوضوء ونقول ؛ لا مانع أن الواو للترتيب لكن لا تُحصر للترتيب.

(حيث شئتما) في سورة البقرة تحتمل أن تكون للسكن والأكل ؟ بمعنى : اسكنا حيث شئتما وكُلا حيث شئتما ؟ وفي هذا تكريم أوسع لأن الله تعالى جعل لهم مجال اختيار السكن ، والأكل والتناسب مع الواو التي دلّت هي مطلقة فأو جبت السعة في الإختيار، أما في سورة الأعراف (من حيث شئتما) بمعنى من حيث شئتما للأكل فقط وليس للسكن، وبما أن الفاء استخدمت في السورة (فكُلا) والهاء مقتصرة اقتضى الحصر للأكل فقط. (فأز لهما الشيطان) في سورة البقرة ليس بالضرورة الزلة إلى محل أدبى بل يمكن أن يكون في نفس المكان وقد سُميت

"زلة" تخفيفاً في مقام التكريم الغالب على السورة، أما في سورة الأعراف (فدلاهما بغرور) والتدلية لا تكون إلا من أعلى لأسفل ؛ إذن في مقام التكليف سماها (زلة) وفي مقام العقوبة سماها (فدلاّهما) فخفف المعصية في البقرة ولم يفعل ذلك في الأعراف.

في سورة البقرة (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {٣٧}) لم يذكر معاتبة الله تعالى لآدم وتوييخه له وهذا يتناسب مع مقام التكريم في السورة حتى أنه لم يذكر في السورة إعتراف آدم ولم يقل ألهما تابا أو ظلما أنفسهما فذكر تعالى تصريح آدم بالمعصية وهذا أيضاً مناسب لجو التكريم في السورة. أما في سورة الأعراف قال تعالى : (فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقًا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُما عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُو لِّ مُبينٌ {٢٢} }) في مجال التوييخ والحساب ثم جاء اعتراف آدم (قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَمْ تَنْفِرْ لَنَا وَتَوْحَمْنَا لَنكُونَنَ مِن الْخَاسِرِينَ {٢٣} }). و في سورة الأعراف تناسب بين البداية والإختيار (عتاب على قلة الشكر وعتاب على عدم السجود) الندم الذي ذكره سورة الأعراف.

اتفق ندم الأبوين والذرية على الظلم (قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [٢٣]. ذرية (إنا كنا ظالمين) بالصيغة الإسمية الدالة على الثبوت والإصرار وجاءت (ظلمنا) بالصيغة الفعلية أي أن التوبة فعلية وصادقة وليس فيها إصرار لذا جاءت العقوبة مختلفة فتاب سبحانه على الأولين وأهلك الآخرين.

ذكر في البقرة أن الله تعالى تاب على آدم ولم يذكر أن آدم طلب المغفرة لكن وردت التوبة والمغفرة عليه وهذا مناسب لجو التكريم في السورة (فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ {٣٧}})، ولم تذكر في الأعراف بل ذكر أن آدم طلب المغفرة لكن لم يذكر أن الله تعالى تاب عليه (قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {٢٣}}).

في سورة الأعراف (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاثِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ {١١} }) وفي الآية الأخيرة من السورة (إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عَبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ {٢٠٦}) نفى تعالى عن الملائكة التكبر وأكد سجودهم ولكن بالنسبة لإبليس في السورة نفسها نفى عنه السجود (إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) وأكد له التكبر (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاحْرُجْ إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) وأكد له التكبر (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاحْرُجْ إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَرَ فِيهَا فَاحْرُجْ إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَرَ فِيهَا فَاحْرُجْ

في سورة الأعراف (ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {\\10} وفي مقدمة القصة قال تعالى (وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ { ١٠}) فصدّق عليهم إبليس ظنّه.

في سورة الأعراف (فَوَسُوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ {٢٠}) اختار تعالى للتقوى كلمة اللباس الذي يواري السوءات الباطنة (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ النَّقُوىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ {٢٦}) واختيار الريش مناسب للباس الذي يواري السؤات الخارجية. وفي هذه الآيات تحذير من الله تعالى لذرية آدم ((يَا بَني آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقُونَ ذَلِكَ حَيْرٌ

ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ {٢٦}).

• ٢٤ – ما الفرق البياني بين قوله تعالى (فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) سورة الطور و(ما أنت بنعمة ربك بمجنون) و(ويقولون إنه لمجنون)في سورة القلم ؟

قال تعالى في سورة الطور: (فَلَاكُرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنِ وَلَا مَجْنُونٍ {٢٩}) زاد هنا كلمة (كاهن) في قول الكافر لأن الكفّار قالوا عن رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – أنه شاعر وقالوا أنه كاذب وتوسّع الكافرون في التُّهم لذا استدعى السياق إدخال كلمة (كاهن) كزيادة. والإستماع مما تدعيه الكهنة (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {٣٨}) فناسب ذكر الكاهن مع الكهنة. وهناك أمور أخرى وردت في سورة الطور تناسب ذكر الكهانة منها (أَفَسَحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ {١٥})

أما الآيات في سورة القلم (مَا أَنتَ بِنعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونِ {٢} و(وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرُ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونَ ﴿ ٢ ﴾)) فزيادة الباء (بمجنون) لأنه لم يزد الكافرون عما جاء في الآيات فناسب أول السورة ما جاء في آخرها. والباء تأتي لتوكيد النفي (بمجنون) واللام لتوكيد الإيجاب (لمجنون) فهو نفي مقابل للام التوكيد. واستخدام (إنّ) مع اللام (لمجنون) للتوكيد على ما قالوه عن الرسول – صلى الله عليه وسلم –. لام الفرق البياني بين (أخرّتني) في سورة المنافقون و(أخرتن) في سورة الإسراء؟

قال تعالى في سورة المنافقون (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَّكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَرْتَنِي إِلَى أَجَل قَرِيب فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ {١٠}}) أما في سورة الإسراء فقال تعالى (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كُرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَن إِلَى يَوْم الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً {٢٦}}

إذا استعرضنا الآيات في سورة المنافقون وخاصة الآية التي سبقت الآية موضع السؤال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمُوالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {٩}) نجد فيها عدة أمور نتوقف عندها: 1. نجد أن الله تعالى قدّم الأموال على الأولاد وعزاه إلى عدم الإنشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله وبيّن عاقبة من يفعل ذلك (أولئك هم الخاسرون).

٢. ثم قال تعالى : (لا تلهكم) ولم يقل (لا تشغلكم) لأن الإلهاء على العموم يستخدم في مقام الذم ثم إن الإلتهاء عن ذكر الله أولى من ذكر الشغل.

٣. استخدام (لا) في (أموالكم ولا أولادكم) ولو لم توجد (لا) لفُهِم عدم الإلتهاء بالأموال والأولاد مجتمعين أي أنه قد يُفهم أن النهي يكون إذا اجتمع الأمران : الأموال والأولاد ؛ والمعنى المُراد : هو عدم الإلتهاء بالأموال ولا الأولاد مجتمعين أو متفرقين.

لأموال على الأولاد مع أن حُب الأولاد أكثر لكن الإلتهاء بالمال يكون أكثر من الإلتهاء بالأولاد لذا قدّم الأموال على الأولاد للتحذير. أما في مواطن الحُب يقدّم الأولاد على غيرهم وفي حب الشهوات قدّم النساء على باقي الشهوات (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالله عَندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ {١٤}) سورة آل عمران.

و. (لاتلهكم أموالكم) الفاعل هنا (أموالكم) وضمير المخاطب هو المفعول به ومعناه أن الله تعالى نحى السبب
 (الأموال والأولاد) عن التعرّض للمؤمن وهذا لأهمية المؤمن ومكانته الكبيرة عند ربّه. وإسناد الإلهاء للأموال فيه تنبيه للمؤمن على عدم الإلتهاء بالأموال. وكأن الأموال تنصب الشرك للمؤمن فيتلهى عن ذكر الله تعالى.

- ٦. ذكر الله : هو عموم الطاعات وجميعها لذا خص الله تعالى في الآية (ذكر الله) عندما تحدث عن الإلتهاء بالأموال
 والأولاد.
 - ٧. (أو لئك هم الخاسرون) "هم" تفيد ألهم هم حصراً الخاسرون خسراناً كاملاً.
- ٨. (ومن يفعل ذلك) كلمة (يفعل) لأن الإلتهاء هنا من فعل الإنسان وجاء الفعل مضارعاً لإفادة الإستمرار وليس
 من المعقول أن تكون هذه الخسارة العظيمة من فعل مرة واحدة بل هي نتيجة عملية متكررة.

٩. والإلتهاء بالمال هو الإنشغال بالوقت والقلب لذا جاءت فيما بعد (وأنفقوا مما رزقاكم) "مما" تفيد البعض وليس الكل فالإنفاق يكون بشيء مما رزقنا الله تعالى حتى تستسهل النفوس الإنفاق لأن الرزق لو كان من عند الناس لبخلوا به (قُل لَوْ أَشُمْ تَمْلِكُونَ حَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكُتُمْ خَشْيَةَ الإِنفاق وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً {١٠٠} للبخلوا به (قُل لَوْ أَشُمْ تَمْلِكُونَ حَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكُتُمْ خَشْيَةَ الإِنفاق وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً {١٠٠} الإسراء). وكلمة (رزقاكم) تعني : أن الله تعالى هو الرزاق. فأنفقوا مما رزقكم الله وليس الرزق من أنفسكم أيها الناس فالله تعالى بنسب النعمة والخير إلى نفسه ولا ينسب الشر لنفسه (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بخانِهِ وَإِذَا مَسَّةُ الشَّرُ كَانَ يَؤُوساً {٨٣} الإسراء). أما في الجنة حيث لا حساب ولا عقاب يقول تعالى (وَبَشِّر بجانبِهِ وَإِذَا مَسَّةُ الشَّرُ كَانَ يَؤُوساً {٨٣} الإسراء). أما في الجنة حيث لا حساب ولا عقاب يقول تعالى (وَبَشِّر الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزَقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الّذِي رُزْقُواْ مِنْ قَبْلُ وَأَتُواْ بهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيها أَرْوَاجٌ مُّطَهَرةٌ وَهُمْ فِيها خَالِدُونَ ﴿ ٢٥ } البقرة).

١٠. (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) (من) الإبتدائية وهي تشمل كل الفراغ بين الإبتداء والنهاية كما في قوله تعالى (رواسي من فوقها) و (وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ {٩} يس) لو لم ترد (من) في آية سورة المنافقون كان ممكن أن يكون الزمن بعيد أما وجود (من) فيفيد أن كل لحظة يمكن أن تكون لحظة الموت وهذا يستدعى إعادة نظر في حياة الإنسان.

11. (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) إستخدام فعل (يأتي) بدل (جاء) في الآية ومن الملاحظ أن فعل (جاء) لم يرد أبداً في القرآن كله بصيغة المضارع أما بالنسبة لفعل "أتى" فقد استعمل مضارعاً واستعملت كل مشتقاته (آتيكم، مأتيا). ثم إن تقديم المفعول به على الفاعل لأنه أهم وهو المأمور والمنهي وهو المحاسب وهو محور الخطاب والموت يأتي في كل لحظة.

17. استخدام الفاء في (فيقول) الفاء لها أكثر من سبب فهي تختلف عن أحرف العطف أو لاً: لأنما تفيد السبب كأن نقول نزل المطر فنبت الزرع، ثانياً: تفيد الترتيب والتعقيب (أقبل محمد فخالد) مباشرة بعد محمد أقبل خالد وكما في قوله تعالى: (أماته فأقبره) مباشرة بلا مهلة بينهما أما (ثم) فتفيد التعقيب والتراخي (ثم إذا شاء أنشره) أي بعد وقت. والفاء في (فيقول) تدل على أن الموت هو السبب لهذا القول ينكشف للذي أتاه الموت من سوء المنقلب ما يدعوه ليقول (رب لو لا أخرتني) أي بمجرد أن يموت وينكشف الغطاء يقول مباشرة (رب لو لا أخرتني) فأفادت الفاء هنا الترتيب والتعقيب.

17. حذف يا النداء في قوله (رب لولا أخرتني) ولم يقل (يا رب لولا أخرتني) إشارة إلى أن هول ما يلاقيه الميّت حذف حرف النداء لأن الوقت لا يحتمل تضييعه بقول (يا) لذا قال (رب لولا أخرتني) فالحذف جاء للإنتهاء من الكلام بسرعة حتى لا يقع المكروه فالميّت يريد أن يخلص إلى مراده بسرعة.

١٤. كلمة (رب) فيها العبودية والإنسان يلجأ إلى مربّيه ومتولّيه ورازقه ولم يقل اللهم لولا أخرتني وفي القرآن كله لم يحصل دعاء بكلمة (اللهم) إلا في مكان واحد قوله تعالى (وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ اثْتِنَا بِعَذَاب أَلِيمٍ {٣٢} الأنفال) وفي دعاء عيسى – عليه السلام – (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمُّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأُولِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنَكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ عَرْبُها أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِلَّوَلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنَكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ إِلَى اللهم عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاء بَكُونُ لَنَا عِيداً لِلَهُمْ اللَّهُمُ الله عَلَى اللّهُ اللهم عَلَيْنَا مَائِدَة) بعد (اللهم) .

١٠. (لولا): أداة تحضيض وهو طلب للمتوفّي (لولا أخرتني) طلب المتوفّي (لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) أظهر نفسه بالطلب الصريح لذا جاءت ياء المتكلم في (أخرتني)

أما في سورة الإسراء فقال تعالى (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَغِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً {٦٢}). لم يأت بحرف طلب وليس فيها أداة تحضيض (لولا) وهذا طلب إبليس وهو طلب ضمني وليس طلب صريح فإبليس طلبه ليس لمصلحة نفسه وإنما أراد أن يُلحق الضرر ببني آدم. ولهذا اكتفى بالكسرة ولم يأت بالياء الصريحة في (أخرتن) لأن طلب إبليس طلب ضِمني.

٢٤٢ – ما أصل كلمة (الله)؟

(الله) : أصلها من أل الإله حُذفت الألف فأصبحت (الله) ، من (عَبَد) لذا اقترن إسم (الله) بالعبادة في القرآن .

٢٤٣ - ما الفرق بين الحمد والشكر؟

الحمد : هو الثناء وليس بالضرورة على ما يصيبه لكن قد يُحمد الشخص لأفعاله. أما الشكر فلا يكون إلا على النعم. والحمد يكون باللسان أي الثناء على الله تعالى أما الشكر فهو مقابلة النعمة بالفعل. وكلمة الرحمن من الرحمة.

٢٤٤ - ما الفرق بين العقل والقلب؟

العقل يأخذ الأمور بمحسوب رياضي والعقل منطقة باردة ، أما القلب فهو الذي يحملك على العمل بموجب ما تعتقد وقد لا يحمل المنطق العقلي للإنسان على العمل بموجب ما تعتقد.

و ٢٤٥ - ما الضابط لتاء التأنيث في القرآن فقد تأتي مفتوحة أو مربوطة؟

القاعدة: خطّان لا يُقاس عليهما خط المصحف وخط العَروض. وقد كُتب القرآن كما كتبه الصحابة وقد نجد في القرآن كلمة (نعمت) و(رحمت) و(رحمة) وأحياناً نجد في بعض القراءات نعمات . وأحياناً لا يُعلل خط المصحف .

٢٤٦ – ما الفرق بين كلمة (بطونه) في آية سورة النحل و (بطونها) في آية سورة المؤمنون؟ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ ﴾ (النحل: ٦٦) وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمَنْهَا تَأْكُلُون ﴾(المؤمنون: ٢١)

آية النحل تتحدث عن إسقاء اللبن من بطون الأنعام واللبن لا يخرج من جميع الأنعام بل يخرج من قسم من الإناث. أما آية المؤمنون فالكلام فيها على منافع الأنعام من لبن وغيره وهي منافع عامة تعم جميع الأنعام ذكورها وإناثها صغارها وكبارها فجاء بضمير القلة وهو ضمير الذكور للأنعام التي يستخلص منها اللبن وهي أقل من عموم الأنعام وجاء بضمير الكثرة وهو ضمير الإناث لعموم الأنعام وهذا جار وفق قاعدة التعبير في العربية التي تفيد أن المؤنث يؤتى به للدلالة على الكثرة بخلاف المذكر وذلك في مواطن عدة كالضمير واسم الإشارة وغيرها(1).

٢٤٧ - ما سبب استخدام كلمة (أوحينا) مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونوح وإبراهيم وغيرهم من أنبياء وإفراد (آتينا) لداوود - عليه السلام - في سورة النساء؟.

(١) من كتاب (التعبير القرآني) للدكتور فاضل صالح السامرائي

قال تعالى في سورة النساء : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى ثُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَرَسُلاً قَدْ وَإِسْمَاعِيلَ وَرَسُلاً قَدْ وَأَسُوبَ وَيُوسِ وَيُولُسَ وَهَا وُونَ وَسُلُيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً {١٦٤} } ورَسُلاً قَدْ قَصَصَنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً {1٦٤} . إذا قرأنا الآية وما قبلها وَيَسَأَلُكَ أَهْلُ الْكَتَابِ أَن تُتَرِّلُ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى آكْبُرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً وَالْعَبْلُكَ أَهْلُ الْكَتِتَابِ أَن تُتَرِّلُ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبُرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً وَالْعَبْلُ أَنْ اللّهِ عَلْمَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلُطَاناً مَّبِيناً عَلَيْهُمُ الْبَيْنَاتُ فَعَفُونَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلُطَاناً مَّبِيناً عَلَيْهُمُ الْمَنْكِيلُ وَآتَوْنَا مُوسَى سُلُطَاناً مَّبِيناً عَلَى عَدْ اللهَ تعلَيْكَ يَعْلَى يَعْلَمُ وَلاء قالوا أَهُم حَى يؤمنوا بالرسول ينبغي أن يُنزَل عليهم كتابًا من السماء فيقوله تعالى (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) ثم يأتي الرد من الله تعليل تعقيباً على ما سأله هؤلاء (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى تُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى عُولِ وَاللهُ مُولِكَ عَلَيْكَ كُمَا أَوْحَيْنَا إِلَى تُوحِ وَالنَّبِينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى اللهِ عَلِيهُ وَلَاء وَلِهُ مَنْ اللهُ نبياء وهم يؤمنون بُوم مع أهم لم يأتوهم بما طلبوا فهم إلى الله نبوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب واسحق ويونس وغيرهم من الأنبياء، فيقول تعلى أنه كما أوحى إلى هؤلاء النبياء أوحى إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – فإذا كانوا هم يؤمنون بُومنون بالون كتاب فإذن الوحي إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – فإذا كانوا هم يؤمنون بأولنك بدون كتاب فإذن الوحي

يجب أن يكون كافياً. هذا أمر والأمر الآخر (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح) سواء كان معهم كتب أو لم يكن معهم، وكما آتينا داوود زبورا فلماذا خصّ الزبور؟ لأن الزبور نزل منجماً أي بالتقسيط كما أنزل القرآن على الرسول – صلى الله عليه وسلم –. ويخاطب تعالى الكافرين بقوله أنتم تؤمنون بداوود وقد نزل عليه الزبور منجماً وقد أتيناك كتاباً كما آتينا داوود، وتؤمنون بالأنبياء الذين أوحينا إليهم وقد أوحينا إليك كما أوحينا إلى باقي الأنبياء. وكما أرسلنا رسلاً أرسلنا محمداً أيضاً (ورُسُلاً قَدْ قَصَصَنْدَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ تَقْصُصْنُهُمْ عَلَيْكَ) وفي آخر الآية يقول تعالى (وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً) فهو إذن وحي وإيتاء. والله تعالى كلم موسى – عليه السلام – في موضعين الأول في الوادي المقدس (إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى) سورة النازعات وعلى جبل الطور (ولمّا جاء موسى لميقاتنا قال رب أرني أنظر إليك) سورة الأعراف وليس هناك أعلى من ذلك أما محمد – صلى الله عليه وسلم – فقد صعد إلى سدرة المنتهى، وأعلى مكان كلّم الله تعالى موسى عليه هو الطور. وأوحى تعالى إلى رسوله – صلى الله عليه وسلم – كما أوحى لباقي الأنبياء وآتاه مثل ما آتى داوود ورفعه إلى مكان أعلى مم ارفع عليه موسى فإذن كل الأشياء التي ينبغي الإيمان بما أعطاها تعالى للرسول فسقطت حجة الكافرين إذن.

٢٤٨ – في كتب النحو (ثم) حرف عطف يفيد التراخي فما سر دخول الحرف في الأسلوب الإنشائي في قوله تعالى (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينَ {٧} التكاثر)؟

أولاً: نقول أنه من حيث الحكم النحوي (ثم) ليست مختصة بأسلوب إنشائي أو خبري وقد وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة (ثم صبوا فوق رأسه) إنشائي، (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) إنشائي، (ثم كيدون جميعاً) إنشائي، (ثم توبوا إليه) إذن (ثم) ليست مختصة بخبر أو إنشاء. (وللعلم الإنشاء هو ما فيه أمر أو استفهام أو ترجي أو تحضيض أو ..) والحكم يكون على الأسلوب بغض النظر عن القائل. هناك أمر آخر (ثم) قد تكون لمجرد الترتيب في الإخبار (ثم) تفيد الترتيب والتراخي وهذا هو الذي يثيره النحاة (ثم) يقولون تأتي لمجرد الترتيب في الإخبار وليس في الأحداث بدليل قوله تعالى (فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون) ليس في الآية تعقيب لأن الله شهيد على ما يفعلون المساعر:

أنا من ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

وهذا ترتيب في الإخبار وليس ترتيباً زمنياً كأن نقول مثلاً: أعجبني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت الأمس أعجب.

وهناك الترتيب في الإخبار بغض النظر عن زمنه. أحياناً يكون التراخي في المرتبة كقوله تعالى (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ {١٤} يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ {٥٥} أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ {١٦} ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَقَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَقَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ {١٧} إلبلد) فما معنى الإيمان بعد الإطعام؟ لا يمكن أن يكون هذا هو المقصود بل المقصود أن مرتبة الإيمان هي أعلى من الإطعام ولم تأتي (ثم) للترتيب لأنه لو لم يكن مؤمناً فليس فيه فائدة. وهذا ما نسميه الترتيب في المنزلة. وكذلك قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَوَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ {٣٠} فصلت) لا شك أن الإستقامة أعلى مرتبة.

فلماذا دُخَلت (ثم) على قوله تعالى (لَترَوُنَّ الْجَحِيمَ {٦} ثُمَّ لَترَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ {٧} التكاثر) هذه ليست إنشاء وإنما جواب القسم والقسم هو الإنشاء أما جواب القسم فمن حيث الحكم النحوي: جواب القسم لا يكون إنشاء الا مع الباء ؛ يصح أن يكون إنشاء مع الخبر الطلبي أو الإستعطافي فقط. مثلاً لا يمكن أن أقول: والله افعل أو والله لا تفعل إنما أقول والله لأفعلن ووالله لتفعلن ولا يمكن أن يكون جواب القسم طلب أو إنشاء إلا أن يكون جواب القسم طلب أو إنشاء إلا أن يكون جواب القسم بالباء (بالله عليك افعل) أو (بالله عليك لا تفعل) (بربّك هل فعلت؟) أما في غير الباء فلا يكون جواب القسم طلبياً. إذن الجواب خبري ويكون إنشائياً مع الباء فقط (تالله لأكيدن أصنامكم) "تالله" هي الإنشاء و"لأكيدن" هي خبر. وهناك فرق بين القسم وجواب القسم، جواب القسم خبر إلا ما استثنيناه وما يصح أن يكون مع الباء وحدها والباقي خبر.

(لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ {٦} ثُمَّ لَتَرَوُلَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ {٧} التكاثر) قسم فهب إلى ألها للتوكيد وقد تأتي إذا أُعيدت الجملة للتوكيد (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ {١٨} فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {١٩ } ثُمَّ قُبِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {٢٠ } المدّثر) التكرار فيه توكيد ولا مانع أن يُفصل بحرف عطف كما في قوله تعالى (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً {٥} إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً {٥} الشرح) ، يمكن أن تكون توكيداً مع العطف كأن نقول (والله ثم والله). وقسم آخر قال أن (ثم) ليست توكيداً وإنما المشهد مختلف فــ(ثم) الأولى هي في عذاب القبر والثانية في الحساب يوم القيامة تراخي في الزمن) وهذا الذي يرجحه الأكثرون.

و في بداية سورة التكاثر قال تعالى أيضاً (كلًا سَوْفَ تَعْلَمُونَ {٣} ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ {٤}) هنا العلم علمان علم عند المشاهدة والإحتضار والعلم الثاني عند الحساب يوم القيامة، فإذا كان العلم الأول هو نفس العلم الثاني تكون (ثم) للتوكيد وإذا كان العلم الثاني غير العلم الأول تكون (ثم) للتوكيد وإذا كان العلم الثاني غير العلم الأول تكون (ثم) للتوكيد وإذا كان العلم الثاني غير العلم الأول تكون (ثم)

٩ ٢ ٢ - ما الفرق بين كلمة (المصدقين) و(المتصدقين)؟

قال تعالى في سورة الحديد (إِنَّ الْمُصَّدُقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ {١٨} وقال في سورة الأحزاب (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْصَّادِقِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالْحَاشِعِينَ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعِينَ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعِينَ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمَاتِ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالصَّابِمِينَ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُعُونَ وَالْمُؤْمِقِينَ وَالْمُتَصَدِّقِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّعْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً {٣٥٥ }) و في سورة يوسف (فَلَمَّا دَخُلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا تَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِيضَاعَةٍ مُّرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ {٨٨}).

الأصل في كلمة (المصدقين) هي المتصدقين وأُبدلت التاء إلى صاد مثل تزمّل ومزمّل وتدثّر ومدّثر يجوز إبدال التاء مع الدال والصاد. لكن لماذا أبدل في آية سورة الحديد (الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ)؟ كلمة "المصدقين" فيها تضعيف ني الصاد وتضعيف في الدال ؛ والتضعيف يفيد المبالغة تضعيف في الصاد وتضعيف في الدال ؛ والتضعيف يفيد المبالغة والتكثير مثل كسر وكسّر. إذن المصدّقين فيها السحدقين) في سورتي الأحزاب ويوسف؟ في سورة يوسف جاء في (المصدّقين) في آية سورة الحديد بينما استخدم (المتصدقين) في سورتي الأحزاب ويوسف؟ في سورة يوسف جاء في الآية (فَأُوْفِ لَنَا الْكَيْلُ وَتَصَدَّق عُلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصدَّقِينَ) فناسب ذكر المتصدقين لأن إخوة يوسف طلبوا التصدق فقط ؛ لم يطلبوا المبالغة في الصدقة وهذا من كريم خلقهم فطلبوا الشيء القليل اليسير هذا أمر ، والآمر الآخر أنه قال تعالى (والله يجزي المتصدقين) فلو قال (يجزي المصدقين) لكان الجزاء للمبالغ في الصدقة دون غير المبالغ وهذا غير مقصود في الآية أما عندما يقول (يجزي المصدقين) فيدخل فيها (المصدّقين) وهذا ينطبق أيضاً على المبالغ في الصدقة والأجر الكريم وهذا يتناسب مع المبالغة في التصدق ويتناسب مع الذي نجد أن الآيات فيها اشتملت على المضاعفة والأجر الكريم وهذا يتناسب مع المبالغة في التصدق ويتناسب مع الذي يبالغ في الصدقة. ثم إن سورة الحديد فيها خط تعيري واضح في دفع الصدقة والحث على دفع الأموال في السورة يبالغ في الصدقة. في إن سورة الحديد فيها خط تعيري واضح في دفع الصدقة والحث على دفع الأموال في السورة كيراً أَنْفَقُوا في سَيل الله وَرَسُولِه وَانْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُستَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَانْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ {٧}}) (ومَا لكمُ أَنْفَقُوا في سَيل الله وَرَسُولِه وَانْفِقُوا مِمَّا حَقَلَقُونَ وَالْمُونَ وَالْمُونَ وَالْمُونَ مِنكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِن

قَبْلِ الْقَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ {١٠}}) (مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ {١١}) (إنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَالْمُصَّدِقِينَ وَالْمُصَّدِقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ {١٨}) (الَّذِينَ يَيْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِاللَّخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُ الْحَمِيدُ {٢٤}) فجو السورة إذن هو جو الإيمان وجو الإنفاق فناسب أن يستعمل معها كلمة (المصدقين).

• ٢٥ – ما دلالة استخدام صيغة الجمع في القرآن مثل ضربنا، رفعنا، قلنا، أنزلنا وغيرها مما ورد في القرآن؟

القرآن استعمل صيغة الجمع(فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً {١١} الكهف) (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ {١} وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ {٢} اللَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ {٣} وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ {٤} الشرح) وصيغة الإفراد (ذَرْني

وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً { ١٩ } وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْلُوداً { ١٩ } وَبَيِنَ شُهُوداً { ١٣ } وَمَهَّدتُ لَهُ تَمْهِيداً { ١٩ } وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْلُوداً إذا كَان المقام مقام تعظيم وتكثير ؛ ويستعمل الإفراد إذا كان المقام مقام تعظيم وتكثير ؛ ويستعمل الإفراد إذا كان المقام مقام توحيد أو مقام آخر كالعقوبة المنفردة . لكن من المهم أن نذكر أمراً : وهو أنه سبحانه وتعالى في كل موطن في القرآن الكريم وبلا استثناء إذا استعمل ضمير التعظيم لابد من أن يأتي بعده بما يدل على الإفراد حتى يزيل أي شك من شاتبة الشرك لأنه من نزل عليهم القرآن كانوا عريقين في الشرك (إنَّا أَنوَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ { ١ } وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ { ٢ } لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرِ لَمْ اللهُ وَلَا اللهُ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ { ٢ } وَيَعْدِيْكَ وَلَا قَحْدَا لَكَ فَتْحاً مُّيناً { ١ } لِيَغْفِر لَكَ اللّهُ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ { ٢ } وَيَعْدِيْكَ وَمَا تَأْخَرَ وَيُتِيمٌ نعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً { ٢ } ويَنصُركَ اللّهُ تَصْراً عَزِيزاً { ٣ } ليغفر لك اللهُ مَا في النصر (فتحنا) لأن الفتح قد يأتي بأن يأخذ بالأسباب كالجيش وغيره ويأتي النصر من عند الله ، أما مغفرة الذنوب فمن الله وحده ولا تحتاج لجمع لأنه هو وحده الذي يغفر (ومن يغفر الذنوب إلا الله) فضمير التعظيم لا يمكن أن يستمر إلى نماية الآيات فلابد من وجود شيء

يدل على الإفراد ومثال آخر ما جاء في سورة النبأ معظم الآيات فيها ضمير التعظيم (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً { ٨ } وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً { ٩ } وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً { ٩ } وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً { ١ ١ } وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً { ١ ٢ } وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعَاشاً { ١ ١ } وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً { ١ ٢ } وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَاجاً وَهَاجاً وَهَاجاً وَهَاجاً وَهَاجاً وَهَاجاً وَهَا بَيْنَهُمَا الرحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً { ٣٧ } يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ اللَّهُ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً { ٣٨ }).

٢٥١ -قال تعالى : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ {١٦} الأنبياء) فهل إذا حُذف الحال (لاعبين) يكون الحكم مقيّداً؟

أو لا : يجب أن نوضح أن هناك وهم عند الطلبة فيما يتعلق بحذف الفضلة. عندما يقسم النحاة أركان الجملة إلى عُمدة (هي المسند والمسند إليه) وفضلة (وهي ما تبقى وهو ما ليس من أركان الجملة الأساسية) فالعمدة هو المبتدأ والخبر وما كان أصله مبتدأ وخبر والفعل والفاعل وإسم الفعل والباقي يسمى فضلة وتكملة ويقولون إن الفضلة يمكن الإستغناء عنها وهذا خطأ يمكن الإستغناء عنها وهذا خطأ لأن القصود بالإستغناء عنها الممكن أن تتألف الجملة بدون فضلة لكن لا يمكن أن تتألف الجملة من دون عمدة والإستغناء لا يعني الحذف وغير حذف لأن الفضلة والعمدة يمكن أن تتحذفا وجوباً أو جوازاً. إذن للسألة ليست قائمة على الذكر والحذف أو على المعنى أو غير المعنى إذا حذفنا الفضلة أن نستغني عنها أحياناً ، معنى الكلام يتوقف على الفضلة في كثير من الأحيان مثلاً (ولا تمش في الأرض مرحا) إذا حذفنا (مرحا) هل يستقيم المعنى؟ يتوقف على الفضلة في كثير من الأحيان مثلاً (ولا تمش في الأرض مرحا) إذا حذفنا (مرحا) هل يستقيم المعنى؟ وكذلك في الآية موضع وكذلك في قوله تعالى (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى) ما هو المعنى إذا حذفنا كُسالى؟ وكذلك في الآية موضع السؤال إذا حذفنا (لاعبين) فهل يستقيم المعنى؟ بالطبع لا يستقيم. ونأخذ مثالاً آخر إذا قلنا (إنما الميت من يعيش كثيبا) إذا حذفنا (كثيبا) ما يكون المعنى؟ وأحياناً يحذف الكلام وتبقى الفضلة ويكون المعنى واضح مثل (النار النار) حذفت العمدة هنا وجوباً ومع هذا استقام المعنى.

٢٥٢ - ما دلالة (أو فساد) في آية سورة المائدة؟

قال تعالى في سورة المائدة (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بَغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَكْمَ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مَّنْهُم بَعْدَ فَكَأَنَّمَا قَتْل النَّسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مَنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ {٣٢}) " أو فساد " معطوفة على " بغير نفس " بمعنى (أو بغير فساد) أي قتل النفس بغير أن تُفسد في الأرض لا يجوز.

٢٥٣ – ما الفرق البياني بين آية رقم (١٣٣) من سورة آل عمران وآية رقم (٢٦) من سورة الحديد؟ قال تعالى في سورة آل عمران (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آية٣٣٣) وقال تعالى في سورة الحديد (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا باللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَصْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَصْلُ الْعَظِيم) (آية ٢١)

السماء والسموات:

السماء في اللغة وفي المدلول القرآبي لها معنيان

١ - واحدة السموات السبع، كقوله تعالى: "ولقد زَيّنا السّماء الدنيا بِمَصاييح " الملك، وقوله: "إِنَّا زَيَّنًا السَّمَاء الدُّنْيَا بزينَةٍ الْكُواكِب" ــ الصافات: ٦

٢ - كل ما علا وارتفع عن الأرض

- فسقف البيت في اللغة يسمى سماء، قال تعالى: (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطُعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ) الحج : ١٥ ، يقول المفسرون : (أي ليمد حبلا إلى سقف بيته ثم ليخنق نفسه) فالسماء هنا بمعنى السقف

وقد تكون بمعنى السحاب: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) "الرعد: ١٧

- وقد تكون بمعنى المطر : (يرسل السماء عليكم مدرارا) نوح .

- وقد تكون بمعنى الفضاء والجو : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْم يُؤْمِنُونَ ﴾ ـــ النحل:٧٩

- وقوله عن السحاب: (فيبسطه في السماء كيف يشاء) .

و ذكر هذا الارتفاع العالي : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَلْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢٥)

فالسماء كلمة واسعة جدا قد تكون بمعنى السحاب أو المطر أو الفضاء أو السقف .

مثال آخر:

فالإنسان إذا خرج من جو الأرض انتقل إلى ظلام فلا يبصر، وبهذا تكون السماوات جزءا من السماء ، لأن السماء كل ما علا وارتفع مما عدا الأرض، والسماوات جزء منها بهذا المعنى الواسع الذي يشمل الفضاء والسقف والمطر والسحاب، فإن (السماء) تكون أوسع من (السموات) فهي تشملها وغيرها قال تعالى: (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَ فِي السَّمَاوَاتِ وَاللَّرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً) (الفرقان: ٦) وقال: (ربي يعلم القول في السماء والأرض) لأن القول أوسع من السر، فهو قد يكون سرا .

(وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئسَ الْمَصِيرُ) ـــ المجادلة: ٨ ، وقد يكون جهرا فهو أوسع من السر والسر جزء منه

فلما وسع قال (القول) وسع وقال (في السماء). ولما ضيق وقال (السر) قال (السماوات)

فبهذا المعنى الشامل تكون (السماء) أوسع بكثير من (السماوات)، ولذلك لما قال (السماوات) قال (عرضها السماوات)، ولكن عندما اتسعت اتساعا هائلا جاء بأداة التشبيه (عرضها كعرض السماء) لأن المشبه به عادة أبلغ من المشبه، فهي لا تبلغ هذا المبلغ الواسع الذي يشمل كل شيء

كلمة (السماء) تأتي عامة "والسماء بنيناها بأيد" ، "و في السماء رزقكم وما توعدون" ، "أأمنتم من في السماء.." ثم تتسع لأشياء أخرى، فعندما يقول: "سبع سموات طباقا" فهي ليست الفضاء ولا السقف ولا السحاب، فعندما اتسعت قال (كعرض السماء) وعلى هذا بني التعبير كله في الآيتين

سابقوا، سارعوا:

عندما قال (سارعوا) قال (عرضها السماوات والأرض)، وعندما قال (سابقوا) قال (كعرض السماء والأرض). أعدت للمتقين، أعدت للذين آمنوا:

عندما ضيق حددها للمتقين ثم وصفهم في الآيات التالية، وعندما وسع عمم القول ليسع الخلق (الذين آمنوا بالله ورسله) وهؤلاء المتقون جزء من الذين آمنوا، ولم يحدد عملا محددا لهؤلاء

سابقوا، سارعوا

كثرة الخلق المتجهين لمكان واحد تقتضي المسابقة، فإن قلّوا اقتضى ذلك المسارعة فقط، وليس المسابقة. اتسع المكان فاتسع الخلق، ذكر السماء التي تشمل السموات وزيادة، وذكر الذين آمنوا بالله ورسله وهي تشمل المتقين وزيادة، ثم زاد وقال: "ذلك فضل الله". لأن الفضل أوسع مما جاء في سورة آل عمران بل الفضل واضح إذ جاءت عامة

وكذلك لو لاحظنا الناحية الفنية لرأينا وضع كل واحدة يناسب ما هي فيه ، ففي سورة الحديد تتكرر عبارات (آمنوا بالله) و(الفضل العظيم) و(يضاعف لهم) ففيها تفضلات كثيرة. وكذلك وضع الواو في سارعوا ، آية آل عمران فيها متعاطفات ، أما الأخرى فبلا عطف و في آل عمران نرى المتقين والأمر بالتقوى يتكرر عدة مرات. ٢٥٤ – ما دلالة قوله تعالى : (أفلا يعقلون) في الآية ٦٧ من سورة النحل؟ وهل يعقل السكران؟

قال تعالى في سورة النحل : (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧)) وهذه الآية مكيّة وليست مدنية أي نزلت قبل تحريم الخمر.

والسَكَر في اللغة من أشهر معانيها: الخمر؛ وقسم قال أن من معانيها: الخلّ لكن الأشهر هو الخمر. وقد قال تعالى: (سكراً ورزقاً حسنا) ودلّ في هذا على أن ما يتخذه الإنسان من ثمرات النخيل والأعناب يكون إما سكراً (وهو ليس بالرزق الحسن) أو الرزق الحسن. ففي هذه الآية:

أو لا : إشارة إلى أن الخمر أو السكر ليس من الرزق الحسن مع أنه لم يكن قد نزل تحريمها لكنه أول تقسيم في مكة

والأمر الآخر : أنه لم يقل في الآية "لعلكم تشكرون" لأنه لم يجعل السكر من باب النعم حتى لا يشمل الشكر الخمر.

وثالثاً : أن استخدام كلمة (يعقلون) فيه تعريض بالخمر لأنه يزيل العقل فكأن الذي يعقل ينبغي أن ينتهي عنه.

والأمر الآخر : أن الخطاب في الآية لم يأت للمؤمنين وإنما فيما يتخذه الإنسان من ثمرات النخيل والأعناب (السكر والرزق الحسن).

والتعريض بالضد في اللغة فهذا سكران فهل يعقل؟ هذا للسخرية وأحياناً نعرّض الشيء بعكسه على سنن العربية والسياق هو القرينة التي تُعين على الفهم لأن أهل البلاغة واللغة والذين يتكلمون في علوم القرآن يجعلون السياق من أهم وأعظم القرائن للتعبير كما جاء في قوله تعالى (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاوُنَا أَوْ أَنْ نَفُعلَ فِي أَمُوالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) هود) فالتعبير (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) هو في الأصل مدح لكن إن وضعناه في سياق الآيات فهي استهزاء. وكذلك قوله تعالى (ذُق ْإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) الدخان) فالتعريض هذه الأشياء يمثل خطّاً في القرآن الكريم.

٥٥٧ - ما الفرق بين كلمة " ولد " و " غلام "واستخدام الفعل (يفعل) و (يخلق) في قصتي زكريا ومريم؟ قال تعالى في سورة مريم : (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبشِّرُكَ بِعُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ كَلَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩)) وقال في سورة آل عمران (فَنَادَتْهُ الْمَلَاثِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ رُبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩)) وقال في سورة آل عمران (فَنَادَتْهُ الْمَلَاثِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهُ يُبشِّرُكَ يَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَيَّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبً أَنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكَبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٠٤)) في تبشير زكريا – ميدي – عليه السلام – بيحي – عليه السلام – بيحي – عليه السلام –

وقال تعالى في سورة مريم : (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩)) وفي سورة آل عمران : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي اللَّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٥٤) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌّ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخُلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧)) في تبشير مريم بعيسى – عليه السلام –.

وإذا سألنا أيهما أيسر أن يفعل أو أن يخلق؟ يكون الجواب أن يفعل ونسأل أحلهم لم تفعل هذا فيقول أنا أفعل ما أشاء لكن لا يقول أنا أخلق ما أشاء. فالفعل أيسر من الخلق .

ثم نسأل سؤالاً آخر أيهما أسهل الإيجاد من أبوين أو الإيجاد من أم بلا أبّ؟ يكون الجواب بالتأكيد الإيجاد من أبوين وعليه جعل تعالى الفعل الأيسر (يفعل) مع الأمر الأيسر وهو الإيجاد من أبوين، وجعل الفعل الأصعب (يخلق) مع الأمر الأصعب وهو الإيجاد من أم بلا أبّ.

هذا بالنسبة لما يتعلق بفعل (يفعل) و (يخلق) أما ما يتعلق باستخدام كلمة (ولد) أو (غلام) : إن الله تعالى لما بشر زكريا ييجيى قال تعالى (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُو قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُمشِّرُكَ يَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)) فكان رد زكريا (قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَالْمرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ (٤٠)) لأن البشارة جاءت بيجيى ويجيى غلام فكان الجواب باستخدام كلمة (غلام). أما لمّا بشر مريم بعيسى قال تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهُ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسيحُ (غلام). أما لمّا بشر مريم بعيسى قال تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهُ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسيحُ (غلام). أما لمّا بشر مريم بعيسى قال تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسيحُ (غلام). أما لمّا بشر مريم بعيسى قال تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٥٤)) فجاء ردّها (قَالَتْ رَبَّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ مَنِ الْمُقَرِّبِينَ (٥٤)) في سورة آل عمران يَمُولُ لَكُنْ فَيكُونُ (٤٤)) في سورة آل عمران لأنه جاء في الآية (إذا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيكُونُ)

ولّما كان التبشير باستخدام (كلمة منه) جاء الردّ بكلمة (ولد) لأن الولد يُطلق على الذكر والأنثى وعلى المفرد والجمع وقد ورد في القرآن استخدامها في موضع الجمع (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) الكهف).

أما في سورة مريم فجاء التبشير في قوله تعالى (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩)) باستخدام كلمة (غلام) فجاء ردّ مريم (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠)) باستخدام نفس الكلمة (غلام) لأن الملك أخبرها أنه يشرها بغلام. أما مع زكريا وتبشيره يبحيى فقد جاء أيضاً في سورة مريم بنفس الكلمة (غلام) فكان الرد في الآيتين باستخدام كلمة (غلام).

وقد يقول بعض المستشرقون أن هذا يدل على تناقض في القرآن فنقول إن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

٢٥٦ – ما الفرق بين استخدام كلمة (الله) وكلمة (مسخّرات) في سورة النحل وكلمة (الرحمن) و(صافّات) في سورة الملك؟

قال تعالى في سورة النحل (أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩)) وقال في سورة الملك (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩))

أولاً وللعلم أن كلمة " الرحمن " لم ترد في سورة النحل كلها (١٢٨ آية) بينما وردت أربع مرات في سورة الملك (٣٠ آية).

كلمة الله في سورة النحل وردت ٨٤ مرة بينما وردت في الملك ثلاث مرات هذا من حيث السمة اللفظية . وللعلم أيضاً لم يرد إسناد الفعل (سخّر) في جميع القرآن إلى الرحمن وهذا هو الخط العام في القرآن وإنما ورد (سخرنا، ألم تر أن الله سخر) ولهذا حكمة بالتأكيد.

الأمر الآخر أن السياق في سورة المُلك هو في ذكر مظاهر الرحمن (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النَّشُورُ (١٥)) حتى لما حذرهم محذرهم بما أنعم عليهم من قبل (وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨)) ولم يقل "فكيف كان عقاب" كما جاء في آية سورة الرحمة (وَلَقَدِ اسْتُهْوْرَى بَرُسُلِ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفُرُوا ثُمَّ أَحَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٦)) وهذا من مظاهر الرحمة (هُو الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْوَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ التُشُورُ (٥١)) (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُو جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ التُشُورُ (٥١)) (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُو جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ التُشُورُ (٥١)) (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُو وَنُفُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُو وَنُفُورٍ (٢٠)) فالسياق في السورة إذن في مظاهر الرحمن. أما في سورة النحل فالسياق في التوحيد والنهي عن الشرك (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْء وَمُنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُو يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ (٢٠) فالمَا يَعْدُرُ عَلَى شَيْء وَهُو كَلَّ عَلَى مَوْلُاهُ الْحَمْدُ لِلَهِ بَلْ يَعْدُورُ عَلَى شَيْء وَهُو كَلِ عَلَى عَوْلَاهُ وَلَوْ (إللهُ) مَاخُوذُ مَن العادة فهو الأنسب هنا ؛ هذا أمر.

والأمر الآخر قال في سورة النحل (مسخّرات) من باب القهر والتذليل ولا يناسب الرحمة وليس من باب الإختيار ، بينما في سورة الملك جعل اختيار (صافّات ويقبضن) من باب ما يفعله الطير ليس فيها تسخير وإعطاء الإختيار من باب الرحمة ثم ذكر حالة الراحة للطير (صافّات) وهذا أيضاً رحمة. إذن لفظ (الرحمن) مناسب لسورة الملك ولفظ (الله) مناسب لسورة النحل.

٢٥٧ – ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة (الرحمن) في قوله تعالى في سورة مريم (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٥٤)) مع أن الأمر متعلق بالعذاب ولم يقل مثلاً الجبّار؟ لو نظرنا إلى الآية التي سبقت هذه الآية نجد قوله تعالى : (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤)) وقد ذكر فيها (الرحمن) أيضاً ، وللعلم نلاحظ أن لفظ (الرحمن) تكرر في هذه السورة ١٦ مرة وهي أكثر

(£ £)) وقد دكر فيها (الرحمن) ايضا ، وللعلم نلاحظ ان لفظ (الرحمن) تكرر في هده السورة 17 مره وهي اكثر سورة تكرر فيها لفظ (الرحمن) في القرآن. وهذا يدل على أن جو الرحمة يشعّ في السورة من قوله تعالى (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيًّا (٢)) و (وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْق عَلِيًّا (٥٠)) (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَيًّا (٣٥)) و (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٣٦)) .

أما السؤال نفسه فنرى أن الآية التي جاءت بعد الآية في السؤال (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧)) وهنا لا يصح أن يقول "سأستغفر لك الجبّار" لأن المغفرة تُطلب من الرحمن وليس من الجبّار ، ولعله تدركه الرحمة فيؤمن لأن إبراهيم – عليه السلام – كان حريصاً على إيمان أبيه آزر.

٢٥٨ – ما اللمسة البيانية في استخدام كلمة (السماء) في آية سورة العنكبوت وعدم استخدامها في آية سورة الشورى؟

قال تعالى في سورة الشورى (وَمَا أَثْتُمْ بِمُعْجَزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرِ (٣٦)) وقال في سورة العنكبوت (وَمَا أَثْمُ بِمُعْجَزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرِ (٢٣)) والأمر الذي يوضح السياق هو آية سورة هود أيضاً (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذَبًا أُولَئِكَ يُعْوَضُونَ عَلَى وَالْمِمْ وَيَقُولُ الْأَسْهَادُ هَوُلُاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّلْمِينَ (١٨) أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجَزِينَ فِي الْرَّرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَولِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُنْصِرُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُنْصَرُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُنْصَرُونَ الْمَالِمِ فَى الكلام على الكلام على اللهُ تعلى في الأرض وفي شؤون أهل الأرض (وَلُو بَسَطَ اللهُ الرِّوْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعُوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُعَزِّلُ الْقَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتُهُ وَهُو الْولِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨) وهُو اللّذِي يُولِلْ بَعَنْ اللّهُ الْحَلْقُ الْمَالسياق في وَمِنْ اللّهِ يَسِيرٌ (١٩)) وهذا هو الندي يوصل إلى ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ (١٩)) وهذا هو الذي يوصل إلى ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ (١٩)) وهذا هو الذي يوصل إلى

السماء، سيكون البحث والنظر والتدبر للعلم سيجعله يصعد للسماء وحتى عند ذلك لن يكون معجزاً. وهذا الذي يجعل الإنسان ينفذ إلى السماء. ثم إن كلمة (السماء) نفسها لم ترد في سورة الشورى أبداً لكنها وردت في سورة العنكبوت ٣ مرات وفي سورة هود مرتين وبهذا فإن سورة العنكبوت هي التي ورد فيها ذكر السماء أكثر من السورتين الباقيتين ولهذا ذُكرت (السماء) في آية سورة العنكبوت ولم تُذكر في آية سورة الشورى أو آية سورة هود. فالسمة التعيرية للسورة أنه سوف تصعدون إلى السماء لكنكم لا تكونوا معجزين هناك.

٢٥٩ – ما دلالة ظاهرة تذكير الفاعل المؤنث في القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين جاءهم اليّنات) و (وما كان صلاهم) و (يا نساء النبي من يقنت منكن)؟

تذكير الفاعل المؤنث له أكثر من سبب وأكثر من خط في القرآن الكريم. فإذا قصدنا باللفظ المؤنث معنى المذكر جاز تذكيره وهو ما يُعرف بالحمل على المعنى. وقد جاء في قوله تعالى عن الضلالة (فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ التَّحَنُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٠) الأعراف) وقوله تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ أُعْبُلُوا اللَّهَ وَاجْتَنبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةً الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) النحل. ونرى أنه في كل مرة يذكر فيها (الضلالة) بالتَذكير تكون (الضلالة) بمعنى العذاب لأن الكلام في الآخرة (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) الأعراف) وليس في الآخرة ضلالة بمعناها لأن الأمور كلها تنكشف في الآخرة. وعندما تكون (الضلالة) بالتأنيث يكون الكلام في الدنيا فلمّا كانت الضلالة بمعناها هي يؤنّث الفعل.

وكذلك بالنسبة لكلمة (العاقبة) أيضاً تأتي بالتذكير مرة وبالتأنيث مرة ، وعدما تأتي بالتذكير تكون بمعنى العذاب أو قد وردت في القرآن الكريم ١٢ مرة بمعنى العذاب أي بالتذكير كما في قوله تعالى : (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (١١) الأنعام) و(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (١٤) الأنعام) و(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (١٤) الصافّات). وعندما تأتي بالتأنيث لا تكون إلا بمعنى الجنة كما في قوله تعالى (وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ في قوله تعالى (وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) القصص).

• ٢٦ – لماذا جاءت (لآياتنا) باللام ولم تأت (بآياتنا) بالباء في سورة المدثر (كُلًّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنيدًا (١٦))؟

قال تعالى في سورة المدشر : (كلًّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنيدًا (٢٦)) هذا أمر نحوي لأن الفعل هو عاند وهو فعل يعدى بنفسه (عاندته وعاندت قوله) و المتعدي بنفسه هذا عندنا أمرين يمكن أن يوصل المفعول باللام وتسمى لام المقوية في حالتين: يُدخل اللام على المفعول به يعني فيما هو لو حذفناها يرجع مفعول به نأتي باللام إن شتنا (لام المقوية) : الحالة الأولى أن يتقدم المفعول به على فعله كما في قوله تعالى : (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفُصَبُ أَخَذَ الْأَلُوا حَ وَفِي السُختِيَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِربَّهِمْ يَرْهُبُونَ (٤٥٠) الأعراف) والمقصود يرهبون ربحم، والثاني إذا كان العلمل فرعاً على الفعل كأن يكون إسم فاعل أو صيغة مبالغة كما في قوله تعالى : (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُ مُصَدِقًا لِمَا يُمْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعَبَادِهِ لَحَجَيرٌ بَصِيرٌ (٣١) فاطر) فعل (صدّق) يعدى بنفسه والأصل هو "مصدقاً المعه" ويصح قوله لكن جاء باللام المقوية لأن العامل فرع على الفعل كقوله تعالى : (حَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السُوال ونقول : إن فيها تقديم وصيغة مبالغة: قدّم المفعول به على الفعل (لآياتنا) مبالغة. ونعود إلى الآية موضع السؤال ونقول : إن فيها تقديم وصيغة مبالغة: قدّم المفعول به على الفعل (لآياتنا) والعامل فرع وعلى صيغة مبالغة (عنيد) من عاند وهذا كما قلنا أمر نحوي ويصح أن يُؤتى باللام المقوية فلا يقتضي الإيمان المباء (بآياتنا). والغرض منها عند النحاة أن الفعل إذا تقدّم يكون في أقوى حالاته في العمل فإذا تأخر كان أضعف فيؤتى باللام للتقوية وأنا شخصياً أقول أضعف في العمل لفقد يؤتى باللام للتقوية وأنا شخصياً أقول أضعف في العمل لفقد يؤتى باللام الوادة وعندما يكون فرعاً يكون أضعف فيؤتى باللام للتقوية وأنا شخصياً أقول

التوكيد. التوكيد الذي يُدرس في النحو هو توكيد صناعي والتوكيد باب كبير في اللغة وليس هناك باب لا يدخل فيه التوكيد مثلاً التوكيد بالجار والمجرور كما في قوله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه) المعلوم أن الطائر يطير بجناحيه ومع هذا جاءت كلمة بجناحيه للتوكيد، والظرف المؤكّد كما في قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً) الإسراء يكون ليلاً وقوله تعالى : (فخرَّ عليهم السقف من فوقهم) والسقف سيخر بالتأكيد من فوقهم، كلها فيها توكيد.

٢٦١ – قال تعالى في سورة البقرة : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) الآية تحث على الصلاة وقد
 توسطت آيات الطلاق و الوفاة فما دلالة هذا!

أقول والله أعلم أن المشكلات بين الزوجين وأحداث الطلاق أو الوفاة قد تؤدي إلى أن يحيف أحد الزوجين على الآخر وقد يؤدي هذا إلى ظلم الآخر والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فأمر الله تعالى بالصلاة حتى لا يحيف أحدهما أو يظلم الآخر ويذكّره بالعبادة. وقد ينتصر أحد الزوجين لنفسه فأمره الله تعالى بالصلاة حتى لا يقع في ذلك. ونذكر أنه في آية أخرى عندما فقد الأمن وفي حالة الخوف أمر تعالى بالصلاة أيضاً (وَإِذَا ضَرَبُتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاة قد يكون حتى لا ينشغل الزوجين بالمشكلات عن الصلاة فيتركوها. (١٠١) النساء). وكذلك الأمر بالصلاة قد يكون حتى لا ينشغل الزوجين بالمشكلات عن الصلاة فيتركوها.

قال تعالى في سورة النحل (وَاللَّهُ حَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)) وقال في سورة الحج (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْب مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا حَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَاب ثُمَّ مِنْ تُطُفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُحَلَّقَةٍ وَغَيْرٍ مُحَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَل مُسَمَّى ثُمَّ فَنْ يُودُ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا فَخُرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِبَنْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفِّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَوَّتُ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْج بَهِيج (٥)) .

أولاً: خط المصحف لا يقاس عليه أصلاً لكن يبدو في هذا الرسم ملحظ بياني والله أعلم في أكثر من موطن. فمرة تكتب (لكي لا) مفصولة ومرة (لكيلا) موصولة. وأقول أن هذا ليس فقط للخط وإنما لأمر يباني هو كما ذكرنا سابقاً عن القرق بين (من بعد علم) و(بعد علم) وقلنا: أن (من) هي ابتداء الغاية أما (بعد علم) فقد يكون هناك فاصل بين هذا وذاك وذكرنا أمثلة (من فوقها) أي مباشرة وملامسة لها أما فوقها فلا تقتضي الملامسة بالضرورة. فمن حيث المعنى (وقالوا قلوبنا في أكنة) مباشرة يشمل كل المسافة بينهما ولو قال "بيننا" لما أفادت نفس المعنى، وقوله تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سدا) بالا فاصلة. "لكي لا يعلم بعد علم" تحتمل الزمن الطويل والوصل أما قوله (لكي لا يعلم من بعد علم) وعندما وصل بينهما وصل (لكي لا يعلم من بعد علم) فهي مباشرة بعد العلم فلمّا احتمل الفاصل فصل (لكي لا) وعندما وصل بينهما وصل (لكيلا).

وفي القرآن الكريم أمثلة أخرى على مثل هذا كما في آية سورة الأحزاب (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكُ وَوَجُناكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَاتِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)) كتبت (لكي لا) منفصلة لأنه لا يحلّ الزواج بامرأة أخرى إلا بعد انفصالها عن زوجها الأول وقضاء العدّة ؛ فلا يصح إذن الزواج بما إلا بعد الإنفصال فجاء رسم (لكي لا) منفصلاً.

و في آية أخرى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَابْنَاتِ عَمِّكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ تَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ تَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَثْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَثْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَاتُهُمْ لِكَيْلًا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠) الأحراب ليس في الآية انفصال فالكلام عن أزواج الرسول وهنا الإتصال قائم فالإنسان مع زوجته في اتصال قائم وليس هناك فصل لذا جاءت (لكيلا) متصلة.

وفي آية أخرى (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَائْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) الحشر) فصل (كي لا) هنا لأنه يريد أن يفصل الأموال لأنها لا تنبغي أن تبقى دُولة بين الأغنياء وإنما يجب أن تتسع الأموال لتشكل الفقراء فاقتضى الفصل في رسم (كي لا) في هذه الآية. وفي آية أخرى (إذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُوونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثْابَكُمْ غَمَّا بِعَمِّ لِكَيْلَا تَحْرَنُوا وفي آية أخرى (إذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُوونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثْابَكُمْ غَمَّا بِعَمِّ لِكَيْلَا تَحْرَنُوا وفي آية أخرى (إذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُوونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمَّا بِعَمِّ لِكَيْلَا تَحْرَنُوا وفي آية أخرى (إذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُولُ وَنَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمَّا بِعَمِّ لِكَيْلَا تَحْرَنُوا وفي آية أخرى (إذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُولُ اللهُ عَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٣٥٠) آل عمران) جاءت (لكيلا) متصلة لأن المعنى يدل على أن الغمّ متصل بالغمّ ؛ غمّ الهزيمة وغمّ فوات الغنائم وهذا اقتضى الوصل فوصل (لكيلا). وهذا الأمر نقول أنه من باب الجواز فهو جائز أن تكتب (لكيلا) متصلة أو منفصلة (لكي لا) لكنها تُرسم أيضاً بما يتناسب مع الناحية اليانية والبلاغية بحيث تتناسب مع الأحكام.

٢٦٣ – ما دلالة رسم كلمة " الصلوة " و" الزكوة " في القرآن بالواو؟

هذا رسم المصحف وهو قائم على أمرين: أولاً أن أصل الألف فيهما واو من (صلى – يصلو) و(زكى – يزكو) ثم إن جمع (صلاة) صلوات ، والأمر الثاني : أنه في بعض القراءات تُفخّم فتُمال إلى الواو لذا تُكتب بالواو. فهي تكتب بالواو إذن لأصلها وللقراءة.

أما كلمة (السموات) فهي أيضاً من خط المصحف وللعلم أنه حين كُتب القرآن كان حرف العلة (الواو، الألف والياء) لا يُرسم هذا كاتجاه عام ثم تغيّر الخط لاحقاً فأصبحت حروف العلة تُرسم. إذن الكُتّاب لم يبتدعوا خطاً خاصاً للقرآن وإنما هو الخط المتّبع آنذاك.

٢٦٤ - ما الفرق بين كلمة (الكره) بفتح الكاف و(الكُره) بضمها؟

(الكَره) – بفتح الكاف – هو ما يأتي من الخارج يقابله الطوع كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) النساء) وقوله تعالى (قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) التوبة) وقوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِثْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١٩))

أما (الكُره) – بضم الكاف – فهو ما ينبعث من الداخل ففي قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرِّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَثْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) البقرة) أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ شَرِّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَثْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) البقرة) جاءت كلمة (الكُره) لأن الإنسان بطبيعته يكره القتال وكذلك في قوله تعالى (ووَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَصَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبَّ أَوْزعْني

أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرَيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) الأحقاف) الحمل في نفس الأم ثقيل ليس مفروضاً عليها وإنما آلام الوضع والحمل وأي إنسان لا يريد المشقة لنفسه أصلاً.

٢٦٥ - لماذا يأتي الخطاب في الحديث عن الصلاة والزكاة في القرآن للمؤمنين أما في الحج فيكون الخطاب للناس؟

الصلاة والزكاة كان مأمور بهما من تقدّم من أهل الديانات كما جاء في قوله تعالى عن إسماعيل – عليه السلام – (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٤٥) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥) مريم) وفي قوله تعالى عن عيسى – عليه السلام – (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥) مريم) وفي قوله تعالى عن عيسى – عليه السلام – (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) مريم) وفي الحديث عن بني إسرائيل (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآثُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٣٤) البقرة). أما الحج فهو عبادة خاصة للمسلمين وعندما يكون الخطاب دعوة للناس إلى الحج فكألها هي دعوة لدخول الناس في الإسلام. أما إذا كانت دعوة الناس للصلاة والزكاة فهم أصلاً يفعلونها في عباداتهم. ٣٦٦ – ما دلالة استخدام (لا) في قوله تعالى (ما منعك ألا تسجد)؟

قال تعالى في سورة الأعراف (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَوْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَي مِنْ نَارِ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينَ (١٢)) وقال في سورة ص (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتُكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥))

النحويون يقولون أن (لا) زائدة فهي لا تغيّر المعنى وإنما يُراد بها التوكيد ومنهم من قال ألها صلة. وليس قولهم ألها زائدة يعني أنه ليس منها فائدة إنما حذفها لن يغيّر المعنى لو حُذفت. فلو قلنا مثلاً (والله لا أفعل) وقلنا (لا والله لا أفعل) فلعنى لن يتغير برغم أننا أدخلنا (لا) على الجملة لكن معناها لم يتغير. أما في آيات القرآن الكريم فلا يمكن أن يكون في القرآن زيادة بلا فائدة. والزيادة في (لا) بالذات لا تكون إلا عند من أمن اللبس، بمعنى أنه لو كان هناك احتمال أن يفهم السامع النفي فلابد من زيادها. في قوله تعالى : (لِنَلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْء مِنْ فَضْل اللهِ وَأَنَّ الْفَصْلَ بِيَدِ اللهِ يُوْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْقَصْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) الحديد) معناها ليعلم أهل الكتاب ألهم لا يقدرون على شيء وإذا أراد الله تعالى أن يُنزل فضله على أحد لا يستطيع أحد أن يردّ هذا الفضل. فالقصد من الآية إعلامهم وليس عدم إعلامهم. لذلك قسم من النحاة والمفسرين يقولون أن اللام زائدة أو صلة.

وفي قوله تعالى (قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) طه) هي ليست نافية ولكنها بمعنى من منعك من اتباعي. وفي قوله تعالى : (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتِي مِنْ وَلَكُنها بمعنى من منعك من اتباعي. وفي قوله تعالى يحاسب إبليس على عدم السجود ولو جعلنا (لا) نافية يكون المعنى أنه تعالى يحاسبه على الشجود وهذا غير صحيح. ولهذا قال تعالى في سورة ص (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ أَنْ تَسْجُدَ لَمُن عَلَيْ السجود وهذا غير صحيح. ولهذا قال تعالى في سورة ص (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لَمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكُبُوْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)). إذن (لا) مزيدة للتوكيد جيء بها لغرض التوكيد لأن المعلوم أن يحاسبه على عدم السجود.

لكن يبقى السؤال لماذا الإختيار بالمجيء بــ (لا) في آية وحذفها في آية أخرى؟ لو نظرنا في سياق قصة آدم –عليه السلام – في الآيتين في سورة الأعراف وسورة ص لوجدنا أن المؤكّدات في سورة الأعراف أكثر منها في سورة ص ففي سورة الأعراف جاءت الآيات (لأقعدنّ، لآتينهم، لأملأن، إنك، وغيرها من المؤكّدات) . وكذلك القصة في

سورة الأعراف أطول منها في سورة ص ، ثم إن مشتقات السجود في سورة الأعراف أكثر (٩ مرات) أما في سورة الاسجود في سورة الأعراف جاءت (ما منعك ألا تسجد). ثم هناك أمر آخر انتبه له القدامي في السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة وهي أن هذه الأحرف تطبع السورة بطابعها فعلى سبيل المثال: سورة ق تطبع السورة بالقاف (القرآن، قال، تنقص، فوقهم، باسقات، قبلهم، قوم، حقّ، خلق، أقرب، خلقنا، قعيد، وغيرها) وسورة ص تطبع السورة بالصاد (مناص، اصبروا، صيحة، فصل، خصمان، وغيرها..) حتى السور التي تبدأ بــ (الر) تطبع السورة بطابعها حتى أن جعفر بن الزبير أحصى ورود الر ٢٢٠ مرة في السورة. وسورة الأعراف تبدأ بــ (المسياق وفي الآية موضع السؤال اللام والألف وهما أحرف (لا) فناسب ذكر (لا) في آية سورة الأعراف وناسب كذلك السياق والمقام.

وعليه مثلاً من الخطأ الشائع أننا نقول أعتذر عن الحضور وإنما الصحيح القول: أعتذر عن عدم الحضور. ٢٦٧ – ما الفرق البياني بين قوله تعالى (من مثله) و(مثله)؟

تحدّى الله تعالى الكفار والمشركين بالقرآن في أكثر من موضع فقال تعالى في سورة البقرة : (وَإِنْ كُشُمْ فِي رَيْب مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُشُمْ صَادِقِينَ (٢٣)) وقال في سورة يونس : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)) و في سورة هو د (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُشُمْ صَادِقِينَ (١٣٨)).

أو لا : ينبغي أن نلحظ الفرق في المعنى بين (من مثله) و (مثله) ثم كل آية تنطبع بطابع الفرق هذا. فإذا قلنا مثلا : إن لهذا الشيء أمثالاً فيقول: "ائتني بشيء من مثله" فهذا يعني أننا نفترض وجود أمثال لهذا الشيء أما عندما نقول: "ائتني بشيء مثله" فهذا لا يفترض وجود أمثال لكنه محتمل أن يكون لهذا الشيء مثيل وقد لا يكون فإن كان موجوداً فافعل مثله. هذا هو الفرق الرئيس ينهما.

هذا الأمر طبع الآيات كلها . أو لا قال تعالى في سورة البقرة (وإن كنتم في ريب) وفي آيتي سورة يونس وهود قال تعالى (افتراه) وبلا شك (إن كنتم في ريب) هي أعمّ من (افتراه) أن مظنة الإفتراء أحد أمور الريب (يقولون ساحر ؛ يقولون يعلمه بشر ؛ يقولون افتراه) أمور الريب أعم وأهم من الإفتراء ؛ والإفتراء واحد من أمور الريب.

والأمر الآخر أننا نلاحظ أن الهيكلية قبل الدخول في التفصيل (وإن كنتم في ريب) أعمّ من قوله (افراه) و (من مثله) أعمّ من (مثله) لماذا؟ لو لاحظنا المفسرين نجد ألهم وضعوا احتمالين لقوله تعالى (من مثله) فمنهم من قال (من مثله) أي من مثل القرآن ؛ وآخرون قالوا أن (من مثله) أي من مثل هذا الرسول الأمي الذي ينطق بالحكمة ؛ أي فأتوا بسورة من القرآن من مثل رجل أمي كالرسول – صلى الله عليه وسلم –. وعليه فإن (من مثله) أعمّ لأنما تحتمل المعنيين أما (مثله) فهي لا تحتمل إلا معنى واحداً وهو مثل القرآن ولا تحتمل المعنى الثاني. الإحتمال الأول أظهر في القرآن ولكن اللغة تحتمل المعنيين. وعليه فإن (إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) أعم من (مثله). أعم من (أم يقولون افيراه فأتوا بسورة مثله) لأن (إن كنتم في ريب) أعمّ من الإفتراء و (من مثله) أعمّ من (مثله). ثم هناك أمر آخر : وهو أنه حذف مفعولين الفعلين المتعديين (تفعلوا) في قوله تعالى (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) والحذف قد يكون للإطلاق في اللغة كأن نقول: "(قد كان منك ما يؤذيني" هذا خاص و" قد كان منك ما يُؤذي" وهذا عام. وإن كان المعنى في الآية هنا محدد واضح لكن الحذف قد يعنى الإطلاق عموماً (سياق التحديد ظاهر جداً وهذا عام. وإن كان المعنى في الآية هنا محدد واضح لكن الحذف قد يعنى الإطلاق عموماً (سياق التحديد ظاهر جداً

والحذف قد يأتي في مواطن الإطلاق فحذف هنا).

ونسأل هنا هل يمكن أن نضيف كلمة " مفتراة " في آية سورة البقرة فيقول مثلاً : "فأتوا بسورة من مثله مفتراة " ؟ في آية سورة البقرة (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْب مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)) كما قال في (مُفتريات) في سورة يونس؟

فنقول أن هذا التعبير لا يصح من جهتين: أو لا هم لم يقولوا "افتراه" كما قالوا في سورة يونس وهود. والأمر الآخر وهو المهم: أنه لا يُحسن أن يأتي بعد "من مثله" بكلمة " مفتراة " لأنه عندما قال "من مثله" افترض وجود مثيل له فإذن هو ليس مفترى و لا يكون مفترى إذا كان له مثيل ، إذن تنتفي صفة الافتراء مع افتراض وجود مثل له. والأمر الآخر: لا يصح كذلك أن يقول في سورتي يونس وهود مع الآية (أم يقولون افتراه) أن يأتي ب "فاتوا بسورة من مثله" بإضافة (من) وإنما الأصح كما جاء في الآية أن تأتي كما هي باستخدام "مثله" بدون "من" (فأتوا بسورة مثله) لأن استخدام "من مثله" تفترض أن له مثل ، إذن هو ليس بمفترى و لا يصح بعد قوله تعالى : (أم يقولون افتراه) أن يقول (فأتوا بسورة من مثله) لنفس السبب الذي ذكرناه سابقاً. إذن لا يمكن استبدال أحدهما بالأخرى أي لا يمكن قول (مثاله) في سورتي يونس وهود.

والأمر الآخر أيضاً: أنه تعالى قال في آية سورة البقرة: (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ولم يقل "ادعوا من استطعتم" كما قال في سورة يونس: (وَادْعُوا مَنِ اسْتطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ونسأل لماذا جاءت الآية في سورة يونس وهود بـ (وادعوا وادعوا من استطعتم) ولم تأتي في آية سورة البقرة؟ ونقول أنه في آية سورة البقرة عندما قال (من مثله) افترض أن له مثل إذن هناك من استطاع أن يأتي بهذا المثل وليس المهم أن تأتي بمستطيع لكن المهم أن تأتي بما جاء به فلماذا تدعو المستطيع إلا ليأتي بالنصّ؟ لماذا تدعو المستطيع في سورة البقرة طالما أنه افترض أن له مثل وإنما صحّ أن يأتي بقوله (وادعوا شهداءكم) ليشهدوا إن كان هذا القول مثل هذا القول فالموقف إذن يحتاج إلى شاهد محكّم ليشهد بما جاءوا به وليحكم بين القولين. أما في آية سورة يونس وهود فالآية تقتضي أن يقول (وادعوا من استطعتم) ليفتري مثله، هم قالوا "افتراه" فيقول تعالى ذا دعوا من يستطيع أن يفتري مثله كما يقولون. إذن فقوله تعالى (وادعوا من المتطعتم) ليفتري فلدعوة للمستطيع فقط.

ومما سبق نلاحظ أن الآية في سورة البقرة بُنيت على العموم أصلاً (لا ريب، من مثله، الحذف قد يكون للعموم، ادعوا شهداءكم). ثم إنه بعدهذه الآية في سورة البقرة هدّد تعالى بقوله (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتُ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)) والذي لا يؤمن قامت عليه الحجة ولم يستعمل عقله فيكون بمنزلة الحجارة.

و نلاحظ أيضاً أن الآية في سورة البقرة (وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبِ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)) جاءت مناسبة لما جاء في أول السورة (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣)) جاءت مناسبة لما جاء في أول السورة ثم جاءت هذه الآية (وإن كسم في هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)) ومرتبطة بما حيث نفى الريب عن الكتاب في بداية السورة ثم جاءت هذه الآية جاءت مباشرة بعد الآية في بداية السورة هذا "الكتاب لا ريب فيه"، و"إن كسم في ريب".

ثم نسأل لماذا قال تعالى (ولن تفعلوا)؟ نقول أن قوله تعالى : (فإن لم تفعلوا) هي الشرط وقوله تعالى (ولن تفعلوا) هي جملة اعتراضية بغرض القطع بعدم الفعل وهذا يناسب قوله تعالى (لا ريب فيه) .

ثم إن هناك سؤالاً آخر كان قد ورد سابقاً عن دلالة استخدام إسم الإشارة للبعيد (ذلك) في مطلع سورة البقرة (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)) بينما في آيات أخرى جاء إسم الإشارة القريب "هذا" كما في قوله تعالى في سورة الإسراء (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوُمُ وَيُسَثِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩))؟ ونقول أنه تعالى عندما قال (ذلك الكتاب لا ريب فيه) ثم دعا من يستطيع أن يأتي بمثله وهذا أمر بعيد الحصول وفيه إشارة إلى ألهم لن يستطيعوا أن يصلوا إليه أصلاً. أما استخدام إسم الاشارة "هذا" فجاء مع الهدى الأن الهداية ينبغي أن تكون قريبة من أفهام الناس حتى يفهموا ويعملوا. أما في التحدي فيستعمل "ذلك" لأنه صعب الوصول إليه.

ثم نسأل لماذا حدد في آية سورة هود السور بعشر سور؟ هذا من طبيعة التدرج في التحدي يبدأ بالكل ثم بالأقل فالأقل.

٢٦٨ - في سورة المرسلات جاء ذكر جزاء الكافرين ثم جزاء المؤمنين ثم جاء قوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم
 مجرمون) فما دلالة هذا الترتيب؟

الأمر يحتاج إلى توضيح فسورة المرسلات جاء بخط معين هي بدأت بعد القسم (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) بذكر المشهد الأول من أحداث يوم القيامة (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجَبَالُ نُسفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١)) ثم بعدها عاد إلى مخاطبة الناس وتذكيرهم ليتعظوا فذكرهم بنعمة الخلق وقوله (ألم نهلك الأولين الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١)) ثم عاد إلى ذكر الجزاء حسب التسلسل جزاء المكذبين ثم جزاء المتقين وهذا تسلسل طبيعي (انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ ثُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَب (٣٠) لَا ظَلِيلِ وَلَا يُعْنِي مِنَ اللَّهَبِ طبيعي (انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ ثُكَذِّبُونَ (٩٦) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَب (٣٠) لَا ظَلِيلِ وَلَا يُعْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١)) ثم جزاء المتقين (إِنَّ الْمُتَقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (١٤)) ثم عاد إلى مخاطبة الناس يذكّرهم على الطريقة الأولى (كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُحْرِمُونَ (٤٦)) كيف يكون في الآخرة قليلاً فهذا الخطاب ليس من ضمن الجزاء وإنما خطاب للناس ليتعظوا (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٨٤)) . إذن المنهج الذي سار عليه في السورة هو ذكر أحداث يوم القيامة ثم تذكير الناس ثم ذكر الجزاء ثم تذكير الناس حتى يتعظوا.

٢٦٩ – ما هي دلالة التعليل بـــ (كي) في قوله تعالى : (كي تقرّ عينها ولا تحزن) وباللام في قوله تعالى : (ولتعلم)؟

قال تعالى: (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَذُلُكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِشْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى) (طه: ٤٠) وقال تعالى: (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ) (القصص: ١٣) التعليل بكي واللام:

قد يرد سؤال على الذهن يحتاج إلى إمعان نظر وهو: ما الفرق بين اللام وكي؟، وهل التعليل بهما متطابق؟ الحقيقة أنه لا يبدو هناك فرق واضح بينهما في التعليل، فهما متقاربان جدا، غير أن الذي يبدو أن الأصل في (كي) أن تستعمل لبيان الغرض الحقيقي، واللام تستعمل له ولغيره، فاللام أوسع استعمالاً من (كي)، وهذا ما نراه في الاستعمال القرآني

والظاهر من الاستعمال القرآني أن (كي) تستعمل للغرض المؤكد والمطلوب الأول، يدل على ذلك قوله تعالى: "فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق" القصص ١٣، فقد جعل التعليل الأول بـ (كي) "كي تقر عينها" والثاني باللام " ولتعلم أن وعد الله حق" والأول هو المطلوب الأول، والمقصود الذي تلح عليه الأم بدليل اقتصاره عليه في آية طه، قال تعالى: "فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن فالمطلوب الأول للأم هو رد ابنها إليها في الحال، أما جعله نبيا مرسلا، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: "ولتعلم أن وعد الله حق" فهو غرض بعيد، اذ هي محترقة لرد ابنها الرضيع إليها وهذا غرض كل أم سُلب منها ابنها، أعني أن يعاد إليها أولا، سواء كانت الأم مؤمنة، أم كافرة، بل هو مطلوب للأمهات من الحيوان، ولذا عللها في الموطنين بـ (كي) ولم يعلله باللام ثم إن أم موسى تعلم أن وعد الله حق لا يتخلف، وقد وعدها رئما بأنه سيرده إليها ويجعله من المرسلين: (إنا رادوه إليك موسى تعلم أن وعد الله حق لا يتخلف، وقد وعدها رئما بأنه معناه : الاطمئنان ؛ لا مجرد العلم، ولو قال (كي تعلم أن وعد الله حق) لكان المعنى أنما تجهل أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها" الكهف 11 وهذا في أصحاب الكهف وهم يعلمون أن وعد الله حق ولا شك، وكيف لا وهم فارقوا قومهم لإيمائهم بالله تعالى؟ فلو قال (كي يعلموا) وهم يعلمون أن وعد الله حق ولا شك، وكيف لا وهم فارقوا قومهم لإيمائهم بالله تعالى؟ فلو قال (كي يعلموا) حقيقي لا يتحقق إلا برد طفلها إليها يتبين مما مر أن (كي) تستعمل للغرض الحقيقي، أما اللام فهي أوسع استعمالا منها، وأن الجمع بينهما فيفيد التوكيد والله أعلم.

٢٧٠ - ما دلالة الآية (ألقينا فيها رواسي) ألم تكن الجبال مخلوقة من قبل؟

قال تعالى في سورة الحجر (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْمَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْجٍ بَهِيجٍ (٧)) وفي سورة الحجر (وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْمَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْجٍ بَهِيجٍ (٧)) وفي سورة النحل (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)) وسورة لقمان (حَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِعَيْرِ عَمَدِ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثُ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَابَّةٍ وَأَنْرَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَابَةٍ وَأَنْرَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثُ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَابَةٍ وَأَنْرَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثُ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَابَةٍ وَأَنْرَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (وَاللهِ أَنْهَارًا وَعِبْ الْمِلاحِظِ أَنه تعالى يقول (١٩٠٥)). هذا الله واحداً وقد درسنا أن بعض الجبال ألقى إلقاء بالبراكين (جبال بركانية) والزلازل أو قد تأتي بها الأجرام السماوية على شكل كُتل. وهناك شكل آخر من التكوين كما قال تعالى في سورة النمل (أَمَّنْ جَعَلَ اللَّرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَبَعَلَ اللهِ فِيهَا وَوَاسِيَ شَاهُونَ (٢٠)) وسورة الإنها فيها وَجَعَلَ فِيها رَوَاسِيَ شَاهِخَاتِ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَا فَي هُو مَنْ اللهِ يَعْلَى فِيها وَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلُّ الشَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيها وَوَاسِيَ شَائِهُ مِنْ كُلُ الشَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيها وَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلُّ الشَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيها وَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلُّ الشَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيها وَوَاسَقَيْنَاكُمْ مَا فَي فَعَلَ فِيها وَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلُ الشَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيها وَوَاسَةَ يَعْهَا وَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلُ الشَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيها وَوَاسَالَ وَالْهَارًا وَمِنْ كُلُ الشَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيها وَوَاسَقَوْنَا فَي اللهُ اللهُ وَلَاكُ الْقَمَا الْفَي مَلْكُ الشَّمَ الْقَالَ فَي فَلِكَ اللْفَعْرَ الللهُ عَلَى اللْعَلَ

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣))، وهذا يدل والله أعلم على أن هناك أكثر من وسيلة لتكوين الجبال. وكينونة الجبال تختلف عن كينونة الأرض فالجبال ليست نوعاً واحداً ولا تتكون بطريقة واحدة هذا والله أعلم.

۲۷۱ – ما الفرق بين قوله تعالى : (لا جُناح عليكم) وقوله تعالى : (ليس عليكم جناح)؟
 أولاً : (لا جناح عليكم) جملة إسمية، و (لا) هنا : هي لا النافية للجنس على تضمن من الاستغراقية والمؤكّدة

دخلت على المبتدأ والخبر، والنحاة يقولون أن (لا) في النفي هي بمثابة (إن) في الإثبات. ومن المسلمات الأولية في المعاني أن الجملة الإسمية أقوى وأثبت وأدل على الثبوت من الجملة الفعلية، وعليه يكون (لا جناح عليكم) مؤكّدة كونما جملة إسمية وكونما منفية بـ (لا) هذا من الناحية النحوية. أما الجملة (ليس عليكم جناح) فهي جملة فعلية ولا يمنع كون (ليس) ناسخاً لأن المهم أصل الجملة قبل دخول الناسخ عليها. هذا من حيث الحكم النحوي أن الجملة الإسمية أقوى وأثبت وأدل على الثبوت من الجملة الفعلية.

أما من حيث الاستعمال القرآني فإذا استعرضنا الآيات التي وردت فيها (ليس عليكم جناح) و(لا جناح عليكم) في القرآن نجد أن (لا جناح عليكم) تستعمل فيما يتعلق بالعبادات وتنظيم الأسرة وشؤونها والحقوق والواجبات الزوجية والأمور المهمة، أما (ليس عليكم جناح) تستعمل فيما دون ذلك من أمور المعيشة اليومية كالبيع والشراء والتجارة وغيرها مما هو دون العبادات في الأهمية. ونورد الآيات القرآنية التي جاءت فيها الجملتين: لا جناح عليه :

في سورة البقرة: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَوَاجَعَا إِنْ ظَنَّا وَلَا عُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَوَاجَعَا إِنْ ظَنَّا وَلَا عُلَيْهِمَا وَاللَّهُ عَلَيْهِمَا وَاللَّهُ عَلَيْهِمَا وَالْ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَالْ أَرْدَثُهُمْ أَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ (٢٣٣) (فَإِذَا بَلَعْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ (٢٣٣) (فَإِذَا بَلَعْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضَتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكَنْتُهُمْ فِي اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضُتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَتُهُمْ فِي اللَّهُ عَلَى كُمْ إِنْ طَلَقْتُهُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَقْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً (٢٣٣) (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفِ (٢٠٤٠)) (ولَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً (٢٣٣)) (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفِ (٢٠٤٠)) (ولَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَ مِنْ مَعْرُوفٍ (٢٠٤٠)) (هَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَ مِنْ مَعْرُوفٍ (٢٠٤٠)) (ولَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَوَاضَيْتُهُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيطَةِ (٢٤٠)) (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَوَاضَيْتُهُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيطَةِ وَلَا بُعَنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَوَاضَيَتُهُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيطَةِ (٢٤٠)) (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فَرَضَى أَنْ تَصَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ (٢٠١٥)) (وإنِ الْمَوْرَا أَنْ إِعْرَاضًا فَلَكُمُ أَلُو بُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَلَا مُنَاحَ عَلَيْكُ مَ إِنْ كَمَا مُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْهُمَا أَنْ يُصَالِحًا عَلَيْهُمَا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَلَا مُولَا أَنْ يُعْرَاضًا وَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُونُ وَا لَعْمَاحُونَ الْكُولُولَا فَا عُنَاحُ عَلَيْكُمُ فَعَلَى عُولُولُولُولُولُولُولُولُولُو

أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ (٥٥)) وفي سورة الممتحنة (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتْكِخُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ (١٠))

ليس عليكم جناح:

في سورة البقرة: (كَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَصْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَصْنَتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨)) وقوله تعالى (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْنُبُوهَا (٢٨٢)) وفي النساء (وَإِذَا صَرَبَتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْنُبُوهَا (٢٨٢)) وفي النساء (وَإِذَا صَرَبَتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنَّ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَقْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا (١٠١)) وفي سورة المائدة (لَيْسَ عَلَي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَمْنُوا وَاللَّهُ يُحِبُ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)) وفي سورة النور (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَلاْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ (٢٩)) و (لَلْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَلْعَمُ رَعُنَاحٌ إِلَى مَعْمُوا إِذَا مَا اتَقُوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُ الصَّالِحَاتِ فِي اللَّهُ مَنْ وَاللَّهُ سَمِيعً عَلِيمٌ (٩٣)) و (لَمُولُوا بَعْنَاحٌ فَيْرَ مُتَرَبُّ جَاحٌ إِنْ يَنَعْفِفْنَ خَيْرً لَمُتَكُونَا فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ (٩٣)) و (لَيْسَ عَلَيْهُنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَاكُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا (٢١)) وفي سورة الأحزاب (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ (٥))

وقد ورد في القرآن الكريم آيتان متنابعتان كل منهما تحتوي على إحدى الجملتين فقد قال تعالى في سورة النساء (وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَقْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَلُوًا مُبِينًا (١٠١)) وقال تعالى في آية أحرى (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرَ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَصَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُلُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٠٠)) الأمر في الأولى يتعلق مرضى أَنْ تَصَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُلُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٢٠١)) الأمر في الأولى يتعلق بالضرب في الأرض وهو السير في الأرض للتجارة أو غيرها ، أما في الثانية فالأمر يتعلق بالصلاة في موطن الجهاد فلا قو موطن عبادة أما في الأولى فالموطن مختلف لأن موطن الجهاد أهم من موطن الراحة والاستجمام، والجهاد في مقتصد الدين أكثر من الضرب في الأرض. فجملة (لا جناح عليكم) أقوى لأنها جملة اسمية ومؤكدة فيستعملها في المواطن المهمة كالعبادات وتنظيم الأسرة والأمور المهمة. وهناك فرق كبير بين (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) والآية الثانية من سورة المائدة مثلاً ولا شك أن الأكل جميعاً أو أشتاتاً ليس بمنز لة الجهاد. وهكذا إذا لاحظنا ورود "لا جناح عليكم" و"ليس عليكم جناح" يجب أن ننبته إلى الموطن الذي جاءت فيه.

۲۷۲ – ما الفرق بين قوله تعالى : (هدى للمتقين) (هدى ورحمة للمحسنين) (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) (هدى و بشرى للمسلمين)؟

قال تعالى في سورة البقرة : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)) وقال في سورة لقمان : (هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسنِينَ (٣)) وفي سورة النحل (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ لِلْمُحْسنِينَ (٣)) و في سورة النحل (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٠)) و (قُلْ نَزَّلُهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٠)) و (وَقُلْ نَزَّلُهُ الْمُعْدِينَ الْمُسْلِمِينَ (١٠٠)) شَهْدِدًا عَلَى هَوُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِيْبَانًا لِكُلِّ (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِثْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَوُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِيْبَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩))

سورة البقرة جاء فيها (هدى للمتقين) وفي لقمان (هدى ورحمة للمحسنين) زاد تعالى في سورة لقمان "الرحمة" واختلف يب المتقين والمحسنين. المتقيى : هو الذي يحفظ نفسه ؛ فمتقي النار هو الذي يحمي نفسه منها ، أما المحسن فيُحسن إلى نفسه وإلى الآخرين كما جاء في قوله تعالى : (وأحسن كما أحسن الله إليك) و(بالوالدين إحسانا) فالإحسان فيه جانب شخصي وجانب للآخرين. إذن هناك فرق بين المتقي والمحسن ؛ ثم إن الإحسان إلى الآخرين من الرحمة فزاد تعالى في سورة لقمان الرحمة للمحسنين فكما أن المحسن أحسن للآخرين ورحمهم زاد الله تعالى له الرحمة فقال (هدى ورحمة للمحسنين). فالمحسنين) وفي الآخرة أيضاً (للذين أحسنوا الحسني وزيادة)، فكما زاد الحسنون في الدنيا زاد الله تعالى له الرحمة في الدنيا والمحسنين) وفي الآخرة والجزاء من جنس العمل ولهذا اقتضى في آية سورة لقمان أن يقول تعالى (هدى ورحمة للمحسنين) ولو قال تعالى "هدى للمحسنين" لبخس حق المحسنين وكما نعلم إن الحسن يَفْضل المتقي والإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

الإيمان أعمّ من الإحسان و لا يمكن للإنسان أن يكون منقياً حتى يكون مؤمناً وورود كلمة "المتقين"، "المؤمنين"، "المحسنين" و"المسلمين" يعود إلى سياق الآيات في كل سورة.

أما بالنسبة للآيات في سورة النحل (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) و(هدى وبشرى للمسلمين) و(هدى ورحمة وبشرى للمسلمين) والخيابَ الْكِتَابَ إلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ للمسلمين) ولنستعرض الآيات واحدة واحدة ففي الآية الأولى قال تعالى : (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ

الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤)) ونسأل هل إنزال الكتاب علينا ينحصر فقط لغرض تبيان الذين اختلفوا فيه؟ هذا أمر والأمر الآخر قال تعالى : (هدى ورحمة).

في الآية الثانية (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) هل نول القرآن لهذا الغرض فقط؟ أي ليشب بالطبع لا. وفي الآية الثالثة (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجُنْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَوُلَاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْء وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)) نول القرآن تبياناً لكل شيء فجمعها كلها عندما عمّم وعندما كانت حالة جزئية كما في الآيتين الأولى والثانية في سورة النحل جزّأ.

يبقى السؤال لماذا جاءت (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) في الأولى؟ ننظر إلى السياق في الآيات التي بعلها جاءت فنجده في مظاهر الرحمة التي رحم الله تعالى عباده بها (واللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي فَنجده في مظاهر الرحمة التي رحم الله تعالى عباده بها (واللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنَ فَرْثٍ وَدَم لَئِنًا خَالِصًا سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْم يَعْقِلُونَ (٦٧) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفًاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُر لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْم شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٧) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَثْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجَكُمْ بَينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيَّاتِ أَفِالْبَاطِلِ (٧٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَتْهُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجَكُمْ بَينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيَّاتِ أَفِالْبَاطِلِ يُولِي وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ اللَّهُ هُمْ يَكُمُّونُونَ وَبَنعُمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكُمُّونَ وَلَا كَال اللهِ هُمْ يَكُمُّونَ وَ بَنعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكُمُّ وَنَ (٧٧)) فناسب قوله تعالى (هدى ورحمة) السياق في الرحة.

وفي الآية الثانية (هدى وبشرى) السياق قبل هذه الآية فيه بشرى كما في قوله تعالى : (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرِ أَوْ أُنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنَحْيِيَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنجْزِيَتَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)) فناسب السياق هنا ذكر (البشرى) في الآية وناسب الجمع في آية التبيان. ٢٧٣ – مَا الفرق بين استخدام (الفاسقين) و(الكافرين) في الآيتين ٢٦ و ٦٨ من سورة المائدة؟ قال تعالى في سورة المائدة : (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تُأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ وَلَا لَكِيَّابِ لَسَتُمْ عَلَى شَيْء حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ لَا اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ رَبِّكُمُ مِنْ رَبِّكُمُ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ رَبِّكُمُ مُنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُعْيَانًا وَكُفُرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ الفَوْرِينَ (٦٨)) وقال تعالى في فس السورة وقُلْ يَا أَهْلَ الْكَتِنَابِ لَسَتُمْ عَلَى شَيْء حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيْوِيدِينَ (٦٨)) وقال تعالى في فس السورة وقُلْ يَا أَهْلَ الْكَتَى مِنْ رَبِّكُ طُعْيَانًا وَكُفُرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)) الفرق ظاهر لأن الآية الأولى في الكلام مع موسى بخصوص قومه الذين امتنعوا عن القتال فقال تعالى (قَالُوا يَا مُوسَى اللهِ قَالِمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ تعالى نزّل عليهم المنّ والسلوى ، فبنو إسرائيل إذن ليسوا كفاراً ولا يمكن أن يقال عنهم كافرون .

أما في الآية الثانية فالخطاب للرسول – صلى الله عليه وسلم – في خطابه لأهل الكتاب (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْء حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيْزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيْزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا طُغْيَانًا وَكُفُوًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)) فهؤلاء كفرة كما جاء في قوله تعالى (وَلَيْزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفُورًا) ولهذا جاءت كلمة (الكافرين) في نهاية الآية.

٢٧٤ – ما دلالة تقديم وتأخير كلمة (فريقاً) في قوله تعالى : (فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا) في سورة الأحزاب؟

قال تعالى في سورة الأحزاب: (وَأَلُولَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦)) حالة القتل التي وردت في هذه الآية هي أغرب حالات القتل وأندرها والإنسان يدافع عادة عن نفسه ، عن ماله ، عن عرضه ، عن داره ، عن أهله ، عن أرضه فإذا اجتمعت كلها يدافع عن كل شيء. فكيف إذا جاء أحمهم وقال لك : أعطني سيفك الأقتلك وآخذ مالك وأرضك وأموالك وكل ما تملك ؟ هذه تعتبر من أغرب حالات القتل وأندرها. فما بالك إذا كان هذا الشخص في حصن فقيل له انزل حتى أقتلك ؟ هذه حالة أعجب! والحالة في الآية المذكورة تقول أنه أنزهم من الحصن وألقوا أسلحتهم وأخذ أراضيهم وديارهم وأموالهم وأو لادهم فهل هناك أعجب وأغرب من هذه الحالة؟ كانوا ، ٢٠٠ رجل في الحصن ألقوا أسلحتهم من غير قتال وكانوا في حالة رعب عجيبة فسلموا كل ما عندهم من سيوف و نزلوا من حصولهم وأخذ أرضهم وديارهم وأموالهم وأسر نساءهم و ذريتهم فقدم فريقاً في حالة القتل لأنها حالة عجيبة من الرعب والذعر (روَأَنْزَلَ الّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) وصياصيهم بمعني حصولهم. أما (روَأَنْزَلَ الّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) وصياصيهم بمعني حصولهم. أما الفريق الثاني ليس بينهم مقاتل أصلاً وهذه الحالة لا تستدعي النقديم. أما الأولى فهي أعجب وأندر وأغرب حالات القتل. القتل.

ونسأل هنا ما دلالة استخدام صيغة المضارع في فعل (تقتلون وتأسرون) بينما استخدمت باقي الأفعال في الآية بصيغة الماضي (أنزل، قذف)؟

هذا يُسمّى حكاية الحال بمعنى إذا كان الحدث ماضياً وكان مهماً فإن العرب تأتي بصيغة المضارع حتى تجعل الحدث وكأنه شاخص ومُشاهد أمامك. والمضارع يدل على الحال والاستقبال والإنسان يتفاعل عادة مع الحدث الذي يساهده أكثر من الحدث الذي لم يره أو الذي وقع منذ زمن بعيد فالعرب تحول صيغة الأحداث إلى صيغة مضارع وإن كانت ماضية، وهذا الأمر ورد في القرآن كثيراً كما في قوله تعالى في سورة البقرة (قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٩)) قتل الأنياء هي حالة مستغربة وفي القرآن يأتي بصيغة المضارع مع الأشياء التي تدل على الحركة والحيوية والمهمة. وقد جاء في قوله تعالى في سورة فاطر (وَاللّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُشِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْصَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ التُسُوق يأتي بعد الإثارة والأحداث كلها ماضية لكن الإثارة بصيغة المضارع ثم فعل (فسقناه) بصيغة الماضي مع أن السوق يأتي بعد الإثارة والأحداث كلها ماضية لكن الإثارة مشهد حركة فجعلها بصيغة المضارع ليدل على الحضور. وهذا الأمر نجده أيضاً في السيرة ففي ما روي عن الصحابي الذي قتل أبا رافع اليهودي الذي آذى الرسول – صلى الله عليه وسلم –قال يصف ما حصل شعراً: فناديت أبا رافع فقال نعم فأهويت عليه بالسيف فأضربه وأنا دهش

فجعل صيغة المضارع للمشهد الأبرز وهو الضرب فكأن السامع يرى الحادثة أمامه ويرى الصحابي وهو يضربه. ٢٧٥ – ما الفرق بين (إدبار) و(أدبار)؟

قال تعالى في سورة ق : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٠٤)) وقال في سورة الطور(وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠)). النُّجُوم (٤٩)).

الأدبار : جمع دُبر بمعنى خلف كما يكون التسبيح دُبُر كل صلاة أي بعد انقضائها وجاء في قوله تعالى في سورة الأنفال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلَّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَنِذٍ دُبُرَهُ إلَّا

مُتَحَرِّفًا لِقِتَالَ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِثْسَ الْمَصِيرُ (١٦)). أما الإدبار: فهو مصدر فعل أدبر مثل أقبل إقبال والنجوم ليس لها أدبار ولكنها تُدبر أي تغرُب عكس إقبال. ٢٧٦ – هل يحتمل معنى قوله تعالى (جنات تجرى من تحتها الأنهار) أن الجنات تجرى؟

لا أعلم إذا كانت الجنات تجري لكن بلا شك أن الألهار تجري فالجريان يكون للألهار في الدنيا كما في قوله تعالى في سورة البقرة (أَيَوَدُّ أَحَدُّكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلِ وَأَعْنَابِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ النَّمَرَاتِ سورة البقرة (أَيَوَدُّ أَحَدُّكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلِ وَأَعْنَاب تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ وَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦)) وقال تعالى في سورة طه (جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيها وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزكَى (٧٦)) وفي سورة يونس (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ في جَنَّاتِ النَّيْعِيمِ (٩)) لكن هل هناك أمر آخر أن الجنات تجري؟ الله أعلم لكن الأمر فيها أن قطعاً الألهار تجري ويمكن من قدرة الله تعالى أن تجري الجنات في الآخرة ولكن هذا ليس ظاهراً مما نعرفه.

٢٧٧ - ما دلالة نصب (وأرجُلكم) في آية الوضوء في سورة المائدة؟

قال تعالى في سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ (٦)) كلمة " وأرجلكم " معطوفة على الغسل في أول الآية. وكأن السائل يتساءل عن المتعاطفات التي سبقتها في الآية والسؤال هل تُعطف وامسحوا برؤوسكم على الأول؟ يجوز في كلام العرب العطف على الأول وإن كان هناك متعاطفات في ثنايا الجملة، وحكم غسل الأرجل في آية سورة الوضوء فالذي يحدده السنة

ومن الأمثلة على العطف في القرآن قوله تعالى في سورة الروم (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) "حين تصبحون" معطوفة على (السموات) ثم (عشيًا وحين تُظهرون) معطوفة على الأول (حين تمسون). وكذلك في قوله (الأرض) معطوفة على (السموات) ثم (عشيًا وحين تُظهرون) معطوفة على الأول (حين تمسون). وكذلك في قوله تعالى في سورة غافر : (هُو الَّذِي حَلَقَكُمْ مِنْ تُرَاب ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلْقَةٍ ثُمَّ يُخرِجُكُم طِفْلًا ثُمَّ النِّبُلُغُوا أَجَلًا مُسَمَّى وَلَعَلَكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٧)) "يخرجكم" معطوفة على الخلقكم" وهي ليست معطوفة على "علقة" أو "تراب" أو "نطفة" ولا يمكن أن تكون معطوفة عليها. وكذلك ما جاء في آية الكرسي (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا ثَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا السَّمَاوَاتِ وَالَّا يَوْمُ لَكُ اللَّهُ عَنْدَهُ إِلَا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ اللَّذِي يَشْقَعُ عِنْدَهُ إِلَا بِهَا اللَّهُ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَاللَّهُ لَا إِلَهُ إِلَا بَمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَنْ وَلَا يَوْمُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٥٥٥)) "ولا نومٌ" معطوفة على "السموات"، الأرض" معطوفة على "السموات"، الأرض" معطوفة على "السموات"، الأرض" معطوفة على "الا تأخذه سِنة ولا نوم" في أول الآية. فبرغم وجود أنواع متعاطفات بينما "ولا يؤوده حفظهما" على "لا تأخذه سِنة ولا نوم" في أول الآية. فبرغم وجود أنواع متعاطفات كثيرة وقائفة نعطف "لا يؤوده حفظهما" على "لا تأخذه سِنة ولا نوم" في أول الآية.

و في كلام العرب نقول: بنيت اللور والإماء بمعنى اشتريت الإماء.

۲۷۸ – ما الفرق بين (ما زال) و(لا زال)؟

لا يختص الفرق بين (ما زال) و(لا زال) وإنما هو الفعل الماضي أصلاً. والفعل الماضي لا يُنفى بـــ (لا) إلا في حالات : إما أن يتكرر كما في قوله تعالى رفلا صدّق ولا صلّى)، وإما أن يكون دعاء له أو عليه (لا عافاه الله، ولا شفاه الله) وإما أن يُراد به المستقبل (والله لا فعلت ذلك أبدا). قال الشاعر:

حسب الحبين في الدنيا عذاهِم تالله لا عذَّبتهم بعدها سقر

لا يصح القول "لا رجع أخوك" لأن المعنى هو دعاء على أخيك بعدم الرجوع، ولا يُقال" لا ذهب محمد" لأنما تفيد الدعاء عليه بعدم الذهاب. والقول: "لا زال المطر نازلاً" بمعنى دعاء باستمرار نزول المطر.

ولا نقول "لا زال أخوك غائباً" لأن هذا دعاء عليه أن لا يعود وإنما نقول "ما زال أخوك غائباً" لأن (لا) كما قلنا لا تنفى الفعل الماضي إلا بالشروط التي ذكرناها سابقاً.

٢٧٩ – ما دلالة ذكر (لكم) في قوله تعالى في سورة الأنعام : (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ) وعدم ذكرها في آية سورة هود (وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ)؟

قال تعالى في سورة الأنعام في قصة نوح – عليه السلام – (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَقُلُ وَلَى الْفَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَقُلُ وَلَ اللَّهِ عَلَى الْأَعْمَى وَالْبُصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٠٥)) بينما قال في قصة نوح – عليه السلام – في سورة هو د (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكُ وَلَا أَقُولُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٣٦)) لو لاحظنا الكلام في سورة الأنعام نجده أشد وفيه تحذير شديد من قوله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ اللَّهِ أَوْ اللَّهِ أَنْ يُوتِيقُهُ مَا لَلَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ أَنَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ الْعَالَمُ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ اللَّهِ اللَّهِ عَذَى اللَّهِ اللَّهِ عَذَى اللَّهِ عَذَى اللَّهِ عَذَى اللَّهُ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ اللَّهِ أَنْ أَنْ أَنَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ اللَّهِ عَذَى اللَّهُ عَذَابُ اللَّهِ أَلْعُهُمْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْدُونَ وَاللَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْدُونَ (٣٤) وَلَقَدُ أَوْلِهُ اللَّهُ اللَهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَهُ اللَّهُ اللَّ

وموسى – عليه السلام – في المرة الأولى قال تعالى على لسان الخضر (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٧)). (٧٢)) وفي الثانية قال تعالى (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥)).

١٨٠ – ما الفرق بين قوله تعالى (كذلك سلكناه) في سورة الشعراء و (كذلك نسلكه) في سورة الحجر؟
 قال تعالى في سورة الشعراء (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٠٠)) وقال في سورة الحجر السياق في في قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١١)) نظر في السياق الذي وردت فيه الآيتين في السورتين: في سورة الحجر السياق في استمرار الرسل وتعاقبهم من قوله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولِ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢)) فجاء بالفعل الذي يدل على الاستمرار وهو الفعل المضارع. بينما في سورة الشعراء السياق في الكلام عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحده من قوله الفعل المضارع. بينما في سورة الشعراء السياق في الكلام عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحده من قوله تعالى (وَإِنَّهُ لَشْرِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩١) فَوَرَأُنُ بِهِ الرُّوحُ الْأُمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْلِرِينَ (١٩٤) بلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِين (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩١) أَولَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) وَلَوْ ثُولُونَ مِنَ الْمُعْجَمِينَ (١٩٥) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَلِكَ سَلَكُنَاهُ فِي قُلُوب

الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠)) والسورة كلها أحداث ماضية والآية موضع السؤال تدل على حدث واحد معيّن ماضي فجاء بالفعل الماضي.

٧٨١ – ما الفرق بين قوله تعالى (لا أسألكم عليه مالاً) وقوله تعالى (ولا أسألكم عليه أجراً) في سورة هود؟

قال تعالى في قصة نوح – عليه السلام – في سورة هود (ويَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا اللَّهِ وَمَا أَنَا اللَّهِ وَمَا أَنَا اللَّهِ وَمَا أَنَا اللَّهِ وَمَا أَنْكُمْ عَلَيْهِ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩)) وقال تعالى في قصة هود مع قومه في نفس السورة (يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٥)). لو لاحظنا سياق القصتين لوجدنا أنه في قصة نوح – عليه السلام – قال تعالى (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ) جاء ذكر "خزائن الله" في الخزائن فاقتضى ذكر كلمة (مالاً) في قصة نوح أما في قصة هود – عليه السلام – فلم ترد ذكر "الخزائن" وإنما قال (أجراً) لأن الأجر عام.

وهناك أمر آخر بين الآيتين : وهو أنه في الأولى ذكر (إن أجري إلا على الله) بذكر لفظ الجلالة (الله) بينما جاء في الثانية (إن أجري إلا على الله على الله فطرين) بذكر (فطرين) بدل الله والسبب أنه لو نظرنا من ناحية السمة التعيرية في القصتين لوجدنا أن كلمة (الله) وردت في قصة نوح –عليه السلام –عشر مرات بينما وردت ثلاث مرات في قصة هود –عليه السلام –. هذا من ناحية .

وهناك أمر آخر : وهو أنه تعالى ذكر في قصة نوح – عليه السلام – كلمة (الله) إسم علم و في سورة هود ذكر (الذي فطرين) أي عدّى الفعل إلى ذاته أي ضمير المتكلم كما نلاحظ في قصة هود ارتباط الأمور بشخص هود – عليه السلام – (إن نقول إلا اعتراك، كيدوني، إني توكلت، ربي،..) فمن الذي سينجيه من الكيد؟ الذي فطره فهو الذي خلقه ويحفظه من كل سوء فالأمر إذن شخصي وليس عاماً فاقتضى ذكر (الذي فطرين). كذلك في سورة هود قال تعالى (فَإِنْ تَوَلَوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْبًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْء حَفِيظٌ (٥٧)) وهذه الآية تدل على أن الله تعالى يفطر قوماً آخرين غيرهم فـــ"الذي فطري" أنسب للذكر في قصة هود – عليه السلام – من كلمة (الله) التي هي أنسب في قصة نوح – عليه السلام –. للذكر في قصة هود – عليه السلام – من كلمة (الله) التي هي أنسب في قصة نوح – عليه السلام –. الخلق والفطر ولكل منها تميز دلالي فالخلق غير الفكر . "الخلق" قد يستعمله البشر بمعنى التصوير مثلاً وهو لفظ عام كما جاء على لسان عيسى – عليه السلام – (إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) وهي تستعمل سواء للخلق الابتدائي أو التصوير. أما "الفكر" فهو ابتداء الشيء وهذا خاص بالله تعالى.

قال تعالى في سورة النحل (وَلُوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلِ مُسَمَّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦٦) وقال تعالى في سورة الحجر (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥)) وإذا استعرضنا الآيات في السورتين نجد أنه في سورة النحل قال تعالى (وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّى) فناسب تأخير الأجل في هذه الآية تقديم "يستأخرون" في الآية موضع السؤال ثم إن الناس يرغبون بتأخير الأجل وبخاصة الظالم يرغب بتأخير أجله. أما في سورة الحجر فقد قال تعالى (وَمَا أَهْلَكُنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥)) وقال بعدها (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُوِّلَ عَلَيْهِ الذِّكُرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِن

الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ (٨)) فكأنهم عندما طلبوا إنزال الملائكة أرادوا استعجال أجلهم لأنه تعالى لو أنزل الملائكة لأهلكهم فاقتضى أن يُقدّم (ما تسبق) في آية سورة الحجر ليدلّ على أهم استعجلوا الأجل كأنما أرادوا أن يسبقوا الأجل.

و نلاحظ أن السياق من أهم القرائن للفهم كما قال العلماء القدامى فعلى سبيل المثال: قوله تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم) إذا أُخذت من سياقها تظهر وكألها مدحاً بينما في الواقع هي في معرض الذمّ إذا ما أُخذت في سياقها. ٢٨٣ – ما دلالة ترتيب ذكر الأنبياء في الآيات ٨٣ إلى ٨٦ في سورة الأنعام؟

قال تعالى في سورة الأنعام (وَتِلْكَ حُجَّنَنا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرَيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيًّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلِّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦))

قبل أن ندخل في الترتيب ننظر إلى الهيكلية في ترتيب الأنبياء فنلاحظ أنه تعالى يذكر ثلاثة من الأنبياء ثم يعود إلى الأقدم ثم يذكر ثلاثة ثم يعود إلى الأقدم ويكرر هذا النسق فمثلاً ذكر إبراهيم واسحق ويعقوب ثم عاد إلى نوح وهو أقدم من المذكورين، ثم داوود وسليمان وأيوب ثم يوسف وهو قبل المذكورين، ثم زكريا ويجيى وعيسى ثم ذكر إلياس وهو أقدم من المذكورين.

ثم نأتي لسبب الترتيب على الشكل الذي جاء في الآيات نجد أنه ذكر إبراهيم وإسحق ويعقوب، واسحق ابن إبراهيم ويعقوب ابن اسحق (العلاقة التي بينهم هي البنوّة) ثم داوود وسليمان (العلاقة بينهم البنوّة والملك) أيوب ويوسف (العلاقة بينهما ألهما يشتركان في الإنعام بعد النبوة ، فكلاهما ثمن أنعم الله تعالى عليه بعد الابتلاء) سليمان وأيوب (العلاقة بينهما ألهما كلاهما قال تعالى فيهما : (نعم العبد إنه أوّاب) فأيوب هو العبد الصابر وسليمان هو العبد الشاكر، والصبر والشكر جماع الإيمان) موسى وهارون (العلاقة بينهما هي الأخوّة) زكريا ويجيى (علاقة البنوّة) يجيى وعيسى (كلاهما مُستغرب الولادة فيجيى جاء من أبوين أحدهما شيخ والآخر عقيم وعيسى جاء من أم الله أب وقد ذكر هما تعالى معاً في سورة آل عمران ومريم) وقد ختم تعالى هذه المجموعة بعيسى – عليه السلام – لأنه ليس له أب فكان خاتمة النسب الأول عنده.

ثم بعد عيسى – عليه السلام – تأتي سلسلة أخرى من ذرية أخرى : إلياس ليس من ذرية اسحق ، إسماعيل أخو إسحق ، اليسع صاحب إلياس (وحيث ورد اليسع ورد إلياس) ويونس ليس من ذرية إبراهيم وكذلك لوط ليس من ذرية إبراهيم، ويونس ولوط كلاهما مهاجر وترك قومه وقد جمع تعالى يينهما في سورة الصافّات أيضاً فيونس خرج مغاضباً ولوط قال إني مهاجر إلى ربي. ولو لاحظنا الأنبياء الذين ورد ذكرهم لوجدنا أن الترتيب بدأ بالذاهب إلى ربه أي إبراهيم – عليه السلام – (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) الصافات) وحُتمت بالمهاجر إلى ربه أي لوط – عليه السلام – (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) العنكبوت). وهذا يدل على أن للترتيب الذي ورد حكمة إلهية بالإضافة إلى الهيكلية.

٢٨٤ – ما دلالة صيغة المبني للمجهول في قوله تعالى (يُبصّرونهم) في سورة المعارج؟

قال تعالى في سورة المعارج : (يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَهْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١)). ليس فيها ما يدعو للغرابة. يُقال في العربية : "بصُر به" وهو فعل لازم غير متعدي (كل صيغةَ فَعُل فهي لازمة).

أبصَرَ: متعدي (وأبصرهم فسوف يبصرون)

بصّره: معناه أراه يتعدى إلى اثنين أو بالباء يُقال: بصّرته زيداً أي أريته إياه.

وقوله تعالى : (يبصّرونهم) بمعنى أنه يوم القيامة يُري بعضهم بعضاً فهذه صيغة مضارع مبني للمجهول.

٧٨٥ - ما دلالة استخدام صيغة (عَسر) في آية سورة القمر؟

قال تعالى في سورة القمر (مُهْطِعِينَ إلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسرٌ (٨))

من أوزان الصفة للشبّهة فعِل وفعيل فتأتي هاتين الصفتين للمبالغة أو صفة مشبّهة، يُقال فرح وطويل.

و "عَسر" غير "عسير" والكلام في موضوع الصيغة المشبهة ودلالاتها ومعانيها طويل لكن نتحدث عنه بشكل موجز هنا. نُقول مثلاً صيغة "أفعل" ؛ مثل : "أحمر" تستعمل للنعوت والحُلي الظاهرة.

"عسر" تستعمل للأشياء الداخلية، بينما "أعسر" تستعمل للصفات الظاهرة والجسمية.

مثل شريف وأشرف: "أشرف" تعنى المرتفع الكتفين، وكذلك رئيس وأرأس بمعنى رأسه كيير.

"مليح" بمعنى جميل و "أملح" بمعنى أبيض اللون.

أسِف (فرجع موسى غضبان أسِفا) من الاندفاع وجاء في قول عائشة عن أبيها: (إن أبا بكر رجل أسيف) هذه ليست حالة عارضة وإنما وصف له.

وكذلك كلمة "بطِن" (بمعنى لا يهمه إلا بطنه) و"بطين" (بمعنى كبير البطن واسعة)، نشِط (مندفع وهي حالة اندفاعية) أما "نشيط" فهي صفة عامة.

فكلمة "عَسِر" غير "عسير" فيقال : عسِر عليه الأمر فهو عسير فالأمر خاص به ؛ قد يكون عسِراً عليه لكنه ليس كذلك على غيره ؛ فقد يعسر أمر ما على طفل و لا يعسر على من هو أكبر منه.

أما (عسُر الأمر) : الوصف فيه عسير ويدل على النبوت خِلقة أو اكتساباً (طويل، خطيب) ويُقال فقُه الرجل فهو فقيه (حالة ثبات) ويقال فقِه الرجل المسألة (تحديداً وليس على الإطلاق) فهو لها فاقِه أو فقِه.

فكلمة (عسير) تقال عندما يكون الأمر عسير في ذاته صعب ، أما "عسر" فهو نسبي. وقد وصف تعالى قول الكافرين الذين يقولون (هذا يوم عسر) لأنه نسبي لهم والله تعالى يبسره على من يشاء. هو لا شك يوم عسير كما وصفه تعالى في سورة المدّثر (فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) فهو على الكافرين عسير لكن قد لا يكون كذلك على غيرهم. ولو لم يحدد الله تعالى أنه عسير على الكافرين لكان عسيراً على الكل. فكلمة عسر وعسير اشتقاقهما من مادة واحدة (عسر) لكن المعنى اختلف باختلاف الصيغة. عسر وعسير وأعسر كلها صفات مشبهة لكن لكل منها معنى مختلفاً عن الأخرى.

٢٨٦ – ما دلالة استخدام صيغة (صبّار شكور) وما علاقة الفاصلة بصدر الآية في سورة الشورى ولماذا جاءت
 (صبّار) مقدّمة على (شكور) ؟

قال تعالى في سورة الشورى (وَمِنْ آَيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣))

أو لا : كلمة (صبّار) الصبر إما أن يكون على طاعة الله أو على ما يصيب الإنسان من الشدائد. فالصلاة تحتاج إلى صبر وكذلك سائر العبادات كالجهاد والصوم. والشدائد تحتاج للصبر.

أما كلمة (شكور): فالشكر إما أن يكون على النعم (واشكروا نعمة الله) أو على النجاة من الشّدة (لئن أنجيتا من هذه لنكونن من الشّعَم أو فيما يُنجيه الله تعالى من الشّدة والكرب.

والآن نعود للسؤال لماذا قدّم الصبر على الشكر؟ ولننظر في الآيات التي وردت قبل الآية موضع السؤال وبعدها في سورة الشورى. قال تعالى في الآيات التي قبلها (وَهُوَ الَّذِي يُنزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْعَيْثُ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْعَيْثُ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْعَيْثُ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْعَيْثُ مِنْ بَعْدِ مِن الله والثاني (إنزال الغيث) يحتاج الى الشكر أما القنوط فكان عندما كان المطر محبوساً وهو أمر يحتاج إلى الصبر.

أما في الآية التي بعدها فقد قال تعالى : (وَمِنْ آَيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَفِيرٍ (٣٤)) وهذه الآيات فيها أمران أيضاً :

الأول : وهو أن لا تجري السفن (فيظللن رواكد على ظهر) وهذا أمر يحتاج إلى الصبر والثاني : إهلاكهن (أو يوبقهن) وهذا من المصائب.

و (يوبقهن) لها احتمالان:

ـــ احتمال إرادة إهلاك من فيها، على المجاز المرسل ، فأطلق المحل وأراد الحالّ ، والْمراد من السفن في الآية : من فيها، وهذا ما يُسمّى بالمجاز المُرسل وعلاقته محلية .

_ أو احتمال إرادة البضائع التي فيها .

فهذه مصيبة سواء كانت في الأموال (أي السفن نفسها) أو في الأنفس (من في السفن) وكلمة "يوبقهن" تحتمل الإهلاك في السفن أو المال وكلاهما يحتاج إلى صبر . أما قوله تعالى (ويعف عن كثير) فهي تحتاج إلى شكر. إذن ما تقدّم الآية موضع السؤال وما جاء بعدها يحتاج لصبر وشكر والصبر تقدّم على الشكر فيها وعليه فإن نماية الآية (صبّار شكور) جاءت واضحة ومتلائمة مع السياق.

إضافة إلى هذا فإنه إذا نظرنا في القرآن كله نجد أنه تعالى إذا كان السياق في تهديد البحر يستعمل (صبّار شكور) وإذا كان في غيره يستعمل الشكر فقط. ففي سورة لقمان مثلاً قال تعالى في سياق تهديد البحر (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ وَعَوْدًا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبُرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ حَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)) و في سورة الشورى (إنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظُلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣))

أما في سورة الروم فقد قال تعالى : (وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَّذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بَأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَصْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦)) فجاء بالشكر فقط وكذلك في سورة النحل (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْمُرْهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَصْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ اللَّهِ عَلْكُمْ اللَّهِ وَلَعَلَّكُمْ وَلَيَّا كُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسَتَخْرِ جُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَصْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ اللَّهُ وَلَعَلَّكُمْ اللَّهُ مُخَلِّمِ وَلَمَا اللَّهُ مُخَلِّمِ وَلَمَا عَلَيْكُمْ اللَّهُ مُخَلِّمِ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ مُخَلِّمِ اللَّهُ وَلَمُ اللَّهُ مُخَلِّمِ اللَّهُ مُخَلِّمِ اللَّهُ مُخَلِّمِ اللَّهُ مُخَلِّمِ اللَّهُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطً بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخَلِّمِ اللَّهُ مُخَلِّمِ اللَّهُ وَظَنَّوا أَنَّهُمْ أُحِيا بَهِمْ جَوَا اللَّهَ مُخَلِّمِ اللَّهِ مُنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخَلِّمِ اللَّهُ اللَّهِ مُنْ يَالِهُ أَنْ وَطَنَّوا أَنَّهُمْ أُحِيطً بِهِمْ دَعَوُا اللَّهُ مُخْلِمِينَ لَهُ

الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢)) و في سورة الجاثية (اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ الِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَصْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٢)) و في سورة فاطر قال : (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِ جُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٢٢)).

وهناك أمر آخر وهو أن كلمة "صبّار" لم تأت وحدها في القرآن كله وإنما تأتي دائماً مع كلمة "شكور" وهذا لأن الدين نصفه صبر ونصفه الآخر شكر كما في قوله تعالى في سورة إبراهيم (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمُكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥)) وفي سورة سبأ (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُور (١٩)).

والآنَ نسأل لماذا استعمل صيغة "صبّار" على وزن (فعّال) ؟ وهذا السؤال يدخل في باب صيغ المبالغة وهو موضوع واسع لكننا نوجزه هنا فيما يخصّ السؤال.

صيغ المبالغة: مِفعال، فعّال وفعول كل منها لها دلالة خاصة.

مِفعال: (معطاء ومنحار ومعطار) هذه الصيغة منقولة من الآلة كـــ (مفتاح ومنشار) فنقلوها إلى المبالغة، فعندما يقولون هو معطاء فكأنه صار آلة للعطاء، وقولنا "امرأة معطار" بمعنى زجاجة عطر أي ألها آلة لذلك.

والدليل على ذلك أن صيغة المبالغة هذه (مِفعال) تُجمع جمع الآلة ولا تُجمع جمع المذكر السالم ولا جمع المؤنث السالم، فنقول مثلاً مفتاح مفاتيح، ومنشار مناشير، ومحراث محاريث، ورجل مهذار ورجال مهاذير، فيجمع جمع الآلة، ولذلك لا يؤنث كالآلة:

يا موقد النار بالهندي والغار هيجتني حزناً يا موقد النار بين الرصافة والميدان أرقبها شبّت لغانية بيضاء معطار

فلا نقول "معطارات" وإنما نجمع معطار على معاطير، فنقول : نساء معاطير ورجال معاطير ، وامرأة مهذار ورجال مهاذير..فهي من الصيغ التي يستوي فيها المذكر والمؤنث ، ولا تجمع جمعاً سالماً ، فلا نقول امرأة معطارة وإنما نقول : امرأة معطار ورجل معطار ، ونجمعها جمع الآلة (معاطير) للرجال والنساء. هذه هي القاعدة

صيغة "فعّال": من الحِرفة. والعرب أكثر ما تصوغ الحِرَف على وزن فعّال مثل نجّار وحدّاد وبزّاز وعطّار ونشّار. فإذا جتنا بالصفة على وزن الصيغة (فعّال) فكأنما حرفته هذا الشيء. وإذا قلنا عن إنسان أنه كذّاب فكأنما يحترف الكذب. والنجّار حرفته النجارة. إذن هذه الصيغة هي من الحِرفة وهذه الصنعة تحتاج إلى المزاولة. وعليه فإن كلمة (صبّار) تعني الذي يحترف الصبر. وقد وردت هذه الصيغة في القرآن الكريم في صفات الله تعالى فقال تعالى : (فعّال لما يريد) قوله تعالى (غفّار) بعلما يقول (كفّار) ليدلّ على أن الناس كلما أحدثوا كفراً واستغفروا غفر الله تعالى لهم (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) نوح).

صيغة "فعول": مأخوذة من المادة (المواد) مثل الوقود وهو الحطب الذي يوقد ويُستهلك في الاتّقاد، والوضوء الماء الذي يُستهلك في الوضوء، والسحور ما يُوكل في السحور، والسفوف وهو ما يُسفّ، والبخور وهو ما يُستهلك في التبخير. فصيغة فعول إذن تدل على المادة التي تُستعمل في الشيء الخاص به. وصيغة "فعول" يستوي فيها المؤنّث

والمذكر فنقول رجل شكور وامرأة شكور. ولا نقول شكورة ولا بخورة ولا وقودة مثلاً. وكذلك صيغة فعول لا تتجمع جمع مذكر سالم أو جمع مؤنّث سالم فلا نقول رجال صبورين أو نساء صبورات وإنما نقول صُبُر وشُكُر وغُفُر. وعليه فإن كلمة "شكور" التي هي على وزن صيغة فعول منقولة من المادة . فإذا قلنا "صبور" فهي منقولة من المادة وهي الصبر وتعني أن من نصفه بالصبور هو كله صبر ويُستنفذ في الصبر كما يُستنفذ الوقود في النار. وكذلك كلمة "غفور" بمعنى كله مغفرة ولذلك قالوا أن أرجى آية في القرآن هي ما جاء في سورة الزُمر في قوله تعالى (قُلْ يَا عِبَادِيَ اللَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ (٣٥)).

وهنا نسأل أيهما أكثر مبالغة فعول أو فعّال؟ "فعول" بالتأكيد أكثر مبالغة من "فعّال" ولذلك فكلمة صبور هي أكثر مبالغة وتعني أنه يفني نفسه في الصبر أما كلمة "صبّار" فهي بمعنى الحِرفة.

ونسأل أيضاً أيهما ينبغي أكثر في الحياة الصبر أو الشكر؟ الشكر بالتأكيد لأن الشكر يكون في كل لحظة والشكر يكون على نعم الله تعالى عليها وهي نعم كثيرة وينبغي علينا أن نشكر الله تعالى عليها في كل لحظة لأننا في نعمة من الله تعالى في كل لحظة. وقد امتدح الله تعالى إبر اهيم عليه السلام بقوله (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانتًا لِلَهِ حَنيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١)) واستعمل كلمة (أنعُم) لأنها تدل على جمع القِلة لأنه في الواقع أن نعم الله تعالى لا تُحصى فلا يمكن أن يكون إنسان شاكراً لنعم الله، والإنسان في نعمة في قيامه وقعوده ونومه .. الح كما جاء في قوله تعالى (وَإِنْ تَعُدُّوا نعْمَةَ اللهِ لَا تُحصُومُوهَا إِنَّ اللّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) النحل). وعليه فإن الشكر يجب أن يكون أكثر من الصبر فالصبر يكون كما أسلفنا إما عند الطاعات وهي لها أوقات محدة وليست مستمرة في كل لحظة كالصلاة والصيام أو الصبر على الشدائد وهي لا تقع دائماً وكل لحظة على عكس النّعم التي تكون مستمرة في كل لحظة ولا تنقطع لحظة من لحظات الليل أو النهار، وتستوجب الشكر عليها في كل لحظة فالإنسان يتقلب في نعم الله تعالى.

و مما تقدّم نقول أنه تعالى جاء بصيغة (صبّار) للدلالة على الحِرفة وكلمة (شكور) بصيغة فعول التي يجب أن يستغرقها الإنسان في الشكر للدلالة على أن الإنسان يستغرق في الشكر، ويكفي أن يكون الإنسان صبّاراً ولا يحتاج لأن يكون صبوراً. أما صيغة (شكور) فجاء بما لأن الإنسان ينبغي أن يشكر الله تعالى على اللوام وحتى لو فعل فلن يوفّى الله تعالى على نعَمه.

٢٨٧ - ما دلالة استخدام كلمة (الحسنة) في قوله تعالى : (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) ولماذا لم تستعمل كلمة (الحسني) مثلاً؟

قال تعالى في سورة فُصّلت : (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)).

الحُسنى لا تُقابل السيئة وإنما تُقابل السوأى (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِ بُونَ (١٠)). والحسنى مؤنّث الأحسن وهي إسم تفضيل كالأصغر والصُغرى والأكبر والكُبرى والأسوأ والسوءى. فالسيئة إذن لا يقابلها الحسنى وإنما السوءى. أما الحسنة فهي التي تقابل السيئة، لو استعملت الحُسنى كما جاء في السؤال (لا تستوي الحسنى ولا السيئة) لكانت أعطت معنى أنه يمكن أن تستوي الحسنة والسيئة، الحسنى لا تستوي وما دولها يستوي. لكن في الآية الكريمة نفي القِلّة ونفي الأكثر من باب أولى.

٢٨٨ – ما الفرق بين استعمال (من) و (ما) في قوله تعالى : (و لله يسجد من في السموات والأرض) وقوله تعالى :
 (و لله يسجد ما في السموات و الأرض)؟

(من): تستعمل لذوات العقلاء وأولي العلم فقط أما (ما) فتستعمل لصفات العقلاء (ونفس وما سوّاها) (فانكحوا ما طاب لكم من النساء)، (وما خلق الذكر والأنثى) والله هو الخالق، (ونفس وما سوّاها) والله هو المسوي، وذوات غير العاقل (أشرب من ما تشرب) وهي أعمّ وأشمل.

لكن يبقى السؤال لماذا الاختلاف في الاستعمال في القرآن الكريم فمرة تأتي (من) ومرة تأتي (ما)؟ ونستعرض الآيات التي وردت فيها (من) مع السجود : قال تعالى في سورة الرعد (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥)) والطوع والكره من صفات العقلاء فاستعمل (من).

أما في سورة النحل في قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْء يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبُرُونَ (٤٩)) الدابة أغلب ما تستعمل في اللغة لغير العاقل وهي عامة وشاملة فاستعمل (ما) كما أنه في الآية جاءت كلمة (شيء) وهي أعمّ كلمة. وعليه فإنه من ناحية العموم ناسب استعمال (ما) ومن ناحية استعمالها لغير العاقل ناسب استعمال (ما) لأن الدابة كما أسلفنا تستعمل في الغالب لغير العاقل.

و نلاحظ في القرآن أنه تعالى عندما يستعمل (من) يعطف عليها ما لا يعقل كما في قوله تعالى في سورة الحج (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجَبَالُ وَالشَّجَرُ وَاللَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمِ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨٥)). أما عندما يستعمل (ما) فإنه يعطف عليها ما يعقل (و لله يسجد . . دابة و الملائكة) وهو خط بياني لم يتخلف في القرآن أبدا و الحكمة الميانية منه الجمع.

وكذلك استعمال (من) مع فعل (يسبّح) كما في قوله تعالى في سورة الإسراء: (تُسبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبِعُ وَالْأَرْضُ وَالْمَا فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْء إِلَّا يُسبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْييحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)) وفي سورة النور (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهُ يُسبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْييحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤٤)). واستعمال (ما) كما في قوله تعالى في سورة الحشر (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسنَى يُسبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢)) وسورة الجمعة (يُسبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)) وسورة التعابن (يُسبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْعَرِيزِ الْحَكِيمِ (١)) وسورة التعابن (يُسبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْعَرِيزِ الْحَكِيمِ (١)) وسورة التعابن (يُسبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ (١)) وسورة الحديد (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)) وسورة الحديد (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)) وسورة الحديد (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)) والحكمة البيانية من ذلك جمع كل شيء.

٢٨٩ – َما دلالة استعمال كلمة (بلاء) بدل (ابتلاء) في قوله تعالى في سورة إبراهيم : (وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦))؟

أو لاً: لم ترد كلمة (ابتلاء) في القرآن الكريم أصلاً وإنما وردت (ليبتليكم، مبتليكم، ابتلاه) والبلاء قد يأتي بمعنى الاختبار أو ما ينزل على الإنسان من شدّة أو ما يصيبه من خير كما في قوله تعالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة). أما في الآية موضع السؤال فالكلام عن بني إسرائيل قبل أن يأتيهم موسى عليه السلام (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ الْذُكُرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُلنِّبُحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦)). والبلاء هنا من باب البلاء القَدَري (أي ما يُقدّره الله تعالى على الناس) وليس من باب الاختبار الشرعي. فما أصابهم من ذبح واستحياء نسائهم لم تكن بناء على اختبار شرعي وإنما حدث لهم قبل أن يُرسل الله تعالى لهم موسى عليه السلام لأن الاختبار الشرعي يكون بأن يأمر الله تعالى بشيء ما فيفعله الإنسان أو لا يفعله، فالأمر مما يتعلق بالمطلوبات الشرعية وما يترتب عليه حسنات وسيئات. وبلاء بني إسرائيل كما جاء في الآية ابتلاء قدري من باب البلاء النازل على الإنسان قدراً لا من الاختبار الشرعي فهو ليس من الابتلاء .

وكلمة ابتلى هي أشد من (بلا) ويظهر فيها معنى الاختبار أكثر. والبلاء قد لا يكون بالضرورة سيئاً والابتلاء اختبار كما في قوله تعالى في سورة الفجر (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥)). ٢٩ – ما دلالة كلمة (يستنقذون) في قوله تعالى في سورة الحج : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَثَقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣))؟

ليس المقصود هنا مسألة الشيء المأخوذ من الذباب ولا الذباب وإنما المقصود من الآية إظهار عجز الآلهة التي يدعون إليها من دون الله (إنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ) ولو بذلوا كل الجهد لا يستطيعون شيئاً من عجز هذه الآلهة يدعونها. (وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) حاولوا الاستنقاذ وليس الإنقاذ وإن يبذلوا جهدهم كله لن يستطيعوا وهذا يبين ضعف ما يعبدون من آلهة وليس مقصوداً الذباب أو ما يأخذه الذباب.

٢٩١ – ما اللمسة البيانية في عدم ذكر (الجو) في قوله تعالى : (وَلَقَدْ كُرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) في سورة الإسراء؟

قال تعالى في سورة الإسراء : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)) ونلاحظ أنه تعالى استعمل صيغة الماضي في الآية (كرّمنا، حملناهم) وفي وقتها لم يكن هناك حملٌ في الجوّ هذا أولاً ساعة النزول.

والأمر الآخر : أنه لمّا ذكر الآية شملت كل بني آدم من آدم إلى قيام الساعة لكن لو قال (في الجو) لشمل التكريم من حُملوا في الجو وبذلك تكون الآية أغفلت كثيراً من بني آدم ولما شمل التكريم كل بني آدم في عهد آدم إلى قيام الساعة. ثم إن السياق يتعلّق بالبر والبحر فقال تعالى في السورة نفسها : (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبحْرِ لِسَاعة. ثم إن السياق يتعلّق بالبر والبحر فقال تعالى في السورة نفسها : (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبحْرِ صَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى لِتَبْتَقُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُ فِي الْبحْرِ صَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٧) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِلُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٨)).

٢٩٢ – ما اللمسة البيانية في استعمال (توفّاهم) و(تتوفّاهم) في القرآن الكريم؟ قال تعالى في سورة النساء : (إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْقُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُثْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمَ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧)). نلاحظ في القرآن كله وليس فقط في هذه الآية الحذف كما جاء في القرآن مثل (تنزّل وتتنزّل، تبدّل وتتبدّل) وهذا الحذف في عموم القرآن وحيث ورد مثل هذا التعبير في القرآن سواء في الفعل أو غيره يكون لأحد أمرين : 1. للدلالة على أن الحدث أقلّ.

٢. أن يكون في مقام الإيجاز.

ففي سورة القدر مثلاً قال تعالى : (تَنَوَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْر (٤)) وقال في سورة فُصّلت : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَوَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُشُمْ ثُوعَدُونَ (٣٠)) فآية سورة القدر التنزّل كان في ليلة واحدة في العام وهي ليلة القدر فحذف من الفعل لأن الحدث أقل. أما الآية الثانية فهي عند الموت وفي كل لحظة يُحتضر فيها شخص ويموت فالتنزّل هنا يكون أكثر فقال تعالى (تتنزّل) وأعطى الفعل كل صيغته أن الحدث أطول وأكثر.

نعود إلى آية سورة النساء، ورد فيها قوله تعالى : (مستضعفين في الأرض) وقال في سورة النحل : (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَاتِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقُو السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوء بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨))) وهؤلاء المستضعفين في آية سورة النساء هم قسم من الظالمين وليس كلهم فهم أقل ، أما الآية الثانية (ظالمي أنفسهم) فالذين ظلموا أنفسهم أكثر من المستضعفين لأفهم عموم الظالمين. فلمّا خصّ بقسم من الظالمين (المستضعفين) قال تعالى : (توفّاهم) ولما كثر العدد قال : (تتوفاهم) . وهذا الحذف هو جائز من حيث اللغة للتخفيف.

• كذلك قوله تعالى : (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجِ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْء رَقِيبًا (٢٥) الأحزاب) وهذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهي حالة خاصة به فقال (تبدّل) أما في قولُه تعالى : (وَآثُوا الْيَتَاهَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمُولِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) النساء) فهذه حالة عامة وحكم عام مستمر إلى يوم القيامة فالحكم كثير ومتصل فأعطى الفعل كل صيغته.

• وكذلك في قوله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُو بِكُمْ فَأَصَبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مَنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْوَ وَحَدَة لكل المسلمين وقد نهاهم الله تعالى عن أي جزء من التفرق ولو كان قليلاً فقال (تفرقوا) ، أما في قوله تعالى : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّى بَهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي وَصَّى بَهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي وَصَّى بَهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣٠) الشورى) فالكلام لكل البشر وذكر كل الأنبياء من زمن نوح إلى قيام الساعة فقال (تفرقوا) .

٣٩٣ – ما اللمسة البيانية في عدم ذكر الحور العين في نعيم الجنة في سورة الإنسان؟

ليس هذا هو الموطن الوحيد الذي لم تُذكر فيه الحور العين مع الجنّات فهي لم تذكر في مواطن عديدة في القرآن وليس كل المواطن يُذكر فيها الحور العين. هناك مجالس بين الإخوان لا يَحسُن فيها ذكر الحور العين وهناك مواطن خاصة تقتضي ذكر الحور العين. على سبيل المثال إذا وصف لنا أحد ما بلداً فلا داعي لأن يصف نساءه إذا لم تقتضي الحاجة. وكذلك في سورة الإنسان فالمقام والسياق يتعلقان بالطعام والشراب واللباس والآنية ولا يتعلق

بذكر الحور العين. والذكر والحذف قد يتعلق أحياناً بالتفصيل والإيجاز.

٢٩٤ – ما دلالة استعمال كلمة (مدّكر) في قوله تعالى : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآَنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧) القمر) ولم يستعمل (متذكر) مثلاً من الذكر كما يُفهم من المعنى؟

هذا سؤال صرفي يُدرس في الصرف ويسمى الإبدال عندما نصيغ على صيغة (افتعل) وتقلباتها مفتَعل ومفتعل، والمشهور أن (افتعل) تأتي بالتاء مثل اختبر واجتهد واشتهر ؛ لكن مع بعض الحروف لا تأتي التاء فتُبدل دالاً (مع الدال والذال) مثلاً "اذتكر" هي صيغة افتعل من ذكر والمفروض أن نقول (مذتكر) هذا هو القياس وكذلك ادّعى المفروض أن نقول (ادتعى) على وزن افتعل لكن العرب تستثقل هذا فتُقلب الذال والدال دالاً فيقولون (مدّكر) و(وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٥٤) يوسف) بمعنى ذكر. وتبدل طاء مع الصاد والضاد مثل (اصطبر) والقياس (اصتبر) بالتاء يبدلون التاء طاء وكذلك اطّلع (اضتلع).

٢٩٥ – ما اللمسة البيانية في عدم ذكر الجواب وما يترتب على كونهم نقضوا الميثاق في قوله تعالى في سورة النساء (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ
 فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٥٥١)) بينما جاء ذكر الجواب في قوله (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ
 لَهُمْ وَبَصَدِّهِمْ عَنْ سَيل اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠))؟

هذا فيه خلاف بين المفسرين واللغويين وفي الآية أكثر من تخريج عنلهم:

- من المحتمل أن قوله تعالى (فبظلم من الذين هادوا) بدل من (فبما نقضهم ميثاقهم) فالجار والمجرور بدلٌ من قبله (فبما نقضهم) فذكر المتعلّق (حرّمنا عليهم) مثل قوله تعالى (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبُرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) الأعراف) (لمن آمن) بدل من (للذين استضعفوا)، وكذلك قوله تعالى (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكُفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَيَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) الزخرف) "لبيوهم سقفاً" بدل لقوله "لمن يكفر بالرحمن".
- الوجه الآخر أن ذكر نقض الميثاق مذكور في آيات أخرى وذكر فيها المتعلّق (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ قَاصِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكَرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) المائدة) فكأن الجواب في الآية أُحيل إلى ما ذُكر في آيات أخرى.
- الوجه الآخر أنه يُحذف للتعظيم وهذا ورد كثيراً في القرآن كما حذف جواب القسم في أوائل سورة ق (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١)). جو اب الشرط يُحذف في القرآن كثيراً كما في قوله تعالى (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلَ يَقُولُ اللَّذِينَ اسْتَكْبُرُوا لَوْلَا أَثْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) سبأ) وقوله تعالى (إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتُ (١) الانشقاق) (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ اسْتَكْبُرُوا الْمَلَاتِكَةُ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٠٥) الأنفال) وذلك حتى يذهب الذهن كل مذهب وهذا أمر عظيم فهناك من يستدعي العقوبات ولمّا قال تعالى (لعنّاهم) اللعن ليس قليلاً ، فالأمور التي ذكرها تعالى تستدعي من العقوبات وغضب الله تعالى ما يضيق عنه الكلام فكل العقوبات في حق هؤ لاء قليلة.

ويمكن أن تحتمل جميع المعاني السابقة وهذا من باب التوسع في المعنى إلا إني أميل للتعظيم وإن كان البدل وجهاً نحوياً وارداً.

٢٩٦ – ما اللمسة البيانية في الجمع مع (يستمعون) والإفراد مع (ينظر) في قوله تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (٤٣) يونس؟

هنا نسأل أيّ الأكثر المستمعين أم الناظرين؟ في مسجد أو محاضرة قد يحول عائق ما دون النظر إلى الخطيب لكن الذين يستمعون إليه أكثر فجاء تعالى بالجمع مع الكثرة (يستمعون) وجاء بالإفراد مع القلة (ينظر) ولو كان للقِلّة النسبية. وقد ورد هذا الاستعمال في القرآن فعلى سبيل المثال يستعمل القرآن "البررة" و"الأبرار" ، يستعمل "البررة" دائماً للملائكة وليس للناس لأن الملائكة كلهم بررة (كثرة نسبية) فجاء بجمع التكسير، ويستعمل "الأبرار" للناس.

وقد يكون استعمال الجمع للسمع والإفراد للنظر أن السمع يكون مباشراً وغير مباشر أما النظر فلا يكون إلا مباشراً.

۲۹۷ – ما اللمسة البيانية في ترتيب الأسماء في قوله تعالى (وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْيَّيَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) العنكبوت) وقوله تعالى (إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) غافر)؟

الفكرة العامة أولاً في طريقة القرآن في الآيتين أن ما أخّره لا يأتي على ذكره في السورة ففي سورة العنكبوت أخّر هامان ؛ وهامان لم يُذكر في السورة إلا في هذه الآية ، وفي آية سورة غافر أخّر قارون الذي لم يُذكر في السورة إلا في هذه الآية.

ثم إن هناك أمر آخر وهو أن في سورة العنكبوت قدّم قارون على فرعون لماذا؟ لأنه إذا لاحظنا السياق في السورة في الآية التي سبقت الآية موضع السؤال (وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِبِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَى الآية التي سبقت الآية موضع السؤال (وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِبِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَى السَّيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) نجد أنه ورد في آخرها كلمة (مستبصرين) عن قوم عاد و ثمود، وقارون كان مستبصراً فقد كان من قوم موسى فبغى عليهم أي أنه كان يعرف الحق مستبصراً به فجاء ذكره أولاً لأنه يدخل مع المستبصرين في الآية التي سبقت.

ثم إن الترتيب جاء مناسباً لترتيب العقوبة في السورة عقاب قارون أولاً (وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) ثم فرعون (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) فالعقوبات ترتبت بموجب الذكر فالسياق إذن مناسب للعقوبات التي ذكرها ولا يصح غير هذا الترتيب من الناحية الفنية.

أما في سورة غافر فقد جاء قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينِ (٢٣)) لمن أرسل موسى؟ لفرعون فناسب أن يكون فرعون أول للذكورين في الآية التي بعدها (إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ فناسب أن يكون فرعون أول للذكورين في الآية التي بعدها (إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ فناسب أن يكون فرعون أول الله ورعون (وقال فرعون (وقال فرعونُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ ويَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)) (وقال رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آل فِرْعَوْنَ يَكُتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) (وقالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦)) أما قارون فهو خارج السياق.

٢٩٨ - ما اللمسة البيانية في استعمال الإفراد ثم الجمع ثم الإفراد في قوله تعالى : (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١) الطلاق)؟
 ذكرنا سابقاً أن (من) في سنن العربية يُدأ معها بالإفراد الذي يعود على لفظ (مَن) ثم يُؤتى بالذي يفسر المعنى وذكرنا عدة أمثلة .

يأتي بالإفراد (من) ثم يفسر بالمعنى كما في قوله تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ انْذَنْ لِي وَلَا تَقْتِنِي الْلَهِتَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩) التوبة) بدأ بمفرد (ومنهم من يؤمن) هل القصود الجنات للمفرد؟ يمكن ذلك لأنه قد يكون للمؤمن أكثر من جنة كما في قوله تعالى (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٢٤) الرحمن). جاءت (خالدين) بالجمع لأن القرآن لم يذكر أبداً (خالداً) في الجنة بصيغة المفرد أما في النار فجاءت بالإفراد وبالجمع ، والإفراد في النار تدل على أن العزلة وحدها عذاب ولأن هناك من يُعذّب بالعزلة والإفراد ومنهم من يُعذّب بالنار، أما المؤمنون فتأتي (خالدين فيها) بالجمع للدلالة على الأَلفة .

ثم نسأل لماذا عاد إلى الإفراد في قوله تعالى (قد أحسن الله له رزقا)؟ الإفراد للدلالة على أن لكل فرد رزقاً ولو قال تعالى (لهم) تصبح للعموم ولا تعني كل واحد يُحسن له الرزق . فالإفراد دلّ على أنه تعالى أفرد كل واحد على وجه الخصوص يُحسن له الرزق وليس على العموم وهذا تنصيص.

(من) تأتي للمفرد والجمع والمثنى والمذكر والمؤنث وتأتي أولاً بصيغة المفرد ثم يأتي بعدها بما يخصص المعنى وهذا هو الأكثر في القرآن إلا إذا اقتضى السياق والبيان أن يخصص ابتداءً كما في قوله تعالى (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٢٤) يونس).

٢٩٩ – ما دلالة قوله تعالى في الآية الثانية في سورة النساء : (وَلَا تَتَبَدُّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيّبِ)؟

السؤال كان لماذا جاءت الخبيث بالطيب ولم تأتي الطيب بالخبيث؟

فنقول أن هناك قاعدة تقول : أن الباء تكون مع المتروك كما في قوله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) البقرة).

• ٣٠٠ – ما دلالة فصل (إنما) في آية سورة الأنعام (إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤)) بينما جاءت موصولة في آية سورة الذاريات والمرسلات؟

قال تعالى في سورة الأنعام (إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجزِينَ (١٣٤)) وقال في سورة الذاريات (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥)) و في سورة المرسلات (إنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧))

هذا السؤال عائد إلى خط المصحف (الخط العثماني) وليس عائداً لأمر نحوي ، وحسب القاعدة : خطّان لا يُقاس عليهما : خط المصحف وخط العَروض. وفي كتابتنا الحالية نفصل (إن) عن (ما) وحقُّها أن تُفصل.

ابتداء يعود الأمر إلى خط المصحف سواء وصل أم فصل لكن المُلاحظ الغريب في هذه الآيات كأنما نحس أن للفصل والوصل غرض يباني. لو لاحظنا في آية سورة الأنعام (إِنَّ مَا تُوعَدُونَ) فصل ، وفي الذاريات وصل (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) وفي المرسلات وصل (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) فلو لاحظنا الآيات نجد أنه تعالى لم يذكر في سورة الأنعام شيء يتعلّق بالآخرة أو متصلاً بها وإنما تكلم بعد الآية موضع السؤال عن الدنيا (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥) وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ

ساء مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦) ففصل ما يوعدون عن واقع الآخرة. بينما في سورة الذاريات وصل الأمر بأحداث الآخرة (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦)) والكلام في السورة جاء عن أحداث الآخرة فوصل (ما توعدون) بأحداث الآخرة فكأنما الفصل لفصل بين ما يوعدون وأحداث الآخرة وكذلك في سورة المرسلات دخل في أحداث الآخرة. فلمّا فصل الأحداث الآخرة عن ما يوعدون فصل (إن ما) ولمّا وصل الأحداث مع ما يوعدون وصل (إنما) وكذلك ما جاء في قوله تعالى في قصة موسى وفرعون (و أُلْقِ مَا فِي يَمِينِك تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِر وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٢٩) طه) السحرة صنعوا وانتهى الأمر، وكذلك قوله تعالى (و اعْلَمُوا أَنَّمَا غَيْمُتُمْ مِنْ شَيْء) (الأنفال) هم غنموا وانتهى الأمر فوصل و تكلم عن شيء فعلوه. فكأنما ظاهرة غريبة وكأن الكاتب الذي كتب الصحف لحظ هذا وما في القصل والوصل هذا والله أعلم.

وقد سبق أن تكلمنا عن الفصل و الوصل في (لكيلا) و (لكي لا) في إجابتنا عن سؤال سابق. (ما) الموصولة هنا تختلف عن (إنما المؤمنون إخوة) التي هي ما الكافة والمكفوفة التي توصل مع (إن).

٣٠١ – ما دلالة استعمال الإسم مع الميت والفعل مع الحيّ في آية سورة الأنعام (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالتَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُثَوْفَكُونَ (٩٥)؟

هناك قاعدة في اللغة : وهي أن الإسم يدل على الثبوت والدوام والفعل يدل على التجدد والحركة. فتلاحظ أنه عندما قال تعالى (يُخرج الحيّ) استعمل صيغة الفعل لأن أبرز صفات الحيّ هي الحركة واستعمل صيغة الإسم مع الميت (ومُخرج الميت) لأن أبرز صفات الميت السكون فاستعمل الإسم الذي يدل على الثبوت.

وتختلف المسألة في آية سورة عمران (أولجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمُسَتِ وَتَخْرِجُ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابِ (٢٧)) والفرق هنا واضح من السياقين فسورة آل عمران كلها في التغيرات والأحداث التي تتجدد (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ أَوْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُغِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْحَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)) (إيتاء الملك ونزعه، تعز من تشاء وتذل من تشاء وتذل من تشاء وتذل من تشاء وتذل من الله فَالِقُ الْحَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)) (إيتاء الملك ونزعه، تعز من تشاء وتذل من تشاء وتذل من تشاء وتذل من الله فَالِقُ الْحَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَالَّى تُونُوكَ وَعَلَى (إِنَّ اللَّهُ فَالِقُ الْحَيِّ وَالتَوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَالَّى تُونُوكَ وَاللَّهُ فَالِقُ الْوقِلُ تعالى (فَالِقُ الْإصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَلِيمِ (٩٦)) وهنا نسأل لماذا قال تعالى (فالق الإصباح) و(جعل الليل سكناً) وما الفرق بين الإصباح والليل؟

الفرق هنا ظاهر لأن فالق الإصباح لم يُقيده بأحد أو بمنتفع وهو فالق الإصباح سواء كان هناك من ينتفع أو لم يكن بينما قال (جعل الليل سكناً) قيده بمنتفع وهو من يسكن فإن لم يكن هناك من يسكن وما يسكن لا يكون الليل سكناً وكذلك الشمس والقمر حسباناً لمن يحسب فإن لم يكن هناك من يحسب فلا يكون الشمس والقمر حسباناً. فالليل هنا لا يكون سكناً إلا إن وُجد من يسكن ومن يحسب. فالأدوم هو فالق الإصباح أما جعل الليل سكناً فهو مُقيد كما أسلفنا. ولو فرضنا أنه قد دُمّر كل شيء ولم يعد هناك أحد ينتفي عندها السكن و الحسبان.

الذي يحدد استعمال الإسم أو الفعل في القرآن الكريم هو السياق فالله تعالى مثلاً يصف نفسه مرة بأنه عالم ومرة علام ومرة علام ومرة يعلم ولكل منها استعماله حسب ما يقتضيه السياق فنلاحظ أنه تعالى لا يستعمل "عالم "إلا مع الجمع (علام الغيوب). فإذا كان السياق في التجدد مع المفود (عالم الغيب) أما "علام " فلا يستعملها إلا مع الجمع (علام الغيوب). فإذا كان السياق في التجدد والتغيرات يأتي بالفعل وإن كان السياق في الثيوت يأتي بالإسم فلابد من أن نضع الكلمة في سياقها. والكلمة لا توصف بأنها بليغة وإنما يقال عنها كلمة فصيحة لكن بلاغة الكلمة عندما تضعها في كلام وفي سياق. ولابد من معرفة قواعد اللغة العربية وأحكامها حتى لا نخرج من قواعدها عندما نتكلم عن القرآن ثم إن هناك خصوصيات في استعمال القرآن فعلى سييل المثال القرآن يستعمل الريح في الشر والرياح في الخير إلا في موطن واحد قال تعالى (هُوَ الَّذِي يُسيِّرُكُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بريحٍ طَيَّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا ربح عاصف" وعليه ينبغي أن ننظر كيف لَنكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) يونس) قال "ريح طيبة" ثم أتبعها بـ "ريح عاصف" وعليه ينبغي أن ننظر كيف يستعمل القرآن الكلمة في سياقها.

مثال آخر أن القرآن يستعمل "أوصى" للأمور المادية (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأَنْشَيْنِ) يوصي من أوصى، ووصّى للأمور المعنوية (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُبيبُ (١٣) الشورى) وفي المرة التي استعمل فيها " أوصى " للصلاة أتبعها بالزكاة في قوله تعالى (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) مريم).

وكذلك استعمال " آتينا " وَ " أو توا " ففي موضع المدح يأتي بـــ (آتيناهم) كما في قوله تعالى (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَثْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكُفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (1 ٢١) البقرة) وفي معرض الذمّ يأتي بـــ (أو توا) كما في قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوثُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّيلَ (£ ٤) النساء) وقوله تعالى (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١ • ١) البقرة).

- ما اللمسة البيانية في استعمال أردت ، أردنا وأراد ربك في قصة موسى - عليه السلام - في سورة الكهف؟

هناك خط عام في القرآن الكريم وهو أن الله تعالى لا ينسب الشرّ لنفسه مطلقاً (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَاًى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسًا (٨٣) الإسراء) ولم يقل مسسناه بالشرّ وكذلك في قوله تعالى (وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَشُهُمْ رَشَدًا (١٠) الجن) و قوله تعالى (وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) النساء)، وإنما ينسب الخير إلى نفسه، والخير يُقصد به الخير العام وليس شرطاً أن يكون الخير الفردي كما في قوله تعالى (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُل مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٣) الرعد) وأخذ الكافرين وإهلاكهم هو من الخير العام وهو نعمة على الناس أصلاً وهذا أيضاً ليعلّمنا الله تعالى أن الخير والشر مُقدّر من الله تعالى وهذا هو يقين العقيدة حتى لا على الناس أصلاً وهذا أيضاً ليعلّمنا الله تعالى أن الخير والشر مُقدّر من الله تعالى وهذا هو يقين العقيدة حتى لا يتبادر إلى ذهن الإنسان أن هناك إله للخير وإله آخر للشرّ كما كانوا يعتقدون قبل الإسلام. وفي قوله تعالى (قَالَ يَتبادر إلى ذهن الإنسان أن هناك إله للخير وإله آخر للشرّ كما كانوا يعتقدون قبل الإسلام. وفي قوله تعالى (قَالَ فَانَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَصَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) طه) نسب الفتنة إليه سبحانه وتعالى وهذه الفتنة ليست شراً

وإنما هي ابتلاء فالله تعالى خلق الموت والحياة للابتلاء (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَوْيِزُ الْغَفُورُ (٢) الملك) الذي هو مُراد الله تعالى للبشر وهو من أغراض الخلق (إنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ تُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ لَنْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) الإنسان). وفي القرآن يذكر (زيّنا لهم أعمالهم) ولم يرد في القرآن مرة (زينا لهم سوء أعمالهم) وإنما جاءت (.زيّن لهم

سوء أعمالهم).

ومما سبق نقول أن في قصة الخضر مع موسى – عليه السلام – في سورة الكهف جاء استعمال فعل (أردت) مع خرق السفينة لأن الله تعالى لا ينسب العيب إلى نفسه ونسب الخضر العيب إلى نفسه تأدباً مع الله تعالى كما فعل ابراهيم – عليه السلام – في قوله تعالى (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرضْتُ فَهُوَ يَشْفِين (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِن (٨١) الشعراء) لم يقل أمرضني.

أما في حادثة الغلام ففيها جانب شر وهو قتل نفس زكية بغير نفس و جانب خير وهو الإبدال بخير منه فأصبح فيها مشترك فجاء لفظ (أردنا).

أما في قصة الجدار فالأمر كله خير فتحت الجدار كنز وأبو الغلامين كان صالحاً والأمر كله خير ليس فيه جانب سوء فأسند الفعل إلى الله تعالى فقال (أراد ربك).

٣٠٣ – ما دلالة استعمال إسم المصدر وإسم الآلة في قوله تعالى في سورة المائدة آية ٤٨ (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)؟

أو لا ليس في الآية اسم مصدر ولا اسم آلة لأن الشِرعة ليست اسم مصدر والمنهاج ليست اسم آلة. الشِرعة في اللغة هي الطويق الموصل إلى الماء والشريعة هي الماء عند العرب فالعرب تُسمي شريعة مورد الماء الذي لا ينقطع وسبب التسمية لأن الماء به سبب الحياة الفانية والدين سبب الحياة الأبدية فالماء والشريعة هما للريّ والتطهر فالربط بينهما على أن كلاهما سبب الحياة.

أما صيغة مفعال فلا تختص بالآلة فقد تكون آلة (مهباج) وقد تكون مصدراً (مرصاد) وقد تكون للوقت (ميقات) وتستعمل للدلالة على المكان الذي يُضرب للحج (ميقات -مواقيت الحج). فالمنهاج هو مكان موضع وليس اسم آلة وإنما هو الطريق الواضح المستقيم. النهج هو الطريق الواضح والمنهاج هو الطريق الواضح المستقيم وهذا غير السيبل. فلما قال تعالى (شرعة ومنهاجا) قصد ما فيها من سبب الحياة الباقية والطريق الموصل إليها.

٣٠٠ ما اللمسة البيانية في قوله تعالى (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابِ (١٠)) سورة الزمر (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذُهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَالرَّضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَالرَّضُ اللَّهِ وَاسِعَةً إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابِ (١٠)) والمفسرون يفسرونها أحد تفسيرين: إما أن الأجر يُصب عليهم صباً بغير حساب للدلالة على المبالغة في الأجر ، أو أن الصابرين يُصب عليهم الأجر ولا يحاسبون لأن الصابريؤجر بدون أن يُحاسب ويُسقط عنه الأجر بقدر ما صبر ويُتجاوز عنه ويُدخله الله تعالى الجنة بغير حساب. فكلمة (بغير حساب) قد تكون للأجر وقد تكون للصابرين وهي تحتمل المعنيين. وفي الحديث الشريف عن سول الله – صلى الله عليه وسلم –: "سبعون ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب".

٥٠٣ – ما اللمسة البيانية في استعمال (الوالدات) بالجمع و (المولود له) بالإفراد في آية سورة البقرة؟
 قال تعالى في سورة البقرة (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْن كَامِلَيْن لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ

رِ زْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَوْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَوْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣))

هنالك أكثر من سؤال في هذه الآية: لماذا قال الوالدات ولم يقل على الوالدو إنما قال المولود له ولماذا فرّق وقال الوالدات و المولود له بدل الوالد أو الوالدين؟

حُكماً أن المولود للآباء مولود له أن الولد يُنسب للأب فهو له وليس للأم فهو مولود له وليس للوالدة (هي وَلَدت) لكن المولود للأب. وحكماً أن الولد ينتسب إلى الأب وهو المسؤول عنه والذي يتكفله ويرعاه فهو ليس مولوداً للأم وإنما مولود للأب فالأم والدة والأب مولود له.

الأمر الآخر محتمل أن يكون للمولود له أكثر من زوجة فقال تعالى (والوالدات) بالجمع لتشمل كل الزوجات وقال (وعلى المولود له) خاصة بواحدة من الزوجات.

ثم نلاحظ أنه قال تعالى (والوالدات يُرضعن أو لادهن) ولم يقل على الوالدات لأنمن لسن مكلفات بإرضاع الولد فيمكن لهن أن لا يُرضعن أو لادهن أو أن يأتين بمرضعة فالوالدات لسن مكلفات شرعاً بإرضاع الولد. لكنه قال تعالى (وعلى المولود له رزقهن) لأن هذا واجب الأب فجمع سبحانه البيان والشرع والحكم.

٣٠٦ - ما دلالة اختلاف ترتيب الأقارب بين آية سورة عبس وآية سورة المعارج؟

آية سورة عبس في الفرار يوم القيامة والمشهد مشهد فرار وأن يخلو الواحد إلى نفسه وعادة الفرار يبدأ من الأبعد إلى الأقرب قيكون الأقرب آخر من يفرّ منه الإنسان. وأبعد المذكورين في الآية (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)) هو الأخ لأنه أحياناً لا يرى الإنسان أخاه أشهراً فبدأ بالفرار منه ثم قدّم الأم على الأب في الفرار لأن الأم لا تستطيع أن تدفع عنه أو تنصره لكن الأب ينصره، وقد قال أعرابي عندما بُشّر بمولودة قال "والله ما هي بنعم الولد نصرُها بُكاء وبرّها سرقة" إذا أرادت أن تنصر تبكي وإن أرادت أن تبرّ تسرق من زوجها لتعطي. ثم أخّر الأبناء لألهم ألصق شيء بالإنسان.

أما في سورة المعارج فالمشهد مشهد فِداء وذَكر القرابات (يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذِ بِبَيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) وأقرب القرابة الأبناء والإنسان خلقه الله تعالى هلوعاً (إنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) المعارج) إذا وأى مشهد العذاب أدركه الهلع فبدأ بالأقرب وهذا يوحي أن العذاب فوق ما يتصور الإنسان فافتدى بأعز ما يملك وهم أبناؤه ولم يذكر في الآية الافتداء بالأم أو الأب لأن الله تعالى أمر بالإحسان إليهما ودل على عظيم مكانة الأبوين فلا يمكن أن تفتدي بما يُتقرّب إليه فهل يُعقل أن يفتدي إلى الله تعالى بأبويه فهل هذا هو الإحسان إليهما أن تضعهما مكانك في جهنم؟ قد يهر منهما لكن لا يفتدي هما أبدا.

٣٠٧ – لماذا لم يرد ذِكر الجِمال في قوله تعالى (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)) في سورة النحل؟

ذكر الله تعالى في هذه الآية سبل المواصلات لكنه ذكر الجمال في الآية التي سبقتها فقال تعالى (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧)) وفي هذه الآية ذكر ما يُستعمل للركوب والأكل والجمال تدخل في الأنعام ثم ذكر بعدها ما يُستعمل للركوب والزينة في قوله تعالى (وَالْخَيْلَ وَالْبَغَالَ وَالْحَمِيرَ لِلْحَمِيرَ لِلْتُرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخُلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)) وهذه كلها ليست للأكل. ففي ترتيب الذكر في الآيات ذكر أولاً ما هو للركوب والزينة.

٣٠٨ ما اللمسة البيانية في الاختلاف بين قوله تعالى في سورة النمل (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْعَابِرِينَ (٥٧)) وفي قوله في سورة الحجر (إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْعَابِرِينَ (٥٧)) في قصة امرأة لوط؟

لو لاحظنا الآيتين في سورة النحل وفي سورة الحجر كأن السائل يسأل عن الاختلاف في التوكيد في آية سورة الحجر. ولو نظرنا إلى آية سورة الحجر (إلَّا اَلَّ لُوطٍ إِنَّا اَمُسَجَّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) إِنَّا امْرَأَتَهُ قَلَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٢٠) لوجدنا فيها ستة مؤكدات هي: (إنّا، اللام في لمنجوهم، منجوهم (إسم)، أجمعين، إنّ في إنها واللام في لمن الغابرين) ثم أننا إذا نظرنا في السورة كلها أي سورة الحجر لوجدنا فيها ٢٠ مؤكد في قصة لوط بينما في سورة النمل ففيها ثلاثة مؤكدات فقط في القصة كلها (أننكم، لتأتون، وإلهم أناس يتطهرون). هذا الجو العام في السورتين والوضع الوصفي فالآية في سورة الحجر أنسب مع الؤكدات في القصة من آية سورة النمل. وقد يسأل السائل النمال فوصفي ما الجهل (أَنتُكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهُوةً مِنْ دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)) والمجرون أشد من الجاهلين فالوصف أشد وهذا الوصف الأشد يقتضي عقوبة أشد ول نظرنا إلى العقوبة في كلتا السورتين لوجدنا أن العقوبة في سورة الحجر أشد (١٥٥)) والمحرون أشد سجيّل (٤٧)) وفي سورة الحجر أشد (١٤٥ عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٨٥)) والمطر قد يكون ماء أما الحجارة في سورة الحجر فهي بالطبع أشد. إذن العقوبة أشد والوصف أشد ثم إن القصة في سورة الحجر (١٩٩ آية من الآية في سورة الحجر فهي بالطبع أشد. إذن العقوبة أشد والوصف أشد ثم إن القصة في سورة الحجر (١٩٩ آية من الآية الحجر فهي المول منها في سورة النمل (٥ آيات فقط) فإذا نظرنا إلى القصة من جهة التوسع والإيجاز فآية سورة الحجر أنسب ومن حيث التوكد والعقوبة والطول أنسب وضع الآية مكان الأخرى.

القرآن الكريم يراعي التعبير في كل مكان بصورة دقيقة ويراعي التصوير الفني للقصة.

٩ - ٣ - ما اللمسة البيانية في ذكر عيسى مرة والسيح مرة وابن مريم مرة في القرآن الكريم؟
 لو عملنا مسحاً في القرآن الكريم كله عن عيسى نجد أنه يُذكر على إحدى هذه الصيغ:

؟ المسيح: ويدخل فيها المسيح ، المسيح عيسى ابن مريم، المسيح ابن مريم (لقبه)

؟ عيسى ويدخل فيها: عيسى ابن مريم وعيسى (إسمه)

؟ ابن مريم (كُنيته)

حيث ورد المسيح في كل السور سواء وحده أو المسيح عيسى ابن مريم أو المسيح ابن مريم لم يكن في سياق ذكر الرسالة وإيتاء البيّنات أبداً ولم ترد في التكليف وإنما تأتي في مقام الثناء أو تصحيح العقيدة. (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) آل عمران) (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ الْخَينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَهِي شَكٍ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٥) النساء) (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) المائدة) (اتَّخَلُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا

TOLO (SLAMICBOOK.WS) جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

كتاب : لمسات بيانية المؤلف : الدكتور فاضل صالح السامرائي

يُشْرِكُونَ (٣١) التوبة).

وكذلك ابن مريم لم تأتي مطلقاً بالتكليف (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينِ (٥٠) المؤمنون) (وَلَمَّا ضُربَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) الزخرف).

أما عيسى في كل أشكالها فهذا لفظ عام يأتي للتكليف والنداء والشاء فهو عام (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لَلْمُتَقِينَ (٤٦) المائدة) (ذَلِكَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُولَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مريم) ولا نجد في القرآن كله آتيناه البينات إلا مع لفظ (عيسى) (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيْنَاتِ قَالَ قَدْ جِنْتُكُمْ بِالْجِكْمَةِ وَلَأَبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٣٣) الزخرف) ولم يأت أبداً مع ابن مريم ولا المسيح. إذن فالتكليف يأتي بلفظ عيسى أو الشاء أيضاً وكلمة عيسى عامة (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرِيْمَ هَلْ يُسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنزِّلَ عَلَيْنَا عيسى أو الشاء أيضاً وكلمة عيسى عامة (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرَيْمَ هَلْ يُسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنزِّلَ عَلَيْنَا عيسى أو الشاء أيضاً وكلمة عيسى عامة (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرَيْمَ هَلْ يُسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنزِّلَ عَلَيْنَا عيسى أو الشاء أيضاً وكلمة عيسى عامة (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرَيْمَ هَلْ يُسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنزِّلُ عَلَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ قَالَ اللَّهُ إِنْ كُنتُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٦٢) المائدة) فالمسيح ليس اسماً ولكنه لقب وعيسى اسم أي العربية يأتي للمدح أو الذم والمسيح معناها المبارك. والتكليف جاء باسمه (عيسى) وليس بلقبه ولا كُنيته.

• ٣١- ما الفرق بين النبأ والخبر؟

النبأ كما يقول أهل اللغة أهم من الخبر وأعظم منه وفيه فائدة مهمة (وَجِنْتُكَ مِنْ سَبَا بِنَبَا يَقِينِ (٢٢) النمل) و في القرآن النبأ أهم من الخبر (قُلْ هُوَ نَبًا عَظِيمٌ (٢٧) ص) (عَنِ النَّبَا الْعَظِيمِ (٢) النبأ). والنبأ في اللغة هو الظهور وقد استعمل القرآن الكريم كلمة حبر مفردة في موطنين في قصة موسى – عليه السلام – (قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَرًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرِ أَوْ جَنْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطُلُونَ (٢٩) القصص) (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَرًا سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرِ أَوْ جَنْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطُلُونَ (٧) النمل) وهناك فرق بين الخبر والنبأ العظيم. وفي أخبار الماضين والرسل استعمل القرآن نباً (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَحُالُهُمْ بِالْبَيّنَاتِ فَرَدُوا أَيْدِينَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرَنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَقِي شَكً مِنَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُريب (٩) ابراهيم) (وَاثُلُ عَلَيْهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَا لَقِي شَكً مِنَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُريب (٥) ابراهيم) (وَاثُلُ عَلَيْهُمْ فَيَا اللَّهُ عَذَالِكُ فَعَلَى اللَّهِ فَعَلَى اللَّهُ مَوْا أَمْرُكُمْ وَشُرَكَاءً كُمْ وَشُرَكُمْ وَشُرَكَاءً كُمْ الْكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ عُمَّةٌ ثُمَّ الْفُوا إِلَى وَلَا لَقُوهُ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَقَدْعُونَ الْمَالُونُ وَلَا لَقُوهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ عُمَّةٌ ثُمَّ الْقَرُونِ وَلَا اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ فَعَلَى اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ مُقَاهِي وَقَدْمُ وَلَو اللَّهُ فَوْادَلُ وَ جَاءَكُ فِي هَذِهِ الْحَقُ وَمُوعِظَةً

وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) هود).

وقد يسأل أحدَهم جاء في القرآن قوله تعالى (وَلَنَبْلُونَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) محمد) فلم لم يقل نبلوا أنباءكم؟

هذا يدل على عِظم النبأ لأنه إذا بلي القليل من الأخبار فقطعاً سيبلي الكثير وإذا اختبر القليل فهو بالتأكيد يختبر

الكثير. وإذا قال نبلوا أنباءكم تحتمل أن تعني لا يبلوا أخباركم فهل إذا بلى ما هو قليل سيترك ما هو أعظم؟ بالطبع لا فهو سيبلو الأنباء التي هي أعظم.

و الصيغة الفعلية للنبأ (أنبأ) أقوى أيضاً منها للخبر (أخبر) (قُلْ هَلْ نُنَبِّنُكُمْ بِالْآخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الكهف). ملحوظة: في نشرات الأخبار التي تقدمها الإذاعات إن كان الخبر عظيماً يجب أن يقال نشرة الأنباء وإن كان خبراً عادياً يقال نشرة الأخبار.

والمُراد من هذا كله أن النبأ أعظم من الخبر.

٣١١ – ما اللمسة البيانية في ذكر (أن) في آية سورة القصص وما دلالتها مع ألها لم ترد في آية سورة هود في قصة لوط ولم ترد كذلك في آية سورة يوسف؟

(أن) هذه عند النُحاة زائدة إذا وقعت (أن) بعد لما فهي زائدة أي لا تؤثر على المعنى العام إذا حُذفت.

لكن الملاحظ هو قوله تعالى (فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوِّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَثْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْلَّمْسِ إِنْ ثُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (٩٩)) فصل بين الفعل وبين (لله) (ومعنى لمّا أي في الوقت الذي قرر فيه وقسم يرى ألها حرف وقسم يرى ألها ظرف لكن هي زمنية وتُسمى حينية أي حينما) نلاحظ أنه فصل بين بين لمّا والفعل وهذه الظاهرة موجودة في القرآن وهي في الآية في سورة القصص تدل على أن موسى – عليه السلام – لم يكن مُندفعاً للبطش فجاءت (أن) للدلالة على أنه لم يكن مندفعاً وللدلالة على الفاصل في الزمن وهي ليست كالحالة الأولى (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا وَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاتُهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَل الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاتُهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الله لالة على الترتيب والتعقيب أما في عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَل الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوِّهُ فَاسْتَعَاتُهُ اللّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الله لالة على الترتيب والتعقيب أما في عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَل الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُولٌ مُضِلِّ مُبِنَ (٥٠)) استخدم الفاء للدلالة على الترتيب والتعقيب أما في

هذه الآية فدلّت على التمهل والتريث.. قصة لوط بين سورتي العنكيوت وهود:

وهذا الأمر يتضح في القرآن في أكثر من موطن ففي قصة لوط مثلاً جاء في سورة هود قوله تعالى (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)) بدون (أن) بينما وردت في سورة العنكوت (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَحَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣)) مع ذكر (أن) وهذا لأكثر من سبب أولاً لأن القصة في العنكبوت جاءت مفصلة وذكر تعالى من صفات قوم لوط السينة (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدِ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَنِيَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُثْكَرَ) ما لم يذكره في سورة هود (وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُثْكَرَ) ما لم يذكره في سورة هود (وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّبِيلَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُثْكَرَ) ما لم يذكره في سورة هود (وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّبِينَاتِ مُ هُ ذكر تعالى أن ضيق لوط بقومه في العنكبوت أكثر وكان ترقبه للخلاص أكثر وكان برِمًا كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّبِيعَ بَهِمْ وَصَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا. ثَمْ إِن قوم لوط تعجلوا العذاب في سورة العنكبوت فقالوا (فَمَا كَانَ جَوَابَ بَقُومُ النَّهُ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّدِقِينَ (٢٩)) ثم دعا لوط ربه أن ينصره عليهم (قَالَ رَبِ المُناسِيعَ عَلَى الْقَدْابِ على هؤلاء وهو نفسياً كانما وجد أن مجيئهم كان طيلاً وجد أن مجيئهم كان طيلاً وقي العذاب جاء عليهم قبل هذا. فهي من حيث النفصيل أنسب ومن حيث عمل السيئات إذا كانت للتوكيد أنسب وإن كانت من ناحية برم لوط فهي أنسب.

وكذلك في سورة يوسف (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) ذكر (أن) مناسب لقوله تعالى (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَآجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ ثَفَنَدُونِ (٩٤)) الآن يعقوب – عليه السلام – في حالة ترقب وانتظار ففصل بينهما مناسباً لحالة الشعور بالانتظار والترقب التي كان عليها يعقوب – عليه السلام – وهذه الحالة لاحظها القدماء فقالوا أن هذا القصل لأنه كان ينتظر ويترقب ولا شك أن الشعور بالوقت يختلف من إنسان إلى إنسان بحسب الظروف التي هو فيها ويعقوب – عليه السلام – كان يستطيل الوقت ففصل بينهما.

أن للإطالة ويقولون للتوكيد لكن التوكيد له مواطن عندهم والقياس أن تُزاد (أن) بعد (للّ) إن شئت أن تأتي بها فلا حرج ويقولون إنها زائدة والزيادة للتوكيد في الغالب مع أنها ليست بالضرورة للتوكيد فالزيادة لها أغراض فقد تكون تزينية أو زيادة لازمة أو تكون لأمور أخرى منها التصيص على معنى معين وهي كلها أمور نحوية. ٢٣ – ما دلالة استعمال كلمة مشتبهاً وغير متشابه في آية سورة الأنعام؟

قال تعالى في سورة الأنعام (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْء فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ حَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ التَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابُ وَالرَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهَا وَغَيْرَ مُتَشَابِهِ الْظُرُوا إِلَى تَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)). الاشتباه هو شدة التشابه وكثرته بحيث يؤدي ذلك إلى الاشكال ويقال اشتبه عليه الأمر إذا أشكل عليه والتبس ويقال اشتبهت عليه القِبلة. واشتبه أكثر مت تشابه وقد يؤدي إلى الاختلاط بين الشيئين بحيث لا يمكن أن يميّز بينهما. التشابه قد يكون في وجه من الأوجه أو في أمر بسيط لكن لا يصل لدرجة الاشكال والاشتباه.

وقوله تعالى (مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِه) نفي للاشتباه والتشابه فلو قال مشتبهاً وغير متشابه لنفى الاشتباه لكن لا ينفي التشابه. وقد نفى تعالى ما هو أعظم أي نفى الاشتباه فمن باب أولى ونفى التشابه. وفي آية أخرى في نفس السورة قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَاً جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالتَّحْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَا جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالتَّحْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مَتَّالِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)). ٣١٣ – ما اللمسة البيانية في استعمال كلمة القاسطون مقابل للسلمون في آية سورة الجن (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولِئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤))؟

فَهَذَا إِذِنْ سَمَتَ السَّورَةُ كَمَا فِي قُولُه تَعَالَى (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرَّا وَلَا رَشَدًا (٢٦)) والنفع مقابل الضَّرَّ وليس الرشد وكذلك قوله تعالى (قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥)) لم يقل بعيد وإنما قال أمدا والأمد هو الأجل. فكل السورة ليس فيها شيء ومقابله وإنما يأتي بالشيء ونقيضه أما لماذا؟ أولاً لأن فيها بيان عِظَم جُرم القاسطين. (يتبع).

٤ ٣٦ – لماذا جاءت (يضرُّكم) بالرفع في آية سورة آل عمران (إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)؟
أو لا من يقول أن (يضُرُّكم) مرفوعة؟ ومن يقول إلها حالة رفع؟ هذا الفعل مجزوم وللآية قراءتان متواترتان إحداها بالفتح (يضرَّكم) والثانية بالرفع (يضرُّكم). هذا الفعل مجزوم وعلامة جزمه السكون حُرِّك لالتقائ الساكنين وكانت الحركة الضم للاتباع. وهذا الفعل (ضرّ) فعل ثلاثي مضعّف إذا جُزِم وكان مضموم العين في المضارع مثل عمّل عدّ يعُد وشد يشد إذا جُزم فغليه أربعة أحوال:

الادغام والفتح كأن نقول لن يضُرَّك كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتُدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ (٤٥) المائدة) بالفتح وهذا مجزوم لكن لمّا صار ادغام التقى ساكنان فعنلما ادغمنا الأول يصير ساكناً والثاني ساكن فلا بد من الحركة وعندنا أوجه تحريك إما أن نحركه بالفتح لأنما أخف الحركات مثل (يرتَّد) مجزوم وعلامة جزمه السكون لكن حُرِّك لالنقاء الساكنين وحُرِّك بالفتح لأنما أخف الحركات.

الادغام مع الكسر كقولنا لا يُضِّر ومثل قوله تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) الحشر).

الادغام مع الضمّ إذا كانت العين مضمومة مثل يضُر، يعُد، يمّد يصِحّ أن نقول لم يمّدٌ ولم يمِدّ ولم يمدّ.

فالفعل إذن ليس مرفوعا ولكنه مجزوم وعلامة جزمه السكون وحُرِّك لالتقاء الساكنين وكانت الحركة الضمّ للاتباع هذا من ناحية التفضيل النحوي. لكن يبقى السؤال لماذا اختير في هذه القراءة الضم؟ مع أن الأكثر والأشيع هو الفتح لأن الفتحة أخف الحركات وهو ما عليه الكثير من القُرّاء؟

قراءة حفص هي التي تقرأ بالضمّ. من المُسلّمات أن الضمّ أثقل الحركات والفتحة أخفّها عندما نقول يضُرَّكم الفتح تعني كأنه ليس هناك ضرر أصلاً لكن إذا قلنا يضرُّكم بالضم فهي تعني أنه لا يضركم ولكن هناك أذى ولذا قال تعلى في هذه الآية (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا) إشارة إلى أن يضرُّكم بالرفع لا تعني مسح الضرر ولكن يبقى شيء من مخلّفاته التي لا ترقى إلى الضرر مما يؤذي النفس ولهذا جاءت الآية بعلها بالصبر. فحالة الرفع هنا حالة ثقيلة أما حالة الفتح فهي أخف منها فناسب حركة الاعراب الحالة التي تأتي فيها.

وقد يسأل سائل لماذا تختلف القراءات والآية نفسها وفيها قراءتان متواترتان بالرفع والفتح؟ قالوا هناك مواقف في الزمن ومواقف في الأشخاص والناس ليسوا على وتيرة واحدة فيلاقي بعضهم حالات أشد من حالات والزمن ليس واحداً فقد تكون حالة أثقل من حالة وقد يكون ما يلقاه شخص غير ما يلقاه شخص آخر فلذلك خالف وهي إشارة إلى الحالة الواقعية للحياة فلا تكون على وتيرة واحدة لذا جاءت في القراءات احداها أثقل من الأخرى.

ومن هذا كله نقول أن (يضرُّكم) في الآية ليست مرفوعة وإنما مجزومة لأنه فعل مضعّف عينه مضمومة وجاءت للاتباع. ونلخّص ما قلناه في أحوال جزم الفعل اللاثي المضعّف وكان مضموم العين ونقول أن كلها ممكنة سواء كان الفعل أمر أو فعل مجزوم إذا أُسند إلى ضمير مستتر أو اسم ظاهر حالات فك الادغام، الادغام مع الفتح أو الكسر كلها جائزة والادغام مع الضمّ هذا الذي فيه الشرط فلو كان فعل الشرط ماضياً يمكن أن يكون مرفوعاً ويُعدّ ماضياً (يَوْمَ تَجدُ كُلُّ تَفْس مَا عَمِلَت مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَت مِنْ سُوء تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ويُعدّ ماضياً (يَوْمَ تَجدُ كُلُّ تَفْس مَا عَمِلَت مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَت مِنْ سُوء تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ويُعدّ ماضياً الله نَفْس أو الله وَالله والله عمران) ولو كان الفعل مضارعاً لا يحتمل الرفع. في قصة سبأ الآية (قَالَت يَا أَيُهَا الْمَلَأُ أَقْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٣) النمل) هذا منصوب بحذف النون والنون الموجودة في الفعل (تشهدون) هي نون الوقاية والأصل تشهدونني فهذا نصب وليس جزماً والفعل منصوب بحذف النون والياء المخذوفة هي مفعول به والنون للوقاية.

٣١٥ – لماذا جاء الفعل (ليقولَن) بالنصب في آية سورة هود (وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ مَنْ حَلَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧)) بينما جاءت بالضم في آية أخرى في سورة لقمان (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ حَلَقَ اللَّهَ عَلَمُونَ (٣٥))؟
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُل الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَل يَعْلَمُونَ (٣٥))؟

في الآية الأولى في سورة هود الفعل يُبنى على الفتح لأن نون التوكيد باشرت الفعل المضارع لأنه مُسند إلى اسم ظاهر (الذين كفروا) والفعل يُفرد مع الفاعل وهذه قاعدة إذا كان الفعل ظاهر فنأتي بالفعل في حالة الإفراد كما في قوله تعالى (وإذا جاءك الذين كفروا).

أما في الآية الثانية فالفعل مُسند إلى واو الجماعة ولم تباشره نون التوكيد (يقولون) ومثلها الآيات ٦٦ و٦٣ في

سورة العنكبوت والآية ٩ و٨٧ في الزخرف والآية ٣٨ في الزمر والآية ٥٥ من سورة التوبة (وَلَثِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥)) والآية ٨ من سورة هود (وَلَئِنْ أَخَّوْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨)).

ولهذا فلابد أن يكون الفعل في الآية الأولى مبني على الفتح لأنه مُسند إلى اسم ظاهر (ليقولَّن) والثاني مُسند إلى واو الجماعة (ليقولُنّ) مرفوع بالنون المحذوفة لتوالي الأمثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين. أصل الفعل يقولون مرفوع بثبات النون وعندما جاءت نون التوكيد الثقيلة يصبح عندنا نونان ويصبح هذا كثيراً فيحذفون نون الرفع وتبقى نون التوكيد واللام لام الفعل.

وفي الآية الأولى اللام واقعة في جواب القسم (لئن) وهي اللام الموطّئة للقسم و (إن) الشرطية و (لئن) قسم. واللام في الاثبات تأتي على الجواب يجب أن يكون الفعل مثبتاً. فإذا قلنا لئن سألتهم من خلق السموات والأرض يقولون يُصبح الفعل منفيّاً. في جواب القسم إذا أجبنا القسم بفعل مضارع إذا كان الفعل مثبتاً فلا بد من أن نأتي باللام سواء معه نون أو لم يكن معه نون كأن نقول "والله لأذهب الآن، أو والله لأذهب في الله تُفتأ تَذْكُر بُوسُف حَتَى النفي قطعاً فغ قلنا والله أذهب معناها لا أذهب كما في قوله تعالى في سورة يوسف (قَالُوا تَاللّهِ تَفْتَأ تَذْكُر بُوسُف حَتَى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)) بمعنى لا تفتأ. فمتى أجبت القسم بالفعل المضارع ولم تأت باللام فهو نفى قطعاً كما في هذه الأبيات:

رأيت الخمر صالحة وفيها مناقب تفسد الرجل الكريما

فلا والله أشرها حياتي ولا أشفى هما أبداً سقيما

وكذلك:

آليت حَبَّ العراق الدهر أطعمه والحَبُّ يأكله في القرية السوس

فالقاعدة تقول أن اللام في جواب القسم دلالة على إثبات الفعل.

٣١٦ – لماذا جاء جواب الشرط في قوله تعالى (لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْاَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٢)) في سورة الحشر مرفوعاً؟

أو لا هذا ليس جواباً للشرط وإنما هو واقع في جواب القسم. والقاعدة تقول إنه إذا اجتمع القسم والشرط فالجواب للسابق منهما فإن تقدّمه ما يحتاج إلى خبر فأنت مخيّر كأن نقول "أنت والله إن فعلت كذا". وفي هذه الآية القسم سابق للشرط فلا يمكن أن يكون (لا يخرجون) جواباً للشرط وإنما هو جواب القسم فلا بد من الرفع وهو مرفوع بثيوت النون لأنه من الأفعال الخمسة.

وكذلك في قوله تعالى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُثْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) التوبة) ليقولن جواب قسم وليس جواب شرط. وفي قوله تعالى (وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ).

٣١٧ - هل البدكل يفيد التوكيد؟

للبدل عدة أغراض منها:

؟ أن يكون للإيضاح والتبيين كما في قوله تعالى ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَر فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أَخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينِ فَمَنْ تَطُوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(١٨٤) البقرة) طعام مسكين إيضاح للفدية.

؟ قد يكون للمدح أو الذمّ كما في قوله تعالى (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) العلق) و (وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِين (٣) التين).

؟ قد يكون للتخصيص كما في قوله تعالى (إِنَّا زَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنِيَا بزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) الصافات) الكواكب مخصصة والزينة عامة. وكذلك في قوله تعالى (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكُوابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) الانسان).

؟ التفصيل كما في قوله تعالى (إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (٧٥) مريم)

؟ قد يكون للتفخيم كما في قوله تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوُّلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) الحجرى

؟ قد يكون للإحاطة والشمول كما في قوله (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِلَّوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) المائدة)

؟ وقد يكون للتوكيد أيضاً.

وللبدل أنواع لا مجال لذكرها في هذا المقام.

قوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالَ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ (البقرة)) قتال هي بدل اشتمال، وفي قوله تعالى (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أُو انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) المزمل) نصفه بعض من كُلّ. ولكل نوع من أنواع البدل دلالة وسياق.

٣١٨ – لماذا جاءت كلمة (بأحسن) منصوبة في قوله تعالى (وَإِذَا خُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْء حَسيبًا (٨٦) النساء)؟

(بأحسنَ) ليست منصوبة ولكنها مجرورة بالقتحة لأنها ممنوعة من الصرف (وجُرّ بالفتح ما لم ينصرف) وهي صيغة على وزن أفعل إسم تفضيل على وزن الفعل ، فالقاعدة تقول : إن الوضفية إذا كانت على وزن الفعل تمنع من الصرف ما لم تؤنّث بالتاء.

وكذلك في قوله تعالى (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) الأحزاب) أسفلَ مجرورة بالفتحة لأنها ممنوعة من الصرف ومثلها أصفر وأخضر وأحمر. ٣١٩ – ما دلالة استخدام صيغة الفعل المضارع في قوله تعالى (يا بُنَيَّ إنِّي أَرَى فِي الْمَنَام أَنِّي أَذْبُحُكَ؟

قال تعالى (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) الصافات) أولاً رؤية ابراهيم – عليه السلام – كما يُنقل لم يرها مرة واحدة وإنما تكررت ثلاث ليال هذا أمر والأمر الآخر هو أن الفعل المضارع قد يستخدم ليعبّر به عن الماضي في ما نسميه حكاية الحال كما يُعبّر عن الماضي للمستقبل كما في قوله تعالى (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُولِّيَنَّكَ فِي السَّمَاء فَلَنُولِيَّنَكَ وَبُهُ وَمَا اللَّهُ بِعَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (٤٤٢) البقرة) وقوله (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ لِنَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)) تقتلون وقال معها من قبل. وحكاية الحال هو أن يُعبّر عن الحال الماضية بالفعل المضارع

للشيء المهم كأن يجعله حاضراً أمام السامع واستحضار الصورة في القرآن كثير وفي غير القرآن فكأن الرؤية التي رآها ابراهيم – عليه السلام – لأهميتها استحضرها فاستخدم الفعل بصيغة المضارع. والأمثلة في القرآن كثيرة منها قوله تعالى روَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) الكهف) مع أن

الأحداث انتهت ومضت، وقوله (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِثْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ نَحْنُ فِثْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَشُورُوا لِمَوْ اللَّهِ الْمُرْءِ وَلَوْجِهِ وَمَا هُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِنْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٠١) البقرة (١٠٤) البقرة (١٤٤) البقرة

• ٣٧ – ما دلالة تقديم (وعنده) في قوله تعالى (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبِ وَلَا يَابِسِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينِ (٥٩) الأنعام)؟ هذا تقديم الخبر إذا كان المبتدأ معرفة و(مفاتح الغيب) معرفة لأنها عُرّفت بالإضافة إلى معرفة فلا يجوز الابتداء باللكرة. والتقديم هنا لغرض بحكم القاعدة ومثل هذا التقديم تقديم الخبر على المبتدأ وتقديم المعمول على العامل أكثر وأهم غرض له هو التخصيص والحصر. ومعنى الآية أن مفاتح الغيب عند الله تعالى حصراً وليس هناك ذات أخرى عندها مفاتح الغيب فهذا تقديم للحصر والقصر.

في اللغة يمكن أن تقول "عنده كتاب" وهذا يعني أن عنده كتاب وقد يكون عند غيره كتاب إما إذا قلنا "عنده الكتاب" أي ليس عند أحد آخر الكتاب إلا عنده. ومثل ذلك قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين)

قوله تعالى (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا (٢٤) محمد) هل فيها تقديم وتأخير؟ والضمير في (أقفالها) يعود على متقدم فلو أخّرنا الضمير يصبح على متأخر لفظاً ورُتبة وهو لا يصح في الكلام فلا نقول أقفالها على قلوب.

٣٢١ – ما اللمسة البيانية في قوله تعالى (عيناً يشرب بها) مع ألها وردت في آية أخرى (يشربون من كأس) في سورة الإنسان؟

يمكن العودة إلى تفسير سورة الإنسان لأننا تحدثنا عن هذا بالنفصيل ولا بأس من الإعادة هنا. قلنا أن الله تعالى قسم الناس إلى قسمين في الجنة فذكر الأبرار (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسِ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)) وذكر صنفاً آخر وهم عباد الله (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)) الذين يقول القسرون ألهم المقربون وهم أعلى درجة من الأبرار وقالوا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين. كيف؟ لأن الأبرار قد يصلون ركعتين في جوف الليل ويظنون ألها حسنة أما المقربون فلا يكتفون بركعتين وإنما قد يصلون ثمان ركعات أو أكثر وقد يتهجدون ويسبحون ويذكرون الله تعالى أكثر فلو صلوا فقط الركعتين لكانت في حقهم سيئة ، ثم إن المقربين يُحسنون لمن أساء إليهم مع قدرهم على العقاب وهم لا يكتفون بأن يأخذوا حقهم فمن أساء إليهم أو يعفوا عن المسيء فقط وإنما يحسنون إليه ولهذا فهم أعلى درجة عند الله تعالى.

؟ قال تعالى (يشرب بها) لأن المقربين أعلى درجة من الأبرار فجزاؤهم سيكون أعلى بالتأكيد. (يشرب بها) في اللغة

بمعنى " يُروى بها " وهذا يسمى التضمين وهو أن يُعدّى الفعل بحرف آخر غير الذي يتعدّى به عادة. فهي من باب التضمين شربه (أي كله) وشرب منه (أي جزء منه) وشرب به (يرتوي به وليس لمجرد الشرب فقط).

؟ ثم قال تعالى (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)) فهي إذن ممتزجة للأبرار لأن الله تعالى يمزج للناس في الأشربة يوم القيامة على قدر أعمالهم في الدنيا أما المقربون فيشربونها صرفاً خالصة.

؟ ليس ذلك فقط وإنما (يشرب بها) تأتي بمعنى: نزل بها في اللغة ؛ بمعنى أقام بها ونزلنا بالعين الباء قد تكون ظرفية أي في المكان أقمنا بها وشربنا بها وأكلنا بها ورأيناها أيضاً. شري منها لا تعني رؤيتها فقد يُؤتى للهم بالشراب من العين لكن ليس شرطاً أن يروها أما يشرب بها فتعني أنه أقاموا بها ورأوها وشربوا بها. فجمع لهم تعالى لذة الشراب والنظر إلى العين.

؟ ثم لو لاحظنا تكملة الآية (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) هؤلاء المقربون كما يقال يُعطون قصبان من ذهب أينما ضربوا تتفجر الماء خالصة من العين بأمر سهل في أي مكان يريدونه وليس هناك مكان محدد لها.

وعليه فإن يشرب بها تفيد الريّ والشراب بها خالصة صرفاً وفيها لذة النظر بالإضافة إلى الإقامة في المكان وإمكانية تفجيرها أينما شاءوا من أماكتهم ولم يأت هذا الوصف للأبرار.

ونسأل الله تعالى أن نشرب بما وعلينا أن نسأل الله تعالى ما هو أعلى وفي الأثر أن الله تعالى يعطي الناس أشياء كثيرة وأمثالهم لا يرون أنه تعالى أعطاهم مثل أولئك مع أن أعمالهم متساوية فيقول تعالى لهم هؤلاء سألوني فهل سألتموني؟ والله تعالى يُحب أن يُسأل ولذا علمنا الرسول – صلى الله عليه وسلم –:" اللهم إني أسألك الهردوس الأعلى". ٣٢٧ – لماذا لا يُذكر سيدنا إسماعيل مع إبراهيم واسحق ويعقوب في القرآن؟

أو لاً هذا السؤال ليس دقيقاً لأنه توجد في القرآن مواطن ذُكر فيها إبراهيم وإسماعيل ولم يُذكر إسحق وهناك ٦ مواطن ذُكر فيها إبراهيم وإسماعيل واسحق وهي:

؟ ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)) البقرة

؟ (قُولُوا آمَنًا باللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)) البقرة

؟ (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) البقرة.

؟ (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤)) آل عمران

؟ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩)) ابراهيم

؟ (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى ثُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣)) النساء

وكل موطن ذُكر فيه اسحق ذُكر فيه اسماعيل بعده بقليل أو معه إلا في موطن واحد لا يصح أن يُذكر فيه اسماعيل وهو في قصة يوسف –عليه السلام – (وَكَذَلِكَ يَجْنَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

وَعَلَى آَلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)) (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)) لأن يوسف من ذرية اسحق وليس من ذرية إسماعيل.

وقد ذُكر إسماعيل مرتين في القرآن بدون أن يُذكر اسحق في سورة البقرة (وَإِذْ جَعَلْنَا الْيَيْتَ مَفَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامٍ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرًا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامٍ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)) لأن اسحق ليس له علاقة بهذه القصة وهي رفع القواعد من البيت أصلاً.

٣٢٣ - كيف نقرأ كلمة يحسب في القرآن بالفتح أو بالكسر؟

كل قراءة متواترة هي قرآن يمكن أن يقرأ بما في الصلاة وغيرها وهي القراءات العشر التي أحصاها الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر.

في اللغة الأكثر أن يستعمل حسب يحسَب وهي في الباب الرابع من أبواب الثلاثي الستة كما يقسمها أهل اللغة. أما حسب يحسب فهي وردت في الباب السادس وهي قليلة.

أما حسَب يحسب بالضم فهي بمعنى العدّ.

فيجوز القول يحسب ويحسَب في اللغة ومن حيث القراءات يقرأ بالمتواتر.

٣٢٤ – ما دلالة تأنيث (يأتين) في قوله تعالى (وَأَذَّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجِّ عَمِيقِ (٢٧) الحج) ولماذا لم تأتي يأتونك؟

أولاً ذكر تعالى في الآية قسمين:

؟ رجالاً أي مشاة يمشون على أرجلهم وليس بمعنى رجال عكس النساء.

؟ على كل ضامر: أي الركبان على كل ضامر. والضامر هي المهزولة من التعب والسفر من كل فج عميق ولذا تناسبت كلمة ضامر مع فج عميق للدلالة على التعب والسفر الطويل الذي جعل الإبل مهزولة.

فالمعنى أن يأتوك مشاة ويأتوك ركباناً على كل ضامر وهذه الإبل يأتين من كل فج عميق (يأتين) وصف لما يُركب وعادة تكون الإبل في المسافات الطويلة وليس للنساء. فيأتين تعود على كل ضامر ولا تعود على نساء أو غيرهم. فرجالاً تعني مشاة على أرجلهم وركباناً (على الحيوانات الضامرة التي تأتي من كل فج عميق).

٣٢٥ - ما دلالة استعمال الوصف (متكئين) لأهل الجنة خاصة؟

الاتّكاء غاية الراحة كأن الانسان ليس وراءه شيء لأن الانسان لو وراءه شيء لتهيّأ له ولم يتكيء. والاتّكاء في القرآن ورد مع الطعام والشراب ومع الجلسات العائلية هذا أكثر ما ورد إلا في موطن واحد.

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى (هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالِ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئِنِ نَ لِهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧) يس) والاتكاء يحسُن في هذا الموضع. وقال تعالى (مُتَّكِئِنَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابِ يَدَّعُونَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابِ (٥١) ص) يرتبط الاتكاء مع الطعام والشراب وكذلك في سورة الرحمن (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشِ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقً وَوَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٤٥)) و (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُصْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)) وقوله تعالى (مُتَّكِئِينَ عَلَى عَلَيْهَا مُنْ إِسْتَبْرَقُ مَعْ هذه مُتَقَابِلِينَ (٦٦) الواقعة) و (مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) الطور) جاء في السياق مع هذه الآيات ذكر الطعام والشراب.

الآية الوحيدة التي لم تأت فيها كلمة متكئين مع الطعام والشراب هي الآية في سورة الكهف (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْبِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَب وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُس وَإِسْتَبْرَق مُتَّكِتِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ النَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١). ونلاحظً في هذه السورة نجد أن الآية التي ليس فيها طعام وشراب سبقها قوله تعالى (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُعْمُ عَنْ أَغْفَلْنَا قُلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨)) فكأنما الله تعالى غطب الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذي كأنه يريد القيام فصبّره الله تعالى فجاءت متكئين في الآية بعدها فكأها مقابلة فهؤ لاء المؤمنين في راحة وأراد تعالى أن يُصبّر رسوله – صلى الله عليه وسلم –.

فالاتكاء غاية الراحة ولهذا وَصِف به أهل الجنة ولم يأت وصفهم بالنوم لأنه لا نوم في الجنة أصلاً. ووصِفوا في القرآن بأوصاف السعادة فقط يتحادثون فيما يبنهم ويتذاكرون ما كان في الدنيا والاتكاء غاية الراحة والسعادة. ٣٢٦ – ما دلالة ضمير الغائب في (يؤتيهم) في آية سورة هود (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَرْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيهُمُ اللَّهُ خَيْرًا)؟ ولماذا لم يستعمل يؤتيكم؟

قال تعالى في سورة هود في قصة نوح – عليه السلام – (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْفَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَرْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١)).

اللام لها معاني كما يقول النحاة ويقولون أن حروف الجرّ تخرج إلى معاني ويذكرون (من) لها معاني بعض وبين والابتداء. واللام في (للذين) لها معاني والنحاة يخرجونها تخريجين من حيث النحو ولكل منهما معنى خاصاً به: الأول أن تأتي بمعنى (عن) بمعنى لا أقول عن الذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا. (قطعاً سيقول هنا لن يؤتيهم لأنه يقول عنهم). وفي الآية نوح – عليه السلام – يخاطب الفئة الكافرة يحدّثهم عن المؤمنين الذين تزدري أعينهم. فلو كانت اللام بمعنى عن فاستعمال يؤتيهم صحيح لأنه يخاطب فئة عن الفئة الأخرى فيجب قول (لن يؤتيهم). وينتفي السؤال هنا أصلاً في هذه الحالة فهو لا يخاطب الذين تزدري أعينكم وإنما يخاطب الفئة الأخرى. وولنائي أن اللام تفيد التعليل بمعنى لأجل هؤلاء أو لغرض هؤلاء فالأصح هنا أن يقول لن يؤتيهم الله خيراً. كما قيل: وضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً و بغضاً إنه لدميم (اللام في لوجهها تحتمل عن وجهها أو لوجهها).

٣٢٧ – لماذا استغفر داوود – عليه السلام – ربه في سورة ص (وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ}؟

هذه الآية في سورة ص (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢٦)) كانت في الحُكم. وفي كتب النفسير الكثير من الإسرائيليات يقولون فيها أنه في العهد القديم رأى داوود امرأة قائده (أورية) وكان لداود تسع وتسعين زوجة فصعد إلى السطح ورأى امرأة قائده فوقعت في قلبه فأرسل زوجها إلى الحرب ليموت فيتزوجها هو فحصل وصار له مئة زوجة فانتبه داوود للمسألة التي وقع فيها فاستغفر ربه. وهذا ما تذكره الإسرائيليات وهذا كلام فيه نظر لأنه تصرف لا يُقبل من شخص عادي فكيف بنبي؟

لكن نقول أن هذا الحُكم الذي حكم به داوود خارج عن طريقة الحُكم الصحيحة لأنه لم يستوف أركان الحُكم. كف؟:

؟ أولاً : فزع داوود من الخصم (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢)) والقاضي لا يصح أن يحكم بالفزع ولا بد أن يكون آمناً حتى يحكم وحُكم القاضي لا يجوز إذا كان خائفاً.

؟ ثانياً: إن داوود استمع إلى خصم واحد ولم يستمع للآخر (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٣٣)) وهذا لا يجوز في الحكم ومخالف لأركان الحُكم. وقد قيل في الحُكم إن إذا جاءك شخص قُلِعت عينه فلا تحكم حتى ترى الآخر فربما قُلِعت كلتا عينيه.

؟ ثالثاً : لم يسأل عن البيّنة وإنما حكم مباشرة (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ) فهل يجوز أن يحكم أحد بلا بيّنة؟

فداوود حكم في حالة خوف وسمع لخصم واحد ولم يسأل عن البيّنة فهل يجوز هذا في الحكم؟ وأظن أن الله تعالى أراد أن يُعلِّم داوود أصول الحكم الصحيح وقد جعله خليفة (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ حَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحَسَابِ (٢٦)) وَلهذا استغفر داوود ربه. وكان داوود قاضياً قبل هذه الحادثة وكان يجلس للقضاء يوماً ويتعبّد يوماً فجاءه الخصم في يوم تعبّده ففزع منهم.

سؤال: لماذا لم يقل ففزع منهما بما أنه قال (خصمان بغى بعضنا على بعض)؟ إن كلمة خصم تشمل الواحد والأكثر (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْم إذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢٦)) (فَفَزَعَ مِنْهُمْ) فكلمة خصم هي كلمة عامّة.

فما جاء في الإسرائيليات نستبعده لأنما لا تصح عن نبيّ لكن الظاهر لي والله أعلم أن الحُكم لم يستوف أركان الحُكم الصحيح.

٣٢٨ – على ماذا يعود الضمير في ترونها في آية سورة الرعد (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)؟ القدامي جعلوا فيها احتمالين:

قالوا أنه يجوز أن تعود على العمد بمعنى (بغير عمد مرئية)

ويجوز أن تعود على السماء بمعنى رفع السموات بغير عمد وهاأنتم ترونها مرفوعة بغير عمد.

فمن حيث التعبير يحتمل الاثنين وهذا جائز من حيث اللغة والفرّاء كان من اللغويين وليس من المفسرين ومع هذا وضع الاحتمالين فهي تجوز نحوياً وتُسمّى بالتعبيرات الاحتمالية وقد يكون هناك غرض للاحتمال كما هناك غرض للتحديد.

نأتي الآن إلى الناحية العلمية ونسأل هل هناك عمد غير مرئية كالجاذبية أو غيرها؟ أو هناك أمور أخرى يمكن أن يذكرها لنا العلماء؟ أنا شخصياً لا أفضّل رأياً على رأي إلا بعد أن يقول العلماء كلمتهم ويقطع العلم بأحد الشيئين فالآية تحتمل المعنيين فإذا قطع العلم بأحدهما آخذ به. والله تعالى أعلم إن كان هناك عمد غير مرئية فهو سبحانه يفعل ما يشاء (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إلَّا بإِذْنهِ) سورة الحج آية ٦٥. وقد يضع أسباباً في خلقه وإذا أراد خلق السبب وقد يكون أمسكها بدون عمد والله أعلم.

٣٢٩ – ما دلالة كلمة (خلفك) في الآية (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢)) في سورة يونس ؟ بعد نقيضة قبل وأظهر استعمال لها في الزمان. أما خلف فهي نقيضة قُدّام (وهي في الغالب للمكان) هذا من حيث اللغة. والخلف في اللغة هوالظهر أيضاً.

أحياناً لا يصح وضع إحداهما مكان الأخرى فلا يمكننا أن نضع خلف مكان بعد ففي هذه الآيات لا يمكن أن تحلّ خلف محل بعد (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٥) البقرة) (الَّذِينَ يَقُصُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ خَلِفَ محل بعد (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلُوْلَا فَعْلُ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧) البقرة) (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَصْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُتُتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٤) البقرة) (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلُا فَصْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُتُتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٤) البقرة) (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانَكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَتْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِي اللَّهُ يَرُدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانَكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَتْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِي اللَّهُ بَمُ مِنْ بَعْدِ إِيمَانَكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَتُّكُم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِي اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءَ قَدِيرٌ (٩٠٤) البقرة) (وَلَينِ اتَبَعْتُ مَتَى تَثْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ (٣٣٠) البقرة) (رَبَّنَا لَا عَمْران) لأن كلها متعلقة بالزمان.

أما خلف فهي في الأصل للمكان، (ثُمَّ لَآتِيَّتُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكَثَمْرُهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) الأعراف) (وجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) يسل (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْء مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَمَا غِلْفِهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْء مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالَّارْضَ وَلَا يَعُومُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٥٥) البقرة) (وَلَيْخُشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِيَّةً ضِعَافًا خَفُوا اللَّهَ وَلَيْقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) النساء) أي يلولهم مباشرة كلهم واقفين خلفهم وكذلك قوله تعالى (فَالْيُومُ نُنجِيكَ بَيَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢)) الآية موضع تعلى (فَالْيُومُ نُنجِيكَ بَيكَنكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢)) الآية موضع السؤال، من هم خلفه؟ هم قومه الذين ينتظرون عودة فرعون وماذا سيفعل فهم خلفه. ذهب موسى بالجيش السؤال، من هم خلفه فالمعنى أصلاً لمن خلفك الذين ينتظرون العرودة فالآية لهم حقيقة لأن فيها تحدّي ومسألة إيمان لكنها صارت لنا فيما بعد آية. وكذلك قوله تعالى (فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَصْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا الْكَافَى فَلَا هُمْ يَعُرْنُونَ (١٧٠) آل عمران) الذين معهم في المعركة والقتال فهي في المُصل خلف في المكان.

• ٣٣ – ما اللمسة البيانية في زيادة هو في آية سورة الزخرف (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤)) عن آية سورة مريم (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاغْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦))؟

هو: احتمال أن يكون ضمير مفصل يفيد التوكيد والحصر. يبقى السياق في الزخرف جاء في مقام عبادة عيسى واتخاذه إلهاً (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثْلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨)) فهو أنكر هذا (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) حصراً بينما في سورة مريم فالآية جاءت بعد الولادة وليست في مقام اتخاذ إله لا تزال المسألة طفل تحمله أمه في المهد. أما سورة الزحرف ففي مقام اتخاذ عيسى إلهاً فنفى الله تعالى على لسان عيسى ذلك وقال حصراً (إنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ).

٣٣١ – ما دلالة ما دلالة استعمال (ما) في قوله تعالى (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)) في سورة الحشر؟ توجد ظاهرة في آيات التسييح في القرآن كله. إذا كرّر (ما) فالكلام بعدها يكون على أهل الأرض. وإذا لم يكرر (ما) فالكلام ليس على أهل الأرض وإنما على شيء آخر.

في سورة الحشر قال تعالى (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)) بتكرار (ما) وجاء بعدها (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِلَّوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَتْمُ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنْهُمْ مَا لَلَّهُ مِنْ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتِهُمْ بِأَيْدِيهِمْ مَا لِلَهُ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بَيُوتِهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢)) وهذا في الأرض. وكذلك في سورة الصف (سَبَّحَ لِلَهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُلُوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)) وفي سورة الحمعة (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُلُوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الْقِي عَلَالُ مُبِين (٢)) وفي سورة رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكَتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي صَلَال مُبِين (٢)) وفي سورة التغابن (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْآرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءُ قَلِيرٌ (١) هُو اللَّهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْآرُضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيْءُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْآرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيْءُ لَي عَلَى كُلِّ شَيْءُ وَاللَّهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْآرُضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُو عَلَى كُلِّ شَيْءُ مَا فِي السَّمَاوَلُ وَاللَّهُ بِمَا فِي الْكَمْدُونَ بَصِيرٌ (٢)).

بينما في آية أخرى في سورة الحديد (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)) قال تعالى بعلها (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْء قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأُوَّلُ وَالْأَخِرُ وَالظَّهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْء عَلِيمٌ (٣)) وليس الكلام هنا عن أهل الأرض وإنما هو عن الله تعالى. وكذلك في سورة النور (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْيِحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (١٤) وَلِللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٤)).

هذه قاعدة عامة في القرآن والتعبير القرآني مقصود قصداً فنياً. وهذا في مقام التسبيح ولم أتحقق من هذه القاعدة في غير مقام.

٣٣٢ – هل كل ما جاء عطف بيان يُعرب بدلاً؟

عطف البيان عو قريب من البدل نقول مثلاً: أقبل أخوك محمد، محمد يمكن أن تُعرب بدل أو عطف بيان. لكن هنالك مواطن ينفرد فيها عطف البيان عن البدل. وقسم من النحاة يذكرون الفروق بين عطف البيان والبدل ثم يقول أشهر النحاة بعد ذكر هذه الفروق: "لم يتبين لي فرق بين عطف البيان والبدل".

عطف البيان على أي حال قريب من البدل ويصح أن يُعرب بدل إلا في مواطن:

-..عطف البيان لا يمكن أن يكون فعل بينما البدل قد يكون فعلاً.

-..عطف البيان لا يمكن أن يكون مضمراً أو تابعاً لمضمر (ضميراً أو تابع لضمير) بينما البدل يصح أن يكون .

-..عطف البيان لا يمكن أن يكون جملة ولا تابع لجملة بينما البدل يمكن أن يكون كذلك.

وهناك مسألتين أساسيتين يركزون عليهما:

البدل على نيّة إحلاله محل الأول.

البدل على نية تكرار العامل أو على نية من جملة ثانية.

على سبيل المثال وحتى لا ندخل في النحو كثيراً نقول: يا غلام محمداً هذه جملة صحيحة الغلام اسمه محمد هذا لا يمكن أن يكون بدلاً لأنه لا يصح أن يحل محل الأول لأننا قلنا سابقاً أن البدل على نية إحلاله محل الأول ومحمد علم مفرد يكون مبنى على الضمّ مثل (يا نوحُ) (يوسفُ أعرض عن هذا) ولا نقول يا محمداً.

وكذلك إذا قلنا: يا أيها الرجل غلام زيد. لا يمكن أن يكون بدل فلو حذفنا الرجل تصير الجملة يا أيها غلام زيد لا تصحّ.

مثال آخر: زيد أفض الناس الرجال والنساء . إذا حذفنا الناس لا تصح الجملة ولا يمكن أن تكون الناس بدل لأنه لا يصح قول: زيد أفضل الرجال والنساء. وإنما تُعرب عطف بيان.

وهناك مواطن أخرى عند غير الفرّاء مثال: أنا الضارب الرجل زيد. لا يمكن أن يكون الرجل بدل فلا يصح أن يقال أنا الضارب زيدٍ لأنه إذا عرّف الأول فيجب أن يعرّف الثاني.

فليس دائماً يمكن أن يُعرب عطف البيان والبدل أحدهما مكان الآخر وإنما هناك مواطن يذكرها النحاة لكننا نقول أن عطف البيان موجود في اللغة.

و في قوله تعالى في سورة النور (يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) الكثير يعربون زيتونة عطف بيان . وعطف البيان مثل الصفة يجب أن يتفق مع ما قبله ولا يختلفا تنكيراً وتعريفاً أما في البدل فيجوز الاختلاف.

وعطف البيان تابع من التوابع نقول عطف بيان والمعطوف عليه (ما قبله).

العطف إما ذو بيان أو نسق والغرض الآن بيان ما سبق

و في قوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) قتال تُعرب بدل اشتمال ولا يجوز إعرابها عطف بيان لأنهما اختلفا تنكيراً وتعريفا وفُقِد الشرط.

ومع ذكر كل الفروق بين عطف البيان والبدل كما ذكرنا سابقاً يأتي أشهر النحاة فيقول أنه لم يتبين له الفرق بينهما وأنا في الحقيقة من هذا الرأي أيضاً.

٣٣٣ – ما اللمسة البيانية في استعمال أو في قوله تعالى (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) الصافات) ولماذا لم تأتى الواو بدلاً عن أو؟

قيل في (أو) في هذه الآية أكثر من قول. (أو) بمعنى الواو في هذه الآية لم يقل بها إلا نحوي واحد. والأكثرون على أن (أو) هي بمعنى (بل) للإضراب أي (بل يزيدون). مثال: سأرحل أو أقيم، أو نقول سأذهب إلى المقهى أو أبقى (بمعنى بل) هي كالبدر أو هي أجمل (بل هي أجمل) ويقول الشاعر:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورها أو أنت في العين أملح

النحاة يقولون: اذهب إلى زيد أو دع فلا تبرح اليوم (بمعنى يُضرِب عن الحكم) ويقال: اذهب إليه وأخبره بما جرى أو اترك فلا تخبره (اضرب عن الحكم الأول)، ويقال: مثل فلان في الشعر أو هو أفضل (لم تنفي الأول بل هو أفضل).

وقسم من النحاة يرون أن (أو) هي على ما يحزر الرآئي إذا رآهم يقول منة ألف أو يزيدون أي يقدّرهم تقديراً، أو حكاية لقول الناس إذا نظروهم ماذا يقولون؟

و لا يمكن أن تكون (أو) بمعنى الواو في هذه الآية لأنما ستدلّ على أنهم يبدأون في الزيادة (ويزيدون) وهذا غير مقصود.

(أو) إذن تكون إما بمعنى بل أو على ما يقول الناس إذا رأوهم وهذا أرجح من الواو الأن معنى الواو سيكون ضعيفاً.

٣٣٤ – لماذا جاءت الآية (سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) الطلاق) ولم تأتي على نسق قوله تعالى (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) الشرح)؟

(سيجعل) هنا ذِكر حالة عسر كما في قوله تعالى (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) ليس معه يسر الآن وإنما قُدِر عليه الرزق الآن وهو مُضيّق عليه واليسر سيكون فيما بعد (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)) فهذه حالة واقعة خاصة معيّنة والتوسعة ستكون فيما بعد. ولا يمكن أن تأتي محلها (إن مع العسر يسرا) فهذه حالة عامة هذه في سورة الشرح وفيها رأيان قسم يقول ألها خاصة بالرسول – صلى الله عليه وسلم – لأن سورة الشرح والضحى خاصتان بالرسول – صلى الله عليه وسلم عليه فيه سيكون معه يسر وقسم يقول هذه عامة بمعنى أن بالرسول – صلى الله تعالى قدر أنه إذا قضى عُسراً قضى معه اليُسر حتى يغلبه، فالله تعالى قدر أنه إذا قضى عُسراً قدر ومُضيّق عليه الآن المزق مقدر ومُضيّق عليه الآن والآية الأولى حالة خاصة ومسألة معينة ولا يصح معها (إن مع العسر يسرا) لأن الرزق مقدر ومُضيّق عليه الآن والآية وعد بأن يسر الله تعالى له فيما بعد.

٣٣٥ – ما دلالة التقديم والتأخير في قوله تعالى (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِين (١) الحجر) و(طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَاب مُبين (١) النمل) وما وجه الاختلاف بينهما واللمسات البيانية فيهمًا؟

ما ذُكِر فيها الكتاب وحده كما في سورة البقرة (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)) ولم يُذكر القرآن تتردد لفظة الكتاب في السورة أكثر من لفظة القرآن أو لا ترد أصلاً وما يرد فيه لفظ القرآن تتردد فيه لفظة القرآن في السورة أكثر من تردد لفظة الكتاب أو أن لفظة الكتاب لا ترد أصلاً. وإذا اجتمع اللفظان في آية يتردد ذكر هما بصورة متقابلة بحيث لا يزيد أحدهما عن الآخر إلا بلفظة واحدة في السورة كلها. ونأخذ بعض الأمثلة: في سورة البقرة بدأت بلفظة الكتاب وترددت لفظة الكتاب ومشتقاتها سبعاً وأربعين مرة في السورة (٤٧) بينما ترددت لفظة القرآن ومشتقاتها مرة واحدة فقط في آية الصيام.

في سورة آل عمران بدأت بلفظة الكتاب وترددت لفظة الكتاب ثلاثاً وثلاثين مرة في السورة (٣٣) بينما لم ترد لفظة القرآن و لا مرة في السورة كلها.

هذا النسق لم يختلف في جميع السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة وهي مقصودة وليست اعتباطية حتى في سورة طه بدأت بلفظة القرآن وترددت لفظة القرآن ثلاث مرات في السورة بينما ترددت لفظة الكتاب مرة واحدة في السورة إلا في سورة ص تردد الكتاب والقرآن مرة واحدة.

وفي الآيات في السؤال آية سورة الحجر (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُوْآنِ مُبِينِ (١)) (القرآن) ورد في السورة أربع مرات و(الكتاب) خمس مرات. وفي آية سورة النمل (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينِ (١)) تردد الكتاب مرات والقرآن ثلاث مرات. وهذا السمت عام ما تردد يترددان معاً بحيث لا يزيد أحدهماً عن الآخر بأكثر من لفظة واحدة وما ورد فيه الكتاب هي التي تجعل السمة في التعبير في السورة.

٣٣٦ – ما دلالة المطهّرون في قوله تعالى (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)) في سورة الواقعة؟

الذي يبدو والله أعلم لأن هذه الآية فيها كلام كثير أن المطهّرون هم الملائكة لأنه لم ترد في القرآن كلمة المطهرين لغير الملائكة، والمُطهّر اسم مفعول وهي تعني مُطهّر من قِبَل الله تعالى. بالنسبة للمسلمين يقال لهم منطهرين أو مطّهّرين كما في قوله تعالى (اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) البقرة) و (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (٢٢٢) البقرة) و (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (٨٠٨)) ومتطهرين أو مطّهّرين هي بفعل أنفسهم أي هم يطهرون أنفسهم.

لًا وصف الله تعالى نساء الجنة وصفهم بقوله تعالى (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥) البقرة) فلم تود إذن مطهّرون إلا للملائكة ولذلك هذا المعنى يقوّي القول أن المقصود في الآية الكتاب المكنون الذي هو في اللوح المحفوظ وليس القرآن الذي بين أيدينا لأكثر من سبب والله أعلم.

فمن حيث اللغة قوله تعالى (لا يمسُّه) بالضمّ: لا: نافية لأنما لو كانت ناهية تكون جازمة ويجب أن يكون الفعل بعدها إما يمسَّه بالفتح أو يمسسه بفك الإدغام كما يف قوله تعالى (لم يمسسني بشر). الكفار قالوا أن هذا القرآن تتنزل به الشياطين فرد الله تعالى عليهم في قوله (وَمَا تَنَزَّلَتْ بهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١٠) الشعراء) ثم جاءت هذه الآية (لَا يَمَسُّهُ إلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)) رداً على هؤلاء أن القرآن لا يمكن للشياطين أن تصل إليه. وطالما أن الآية جاءت بالفعل يمسُّه مرفوعاً فهذا دليل على أن (لا) نافية . وقد يقال من ناحية الدلالة أنه يجوز في النحو ومن الناحية البلاغية أن يخرج النفي إلى النهي لكن (لا) في هذه الآية نافية في الإعراب قطعاً ولا يمكن أن تكون ناهية بدليل حركة الفعل بعدها.

وهذه الآية وأنا لست عالماً بالحديث لا تنص شرعياً على عدم جواز مس للصحف إلا بوضوء إلا إذا كان في الأحاديث ما ينصّ على ذلك هناك حديث عن عدم جواز مس المصحف للجُنُب. المطهّرون في الآية هم الملائكة لأنها ما وردت لغير الملائكة في القرآن كله والناس متطهرون وليسوا مطهّرين. وأنا أعتذر من الناحية الفقهية الشرعية لكني أتكلم من الناحية النحوية. إذا كان هناك نصِّ يحكم فهو يحكم بدلالته لكن ليس بدلالة هذه الآية. ٣٣٧ – ما دلالة كلمة (يستنقذوه) في قوله تعالى (وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقَدُوهُ مِنْهُ ضَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) الحج)؟

يستنقذوه بمعنى ينقذوه وأحياناً هذا الفعل استفعل يأتي بمعنى الثلاثي لكن يُراد فيه المبالغة مثل استيأس بمعنى يأس لكن فيه المسدة والمبالغة في الفعل كما في قوله تعالى (حَتَّى إِذَا اسْتَيْنَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَتُحَى مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُورَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) يوسف) أي بلغوا درجة أكثر من اليأس. استفعل لها عدة معانى من الطلب وأمور كثيرة ومنها أن يكون بمعنى الثلاثي لكن يُراد به المبالغة والشدة والكثرة.

و في الآية يستنقذوه أي ألهم لو حاولوا جهدهم في انقاذه وبالغوا في الجهد لما استطاعوا انقاذه. يستنقذوه إذن تعني ينقذوه لكن فيها مبالغة.

٣٣٨ – ما الفرق بين الآيتين (وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاق نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ (١٥١) الانعام) (وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاق نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ (٣١) الاسراء) من الناحية البيانية؟ هاتان الآيتان تكلّم فيهما القدامي كثيراً في أكثر المراجع وحتى المحدثين ذكروها.

الآية الأولى (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاق نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّبِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) الانعام) (من إملاق): أي من الفقر الواقع بحم يقتلونهم بسبب الفقر الواقع عليهم فلما كانوا مفتقرين فهم محتاجون للرزق لعيلوا أنفسهم ثم أو لادهم لذا بدأ تعالى برزقهم هم أولاً لأنهم محتاجون ثم رزق أولادهم.

أما الآية الثانية (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادْكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقِ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْنًا كَبِيرًا (٣١) الاسراء)

(خشية إملاق): هم ليسوا محتاجين الآن لكنهم يخشون الفقر ويخشون أن تكون تكاليف الأولاد ستؤثر عليهم وتودي بهم إلى الفقر لكنهم ليسوا مفتقرين الآن فقال تعالى نحن نرزقهم لماذا تخافون إذن؟ فبدأ برزق الأولاد أولاً حتى يبين لهم أن الأولاد لن يشاركونهم في رزقهم وإنما رزقهم معهم.

٣٣٩ – لماذا جاءت كلمة نار مرفوعة ونكرة في قوله تعالى (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) الانبياء) ولماذا جاءت برداً وسلاماً وليس سلاماً فقط؟

أو لا كلمة نار ليست نكرة (يا نار) في المصطلح الحديث تُسمّى نكرة مقصودة أي معيّنة أما النحاة فيقولون معرفة. قاعدة: كل منادى مبني على الضمّ هو معرفة، والمنصوب قد يكون معرفة أو نكرة أو نكرة مقصودة أو نكرة غير مقصودة أو مضاف إلى معرفة.

والنكرة القصودة ليست مصطلحاً نحوياً وهو مصطلح جديد لا يوجد في كتب النحو القديمة. نقول يا راكباً نكرة غير مقصودة. إذا قصدنا أحداً نقول له يا رجلُ ويا شرطيُ.

قاعدة سيبويه: إن كل اسم في النداء مرفوع معرفة وذلك أنه إذا قال يا رجلُ ويا فاسقُ كمعنى يا أيها الرجل ويا أيها الفاسق.

لا يمكن أن تكون الآية (يا ناراً) لأن الله تعالى يخاطب ناراً معينة وهي نار إبراهيم فهي معرفة والمعرفة هي ما دلّ على شيء معيّن. فلا بد أن تكون يا نار بالبناء على الضم وهي ليست نكرة وإنما معرفة ويسمو لها الآن نكرة مقصودة. أما قوله تعالى برداً وسلاماً: لو قال برداً وحدها قد يؤذي لأن من البرد ما يؤذي، ولم يقل سلاماً وحدها لأنه قد يشعر بالحرّ الذي يؤذي لكنه لا يتأذى فهي سلام. والله تعالى أراد أن يجمع الاثنين أراد أن لا يشعر ابراهيم – عليه السلام – بالحرارة ولم يرد له أن يتضايق فهي برد وسلام فالبرد معه شيء من السلام والسلام معه شيء من البرد والله تعالى لم يُرد أن يشعر إبراهيم بالحرارة أو السخونة بحيث يتضايق فقد يعيش الإنسان في حرِّ في بيته لكن لا يوجد سلام فيتضايق. لذا كان لا بد من الأمرين معاً البرد والسلام ولا يمكن أن يستغني عن واحدة منهما. يوجد سلام فيتضايق. لذا كان لا بد من الأمرين معاً البرد والسلام ولا يمكن أن يستغني عن واحدة منهما.

سبب نزول الآية هو الذي يحدد. سُئل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن ثلاثة أسئلة من قبل الكفار منها عن أهل الكهف فقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – سأجيبكم غداً لأنه لم يكن لديه علم وجاء غد ولم يُجِب الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولم ينزل عليه الوحي مدة خمس عشرة ليلة فحصل إرجاف لأن الوحي يتنزل بحكمة الله تعالى ثم نزلت الآية (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْء إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣)) فهي مناسبة لأصل سبب النزول وهذا ينسحب لأنه أحياناً سبب النزول لا يتقيد بشيء. مثلاً في مسألة (ولا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُنَّ فَإِنَّ اللَّه مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣) النور) ماذا إذا لم يردن تعففاً؟ لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُنَّ فَإِنَّ اللَّه مِنْ يردن التحصّن فذكر المسألة كما هي واقعة ثم تأتي أمور أخوى تبيّن المسألة.

غداً في الآية موضع السؤال لا تعني بالضرورة الغد أي اليوم الذي يلي وإنما قد تفيد المستقبل وهي مناسبة لما وقم وما سيقع.

٣٤١ – ما دلالة رفع (المقيمين) في قوله تعالى (لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُوْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢) النساء؟

هذا يُسمّى القطع والقطع يكون في الصفات أو العطف إذا كان من باب الصفات. القطع يكون للأمر المهم. ذكرنا في قوله تعالى (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ (٣) التوبة) عطف على اسم. فالقطع موجود في اللغة، في الصفات يكون القطع مع المرفوع للمنصوب ومع المنصوب للمرفوع ومع المجرور للمرفوع. والآية موضع السؤال هي من القطع يقطع من الصفات لأهمية المقطوع والمقطوع يكون مفعولاً به بمعنى أخص أو أمدح ويسمى مقطوع على المدح أو الذم. وفي الآية (المقيمين) مقطوعة وهي تعني أخص أو أمدح المقيمين الصلاة. وكأننا نسلّط الضوء على المقطوع فالكلمة التي نريد أن نركّز عليها أو نسلّط عليها الضوء نقطعها.

من باب الصفات ما دلّ على المدح أو الذم أو الترحّم ويكون الاضمار وجوباً.

أما المؤتون الزكاة فهي معطوفة على (الراسخون في العلم).

أما لماذا جاءت المقيمين الصلاة بالقطع والمؤتون الزكاة معطوفة على الراسخون في العلم؟ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة عبادتان ظهرتان في الآية وردتا بين عقيدة (والمؤمنون يؤمنون، والمؤمنون بالله واليوم والآخر) وإقامة الصلاة هي الأمثل والأولى فركّز عليها وقطع بالرفع مع المنصوب في الصفات.

ومن الأمثلة أيضاً على القطع قوله تعالى (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْوِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ السَّيلِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَالْمَالَ وَالْفَرْقِ وَالْمُولُونَ عَلَى عَمْ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) البقرة) الصابرين منصوبة ركّز عليها وقطع ولم يقل الصابرون معطوفة على الموفون عطف على خبر لكنّ لأن الصابرين يكونون في الحرب والسلم وفي البأساء وهي عموم الشدة والاصابة في الأموال والضرّاء في البدن والدين كله صبر فقطع الصابرين لأهميتها. عموم الشدة والاصابة في الأموال والضرّاء في البدن والدين كله صبر فقطع الصابرين لأهميتها. ٣٤٢ حاما الفرق من الناحية البيانية بين قوله (شيئاً إمرا) و(شيئاً نُكرا) في سورة الكهف؟ ثم ما الفرق بين نُكر

٣٤٢ – ما الفرق من الناحية البيانية بين قوله (شيئاً إمرا) و(شيئاً نُكرا) في سورة الكهف؟ ثم ما الفرق بين نُكر ونُكُر (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) القمر)؟

الإمر هو الأمر المُنكر أو الكبير والنُكر فيها معنى الإنكار أيضاً لكنهم يرون أن النُكر أعظم وأبلغ من الإمر لأن قتل النفس البريئة بغير نفس هو أكبر من خلع لوح من السفينة لأن اللوح يمكن أن يُعاد فيؤتى بلوح سواء هو نفسه أو غيره (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جَنْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١)) لكن القتل لا يُعاد وقتل النفس البريئة بغير نفس أمر عظيم (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جَنْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤)). الكثير قالوا أن النكر أشد نكارة من الإمر ففرّق بينهما لأن قتل النفس أشد من خرق السفينة.

كلمة نُكر بتسكين الكاف هي من أوزان اسم المفعول لأن أوزان اسم المفعول ثمانية من جُملتها فُعل بضمّ الهاء وتسكين العين مثل سُؤل كما في قوله تعالى (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤلَكَ يَا مُوسَى (٣٦) طه) أي ما سألته وكلمة خُبث أي المخبوث. ما يدرسه الطلبة عادة أمرين: الأمر القياسي وهو ما يُصاغ من الثلاثي على زنة مفعول ومن غير الثلاثي زنة مضارعه بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر. والأمر الآخر يأخذونه على وزن

فعيل بمعنى مفعول كما يف قتيل أي مقتول و جريح بمعنى مجروح وأسير بمعنى مأسور ولكل من الأوزان دلالة خاصة به.

ومن أوزان اسم المفعول فُعلة مثل لُعنة أي يُلعن كثيراً أو سُبّة أي يُسبّ كثيراً أو صُرعة أي يُصرع كثيراً وهذه بخلاف فُعَلة التي هي من أوزان المبالغة.

توجد أوزان عديدة لاسم المفعول يقال ناقة عُبر أسفار أي يُعبر عليها.

نُكر من أوزان اسم المفعول أي الفعل المنكر شديد النكارة.

قال تعالى (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ اللَّاعِ إِلَى شَيْء نُكُرِ (٦) القمر) جاءت (نُكُر) بضم الكاف هنا ولا تصلح هنا مع الفاصلة أن تأتي نُكر وفي الحقيقة أن صَيغة فُعُل غير صَيغة فُعْل بتسكين العين ولكل منها دلالة خاصة. يقال باب فُتُح أي مفتّح لا يُغلق ويقال من وجد باباً مُغلقاً فإن هناك بابً فُتُحا هو باب الله. ويقال قارورة فُتُح أي ليس لها غطاء أصلاً.

صيغة فُعُل أبلغ من فُعْل لأن فيها توالي ضمّتان ونُكُر أبلغ وأشد في النكارة من نُكر بتسكين الكاف ولو لاحظنا ما ورد في الآيات التي فيها نُكر ونُكُر نجد أنه صحيح أن الفاصلة تقتضي كلاً من التعييرين والعبارتين أو الوزنين لكن الدلالة تختلف.

في قوله تعالى (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ اللَّاعِ إِلَى شَيْء نُكُرِ (٦) القمر) هذه في الآخرة وهي غير مألوفة والصوت الذي يدعوهم إلى الخروج غير مألوف فالأمر مُستغرب ولم يسمعوا به والدعور هائلة والأمر غير مألوف فيما سبق من حياهم (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسرٌ (٨)) ليس له نظير فجاء بـ (نُكُر) شديد النكارة ولم يقل نُكر بتسكين الكاف.

أما في قُوله تعالى (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ ثَعَذَّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧)) في سورة الكهف لم يقل نُكُراً علماً أن الحديث في الآخرة أيضاً وهذا لسببين:

أو لا قال (أما من ظلم) ولم يقل من كفر وليس بالضرورة أن الظالم هو كافر كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافر.

والأمر الآخر أنه قال (فسوف نعذّبه) إذن سينال عذاباً في الدنيا فإذا كلن العذاب مُجزياً في الدنيا سقط عنه في الآخرة وإذا لم يكن مجزياً عُذب في الآخرة. وإذا قام على أحد الحدّ في الدنيا لا يُعذب في الآخرة. فهذا العذاب نكارته ليس بتلك الشدة التي في آية سورة

أما في قوله تعالى (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤)) قتل النفس في الأرض كثير وليس مستغرباً كالأمر في آية سورة . فالقتل يحصل رغم استنكاره.

و في قوله تعالى (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَلِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكُرًا (٨) الطلاق) هذا في الدنيا كالصيحة أو الخسف أو غيرها وليس في الآخرة وليست بنكارة ما في الآخرة.

و اختلاف الصيغ كثير منها عسر وعسير لكل منهما دلالة خاصة وطويل وطوال تقال مثلاً إذا كان شخصان كلاهما طويل لكن أحدهم أطول من الآخر فيقال له طوال إذا كان بالغ الطول.

٣٤٣ – ما اللمسة البيانية في قوله تعالى في سورة البقرة (إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ) ولماذا جاءت صيغة الطعام مع النهر الذي فيه شراب؟ أولاً ما معنى طعِم؟ لها في اللغة دلالتان فتأتى بمعنى أكل أو ذاق نقول عديم الطعم أي للذاق. ليس بالضرورة أن تكون طعِم بمعنى أكل لأنها كما قلنا تأتي بمعنى ذاق. وقوله تعالى (فمن لم يطعمه) لا تعني بالضرورة أنه أكل لكن لماذا اختار ومن لم يطعمه ولم يقل ومن لم يشربه؟

قال تعالى (فمن شرب منه فإنه مني) لأن الماء قد يُطعم إذا كان مع شيء يُمضغ: شيئ تمضغه تشرب ماءً فأصبح يُطعم الآن فهذا ممنوع لأنه لو قال لم يشربه جاز أن يطعمه مع شيء آخر يعني يأكلون شيئاً ويمضغون فيشربون الماء بهذا يكون انتفى الشرب لكن حصل الطعم فأراد تعالى أن ينفى هذه المسألة.

فمن شرب منه فليس مني: شراب فقط بدون طعام كما نشرب الماء.

لم يطعمه: لو قال لم يشربه جاز له أن يطعمه فأراد أن ينفي القليل وبالتالي ينفي الكثير.

إلا من اغترف غرفة بيده: هذه استثناها (غرفة بيده) ولو قال يطعمه لم تستثنى هذه يكون له ما يشاء. لكن ألا تدخل هذه في نطاق الطعام؟ إنه يطعم الماء ليتذوقه الآن تذوقه بمذا القدر ليس له الزيادة التي أباحها الله فيه ولو قال لم يطعمه اتّسع القدر يأكل مع الطعام.

الأسئلة و الأجوبة المفيدة (٢)

أسئلة المشاهدين خلال حلقة ٢٠٠٧/٢/١٦م:

سؤال ١: ما دلالة (أو) في قوله تعالى (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) الصافات)؟

النُحاة يقولون (أو) هنا بمعنى (بل). على سبيل المثال أنت تنوي الذُهاب إلى المقهى فتقول: سأذهب إلى المقهى ثم تغير رأيك فتقول أو أبقى في البيت، يعني أضربت عن الذهاب. والأمر الآخر يقولون هي بحسب ما يراه الرائي إذا رآهم الرائي يقول: هم مائة ألف، لا أكثر، يقول الرائي مائة ألف أو يزيدون. إذن (أو) إما أن تؤخذ على معنى (بل) أو أن القرآن يعبر عن ما يراه الرائي.

سؤال ٢: ما معنى كفلين في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ (٢٨) الحديد؟

الكفل من معناه النصيب ويأتي بمعنى المِثل حسب السياق.

سؤال ٣: وردت كلمة (ابراهم) في سورة البقرة بدون ياء مع ألها وردت في باقي القرآن مرسومة بالياء (إبراهيم) فما دلالة ذلك؟

هذا يتعلق برسم القرآن وسبق أن أجيب على هذا الموضوع بتفصيل في حلقات سابقة مع الدكتور فاضل السامرائي ومع الدكتور حسام النعيمي.

سؤال ٤: ما دلالة إستخدام (قد) في قوله تعالى (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا (١٤٤) البقرة) علماً أنها تفيد التقليل؟

(قد) إذا دخلت على الماضي تفيد التحقيق وإذا دخلت على للضارع لها أكثر من معنى، منها التقليل (قد يصدق الكذوب) تقليل، لكن قد تأتي للتكثير والتحقيق مع دخولها على المضارع. لكن المشهور عند الطلبة أنها إذا دخلت على المضارع تكون للتقليل وقد تكون للتحقيق (قد يعلم ما أنتم عليه) تحقيقاً أو للتكثير ويضربون مثلاً قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء) أي كثيراً ما تنظر إلى

السماء. رقد) إذا دخلت على المضارع ليست مقتصرة على التقليل لكن التقليل من معانيها. إذن رقد) إذا دخلت على الماضي تفيد التحقيق وإذا دخلت على المضارع يكون من معانيها التقليل.

سؤال ٥: قال تعالى (أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧) النحل) و (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ (٧٣) الحج) و (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْحَالِقِينَ (١٤) المؤمنون) كيف نفسر أحسن الخالقين؟ وهل هناك خالق غير الله؟

الحَلْق في اللغة لها معنيان: الخلق ابتداء أي إيجاد من العدم وهذا خاص بالله سبحانه وتعالى، وخلق بمعنى تصوير الشيء (صوّره) وهذا يصح لأن يكون لغير الله تعالى. إذا كان الخلق بمعنى الإيجاد من العدم فهو لله تعالى. قال تعالى على لسان المسيح في القرآن (أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ (٩٤) آل عمران) أي أصوّر من الطين. وفي خطية الحجاج قال (ولا أخلق إلا فريق). فالخلق له معنيين. (أحسن الخالقين) يصح أن تكون لأنها ليست خاصة بالإيجاد من العدم وإنما هو أحد المعاني والمعنى الآخر هو التصوير.

أسئلة المشاهدين خلال حلقة ٥١/٢/١٥م:

سؤال ٦: ما دلالة استخدام المذكر أولاً ثم المؤنث في قوله تعالى (وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا ثُوْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) الأحزاب؟

الكثير في كلام العرب أن (من) و (ما) يُبدأ بلفظها ثم يؤتى بعدها بمعناها. (من) قد تكون لفظته مفرد مذكر والمعنى اللفظ عند يكون مؤنث، أو قد يكون مثنى أو قد يكون جمع. (من) و (ما) لهما حكم واحد لها لفظ ولها معنى، اللفظ مفرد مذكر فيُبدأ في الأصل وهو الكثير يُبدأ النظر إلى لفظها وهو مفرد مذكر ثم يؤتى بمعناها بعد ذلك، قال تعالى مفرد مذكر فيُبدأ في الأصل وهو الكثير يُبدأ النظر إلى لفظها وهو مفرد مذكر ثم يؤتى بمعناها بعد ذلك، قال تعالى المعنى بقفن، مثنى، هذا الغالب في كلام العرب أن يبدأ بالمفرد المذكر يعني لفظها ثم يؤتى بمعناها (وَمِنَ النَّاسِ المعنى جمع، مؤنث، مثنى، هذا الغالب في كلام العرب أن يبدأ بالمفرد المذكر يعني لفظها ثم يؤتى بمعناها (وَمِنَ النَّاسِ المَن يقولون، و(وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) البقرة) هذا هو الغالب في كلام العرب والقرآن الغالب فيه أن يبدأ (مَن يَقُولُ) مفرد ما قال من يقولون، و(وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) جمع. ويبدأ كلام العرب والقرآن الغالب فيه أن يبدأ بالمفرد المذكر ثم بعد ذلك يذكر المعنى. (من) تستعمل للمذكر والمؤنث أصلاً والمفرد والمثنى والجمع (وَمَن يَقُنتُ الشيء مثل (وَمِنْهُم مَن يَستَمِعُونَ إِلَيْكَ (٢٤) وَمِنهُم مَن يَنظُرُ إِلَيْكَ (٣٤) يونس) وقد ذكرها الدكور حسام النعيمي بالتفصيل (اضغط هنا) هذا هو السمت العام للعبير. (يَا نِسَاء النَّبِيَّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُصَاعَفُ لَمَا العرب لأن (من) و(ما) لها أمران: لها لفظ ولها معنى، اللفظ مفرد مذكر فيعامل اللفظ ثم بعد ذلك يعود على كلام العرب لأن (من) و(ما) لها أمران: فلا بد أن فيهم لغة العرب. (وَمِنْهُم مَن يَقُولُ أُنه من أراد أن يفهم القرآن فلا بد أن فيهم لغة العرب. (وَمِنْهُم مَن يَقُولُ أَنه من أراد أن يفهم القرآن فلا بد أن فيهم لغة العرب. (وَمِنْهُم مَن يَقُولُ أَنه من أراد أن يفهم القرآن فلا بد أن فيهم لغة العرب. (وَمِنْهُم مَن يَقُولُ أَنه من أراد أن يفهم القرآن فلا بد أن فيهم لغة العرب. (وَمِنْهُم مَن يَقُولُ أَنه من أراد أن يفهم القرآن فلا بد أن فيهم لغة العرب. (وَمِنْهُم مَن يَقُولُ أَنه من أراد أن يفهم القرآن فلا بد أن فيهم لغة العرب. (وَمِنْهُم مَن يَقُولُ أَنه المَن المَن الله المُنافِق من أراد أن يُله المَن الله المَن الله المَنْ المَن المَن المَن المَن المَنْ المَن المَن المَن المَن المَن المَن المَن المَن ا

ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٩٤) التوبة) جمع لم يقل سقط، هذا هو الغالب في كلام العرب.

إذن (من) و(ما) تعامل أولاً باللفظ وهو مفدر مذكر ثم بعد ذلك يبين الهقصود والقرآن على لسان العرب (بِلِسَانٍ عَرَبيٍّ مُّبين (٩٥) الشعراء).

سؤال ٧: إجابة عن سؤال من الحلقة الأولى: ما دلالة إستخدام كلمة (نعمة) بالإفراد بدل الجمع في قوله تعالى (وَ إِن تَعُلُّواْ نعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) النحل؟؟

المفرد له قد يكون يدل على الجنس أو على الواحد. مثلاً تقول: الحصان أسرع من الحمار، هل تعني به واحداً؟ أو الجنس عموماً؟ تعني كل الجنس. أنت لا تقصد حصاناً واحداً أو حماراً واحداً وإنما تعني كل الجنس. فالنعمة قد يراد بها من الكلب، لا تعني به أسداً واحداً وإنما الجنس. إذن قد يؤتى بالواحد للدلالة على الجنس. فالنعمة قد يراد بها جنس النعمة والعرب أحياناً تأتي بالمفرد للتكثير والكسائي نقل لنا: أتينا فلان فكنا عنده في لحمة ونيذا، يعني أكل كثيراً. إذن هي للجنس والجنس أكثر من الجمع أحياناً. نعمة أكثر من نعَم وأنعم. مثال: نقول: لا رجل في الدار، لا رجلي في الدار فأنت رجلين في الدار فأنت تنفي العدد فقط يمكن أن يكون هناك واحد أو ثلاثة، لا رجال في الدار قد يكون هناك واحد أو اثنين. (لا رجل) تعني لا واحد ولا اثنين ولا أكثر. الجنس يجمع وهو أعم وأشمل. هذا احتمال. رب العالمين في القرآن يذكر الجنة ويذكر فيها الفاكهة يقول (فاكهة) ويذكر الدنيا ويقول (فواكه) فاكهة مفرد وفواكه جمع. فإذن إذا أريد الجنس يستعمل المفرد لأنه أعم وأشمل. النّحاة يضربون مثلاً نحن نعدّله نقول الرجل أقوى من المرأة الرجل لا يقصد به يستعمل المفرد لأنه أعم وأشمل. النّحاة يضربون مثلاً نحن نعدّله نقول الرجل أقوى من المرأة الرجل لا يقصد به رجل بعينه وإنما الجنس.

الوجه الآخر أن النعمة الواحدة لا تُعدّ. لو جئت أن تعد نعمة الأكل إحص من خلق المادة الأولى وكيف كانت مزروعة ؟ومن زرعها ومن حصلها ومن طحنها وكم من الأيادي بعد الخلق الأول عملت بها إلى أن جاءت عندك؟ ثم لما هُيأت لك كيف تأكلها؟ بالأسنان والمعدة والعصارات الهاضمة، هذه نعم لا تحصى. الإحصاء هو العدّ. مفردات النعمة الواحدة لا تُعدّ ومن الصعب أن تعدها. نعمة البصر أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم لما بكي الرجل العابد فقال تعالى أدخلوه الجنة برحمتي قال بل بعملي قال تعالى برحمتي قال بل بعملي فقال تعالى زنوا له نعمة البصر فوضعوها في كفة وسائر أعمال الرجل في كفة فرجحت كفة نعمة البصر فقال الرجل لا بل برحتك. كم في نعمة البصر من قيئة النور واستقبالها والأعصاب وغيرها! إذن لا تحصى مفردات النعمة الواحدة فكيف بالنعَم؟ (و إن تعلو ا نعمة الله) تعدو ا أي أن تحاولو ا إحصاءها. مو جودة في القرآن نعمة ونعِم و أنعم. أنعم جمع قلة من أفضل (من ٣ إلى ١٠) في اللغة فإذا صارت عشرة تدخل في الكثرة. قال تعالى (إنَّ عِدَّةَ الشُّهُور عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ (٣٦) التوبة) الشهور إثنا عشر وأربعة أشهر. لما تصير ١١ تدخل في الكثرة. في القرآن الكريم وردت نعَم ونعمة وأنعم، نعمة وردت في الإفراد وقد يكون هذا الجنس والله أعلم إبراهيم عليه السلام قال (شَاكِرًا لَّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم (٢٦١) النحل) لأنه لا يمكن أن يشكر الإنسان نعم الله تعالى فأتى بجمع القلة. وقال تعالى (وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً (٢٠) لقمان) بالكثرة لأن النعم كثيرة الظاهرة والباطنة لكن لا يمكن أن نقول (شاكراً لنعمه)، نحن نشكر الله تعالى ونحمد الله بما نستطيع كما ينبغي لجلال وجهه والله تعالى أثنى على إبراهيم (شَاكِرًا لَّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم (١٢١) النحل).

سؤال ٨: ذكرتم في الحلقة السابقة أنه عندما يذكر (السموات والأرض وما بينهما) لا بد أن يذكر ثلاث ملل لكن في سورة الفرقان ذكر (وما بينهما) (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بهِ خَبيرًا (٥٩)) مع أنه لم يذكر الملل الثلاث؟

كان كلامنا في قوله تعالى (له ملك السموات والأرض وما بينهما) تحديداً وليس في خلق السموات والأرض وما بينهما. حيث ورد هذا التعبير (له ملك السموات والأرض وما بينهما) ذكرنا أمرين: إما أن يكون تعقيباً على ذكر ما لا يليق في الله تعالى من الصفات أو ذكر ثلاث ملل اليهود والنصارى والمسلمين وهي ثلاثة: السموات، الأرض، ما بينهما، هذا تناظر أدبي بياني. إذن ليس الموضوع خلق السموات والأرض وما بينهما وإنما فيما تكلمنا فيه (له ملك السموات والأرض وما بينهما) تحديداً.

سؤال ٩: ما دلالة (حيث) في قوله تعالى (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ (٢٧) الأعراف)؟ هل تفيد الزمان أو المكان؟

(حيث) الأصل فيها أنها للمكان، قسم يقول قد تخرج إلى الزمان، لكن هي عند جههور النّحاة هي للمكان. وهنا هي للمكان لأن السياق هو في تحذير بني آدم من الشيطان (يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبُويْكُم مِّنَ الْمَكَان لأن السياق هو في تحذير بني آدم من الشيطان (يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبُويْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِلْاَيسَهُمَا لِيُريَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء اللَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ (٢٧) الأعراف) من باب التحذير وهنا التحذير من عدو لا يُرى يكون أخوف أن يأتيك من مكان لا تراه يكون أخوف وأشد. وجاء بـ (إنّ) وبالهاء التي هي احتمال ضمير الشأن، إذن هذا أنسب شيء أن يقول (مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ) أي يأتيكم من مكان وأنتم لا تبصرونه وهو عدو لكم فكيف يكون إذا جاءك عدوك من مكان لا تراه؟! لذا هي قطعاً للمكان وهي أنسب مكان للتحذير. (حيث) قسم قال قد تأتي للزمان قليلاً.

سؤال ١٠: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَاثِكَةِ اسْجُلُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ (٥٠) الكهف) هل (كان) هنا بمعنى صار كما في قوله تعالى (وكَانَتِ الْجَبَالُ كَثِيبًا مَّهيلًا (١٤) المزمل)؟

(كان) تأتي لمعاني كثيرة طويلة وليست بالبساطة التي يأخذها الطلبة. قد تأتي للإنقطاع كأن تقول (كان نائماً، كان في البيت) أمر حصل وإنقطع. وقد تأتي بمعنى الوجود على الأصل أي هو هكذا (وكان الإنسان قبولاً) هذا ليس انقطاعاً، لم يكن عجولاً ثم صار الإسراء) خُلِق هكذا، (إنه كان ظلوماً جهولا) (وكان الإنسان عجولاً) هذا ليس انقطاعاً، لم يكن عجولاً ثم صار عجولاً، يقولون هو بمعنى الوجود على الأصل أي هكذا وُجِد. (كان من الجن) أي هكذا خُلِق على الأصل. وتأتي بمعنى الإستمرار في صفات الله تعالى (وكان الله سميعاً عليماً) (كان الله غفوراً رحيماً) هذه إستمرار ليس للمضي مضى وانقطع، وليس مثل (كان مسافراً فأتى) هذه إنقطاع. (كان الله غفوراً رحيماً) أي كان ولا يزال هذه تسمى كان الإستمرارية. وكان قد تأتي بمعنى صار (وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا) أي تحولت. في النحو هناك (كان) تامة و (كان) ناقصة. (كان من الجن) ناقصة تحتاج لإسم وخبر. حتى النحاة في قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) الزمخشري – نحوي كبير – يقول: "(كان) عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبمام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على إنقطاع طارئ" يعني هي هكذا ليس فيها عدم مثل ماض على سبيل الإبمام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على إنقطاع طارئ" يعني هي هكذا ليس فيها عدم مثل

(وكان الله غفوراً رحيما) ليس كان هناك عدم أن الله ليس غفوراً رحيماً هو كذلك، لم يكن سابقاً على غير ذلك، كان الأمر منقطعاً ثم حصل، ما حدث هذا وإنما هو هكذا. وليس معنى هذا انتهى، أنه كان غفوراً رحيماً وانتهت مغفرته ورحمته. هكذا في الأول وفي الآخر ليس منقطعاً في الأول والآخر لم يكن حاصلاً ثم انقطع ولم يتغير.

(كان) بحد ذاتما عند النّحاة فيها كلام طويل: "ما كان ليفعل، ما كان له أن يفعل"، فيها استعمالات خاصة بقية الأفعال لا تشابحها. أما (كان) تأتي تامة (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) ربنا يقول له صِر فيصير. (وإن كان ذو عسرة) بمعنى إن وُجد. (كان) التامة بمعنى وُجد لا تحتاج لإسم أو خبر (وذو تمام) وإنما تحتاج للفاعل

فلا كان بانيها ولا كان ركبُها ولا كان بحرٌ ضمّها وحواها إذا كان الشتاء فأدفتوني فإن الشيء يهدمه الشتاء

أتابى مصعب وبنو أبيه فأين أحيد عنهم لا أحيد

أقادوا من دمي وتوعدوني وكنت ولا ينهنهني الوعيد

(كان) في البيت الثاني بمعنى حلّ و(كنت) في البيت الأخير بمعنى وُجدت.

(إلا إبليس كان من الجن) هنا ليست بمعنى صار وإنما هو في أصل خلقته من الجنّ.

سؤال ١١: ما الفرق بين أنزلناه (إِنَّا أَنزَلْناهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) يوسف) وجعلناه (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) يوسف) وجعلناه (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) الزخرف)؟

في سورة يوسف ذكر ما يتعلق بالإنزال، قال (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْعَافِلِينَ (٣)) هذا إنزال، (نَحْنُ تَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْعَافِلِينَ) أنزل هذا الخبر، أنزل هذه القصة لألها كانت مجهولة عند العرب أصلاً لذلك رب العالمين عقب عليها (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ (٢٠١) وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) ما كان معلوماً وقد أثير سؤال (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْرَتِهِ آيَاتٌ للسَّائِلِينَ (٧)) وكان سؤال اليهود: ما الذي أحلّ بني إسرائيل مصر؟ هذا سؤالهم للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا إختبار وهم يعلمون أنه صلى الله عليه وسلم أمي ليس عنده علم بالتوراة فسألوه وهو في مكة لكن بعثوا من يسأله من باب التحدي "ما الذي أحلّ بني إسرائيل مصر؟" فتنزل سورة كاملة للإجابة على التحدي فييين لليهود أنه صلى الله عليه وسلم يعلم دقائق الأمور وفصّلها أوى عالوراة وفي التوراة إنتار عبارات إعجازية ليست في التوراة وحتى لو كان مطلعاً على التوراة أوفي هما في التوراة مي التوراة أن هذه أدق ترجمة لما كان يُطلق على صاحب هذا المنصب في ذلك الوقت. كان يسمى "عزيز الإله شمس" إسم صاحب هذا المنصب مؤخراً عرفناه، ربنا لم يقل "عزيز إله شمس" لأن هذه أدي كون إقراراً بأن "عزيز الإله شمس" إسم صاحب هذا المنصب مؤخراً عرفناه، ربنا لم يقل "عزيز إله شمس" لأن هذا يكون إقراراً بأن

الشمس إله. فأدق ترجمة بما يتناسب مع العقيدة الإسلامية (العزيز) التوراة ليس فيها العزيز. من أعلَم هذا الرجل الأميّ بهذه التسمية؟ التوراة تذكر دائماً موسى وفرعون والقرآن لم يذكر فرعون مع قصة يوسف وإنما يذكر الملك مع يوسف ثم عرفنا فيما بعد (من حجر رشيد) وعرفنا أن الملوك في مصر

قسمان: قسم إذا كان من أصل مصري يسموه فرعون وإذا كان من الهكسوس يسموه ملك فهو ملك وليس فرعون. في زمن موسى عليه فرعون والذي كان في زمن يوسف كان من الهكسوس فسمي ملك فهو الملك وليس فرعون. في زمن موسى عليه السلام كان الملك مصرياً فسمي فرعون. القرآن يذكر في كل مكان لا يذكر (سيدها) بمعنى الزوج إلا في قصة يوسف قال (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ (٢٥)) بمعنى زوجها. ليس في القرآن (سيدها) بمعنى زوجها وعرفنا فيما بعد أن (سيدها) كان يستعملها الأقباط للرجال والبعول وقرأت في الكتب أن كلمة (سيدها) ليست عربية وإنما هي قبطية، إستعملها للزوج لا تستعملها العرب وإنما هي من كلام الأقباط بمعنى بعل أو زوج. نحن عندنا ساد يسود، لكن (سيدها) بهذه الدلالة لا تستخدمها العرب وإنما تستخدم الزوج والبعل. قال تعالى في قصة يوسف (سيدها) ولم يقل في مكان آخر (سيدها). الله تعالى تحداهم بمعلومات لم تكتشف إلا فيما بعد، ذكر القصة بكل دقائقها ثم ذكر أموراً، هذه أنو لناه.

(جعلناه): لم يذكر أموراً تتعلق بالإنزال، قال تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيِّ حَكِيمٌ (٤) الزخرف) (أُمِّ الكتاب) أين؟ في السماء، (لدينا) أين؟ عند الله عز وجل، (لعلي حكيم) أين؟ في العلو، إذن هذا ليس إنزالاً. ما يتعلق بالإنزال لأنه يتكلم وهو في السماء، في العلوّ، في الارتفاع قبل النزول: (أمِّ الكتاب) أي اللوح المحفوظ، (لدينا) أي عند الله، (لعلي حكيم) مرتفع فيه سمو، فكيف يقول إنزال؟. أما الآية الأخرى فإنزال (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ الْخَرى فإنزال (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) يوسف) الوحي إنزال. (لدينا) ليست إنزالاً، أمّ الكتاب ليست إنزالاً فتحتاج لـ (جعلناه) وليس أنزلناه. الشأل: أيّ الأنسب أنه في مقام الإنزال يستعمل أنزلناه أو جعلناه؟ الأنسب أن يستعمل أنزلناه وفي مقام عدم الإنزال يستعمل (جعلناه). نضع الإنزال مع الوحي والإنزال (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ما كنت تعلمها أنت وقومك) يعني أنزلها إليك، هذه لا علاقة لها بأم الكتاب ولدينا وكلها إنزال.

هل العرب كانت تفهم وضع كلمة في مكانما هكذا وتعلم أن كل كلمة عاشقة لمكانما؟ البلغاء يعلمون ويعرفون في مظان الكلام ما لا نعرفه نحن إلا فيما يتعلق بالأمور العلمية التي استجدت فيما بعد هذه لا يعلمونما لكن فيما عدا ذلك يعلمون من مرامي الكلام ما لا نعلمه نحن ولذلك عندما تحداهم بسورة والسورة قد تكون قصيرة جداً لم يأتوا بشيء، لم يتحداهم بآية لأن الآية قد تكون كلمة (ألم) و(مدهامتان) آية، لكن تحداهم بسورة أو بما هو مقدار السورة. كل تعبير في القرآن بمقدار (إنا أعطيناك الكوثر) فهو معجز. أقصر سورة الكوثر هذه معجزة لأنه تحداهم بما أو الإحلاص. فأي كلام في القرآن بمقدار هذ فهو معجز.

سؤال ١٢: ما السر في أن الله تعالى لم يقل في آية سورة آل عمران (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧) آل عمران) بدون (كانوا) كما قال في باقي القرآن (وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) البقرة) (وَمَا ظَلَمُونَ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) الأعراف) (فَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

لما يتكلم عن الحال يقول (أنفسهم يظلمون) الحال أي الوقت الحالي وليس الزمن الماضي ولما يتكلم عن الأقوام البائدة القديمة الماضية يقول (كانوا أنفسهم يظلمون). قال تعالى (مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ البائدة القديمة الماضية عَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧) آل عمران) هذا حديث (مثل ما ينفقون) لم يتكلم عن أقوام ماضين وإنما وصف حالة موجودة. (إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٤) يونس) هذا ليس ماضياً وإنما حال واستقبال، هذه قاعدة عامة.

(أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمٍ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمٍ إِبْرَاهِيمَ وِأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَنْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنْهُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) التوبة) يتحدث عن قديم. في العنكبوت (فَكُلَّا بَلْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنْهُسَهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَيَّحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَنْهُم مَّنْ أَخْدَنْهُ الصَيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَنْهُم مَّنْ أَخْدَنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَنْهُم مَّنْ أَخْدَنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغُرَقْنَا وَمَنْهُم مَّنْ أَخْدَقُهُم مَّنْ أَوْدِهِم بَعْ فَيْهُم مَّنْ أَوْمِ أَوْمَا أَفُهُم مَّنْ أَخُذَنّا بِذَنهِم بَاللّه لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْهُمُهُمْ يَظْلِمُونَ (٠٠٤) العنكبوت) عندما يتكلم عن أمر ماضي يقول (كانوا أنفسهم يظلمون) في عموم القرآن. وعندما يتكلم عن أمر لا يتعلق بالماضي وإنما مطلق، حال، يقول (أنفسهم يظلمون).

سؤال ١٣: ما الفرق بين الآيتين في سورة الأنعام (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهِ انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)) و (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهَا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآثُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)؟

نقرأ الآيتين ونلاحظ السياق الذي هو يبين سبب الإختيار والسياق هو الأساس. الآيتان هما في سورة الأنعام، الآية الأولى (وَهُوَ الَّذِي أَنْوَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْء فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ حَضِرًا نُخْوِجُ مِنْهُ حَبًّا مُمْ أَعْنَابِ وَالرَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِها وَغَيْرَ مُتَشَابِهِ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي اللَّهُ عَلَى النَّمُو إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)) الغرض تبيين قدرة الله تعالى (انظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) إذن هي في بيان قدرة الله. الآية الأخرى (وَهُو الذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَتُشَابِها وَغَيْرَ مُتَشَابِها وَغَيْرَ مُتَشَابِهِ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ مَعْرُوشَاتٍ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِها وَغَيْرَ مُتَشَابِهِ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّرْ عَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِها وَغَيْرَ مُتَشَابِهِ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)) واضح أن الآية الأولى في سياق بيان قدرة الله والآية الثانية في سياق الأطعمة، بيان الأطعمة، ما حلله وما حرّمه. قال (وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) كل السياق في الأطعمة وما حله من عليه وما حرمه إفراء عليه.

إذن الآية الأولى في بيان قدرة الله تعالى منذ بداية (إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهَا وَغَيْرَ مُتَشَابِهِ انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ اللهُ فَأَنَّى تُؤْمِنُونَ (٩٩)) أُنظر القرق بين (انظروا إلى ثمره) و (كلوا من ثمره) النظر تدبر و تأمل و (كلوا) أكل.

ثم ننظر إلى التعقيب في الآيتين: (إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) مسألة تدبر و في الثانية (وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) كلوا ولا تسرفوا. إحداهما في المطعوم والأخرى في التدبر في قدرة الله تعالى.

متشابه ومشتبه: المشتبه هو المُلتِس من شدة التشابه. عندنا إشتبه وتشابه، إشتبه مشتبها وتشابه متشابهاً. المشتبه هو الملتبس من شدة التشابه يلتبس على الرائي والأمور المشتبهة هي المشكلة. يقولون اشتبهت عليه القِبلة أي إلتبست. (التشابه) في أي معنى من المعاني، هذا متشابه مع هذا في هذه المسألة. أيهما الأدل على القدرة؟ أن الأمرين المختلفين يجعلهما من يجعلهما متشابهين! مشتبهين؟ مشتبهين أدل على القدرة أنه يجعل أمرين مختلفين ملتبسان، يجعلهما من شدة التشابه كأفهما ملتبسان وهذا في أمر من الأمور. بعد أن عرفناها من حيث اللغة أين نضع متشابه وأين نضع مشتبه في فدرة الله تعالى.

قد يُثار سؤال: لماذا قال في الآيتين (وغير متشابه)؟ لِمَ لم يقل في الأولى وغير مشتبه؟ في الحالتين قال (وغير متشابه). نفي الإشتباه لا ينفي التشابه، إذا نفيت الإلتباس قد يتشابهان في أمر ولكن غير مشتبه، إذا قلت هذا غير مشتبه يعني ليس متشابه أو قد يكون متشابها في شيء. إذا قلت هذا وهذا ليسا مشتبهين محتمل أن يكون فيهما تشابه لكن ليسا مشتبهين. إذن ففي الإشتباه لا ينفي التشابه. إذا قلت ليسا مشتبهين لكن قد يكونا متشابهين. نفي التشابه ينفي الإشتباه. إذا قلت ليسا مشتبهين قد يكونا متشابهين.

مشتبه فِعلها إشتبه بمعنى إلتبس، هما مختلفان لكن من شدة التشابه إلتبسا عليك. متشابه قد يكون التشابه في أمر واحد أقول هذا يشبه هذا في الطول، في العرض، في اللون، إذن تشابها في أمر واحد، لكن إشتبها تكون في أمور كثيرة بحيث إلتبس عليك الأمر. مشتبه مثل التوأم التفريق بينهما صعب، وقد يتشابها أن كلاهما عيناه زرقاوان.

(وغير متشابه): نفي الإشتباه إذا قلت هذان ليسا مشتبهين قد يكونا متشابهين في أمر من الأمور. نفي التشابه لا ينفي الإشتباه ولو نفيت الإشتباه لأنه ليس هناك وجه تشابه لكن لو نفيت الإشتباه لا تنفي التشابه.

قال تعالى (وغير متشابه) لينفيها من أصلها لأنه لو قال غير مشتبه يبقى التشابه موجود. أراد أن ينفيها كلها حتى يفرق بينهما تفرقة كاملة ليس هناك وجه للشبه. ولو قال وغير مشتبه قد يكون بينهما تشابه في أمر آخر. فإذن قال (وغير متشابه) في الحالين حتى ينفيهما. في الأولى (مشتبها وغير متشابه) هذا نفي ولو قال وغير مشتبه قد يكون هناك تشابه وهو تعالى أراد أن يبين قدرته سبحانه. نفي الإشتباه لا ينفي التشابه وإنما نفي التشابه ينفي الإشتباه. ومشتبه أدل على القدرة فوضعها في بيان القدرة وطلب التأمل والتدبر (انظروا إلى ثمره). أما الثانية في وضع المأكولات (مختلفاً أكله) (كلوا) إذن استعمل (متشابهاً وغير متشابه).

سؤال ١٤: ما دلالة إستخدام كلمة (نور) في الآية (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْلَّرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ (٣٥) النور) ولم لم يستخدم ضياء مع أن الضياء أقوى وأعمَّ؟ في اللغة هل الضياء نور؟ الضياء نور والضياء حالة من حالات النور، إشتداد النور، النور واسع يمتد إبتداء من نور المتجر ويمتد إلى أن يكون ضياءً. نقول نور الشمس ونقول ضياء الشمس (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا (٥) يونس) كلمة النور عامة والضياء حالة من حالات النور. النور أعمّ من الضياء والضياء ليس مغايراً للنور وإغا هو حالة من حالات النور وهو حالات الإشتداد. النور قد يكون مشتداً ويسمى ضياءً وقد يكون غير مشتد فيسمى نوراً. الضياء حالة من حالات النور (الشمس ضياء) يعني حالة مشتدة من حالات النور. نحن نتكلم في لسان العرب. النور نقول الآن مكتسب وغير مكتسب هذا أمر آخر. القمر أليس نوراً؟ والشمس أليست نوراً؟ كلاهما نور لكن الشمس أليست نوراً؟ والشمس أليب نوراً؟ والشمس أليب نوراً؟ والشمس أليب نوراً؟ والشماء وغير الضياء، هذا واحد وهناك حالات من النور غن لا نعلمها، مثال: يذكر تعالى في القرآن الكريم (مَثَّكِينِنَ عَلَى فُرُشٍ بَطَانِهُها مِنْ إستَّبُرَق (٤٥) الرحن) قالوا هذه البطائن فما الظواهر؟ قالوا هي من النور الجامد. هذا النور الجامد هل نعرفه؟ هل رأيناه؟ إذن هذه حالة لا نعلمها. إذن النور أوسع من الضياء والضياء نور يوم القيامة" أي نور؟ كيف نجلس على منابر من نور؟ هذه حالة لا نعلمها. إذن النور أوسع من الضياء والضياء نعلمها من النور فكيف نصف الله تعالى بحالة جزئية؟! لا وإنما نصفه بالنور. هناك حالات لا نعلمها من النور فكيف نصف الله تعالى بحالة جزئية؟ لا نصفه بالضياء، بحالة جزئية، لا يصح فالله تعالى مطلق نعلمها من النور والضياء في القرآن هو بحسب

في القرآن أيضاً وصف تعالى التوراة مرة ألها ضياء ومرة ألها نور. نقرأ ما ورد ويتضح. وصف تعالى التوراة بالضياء في قوله (وَ لَقَدُ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لَّلْمُتَّقِينَ (٨٤) الَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٩٤) الأنبياء) إذن ضياء وذكراً للمتقين (الَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٩٤)) حالة خاصة من النور. (إنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَثُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبيُّونَ اللَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا استُتَحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَاثُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء (٤٤) المائدة) أيها أعم الذين هادوا أو المتقين الذين هادوا أو المتقين الذين هادوا أو المتعمل المتقين الذين هادوا أو المتعمل المتقين الذين هادوا أعم للذي الله وكَاثُوا عَلَيْهِ شُهُهَا بِاللّهِ وَكَاثُوا عَلَيْهِ شُهُودَاء (٤٤) المائدة وهم مضسنين أعلى من أولئك (للمُتَقِينَ الَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ) حالة مخصوصة وهم أعلى المذكورين الضياء وهم مضسنين أعلى من أولئك (للمُتَقِينَ الَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُم بِالْغَيْب) حالة مخصوصة وهم أعلى المذكورين فالمناسب استخدام كلمة الضياء لأن النور أعمّ. (قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ اللّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لَلْتَاسِ المنعام) الناس أعم من المتقين فاستخدم النور. إذن للعموم نضع النور (العموم) وفي الخصوص نضع الخصوص (الضياء). لذا قالوا كل كلمة في القرآن عاشقة لمكاها ويجب أن نتأمل في السياق ليتضح لنا الأمر.

سؤال ١٥: في قصة نوح عليه السلام في الآية (تَجْرِي بِأَعْيُننَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) القمر) هل (كُفِر) وافقت السياق (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونَا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣)) أم لها معنى؟ ولماذا لم تأت (كَفَر)؟

الذي كُفِر هو سيدنا نوح عليه السلام (جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ) أي كُفِرت دعوته وأمره. (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبُوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣)) تجري بأعيننا أي برعايتنا ولا يمكن أن تكون هذه الرعاية لمن كان كَفَر وكيف تجري بهم وهم غرقوا؟ الذي كُفِر تعود على سيدنا نوح عليه السلام أي هي تجري جزاء لسيدنا نوح الذي دعا ربه أني مغلوب فانتصِر فحمله رب العزة على ذات ألواح ودسر وهي سفينة وهي تجري برعايته سبحانه جزاء لمن كان كُفِر. فلا يصح أن تكون جزاء لمن كان كَفَر. جزاء أي ثواباً لصبره على قومه ودعوته وهو دعا ربه أني مغلوب فانتصِر فربنا سبحانه وتعالى استجاب له وحمله.

سؤال ١٦: ما معنى قوله تعالى (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) الملك؟

الزلفة أي القريب، الآية تتكلم عن يوم الحشر وهي في سورة الملك (قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَاَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٢)) هو يعلهم بالحشر وهم يسألون مني هذا الوعد إن كتم صادقين (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُتتُمْ صَادِقِينَ (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُتتُمْ صَادِقِينَ (٥٠)) ﴿ (قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأُوهُ زُلْفَةً سِيتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا اللَّهِ عَلَيْكُمُ بِهِ تَلَّعُونَ (٢٧)) لما رأوه قريبًا منهم لأن الزلقى هي القُرب، يقال ذو زلفة أي قريب. أزلفت والزلف (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَقِينَ (٩٠) الشعراء) أي قُربت، (وَالَّذِينَ اتَّحَدُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَقِينَ (٩٠) الشعراء) أي قُربت، (وَالَّذِينَ اتَّحَدُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ الله تعالى. فالزلفة هي القُرب. (فَلَمَّا رَأُوهُ زُلْفَةً سِيتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ اللهِ الحُشر وكانوا من قبل يستعدون هذا الحشر فلما رأوه زلفة سيئت وجه (فَلَمَّا رَأُوهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي ساءهم رؤيته (سيئت) فعل مبني للمجهول. (ساء) فعل يتعدّى نقول ساءتني رؤيته، إذن سيئت مبني للمجهول ووجوه نائب فاعل. لما رأوا الحشر قريبًا منهم ساءت الوجوه رؤيتهم، أصلها ساء يوم القيامة وجوه الذين كفروا فقيل سيئت وجوه. سيئت يوم القيامة وجوه الذين كفروا، وبناها للمجهول لأن المعنى واضح والكلام على الحشر واستبعادهم وهو قريب أمامهم. أنتم تشاهدونه الآن وخرجوا وراءه والحشر أمامهم كما قيل (وأزلفت الجنة للمتقين) أزلفت للتقريب وليس بالضرورة أن يكون فيه شيء من الهدوء والسكينة. لم يقل فلما رأوه قريباً.

ما دلالة التعبير بكلمة (زلفة) بغض النظر عن أي كلمة أخرى؟ الزلفة بمعنى تقرّب إليه، تزلّف إليه أي تقرّب إليه شيئاً فشيئاً، يفعل الحِيَل ليتقرب حتى في الصلاة قال تعالى (وَأَقِم الصَّلاَةَ طَرَفَي النَّهَارِ وَزُلُفًا مِّنَ اللَّيْلِ (١١٤) هود) الزُلف من الليل هي أقرب الصلاة إلى النار وهما المغرب والعشاء. الزُلف من الليل أي ما هو أقرب إلى النهار وهما صلاتي المغرب والعشاء. هذا يواه كثير من المفسرين وبعضهم يرى أن معناه تقرّب إلى الله بصلاة الليل وليس بالضرورة صلاة المغرب والعشاء. فالزلفة فيها تقرّب على العموم.

سؤال ١٧: في سورة يونس (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآنِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ؟ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)) ما دلالة استخدام إلى الحق؟

الفعل هدى يتعدّى بنفسه ويتعدّى بــ (إلى) ويتعدى باللام. يتعدّى بنفسه (هدنا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ (٦) الفاتخة) (فَاتَّبِغنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٣٣) مريم)، يتعدى بــ (إلى) (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) (وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦) سَبأ) ويتعدى باللام (يَهْدِي لِلْحَقِّ) (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧) الحجرات)

(وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ (٤٣) الأعراف)، هذا الفعل هدى. يبقى ما دلالة كل تعبير حتى نفهمه:

المتعدي بنفسه (اهدِنَا الصِّرَاطَ اللستقِيمَ) مثالاً هذا يقال لمن كان على الصراط ولمن كان بعيداً عنه، الفعل هدى يقال في حالات يحددها السياق. من كان بعيداً عن الصراط يمكن أن نقول له إهدنا الصراط كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه (فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا) وأبوه ليس على الصراط وإنما بعيد عنه. قول الرُسُل (وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سَبُلُنَا (١٢) إبراهيم) وهم على الصراط، هم أنبياء الله وهم على الصراط. (إهدنا الصراط المستقيم) الذين يقولون إياك نعبد وإياك نستعين مؤمنون على الصراط قالوا (إهدنا الصراط المستقيم). إذن المتعدي بنفسه يقولها لمن هو على الصراط أو بعيداً عن الصراط. إهدنا السيل قد يكون بعيداً عن السيل وقد يكون هو على السيل أي ثبتني عليه وعلمني ما فيه.

المتعدّي بـــ (إلى) الموجودة في الآية تقال لمن كان بعيداً عن الصراط تحديداً. لما تقول اهدني إلى الصراط أنت بعيد عن الصراط فيوصلك إليه (فَاحْكُم يَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ (٢٢) ص) أنت أوصلنا إليه، هم مختلفون ليسوا على الصراط. لذا قال تعالى (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) هل منهم من يوصِل إلى الحق؟

التعدية باللام تكون لمن وصل إلى الغاية، إلى غاية الأمر، إلى المنتهى. اللام تأتي للتعليل، لطلب العِلم وتستعمل لانتهاء الغاية (لأجل مسمى).

الإنسان يحتاج إلى هذه الهدايات كلها فمن كان بعيداً عن الصراط يحتاج من يوصله إلى الصراط ويدلّه عليه، فمن وصل يحتاج من يعرّفه بالصراط لأنه قد يستدل أحلهم على الطريق لكن لا يعرفه. المرحلة الأولى أن يوصله إلى الصراط والمرحلة الثانية أن يعرّفه ماذا في الطريق من مراحل، هل هو آمن، ماذا فيه؟ والذي هو سالك في الطريق يحتاج من يوصله إلى آخر الغاية، آخر الطريق لذلك لا تجد في القرآن مع اللام إهدنا للصراط وإنما تجد فهاية الأمور (يَهْدِي اللّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء (٣٥) النور) (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا) (بَلِ اللّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ). هذه هي مسألة هدى الإنسان يحتاجها كلها.

الآن نأتي إلى الآية: شركاؤهم لا يعرفون أين الحق ولو سألتهم أين الحق لا يعرفون أين الحق وأين الصراطهم أصلاً لا يعرفون الحق ولا الصراط أين هو (قُلْ هَلْ مِن شُركَآنِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) هم لا يعرفون أين الحق. إذن المرحلة الأولى من الهداية وهو أن يعلم أين هو الصراط غير موجودة، إنتفت الأولى فانتفت الثانية. (قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ) الله تعالى يوصلكم للنهاية وليس فقط يهديكم إلى الحق هذا آخر الهدايات. إذن هو الله تعالى ليس فقط يهدي إلى الحق، آلهتكم لا تعلم أين الحق لكن الله تعالى يهدي للحق، يوصلكم إلى آخر المطاف والمطاف إلى الجنة. وب العالمين تعدى كل المراحل (قل الله يهدي للحق) شركاؤهم لا يعلمون الحق والله تعالى يوصلكم إلى لهاية الحق ولهاية المطاف لذا يقول أهل الجنة (الحمد لله الذي هدانا لهذا) رب العالمين هداهم لهذا أوصلهم للجنة وهي آخر الغاية (وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن الْجَنّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ).

فإذن الأولى واضحة (يهدي إلى الحق) (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) هذا استفهام إنكاري أي هل من أصنامكم من يدلكم على الحق أين هو؟ لكن الله تعالى يهدي للحق، إلى آخر الغاية يهديكم إلى الحق ويهديكم للحق ويهديكم الحق ويهديكم الحق ويهديكم الحق الحق، يهديكم إلى أهاية الأمر.

سؤال ١٨: ما دلالة تكرار (هم) في الآية (وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) يوسف) بينما في سورة الأعراف لم يكرر (هم) (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَييل اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بالآخِرَةِ كَافِرُونَ (٥٥))؟

نعرف الحكم النحوي لماذا التكرار؟ التكرار يفيد التوكيد. (هم كافرون) آكد من عدم ذِكر (هم). من أهم أغراض التكرار في اللغة التوكيد. إحدى الآيتين مؤكدة والأخرى ليست مؤكدة. نوضح المسألة أولاً في الأعراف (فَأذَنَ مُؤذِنَّ بَيْنَهُمْ أَن لَغْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ مُؤذِنَ بَيْنَهُمْ أَن لَغْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُونَ عَلَى الظَّالمِينَ الذين يصدون عن سبيل الله. نأخذ آية شبيهة بها في سورة هود (ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَوُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَغَنةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَنْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٩٩)) كرّر (هم). اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) اللّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَنْغُونَهَا عِوجًا وهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٩٩)) كرّر (هم). فما قال وإنما قال (الَّذِينَ يَصُدُونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَنْغُونَهَا عِوجًا). في سورة هود قال (الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ فَمَا قال وإنما قال (الَّذِينَ يَصُدُونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَنْغُونَهَا عِوجًا). في سورة هود قال (الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ فَمَا قال وإنما قال (اللّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى الله فاستحقوا التوكيو على الله وبغيها عوجًا الكذب على الله هل له درجة واحدة؟ كلا. لو أردنا أن نضع (هم) نضعها في المكان الذي وضعت فيه لأن هؤلاء زادوا الافتراء والكذب على الله فاستحقوا التوكيد.

نأتي إلى سورة يوسف وآيات أخرى: في سورة يوسف (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧)) أيّ الأشد، الكافر أو الظالم؟ الكافر أشد لأن الظالم قد يكون مسلماً. هناك قال (الظالمين) وهنا قال (كافرون) أيهما الأولى بالتوكيد؟ الكافرون أولى فوضع (هم) مع الكافرين.

في سورة فصلت (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧)) من الأشدّ، المشرك أو الظالم؟ المشرك أشدّ فقال (وهم كافرون) إذن هو يؤكد حيث ينبغي التوكيد. أقل ما ذكر في الأعراف (وهم بالآخرة كافرون) فلم يؤكد وكل المذكور بعده أشدّ إما أن زاد الإفتراء على الله فكرر وأكّد وإما أنه وصفهم بالكفر وهو أشد من الظلم ووصفهم بالشرك وهو أعظم من الكُفر. إذن وضع كل تعبير في مكانه في البلاغة. التكورار يفيد التأكيد. زيادة في الكفر بالآخرة وإلا لم يؤكّد. هم أنفسهم يؤكدون مفرهم. يعني عذا أشد كفر لأن الكفر بعض وهو ليس مرتبة واحدة فلما ذكر أموراً أشدّ أكّد الكفر وكانوا أكثر كفراً وأبعد في الكفر (هم كافرون).

سؤال ١٩: ما سبب تكرار بعض الكلمات في الآيتين في سورة غافر (أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَاثُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاق (٢١)) و(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا كَانُوا يَكْسبُونَ (٨٢))؟

ينبغي أن نعلم الفرق بين الواو والفاء في التعبير حتى نحكم. الواو لمطلق الجمع المطلق، قد يكون عطف جملة على جملة (فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسَبًانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْغَوْيِزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وهُو الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ التُّجُومَ لِتَهُتَلُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) الأَنعام). الفاء تفيد السبب، هذا المشهور في معناها (درس فنجح) فإذا كان ما قبلها سبباً لما بعدها أي الذي قبل يفضي لما بعلها يأتي بالفاء ولا يأتي بالواو لأنه لمطلق الجمع. هذا حكم عام ثم إن الهاء يؤتى بها في التبكيت أي التهديد. لو عندنا عبار تين إحداهما فيها فاء والأخرى بغير فاء وهو من باب الجواز الذكر وعدم الذكر نضع الفاء مع الأشد توكيداً. (إِنَّ اللَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ امْتُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفُرًا لَمْ يَكُن اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْمِهُمْ سَيلاً (١٣٧) المساء) ليس فيها فاء. (إِنَّ اللَّذِينَ كَفَرُوا وَصَلُوا عَن سَبيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَقْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) محمد) لأهُم لا تُرجى هم توبة. وفي الأولى هم أحياء قد يتوبون. لما لم يذكر الموت لم يأت بالفاء ولما ذكر الموت جاء بالفاء لأهُم لا تُرجى هم تُقَارُ فَلَن يُقْبَلُ مَنْ أَحَلِهِم مَّلُهُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولِيَكَ هُمْ الفَاء (٩٥) آل عمران) (إِنَّ الَذِينَ كَفُرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ وَاكُولُ الْمُعْمَلُ وَقُولُونَ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ وَحَدَم الموت بالفاء (وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ) واحدة جاءت بالفاء (وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ) عمران) الآيتان فيهما نفس التعبير: الفي بسر (لن) واحدة جاءت بالفاء (وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ) عمران) الآيتان فيهما نفس التعبير: النفي بسر (لن) واحدة جاءت بالفاء (وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ) انتهى عملهم. الشحاة يقولون قد تأق الفاء للتوكيد.

هناك أمران: الأول أن الفاء تكون للسبب (سببية) " درس فتجح" سواء كانت عاطفة "لا تأكل كثيراً فتمرض" يُنصب بعدها المضارع. ينبغي أن نعرف الحكم النحوي حتى نعرف أن نجيب.

تابع سؤال الحلقة الماضية:

ما سبب تكرار بعض الكلمات في الآيتين في سورة غافر (أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاق (٢٦)) و(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسُبُونَ (٨٢))؟

في أواخر الحلقة الماضية بدأنا الفرق بين الواو والفاء ثم منها ننتقل إلى السؤال. ذكرنا أن الواو لمطلق الجمع تجمع بين عدة جمل وذكرنا أمثلة في حينها (هو الذي أنشأكم، وهو الذي أنزل). الفاء في الغالب تفيد السبب سواء كانت عاطفة أو غير عاطفة (درس فيجح) (لا تأكل كثيراً فتمرض) وذكرنا أن التبكيت والتهديد بالفاء أقوى (وَمَن يَنتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ (٨٥) آل عمران) (ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفًارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) محمد) في القرآن وغير القرآن إذا كان ما قبلها يدعو لما بعدها، يكون سبباً لما بعدها، أو يفضي لما بعدها يأتي بالفاء (السببية) ولا يؤتى بالواو. في غير القرآن نقول لا تأكل كثيراً فتمرض، ذاك أفضى لما بعد، الزيادة في الأكل سبب المرض. إذن هذا كحكم لغوي. ما قبلها سبب لما بعدها وإذا كان الأمر كذلك يؤتى بالفاء وإذا كان مجرد إخبار تقول فلان سافر وفلان حضر، تخبر عن جملة أشياء وليس بالضرورة أن هناك أسباب. هذا المعنى اللغوي العام في القرآن (بلسان عربي). إذا كان ما قبلها يفضي لما بعدها يأتي بالفاء ونضرب أمثلة ومنها السؤال عن الفرق بين أولم يسيروا.

في سورة يوسف قال تعالى (أَفَلَمْ يَسيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لَلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (١٠٩)) بالفاء (فَينظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) ماذا قال قبلها؟ قال (أَفَاَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (١٠٧)) ثم يقول (أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ) ما قبلها يفضي لما بعدها (أَفَامِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ) ما ساروا في الأرض؟

في سورة الحج (أَفَلَمْ يَسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصَّلُورِ (٢٤)) قال قبلها (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَتَمُودُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصَّلُورِ (٣٤)) قال قبلها (وَإِنْ يُكذَّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ اللَّكَافِرِينَ ثُمَّ أَخذَتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ (٢٤) وَقَوْمُ لُوطٍ (٣٤) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذَّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ اللَّكَافِرِينَ ثُمَّ أَخذَتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِي ظَالِمَةٌ فَهِي خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِنْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥)) الذي تَكْدِر (٤٤) فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِي ظَالِمَةٌ فَهِي خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِنْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥)) الذي قبلها سبب لما بعدها ووراءها (وَيَسْتَعْجُلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعَدُّونَ (٤٧)).

بالنسبة للواو قال تعالى في سورة الروم (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَقَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَقَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمُونَ (٩)) قبلها هو سبب لما بعلها؟ ما قبلها (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمَّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨)) ليست سبباً لما بعدها.

آية أخرى في سورة غافر (أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاق (٢١)) (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا يَنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاق (٢١)) (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) غافر) ليس سبباً. لما يأتي بالفاء الفاء سبب، ما قبلها سبب يفضي لما بعدها أما الواو جملة إخبار. هذا خط عام وهذه اللغة والعرب كانت تفهم هذه المعاني، أبو سفيان وأبو جهل كانوا يستمعون إلى القرآن إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى (٤٧) الإسراء) لا يعلم أحلهم مكان الآخر فيلتقون ويتعاهدون على أن لا يعودوا ثم يعودوا. هم فهموا لغة القرآن ولكن (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَتُهُا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًا (١٤) النمل). كل كلمة في القرآن عاشقة لمكانها وكل كلمة مقصودة لذاتها.

استطراد من المقدم: لماذا لا نفهم نحن القرآن الآن كما فهموه في السابق؟ لأنهم كانوا يتكلمون اللغة على سجيتها ونحن نتعلم لا نعرف النحو ولا البلاغة. علم اللغة نفسها لا نأخذه إلى على الهامش ولا نُحسن الكلام أصلاً. علم النحو مفيد في فهم نص القرآن الكريم. والعلماء يضعون للذي يتكلم في القرآن ويفسره شروطاً أولها التبحر في علوم اللغة وليس المعرفة ولا تغني المعرفة اليسيرة في هذا الأمر. النحو والتصريف وعلوم البلاغة من التبحر فيها يجعلك تفهم مقاصد الآية فإذا كنت لا تعرف معنى الواو والفاء ولا تعرف ما دلالة المرفوع والمنصوب لن تفهم آيات القرآن.

سؤال: في قوله تعالى (وَإِن مِّن شَيْء إِلاَّ يُسبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (£٤) الإسراء) ما دلالة استخدام يفقهون بدل يسمعون؟

نحن نسمع التسبيح لكن لا نفقهه. الطيور طبعاً تسبّح وأنت تسمعها ولكن لا تفقهها والله تعالى قال (وَيُسبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ (١٣) الرعد) نحن نسمع الرعد لكن لا نفقهه، الضفدع تنقّ ونجن نسمع نقيق الضفدع لكن لا نفقه إذا كانت تسبح. الفقه أن تعلم ماذا يقول وماذا يريد. أنت تسمع متكلماً يتكلم بلغة أجنبية أنت تسمعه لكن لا تفهم ما يقول ولا تفقهه. فالسمع ليس شرطاً في الفقه فالمهم أن نفقه ما يقال وليس مجرد السماع.

سؤال: في سورة يس (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَلِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٦)) بحثت في بعض التفسيرات وأشعر ألهم تفاجأوا بيوم المحشر فهل يمكن أن تعني أن هؤ لاء ما حصل لهم عذاب البرزج لذا تفاجأوا بيوم الحشر قالوا (يا ويلنا) ولو كان حصل لهم عذاب البرزخ ما تفاجأوا؟

هذا السؤال يجاب عليه بأكثر من جواب. حياة البرزخ بالنسبة لحياة الآخرة هجعة لما يستيقظ ويرة ما يرى كأن البرزخ كان حلماً بالنسبة لاستيقاظة الآخرة، كللستيقظ من النوم كان يرى كابوساً. حياة البرزخ بالنسبة إلى الساعة كالرقاد. هذهواحدة والأمر الآخر يقال أن بين النفختين يهجع الموتى في قبورهم وينامون فهم كالميت لا يسمع ولا يحس بشيء فيكون هجعة بين النفختين فإذا تُفِخ الثانية استيقظ من رقاده (مَن بَعَثَا مِن مَّرْقَدِنَا) قسم يقول بين النفختين هجعة (وَتُفِخ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي النَّرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ تُفِخ فِيهِ أَخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) الزمر) بين النفختين هجعة لأهل القبور. هذه الآية بعد النفخة الثانية لأنما في الحشر فإذا كان هذا الخبر صحيحاً أن يتحقق أنه بين النفختين هجعة لأهل القبور (مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا). والمرقد مكان الرقاد والفراش.

سؤال: ما الفرق بين الآيات (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) آل عمران) و (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ وَاللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ فَقَوْبُ وَاللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَكَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بَآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكُنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلِّ كَانُواْ ظَالِمِينَ (٤٥) الأَنفال)؟ ما الفرق بين كذبوا بآياتنا وكفروا بآياتنا؟

لا شك أن الكفر أعمّ من التكذيب لأن التكذيب حالة من حالات الكفر. ننظر كيف يكون التعبير مع كذبوا وميف يكون التعبير مع كفروا ولما اختار هنا كذبوا وهنا كفروا؟ في آل عمران قال تعالى (كَدَأْب آل فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِهِمْ اللّهُ بذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) آل عمران) وفي الأنفال قال (كَدَأْب آل فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بَآيَاتِ اللّهِ فَأَحَلَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٦) اللهِ فَأَحَلَهُمُ اللّهُ بِذُنُو بِهِمْ إِنَّ اللّهَ قوي شديد العقاب) الأنفال) أكّد بـ (إنّ) وأضاف كلمة (قوي) لأنه لما كان الكفر أعمّ وأشد شدد وأكّد (إن الله قوي شديد العقاب) وهناك قال (والله شديد العقاب) فإن أولاً لما قال كفروا وكفروا أعمّ من كذبوا فعمم (إن الله قوي شديد العقاب) أكّد قوته وشدد عقابه ولو قال شديد العقاب في الآية الثانية لا تدل على أنه قوي فقد يكون شديد العقاب ولكن غير قوي.

في سورة الأنقال نفسها آية أخرى (كَلَأْبِ آلِ فِرْعُوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بَآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَعْرَقْنَا آلَ فِرْعُونَ وَكُلِّ كَانُواْ ظَالِمِينَ (٤٥) الأنفال) عرفنا كيف ختم الآية (والله شديد العقاب) (إن الله قوي شديد العقاب) لم اختار هنالك كذبوا وهنا كفروا وهنا في الأنفال كذبوا؟ نلاحظ قلنا أن الكفر أعمّ من التكذيب، ننظر في الآيات: ذكر في آل عمران حالة جزئية (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْنًا (١٠) آل عمران) ذكر أمرين: الأموال والأولاد ولكن هل عدم الإغناء هذا فقط؟ هناك الأتباع، الآهة، السلطان والله تعالى ذكر كثيراً من حالات الاستغناء (وبَرَزُواْ لِلهِ جَمِيعًا فَقَالَ الصَّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبُرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِن شَيْء (٢١) إبراهيم) هذا غير الأولاد، (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهُ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلُطَانيه (٢٩) الحاقة) السلطان، (ومَا ظُلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ مِن شَيْء (١٠) هود) الآله وه الآله مِن شَيْء (١٠) النجم) الشفعاء. إذن ذكر حالة جئية من الكفر وهي التكذيب.

(وَلُو ْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآنِكَةُ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمِ لِلْعَييدِ (٥١) كَذَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَلَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) الأنفال) حالة عامة ليس فيها ذكر حالة جزئية. لما ذكر حالة جزئية وصفهم بحالة جزئية وهو التكذيب ولما ذكر حالة عامة ذكر بأمر عام وختم كل آية بما يناسبها. التكذيب جزء من الكفر بآيات الله. رب العالمين قال (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) الأنعام) إذن الجحود غير التكذيب، هناك جحود وتكذيب وكفر. لا يكذب لكن يرى أن الله ولداً! هناك فرق. (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَتُهُا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُواً (٤٢) النمل) حالة جزئية لأن حالات الكفر ليست محددة بهذه الجزئية. التكذيب من الكفر وهو حالة جزئية من الكفر.

هل يستقيم المعنى اللغوي السليم أن يأتي بجالة عامة ثم يأتي بالتكذيب؟ هذا ليس من اللغة وإنما من البلاغة. الأحمق العربي يتكلم كلاماً صحيحاً لكن ليست بليغاً. أي جملة على السياق النحوي صحيحة لكن هل هي بليغة؟ فرق أن يأتي بالكلام صحيحاً وبين هل هو بلاغة؟ هل هذا ما يقتضيه السياق والمقام؟ وجمال القرآن يكمن في هذه الأشياء وليس في النحو.

سؤال: في سورة النساء ختمت آية المواريث بالنسبة للذكور بقوله تعالى (يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأَنشَيْنِ فَإِن كُنَّ نسَاء فَوْقَ اثْنَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلاَّبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرَثَهُ أَبُواهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَمُ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرَثَهُ أَبُواهُ فَلأُمِّهِ النُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بعد وصِي بِهَا أَوْ دَيْنِ آبَآوُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما عَلِيما حَكِيمًا (١١١)) وفي آية المواريث بالنسبة للكلالة ختمت بقوله (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُقٌ هَلَكَ حَكِيمًا (١١١)) وفي آية المواريث بالنسبة للكلالة ختمت بقوله (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُقٌ هَلَكَ لَيْسُ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أَخْتُ فَلَهُمَا النُّلُقَانِ مِمَّا تَرَكَ وَهُو يَرِثُهَآ إِن لَمْ يَكُن لَها وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْتَيْنِ فَلَهُمَا النَّلُاثَ فِي مُقَا اللهُ لَكُمْ أَن تَضِلُوا وَاللّهُ بِكُلَّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢٠)) فما اللمسة البيانية في هذا الاختلاف؟

أيها يدلّ على العِلم أكثر؟ عندما تقول كنت أعلم هذا أو أعلم هذا؟ كنت أعلم هذا أدل على العلم أي أعلم قبل أن تقع (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُتُمُ تَكُثُمُونَ (٣٣) البقرة). مبدئياً (إن الله كان عليماً حكيماً) أدلّ على العلم من (والله بكل شيء عليم). البعض يقول (كان) للماضي، كان يعلم بالأمر قبل أن يقع هذه أدل على العلم من يعلمه الآن. في الأولاد الذكور قال تعالى (آبآؤكم وأَبناؤكم لا تَدْرُونَ أَيُّهُم أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً) إذن إن الله كان عليماً حكيماً. عندما شرّع هو يعلم هذا الأمر أصلاً. في آية الكلالة ما ذكر حيرهم في عدم المعرفة، هناك ذكر حالتهم (آبآؤكم وأَبناؤكم وأَبناؤكم لا تَدْرُونَ أَيُّهُم أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً) الله تعالى يعلم هذا الأمر قبل أن يقع. الإنسان لما يقول لو أعلم هذا الفعلت كذا. لما ذكر جهل الإنسان وعدم المعرفة ذكر أن علمه سبحانه وتعالى سابق (إن الله كان عليماً حكيماً) ولما لم يذكر هذا الأمر ما اقتضى الأمر، ما فيها حيرة بين الناس قال (والله بكل شيء عليم).

إستطراد من المقدم: مسألة الزمن مع الله تعالى (كان الله غفوراً رحيماً) ما دلالة (كان) مع الله تعالى؟

ذكرنا في وقت سابق أن (كان) يفرد لها النّحاة بكلام في زمنها: أولاً الزمان الماضي المنقطع كأن تقول كان نائماً واستيقظ، كان مسافراً ثم آب. وفي الماضي المستمر (كان الإستمرارية) بمعنى كان ولا يزال (وَكَانَ الإنسَانُ عَجُولاً (١٠) الإسراء) (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) الإسراء) (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) الإسراء) الإسراء) الله كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) النساء) يسمولها كان الإستمرارية أي هذا كونه منذ أن وُجد. ليس في الماضي المنقطع (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣) الإسراء) لا تعني كان علواً والآن أصبح صديقاً وإنما كان لا يزال عدواً. و (كان) تفيد الإستقبال (وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبُوابًا (١٩) النبأ) أي صارت في المستقبل. (وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا عَدُواً. و (كان) النامة والناقصة من حيث الزمن ليس مثل ما يظن بعض من عندهم معرفة قليلة باللغة وهؤ لاء عليهم أن يراجعوا قواعد اللغة.

سؤال : ورد في القرآن الكريم ذكر عصى موسى عليه السلام بأوصاف مختلفة مرة جان ومرة ثعبان ومرة حية فما الفرق يينها؟

المعنى اللغوي للكلمات: الجان هي الحية السريعة الحركة تتلوى بسرعة، الثعبان هو الحية الطويلة الضخمة الذّكر، الحية عامة تشمل الصغيرة والكبيرة فالثعبان حية والجان حية. الحية عامة تطلق على الجميع أما الثعبان فهو الذكر الضخم الطويل والجان هو الحية سريعة الحركة. ننظر كيف استعملها؟

كلمة ثعبان لم يستعملها إلا أمام فرعون في مكانين (فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) الأعراف) (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) الشعراء) وذلك لإخافة فرعون ثعبان ضخم يُدخل الرهبة في قلبه فذكر الثعبان فقط أمام فرعون.

كلمة الجان ذكرها في موطن خوف موسى عليه السلام في القصص (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١)) وفي النمل (وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠)) تتلوى وهي عصا واحتيار كلمة جان في مقام الخوف (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ) في القصص (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُ كَأَنَّهَا جَانٌ) عصا يلقيها تكون جان واحتيار

كلمة جان والإنسان يخاف من الجان والخوف والفزع. الجان دلالة الحركة السريعة، عصاه تمتز بسرعة. الجان يخيف أكثر من النعبان فمع الخوف استعمل كلمة جان وسمي جان لأنه يستتر بمقابل الإنس (الإنس للظهور والجن للستر) هذا من حيث اللغة.

سؤال من المقدم: كيف رآها وفيها معنى الإستنار؟ قد يظهر الجان بشكل أو يتشكل بشكل كما حدث مع أبو هريرة، قد يظهر الجان بشكل من الأشكال. كلمة (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَرُّ كَأَنَّهَا جَانٌ) إضافة إلى ألها حية صغيرة تتلوى بسرعة إضافة إلى إيحائها اللغوي يُدخل الفزع لذلك استعملها في مكان (يَا مُوسَى أَقْبِلُ وَلَا تَخَفْ). كلمة ثعبان أو حية لا تعطي هذه الدلالة. أناس كثيرون يمسكون الحية أو الثعبان ويقتلونها وفي الهند يمسكون بالثعبان. كل كلمة جعلها تعالى في مكانها.

الحية جاءت في مكان واحد لبيان قدرة الله تعالى (فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَ تَهَا الْأُولَى (٢١) طه) لم يقل أن موسى هرب أو فزع. ذكر ثعبان مع فرعون لأنه مخيف وذكر جان مع موسى لأنها تدخل الرعب على قلب موسى. ذكر ثعبان مرتين أمام فرعون وجان مرتين أمام موسى.

سؤال من المقدم: لماذا لم يذكر جان مع فرعون؟ لأنه مع الملأ الموجودين إذا كانوا مئات وتأتي بجان واحد ماذا يؤثر؟ لذا اختار ثعبان لأنه يحتاج إلى ضخامة وقوة.

سؤال: ما الفرق بين السوء والسيئات؟

السيئة هي فعل القييح وقد تُطلق على الصغائر كما ذكرنا سابقاً في حلقة ماضية. السوء كلمة عامة سواء في الأعمال أو في غير الأعمال، ما يُغَمّ الإنسان يقول أصابه سوء، الآفة، المرض، لما يقول تعالى لموسى عليه السلام (واضْمُمْ يَدَكُ إِلَى جَنَاحِكَ تَحْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوء آيَةً أُخْرَى (٢٢) طه) أي من غير مرض، من غير عِلّة، من غير آفة. (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ (٥) النمل) كلمة سوء عامة أما السيئة فهي فعل قبيح. المعصية عموماً قد تكون صغيرة أو كبيرة، السوء يكون في المعاصي وغيرها (لَيْسَ بِأَمَانِيَّكُمْ وَلا أَمَانِيٍّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ (٢٢٣) النساء) صغيرة أو كبيرة. فإذن كلمة سوء عامة في الأفعال وغيرها، أصابه سوء، من غير سوء، ما يغم الإنسان سوء، أو لئك لهم سوء العذاب (فَوقَاهُ اللَّهُ سَيَّنَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) غافر) كلمة سوء عامة وكلمة سوء فهي إسم المصدر، المصدر لا يُجمع إلا إذا كلمة سوء عامة وكلمة سيئة خاصة وتُجمع على سيئات أما كلمة سوء فهي إسم المصدر، المصدر لا يُجمع إلا إذا تعددت أنواعه، هذا حكم عام. ولكنهم قالوا في غير الثلاثي يمكن أن يُجمع على مؤنث سالم مثل المشي والنوم هذا عام يطلق على القليل والكثير إذا تعددت أنواعه ضرب تصير ضروب محتمل لكن المصدر وحده لا يُجمع هذه قاعدة.

سؤال: هل الزينة عائدة على الأرض في الآية (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) الكهف)؟ وإذا كانت عائدة على الأرض فهل هذا يعنى أنه نحن كبشر ليس لنا الحق أن نتمتع بها.

قال تعالى (زينة لها) مؤنث ولذلك لاحظ لو أخذنا تمام الآية وما بعدها قال تعالى (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)) أي ما على الأرض. (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)) أي لجاعلون الزينة وما فيها للأرض. هي زينة تتنزين والناظر ينظر فيها ويبتهج بالزينة وبما فيها من زينة وزهور كما قال تعالى (وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَزَيَّنَاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) الحجر) (إنَّا زَيَّنَا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) الصافات) هي زينة للسماء والناظر بيتهج بهذه الزينة ويذكر ربّه. فالزينة هي للأرض والله تعالى قال (حَتَّى َ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّبَتْ (٢٤) يونس). فالزينة للأرض ونحن نُسرّ بهذه الزينة ونبتهج بها كما قال تعالى (وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ (١٠) النمل) تُبهج الناظر.

سؤال: ما معنى كلمة الجبت والطاغوت؟ وهل هي موجودة في لغة العرب؟ وهل هناك علاقة بين كلمة جبت وgypt ؟

الطاغوت: الطاغوت يذكرون له معاني، هو من الطغيان، اشتقاقه العربي من الطغيان، فِعلها طغى (وعندنا فعلوت، أصلها طغووت ثم صار بها إبدال، هذه مسائل صرفية لا نريد أن ندخل فيها)، عندنا مصادر على فعلوت مثل الملكوت والجبروت (فَسُبُحَانَ الَّذِي يَبِدِهِ مَلَكُوتُ كُلَّ شَيْء وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) يس) ورهبوت وهي عندنا في المعربية وهي مصادر تدل على المبالغة كما في الحديث " جللت الأرض والسماء بالعزة والملكوت". طاغوت من هذه الأوزان لكن صار فيها تداخل صر في وإبدال كلمة (أصلها طغووت على وزن فعلوت). هي من الطغيان، من الفعل طغى. كل رأس في الضلال يسمى طاعوت (ما عُبِد من دون الله) حتى الساحر يسمى طاغوت والكاهن والمفعل طغوت تسميع المنافوت والكاهن والمفرد والصنم وفي العربية المارد من الجن يسمى طاغوت وللمؤت وللمؤنث طاغوت تستعمل للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع. للمفرد طاغوت وللجمع طاغوت وللمذكر طاغوت وللمؤنث طاغوت. عندنا جمع (طواغيت) وعندنا طاغوت مثل الطقل يُجمع على طفوت مقرد وجمع (فَإنَّهُمْ عَدُولُ أَن الله المنافون وخصم قد يكون مفرد وقد يكون المكلمة عدو وأعداء، عدو مفرد وجمع (فَإنَّهُمْ عَدُولُ أَي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الشعراء) عندنا كلمات تكون الكلمة تعر عن المفرد والجمع بحسب السياق الذي وردت فيه ومنها طاغوت. يوجد طواغيت في اللغة مثل طفل وأطفال (أو الطَّفُلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء (٣٦) النور) (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا (٩٥) الور). الطاغوت موجودة والطواغيت موجودة.

الطاغوت تستعمل للمفرد والجمع والمذكر والونث فنقول هذا طاغوت وهذه طاغوت. حتى في القرآن الكريم استعملها عدة استعمالات، إستعملها مفرد واستعملها جمع: (فَمَنْ يَكُفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُوْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُوْوَةِ الْوُثْقَى (٢٥٦) البقرة) هذا جنس عام، (اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى الظُّلُمَاتِ (٢٥٧) البقرة) هنا الطاغوت جمع لأن للمؤمنين ولي كَفُرُواْ أَوْلِيَآوُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ (٢٥٧) البقرة) هنا الطاغوت جمع لأن للمؤمنين ولي واحد وهو الله سبحانه وتعالى (الله ولي اللهومنين ولي واحد وهو الله تعالى صحيح المؤمنين بعضهم أولياء بعض تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآوُهُمُ الطَّاغُوتُ) للمؤمنين ولي واحد وهو الله تعالى صحيح المؤمنين بعضهم أولياء بعض لكن الولي الواحد هو الله تعالى والكفرة أولياؤهم متعددون لذا لم يقل وليهم الطاغوت. مثال آخر (يُرِيدُونَ أَن يَتَعَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكُمُّرُواْ بِهِ (٢٠) النساء) مفرد، لماذا مفرد؟ لو نرجع إلى سر النزول سنفهم، أصل النزول: إختصم أحد المنافقين مع يهودي فاليهودي قال نحتكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المنافق نحتكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المنافق نحتكم إلى كعب بن الأشرف (يهودي) فالمنافق الذي يزعم أنه آمن بالله والرسول صلى الله عليه وسلم يريد

أن يحتكم إلى يهودي واليهودي يريد أن يحتكم إلى رسول الله كأنه متأكد أن الحكم له، ففي الآية هنا طاغوت واحد (كعب بن الأشرف) فلذلك قال تعالى (وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بهِ).

مثال آخر للجمع والمؤنث: (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا (١٧) الزمر) هنا الطاغوت ليس مفرد وإنما مؤنث جمع أي الأصنام، كيف عرفنا ألها جمع؟ بدليل قوله تعالى في الآية (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ (١٥) الزمر) صار تعددية. فإذن الطاغوت مفرد، جمع، مذكر، مؤنث واستعملت كلها في القرآن الكريم.

الجبت: أحياناً يأتي بمعنى الطاغوت. في كتب اللغة يقولون الجبت ليس من محض العربية في الأصل. وهي عامة تأتي حتى في الحديث "العيافة والطير من الجبت" اليعافة أي الكهنة والسحرة، فالجبت كلمة عامة تطلق على الطاغوت، الساحر، الكاهن، وتطلق الأفعال والأعمال غير المرضية مثل الطيرة والعيافة والاعتقادات الباطلة. والبعض قال هي اسم صنم وأطلقت عامة. الجبت لها نفس دلالة الطاغوت وفيها توسع في المعنى مثل العيافة والطير، تدخل تحتها مجموعة الأفكار والمفاهيم. ليس لها فعل صيغتها هكذا (الجبت) ليس لها جمع ولا مثنى ولا علاقة لها بكلمة مجموعة الأفكار والمفاهيم. أيس لها فعل صيغتها هكذا (الجبت) ليس لها جمع ولا مثنى ولا علاقة لها بكلمة و رب أحد أساتذتنا القدامي في الكلية قال أظنها من جوييتر لأنه كان هناك من يعبد النجوم (وأنه هو رب الشعرى) هو قال هكذا لكن لا أدري من أين جاء بها؟ لكن الجبت (بتسكين الباء) ليست من محض العربية أما الطاغوت فمن محض العربية.

سؤال: هل توجد في القرآن كلمات غير عربية؟ وإذا وجدت كلمات غير عربية فكيف نفسر قوله تعالى (قرآناً عربياً)؟

الكلمات التي وردت في القرآن دخلت العربية قبل نزول القرآن وصارت عربية في التعبير، العرب استعملوها. ولا شك أنه ليس كل شيء موجود في الجزيرة العربية؛ كل الفواكه؟ كل الألبسة؟ قطعاً لا. وقطعاً لما يصير اتصال في التجارة تدخل مفردات وكلمات وتقارب اللغات يعني تقترب لغة من الألبسة؟ قطعاً لا. وقطعاً لما يصير اتصال في التجارة تدخل لفتها. إذا كان هناك حروف ليست من حروفها تحاول لغة هذه ليس عندها مثل هذه فيستعمل الكلمات وتدخل لفتها. إذا كان هناك حروف ليست من حروفها تحاول أن تجعل لها حروفاً من حروف اللغة وتدخلها في كلماتها. الكلمات التي في أصولها غير عربية دخلت العربية واستعملها العرب قبل الإسلام بزمن طويل و دخلت في لغاتهم وأعربوها وخضعت للقواعد وأصبحت عربية في الاستعمال ولا نعلم أصولها وقد تكون أصولها غير عربية لكنها الآن أصبحت عربية، قد تكون غير عربية وليست موجودة في الجزيرة العربية مثل سندس واستبرق، العرب لم يكن عندهم مصانع ليستخدموا سندس واستبرق وليس عندهم جميع الأطعمة والفواكه. جميع الكلمات في القرآن عربية الاستعمال قطعاً، القرآن لم يأت بكلمة أعجمية ابتداءً وأدخلها في القرآن. لو أردنا أن نرجع للكلمات اللخيلة الذي يذكرها أهل علوم القرآن لم يأت بكلمة أعجمية الاستعمال. الكلمات الأعجمية أو زالها ليست كأوزان العرب أو تجتمع فيها حروف الدال والزاي مثلاً يضعون لها ضوابط للكلمات الإعربية الأصيلة مثلاً كلمة (مهندز) لا تجتمع الدال والزاي، يضعون بعض الضوابط: اجتماع حروف ليس من طبيعة اللغة أن تجتمع في كلامهم فيقولون ليست عربية أو أوزالها. جميع الكلمات الواردة في القرآن الكريم دخلت في لسان العرب قبل الإسلام ودخلت في كلامهم وأعربوها وأصبحت عربية في الاستعمال.

سؤال: ما القرق بين الآيتين في سورة الفرقان (إِلّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَيكَ يُبَدِّلُ اللّهُ سَيَّاتِهِمْ حَسَنَاتِ وَكَانَ اللّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا (٤٧)) و (وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى السّؤال وإلى السياق الذي وردت فيه في عموم القرآن إذا كان السياق في العمل يقول (عملاً صالحًا). نظر إلى السؤال وإلى السياق الذي وردت فيه الآيات: (إِلّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَيكَ يُبَدِّلُ اللّهُ سَيَّنَاتِهِمْ حَسَنَاتِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) السيئات هي أعمال غير صالحة والحسنة عمل صالح (فَأُولَيكَ يُبَدِّلُ اللّهُ سَيِّنَاتِهِمْ حَسَنَاتِي هذه أعمال سيئة وحسنة. ثم يختم الآية (وَكَانَ اللّهُ عَفُورًا رَحِيمًا) غفور يغفر الأعمال السيئة. نكمل الآية الأولى الله تعالى صَلِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللّهِ مَتَابًا) هذا تائب أصلاً يتوب إلى الله متابًا وليس هناك عمل، في الآية الأولى الله تعالى يتكلم عن العمل يبدل سيئقم حسنات يبلها، يغيرها، هذه أعمال سيئة وأعمال حسنة وكان الله غفوراً رحيماً يعفر ما الأعمال السيئة. أما في الآية الثانية ليست في ذلك وإنما في التائب (فإنه يتوب إلى الله متابًا) تلك في العمل: يعمل وخفران للعمل وهذه في التائب ولذلك لما كان السياق في العمل قال عملاً صالحاً ولما كان السياق في التائب لم يكررها وقال عمل صالحاً (تاب وعمل صالحاً). إذن لما يكون السياق في العمل يقول عملاً صالحاً كما في آخرًا حكما في الحكيق أيفيني الدين يعملون أعمالاً سيئة ويكون السياق في الأعمال (قُلْ هَلْ ثُنَبُكُمْ بالْخَسُرينَ أَلْذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَ لَهُمْ أَحْرًا حَسَلَ الْ إلى الله تكلم عن طلًا سغيَّة والمُعْرَا وَعَمْ أَنْ اللهُمْ أَحْرًا حَسَلاً بنا الله وي المحراق المال وقيَّ مَنْ المُعْرَاقِ اللهُ المَالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَحْرًا حَسَلًا (٢٠٤)) والسورة أصلاً بدأت بالعمل (وثَيَشَّر صَلَا سَعْيَهُمْ فِي الْحَيَةِ النُلُيْ وَهُمْ يَحْسَبُونَ آلَهُمْ أُحْرًا حَسَلًا (٢٠٤)) والسورة أصلاً بدأت بالعمل (وثَيَشَرَّرَاكُ عَلَى اللهُ اللهُ

مع العمل يقول عملاً أما مع التائب فلا يذكرها فإذا قال خارج القرآن (ومن تاب وعمل عملاً صالحاً) هذا يسموه التوكيد ويبان النوع. لم يقل عمل عملاً صالحاً هذا مصدر مؤكّد مع بيان النوع أفاد فائدتين التوكيد والنوع. (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) البقرة) ليست في سياق الأعمال.

سؤال: ما اللمسة في ذكر (وهذا أخي) في الآية (قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي (٩٠) يوسف) مع أن إخوة يوسف يعرفون أخاهم بنيامين؟

يعني هذا أخي عرفته كما عرفتكم وأنتم لم تعرفوني هم دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون. عرفته لا لأنكم قلتم أنه أخوكم وأنتم لم تخدعوني كما حاولتم أن تخدعوا أباكم جئتم بقميص وقلتم أكله الذئب، نأتي بشخص لا يعرفه يوسف ونقول هذا أخوكم ولا يعرف يوسف لأن أباهم لا يتحمل أن يأخذ الآخر نأت له بشخص لا يعرفه يوسف فنقول له هذا أخوك فمن أين يعرفه هو كما فعلتم مع أبيكم وقلتم أكله الذئب وحاولا أن يخدعوه. لا تتصوروا أنك خدعتموني وأنا عرفته هو أخي فعلاً عرفته بنفسي أنا أعرفه كما عرفتكم أنتم قبل أن تعرفوني بأنفسكم أنا عرفتكم بنفسي. لو جاعوا بشخص آخر وقالوا أبانا لا يتحمل ويأتوا بحمل بعير كان ممكناً أن يفعلوا هذا لكنه لن ينطلي على يوسف لأنه يعرفه كما عرف إخوته. أنتم لن تخدعوني و جئتم بشخص آخر علماً أنه كان ممكناً أن يفعلوا ذلك مع قميص يوسف.

سؤال: ما الفرق بين الآية (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنِ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٢) لقمان) والآية (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَثَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٢٥) الأحقاف)؟ ولماذا قيل في الأولى عامين و في الثانية ثلاثون شهراً وما هي دلالة ذكر وحذف (إحساناً)؟

العامين والثلاثون واصحة باعتبار حمله وفصاله والحمل يمكن أن يكون ستة أشهر وقسم من الفقهاء استندوا إلى أن أقل الحمل ستة أشهر. هذا الحمل والقصال فذكر أقل الحمل وهذه الفترة ليست بيد المرأة أو الرجل لكن أقل الحمل ستة أشهر فهذه ثلاثون شهراً (٢٤+٢).

الصَّلَاة وَأُمُو ْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اللهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبُو عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّوْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَقُصِدْ فِي مَشْيكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلُ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَقُصِدْ فِي مَشْيكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلُ مَا اللَّهَ لَا اللَّهَ لَا اللَّهَ لَا اللَّهَ وَاللَّهُ أَمُّهُ كُرُهًا وَوَصَعَتْهُ كُرُهًا وَاللَّا اللَّهُ وَيْلُكَ آمِنْ الْإِنسَانِ شَيْعَ لِللَّهُ وَيُلِكَ آمِنُ إِنَّ وَعُدَ اللَّهِ حَقِّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ اللَّوَلِينَ اللَّهُ وَيُلُكَ آمِنْ إِنَّ وَعُدَ اللَّهِ حَقِّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ اللَّوْلِينَ اللَّهُ وَيُلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعُدَا اللَّهِ حَقِّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ اللَّوْلِينَ اللَّهُ وَيُلُكَ آمِنُ إِلَا اللَّهُ وَيُلُكَ آمِنْ إِلَا اللَّهُ ولِي اللَّهُ وَيُلُكَ آمِنُ أَلَا اللَّهُ وَيُلُكَ آمِنُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَاكَ مَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَاكَ اللَّهُ وَلَالَ اللَّهُ وَلَالَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَاكَ أَلُولُ اللَّهُ وَلَالَا اللَّهُ وَلَالَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَالَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَالَا اللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَ

ثم هناك مسألة: الله تعالى في جميع القرآن إذا أمر بالبر والدعاء يستعمل الوالدين وليس الأبوين في القرآن كله. مع العلم أن الوالدين مثنى والد ووالدة وغلّب المذكر الوالد والأبوين مثنى وغلّب المذكر الأب والأبوان أب وأم. (وبالوالدين إحساناً) هذه عامة لم يحدد ذكر صفة من كفر أو غيره. (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلوَ الِدَيَّ وَلِمَن دَحَلَ يَيْتِي مُؤْمِناً وَلِلمُوْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَا مُؤْمِناتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨) نوح) (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلوَ الِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ وَلِلمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٢٤) إبراهيم) (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (٣٣) الإسراء) لم يذكر في القرآن موقف بر أو دعاء إلا بلفظ الوالدين. في آية المواريث (وَلاَبَويَهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ (١١) النساء). (وَأَمَّا الْغُلَامُ وَكَانَ أَبُواهُ مُؤْمِنَيْنِ (٨٠) الكهف) ليس فيها مقام ذكر البر لذا قال أبواه أما في الدعاء فقال (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلوَالِدَيَّ) لا يستعمل الأبوين. الأبوين يستعملها في مكان آخر.

ما الفرق بين الوالد والأب؟ التي تلدهي الأم والوالد من الولادة والولادة تقوم بها الأم وهذه إشارة أن الأم أولى بالصحبة وأولى بالبر قبل الوالد. لكن في المواريث لأن نصيب الأب أكبر من نصيب الأم استعمل الأب (وَلاَ بَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ). في الأموال يستعمل الأبوين وفي الدعاء الوالدين.

سؤال: ما الفرق بين الآية (وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُواْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١٦٣) الأعراف) و (فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) الشعراء﴾

أتمى أن نأخذ القصتين في الشعراء والأعراف في حلقة خاصة لأن فيها أكثر من سؤال واختلاف. لكن الآن نجيب أنه إذا رجعنا إلى القصة في السورتين: الشعراء والأعراف. في الشعراء تتسم القصة بسمتين بارزتين أولها النفصيل في سرد الأحداث والآخر قوة المواجهة والتحدي لأن موسى أهام فرعون (قَالَ فِرْعُونُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) الشعراء). الآن نأتي في الأعراف ذكر أن ملأ فرعون هم الذين قالوا أن موسى ساحر (قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمٍ فِرْعُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٩٠٩)) في الشعراء فرعون هو الذي قال وليس لللأ (قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٤٣)) لأن الكلام كان شديداً بينه وبين موسى. في الشعراء ناسب أن يواجهوا فرعون بالقول لأن هو الذي قال. (٤٣)) لأن الكلام كان شديداً بينه وبين موسى. في الشعراء ناسب أن يواجهوا فرعون القول لأن هو الذي قال. في الأعراف قال (وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعُونَ قَالُواْ إِنَّ كُنَا نَحْنُ الْفَالِمِينَ (١٤٤)). هناك لم يقولوا قالوا لفرعون لأن المتكلم كان جاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفرعُونَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنًا نَحْنُ الْفَالِمِينَ (١٤٤)). هناك لم يقولوا الله لؤل ليس فرعون. في الشعراء قالوا لقرعون (أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْفَالِمِينَ (١٤٤)) المن وأنن، أئن استفهام الله لأن القائل الأول ليس فرعون. في الشعراء قالوا لقرعون (أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْفَالِمِينَ (١٤٤) الفصيل أكثر معي السياق تذهب معي؟ أصلها أتذهب معي؟ أن لنا لأجراً استفهام أدل على هذا الأمر وصرحوا بالهمزة (أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْفَالِمِينَ). حتى في الجواب قال في الأعراف (قَالَ نَعَمْ وَإَنَّكُمُ لَهِنَ الْمُقَرِّبِينَ (١٤٤)) وفي الشعراء قال (قَالَ

نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢)) أضاف إذن لأن الموقف مختلف يريد أن ينتصر وكان الكلام شديداً مع موسى ولا يمكن أن يواجهه الحجة. ليس هذا فقط وإنما في الشعراء أقسموا بعزة فرعون (فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤)) أما في الأعراف ما قالوا هذا الشيء لأن فرعون في مأزق في المناقشة وصار

عصبياً فأقسموا بعزة فرعون ولم يقسموا في الأعراف. ونحتاج للنظر في السورتين بنفصيل.

إستطراد من المقدم: ألا يجعل هذا قائلاً يقول أن هذا يدل على تناقض في القصة الواحدة؟ التناقض هو أن تذكر أمراً مخالفاً للآخر لكن أن توجر في ذكر الأحداث أو تفصّل هذا ليس تناقضاً. إذا سافرت وعدت تذكر بالتفصيل ماذا حصل معك وتذكر الأشخاص وأحياناً تذكر أنك سافرت يوماً وعدت. هذا ليس تناقضاً والقرآن مرة يستعمل الإجمال ومرة التفصيل. في قصة إبراهيم قال في موضع (وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُّنكرُونَ (٢٥) الذاريات) وفي موضع آخر لم يذكر سلام (إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٢٥) الخجر) لكنه لم يقل أنه لم يرحب بهم.

سؤال: ما إعراب (وقومَ نوح) في سورة الذاريات (وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤٦)) ولماذا جاءت منصوبة؟

ننظر في الآية قبلها تتكلم عن فرعون (فَأَحَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠)) فصار العطف ظاهراً (وقومَ نوح) معطوفة على الضمير المفعول به في (فأخذناه) أي أخذناه وأخذنا قوم نوح. وقسم يقول معطوفة على (فبنذناهم) أي نبذناه ونبذنا قوم نوح. كثير يكون العطف في حالات مثل في سورة الأعراف (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً (٦٥)) معطوفة على (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ (٩٥)) الأولى. ليس بالضرورة أن يكون العطف على الأقرب ولكن على المعنى. في سورة الأعراف (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً (٦٥) وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا (٧٣)) معطوفة على (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) الأولى ثم تمتد القصص. لما قال تعالى هنا في الذاريات (فأخذناه وجنوده) معطوفة على (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) الأولى ثم تمتد القصص. لما قال تعالى هنا في الذاريات (فأخذناه وجنوده) ثم قال (وقومَ نوح) العطف على الهاء في (فأخذناه). والعطف على ضمير جائز بعضها بشروط وبعضها بغير شروط. فأخذناه وأخذناه وأخذناه وبذناه وبذناه وبذناه وبذناه وبذناه وبذناه وبذياه فأخذناه وأخذناه وأخذناه وأخذناه وأخذناه وأخذناه ونبذناه وبذناه وبذناه وبندنا قومَ نوح ونبذناه ونبذناه ونبذناه ووبذناه والمؤلِّقِية على المؤلِّق المؤلِّق المؤلِّق المؤلِّق المؤلِّق الذاريات (١٤٥٠) وألم المؤلِّق الم

سؤال: ما الفرق بين سلام الملائكة وسلام إبراهيم عليه السلام في الآية (وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ (٦٩) هود) (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٣٥) الذاريات)

هذا السؤال أثير مرات كثيرة وأجبنا عنه بتفصيل ونجيب اليوم إجابة سريعة عنه. (سلاماً) جزء من جملة فعلية هو مفعول لفعل محذوف (يسلّم تسليماً) والأخرى و(سلامً) جزء من جملة إسمية (سلامٌ عليكم). والجملة الإسمية والإسم أقوى وأثبت من الجملة الفعلية هذه قاعدة. وكما ذكرنا في حلقة سابقة هو يتعلّم وهو متعلّم، هو يتفقه وهو متفقه. إذن إبراهيم عليه السلام ردّ التحية بخير منها (وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها (٨٦) النساء) هو ردّ التحية بخير من تحيتهم. همّ حيّوه بحملة فعلية وهو ردّ بجملة إسمية فكان ردّ التحية بأفضل منها (بالجملة الإسمية). فالردّ أفضل.

استطراد من المقدم: هل يجوز أن يقول قالوا سلاماً (سلاماً) مفعول به لفعل (قالوا)؟ هذه ضعيفة والأَولى أن يُقال (قالوا سلاماً) سلاماً مفعول به لفعل محذوف (يسلّم سلاماً). وهو قال (سلامً) أي سلامً عليكم، سلام مبتدأ والخبر محذوف جوازاً.

سؤال: ما هو اشتقاق كلمة شيطان وهل لها جنور عربية؟

أهل اللغة يضعون إحتمالين لاشتقاق كلمة شيطان: إما من (شاط) أو من (شطن). شطن معناه بعُد وشاط أي احترق (شاط يشيط). يضعون احتمالين إما من شطن فيكون البُعد عن الخير أو كأنه طال في الشرّ هذا إذا كان من شطن. وإذا كان من شاط أي احترق غضباً، فهم يضعون هذين الاحتمالين. إذا كان من شطن (النون أصلية) يكون على وزن (فَيْعال) وفيعال وزن عربي وإذا كان من شاط يصير الوزن (فعلان) لأن النون ليست أصلية. وأنا أرجح على وزن (فيُعال) وفيعال وزن عربي وإذا كان من شاط يصير الوزن (فعلان) لأن النون أيد كانت أصلية فيه يكون أن يكون من شطن لسبب وهو كونه منصرف وليس ممنوعاً من الصرف لأن النون إذا كانت أصلية فيه يكون الوزن منصرف وإذا كانت النون زائدة يكون ممنوعاً من الصرف مثل كلمة حسّان. إما أن تكون من الحسن أو من الحسّ (الحسّ هو القتل) كما في قوله تعالى (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ (١٥٦) آل عمران) فإذا كانت من الحُسن يكون منصرفة، شاعر الرسول صلى الله كانت من الحُسن يكون منصرفة، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت ورد ممنوعاً من الصرف فهو من الحَسّ. وكذلك كلمة ريّان إذا كانت من الريّ أو من عليه وسلم حسان بن ثابت ورد ممنوعة من الصرف فهو من الحَسّ. وكذلك كلمة ريّان إذا كانت من الريّ أو من شطن لأنه منصرف (وَمَا هُو بَقُولُ شَيْطَانِ رَجِيمٍ (٢٥) التكوير) القرآن استعملها مصروفة وقد يعترض أحدهم في النحو. الجذر الذي اشتق منه شيطان يدل على الحالة التي مرّ بها إبليس: إحترق غضباً فعصى ربه لما قال له اسجد النحو. الجذر الذي اشتق منه شيطان يدل على الحالة التي مرّ بها إبليس: إحترق غضباً فعصى ربه لما قال له اسجد الاحم في الشرّ و فعد في الشرّ و فعد في المشرّ و فعد بعيداً فالأمر يحتمل.

سؤال: ما الفرق بين لهايات الآيات في سورة النحل (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الشَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَائُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكُرُونَ (١٣)) وما دلالة الجمع والإفراد في كلمة آية وآيات؟

نقرأ الآيات ليتضح لنا السؤال. الآيات متنابعة (هُو الَّذِي أَنزِلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنهُ شَرَابٌ وَمِنهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالتَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمْرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْم يَتْفَكَّرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَهْارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالتَّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْم يَتْفَكَّرُونَ (١٣)). الآية الأولى ذكر وعدد أموراً واضحة: الزرع والزيتون والنحيل والأعناب والشمرات وفي الثانية ذكر أموراً عددها: الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والآية الثالثة قال (وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه) لم يعدد شيئاً فسوف تتذكر أنت حتى تعدد ولذلك قال تعالى في ختامها (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ (١٣)). في الأولى ذكر الزرع والزيتون وغيرها و في الذلك قال تعالى في ختامها (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ (١٣)). في الأولى ذكر الزرع والزيتون وغيرها و في الذلك قال تعالى في ختامها (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ (١٣)). في الأولى ذكر الزرع والزيتون وغيرها و في الآية الأخرى ذكر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم. وفي الثالثة أذكر أنت فسوف تتذكر ثم تذكر لذا ختم الآية بـ (يذكرون).

الآية الأولى (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الشَّمَرَاتِ) تنبت في الأرض وجزء من الأرض فإنه ذكر ما يتعلق في الزرع والآية (وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) في الأرض فالآيتين في الأرض وجزء من الأرض. الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم أكثر إذن الأرض آية وهذه آيات. لما ذكر ما يتعلق بالأرض أو جزء منها قال (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً) ولما ذكر الشمس والقمر والليل والنهار والنجوم قال (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ). جزء من الأرض، شيء من الأرض قال (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً). الشمس آية والقمر آية والنجوم آيات لذا قال (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ). لما ذكر جزءاً من الأرض جعلها آية ولما ذكر ما هو أكثر من الأرض جعلها آيات.

هذا أمر وعرفنا استعمال يذّكرون وعرفنا الفرق بين آية وآيات. الأمر الآخر أنه لما ذكر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم هذه يكفي العقل فيها فقط لمعرفة الله تعالى، العقل وليس العلم. العقل وحده كافٍ لأنه الذي يفرق بين العقل والمجنون و لأن هذه أشياء يومية يراها العاقل. هذه آيات للذي عنده عقل. الباقي يحتاج إلى فِكر (هُوَ اللّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنهُ شَرَابٌ وَمِنهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الشَّمَرَاتِ) كيف ينزل في الأرض وكيف ينبت به لذا كل آية تتناسب خاتمتها مع ما فيها. (يتفكرون) بمعنى الفِكر يُعمِل فكره، ويعقلون مجرد العقل. النفكير أكثر من العقل. كونك عاقلاً يعني تعرف أموراً والفرق بين العاقل والمجنون أن العاقل يعقل الأمور. وهناك فرق بين يعقل ويعلم: اذي يعلم ينبغي أن يكون عاقلاً لكن العاقل ليس بالضرورة أن يكون عالماً. إذن المرحلة الأولى العقل لأنه مناط التكليف وليس بالضرورة أن يكون عالماً. إذن المرحلة الثافكر يُعمِل فكره في أشياء أخرى.

الفرق بين يذّكرون ويتذكرون: أصلهما يتذكر. يذّكرون فيه إبدال التاء دالاً. يسمونه إبدال جائز وأدغِم مثل يتطهرون ويطّهرون ويتبدر ويدّبر ويتضرع ويضرّع وكلها من الإبدال الجائز؟ أصله يتفعل بالتاء ثم أُبدِل إبدالاً جائزاً لسبب وسنشرح هذا لاحقاً في إجابة عن سؤال في موضعه وقد نحتاج لحلقة كاملة.

سؤال: ما هي اللمسة البيانية في (يهدي) في الآية (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَبَعَ أَمَّن لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) يونس)؟

سبق أن تحدثنا عن هذه الآية وبينا الاختلاف بين يهدي للحق ويهدي إلى الحق. يهدي أصلها يهتدي كما قلنا الآن في يتذكر ويكر. التاء أبدلت دالاً إبدالاً جائزاً. يهدي فعل مجرّد ثلاثي، يهتدي مزيد بالهمزة والتاء (إهتدى) و في المضارع يصير يهتدي. ويهدي إبدال التاء دالاً، هذا من حيث الأصل اللغوي. يهتدي ليس فيه تضعيف، يهدّي فيه تضعيف الدال مضعّفة. التضعيف جاء من التاء عنلما أبدبت دالاً وأدغمت فصار تضعيف. إذن الفرق بين يهتدي ويهدّي من حيث البناء الأصل واحد مع الإبدال صار تضعيف والأصل ليس فيه التضعيف. وعندنا التضعيف فيه مبالغة مثل كسر وكسر. هذه الآية الوحيدة في القرآن كله التي وردت فيها (يهدّي) والباقي (يهتدي)، ربنا تعالى أراد أن يذكر المبالغة في عدم اهتدائهم و في القرآن كله الكلام في الإنسان (يهتدي) إلا هذه الآية فالكلام في الأصنام وفيها مبالغة في عدم الإهتداء فأبدل ليصير مبالغة و تكثير وهؤلاء ايسوا مثل البشر. في الأصنام مبالغة في عدم الإهتداء فأبدل ليصير مبالغة و تكثير وهؤلاء ايسوا مثل البشر. في الأصنام مبالغة في عدم الإهتداء فأبدل ليصير مبالغة.

سؤال: ما دلالة الخطاب بـ (يا أيها الناس) في الحج (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ (٢٧) الحج) (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْيَيْتِ مَن اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبيلا (٩٧) آل عمران) بينما الخطاب في الصلاة وغيرها بـ (يا أيها الذين آمنوا)؟

سؤال: ما الفرق بين أنزل وأوتي في الآية (قُولُواْ آمَنًا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) المقرة؟

هذه الآية فيها إنزال وإيتاء. نسأل سؤالاً: مَنْ من الأنبياء المذكورين ذُكرت له معجزة تحدّى بما المدعوين؟ موسى وعيسى عليهما السلام ولم يذكر معجزان للمذكورين الباقين. هل هذه المعجزة العصى وغيرها إنزال أو إيتاء؟ هي إيتاء وليست إنزالاً ولذلك فرّق بين من أوتي المعجزة التي كان بما البرهان على إقامة نبوّته بالإيتاء وبين الإنزال هذا أمر. كلمة (أوتي) عامة تشمل الإنزال والإيتاء. الكُتب إيتاء. أنزل يعني أنزل من السماء وآتى أعطاه قد يكون الإعطاء من فوق أو من أمامه بيده. لما يُنزل ربنا تبارك وتعالى الكتب من السماء هي إيتاء فالإيتاء أحمّ من الإنزال لذلك لما ذكر عيسى وموسى عليهما السلام ذكر الإيتاء لم يذكر الإنزال ثم قال (وَمَا أُوتِيَ النَّبيُّونَ مِن رَّبَهِمْ) دخل فيها كل النبيين لأنه ما أوتوا من وحي هو إيتاء. (وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ) قد يكون إنزالاً ويكون غيتاء لكن ما أوتي فيها كل النبيين لأنه ما أوتوا من وحي هو إيتاء. (وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ) قد يكون إنزالاً ويكون غيتاء لكن ما أوتي موسى عليهما السلام في هذه الآية هذا إيتاء وليس إنزالاً لأنه يتحدث عن معجزة و لأفهما الوحيدان بين المذكورين اللذين أوتيا معجزة. الآخرون إنزال وعندما يتعلق الأمر بالمعجزة قال إيتاء.

سؤال من المقدم: هل العرب كانت تفهم هذا الكلام؟ من حيث اللغة العرب تفهم الفرق بين أوتي وأُنزل بالمعنى العام لكن هنا تأتي لنما نقرأ القرآن ونعلم أن موسى أوتي آيات حتى يُلزِم فرعون وقومه الحُجّة ألزمهم بما آتاه وليس بما أُنزل إليه. وموسى عليه السلام أُنزلاً عليه بعد خروجه من مصر. هو أظهر معجزته وليس الكتاب لأن

الألواح أخذها بعد أن خرج من مصر. الأمر كان يتعلق بالإيتاء وليس بالإنزال بالنسبة لموسى يتعلق بالمعجزة كالعصا واليد في تسع آيات. وعيسى عليه السلام كان يتحداهم بالآيات وليس بما أُنزل إليه (ورَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَبِّكُمْ أَتِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّين كَهَيْنَةِ الطَّيْرِ فَأَقْفُحُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بإِذْنِ اللهِ وَأُنبِّنُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ فَي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنتُم مُوْمِنِينَ (٩٤) آل عمران) لم يتحداهم أبداً بما أُنزل وإنما بما أُوتي وهما الوحيدان فيما ذكر دعوهما بالتحدي بما أوتوا وليس بالإنزال.

سؤال: ما الفرق بين بني وأبناء في الآيات (وَلَا يُيْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَاتِهِنَّ أَوْ آبَناتِهِنَّ أَوْ آبَني إِخْوَانِهِنَّ أَوْ آبَني إِخْوَانِهِنَّ أَوْ آبَني إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْناتِهِنَّ وَلَا أَبْناتِهِنَّ وَلَا أَبْناعُ أَوْ آبَني أَوْ آبَنِي أَخُوانِهِنَّ وَلَا أَبْناءَ أَخُوانِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلُّ شَيْءَ شَهِيدًا (٥٥) الأَحزاب؟

يجب أن نعرف أولاً الفرق بين أبناء وبني. (نستكمل الإجابة إن شاء الله تعالى في الحلقة القادمة)

سؤال: ما الفرق بين بني وأبناء في الآيات (وَلَا يُيْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَاتِهِنَّ أَوْ آبَنَاتِهِنَّ أَوْ آبَنَاتِهِنَّ أَوْ آبَنَاتِهِنَّ أَوْ آبَنَاتِهِنَّ أَوْ آبَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ (٣١) النور) و (لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء أَخُوانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء أَخُوانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء أَخُوانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاء أَخُواتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْء شَهِيدًا (٥٥) الأَحْزاب؟

استعمال بني وأبناء: بني (بنو بالرفع) أكثر من أبناء من حيث العدد. بنو آدم ليست مثل أبناء آدم، بني إسرائيل كثير، أبناء يعقوب أقل. بني أكثر من أبناء في عموم المؤمنين، الخطاب لعموم المؤمنين والمؤمنات. بينما في آية الآيتين لو لاحظنا آية النور التي فيها (بني) هذه في عموم المؤمنين، الخطاب لعموم المؤمنين والمؤمنات. بينما في آية الأحزاب الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم. في آية النور قال تعالى (وَقُل للمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَصْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لَمُعُولَتِهِنَّ أَوْ إَخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخُوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخُوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخُواهُن فقال بني أخواهَن. أما في الأحزاب فالخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم وهن كثير بني أخواهن وبني إخواهن فقال أبناء لأن أبناء أقل من بني و في الكثير قال (بني) لألها في عموم نساء المؤمنين فقال أبناء لأن أبناء أقل من بني و في الكثير قال (بني) لألها في عموم نساء المؤمنين فقال أبناء الله أبناء أقل من بني و في الكثير قال (بني) لألها في عموم نساء المؤمنين

(بنو) ملحقة بجمع للذكر السالم (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) الشعراء). بنين حذفت النون للإضافة (بني آدم). فإذا أضيف المذكر السالم والمثنى تحذف النون فتصير بنو آدم وبني آدم. سؤال: لماذا جاءت صافات ويقبضن في الآية (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْء بَصِيرٌ (١٩) الملك)؟ لم يقل صافات وقابضات؟ أصل الطير للطيور صفّ الأجنحة والقبض حتى يتمكن من الصفّ. فالقبض طارئ والصفّ هو الأصل. والصفّ هو فرد جناحي الطير. الأصل في الطيران هو صفّ الأجنحة والقبض ليتمكن من الاحتفاظ بالتوازن فلما كان الصفّ هو الحالة الثابتة جاء بالصيغة الدالة على الثبوت وهو الإسم والإسم يدل على الثبوت ولما كانت الحالة طارئة وهي القبض جاء بالحالة الدالة على الحركة والتجدد وهو الفعل للدلالة على الحركة والتجدد. هذه حالة الطيران. إذا قال صافّات فقط هي ليست من دون قبض وهي تحتاج إلى القبض حتى تتمكن من الموازنة لكن القبض هو طارئ والصفّ هو الأصل الثابت لهذا قدم صافّات أصلاً لأنه طيران. وصافات جاءت بالصيغة الثابتة للإسم للحالة الثابتة وجاء بالصيغة الشابدة الدالة على الحدوث للحالة المتجددة فناسب بين الحالة والصيغة.

سؤال: ما دلالة أن يعود الضمير على واحد (يرضوه) فقط في الآية (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ (٦٢) التوبة) ولم يقل يرضوهما بما أنه ذكر الله ورسوله؟

ليستا جهتين متباينتين، من أرضي الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أرضى الله سبحانه وتعالى ومن أرضى الله تعالى فقد أرضي الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى (مَّنْ يُطِع الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (٨٠) النساء) ليستا جهتين كل واحدة تحتاج لإرضاء، هي جهة واحدة: إرضاء الله تعالى من إرضاء الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه قال من أطاع الرسول فقد أطاع الله فإذا أطعت الرسول صلى الله عليه وسلم وأرضيته تكون قد أرضيت الله تعالى. أحياناً يقال لك إرضى فلان وارضى فلان وكل واحد له مطلب لكن هنا الحالة واحدة، الحالة الأساسية هي إرضاء الله تعالى. والضمير في (يرضوه) الأظهر أنه للرسول صلى الله عليه وسلم لأنه قال (يَحْلِفُونَ باللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُوْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ) يذهبون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فبدل أن يحلفوا للمؤمنين ويرضوهم إذهبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وارضوه فإذا رضى الرسول صلى الله عليه وسلم فقد رضي الله سبحانه وتعالى. فيقول للمنافقين بدل أن تذهبوا للمؤمنين حتى يرضوا اذهبوا إلى الرسول وأرضوه. ما دام علمنا أن إرضاء أي واحد منهما هو إرضاء للآخر فلا يضير أن يعود الضمير على من. ما دام إرضاء أي واحد منهما يرضي الآخر. لم يذكر واحداً فقط لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس جهة مستقلة عن الله تعالى وإرضاء الله تعالى هو الأول فلا بدأن يذكر الله تعالى فكيف نرضي الله تعالى؟ نرضي الرسول صلى الله عليه وسلم. إرضاء الله تعالى هو الأول جعلهما جهة واحدة وليستا جهتين متباينتين مختلفتين. لو قال يرضوهما تدل على أن كل واحد له مطلب وكل واحد يجب إرضاؤه وقد تتعارض الإرادتان. هنا الجهتان واحدة إذا أرضيت إحداهما فقد أرضيت الأخرى. هو إرضاء واحد إذا أرضيت الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أرضيت الله تعالى وإذا أرضيت الله هذا إرضاء للرسول صلى الله عليه وسلم.

سؤال: ما الفرق بين النزغ والوسوسة في الآيات (مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْني وَبَيْنَ إِخْوَتِي (١٠٠) يوسف) و (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُنْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا (٢٠) الأعراف)؟

من حيث اللغة النزغ هو الإفساد بين الأصدقاء تحديداً، بين الإخوان، بين الناس (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ لَّهُ الله الله النزغ هو أن يحمل بعضهم على بعض بإفساد بينهم، هذا هو النزغ في اللغة، أن يغري بعضهم بعض بيعض ويفسد بينهم. الوسوسة شيء آخر وهي عامة، يزين له أمر، يفعل معصية، يزين له معصية، الوسوسة عامة

والنزغ خاص بأن يحمل بعضهم على بعض وأن يفسد بينهما. قال تعالى (مِن بَعْدِ أَن نَّرْغَ الشَّيْطَانُ بَيْبِي وَبَيْنَ إِخْوِيَي خصومة بينهما لكن مع إخوة يوسف كان هناك خصومة بينهما لكن مع إخوة يوسف كان هناك خصومة فقد حاولوا أن يقتلوا يوسف، أفسد بينهم، أغروا به حتى أفسلوا. الوسوسة عامة لأنه يدخل فيها النزغ. هنا (مِن بَعْدِ أَن نَّرْغَ الشَّيْطَانُ يَنْبِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي (١٠٠) يوسف) (نزغ الشيطان) الحالة الخاصة للحالة الخاصة وهذه الحالة الحالة الحاصة المعنى اللغوي. يقولون أصل الوسوسة الصوت الخي ويكون مسموعاً أحياناً يكون غير مسموع (الذي يوسوس في صدور الناس) أحياناً لا يُسمع وإنما يبقيه الشيطان في نفس الإنسان (من شر الوسواس الحناس الذي يوسوس في صدور الناس) والصدر هو الممر إلى القلب فإذا وسوس في الصدر الشيطان يريد أن يملأ الساحة بالألغام كما يفعل الأعداء في الحرب. وقد تكون الوسوسة بالكلام في الصدر الشيطان يويد أن يملأ الساحة بالألغام كما يفعل الأعداء في الحرب. وقد تكون الوسوسة بالكلام الشيطان قال يَا تَدَمُ هَلُ أَذُلُك عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكِ لَّا يَبْلَى (٢٠) طه) سماها القرآن وسوسة ثم قال الشيطان قال يَا تَدَمُ هَلُ أَذُلُك عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكِ لَا يَبْلَى (٢٠) طه) سماها القرآن وسوسة ثم قال (وقاسَمَهُمَا إنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) الأعراف) قاسمهما أي حلف لهما بالله ولذلك لما رب العالمين عاتب آدم وال آدم: يا رب ما كت أظن أحداً يحلف بك كاذباً. الوسوسة إذن تكون في الصوت المسموع أحياناً

وبالصوت غير المسموع أحياناً.

سؤال من المقدم: كلمة وسوس فيها هدوء وخفية وفيها تكرار مقطع (وس/وس) فهل هي مرتبطة بكلام سيئ أو خبيث؟ هكذا يبدو من استعمالها لماذا لا يظهر هذا الكلام إلا إذا كان هناك ما يريد أن يخفيه عن الآخرين؟.

سؤال: ما اللمسة البيانية في الآية (قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِنْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (٢٢) الأعراف؟ لو يسأل السائل سؤالاً محدداً في الآية. أولاً للعلم أن القرآن لم يستعمل مضارعاً للفعل جاء ولم يستخدم إلا الفعل الماضي (جيء، جاء) لم يستعمل لا فعلاً مضارعاً لجاء ولا فعل أمر ولا إسم مفعول ولا إسم فاعل. إذا أراد أن يستخدم مضارعاً يستعمل الفعل يأتي. يقولون الجيء بمعنى الإتيان لكن الإتيان أيسر من الجيء ويستعمل لما هو أيسر وجاء يستعمل لما هو أصعب. لا نتوقع أن يأتي مضارع يجيء لأن القرآن لم يستعمل مضارع جاء. إذا كان كما يقول قسم من أهل اللغة أن الجيء فيه صعوبة والإتيان لما هو أيسر وأسهل فعند ذلك هل ما وقع أسهل أو ما لم يقع؟ إذا لم يقع أسهل وما وقع أصعب ف (جاء) لما وقع و (يأتي) لما لم يقع. فرق بين الماضي والمضارع، جتنا ماضي وتأتينا مضارع. هذا عموم استعمال جاء ويأتي وهذا لم يقع بعد فيكون أيسر، هذا من حيث جاء ويجيء ويأتي. تبقى الآية نفسها عندنا فيها أمران: استعمل الماضي للفعل (جاء) في (من بعد ما جتنا) جنتنا فعل ماضي و(تأتينا) فعل مضارع والقرآن لا يستعمل فعل أتي بالماضي لأن هذا فيل مضارع والقرآن لا يستعمل مضارع جاء وإنما قال (تأتينا). هذا أمر. ولم يستعمل فعل أتي بالماضي لأن هذا فعل مضارع والقرآن لا يستعمل مضارع جاء وإنما قال (تأتينا). هذا أمر. ولم يستعمل فعل أتي بالماضي لأن هذا

يبقى استعمال (أن) و (ما): ما قال من بعد أن جئتنا وإنما قال (من بعد ما جئتنا) فعل الماضي يأتي بعد (أن) في اللغة كما جاء في قوله (مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ (٢٤) كما جاء في قوله (مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ (٢٤) الفتح). لماذا هنا استخدم (ما) وهنا استخدم (أن)؟ (من بعد ما جئتنا) (ما) هذه تحتمل معنيين في اللغة هنا: الأول المصدرية والثانية الموصولة. هنا توسع في المعنى وتحتمل الأمرين.هي مصدرية بمعنى (الذي) أي من بعد الذي جئتنا به

عذاب وإيذاء وقلنا الجيء لما هو أصعب من الإتيان فقال أو ذينا من قبل ما جئتنا وهذا طبيعي في الاستخدام.

وهو الرسالة. إذن تحتمل أمرين معنيين: من بعد مجيئه هو شخصياً ومن بعد الذي جاء به من الرسالة ولذلك ما قال من بعد أن جئتنا تكون تعني الموصولة لأنه يصبر عائد. فهنا (ما جئتنا) ذكر أمرين لأنه كان مجيئه بالرسالة ومجئيه هو، فجمع معنيين هنا وهذا من باب التوسع في المعني. الفرق بين ما المصدرية وما الموصولة: السياق يحددها لكن هنالك أمر يقطع: إذا كان موجود عائد وهو الضمير الذي يعود على الإسم الموصول يقطع هذا بألها إسم موصول. في حالة عدم وجود العائد نبحث عن المعني هل يحتمل المصدرية أو الموصولة. (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ (٢٣) الأحزاب) (ما) هنا إسم موصول أي صدقوا الذي عاهدوا الله عليه. لو حذف في غير القرآن (عليه) لو قال: صدقوا ما عاهدوا الله يكون صدقوا عهد الله نفسه والعهد الذي عاهدوا عليه. (المزيد في باب التوسع في المعنى يمكن الرجوع إليه في كتابي الجملة العربية و المعنى).

استطراد من المقدم: إذا كان كفار مكة آنذاك فهموا العربية ولم يؤمنوا بالقرآن ونحن نؤمن بالقرآن و لا نفهم العربية ألهذه الدرجة تنحدر لغتنا العربية؟

لم تبقى لنا سليقة لأن اللغة العربية منذ زمن بعيد دخلت أقوام وصار اختلاط ألسنة وصارت اللغة تضمحل شيئاً فشيئاً وتحلُّ محلها اللهجات العامية ثم هناك من يدفع لإشاعة اللهجات العامية ومحاربة اللغة العربية لأسباب كثيرة وكل جهة لها غرض لمحاربة العربية وخاصة لارتباطها بالقرآن الكريم ولم يبقى عربية في التعليم والمدارس إلا أشياء محدودة وضئيلة جداً. كان العرب يفهمون العربية لأن هذه كانت لغة العرب آنذاك يتحدثون بها. وحتى نعيد العربية إلى سليقتنا نحن نحتاج إلى جهود متضافرة وليس جهد شخص إنما جهد حكومات وجمعيات للغة العربية تكون جادّة وضرورة إفهام الناس بضرورة هذه اللغة وأنه إذا ضاعت هذه اللغة ضاع وجودهم وهنالك عدة أمور يجب أن يفهمها الناس للحفاظ على لغتهم والاعتزاز بها. واللغة العربية عجيبة وهي بالنسبة للغات الأخرى كأنها جهاز متطور ذو تقنية عالية جداً واللغات الأخرى الشائعة الآن لا تستطيع أن تعبّر عن المعاني. لو قلنا مثلاً: أعطى محمد خالداً كتاباً يقابلها في الانجليزية Mohamed gave khaled a book ولو قلنا محمد أعطى كتاباً خالداً، خالداً كتاباً أعطى محمد، وغيرها ذكرناها سابقاً، حوالي ٨ جمل كل واحدة لها معنى خاص دقيق ومعناها العام هو نفسه. عندما نضع الفعل والفاعل والمفعول الأول والمفعول الثاني على الترتيب تقولها والمخاطّب خالي الذهن ليس عنده أي معلومة عن الحادث فأنت تعطيه معلومة جديدة. عندما أقول: محمد أعطى خالداً كتاباً المخاطَب يعلم أن شخصاً ما أعطى خالداً كتاباً لكن لا يعلم الشخص المعطى فكأنه يسأل من أعطى خالداً كتاباً؟ محمد. إذا قلنا: خالداً أعطى محمد كتاباً المخاطَب يعلم أن محمداً أعطى كتاباً لكن لا يعلم لمن أعطاه فكأنه يسأل لمن أعطى محمد كتاباً؟ خالداً. لو قلنا: كتاباً أعطى محمد خالداً المخاطب يعلم أن محمداً أعطى خالداً شيئاً لكن لا يعلم ما هو؟ لو قلنا: خالداً كتاباً أعطى محمد المخاطب

يعلم أن محمد أعطى شيئاً ما لشخص ما فتقدمهما على العامل حتى يكون هذا المعنى. ولو قلنا: خالداً كتاباً محمد أعطى المخاطب يعلم أن شخصاً ما أعطى شيئاً ما لشخص ما، هناك عطاء لكن لا يعرف من أعطى وماذا أعطى ولمن أعطى؟ هذه التراكيب كلها تصح نحوياً. لو قدمنا فقط على الفاعل كل واحدة لها معنى. أحياناً عندنا ٢٥ جملة في العربية أو أكثر كل واحدة لها معنى يقابلها جملة واحدة في اللغات الأخرى. هذه الجمل موجودة في الحياة كيف

سؤال: ما الفرق في استخدام كلمة الأنعام في الآيات في سورة الحج (لِيشْهَلُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)) (وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْلَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠)) (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ (٣٤))؟

قسم من اللغويين فرّق بين بهمية الأنعام فقالوا بهيمة الأنعام ما أُلحِق بالأنعام. الأنعام هي البقر والغنم والمعز والإبل (ثمانية أزواج). البهيمة من ذوات الأرواح، ما لا عقل له، تسمى بهائم. البهيمة أعمّ والأنعام جزء منها. البهيمة كل ما له روح ولا عقل له حتى الوحوش والأنعام بهائم. فكلمة بهيمة أعمّ. (بهيمة الأنعام) عندنا عموم وخصوص، (بهيمة الأنعام) قسم من أهل اللغة قالوا هي ما ماثل الأنعام وأدخلوا بها الظباء وبقر الوحش (ألحقوها إلحاقاً) هي مما يؤكل فقالوا هذه من الملحق وكل مجتر قالوا يدخل في بهيمة الأنعام. كل ما يماثل الأنعام في الاجترار وعدم الأنياب قالوا هو بهيمة الأنعام وليس الأنعام، يعني الظباء بهيمة الأنعام، بقر الوحش بهيمة الأنعام، كل ما يجتر وليس له ناب مما يؤكل دخل في بهيمة الأنعام.

وهنالك أمر آخر من حيث اللغة في رأيي: بجمية الأنعام إضافة العام (البهيمة) إلى الخاص (الأنعام) كما نقول يوم الخميس: اليوم عام والحميس خاص، شهر ورمضان الشهر عام ورمضان خاص، كتاب النحو، علم الفقه، شجر الأراك، إضافة العام إلى الخاص وهذا من أساليب العربية وموجود في القرآن (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) الأراك، إضافة العام إلى الخاص. لماذا ورد هنا؟ لماذا أضاف هنا العام إلى الخاص؟ نرجع للآيات التي ذكرها قال تعالى (لِيَشْهَلُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا السُمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعُلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَقِسَ الْفَقِير (٢٨) الحج) وآية أخرى مشابحة لها (وَلِكُلِّ أَمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا السُمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ وَكَكُلُوا اللهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ وَلَكُلُّ أَمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيذْكُرُوا السُمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ وَلَا اللهَ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن اللهِ فِي أَيَامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَن أَلهُ فِي أَيام الحج في الله عَلَى هذه أو عام؟ الْمَشْعَرِ الْحَوَامِ وَاذْكُرُوا كُمَا هَدَاكُمْ (١٩٨) الحج) هو يتكلم عن أيام الحج، ذكر الله في أيام الحج أمر شائع (فَإذَا أَفَضْتُه مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عَن أَيام الحج أَمر شائع وفَإذَا أَفَضْتُه مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عَلَى هذه أَو عام؟ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلُ فِي يَوْمَنِيْ فَلاً إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأْحُرُ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَى هذا (٢٠٠٧) البقرة) وقال هنا (على ما رزقهم من بميمة الأنعام) تحديداً فأضاف عاماً إلى خاص، هذه حالة خاصة. الذكر عامٌ في الحج وذكر الله عام في الحج وهنا قال (على ما رزقهم من بميمة الأنعام) إذن هذا جام. في الحاص (على ما رزقهم من بميمة الأنعام) إذن هنا جاء بأمر عام بعده خاص. ذكر الله والخاص (على ما رزقهم من بميمة الأنعام) إذن هنا جاء بأمر عام بعده خاص. ذكر الله والخاص (على ما رزقهم من بميمة الأنعام) إذن هذا جام. عامً المناه عام المناه عام

رزقهم خاص لأن ذكر الله في أيام الحج هو عامّ. لكنه في الآية ذكر (لِيشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) الحج) إذن ذكر خاصاً بعد عام وبميمة الأنعام خاصٌ بعد عامّ. ففسها الآية الأخرى (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهيمَةِ الْأَنْعَام (٣٤) الحج) ذِكر اسم الله عام وهو قال (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) صار خاصاً. خاص بعد عامّ

وبممية الأنعام خاص بعد عامّ.

لكن لما ذكر الأنعام (وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْتَانِ وَاجْتَنبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) ليس فيها ذكر ولا شيء لأن الكلام في الأنعام تحديداً. أمَا في الأولى (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) خاص بعد عام وكل خاص بعد عام جاء (بممية الأنعام) خاص بعد عام. هذه مناسبة فنية عجيبة في اللغة وهذا من باب التناسب.

سؤال: ما دلالة تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان في آية سورة الرحمن مع أنه يتصور أن الخلق يكون أو لاً (الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤))؟

قوله تعالى (الرَّحْمَنُ (١) عَلَمَ الْقُرْآنَ (٢) حَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَمَهُ الْبَيَانَ (٤)) خلق الإنسان لأي غرض؟ ربنا خلق الإنسان والجن للعبادة (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْدُونِ (٥) الذاريات) إذن أي واحد يريد أن يصنع شيئاً لغوض يجب أن يكون الغرض مرسوماً عنده. فلما كان خلق الإنسان والجن لغرض العبادة والقرآن هو كتاب العبادة التي سيستغرق الانس والجن إلى قيام الساعة. فهذا الكتاب هو الغرض من خلق الانسان فهو الأسبق، الغرض أسبق من الحمل. الغرض موجود ويعمل الشيء بموجب الغرض الإنسان للعبادة وكتاب العبادة قبله، هذا أمر. والأمر الآخر هو أن القرآن هو أصلاً قبل خلق الإنسان، القرآن كلام الله ومن علم الله وهو موجود قبل الإنسان. فإذن من حيث العِلّة هو أسبق من الإنسان ومن حيث الوجود هو أسبق من الإنسان. فإذن (علّم القرآن) أسبق من الإنسان الذلك ذكر العِلّة أولاً ثم ذكر ما بعلها رحيث الوجود هو أسبق من الإنسان هذا أصلاً فقال علم الإنسان البيان وإنما لما ذكر الإنسان قال (علّمه اليان) ذكرها بالإطلاق قبل خلق الإنسان هذا أصلاً. نفهم قوله علّمه البيان بعد الإنسان والقرآن أسبق من الإنسان. هذا ترتيب زمني أولاً ترتيب العِلّة لأن الغرض أسبق من العمل فإذا كان الغرض العبادة فالقرآن هو الإنسان. هذا ترتيب زمني أولاً ترتيب العِلّة والغرض هو أسبق من العمل فإذا كان على الفضل هو أسبق وإذا كان على النومي وإنما على الزمن هو أسبق وإذا كان الغرض المبادة أن يراعي الترتيب الزمني وإنما على الزمن هو أسبق وإذا كان على الفضل هو أسبق وحسب الأضورة أو حسب السياق، حسب الأسبق أو حسب الأفضل وأحياناً يقدم الماخر.

سؤال: ما القرق بين الحسرة (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ (٣٩) مريم) والندامة (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ (٣٣) سبأ؟

الحسرة هي أشد الندم حتى ينقطع الإنسان من أن يفعل شيئاً. والحسير هو المنقطع في القرآن الكريم لما يقول (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِاً وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) الملك) حسير أي منقطع، إرجع البصر كرتين، ثم ارجع البصر، الحسير المنقطع. الحسير المنقطع والحسرة هي أشد الندم بحيث ينقطع الإنسان عن أن يفعل شيئاً ويقولون يكون تبلغ به درجة لا ينتفع به حتى ينقطع. (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ (٣٠) يس) هذه أكبر الحسرات على الإنسان وليس هناك أكبر منها. الندم قد يندم على أمر وإن كان فواته ليس بذلك لكن الحسرة هي أشد الندم والتلهف على ما فات وحتى قالوا ينقطع تماماً. يقولون هو كالحسير من اللواب الذي لا منفعة فيه (أدرك إعياء عن تدارك ما فرط منه). في قصة ابني آدم قال (قَالَ يَا وَيُلْتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوارِيَ سَوْءة أَخِي

فَأَصَبَّحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣٦) المائدة) الندم له درجات أيضاً ولكن الحسرة أشد الندم، هي من الندم لكن أقوى من الندم يبلغ الندم مبلغاً. (كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالُهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ (١٦٧) البقرة) منقطعة ولا فائدة من الرجوع مرة ثانية.

سؤال: ما الفرق بين حميم ويحموم؟

الحميم هو الماء الحار (وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ (١٥) محمد) من حمّ والحمّى. والحميم يأتي من الشيء وضده حتى أنه يستعمل للماء البارد أيضاً (مشترك لفظي). اليحموم هو الدخان الأسود الشديد السواد (وَظِلِّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) الواقعة).

سؤال: ما الفرق بين طوعت (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) المائدة) وسولت (وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسي (٩٦) طه) (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا (١٨) يُوسف)؟

سولت معناها زينت له، يقال سولت له نفسه أي زينت له الأمر، طوّعت أشد. نضرب مثلاً" الحديد يحتاج إلى تطويع أي يحتاج إلى جهد حتى تطوعه، تريد أن تطوع وحشاً من الوحوش تحتاج لوقت حتى تجعله يطيعك، فيها جهد ومبالغة في التطويع حتى تروضه وتذلله، المعادن تطويعها يحتاج إلى جهد وكذلك الوحوش والطيور تطويعها يحتاج إلى جهد وبذل.

التسويل لا يحتاج إلى مثل ذلك الجهد. إذن سولت أي زينت له نفسه، لذا ابني آدم قال (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتَل أَخِيهِ) كان يفكر هل يمكن أن يقدم على قتل أخيه فاحتاج وقتاً لترويض نفسه ليفعل هذا الفعل وهو ليس كأي تسويل أو تزيين بسهولة تفعل الشيء وأنت مرتاح. التطويع يحتاج إلى جهد حتى تروض نفسه وتميء له الأمر. و في القرآن قال تعالى (وكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي) في قصة السامري هنا بسهولة وهذه أسهل من أن يقتل الواحد أخاه. لا يجوز في القرآن أن تأتي طوعت مكان سولت أو العكس و في النتيجة العمل سيكون لكن واحد أيسر من واحد. سوّل وطوع بمعنى واحد لكن طوّع فيها شدة.

سؤال: ما الفرق بين آلآف وألوف (وهم ألوف) في القرآن؟

آلآف من أوزان القِلّة، جمع قلة. (أفعال) من أوزان القِلّة: أفعُل، أفعال، أفعلة، فِعلة. من أوزان القِلّة وألوف من الكثرة. لذلك قال ربنا سبحانه وتعالى (أَلَن يَكُفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُنزَلِينَ (٢٤) آل عمران) (يُمُدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ (٢٥٥) آل عمران) لأن القلة من الثلاثة إلى العشرة فإن تجاوزها دخل في الكثرة (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ (٢٤٣) البقرة) قال بعضهم قطعاً أكثر من عشرة آلآف وقسم أوصلهم إلى أربعين ألفاً. آلآف إلى حد العشرة جمع قلة، ألوف ما تجاوز العشرة وهي جمع كثرة.

سؤال: ما الفرق بين أتباع وأشياع؟

الأشياع هم أتباع الرجل على جماعة واحدة والأتباع هم أنصار الرجل لكن ما الفرق؟ الأشياع أنصار أيضاً لكن الأشياع أعم قال تعالى (وَلَقَدْ أَهْلَكُنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُدَّكِر (١٥) القمر) للخاطب زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أشياعهم الأمم السابقة، نحن أشياع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه الذين معه وقتها. القرآن الكريم لم يستعمل التبع إلا من كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم وقتها، كل أتباع الرجل من كان معه (فَقَالَ الضُّعَفَاء لِللَّذِينَ اسْتَكُبُرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا (٢١) إبراهيم). الأشياع ليس بالضرورة واستعملها الله تعالى للمتقدم والمتأخر، لللَّذِينَ اسْتَكُبُرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا (٢١) إبراهيم). الأشياع ليس بالضرورة واستعملها الله تعالى للمتقدم والمتأخر، تكلم عن سيدنا نوح عليه السلام (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنعْمَ الْمُجيبُونَ (٧٥)) ثم قال (وَإِنَّ مِن شِيعَتِه لِإِبْرَاهِيمَ (٨٣)) الصافات) أين إبراهيم عليه السلام من نوح عليه السلام؟ من شيعته أي من شيعة نوح، صحيح الفروع مختلفة لكن أصل الرسالة واحدة. سيدنا نوح عليه السلام كان أسبق بكثير من إبراهيم. فالأشياع أعم من الأتباع، الأتباع من التبع. كانوا معه فقط و لا يستعمل للمتأخر. التبع يكون معه والأشياع عامة وفي القرآن يستعمل الأشياع أعمّ من الأتباع من التبع.

سؤال: ما الفرق بين فتنة وفتون (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا (٠٤) طه)؟

الفتون ذكروا فيها إحتمالين: قالوا هي إما مصدر (والفتنة أيضاً مصدر كالقعود والجلوس) مصدر فعل (فتن) وفَتَن أي اختبر ولها معاني كثيرة منها وضع الذهب في النار حتى تبين جودته وليختبره والفتنة التعذيب. وقسم ذهب إلى ألها جمع وفتون) (وفتناك فتونا) قالوا جمع فَقْن كالظنّ والظنون، (فَشْن) فتناً مصدر وفتنة مصدر. المصدر يُجمع إذا احتلفت أنواعه كالظنون (وتَقُلُّونَ باللَّهِ الظُّنُونَ (١٠) الأحزاب). فقالوا (وفتناك فتوناً) أي امتحناك واختبرناك عدة مرات. رجّح بعضهم على ألها جمع وليست مفرداً. فإذن الفتون تختلف عن الفتنة، الفتنة هي المصدر والفتون جمع. والفتنة مصدر وقد تكون للواحدة وقد تكون لغير الواحدة لأن أحياناً ما دامت على وزن فعلة تحتمل، لأن المصدر إذا أردنا المرة جننا به على وزن فعلة (إسم المرة) إذا كان واحداً ركض ركضة، مشى مشية، الرحمة مشتركة لأنها على وزن فعلة نأتي بها مرة واحدة نقول (رحمة واحدة) وإذا أردنا نأتي بها جمع نقول (رحمة). فتنة على مشتركة لأنها على وزن فعلة نأتي بها مرة واحدة نقول (رحمة واحدة) وإذا أردنا نأتي بها جمع نقول (رحمة). فتنة على يواد الهيئة لكنها مصدر (مشية، فعلة) ليست إسم هيئة إلا إذا أردنا الهيئة تحدد بشيء: فتنة المؤمن حتى يتضح أنه يواد بها الهيئة "وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة". فالفتون رجحوا أنها جمع فين وقسم قال جمع فتنة مثل بدر بدور وهناك أمثلة في اللغة. فِين جمع أيضاً ويبدو لي أن فتون جمع لأنه من عليه بأنه اختبره عدة اختبارات ونجاه منها وليست مسألة واحدة وإنما عدة اختبارات ونجاه منها وأعدة للرسالة فهى من باب المن عليه، يبو لي هذا والله أعلم.

سؤال: (بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) الأنعام) كيف يردّون وكيف يعودون؟

المشهد من مشاهد النار يوم القيامة (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ (٢٧) الأنعام) يعني يردهم ربمم إلى الدنيا (وَلاَ نُكَذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قالوا يا ليتنا نعود مرة أخرى ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فرب العالمين ردّ عليهم فقال (بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ) كانوا يفعلون ما نهوا عنه ويرجعون إلى نفس المسألة التي دخلوا بسببها النار وسيعودوا إلى نفس المنكرات والقبائح التي فعلوها بعد أن رأوا الموقف بأعينهم وقالوا يا ليتنا نرد و لا نكذب فقال تعالى لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون أي أن هذا التمنى كاذب فلو ردهم إلى الدنيا لعادوا إلى أفعالهم القييحة.

هل هناك رابط بين ردوا وعادوا؟ عاد مبني للمعلوم ورُدّوا مبني للمجهول يعني لو رددناهم إلى الدنيا لعادوا إلى فعلتهم. ردوا معناه أعيدوا يعيلهم ربمم إلى الدنيا (عندنا عاد وأعاد) تعني لو أعدناهم إلى الدنيا، لو أعيدوا إلى الدنيا، لو رجعناهم إلى الدنيا لعادوا إلى أفعالهم. ردوا مبني للمجهول وعادوا يعودون إلى أفعالهم وإلهم لكاذبون. سؤال: في القرآن الكريم يذكر الجن قبل الإنس في مواطن كثيرة (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) الذاريات) أما في سورة الرحمن فقدم الإنس (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبَلَهُمْ وَلَا جَانٌ (٥٦) الرحمن) فما دلالة التقديم والتأخير؟

النقديم والتأخير يقتضيه المقام والسياق أحياناً يقدم الجن على الإنس (وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُلُونِ (٥٥) الخجر) إبليس قبل الذاريات) لأن الجن وجودهم أسبق من الإنس، (وَالْجَآنَّ حَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) الحجر) إبليس قبل آدم. إذن قد يكون السبب هو القِدَم أن الأقدم يقدّمه مثل (وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُلُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْارْضِ فَانفُلُوا لَا تَنفُلُونَ إِلَّا بِسُلُطَانٍ (٣٣) الرحن) قدم الجن على الإنس لأن الجن أقدر على النفاذ من الإنسان وهم كانوا يستمعون، فلما تحداهم بالنفاذ بدأ بمن هو أقوى المباخن. الآية التي ذكرها في سورة الرحن (لَمْ يَطُمِثْهُنَّ إِنسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانِّ) هن أهل الجنة (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيامِ)، (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطُمِثْهُنَّ إِنسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانِّ)، نفسياً إذا كان أحلهم يريد أن يتزوج امرأة الْخِيامِ)، (فِيهِنَّ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطُمِثْهُنَّ إِنسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانِّ)، نفسياً إذا كان أحلهم يريد أن يتزوج امرأة وعلِم أنه اتصل بها رجل سابق يحجم عن الزواج أما إذا قال جتي إتصل بها يقول هذا كلام وخرافة. ولذلك قدم وعلم أنه اتصل بها رجل سابق يحجم عن الزواج أما إذا قال جتي إتصل بها يقول هذا كلام وخرافة. ولذلك قدم الأن النفس فوراً إذا طمثها إنسي يحجم عنها إحجاماً ولذلك قدم ما تشمئز منه النفس أولاً فبدأ بالإنس لأن النفر أنه النفس أنه أبكاراً المنها أبكاراً. (فَعَمَعُلْمَاهُنَ أَبْكَارًا (٣٦) الواقعة) معناها أبكاراً.

سؤال: ما الفرق بين يذّكرون ويتذكرون؟

يذّكرون أصلها يتذكرون في اللغة صار فيها إبدال. وأصل الفعل الثلاثي ذَكر يذكر (أَوَلَا يَذْكُو الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٢٧) مريم) الفعل الثلاثي المجرد هو (ذكر). تذكّر هذا مزيد بالتاء والتضعيف. إذّكر حصل فيه إبدال التاء صارت ذالاً وهذا إبدال جائز، التاء صار فيها إبدال يصير إدغام (ذال وذال) الأول ساكن والعرب لا تبدأ بالساكن فجاءوا بالهمزة فقالوا إذّكر مثل إطّهر، إفّعل، إدّبر هذا كله من الإبدال الجائز. إذن يتذكرون ويذّكرون هما في الأصل فعل واحد لكن أحدهما فيه إبدال والآخر ليس فيه إبدال: يتطهرون ويطّهرون، يدّبر ويتدبر أصلهما فعل واحد لكن أحدهما حصل فيه إبدال والآخر ليس فيه إبدال، هذا من الناحية اللغوية الصرفية. لكن كيف يستعمل القرآن يتذكرون ويذّكرون ويذّكرون ويذّكرون من حيث اللغة واحد حصل إبدال كما في اصتبر واصطبر (التاء صارت طاء)، إزتحم وازدحم هذا إبدال واجب، وهناك إبدال جائز (يتذكرون ويذّكرون).

إستخدام القرآن الكريم في هذا ونظائره: يتذكر ويذّكّر أيها الأطول في المقاطع؟ (يتذكر: ي/ت/ذ/ك/ر/) خمسة مقاطع، (يذّكّر: ي/ذ/ك/ر/) أربعة مقاطع. يتذكر أطول ومقاطعه أكثر هذا أمر. والأمر الآخر يتذكّر فيها تضعيف واحد ويذّكّر فيها تضعيف أكثر (يتذكر) والآخر فيه تضعيف أكثر (يذّكر)

والتضعيف يدل على المبالغة والتكثير. القرآن الكريم يستعمل يتذكر الذي هو أطول لما يحتاج إلى طول وقت ويستعمل يذكّر لما فيه مبالغة في الفعل وهزة للقلب وإيقاظه. مثال (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٣) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ اعماله وحياته كلها فيها طول، (وَجِيءَ يَوْمَيَذِ بِجَهَنَّمَ يَوْمَيَذِ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَآلَى لَهُ الذَّكْرَى (٣٣) النازعات) يتذكر عياته الطويلة. (وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجًا نَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَمْلُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَمْلُ اللّهِ اللهِ اللهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

الحلقة ١٩

سؤال: السُرى هو السفر ليلاً فما دلالة ذكر (ليلاً) في آية الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بعَبْدِهِ لَيْلاً (١))؟ في الحلقة الماضية تعرضنا إلى أن هناك ظرف مؤكد وظرف مؤسس. الظرف المؤسس يعطيك معلومة جديدة لم تستفدها من الجملة السابقة للظرف كأن تقول سافرت يوم الجمعة، يوم الجمعة لم تستفدها إلا بعد أن ذكرت الظرف. أولاً (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً) ليلاً: ظرف مؤكد لأن الإسراء لا يكون إلا بالليل. والتوكيد في الظروف وغير الظروف أسلوب عربي وجائز. في الصفات كقوله تعالى (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّور تَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) الحاقة) هي نفخة واحدة وقال تعالى (وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلْهَيْنِ اثْنَيْنِ (١٥) النحل) الإلهين يعني اثنين. إذن عندنا تأسيس وتأكيد في الحال والصفات والظروف. إذن ليلاً هو ظرف مؤكد، هذا أمر. والأمر الآخر أن كلمة ليلاً أفادت معنى آخر غير كونما ظرف مؤكد وهو أن الإسراء تم في جزء من الليل. لما تقول سافرت ليلاً أي سافرت في هذا الوقت لا يعني أنك قضيت الليل كله لكن لما تقول سافرت الليل أي قضيت كل الليل سفراً. عندما تأتي بالألف واللام سافرت الليل أو الليل والنهار أو مشيت الليل والنهار أي كله لأن هذا جواب (كم؟). لما تقول سافرت ليلاً فهو توقيت و جواب عن متى؟ قد تكون سافرت في جزء منه، أما لما تقول سافرت الليل تكون قد استغرقته كله كما في قوله تعالى (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) الأنبياء) هذا يستغرق استغراقاً لا يفترون. (ليلاً) أفاد أن هذه الحادثة كلها، الإسراء تم في جزء من الليل وهذا دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى أن تستغرق الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى التي تستغرق شهوراً والمعراج وما فيه كل هذا في جزء من الليل. إذن كلمة ليلاً أفادت معنيين الأول ألها ظرف مؤكد للإسراء والأمر الآخر أن هذه الحادثة استغرقت جزءاً من الليل. (أسرى بعبده) كم استغرق؟ لا نعلم. كلمة أسرى وحدها لا تدل على جزء محدد من الليل، الإسراء هو المشي بالليل فقط ولو لم يقل ليلاً لما دل على أن هذا تم في جزء من الليل. فكلمة ليلاً إذن أفادت أمرين الظرف المؤكد وأن هذه الحادثة لم تستغرق إلا جزءاً من الليل.

لا توجد كلمة زائدة في القرآن أو حشو وإنما كل كلمة لها دلالة. في القرآن يقولون حرف جر زائد وهذا مصطلح لا يعنون به الزيادة التي ليس لها فائدة وإنما وقوعها بين العامل والمعمول لغرض وهو الزيادة للتوكيد كما في قوله (وما ربك بظلام للعبيد)، هو من حيث وقوعها بين العامل والمعمول تسمى زيادة فهذا مصطلح والمعنى العام هو باق لكن وقعت بين العامل والمعمول وأكدت والتأكيد أمر موجود في اللغة وقد يستدعي السياق التأكيد فكلمة زائدة عند النّحاة لا تعني أنه ليس لها فائدة، هذا قطعاً ليس هو المقصود وإنما في الغالب تفيد التوكيد وأقول في الغالب لأنه قد تفيد الزيادة شيئاً آخر غير التوكيد.

سؤال من المقدم: الإسراء من – إلى، ألا يقتضي المنطق أن الظرف يأتي بعد (من – إلى) يعني أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلاً؟

العامل هو أصلاً متقدم (أسرى) وبعبده وليلاً متعلقة بهذا العامل وهي معمولات لهذا العامل. يبقى الترتيب لما هو أهم : بدأ بالزمان (ليلاً) ثم المكان (من المسجد الحرام) كلها حصلت في جزء من الليل وهذا أمر مستغرب أنه من هذا المكان إلى ذلك المكان أن يكون في جزء من الليل، ليس مستغرباً أن تذهب من هذا المكان إلى ذلك المكان لكن المستغرب والمستبعد أن يتم ذلك في جزء من الليل لذلك هم قالوا نضرب إليها أكباد الإبل ستة أشهر ذهاباً ومجيئاً. هم لم يستغربوا من الذهاب والإياب لألهم يذهبون ويأوبون ولكن استغربوا من الاستغراق للوقت فقط. لو لم يقل ليلاً لما فهمنا أنه تم في جزء من الليل.

استطراد من المقدم: هل نقول المعراج أو العروج؟ المعراج هو الآلة والعروج هو المصدر، هو الحدث. نقول الإسراء والمعراج.

سؤال: في سورة الإسراء عبّر عن الوعدين بفعل جاء (فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسِ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً (٥)) و (فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتِّبِرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا (٧)) مع أن وعد أولاهما جاء ووعد الآخرة لم يأت بعد؟

هل الآخرة في الآية يقصد بما يوم القيامة؟ لم لم يقل أخراهما كما قال أولاهما؟ كلا لا تحتمل لأن الآخرة لها معاني كثيرة.

من يقول أن الأول جاء بالماضي والأخر بالمستقبل؟ نبدأ الآية من أولها: قال تعالى (وقضينا) ربنا تعالى هكذا قدّر وهكذا قضى وقرّر. إذن هذه الأمور كلها بعد القضاء والتقدير. قيضنا أي قدّرنا. وقضينا إلى بني إسرائيل لتفسدن في الأرض مرتين هذا كله مستقبل، يتكلم عن أمر سيقع في المستقبل (لنفسدن) نون التوكيد تحوّل المضارع إلى استقبال، تخصصه للإستقبال. القضاء هو ماضي قدر الله تعالى في الأزل في علمه أن سيكون ذلك. ماذا قدّر؟ قدّر أن بني إسرائيل سيفسدون في الأرض مرتين (فإذا جاء وعد أو لاهما) إذن هذا الجيء مستقبل بالنسبة للقضاء والتقدير الذي كتبه ربنا سبحانه وتعالى وهو ماضي وهذه الأمور ستقع تحقيقاً لما قضى ربنا. فإذن قضينا أي الذي

قدّره ربنا تعالى وحكمه وقرّره ثم تأتي الأمور مستقبلية تصدق ما قضى به ربنا فلما قال (فإذا جاء وعد أولاهما) (فإذا جاء وعد الآخرة) كلها مستقبل بالنسبة للقضاء والنقدير فإذن ليس هنالك إشكال، هذا أمر. والأمر الآخر أنه يأتي بعد (إذا) ماضي ومستقبل صحيح أن (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان وقد تكون للماضي كما في قوله تعالى (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ (٩٠) يونس) هذا ماضي، (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ (٩٠) الكهف) هذا ماضي، (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهُوًا الْهَطُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا (١١) الجمعة) نزلت هذه الآية بعد الحادثة.

إذن (فإذا جاء وعد أولاهما) من الناحية اللغوية أن هذا مستقبل لما قدّر ربنا قد يكون حصل أو لم يحصل بعد، هذا أمر آخر لكن كلاهما مستقبل لما قدّره ربنا سبحانه وتعالى. النّحاة يقولون – وإن كان لدي جزئية أخالفهم فيها – أن الشرط هو مستقبل لا ينصرف إلى الماضي، تأتي بالفعل المضاي لكن يُراد به الاستقبال (وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا (٨) الإسراء) هذا للمستقبل، (إِذَا جَاء نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أَفْواجًا (٢) فَسَبّحْ بحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)) جواب الشرط عند النحاة أن الشرط استقبال والماضي في الشروط هو مستقبل. وأنا أرى أنه في الغالب هذا صحيح ولكنه ليس قاعدة عامة بدليل قوله تعالى (قل إن افتريته فعلي إجرامي) وهو ما افتراه، فليس بالضرورة أن يكون الشرط للمستقبل. موجود في القرآن وفي الشعر العربي ما يخالف ما قاله النُحاة كما في قول الشاعر وهو يرثي أبناءه، هو على قبرهم يرثيهم يقول:

فإن يهلك بني فليس شيء على حال من الدنيا يدوم

ونقول: إن كنت عاهدته فأوفِ عهده، ويقول تعالى (إن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلِ (٢٦) يوسف). شرط متعلق بماضي لكن الأكثر كما يقول النحاة وهذا فيما أرى هم لهم اجتهادهم ويبدو لي – وأنا طالب علم أمام هؤلاء العلماء –أن بعض الأمور تحتاج للتعديل والتدقيق.

سؤال: ما دلالة التعبير بكلمة (موعدة) في قوله تعالى (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهُ حَلِيمٌ (١١٤) التوبة)؟

موعدة هو موعد لكن لماذا جاء بصيغة موعدة ولم يأت بصيغة الوعد أو الموعد الذي هو المشهور كما في قوله (ذَلِكَ وَعُدُّ غَيْرُ مَكْلُوبِ (٦٥) هود) (فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤) الإسراء)؟ موعدة على أوزان المرّة لأن أحياناً المصدر الثلاثي إذا كان أكثر من ثلاثة أحرف لكن تأتي بالتاء ونجعله مرّة. يمكن أن نقول استغفار واستغفارة، الثلاثي وغير الثلاثي، أصلاً يكون على وزن فعلة (مرّة) نأتي بالتاء ونضعها في نهاية المصدر فتدل على المرّة، هذا ممكن. هذا موعد (فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ (٨٥) طه) وموعدة كأن التاء وضعت بعد المصدر كأنها مرة لأنه وعد مرة لم يتكرر. ربنا تعالى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم ولهى المؤمنين عن مثل هذا الموعد (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسُوةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ كَفَرْنَا بكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَيَنْكُمْ وَمَمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ كَفَرْنَا بكُمْ وَبَدَا بَيْنَا وَيَنْكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبُغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُوْمِئُوا باللّهِ وَحْدَهُ إِلّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَن اللّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَلْنَا وَإِيْكَ أَنْبَنَا وَإِينَكَ الْمَصِيرُ (٤) الممتحنة) يعني ليس لك حق أن تستغفر لَكَ مِنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَلْنَا وَإِيْكَ أَنْبَنَا وَإِيْكَ أَنْبَنَا وَإِيْكَ الْمَصِيرُ (٤) الممتحنة) يعني ليس لك حق أن تستغفر

لأييك الكافر، لا يجوز، هذا ليس لكم فيه أسوة. لقد كان لكم فيه أسوة إلا هذا، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة فقط، هذه لا ينبغي أن تتكرر ولا ينبغي أن يفعلها مسلم أو نبيّ. موعدة قالها مرة واحدة لم تتكرر. كلمة وعد لا تعني بالضرورة مرة واحدة. الحدث مثل المشي ليس بالضرورة أن يكون مرة واحدة والمصادر التي هي حدث صح جكعها إن تعددت أنواعها لا تعني بالضرورة مرة واحدة. يصح أن نقول موعد لكن موعدة أبلغ، هذا قليل دلالة على قِلّة هذا الأمر

ولا ينبغي أن يتكرر، هو مرة واحدة فقط وليس لكم أن تكرروها ولا أن تفعلوها ولا أن تقولوها. آيات القرآن الكريم تراعي سياق الحال الذي قيل فيه وهذه هي البلاغة التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

سؤال: ما الفرق بين ذكر الياء وعدم ذكرها في سورة الزمر (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ النَّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)) (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابِ (٢٠))؟

هذه ظاهرة في القرآن. عبادي وعبادِ أيها الأكثر حروفاً؟ عبادي. كلما يقول عبادي يكون أكثر من عبادِ مناسبة لسعة الكلمة وطولها وسعة المجموعة. (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الذين اسرفوا كثير (وَمَا أَكثرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) يوسف) (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) سبأ) (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ (١١٦) الأنعام) فقال يا عبادي.

(فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) أي الأكثر في العدد؟ الذين أسرفوا أكثر من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فجاء بما هو أكثر (عبادي). ما قال يستمعون الحسن وإنما أحسنه وهؤ لاء أقل.

(وَإِذَا سَأَلُكَ عِبَادِي عَنِي فَإِنِّي قَرِيبٌ (١٨٦) البقرة) كل العباد تسأل، هذا لا يخص عبداً دون عبد إذن هي كثيرة. (وَقُل لَّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِي أَحْسَنُ (٥٣) الإسراء) كل العباد مكلفين أن يقولوا التي هي أحسن. (يَا عَبَادِي النَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّاكِي فَاعْبُدُونِ) كثير، (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابِ (١٠) الزمر) المؤمنون أكثر من المتقين لأن المتقين جزء من المؤمنون. مع المؤمنين جاء بـ (عبادي) بالياء ومع المتقين جاء بـ (عبادي) بدون ياء. حتى نلاحظ نماية الآية غريبة عجيبة (يَا عِبَادِي النَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ تَفْسِ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَ مَسَنُوا اللَّهُ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابِ) في الأولى قال كل نفس ذائقة الموت، أما في الثانية فهنا وأرضُ اللَّه وَاسِعة إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) في الأولى قال كل نفس ذائقة الموت، أما في الثانية فهنا الصابرون وهؤلاء أقل فجعلهم مع عبادِ الذين هم قِلَة، وكل نفس جعلها مع عبادي الذين هم كثرة. إذن في الصابرون وهؤلاء أقل فجعلهم مع عبادِ الذين هم قَلَة، وكل نفس جعلها مع عبادي الذين هم كثرة. إذن في القرآن الكريم حيث قال عبادي بالياء هم أكثر من عبادِ بدون ياء. ولم تحذف هنا الياء للضرورة مع أن العرب القرآن الكريم حيث قال عبادي بالياء هم أكثر من عبادِ بدون ياء. ولم تحذف هنا الياء للضرورة مع أن العرب تخذف الياء من الإسم والفعل كما في قوله (قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَا نَبْغِي (٢٥) الكهف) (قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتَنَا الْمَاهِ (وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهُتَدِي على الساهم وليس لها ضابط (وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهُتَدِي

(١٧٨) الأعراف) في الفعل والإسم (فَإنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ (٢٠) آل عمران) (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي (١٠٨) يوسف) لكن كيف يستعمل القرآن هذا الأمر الجاري على لسان العرب وكيف يستخدمها هذه هي البلاغة.

سؤال: في سورة طه (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظُلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَتَهُ ثُمَّ لَنَنسَفَتَهُ فِي الْيُمِّ نَسْفًا (٩٧)) الفعل الوحيد الذي ورد بهذه الصيغة وهي حذف أحد حرفي التشديد مع أن المقام مقام مبالغة في العكوف وليس مقام تقليل إذا اعتمدنا أن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى فما العِلة من ذلك؟

العرب وقريش وغيرها قد تخفف من الفعل المضعّف إذا صادفه تسكين. أصل الفعل ظلِلْت مضعّف. فعندهم هذا وقسم من العرب عندهم لغة قالوا هم بنو سُليم يحذفون دائماً ليس فقط في الفعل بل ما كان شبيهاً بالمضاعف إذا سُكن آخره قلا يقولون أحسست وإنما أحست ولا يقولون همت وإنما همت، صددت – صدت. هذه لغة من لغتهم فهذه لغة. يبقى السؤال لماذا استعمل هذه اللغة هنا مع العلم أنه لم يحذف في المضعف (إن ضللت، صددت) فلماذا استعملها هنا؟ استعملها في القرآن مرتين: هنا وفي سورة الواقعة (فظلتم تفكهون). هنالك ظاهرة عامة في القرآن الكريم أن القرآن يحذف من الفعل إذا كان زمنه أقل مثل (تتوفاهم وتوفاهم) الذي زمنه أقل يحذف منه مراعاة بين قصر الفعل والزمن. هذه ظهرة عامة في القرآن الكريم منتشرة متسعة (استطاعوا، اسطاعوا، تتنزل، تنزل) تتنزل أكثر من تنزل الأن تلك في ليلة واحدة ليلة القدر (تَنزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرِ (لَكَي القدر) أما الثانية (إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْرُنُوا وَأَبْشِرُوا بالْجَنَةُ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتنزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْرُنُوا وَأَبْشِرُوا بالْجَنَةِ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتنزل.

هنا (وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا) يتكلم عن السامري الذي صنع العجل، كم ظلّ عاكفاً عليه؟ على مدة ذهاب موسى عليه السلام وعودته وليس كالذي يعبد الأصنام طول عمره لكن بمقدار ما ذهب موسى عليه السلام وعاد وقال له (لَّنْحَرِّقَتَهُ ثُمَّ لَتَسفَنَّهُ فِي الْيُمِّ نَسْفًا). إذن هذا البقاء قليل فحذف من الفعل لأن هذه العبادة لا تشبه عبادة الآخرين الذين يقضون أعمارهم في عبادة الأصنام لكن هذه مدة قصيرة بمقدار ما ناجى موسى عليه السلام ربه ثم عاد فحذف من الفعل إشارة إلى قصر الزمن. حتى في سورة الواقعة (لَوْ نَشاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَفْكُهُونَ (٥٦)) بداية الآيات (أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٣٣) أَأَنتُمْ تَوْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٢٤) لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٥٦)) تفكهون، كم يتكلم؟ قليل فحذف من الفعل. وعلى الأكثر أن اللام الوسطى المكسورة هي التي تُحذف، أصل الفعل ظلِلْت لكن ليس فيها قاعدة.

سؤال: ما معنى الدنو في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لَّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيهِنِّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٥) الأحزاب؟

نحن نتكلم في اللغة وليس في الفقه. الإدناء هو التقريب. الجلباب في اللغة هو ما يستر من الملابس سواء فوق الثوب أو الثوب. لغوياً هو الساتر من اللباس يسمى جلباباً. (يُدْنينَ عَلَيْهنَّ مِن جَلَابيبهنَّ) أي يرخين عليهن. الإدناء هو

الإرخاء والإسدال، ما ستر الجسم كله. عند اللغويين من فوق إلى أسفل، هذا في اللغة. الجلباب الذي يستر من فوق إلى أسفل وقسم يقول هو كل ثوب تلبسه المرأة فوق الثياب. يدنين أن يقرّبن عليهن، يسدلن عليهن لأن الإدناء فيه الإرخاء والإسدال. الإدناء ستر الجسد من فوق إلى أسفل.

في سورة النور (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ (٣١)) الخمار هو غطاء الرأس، والجيب هو فتحة الصدر. هذا في حدود اللغة وليس من الناحية الفقهية.

سؤال: ما دلالة إدخال الأنعام في خلق الإنسان في الآية (خَلَقَكُم مِّن تَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَرْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦) الزمر؟

من المقصود بالنفس الواحدة؟ آدم عليه السلام، ومن المقصود بــ (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)؟ حواء. هذان آدم وحواء أنولهما إلى الأرض وأنزل معهما طعامهما مستلزمات الحياة فذكر (وأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ. هذه الزهما إلى الأرض وأنزل معهما طعامهما مستلزمات الحياة فذكر (وأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ . هذه الأرض وأوجود الإنسان على الأرض. أما نحن فقد خُلِقنا بعدها (أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خُلُقًا مِن بَعْدِ خُلْقٍ) هذا ليس آدم وحواء وإنما نحن وذكر خلق آدم وحواء في بداية السورة. خلقهما وأنولهما وكان العذاء معداً لهما فلا ينزلهم بدون غذاء. أما (أَزْوَاجِ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خُلُقًا مِن بَعْدِ خُلْقٍ) فهذا نحن لذا ذكرها بعد الأولى (خلق آدم وحواء). إذن خلق آدم وحواء سابقة علينا وذكر ما يتعلق بهما ثم ذكر خلقنا نحن وليس الكلام على آدم هنا. لذلك لاحظ في سورة النحل لما ذكر تعالى خلقنا ذكر بعدها الأنعام (خَلَقَ خَلَقَ وَلِيسَ الكلام على آدم هنا. لذلك لاحظ في سورة النحل لما ذكر تعالى خلقنا ذكر بعدها الأنعام (حَلَقَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) الإنسَانَ مِن تُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّينٌ (٤) وَالأَنْعَام خَلَقَهَا المَا هنا وليس لآدم. أما في سورة الزمر ذكر آدم ثم ذريته من بعد.

الحلقة ٢١

سؤال: ما الفرق بين أنزلنا ونزّلنا في آيتي سورة الأنعام (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسِ فَلَمَسُوهُ بَأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ (٩)؟

السؤال عن آيتين متصلتين في سورة الأنعام قال تعالى في الأولى (نزّلنا) وفي الثانية (أنزلنا)، قال تعالى (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْهِ مَلَكٌ عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسِ فَلَمَسُوهُ بَأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَوْلَا أَنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَوْلَا أَنزِلَ عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ (٩)). عندنا نزّل (فعّل) وأنزل (أفعل)، نزّل أهم وآكد – خاصة في الاستعمال القرآني – من أنزل كما يستعمل القرآن وصيّى وأوصى: يستعمل وصيّى في أمور الدين وأوصى في أمور الدنيا (قُلْ تَعَالُواْ أَثْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاً تُشْرِكُواْ بهِ شَيْئًا وَبالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَق نَحْنُ نَوْزُقُكُمْ وَلِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ اللَّهُوا حِشَ مَا ظَهَرَ مَنْ إَمْلاَق نَحْنُ نَوْزُقُكُمْ وَلِيَاهُمْ وَلاَ تَقْوَلُونَ (١٥١) الأنعام) (وَوَصَى مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْرَبُواْ النَّقُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥) الأنعام) (وَوَصَى في أَمْور عَمَاكُمْ بهِ لَعَلَّكُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ النَّقُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَ بالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥٥) الأنعام) (وَوَصَى مَنْ عَلَيْكُمْ وَقَالُونَ وَلاَ تَقْرَبُواْ النَّقُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَ بالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥٥) الأنعام) (وَوَصَى

بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَبِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوثُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) البقرة) (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا (٨) العنكبوت)، أوصى في أمور الميراث (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظَّ الأَنتَيْنِ (١١) النساء) لم تأت أوصى في أمور الدين إلا في موطن واحد اجتمعت الصلاة والزكاة (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) مريم). كرّم وأكرم: كرّم أوسع من أكرم، وذكرنا مرة الفرق بين استعمال نجّا وأنجا. إذن (نزّل) سيكون معناها أهمّ من (أنزل)، كيف تكون

أهم ولماذا غاير بين الصيغتين؟ قال تعالى (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ) تنزيل القرطاس يوحي بصورتين: إما أن ينزل القرطاس وحده من السماء ثم يأتي إلى يد الرسول وإما أن ينزل به ملك ثم يسلمه للرسول. إذن تنزيل القرطاس وحده أعجب، أن ينزل القرطاس من السماء ثم يأتي بنفسه ليد الرسول عجيب، الملك عاقل. (وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا) سيكون أمرين: قرطاس وحده عجيب أن ينزل أو ينزل به ملك أهم وآكد من إنزال ملك وحده إذن كيفما أخذناها ستكون أعجب ثم قال (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ) تنزيل القرطاس أمر ظاهر أما الملك فكيف يرونه ؟ تنزيل القرطاس أهم وآكد وأغرب من تنزيل الملك لذا قال نزّلنا وأنزلنا.

سؤال من المقدم: (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل)؟

الفرق ليس في المرتبة، هنا عندنا فعل أنزل ونزل، أنزل فعل متعدي ونزل فعل لازم (نزل من تلقاء نفسه). وهناك فرق بين أنزل ونزّل، قسم يقولون أنزل أي كله جملة واحدة وتزل منجماً لكن قسم من النحاة ردوا على هذا القول وقالوا ربنا تعالى قال (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدةً (٣٢) الفرقان). وقسم قالوا أنزل عام ونزّل خاص. قسم قالوا عموماً أنزل يكون لما أنزل جملة واحدة ونزّل بالتدريج ولذلك قالوا أنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا دفعة واحدة.

الإنزال والتنزيل غير الإنزال والنزول التي في الآية (وَبالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ (١٠٥) الإسراء). (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْر (١) القدر) يفرقون أنه أنزلناه من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم ينزل منجماً.

سؤال: ما دلالة استخدام المفرد ثم الجمع في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَرْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ مِمَّاتِكَ (٥٠) الأحزاب)؟

الرسول صلى الله عليه وسلم له خالات وله خال واحد. يذكرون من خالاته فريعة بنت وهب ويذكر خالة اسمها فاختة وله خال واحد.

وهناك سؤال آخر عن العم والعمات في قوله تعالى (وبنات عمك وبنات عماتك) الرسول صلى الله عليه وسلم له عمّات وبناهم متزوجات لكنه قال (وبنات عمك). ذكروا من أعمام الرسول صلى الله عليه وسلم العباس وحمزة وعندهم بنات غير متزوجات لكن هؤ لاء (العباس وحمزة) إخوان الرسول صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فإذن لا تحلّ للرسول صلى الله عليه وسلم بناهم وذكروا أبو طالب عنده أم هانئ فيكون له عمّ واحد فقط له ابنة والباقي متزوجات.

سؤال: ما الفرق بين نصر ف و فصل ونبين الآيات في قوله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) الأنعام) و (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَلُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البُّرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) الأنعام) و (مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَوْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَيْ يُؤْفَكُونَ (٧٥) المائدة)؟

التصريف هو التغيير (وتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٦٤) البقرة) تغييرها من جهة لأخرى، وعندنا الصرف والنحو والصرف هو النظر في التغييرات الحاصلة في أبنية الكلام. فالتصريف التغيير يأتي للمسألة الواحدة ويذكرها بصور شتى يغيّر فيها حتى يوصلها لك. مثلاً: إثبات الحياة بعد الموت، هذه مسألة، كيف يتوصل إليها؟ يتوصل لها بإحياء الأرض بعد موقما كمثال تمهيدي (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى (٣٩) فصلت) يعطي مشهداً تمثيلياً يذكر أمثلة، وأحياناً يستدل بالحياة الآخرة على خلق الإنسان وتطوره اللمَوْتَى (٣٩) فصلت) يعطي مشهداً تمثيلياً يذكر أمثلة، وأحياناً يستدل بالحياة الآخرة على خلق الإنسان وتطوره (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكرَ وَالْأَنْشَى (٣٩) أَلْشَى ذَلِكَ بِقَادِرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠٤) القيامة) هذا تصريف، يعني كل مرة يأتي بشكل حتى يثبت المسألة، يصرفها أي يغيرها بصور حتى يوصلها.

النفصيل هو إما أن يكون التبيين والفصل هو الحجز بين الشيئين وهذا الأصل. أحد أمرين: تبيين بصورة واسعة وإما يأتي بأمور متعددة مختلفة هذه وهذه وهذه يصير فصلاً وهذا موجود في القرآن. مثلاً يذكر صفة أهل الطاعة وأهل الإجرام ليسا موضوعاً واحداً وإنما يذكر أموراً متعددة من الحياة، هذا تفصيل. أما موضوع الحياة بعد الموت فموضوع واحد. هناك أمور في القرآن ليست موضوعاً واحداً: يذكر التوابين والمجرمين، أهل الطاعة وغير أهل الطاعة. مثال قوله تعالى (إنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ مِنَ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَالِقُ الْإصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ اللّهِ عَمَلَ لَكُمُ النَّجُومَ لِتَهَتَّدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبُحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) الأنعام) إنتقل من الحب والنوى إلى الإصباح ثم الشمس والقمر ثم النجوم، مواضيع أخرى ثم ينتقل يذكر أموراً كثيرة هذه تفصيل الحب والنوى إلى الإصباح ثم الشمس والقمر ثم النجوم، مواضيع أخرى ثم ينتقل يذكر أموراً كثيرة هذه تفصيل قطعاً قطعاً، يأتي بأمور كثيرة مختلفة وليست مسألة واحدة لذا يذكر التفصيل (قد فصلنا الآيات).

التبيين هو توضيح أمر واحد كما تبين الكلمة الواحدة أو تبين المسألة الواحدة. التصريف والنفصيل فيه تبيين. على سيل المثال (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُلُوا اللَّهَ رَبِّي سيل المثال (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشُوكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارِ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا مِنْ إِلَهِ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَتَنَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيْمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَلَاللَهُ قَالُوا يَتُو بُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُ وَنَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَلَى يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَالْمَالُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنِّى يُوْفَكُونَ (٧٥) المائدة)، نفس القضية فاستعمل نبين أي فوضح. التفصيل والتصريف غير التبين مع أن كلها إيضاح.

سؤال: ما الفرق بين نسبة الرسل إلى الله تعالى في الآية (وَلَقَدْ جَاء ثُهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ (٣٢) المائدة) ونسبتهم إليهم في الآية (وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ (١٠١) الأعراف؟

لما يذكر الأحكام التي تأتي عن الله تعالى يقول رسلنا ولما يتكلم بما يتعلق بموقف القرى من الرسل وما أصابهم من سوء يقول رسلهم. مثال (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ تَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيًا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاء تْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ فَيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيًا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاء تْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ فِيها أَحكام. (تِلْكَ الْقُرَى تَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ فَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢) المائلة) هذه جاءت عن الله تعالى وذكر فيها أحكام. (تِلْكَ الْقُرَى تَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَبْنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ أَنْوَا لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ الْمَالِقِيمِ وَكُوا اللهِ مَا كَذَبُوا عليهم أن ينتفعوا بالرسل. هم في الحالتين رسل لكن لما يتكلم عما جاء به عن الله تعالى يقول رسلنا ولما يذكر موقفهم وما أصابهم وكان يمكن الانتفاع بهم يذكر رسلهم أي جماعتهم.

سؤال: ما دلالة ذكر وعدم ذكر الياء في قوله تعالى (وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ (٩٧) الإسراء) و(مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ (٩٧) الإسراء) و(مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي (١٧٨) الأعراف)؟

TOLO ISLAMICBOOK.WS متاحة لجميع المسلمين

كتاب : لمسات بيانية المؤلف : الدكتور فاضل صالح السامرائي

المهتدي أطول من المهتدِ. لما يكون أطول يكون فيه هداية آكثر إضافة إلى أمر آخر. نضرب مثالاً: (مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي (١٧٨) الأعراف) قبلها قال (وَاثُلُ عَلَيْهِمْ نَباً الّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَحَ مِنْها فَأَثْبَعهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِن الْمُهْتَدِي (١٧٥) الأعراف) هذا الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها هل كان مهتدياً أول مرة أم لا؟ كان مهتدياً لكن كان يحتاج إلى قدر من الهداية أكبر حتى لا ينسلخ لذلك عقب عليها بـ (المهتدي) لأن الهداية التي كانت عنده ما عصمته من الإنسلاخ فكان يريد هداية أكثر وأطول حتى يرسخ ولا يزل ولا يضل لذلك عقب (فهو المهتدي) مثل قوله تعالى (ذلك ما كنا نبغي). أما في سورة الإسراء (فهو المهتدي) في قوله تعالى (وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُو الْمُهُوّلَةِ وَمَن يُصْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياء مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكُمًا وَصُمًّا مَلُواهُمْ جَهَيَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِذْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) الإسراء) هؤ لاء من أصحاب النار. ما الذي ينجي من الخلود في النار؟ أن يكون عنده هداية بسيطة (شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله) وقسم من الفروض. كانت تكفيهم قدر بسيط من الهداية يخرجهم من هذا. أما ذاك فكان يحتاج إلى هداية كيرة حتى لا ينسلخ، أما هؤ لاء فتكفيهم هداية قليلة. من الناحية النحوية الإعرابية (المهتدِ) تقدّر الحركة على الياء المخذوفة (فهو المهتد: المهتد خبر مرفوع بالضمة المقدرة على الياء الخذوفة (فهو المهتد: المهتد خبر مرفوع بالضمة المقدرة على الياء المخذوفة.

ثم هناك إضافة إلى ما ذكرنا ما نسميه السمة التعيرية للسورة مثلاً سورة مريم فيها الرحمة من أولها إلى آخرها. لو أخذنا سورة الأعراف وسورة الإسراء والكهف نلاحظ لفظ الهداية تردد في الأعراف أكثر من ما تردد في الإسراء وفي الكهف. في الأعراف ١٧ مرة وفي الإسراء ٨ مرات وفي الكهف ٦ مرات أي مجموع ما تردد في السورتين الإسراء والكهف ١٤ مرة فلما تردد لفظ الهداية أكثر في الأعراف زاد الياء.

سؤال: خالدين فيها وخالدين فيها أبداً، هل (خالدين فيها) فيها أمل الغفران أو الانتقال من مرحلة إلى أخرى؟

أشرنا قديماً إلى أن خالدين فيها أبداً فيها أحد أمرين سواء كان في الجنة أو في النار إما أن يكون تفصيل في الجزاء أو ذِكر أعمال إما جداً عالية أو جداً سيئة فيقول (أبداً) بالنسبة لأهل النار أو أهل الجنة. آيات كثيرة فيها خالدين وحدها وليس في العقيدة ألهم يغفر لهم (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ حَالِدِينَ فِيها وَبِئْسَ الْمُصِيرُ (١٠) التغابن) (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَهْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ اللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هَاللهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ الْمُصِيرُ (١٦٠) التغابن) (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَغْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَثِكَةِ وَالنَّاسِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٦٦) آل عمران) (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَغْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَثِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦٦) خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٦) البقرة) مسألة وجود وعدم وجود (أبداً) ليس لها علاقة بالخلود الدائم. (أبداً) ظرف زمان خاص بالمستقبل فقط وليس له دلالة زمنية معينة. نستعمل (قطّ) للماضي و(أبداً) للمستقبل وخطأ أن نقول ما رأيته أبداً وهذا خطأ لغوي شائع. نقول لا أكلمه أبداً وما رأيته قطّ. (أبداً) للمستقبل الذي ليس له نهاية.

يذكر (أبداً) إذا كان هناك تفصيل (يمكن أن نخصص نصف حلقة للحديث في هذا الموضوع إن شاء الله تعالى مع أننا ذكر ناها سابقاً). هناك أمران: إذا كان هناك تفصيل في الجزاء يقول (أبداً) تكون مناسبة، تفصيل الجزاء سواء في العقاب أو الثواب. (خالدين فيها أبداً) أطول من (خالدين فيها) فيذكرها مع التفصيل. أو كون العمل للذكور يستوجب الشدة فيستخدم (أبداً). (أبداً) لا تحمل معنى التأبيد الدائم أو عدم الخروج لأن الخلود وحده يحمل هذا المعنى. القرآن يستعمل خالدين لأهل الجنة وأهل النار. والخلود لغوياً يعني البقاء وهم يقولون الزمن الطويل أحياناً.

سؤال: (وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) الكهف) هل النفجير تشقق الأرض وخروج الماء أم جريان الماء من داخل الأرض؟

النفجير هو إخراج الماء بغزارة. والانبجاس أقل من النفجير والإخراج أقل.

سؤال: ما معنى غيابة الجب رقالَ قَاتِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ (١٠) يوسف)؟ وهل هي من الغياب؟

يقولون إما قعر الجُبّ أي نهايته ثم غيبته عن عين الناظر. قسم يقولون هو كهف في الجب ويسمى غيابة لأنه غائب عن عين الناظر. عندنا بئر وجُبّ وقليب. الجُبّ يعني البئر الذي فيه الماء كما توضح الآية (وَجَاءت ْسَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِنَهُمْ فَأَذْلَى دَلْوَهُ (١٩) يوسف) تفيد أن الجب فيه ماء. ألقوه في مكان لا يراه أحد. البئر قد يكون فيها ماء وقد لا يكون كما قال تعالى (وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ (٤٥) الحج).

سؤال: (ن والقلم وما يسطرون) هل التسطير يتبع الكتابة بهذا القلم؟ وهل التسطير مرتبط بالقلم؟

التسطير يعني الكتابة وهو معطوف على القسم. النّحاة يرون أنه قَسَم واحد ونعطف عليه وليس قسماً مستقلاً. (والنازعات غرقاً) هذا هو القسم والباقي معطوف على القسم فيكون قسماً بدليل (والنّازِعَاتِ غَرْقاً (١) والنّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) والسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣)) ثم جاء بالفاء وهي ليست حرف قسم وإنما حرف عطف (فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥)). الواو عاطفة على القسم والفاء عاطفة على القسم فكان حكمها قسم والمعنى قسم. المعطوف على الشيء له حكمه فالمعطوف على المبتدأ مبتدأ والمعطوف على الخبر خبر والمعطوف على الفاعل فاعل فالحكم واحد والإخبار عنهم واحد. إذا كان القسم بحرف القسم (الباء أو الواو أو التاء) أو (لعمرك) أي وحياتك أو أيمن الله أي يمين الله أو أيم الله هذه كلها قسم. (ن والقلم وما يسطرون) القسم بالقلم، و (ن) مثل (ق) أحرف مقطعة. (والقلم) القسم (وما يسطرون) معطوفة على القسم فلها حكمه. يسطر أي يكتب والفرق بين سطر وكتب أن الكتابة قد تكون حرفاً واحداً أو حرفين أو كلمة أما السطر فالكتابة أكثر.

سؤال: أيهما أسبق في الخلق السماء أو الأرض؟

قال تعالى (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتُقًا فَفَتَقْنَاهُمَا (٣٠) الأنبياء) كانت مع بعض، أطوار الخلق الني تأتي بعد الخلق تختلف أما الخلق فمع بعض بدليل الآية فهي مخلوقة معاً لكن أطوار بعد الفتق الأرض أخرج ماءها ومرعاها والجبال أرساها هذه أطوار وهي أمور أخرى وهكذا السماء بعد الفتق جعل فيها شموساً وكواكب وجعلها سبعاً أما الخلق ففي وقت واحد كما في الآية ليست إحداهما أقدم من الأخرى لكن قد تكون هناك حالة في الأرض متقدمة أو متأخرة. (والأرض بعد ذلك دحاها) لم يقل خلقها وإنما دحاها أي بسطها كانت مع السماء ثم فتقها وبسطها أو جعلها كرة على رأي من يقول أن الدحي هي يضة النعام، هذه صور تأتي وليست خلقاً. السماء والأرض خلقتا معاً لكن اختلفت الأطوار وليس لها علاقة بالخلق.

سؤال: ما دلالة استخدام (نَهَر) في الآية (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ (٢٤٩) البقرة) ولم يقل هُر؟

هما لغتان نَهَر ونَهْر والقرآن استعمل نَهَر ولم يستعمل نَهْر أبداً، ما استعمل كلمة نَهْر. والنَهَر جمع أنهار ويستعمل أحياناً الجنس الواحد على الكثير. النَهَر واحد الأنهار والنهْر واحد الأنهار أيضاً. هذه اللغة التي يستعملها القرآن. القرآن استعملها بالفتح (وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) الكهف) (إِنَّ اللَّهَ عَبَّاتٍ وَنَهَرٍ (٤٥) القمر) (إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ).

سؤال: ما دلالة استخدام قريب في الآية (وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَريبٌ مِّنَ الْمُحْسنينَ (٥٦) الأعراف) ولم يقلَ قريبة مع أن الرحمة مَوْنثة؟

أهل اللغة يقولون إذا كان القُرب من النسب نقول قريبة مثل فلانة قريبتي وإذا لم يكن القُرب من النسب نقول قريب ونقول قريبة (هي قريب مني) إذا كنت تقصد المكان أو قريبة مني. إذن إذا كان القرب من النسب نقول (قريبة) مؤنثة وإذا كان من غير النسب يجوز الأمران، هذا حكم لغوي عام.

في الآية اختار تعالى (قريب) على قريبة مع أن الاثنين جائز بحسب الحكم النحوي اللغوي (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) الأحزاب) الساعة مؤنث واستعمل قريباً. سبب الاختيار أن رحمة الله تعالى قريب من المحسنين (بالتذكير) فيها حكمين: حكم نحوي أنه قد يكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير والتأنيث بشرط أن يكون إما جزءاً أو كالجزء في الاستغناء عنه مثال:

مشينا كما اهتزت رماح تسفّهت أعاليها مرّ الرياح (الرياح) مضاف إليه مؤنث وقال (تسفّهت) كان يجب أن يقول تسفّه

وتشرق بالأمر الذي أذعته كما شرقت صدر القناة

مؤنث، صدر مذكر شرقت اكتسبت التأنيث من المضاف إليه. وقد يكتسب الجمع (وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار ا) أخذها من الديار وهذا جائز. يكتسب المضاف من المضاف إليه بشروط معينة أن يكون جزءاً أو كاجزء في الاستغناء عنه وهذه قاعدة. (لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة) لم يقل تواضع.

عبّر عن ربنا بالتذكير فرحمة الله قريب اكتسبت التذكير، هذا أمر. لماذا اختار التذكير ولم يجعله على التأنيث؟ ربنا تعالى أراد أن يشير إلى أن رحمته وهو قريب كلاهما الله سبحانه وتعالى قريب ورحمته قريبة أيضاً. لو قال قريبة كانت تدل على الرحمة فقط لكن الله سبحانه وتعالى هو قريب (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ (١٨٦) البقرة) أي هو ورحمته قريب من المحسنين. هذا من باب التوسع في المعنى.

الحلقة ٢٣

سؤال: ما دلالة لا تحزن في الآية (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا (٠٠) التوبة) ولماذا لم يقل لا تخف؟ وما الفرق بين الخوف والحزن؟

الخوف هو توقع أمر مكروه لم يقع بعد والحزن على ما وقع من المكروه، إذا وقع المكروه حزِنت. إذن الحوف يسبق الحزن، أن تتوقع أمراً مكروها تخشى وتخاف أن يقع فإذا وقع حزن. بالنسبة للآية الكريمة (لا تحزن) كان أبو بكر رضي الله عنه يخاف الطلب أن يُدرك من قِبَل الكفار حتى ذُكِر أنه كان يمشي أمام النبي صلى الله عليه وسلم وعن يمينه وعن يساره يقول أخشى أن يأتي الطلب من اليمين أو الأمام أو اليسار، الآن هما في الغار فقال لو نظر أحدهم إلى أسفل لرآنا، إذن الآن وقع الطلب بالنسبة لأبي بكر، هم حضروا إلى الغار. الخشية من الطلب، من إدراك الكفار هم واللحاق بهم لأنه لو لحقوهم أدركوهم. الآن في تقدير أبو بكر ألهم لحقوا بهم لما وصلوا إلى الغار. هو كان يخشى الطلب والطلب انتهى الآن الأن الكفار وصلوا إلى الغار وقال لو نظر أحدهم إلى أسفل لرآنا فصار حزناً على ما وقع أن القوم وصلوا. ما كان يخافه حصل فصار حزناً. مرحلة الخوف انتهت لذا قال (لا تحزن). هو حزن وكان يخشى من لحاق القوم بهم وأن يقعوا فريسة بين أيديهم والآن وصل الكفار وحصل الأمر بالنسبة له فحزن على ما حصل ومرحلة الخوف ولّت فصار حزناً. فالخوف إذن توقّع حدوث شيء مكروه أما الحزن فيكون على ما وقع.

سؤال: ما دلالة ضمير التعظيم في قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة) (لو أنزلنا هذا القرآن) ولم يقل قال وأنزل؟

قال وأنزل تأتي بلفظ الإفراد وبلفظ التعظيم يأتي بـ قلنا وأنزلنا. إذا كان في مقام التعظيم يسنده إلى مقام التعظيم يقول (قلنا) وإذا كان في مقام التوحيد يكون في مقام الإفراد، يقول تعالى (إنَّني أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) طه) إذا كان في مقام الصَّلَاة لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَة ءَاتِيةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) طه) إذا كان في مقام التعظيم يجمع. (وقَدْ خَلَقتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْنًا (٩) مريم). وقسم أيضاً يقول أنه إذا كان أمر الله بواسطة الملك يلقيه يأتي بضمير الجمع وإذا لم يكن كذلك يُفرِد. على سيبل المثال: (وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِتِا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٩) الأنبياء) لأن النافخ تمثل لها بشراً سوياً بواسطة فرَّجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُوحِتِا وَجَعَلْنَاهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (٠٤) الأنبياء) لأن النافخ تمثل لها بشراً سوياً بواسطة ملك أما عن آدم فقال تعالى (فَإذَا سَوَيَّتُهُ وَقَخَتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ص). إذا كان الأمر بواسطة الملك يجمع (قُلْنَا احْمِلُ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (٠٤) هود) الملك يبلغ هذا. هذا أمر عام، لكن هناك أمر آخر نذكره وهو أنه في كل مقام تعظيم لا بد أن يسبقه أو يأتي بعده ما يدل على الإفراد في القرآن كله. لا تجد

مكاناً للتعظيم إلا وسبقه أو جاء بعده ما يدل على الإفراد (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)) هذه تعظيم ثم يقول بعدها (تَنَوَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ) رب واحد إفراد ما قال بأمرنا. لو قرأنا في سورة النبأ (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) ثم قال (جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَابًا (٣٦)) بعد كل جمع تعظيم إفراد.

ليس هناك في القرآن موطن تعظيم إلا سبقه أو جاء بعده ما يدل على المفرد (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْتُرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَالْحَرْ (٢) الكوثر) لم يقل فصلِّ لنا. هذا لم يتخلّف في جميع القرآن مطلقاً. إذن عندنا مقام تعظيم ومقام توحيد، يجمع في مقام التعظيم ويفرد في مقام التوحيد ويقال أنه إذا كان بواسطة اللّك يجمع مع إحتراز أنه ليس هنالك مقام تعظيم إلا وقبله أو بعده إفراد.

سؤال: ما دلالة اختلاف فواصل الآيات في الآيات (٥٨ – ٢٤) في سورة الحج؟

(وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيرْ زُقَتَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩)) هذان الإسمان يناسبان الآية: (عليم) قال تعالى (لَيدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ) إذن ينبغي أن يعلم ما يرضيهم. مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ) إذن ينبغي أن يعلم ما يرضيهم. مُمْ هؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله ينبغي أن يعلم بأحوالهم وأحوال أعدائهم. و (حليم) فلا يعاجل أعداءهم بعقوبة أنت تتمنى أن يعجل لهم بالعقوبة لكن الله تعالى حليم. الجلم الذي لا يعجّل بالعقوبة ويُمهل.

الآية الثانية (ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِشْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِي عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُو ّ غَفُورٌ (١٠) الآية هو عاقب بما عوقب به ثم بغي عليه لكنه لم يعاقب الآن، ما قال أخذ حقه وما قال كالأولى (عاقب بمثل ما عوقب به) ولكنه فقط بُغيَ عليه لم ينصره أحد فقال (إن الله لعفو غفور) ثم عفا وغفر. لما قال تعالى (إن الله لعفو غفور) إشارة إلى أنه إذا عفا وغفر نصره الله لأن الله تعالى يقول له (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ (١٤) الشورى) (وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقُوى (٢٣٧) البقرة) عندما قال بُغي عليه ولم يأخذ بحقه معناه أنه عفا وغفر. في الأولى قال عوقب فعاقب، ثم لما بغي عليه لم يأخذ حقه وربنا تعالى ما دام عفا وغفر ينصره الله ثم قال (لعفو غفور) تخلقوا بأخلاق الله تعالى فالله عفو غفور فأنت اعف واغفر. هذا إلماح لنا لأن نعفو ونغفر وأن لا نعجّل بالعقوبة، تلميح لنا بأن الله تعلى عفو غفور أن نعفو ونغفر فهذا توجيه لنتخلق بصفات الله عز وجل. هذه إشارة إلى أنه لم يعاقِب ولم يأخذ بحقه وإنما وغفر والله عفو غفور فقور فقال (لَينصُرنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ لَعَفُونٌ غَفُونٌ).

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦٦)) الليل آلته السمع لا الإبصار والنهار السمع والأبصار. الله سبحانه وتعالى في الليل والنهار سميع بصير هذا أمر. إذن الآية مرتبطة بقوله تعالى (يولج الليل في النهار) ومرتبطة بما قبلها (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) يسمع ويرى من عاقب ومن عوقب. ثم قال (لينصرنه الله) والناصر ينبغي أن يسمع ويرى وإلا كيف ينصر؟. مرتبطة بالليل والنهار وآيتهما السمع والبصر والله سميع بصير ومرتبطة بما قبلها في كونه ناصراً ة في كونه يرى ويسمع من عاقب ومن عوقب.

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)) الناصِر لمن بُغيَ عليه والذي يولج الليل والنهار والسميع البصير أليس هو العلي الكبير؟ بلي.

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصِبْحُ الْأَرْضُ مُخْصَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣)) لطيف أي منفضًل على العباد يلطف بجم بإيصال منافعهم أن تصبح الأرض مخضرة هذا من لطفه سبحانه بالخلق. خبير أي عليم بدقائق الأمور. وبمصالحهم يلطف عن خبرة بالمقادير التي يفعلها وعن حكمة. إذن عندما أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة هذا لطف بالعباد كلهم وعليم بالمقادير إذن هو خبير لطيف يرفق بعباده.

(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٥)) الذي له ما في السموات والأرض من أغنى منه؟! لا أحد، وقطعاً هو سبحانه الغني الحميد. الحميد هو المحمود في غناه. لأن أحياناً يكون الشخص محموداً في فقره ولا يُحمَد في غناه لأنه قد يغير وكثير من الناس تغيروا لما صاروا أصحاب أموال أما الله سبحانه وتعالى فهو المحمود في غناه وفي كل شيء ولذلك كثيراً ما يجمع الغني والحميد في القرآن (فَإِنَّ اللَّهَ غَنيُّ حَمِيدٌ (١٢) لقمان) المحمود في الله هُوَ الْغَنيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) لقمان). أما سبب الاختلاف في التوكيد نشرحه في وقت آخر. الآية الأخيرة (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إلَّا بإذْنهِ إِنَّ اللَّهَ بالنَّاسِ لَرَوُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥)) لو لم يرأف بحم ما أمسك السماء. إذن هذا التسخير سخر لكم ما في الأرض والبحر ويمسك السماء هي كلها رأفة ورحمة إذن رؤوف رحيم مناسبة للآية.

سؤال: من سورة فصلت إلى سورة الأحقاف تبدأ بـ (حم) ثم تنزيل الكتاب من الله واختلفت الصفات (صفات الله سبحانه وتعالى) المرتبطة بتنزيل الكتاب فمرة تأتى الرحمن الرحيم ومرة العزيز الحكيم، فما دلالة هذا؟

هي ليست محتصة بـ (حم) فقط وإنما تبدأ من سورة البقرة (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه) آل عمران (ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزّل عليك الكتاب) الأعراف (ألمس كتاب أنزل إليك)، (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)، (يس والقرآن الحكيم) (ق والقرآن المجيد) (ص والقرآن ذي الذكر) فهي ليست مختصة بـ (حم) فقط وإنما في غالب الأحرف المقطعة. وأشهر ما قيل في ذلك أن هذا الكتاب الذي تحداكم به وأنزله رب العالمين هو من مفردات كلامكم فافعلوا مثله. يأتي من هذه المفردات بكلام معجز، هذا أشهر ما قيل في هذا. وقسم قال أنه يجمع بين الأحرف لكن أشهر ما قيل أنه من مفرداتكم لذلك عقب في أغلبها بالكلام عن القرآن والذكر.

سؤال: متى تأتي (ليَ) كما في قوله تعالى (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي (٢٢) إبراهيم) ومتى تأتي (لي)؟ هذا جائز في اللغة.

السؤال أوسع من هذا. هذه مسألة ياء المتكلم فتح ياء المتكلم وعدم فتحها ولا تتعلق فقط بـــ (ليَ ولي)، (ولييَّ، وليَّ). عندنا مواطن وجوب الفتح وما عداها جواز و في القرآن حسب النقل. عندنا مواطن وجوب الفتح يكون:

بعد الاسم المقصور. (قُلْ إنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) الأنعام) لا يمكن التسكين،

(فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) البقرة). والاسم المقصور هو الإسم المُعرَب الذي آخره ألف لازمة (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا (١٨) طه) عصى منقوص أضفها إلى الياء فتقول (عصاي)، هدايَ، محيايَ هنا الياء واجبة الفتح.

بعد الاسم المنقوص. والاسم المنقوص هو الإسم المعرب الذي آخره ياء لازمة قبلها كسرة (معطي) تقول أنت معطيَ كذا، أنت مُنجيَّ.

بعد المثنى (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ (٢٨) نوح) لا بد من الفتح. (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ (٢٧) القصص).

جمع المذكر السالم (مَّا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِحِيَّ (٢٢) إبراهيم).

هذه المواطن التي يجب فيها الفتح. ثم كيف ورد في النقل هو الذي يحدد. أما الباقي فيجوز فيه السكون والفتح. يمكن أن تقول آتاني الله أو آتاني لكن النقل هو الذي يحدد. إن وليي الله يمكن أن تقول وليي الله. آتاني يجوز السكون لكن تحذف الياء في النطق.

سؤال: متى تثبت الياء ومتى تحذف كما في قوله (واخشوني، واخشون)؟

هذا التعبير له نظائر في القرآن (اتبعني، إتبعن، كيدوني، كيدون، أخرتني، أخرتني). أما إخشوني واخشون فوردت الأولى في سورة البقرة والثانية وردت في المائدة. عندما تحذّر أحدهم التحذير يكون بحسب الفِعلة قد تكون فِعلة شديدة. مثلاً لو أحدهم اغتاب آخر تقول له إتق ربك وقد يريد أن يقتل شخصاً فتقول له إتقي الله، فالتحذير يختلف بحسب الفعل إذا كان الفعل كيراً يكون التحذير أشد. فعندما يُطهِر الياء يكون التحذير أشد في جميع القرآن عندما يُظهر الياء يكون الأمر أكبر.

عندنا (إخشوني) إذن التحذير أكبر. ننظر السياق في الآية التي فيها الياء (واخشوني) (وَمِنْ حَيْثُ حَرَجْتَ فَوَلِّ وَجُهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِنَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمُ وَاخْشَوْنِي وَلاَّتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٥٠) البقرة) هذه في تبديل القبلة فجاءت إخشوني بالياء لأنه صار كلام كثير ولغط وإرجاف بين اليهود والمنافقين حتى ارتد بعض المسلمين، هذا تبديل للقِبلة (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَشِّعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً لِلاَّ عَلَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣) البقرة) هي أمر كبير لذا قال (واخشوني).

الآية الأخرى في سورة المائدة (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْحِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بهِ وَالْمُنْحَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُب وَأَن تَسْتَقُسمُواْ بالأَزْلاَم ذَلِكُمْ فِسْقُ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْبِ (٣)) هذا يأس وذاك إرجاف. هذا الموقف ليس مثل ذاك، هؤ لاء يائسين فصار التحذير أقل. وفي الآية الثانية (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَثُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشُواْ النَّاسَ اللّهِ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشُواْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولِيكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)) ليس فيها محاربة ولا مقابلة فقال (واخشونِ) بدون ياء. إذن المواطن التي فيها شدة وتحذير شديد أظهر الياء. والحذف في قواعد النحو يجوز والعرب تنخفف من الياء لكن الله سبحانه وتعالى قرنها بأشياء فنية.

مثال آخر في غير التحذير (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) يوسف) بالياء (فَإِنْ حَآجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِلّلّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَاللّهُ مَتِينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَلَواْ وَإِن تَوَلَّواْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبُلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بالْعِبَادِ (٢٠) آل عمران) بدون ياء. ننظر أي الذي يحتاج إلى اتباع أكثر؟ الذي يدعو إلى الله على بصيرة أو مجرد أن يكون مسلماً فقط؟ لا شك أن الداعية ينبغي أن يكون مثلاً في سلوكه ومعرفته هذا الداعية ينبغي أن يكون مثلاً في سلوكه ومعرفته هذا يحتاج للياء (فاتبعوني). المتبعين ليسوا كالدعاة الذين يحتاجون لاتباع أكثر لذا قال (ومن اتبعني) أما عموم المسلمين فلا يعرفون إلا القليل من الأحكام. إذن موطن الدعوة إلى الله على بصيرة تحتاج لمقدار اتباع أكثر فقال (فاتبعوني) بالياء.

(فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخُرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبِ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) المنافقون) وإبليس قال (قَالَ أَرَّأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (٢٦) الإسراء) بدون ياء. مَنْ من هذين الذين يطلبون التأخير هو في مصلحة نفسه؟ الأول لأنه قال (فَأَصَّدَقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ) أما الثاني أي إبليس في مصلحة نفسه وإنما (لاَّحْتَكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ) فلما كان الأمر لنفسه أظهر نفسه (أخرتني). إضافة إلى أن (لولا) من أدوات الطلب والتحضيض، طلب صريح، (لولا وألا) من أدوات الطلب والتحضيض. (لئن) طلب ضمني، هذا شرط مسبوق بقسم، هذا طلب ضمني وليس طلباً صريحاً. أما لولا فهو طلب صريح (لولا أخرتني). فلما كان الطلب صريحاً أظهر الياء صراحة ولما كان في الثانية إشارة إلى الطلب هو أشار إلى ضمير المتكلم (أخرتني). إذن عند التصريح صرّح وعند الإشارة أشار. إذن إظهار الياء في المواطن الجلل.

الحلقة ٢٤

سؤال: ما معنى الآية (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ (٤١) الرعد)؟

قوله تعالى (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) القدامي لهم فيها تفسيران مشهوران وربما أكثر: أن نأتي البلاد (بلاد الكفر) نفتحها شيئاً فشيئاً ونلحقها بدار الإسلام، هذا أحد النفسيرين للشهورين والآخر موت العلماء (علماء الإسلام) الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها إن يمت عالم مات طرف ، هذا تفسير القدامي. المحدثين لهم فيها رأيين أيضاً: الأول أن فيها إعجاز علمي ألها كروية يبضية ننقصها من أطرافها تكون كالبيضة أي ليست على طول واحد في الأطراف وإنما بعضها أقصر من بعض. والآخر ألها تنقص باستمرار تنكمش الأرض ويقل حجمها، كانت

ضخمة كبيرة ثم يتبخر منها شيء من الغازات بشكل مستمر ثم تنقص من أطرافها. تنقص أي بصورة مستمرة تنكمش ويصغر حجمها شيئاً فشيئاً يخرج ما يخرج من جوفها. عندما تنقص تتبخر الغازات وتنكمش شيئاً فشيئاً والله أعلم. الخطاب في الآية عام قال تعالى (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْعَالِبُونَ (٤٤) والله أعلم. الخطاب في الآية عام قال تعالى (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْعَالِبُونَ (٤٤) الأنبياء) معناها التوجيه الأول أنه فتحها وألحقها بدار الإسلام، وفي موضع آخر قال تعالى (فهم الغالبون) الغلبة تكون للإسلام فالمراد الإسلام بموجب التعقيب، هذا التعقيب (والله يحكم لا معقب لحكمه). سؤال: ما الفرق بين الخشية والخوف والوجل؟ (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (٣٥) الحج) (تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ (٣٥) الزمر) (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ (٥٠) النحَل)؟

الحنوف تكلمنا عنه في الحلقة الماضية في إجابة عن سؤال (لا تحزن إن الله معنا). الحوف توقع أمر مكروه يخاف من شيء أي يتوقع أمر مكروه لأمارة معلومة فيخاف شيئاً. الخشية خوف يشوبه تعظيم ولذلك أكثر ما يكون ذلك إذا كان الخاشي يعلم ماذا يخشى ولذلك قال تعالى (إنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْفُلَمَاء (٢٨) فاطر) أكثر من يكون الخشية عن علم مما يخشى منه، لماذا يخشى؟ هنالك مسألة يعلمها تجعله يخشى فلذلك قال تعالى (إنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْفُلَمَاء) لأن العلماء أعلم برهم من غيرهم فهم أكثر الناس تعظيماً لله عز وجل. وقسم قال الخشية أشد الخوف. نلاحظ أمرين: هم يقولون الحوف توقع أمر مكروه وعندنا آيتان توضحان المسألة: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ وَقَضْلُ لَمْ يَمْسَسُهُمْ سُوءٌ وَاتَبْعُواْ رضوانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَصْلُ عَظِيمٍ (١٧٤) إنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُحَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَشُوهُمْ وَحَافُونِ إِن كُشُم مُؤْمِنِينَ (١٧٥) آل عمران) و (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفُرُواْ مِن دِينكُمْ فَلاَ تَحْشَوْهُمْ وَخَافُونِ إِن كُشُم مُؤْمِنِينَ (١٧٥) آل عمران) و (الْيوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفُرُواْ مِن دِينكُمْ فَلاَ تَحْشَوْهُمْ وَخَافُونِ إِن كُشُم مُؤْمِنِينَ (١٧٥) آل عمران) و (الْيوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفُرُواْ مِن دِينكُمْ فَلاَ تَحْشَوْهُمْ وَخَافُونِ إِن كُشُم مُؤْمِنِينَ (١٧٥) فَانقَلَواْ بِنعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلُ لِمَّ يَمْسَسُهُمْ سُوءٌ وَاتَبَعُواْ رضوانَ اللهِ وَاللهُ وَاللهُ وَقَصْلُ اللهُ وَفَصْلُ عَظِيم (١٧٤) اللهُ وَنعُمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فانقَلَواْ بيعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَصْلُ لِمَّ يَمْسَسُهُمْ سُوءٌ وَاتَبَعُواْ رضوانَ اللهِ وَاللهُ وَاللهُ وَقَصْلُ عَظِيم (١٧٤) اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَقَصْلُ عَظِيم (١٧٤) اللهُ وَنعُمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فانقَلَواْ بيعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَصْلُ لَمْ يَمْسَسُهُمْ سُوءٌ وَاتَبَعُواْ رضوانَ اللهِ وَاللهُ وَقَصْلُ وَلَا لَهُ وَلَا لَكُمُ الشَّيْطُانُ وَلَاللهُ وَاللهُ وَقَصْلُ عَلْمَ وَلَا لَكُمُ الشَّيْطَانُ

يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءُهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥) آل عمران). الخشية أشد الخوف، في مقام أشد الخوف، ثم هي في مقام توقع سياق مكروه فقال (فلا تخافوهم وخافون). والآية الأخرى (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ) ليس هناك توقع مكروه فقال (فاخشوهم). في توقع مكروه قال فلا تخافوهم ولما لم يكن توقع مكروه قال فاخشوهم. (قد جمعوا لكم فاخشوهم) أشد الخوف. هذه اللغة، الخشية أشد الخوف و في بعض السياقات تحتمل الخوف الذي يشوبه تعظيم والسياق هو الذي يحدد.

الوجل يقولون هو الفزع ويربطونه باضطراب القلب تحديداً كضربة السعفة (سعفة النخل) كما قالت عائشة رضي الله عنها "الوجل في قلب المؤمن كضربة السعفة" ويقولون علامته حصول قشعريرة في الجلد. وقالوا الوجل هو اضطراب النفس ولذلك في القرآن لم نجد اسناد الوجل إلا للقلب. إما للشخص عامة (قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجُلُونَ (٥٢) الحجر) أو للقلب خاصة (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ (٣٥) الحجر) فقط أسند للقلب في حين أن الحوف والخشية لم يسندا للقلب في القرآن كله. الوجل في اضطراب القلب تحديداً (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةً (٣٠) المؤمنون). وترتيب هذه الكلمات هو: الخوف، الخشية، الوجل.

سؤال: ما دلالة اختلاف التعقيب في هذه الآيات مع أن أولها واحد (وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) المائدة) (وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٤) المائدة) (وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) المائدة) ؟ وما الفرق بين الظالمون والقاسقون والكافرون؟

نتحدث عن الفرق من الناحية اللغوية. المعروف أن الظلم هو مجاوزة الحدوالكفر هو الخروج عن اللّه، الظلم قد يكون درجات حتى يصل إلى الكفر قال تعالى (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤) البقرة). الكفر الخروج عن اللّه وقد يكون هناك مسلم ظالم، الظلم درجات في المجاوزة قد لا يصل إلى درجة الكفر وقد يتدرج حتى يصل إلى الكفر وقال تعالى (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) لقمان) هذا الظلم، الظلم إذن له مراتب أعلاها الكفر.

الفسق هو الخروج عن طاعة الله تعالى وله مراتب. مأخوذة من فسقت الرطبة أي خرجت من قشر هما، (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ (٥٠) الكهف) أي خرج عن الطاعة. الفسق درجات أيضاً وله مراتب حتى يصل إلى الكفر، قال تعالى (كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْفَسِقُ درجات أيضاً وله مراتب حتى يصل إلى الكفر، قال تعالى (كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) النور) (وَإِذَا أَرَدُنَا أَن تُهْلِكَ قَرْيَةً هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) النور) (وَإِذَا أَردُنَا أَن تُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرُنَا مُثْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا (١٦) الإسراء) أي خرجوا عن الطاعة. يستوي الظالم مع الفاسق في الخروج عن الطاعة لكن الظلم أكثر ما يتعلق بالآخرين والفسق أعمّ. الظلم أخذ حقوق الغير والفسق عام، وكل ظالم فاسق وليس كل فاسق ظالم لغيره قد يكون ظالماً لنفسه إذن الفسق أعمّ. إبليس فاسق فاسق وبالفسق وصل إلى مرتبة الكفر. ووصف الله تعالى الكفار بأهم فاسقون وظالمون. الظلم مراتب قد يصل إلى الكفر. وأحياناً الهسق ليس فيه كفر (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَ الْحَجَّ والْاَحَةُ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جَدَالَ فِي الْحَجِّ (١٩٥) البقرة).

ربنا تعالى ذكر الحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله ووصفه مرة بالكفر (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٤) المائدة) ومرة بالظلم (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِتُونَ (٤٧) المائدة) وهو لا يخرج عن واحد من هؤلاء. بالفسق (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلِئِكَ هُمُ الْفَاسِتُونَ (٤٧) المائدة) وهو لا يخرج عن واحد من هؤلاء. ترتيب الصفات: الظلم ثم الفسق ثم الكفر. فالذي لا يحكم بما أنزل الله هو قطعاً أحد هؤلاء، لكن هل هو كافر؟ لكن نرى ما هو الداعي الذي دعاه حتى لا يحكم بما أنزل الله ليس بالضرورة أن يكون الكفر هو الذي دعاه لعدم الحكم، هل أراد أن يحابي أحداً؟ (وَكَنَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بالنَّفْس وَالْعَيْنَ بالْمَيْنِ وَالأَنفَ بالأَنف وَالأَذُنَ بالأُذُنِ وَالسِّنَّ بالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُو كَفَارَةٌ لَهُ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَالسِّنَّ بالسِّنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُو كَفَارَةٌ لَّهُ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولُولِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَالسِّنَ بالسِّنَ والْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُو كَفَارَةٌ لَّهُ وَمَن لَمْ يَحْكُم بَمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولُولِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَالسِّنَ بالسَّنَ والْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُو كَفَارَةٌ لَهُ وَمَن لَمْ يَحْكُم بَمَا أَنزَلَ اللهُ هو قطعاً أحد هؤلاء وحتى تشمل جميع حالات ترك الحكم فقد درجات الكفر. الذي دعاه إلى أمر آخر لا يخرجه عن اللّه ولكن لسبب أقوى منه لكنه في كل الحالات لا يخرج عن كونه إما فاسقاً أو كافياً أو كافياً.

الظلم قد يصل إلى الكفر وكل حالة تقدّر بقدرها. أهل الفقه أعلم بهذا لكن من حيث اللغة أن الذي لا يحكم بما أنزل الله هو أحد هؤلاء قطعاً وهي تشمل جميع الحالات التي ليس فيها عدل لأنه قد يكون هناك سبب دعاه إلى عدم الحكم بما أنزل الله، وقد يكون فيها ظالاً. ومن لم يحكم بما أنزل الله يكون ظالماً وفاسقاً وطافراً حتى تشمل الآيات جميع الحالات ذكرها والذي يفعل هذا لا يخرج عن أحدهذه، وقد يصل إلى الكفر.

كيف نفر ق بين الظالم والفاسق وكلاهما فيه مجاوزة للحد؟ الفاسق أعم من الظالم وليس بالضرورة أن يتعلق بظلمه للآخرين فالإنسان إذا لم يصلي ولم يصم يكون ظالمًا لنفسه ويقال عليه فاسق وليس ظالمًا بمعنى الظلم أن ظالم لغيره. الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه (اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً) وملكة سبأ قالت (قَالَتْ رَبِّا فَالله عليه وسلم كان يقول في دعائه (اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً) وملكة سبأ قالت (قَالَتْ رَبِّا فَلَمْنَا أَنفُسنَا (٢٣) والأعراف) فالقسق أعمّ. وأهل الفقه هم الذين يرتبون هذه الصفات الثلاث.

سؤال: ما الفرق بين الاجتهاد والتأويل والتفسير؟

الاجتهاد هو بذل الجهد والوسع في الوصول إلى الحكم في طلب الأمر. إجتهد أي بذل جهده للوصول إلى الحكم. يقولون المراد بها رد القضية التي تعرض للحاكم الذي يفتي بالقضية ويصل بها إلى الحكم الصحيح ويردّها عن طريق القياس إلى الكتاب والسُنّة ولا يقول من رأيه ويقول أنا اجتهدت. هنك شروط للمجتهد، ماذا ورد في الكتاب والسُنّة يحاول القياس عليها ويستخلص الحكم. الاجتهاد إذن بذل الجهد للوصول إلى الحكم (الحكم الشرعي) في رد الأمر عن طريق القياس إلى الكتاب والسُنّة ولا يرده إلى رأيه مباشرة. يُسأل ما حكم هذه؟ فالإجتهاد بذل الوسع والجهد في طلب الأمر للوصول إلى الحكم الصحيح عن طريق القياس بردّه إلى الكتاب والسُنّة فينظر ماذا ورد في الكتاب والسُنّة فينظر ماذا

التأويل هو نقل ظاهر اللفظ إلى دلالة أخرى. ظاهر اللفظ شيء وأنت تنقله إلى شيء آخر لسبب من الأسباب. سورة النصر مثلاً تأويلها عند ابن عباس ألها نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا أمر غير مصرّح به في الآية وإنما ينقله إلى معنى آخر لسبب من الأسباب. قوله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنًا به (٧) آل عمران) هذا للمتشابه ينقل ظاهر اللفظ إلى دلالة أخرى. يقال مثلاً لشخص: في بيتك فأر، لا يقصد به الفأر الحيوان وإنما في بيتك فاسق لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سمّى الفأر بالفويسقات. وتقول لشخص: يلغ في إنائك كلب وهو ما عنده كلب أصلاً لكنك تقصد شخص يدخل على بيته فيفعل كذا. لا بد أن تكون لها قرينة تفهم منها. المتكلم يضبط و لا يتأول كما شاء وله شروط و لا يمكن لأي كان أن يأوّل كيف يشاء. تأويل الأحلام يسمى تأويلاً (هَذَا تَأْوِيلُ رُوْيًايَ مِن قَبْلُ (٠٠٠) يوسف) أوّل الشمس والقمر إلى الأبوين والكواكب للإخوة، ينقل ظاهر الأمر إلى دلالة أخرى. هذا له ضوابط يعرفها أهل العلم.

النفسير كشف المراد عن اللفظ، كشف مفردات، ما معنى هذه الكلمة؟ تفسير عبارة غير واضحة لشخص تفسرها له، آية غير واضحة تشرحها وتفسرها. إذا كان المعنى العام لا يعرفه أو لا يعرف معنى مفردات نقول يفسر القرآن. هل لهذه الكلمات مراتب؟ أهل الشأن يذكرون ضو ابط خاصة لكل واحد منهم وليس لكل واحد أن يفسر هكذا. ومن أول الضوابط التبحر في علم اللغة ويقولون و لا تُغنى المعرفة اليسيرة، ثم يذكرون أموراً تتعلق بالحديث والسئتة

سؤال: ما الفرق بين يغفر لكم من ذنوبكم ويغفر لكم ذنوبكم؟

(من) تبعيضية، للتبعيض أي بعضاً من ذنوبكم. بحسب السياق تغفر بعض الذنوب أو الذنوب جميعاً. لكن هنالك أمر وهو أنه لم يرد في القرآن (يغفر لكم ذنوبكم) إلا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن كله، أما (يغفر لكم من ذنوبكم) فعامّة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولغيرهم. قال تعالى في سورة الصف (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)) أما في سورة نوح فقال تعالى (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ويُؤَخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمَّى (٤)). إذن (من) للتبعيض وبحسب المواقف، هل لو أنفق أحدهم درهماً يكون كمن جهّز جيشاً؟

سؤال: في قوله تعالى (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) الضحى) لم لم يقل فآو اك وهداك وأغناك؟ وهل الفعل آوى وهدى وأغنى هل يتعدى بنفسه؟

آوى فعل متعدى بذاته (فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ (٢٦) الأنفال) (وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤُويهِ (١٣) المعارج) (وَلَمَّا دَحَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ (٢٩) يوسف). آوى متعدى وهدى متعدى (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧) الحجرات) لكن الحذف للإطلاق. يعني ألم يجدك يتيماً فآوى أي فآواك وآوى بك وآوى لك، وهذا الإطلاق لإكرام الرسول صلى الله عليه وسلم. آواك أنت (آوى بمعنى احتضن ونصر وساعد)، آواك أنت وآوى بك بالتعليم، بسببك، بما تقدمه، بما جاء به في الإسلام، آوى بك خلقاً كثيراً من اليتامي والمحتاجين بسببه، وآوى لأجله ناس يفعلون لأجل رسول الله صلى الله عليه وسلم. آواه وآوى به بما جاء في التعليمات التي جاء بما في الكتاب والسُنة وآوى له، لأجله. ولو قال آواك تكون معنى واحداً وهذا يسمى الإطلاق والإطلاق هذا من أمور التوسع في المعنى واحد من أسبابه. والآية تحتمل المعاني الثلاثة آواك وآوى بك وآوى لك، وهداك وهدى بك خلقاً كثيراً وهدى لك.

في سورة الضحى ما قال (وما قلاك) وهذا من باب الإكرام. قال تعالى (ما ودّعك) والتوديع يكون بين المتحابين فلما قال ما ودّعك يعني كما يفعل المُحِبُّ لجبيبه لكن ما قال له وما قلاك لأنه أراد أن يكرّمه. لا تقول لأحد أنا لم أشتمك ولم أسبك ولا تواجهه وإنما تقول أنا لم أشتم وهذا إكرام له أكثر من أن يواجهه بفعل السوء لأن القلى يكون بين المتباغضين بخلاف التوديع فيكون بين المتحابين. فلا يقول وما قلاك إكراماً له صلى الله عليه وسلم فقال روما قلى). إذن هو إكرام في ذكر المفعول به في التوديع (ما ودعك) وفي حذف المفعول به في القلى (وما قلى) إكراماً وإجلالاً له من أن يناله الفعل. الحذف (وما قلى) فيه إكرام للرسول صلى الله عليه وسلم وذكر المفعول في ودّعك إكرام له.

أما في الآية (ألم يجدك يتيماً فآوى) الإيواء والهداية والإغناء (أغناك وأغنى بك وأغنى لك) أفعال متعدية وتكون هنا للإطلاق (فآوى، فهدى، فأغنى). سؤال: ما الفرق بين الآيتين (قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) سبأ) و (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ (٣٥) هود)؟ وما دلالة نسب الإجرام للمؤمنين والعمل لغير المؤمنين؟

آية سبأ (قُل لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) هي في سياق الدعوة والتبليغ والمحاجّة وهذا من باب الإنصاف في الكلام حتى يستميلهم يقول نحن لا نُسأل عما أجرمنا إذا كنا مجرمين كما لا تُسألون أنتم عن إجرامنا إذا كنا كذلك. أراد أن يستميل قلوبجم فقال (عما تعلمون) هذا يسموه من باب الإنصاف في الدعوة، غاية الإنصاف لا يريد أن يثيره خاصة في باب التبليغ يريد أن يفتح قلبه بالقبول وإذا قال تجرمون معناه أغلق باب التبليغ يجعله التبليغ. وقال قبلها (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَال مُّينِ (٢٤)) هذا في باب الدعوة وفي باب التبليغ يجعله في باب الإنصاف في الكلام حتى لا يغلق الباب وهذا غاية الإنصاف. لأن السياق في سورة سبأ هو في سياق الدعوة (قُلِ الدِّينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ (٢٢)) (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ (٢٤)) (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَهْتَحُ بَيْنَنَا بالْحَقِّ وَهُوَ الْقَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦)) يريد أن يستميل قلوبجم وألا يغلق الباب فقال لهم كذلك.

في حين في آية سورة هود (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَاهِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ (٣٥) هود) هذه في قصة سيدنا نوح عليه السلام (قل إِن افتريته فعلي إجراهي) لأن الذي يفتري على الله تعالى مجرم (قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَي إِجْرَاهِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ) إذا أنتم نسبتم إليّ الافتراء ولست كذلك أنتم مجرمون بحقي إذا نسبتم الإفتراء إليّ أني أفتري على الله وأنا لست كذلك فأنتم مجرمون بحقي إذن وإن افتريته فأنا مجرم (فعلي إجراهي) وإن لم أكن كذلك فأنتم نسبتم الافتراء إليّ وأنا بريء من ذلك فأنتم إذن مجرمون بحقي.

المقصود بتجرمون نسبة الافتراء إلى نبي الله هذا هو إجرام القوم في حقه، هذا أمر. والأمر الآخر قال (فعلي إجرامي) واحد وقال (تجرمون) جمع كثير وفيه استمرار لأهم هم نسبوا إليه أمراً واحداً (افتريته) افترى الرسالة، افترى الكلام (فعلي إجرامي) لكن هم مستمرون إجرامهم كثير مستمر هذا قيل في باب غلق الدعوة لما قال له ربه تعالى (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَوْسُ بِمَا كَانُواْ يَفْعُلُونَ (٣٦) هود) هنا مفاصلة وليس كتلك الآية السياق الذي فيها محاجّة يأمل أهم يعودوا فيستميل قلوبهم، هذا انغلق هنا (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ) انتهت المسألة وصارت مفاصلة لأنه غلق باب الدعوة والتبليغ. (مما تجرمون) أي الإجرام المستمر من السابق وإلى الآن فتبقوا مجرمين إلى أن يهلككم ربكم لذا قال (تجرمون) ولم يقل من إجرامكم لأنه ليس إجراماً واحداً. ما يفعلونه من المعاصي هو إجرام مستمر لكن كلام نوح عليه السلام كان منصباً على الافتراء (إن افتريته).

الواو في قوله تعالى (وأنا بريء) هي عطف جملة على جملة.

مع الرسول صلى الله عليه وسلم قال (عما أجرمنا) هذا من باب الإنصاف كما أنت تتكلم مع شخص لا تريد أن تثيره فتقول: قد علِم الله الصادق مني ومنك وإن أحدنا لكاذب، هذا غاية الإنصاف لا تقول له أنت كاذب. الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن يفتح القلوب ويستميلها لا أن يغلقها هذا يسمى غاية الإنصاف في الكلام.

سؤال: ما دلالة التقديم والتأخير لكلمة رجل في الآيتين (وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى (٢٠) يس) و (وَجَاء رَبُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى (٢٠) يس) و (وَجَاء رَبُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى (٢٠) القصص؟

الآية الأولى في سورة يس والأخرى في سورة القصص في قصة موسى عليه السلام. (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) يعني هو فعلاً جاء من أقصى المدينة أي من أبعد مكان فيها. (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) ليس بالضرورة ذلك وإنما تحتمل هذا المعنى وغيره. تحتمل أنه فعلاً جاء من أقصى المدينة وتحتمل لا هو من سكان تلك الأماكن المبعدة لكن ليس مجيئه من ذلك المكان ليس بالضرورة. كما تقول جاءين من القرية رجال تعني أن الجيء من القرية، جاءين رجال من القرية أي قرويون هذا يحتمل معنيين في اللغة، هذا يسمونه التعبير الاحتمالي. هناك نوعين من التعبير تعبير قطعي وتعبير احتمالي يحتمل أكثر من دلالة والتعبير القطعي يحتمل دلالة واحدة. لما تقول جاءين رجال من القرية تحتمل أمرين الرجال جاءوا من القرية أي مجيئهم من القرية وجاءين رجال من القرية وتحتمل ألهم رجال قرويون ولكن ليس بالضرورة أن يكون الجيء من القرية. كما احتمالين أن الجيء من القرية وتحتمل ألهم رجال قرويون ولكن ليس بالضرورة أن يكون الجيء من القرية. كما جاء من سوريا رجل يعني جاء من سوريا رجل يعني جاء من سوريا، وجاء من أقصى المدينة لكن ليس بالضرورة أن يكون حاء من سوريا، وأقصى المدينة لكن ليس بالضرورة أن من ذاك المكان وقد يكون من مكان الأماكن البعيدة، مكانه من أقصى المدينة لكن ليس بالضرورة أن من ذاك المكان وقد يكون من مكان الأماكن البعيدة، مكانه من أقصى المدينة لكن ليس بالضرورة أن من ذاك المكان وقد يكون من مكان آخر..

سؤال من المقدم: تعقيب الآية في سورة يس (قَالَ يَا قَوْمِ البَّعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)) أما في القصص فالتعقيب (فَاخُرُجُ لِي اللَّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) الجيء في سورة يس أهم لذا قال (رَجل يسعى) جاء لتبليغ الدعوة وإشهار الدعوة وأن يعلن ذلك أمام الملأ مع ألهم كلهم ضد على أصحاب يس، على الرسل وهناك في القصص جاء ليسر في أذن موسى عليه السلام كلاماً (إن الملأ يأتمرون بك). هذا إسرار أما ذاك فإشهار، ذاك تبليغ دعوة وهذا تحذير. في قصة يس أن القرية كلها ضد الرسل (إن لم تنهوا) موسى لم يقل له أحد هذا. في يس كان إشهار الدعوة خطر على الشخص تحتاج إلى إشهار لكن عاقبتها خطر على الشخص. في القصص ليس كذلك لأنه ليس هناك ضد لموسى عليه السلام فلما كان الموضوع أهم وإن موضوع الدعوة لا يعلو عليه شيء والتبليغ لا يعلو عليه شيء وهو أولى من كل شيء قال (من أقصى المدينة رجل يسعى) يحمل هم الدعوة من أقصى المدينة ويسعى ليس متعثراً يخشى ما يخشى وإنما وقال يسعى لتبليغ الدعوة وليس مجيئاً اعتيادياً هكذا لكنه جاء ساعياً. ذاك جاء ساعياً أيضاً لأمر مهم لكنه أسر إلى موسى عليه السلام ولهذا جاء التقديم والتأخير بحسب الموضوع الذي جاء من أجله. فلما كان الموضوع أهم قدّم موسى عليه السلام ولهذا جاء التقديم والتأخير بحسب الموضوع الذي جاء من أجله. فلما كان الموضوع أهم قدّم موسى عليه السلام ولهذا جاء التقديم والتأخير بحسب الموضوع الذي جاء من أجله. فلما كان الموضوع أهم قدّم موسى عليه المدينة) يحمل هم المدعوة. وفي الموضوع الآخر أخر.

سؤال من المقدم: الجُمَل بعد المعارف أحوال وبعد النكرات صفات، صفة رجل يس يسعى لذا عدد القرآن بعض أقواله ومناقبه أما رجل القصص؟ يحتمل أن شبه الجملة (من أقصى المدينة) أن يكون صفة و (يسعى) صفة ثانية هو كونه من أقصى المدينة فتكون صفة، يحتمل أن الجار والمجرور صفة ويسعى صفة ثانية. كلمة يسعى بعد المدينة وبعد

رجل، كلمة (رجل) كلاهما نكرة. جملة (يسعى) صفة في آية يس وفي القصص (يسعى) صفة للرجل وليست للمدينة. كلمة رجل في الحالتين نكرة فجملة يسعى في الآيتين صفة. يسعى صفة للرجل في الحالتين.

سؤال: تكررت كلمة قميص في قصة يوسف عليه السلام ثلاث مرات وكان للقميص دور بارز في القصة (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ (١٨)) (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ (٢٥)) (اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَٱلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي (٩٣)) فما دلالة وجود القميص ثلاث مرات في القصة؟

لم أتبين القصد من السؤال لكن في ذهني ملاحظات أقولها في هذه المسألة لعلها تكون جواباً عن السؤال أو جزءاً من الجواب الذي يبتغيه السائل. أولاً ثلاث مرات استعمل القميص بيّنة في ثلاثة مواضع: استُعمِل بيّنة مزورة في قولم (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَم كَذَب) جاءوا يستدلون على قولهم أن الذئب أكله بالقميص الذي عليه دم كذب. هذه البيّنة مزورة، إذن استعمله أولاً يبنة مزورة. واستعمله مرة أخرى بيّنة صحيحة للوصول إلى براءة يوسف (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدً مِن قُبُلٍ فَصَدَقَت وهُو مِن الكَاذِينَ) إذن الأولى كانت مزورة والثانية بيّنة صحيحة للاستدلال على البراءة. والبيّنة الثالثة استعمل بيّنة صحيحة للاستدلال على البراءة. والبيّنة الثالثة استعمل بيّنة صحيحة للاستدلال على الرائحة تستعمل الآن بيّنة الكلاب البوليسية تستعمل لوالده وسبب لردّ بصره. بينة صحيحة في قميص يوسف وفي الرائحة تستعمل الآن بيّنة الكلاب البوليسية تستعمل للاستدلال على الرائحة. ليس بالضرورة أنه القميص الأول لكن يعقوب عليه السلام يعرف رائحة ابنه. وردت قميص ثلاث مرات واستعمل في كل مرة بيّنة، ثلاث بينات: بينة مزورة وبينة صحيحة للوصول إلى الحكم وينة قميص ثلاث مرات واستعمل في كل مرة بيّنة، ثلاث بينات: بينة مزورة وبينة صحيحة للوصول إلى الحكم وينة صحيحة للاستدلال على أن يوسف لا يز ال حياً.

الأمر الآخر أنه استُعمل بداية لحزن يعقوب (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) ولهاية حزنه (اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا). واستعمل ثلاث مرات في ثلاث مراحل من حياة يوسف عليه السلام: وهو صغير (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ). إذن استعمل القميص بيّنة في ثلاث مواضع واستعمل لثلاث مراحل زمنية معاشية في حياة يوسف: المرحلة الأولة مرحلة رميه في الجب (وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) صيّرته مملوكاً وعاش غريباً مع غير أهله، المرحلة الوسطى سجنه بعد الحادثة مع امرأة العزيز دخل مرحلة أخرى وهو السجن وهذه المرحلة لما بلغ أشده وصارت معيشة أخرى غير النمط الأول، والمرحلة الثالثة جمع شمله بأهله وسعادهم أجمعين. إذن ثلاث مراحل الأولى عندما أصبح مملوكاً وفراقه عن أهله و الثانية عندما صار سجيناً والثالثة اجتماعه بأهله.

هناك مسألة لما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لو لا أن تفندون، إذن رائحة يوسف في القميص وهذا أمر ثابت أن لكل إنسان له رائحة خاصة لكن لا يميزها كل الناس وإنما تميزها الكلاب البوليسية. ثم من الناس من إذا عصبت عينيه تعطيه قميصاً تسأله لمن؟ يقول لفلان ويعرفه من الرائحة. وأذكر أن أحجهم أخبري أن زوجة أخيه يغسلون ملابس العائلة كلها في الغسالة ويعصبون عيو لها ويقولون استخرجي ملابس زوجك تشتمها وتجمع ملابس زوجها بعد غسلها وقالوا هي أشد من الكلاب البوليسية. إذن إني لأجد ريح يوسف وهذه مسافة طويلة وهذا يحصل. التمساح يشم رائحة الفريسة من كيلومترات. فإذن هذا أمر إشارة إلى أن لكل إنسان رائحة تصح وتصلح للحكم والاستدلال ونحن نستعملها للاستدلال.

هناك أمر آخر الملاحظ الموافقات في قصة يوسف: القميص ذُكِر في ثلاث مواطن والرؤى ثلاثة: رؤيا يوسف وهو صغير (إنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) يوسف)، رؤيا السجينين ورؤيا الملك. إذن القمصان ثلاثة والرؤى ثلاثة والرحلات إلى يوسف ثلاثة: الرحلة الأولى لما جاءوا يستميرون يوسف ليأخذوا الميرة (وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَحَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٥٨)) والرحلة الثانية لما جاءوا بأخيهم واستبقاه عنده (وَلَمَّا دَحَلُواْ عَلَيْ يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَحَاهُ (٢٩)) والمرحلة الثالثة لما قالوا (فَلَمَّا دَحَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجَنَّا بِضَاعَةٍ مُّرْجَاةٍ (٨٨)). إذن ثلاث رحلات. القمصان ثلاثة والرؤى ثلاثة والروعى ثلاثة والرحلات ثلاثة من حيث العدد، هذا من الموافقات. الرؤى متغيرة ليست نفسها لأن الرائي ليس واحداً وإنما هي رؤى مختلفة والقميص ليس واحداً وإنما متغير أيضاً قنيص وهو صغير وقنيص لما بلغ أشده وقميص أرسله إلى أبيه.

سؤال: ما الفرق بين الآيتين (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجُرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) البقرة) و (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيُومِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) المائدة) في رفع ونصب الصابئين وما دلالة التقديم والتأخير؟

في الماتدة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَاللَّهِ عَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيُومِ الآخِوِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦)). ولي البقر وَاللَّهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦)). النصب ليس فيه إشكال الآخِو وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦)). النصب ليس فيه إشكال عبد النصب معطوف على منصوب. الرفع في آية سورة الماتدة من حيث الناحية الإعرابية ليس فيه إشكال عند النحاة لأقلم يقولون على غير إرادة (إنّ)، على محل إسم إنّ. في الأصل إسم إنّ قبل أن تدخل عليه مرفوع فهذا مرفوع على المحل أو يجعلوه جملة: والصابئون كذلك. لكن لماذا فعل ذلك حتى لو خرّجناها نحوياً؟ هي ليست مسألة إعراب فالاعراب يخرّج لأنه يمكن أن نجعلها جملة معترضة وينتهي الإشكال. لكن لماذا رفع؟ (إنّ) تفيد التوكيد معناه أنه قسم مؤكّد وقسم غير مؤكد. (الصابئون) غير مؤكد والبقي مؤكد لكن لماذا رفع؟ (إنّ) تفيد المتوكيد معناه أنه قسم مؤكّد وقسم غير مؤكد. (الصابئون) غير مؤكد والبقي مؤكد خرج عن المله، عن الدين. فالصابئون خرجوا عن الديانات المشهورة. وهم قسمان وقسم قالوا إلهم يعبدون النجوم خرج عن المله، عن الدين. فالصابئون خرجوا عن الديانات المشهورة. وهم قسمان وقسم قالوا إلهم يعبدون النجوم أصحاب كتاب عندهم الوراة والنصارى عندهم كتاب الإنجيل والذين آمنوا عندهم القرآن الصابئون ما عنجهم أصحاب كتاب عندهم الوراة والنصارى عندهم كتاب الإنجيل والذين آمنوا عندهم القرآن الصابئون ما عنجهم أصحاب كتاب عندهم أنه المنانة والاعتقاد ولذلك لم يجعلهم بمنزلة واحدة فرفع فكانوا أقل توكيداً. (إنّ) للتوكيد. نقول محمد قائم و نقول في الديانة والاعتقاد ولذلك لم يجعلهم بمنزلة واحدة فرفع فكانوا أقل توكيداً. (إنّ) للتوكيد. نقول محمد قائم و نقول المعمد قائم هذه أقوى. هي

من دون توكيد ليست مؤكدة لأنهم دون هؤلاء.

لماذا لم يأت بما مرفوعة ووضعها في نهاية الترتيب؟ هنا ندخل في مسألة التقديم والتأخير وليست في مسألة المعنى. وهي ليست الآية الوحيدة التي فيها تغيّر إعرابي. في آية التوبة (وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ (٣) التوبة) ما قال ورسولَه مع أنه يمكن العطف على لفظ الجلالة الله، لم يعطف على إسم الجلالة وإنما عطف على المحل أي (ورسوله بريء) لأن براءة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست ندًا براءة الله تعالى هي الأولى ولو قال ورسولَه تكون مؤكدة كالأولى فإشارة إلى أن براءته ليست بمنزلة براءة الله سبحانه وتعالى وإنما هي دونها فرفع على غير إرادة (إنّ). حتى في الشعر العربى:

إن النبوةَ والخلافةَ فيهم والمكرماتُ وسادةٌ أطهارُ

قال المكرماتُ ولم يقل المكرماتِ لأن هؤ لاء السادة لا يرتقون لا إلى النبوة و لا إلى الخليفة. هذه الدلالة موجودة في الشعر ففهمها العرب.

يبقى السؤال حول النقديم والتأخير في الترتيب: آية المائدة قال (والصابئون والنصارى) وآية البقرة (والنصارى والصابئين). في المائدة قدّم ورفع الصابئين أنه ذمّ النصارى في المائدة ذماً فظيعاً على معتقداتهم، تكلم على عقيدة التثليث جعلهم كأتهم لم يؤمنوا بالله وكأتهم صنف من المشركين (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسيحُ ابْنُ مَريّمَ (٧٢)) (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَمْ يَتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤)) لما كان الكلام على ذم العقائد عقيدة النصارى أخر النصارى حتى تكون منزلتهم أقل وقدّم الصابئين مع ألهم لا يستحقون وأخر النصارى لأنه ذمّ عقيدةم.

سؤال من المقدم: ما اللمسة البيانية في الترتيب؟ النقديم والتأخير بين الصابئين والنصارى إذا كان كما يقولون الصابئون هم التابعون للنبي يحيى عليه السلام فهو معاصر للمسيح والسيح ليس بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم نبي، هم زمنياً بعد الذين هادوا وقبل المسيح مع ألهم في عصر واحد الأن يحيى أسبق من المسيح. النصارى معطوفة على المنصوب الأنه هو الأصل (الا تظهر عليها علامة الإعراب الأنه إسم مقصور) وهذا الأرجح وليس فيه إشكال أن تكون الصابئون مرفوعة وليس بالضرورة أن يكون العطف على الأقرب. أخر النصارى في المائدة الأنه ذمّ عقيدهم وفي البقرة لم يذم العقيدة ووضع الصابئين في آخر الملل.

سؤال: ما الفرق بين قوله تعالى (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) الشورى) و (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) لقمان؟

في لقمان قال (إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) وفي الشورى (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) زاد المغفرة على الصبر. أيها الأصعب على الإنسان أن يصبر أو يصبر يغفر إذا أُوذي؟ أن يصبر ويغفر أصعب لذلك أكّد (إن ذلك لمن عزم الأمور) لما زاد الثقل على الإنسان أكّد وقال (إن ذلك لمن عزم الأمور) أما في لقمان كان صبراً فقط. لما صبر وغفر أكّد باثين (إنّ واللام) وفي لقمان صبر واحد فأكّد بواحد (إنّ).